الدبلوماسى

السنة السادسة والعشرون العدد 263 - 264
يناير - فبراير 2018م الثمن 10 جنيهات

عدد تذكارى

العائلة المقدسة
فى مصر المباركة

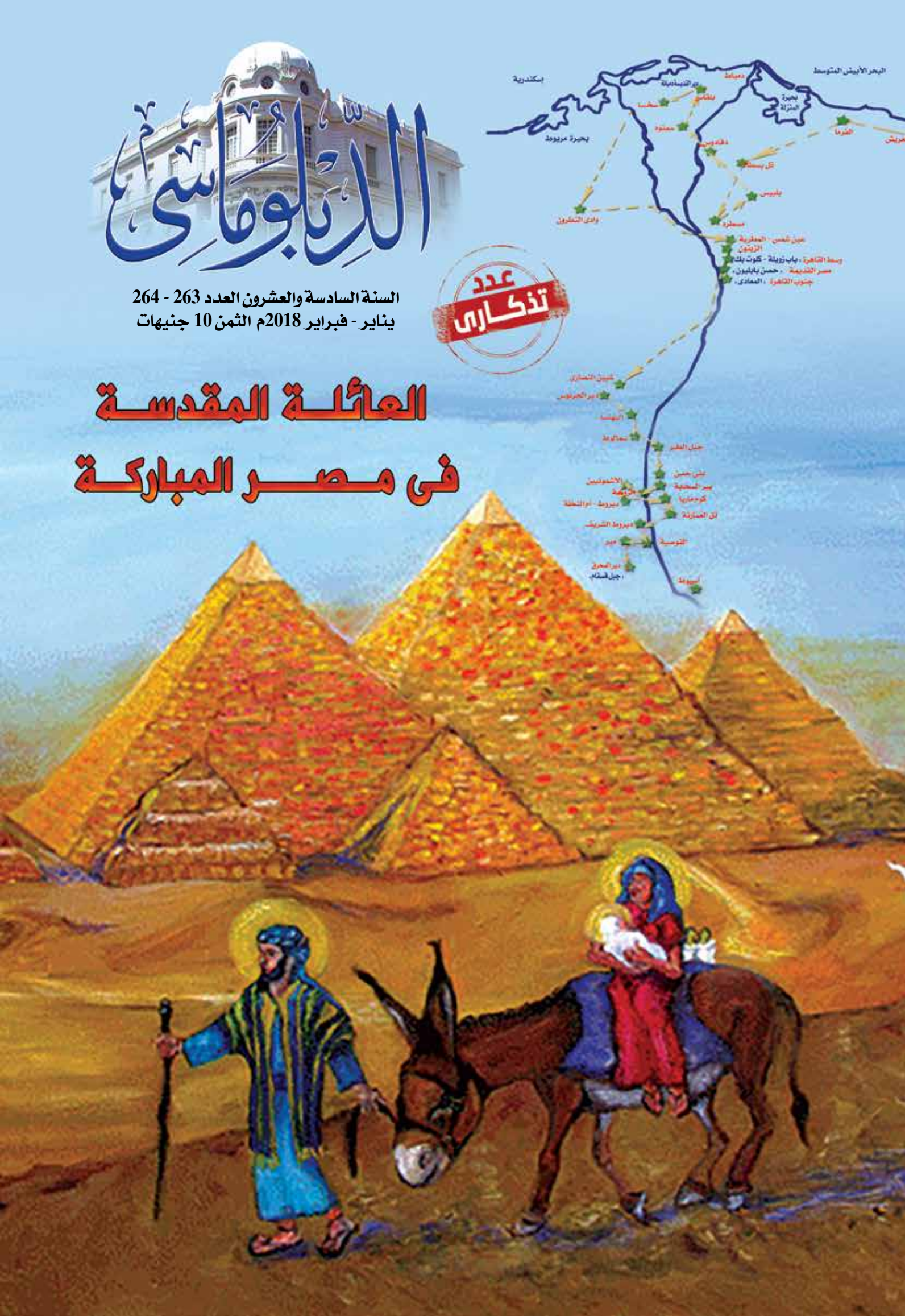

تمويل الرحلات السياحية

سيب القهوة
و روح الإستاد

سافر شجع منتخب مصر في كأس العالم في روسيا

- يمنح التمويل للموظفين و أصحاب المهن و الاعمال الحرة و المعاشات و أصحاب الاوعية الادخارية
- يتم اصدار وثيقة تأمين مجانية طوال فترة سريان التمويل
- نسبة تمويل تصل الى ١٠٠ ٪ من قيمة الرحلة

بنك مصر
BANQUE MISR
نعمل معاً لخير بلدنا

BM Phone 19888
بي إم فون
www.banquemisr.com
/BanqueMisr.1920 /banquemisr1920

مجلة شهرية منوعة يصدرها منذ مارس ١٩٩٢

النادى الدبلوماسى المصرى

رئيس مجلس الإدارة
سفير ياسر مراد

رئيس التحرير
سفير سعد الفرارجى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

نواب رئيس التحرير

سفير عبد الفتاح عز الدين
سفير هشام الزميتى
سفير رضا الطايفى

مساعدو رئيس التحرير

سكرتير أول هبة مصطفى
سكرتير أول فاطمة صابر
سكرتير ثان مينا باسيلى

توجه المراسلات إلى مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية - ماسبيرو الدور ٢٨ - غرفة ٢٨٢٠
تلفاكس ٢٧٧٣٥٤٥٧(٢٠٢)

www.diplomategypt.com
facebook.com/diplomat.magazine.egypt
diplomatmagazine92@gmail.com

عدد تذكارى يناير - فبراير 2018

القدس الشرقية أرض محتلة ..... بقلم: السفير سعد الفرارجى 4
حقيبة الأخبار 8

شئون عربية

الدولة الفلسطينية المستحيلة ..... د. عبدالمنعم المشاط 16
أهو توطين للفلسطينيين أم تصفية لقضيتهم؟ ..... سفير سيد أبوزيد عمر 18
2018 لابد أن يكون عام إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.....لواء محمد إبراهيم 22
بعد قرار ترامب بشأن القدس.. ما هو مصير عملية السلام؟ ..... أ. د. هشام مراد 26
صفقة القرن فى مهب الريح ..... محمد صابرين 30
قرار ترامب يحول القضية إلى صراع دينى ..... سوزى الجنيدى 32
سوف تظل القدس لنا..... منى الدالى 34
الشرعية الدولية فى مواجهة الأمر الواقع ..... د. أحمد سيد أحمد 36
نقل السفارة.. الأسباب والتداعيات ..... د. علاء عبدالحافظ 40
أنت العهد وأنت المجد .. انشودة.. كلمات - بشارة الحوامدة غناء محمد بشار 42
مستقبل اليمن بعد صالح ..... سفير د. يوسف الشرقاوى 43
الطريق إلى التسوية فى سوريا .....د. نورهان الشيخ 46
الأكراد.. مائة عام بلا دولة..... محسن عوض الله 48
لبنان بعد استقالة الحريرى ..... منى سليمان 52

أفريقيا

بيان وزير الخارجية المصرية مؤتمر الدول المتشاطئة على البحر الأحمر 56
العلاقات بين مصر والسودان إلى أين؟..... سفير د. صلاح حليمة 60
سواكن والأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر..... سفير د. عادل السالوسى 62
التواجد العسكرى الأجنبى فى القرن الأفريقى ..... مُسلم هنيدى 68
الهجمة الإسرائيلية فى أفريقيا ..... الحاجى بوبا نوحو 74
الرئيس موجابى هزمته أخطاؤه.....سفير رخا أحمد حسن 78
موجابى من بطل الاستقلال إلى الإجبار على الاستقالة .....مصطفى كمال 84
نهضة مصر وأفريقيا.. شراكة متصلة من أجل السلام والتنمية .....سفير د. عبير بسيونى 85
مهمة فى جزر القمر ..... سفير أسامة توفيق بدر 92

آسيا

مستقبل الدور الإقليمى التركى ودول الجوار العربى ..... أ. د. هدى ميتيكس 96
التفاهم الشعبى بين الصين والدول العربية الأفريقية ..... د. دينج جون 104
رؤية عالمية لطريق الحرير ..... سفير عبدالفتاح عزالدين 108
أندونيسيا.. صداقة تاريخية وتعاون لبناء المستقبل..سفير عمرو معوض 114

أوروبا

مائة عام على ثورة أكتوبر .....سفير د. علاء الحديدى 118

أمريكا اللاتينية

الانتخابات الرئاسية فى أمريكا اللاتينية ..... سفير عبدالفتاح عزالدين 124

اقتصاد

رسالة شرم الشيخ... منتدى الاستثمار فى أفريقيا 2017 126
علاقاتنا القوية بأفريقيا تستلزم الاستثمار فى دولها ...سفير جمال الدين البيومى 130
التغير المناخى.. خطر يهدد كوكب الأرض..... هادية الشربينى 134

المعلوماتية

الإرهاب شبكيا ومستقبله ..... سفير د. عزمى خليفة 138
إنترنت الأشياء..... أ. د. نوح صبرى المتولى 142
الدبلوماسية الإلكترونية والسياسة الخارجية ..... د.عادل عبدالصادق 145
لم يعد مستحيلاً تدمير الأمن الإلكترونى ..... د. حسن عبدربه المصرى 148

الدبلوماسى

عدد مزدوج 263 - 264

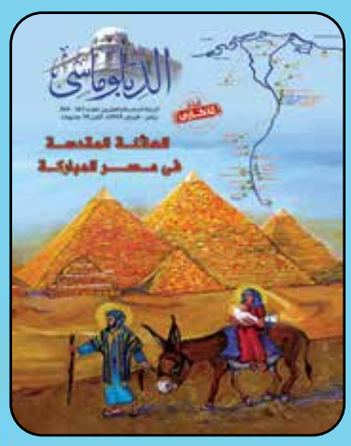

الغلاف للفنان
جمال عبدالنبى

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبرعن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة
والخرائط المنشورة توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

ترحب «الدبلوماسي» بإسهامات واقتراحات
السادة أعضاء السلك الدبلوماسى
والقنصلى بما يقدمونه من مقالات تثرى
المجلة بثقافاتهم وتجاربهم الدبلوماسية

توجه المراسلات والمقالات باسم رئيس التحرير
Email: diplomatmagazine92@gmail.com

للإعلان فى المجلة يرجى الاتصال برقم
0100 0722134

جميع الحقوق محفوظة

مصر

مصر بين سياسة الدولة والتدخل الخارجى ..... بقلم السفير: محمد العرابى 150
حصاد عام 2017... استراتيجية تمكين المرأة المصرية .....بقلم: د. مايا مرسى 156
دور مهم للمواطن فى مكافحة الإرهاب ..... بقلم: لواء محمد إبراهيم 158
مستقبل المواطنة فى ظل العولمة ..... بقلم: د. إسراء إسماعيل 160

الأمم المتحدة

مجلس الأمن.. عضوية مصر عامى ٢٠١٦ - ٢٠١٧ 164
الأمم المتحدة.. تقرير المقرر الخاص للحق فى التنمية. .....سفير سعد الفرارجى 166
اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى .....راضية عاشورى 172

دراسات

الحق فى التنمية بين النظرية والتطبيق..... د. عزت سعد 173
المفاعلات النووية ومستقبل الاستخدامات السلمية د. سامح أبو العينين 178

قراءات

الحضارة المصرية فى العصر القبطى الأول ..... أحمد سعيد المصرى 182
فى الشرق الأوسط.. الخرافة تكتب التاريخ ..... السيد هانى 184
الإسلاموفوبيا والعنصرية فى أمريكا..... إريك لان 186
الإتيكيت أسلوب حياة..... د. نهاد سيف اليزل 188

ملف خاص

العائلة المقدسة فى مصر المباركة 190
مبارك شعبى مصر .....منير غبور 191
رحلة مقدسة إلى أرض مقدسة.....حسام نصار 196
دلالات ومعانٍ .....د. عايدة نصيف 199
فى معية العائلة المقدسة.....شريف سنبل 202
هروب العائلة.. رؤية جغرافية .....د. عدلى أنيس 208
المصادر الشهية.....أ. د. راندا بليغ 212
تأملات حول الرحلة ..... أ. د. وسيم السيسى 222
فى الفن المسيحى الشرقى والغربى ..... د. مارى ميساك 224

تاريخنا العظيم

لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية ..... أ. د. محمد إبراهيم على 228
مظاهر حضارتنا المصرية القديمة .....محمد عهدى خيرت 236
الملك توت عنخ آمون كما لم يشاهده العالم من قبل.....د. طارق سيد توفيق 240

بنت النيل

أنشطة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين.....نادية الريس 244

ثقافة وفنون

فنون تشكيلية.....سفير: فخرى عثمان 246
رسالة جامعة القاهرة..وثيقة التنوير..... 248
مساحات التنوير المأمول فى مصر.....أيمن السمرى 250
آفة الآفات أننا لا نعمل ..... رجائى عطية 251
شادية النغمات.. صوت مصر .....عادل عبدالصمد 254
الزمن الجميل.. طريق الحرير .....سفير: د. محمد حسونة 260
من مذكرات أمير الصحافة..... شريفة محمد التابعى 264
أيام فى الخضراء ..... سفير: د. وليد محمود عبدالناصر 268
نكون أو لا نكون.....هبة عبدالعزيز 272
تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحق والوهم..وزير مفوض: د. محمد عرفى 274
العلاج الفورى المبتكر لتطوير الشخصية .....سفير: د. هادى التونسى 276
لا تبالغ فى القول أو الفعل ..... سفير: د. فتحى مرعى 278
أفتخر وأعتز وأخجل وأعتذر ..... د. وليد عوف 279
أمنيات للوطن .....شعر ..... السفير: رضا الطايفى 280

افتتاحية العدد

القدس الشرقية أرض محتلة

فى مطلع عام جديد 2018 يملأ النفس شـــعور بالأمل أن يكون أفضل من ســـابقه، ونتطلع إلى تجاوز المحـــن التى ملأت بعض جنبات عالمنا العربـــى، وأدلها الإرهاب وإنكار الحق المشروع لشـــعب فلســـطين فى ترابه ودولة تتخذ من القدس الشرقية عاصمة لها. وعلى الصعيد الوطنى بدأت المسيرة نحو بلوغ حالة من استقرار النفس وجهادها نحو مســـتقبل أفضل يضمد جراح الماضى، ويرنو المواطن المصرى ببصره نحو مصر الشـــامخة وســـط أقرانها دول المنطقة والعالم، مصر الحديثة بتقدمها العلمى والتكنولوجى وتحقيق معدل نمو مطرد مستدام، مصر دولة القانون والعدالة والتكافل، مصر بسياســـة خارجية تتميز بالتـــوازن والفاعلية على كافة الأصعدة، ثنائية وإقليمية ودولية، مصر القوية بتعزيز عناصر ومقومات وأركان الدولة، مصر الحريصة على الحفاظ على الأمن القومى للدولة وصيانة حدودها.

بقلم السفير
سعد الفرارجى
رئيس التحرير

هذه الافتتاحية الســـابعة لى منذ يناير 2017، وقد جاهدت مـــع زملائـــى أسرة تحرير «الدبلوماسى» أن نجعل منها مجلة عامرة بكتابات متنوعة، ترقـــى إلى مســـتوى العصر، ولا أدعـــى بلـــوغ الكثير من طموحاتنا، ولكن أقول وبصدق أننا نتقدم بخطى حثيثة، حتى نؤمن لـ«الدبلوماسى» مكانة مرموقة بين الإصدارات، ولن نبلغ هذا دون مشاركة القارئ وبليغ كتابة الكاتب، وصادق دعم القـــارئ بالتقييم والنقد الموضوعى.

مرة أخرى تهنئة بالعام الجديد 2018.

القدس الشرقية أرض محتلة

أبى عام 2017 أن ينقضى دون أن ينضم إلى سجل الأعوام البارزة فى تاريخ القضية الفلســـطينية محتذيا بســـنين سبقته على مدى قرن من الزمان بدءاً بصدور وعد اللورد بلفور عام 1917 ومرورًا بأعوام 1937 و1947 و1967 التى شـــهدت على التوالى صدور تقرير لجنة بيل الذى وضع بذرة فكرة تقسيم فلســـطين فى عام 1937 وقـــرار الجمعية العامة للأمـــم المتحدة رقـــم 181 لعام 1947 المتضمـــن إنهاء الانتداب البريطانـــى بفلســـطين وخطة تقسيمها، وأخيرًا احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، وما تلاه من صدور قرار مجلس الأمن رقم 242 لعام 1967، وهو القرار الذى صار أساسًا لكل محاولات التسوية السلمية اللاحقة سواء ما رأى النور من بينها أو ما أجهض،

وحتى مات فى المهد.

إن مناط إبراز هذا القرار الدولى فى هذا السياق، هو أن تأكيده على مبدأ ثابت هو عدم جواز الاستيلاء عـــلى الأراضى بالقـــوة، وعلى أنه يسمو فوق كل الاعتبارات الأخرى، لا سيما إذا ما كان للمجتمع الدولى أن يظـــل متمســـكًا بمصداقية مبادىء القانـــون التى اجتمعت إرادة الدول عـــلى أن يتحلى بها النظام الـــدولى القائم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

لقد كان التمســـك بهذه المبادئ هو الدافع الرئيـــسى للعديد من الدول لرفض أية إجـــراءات أو قرارات من شـــأنها تغيير وضع أو هوية الأراضى الفلســـطينية، ومن ثم كانت مواقف تلك الدول التى عبرت عنها سواء فى مجلس الأمن أو فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، أو قبـــل ذلك فى بيانات رسمية.

رغم ما يبدو من بداهة ما سبق بشـــأن وضع القـــدس الشرقية كأرض محتلـــة، فما لا ينبغى أن يغيب عن ناظـــرى الكثيرين من المنبرين للدفاع عـــن القدس، أن مكانـــة المدينة وقدســـيتها لدى المسلمين والمســـيحيين على حد ســـواء، لا تقبل الجدل والنقاش، لكنها لا ترتـــب وحدها فى الواقع لهم حقاً قانونياً فى الســـيادة على القدس الشرقية، وإلا باتت الوثائق والمخطوطـــات والحفريات وآراء علماء الآثار، بل وحتى التأويلات السياسية للكتب السماوية، وهى الكتب التى يجـــب أن تنزه من الجدال، هى ســـاحة الفصل فى النزاع بين الأطراف، وليس قواعد ومبـــادئ الشرعيـــة التى تحكم العلاقات بين الدول، والتى لا غنى عنها للعالم اليوم.

تلك ليســـت دعـــوة للتخلى عن المقدسات الإسلامية أو المسيحية أو للتقليل مـــن قدرها ومكانتها لدى الشـــعوب، لكنهـــا محاولة لتنظيم الدفوع وترتيب أولويتها، على نحو يضمن التفاف أكبر عدد من الدول فى العالم واستمرارها فى دعـــم قضية شـــعب يقاوم الاحتـــلال، ويتطلـــع للحريـــة وصولاً إلى الاستقلال وإلى إعلان القدس الشرقيـــة عاصمة للدولة الفلســـطينية، وحتى يتهيأ لهذه الدولة أن تكتمل ســـيادتها على إقليمها وعلى ســـكانه، بل يمكن الزعم بـــأن تحريف الأولويات فى ذلك السياق من شأنه أن يحرف القضيـــة عن مســـارها، بحيث يصبح محل النـــزاع هو مجرد سِـــدَانَة مسجد أو كنيسة، وليس اســـترداد أرض ثم اكتســـابها بالقوة، وإخراج ســـكانها منها بغير حـــق، وتم تغيـــير معالمها وشتان بين قوة الموقفين.

المجتمـــع الدولى ليـــس بغافل

تصويت الجمعية العامة للامم المتحدة

القدس الشرقية أرض محتلة

عن انتهـــاكات إسرائيل لقواعد القانون الدولى وقـــرارات الأمم المتحـــدة والمنظمات الدولية، تلك الانتهـــاكات المتمثلـــة فى إطباق الحزام الاستيطانى على القدس، وتقسيم المســـجد الأقصى لإنهاء الحصريـــة الإســـلامية لحـــرم المســـجد، واســـتكمال البنيـــة لتقســـيمه، وحفريات تســـتند إلى دعاوى مختلفة من نســـج خيال إسرائيل وأهلها، تفضح ما يضمرونه من نوايا الســـوء تجاه بقاء المسجد، فضلاً عن الاستيلاء على الأوقاف المســـيحية خاصة أملاك الكنيســـة الأرثوذكسية، وبناء المزيـــد من المعالم والرموز اليهودية الدينية فى البلدة القديمة للقدس، وســـحب الهويات من أهل المدينة العرب للتخلص منهم وترجيح ميزان الهجرة اليهودية، وتعديل الحـــدود البلدية للقدس والأحياء الفلسطينية، فضلاً عن الغـــزوة الثقافية الغائرة لطمس معالم الأحيـــاء القديمة والطراز المعمارى، واستبدال أسماء المواقع بمســـميات عبرية، لمحو أى معلم أو أثر يُشتَم منه أصول فلسطينية أو عربية، وما كل هذه الممارسات والخروقات المنهجة التى تتبعها إسرائيل القـــوة المحتلة إلا نمط يســـتهدف تغيير الأرض وما على بسيطتها من نسل وحرث وحجر، لكى ينسى المجتمع الدولى وجود شعب فلسطين وحقوقه فى إقامة دولة مستقلة وعاصمتها القدس الشرقية.

***

لا بد هنا من إشارة تضع مواقف الأطراف فى نصابها الحقيقى، لأن اللغط الذى تعالى مؤخرًا بمناسبة وضع القدس يستدعى التقويم، فمنذ بداية عام 2017 الذى حمل الذكرى المئوية لصدور وعد لورد بلفور، لم تفـــتر التوقعات حول ما يمكن أن يشـــهده العالم من إرهاصات للـــشروع فى مبادرة تفيد إحياء الأمل فى إحلال السلام وتسوية القضية الفلسطينية، كما تواترت نفس الأحاديث التى طالما حذرت من تزايـــد ضيق النافذة المتاحـــة للحل، ونفـــاذ الوقت لإحلال الســـلام، ولا شك أن هذه التحذيرات لها ما يبررها، ســـواء من جراء الكلل الذى اعترى معظم الأطراف، أو بســـبب اســـتمرار تعنـــت إسرائيل التـــى راحت تســـتهلك الوقت لقضم مزيد من الأراضى، مع التـــذرع بالوضع الفلسطينى للتذرع بعدم وجود شريك فلسطينى لتحقيق السلام، إلى الحد الذى باتت معه نســـبة الأراضى الفلسطينية التى يمكن أن تكون متاحـــة لإقامة الدولة تنحسر عاماً بعد آخر، ومعها أية معالم يمكن أن تجعل منها دولة حقيقية، لا سيما مظاهر السيادة والتواصل بين أراضيها.

ومن ثم تتابعت أشهر عام 2017 دون أن تحمـــل بادرة أو مبادرة

جيل جديد من المقاومين

دولية حقيقية، نحو التسوية المنشودة، أو تحركاً ملموساً لتغيير الواقع، وبدا وكأن هناك استسلاماً لزيادة رصيد اليأس، وإحجاماً عن سداد مقابل محاولة النجاح.

ولا يخفى أن تراكم السنين لا يعنى تأجيل التسوية فحسب، ولكنه يسهم فى ترسيخ الوضع القائم الذى لا يزداد إلا سوءاً، على الرغم من التوافق العام على ملامح حل الدولتين الذى يلبى الحد الأدنى من مطالب الشعب الفلسطينى المشروعة، ويتسق مع القرارات الدولية، فضلاً عن أن هذا الحل وحده هو الذى يمكنه أن يؤسس لاستدامة الأمن والسلم فى المنطقة التى تواجه بالفعل تحديات جديدة على رأسها الإرهاب، الذى يهدف إلى تقويض دولها، فضلاً عن تحديات أخرى ليس أقلها تحقيق التنمية المستدامة، التى من المؤكد أن إمكانيات الارتفاع بمعدلاتها إنما تتعاظم فى ظل مناخ الاستقرار والسلام والتعاون.

***

وفى حين غالب التشاؤم معظم الأطراف الإقليمية والدولية إزاء القضية، وبدت من ثم متثاقلة فى خطواتها تحت وطأة اليأس الذى خلفته الإخفاقات المتكررة فى العقود السابقة، فإن مصر كانت أكثر الأطراف تحملاً للمسئولية رغم كل تلك الظروف، حيث ثابرت سعيها دولياً واضعة القضية الفلسطينية كأولوية أولى لا تسبقها أولوية أخرى فى كل لقاءات القمة، ومع كل الأطراف وفى كل المحافل والمستويات الدولية ثنائية وإقليمية ومتعددة، كما طرحت مصر تصورها للإسهام فى تسوية تحقق المطالب الفلسطينية العادلة، والاستقرار والسلام والتنمية لكل شعوب المنطقة، بل وبرهنت عملياً من خلال رعاية المصالحة الفلسطينية على قدرة مصر على توفير شروط إنجاح المفاوضات، من خلال إخماد فتنة الانقسام التى كانت تدمغ الجانب الفلسطينى وتصمه بعدم توافر الأهلية للتفاوض.

إن مثل هذه التحركات العملية والمساعى الدؤوبة التى تهدف إلى تحريك المياه الراكدة، وتقديم طروحات قابلة للتنفيذ، إنما هى تعبير عن إيلاء مصر أهمية حقيقية للقضية الفلسطينية، خاصة وأن الأنواء والعواصف التى ما برحت تعتمل فى المنطقة خلال الأعوام السابقة، والتى أذن الغزو الأمريكى للعراق عام 2003 بإطلاق العنان لها، أدت إلى تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية، التى هى فى جوهرها قضية تحرير لشعب يتطلع منذ مائة عام لتحقيق استقلاله من خلال كل الوسائل المشروعة التى كفلها القانون الدولى.

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد وزير الخارجية سامح شكرى نشاطا مكثفا منها.

السودان

رفض قاطع لمزاعم الخرطوم بشأن حلايب وشلاتين

تعقيبا على ما تداولته وسائل الإعلام حول قيام وزارة الخارجية السودانية بتوجيه خطاب إلى الأمم المتحدة لإعلان رفضها لاتفاقية تعيين الحدود البحرية بين السعودية ومصر الموقعة فى 8 ابريل 2016، أكد المستشار أحمد أبو زيد المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية رفض مصر القاطع لما إنطوى عليه الخطاب من مزاعم حول السيادة السودانية على منطقة حلايب وشلاتين أو الإدعاء بإحتلال مصر لها، مضيفا ان وزارة الخارجية المصرية بصدد توجيه خطاب إلى سكرتارية الأمم المتحدة لرفض الخطاب السودانى وما تضمنه من مزاعم فى هذا الصدد، ولتأكيد أن حلايب وشلاتين أراض مصرية يقطنها مواطنون مصريون تحت السيادة المصرية.

استنكار القرار الأمريكى

بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ورفض أية آثار مترتبة عليه

أعربت مصر فى بيان لوزارة الخارجية يوم 6 ديسمبر 2017 عن استنكارها لقرار الولايات المتحدة الأمريكية الاعتراف بالقدس كعاصمة لدولة إسرائيل ونقل سفارتها إليها، ورفضها لأية آثار مترتبة على ذلك. وأكدت مصر أن اتخاذ مثل هذه القرارات الأحادية يعد مخالفاً لقرارات الشرعية الدولية، ولن يغير من الوضعية القانونية لمدينة القدس باعتبارها واقعة تحت الاحتلال وعدم جواز القيام بأية أعمال من شأنها تغيير الوضع القائم فى المدينة، مشيرة إلى العديد من قرارات الشرعية الدولية بشأن القدس، وأهمها قرار مجلس الأمن رقم 242 لعام 1967 الذى نص على الانسحاب من الأراضى التى احتلت فى يونية عام 1967 ومن ضمنها القدس، والقرار رقم 478 لعام 1980 بشأن رفض قرار الحكومة الإسرائيلية بضم القدس واعتبارها عاصمة أبدية لدولة إسرائيل، وقرار مجلس الأمن رقم 2334 لعام 2016 بشأن عدم اعتراف المجلس بأى تغييرات تجريها إسرائيل على حدود عام 1967 ومن ضمنها القدس بغير طريق المفاوضات، فضلا عن قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ذات الصلة، والتى تطالب جميعها بضرورة احترام الوضع القائم تاريخيا فى القدس، باعتبارها تمثل الإرادة الجماعية للمجتمع الدولى. كما أعرب بيان وزارة الخارجية عن قلق مصر البالغ من التداعيات المحتملة لهذا القرار على استقرار المنطقة، لما ينطوى عليه من تأجيج لمشاعر الشعوب العربية والإسلامية نظرا للمكانة الروحية والثقافية والتاريخية الكبيرة لمدينة القدس فى الوجدانين العربى والإسلامى، فضلا عن تأثيراته السلبية للغاية على مستقبل عملية السلام بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، والتى تأسست مرجعياتها على اعتبار أن مدينة القدس تعد أحدى قضايا الوضع النهائى التى سيتحدد مصيرها من خلال المفاوضات بين الأطراف المعنية. كما نوه البيان إلى مخاطر تأثير هذا القرار على مستقبل عملية السلام، لاسيما على الجهود المبذولة لاستئناف التفاوض بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، بهدف تحقيق السلام العادل والشامل وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية.

إسرائيل

رفض مجرد التفكير فى الانتقاص من سيادة مصر على أراضيها وخصوصًا سيناء

أكد سامح شكرى وزير الخارجية رفضه لتصريحات وزيرة المساواة الاجتماعية الإسرائيلية جيلا جملئيل، حول إقامة الفلسطينيين فى سيناء، قائلاً: «نرفض تناول أى شأن مصرى أو الحديث عن أراضٍ مصرية من أى جهة أو التفكير فى الانتقاص من سيادة مصر على أراضيها وخصوصًا سيناء». وأضاف شكرى «إن سيناء ارتوت بدماء المصريين دفاعًا عنها، وان ذرة واحدة من ترابها ليست محل للتنازل عنها أو أن يعتدى عليها أحد».

قانون «القدس الموحدة» مخالف للشرعية

صرح المستشار أحمد أبو زيد المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية بأن قانون القدس الموحدة الذى أقره الكنيست الإسرائيلى يعد مخالفاً لمقررات الشرعية الدولية الخاصة بوضعية مدينة القدس باعتبارها واقعة تحت الاحتلال، ومن ثم عدم جواز القيام بأية أعمال من شأنها تغيير الوضع القائم فى المدينة، مضيفا ان القانون يمثل عقبة أمام عملية السلام والتسوية العادلة للقضية الفلسطينية، وافتئاتاً على وضعية مدينة القدس باعتبارها أحدى قضايا الحل النهائى التى سيتحدد مصيرها من خلال المفاوضات بين الأطراف المعنية.

الأردن

إطلاق منهجية فاعلة للضغط على إسرائيل

خلال الاجتماع الوزارى العربى الذى استضافته عمان وشارك فيه وزراء خارجية مصر والاردن وفلسطين والسعودية والمغرب والامارات وامين عام الجامعة العربية، ناقش المجتمعون القرار الأمريكى بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وسبل مواجهة تداعيات السلبية للقرار الذى يخالف قرارات الشرعية الدولية، واكدوا ضرورة تكثيف الجهود لحل سياسى ينهى الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية، وتناولوا مدى خطورة القرار الأمريكى فى ضوء المكانة التاريخية والدينية للقدس.

وأكد الوزراء مركزية القدس كقضية أساسية بالنسبة للعرب، كمفتاح للسلام فى المنطقة، وانه لا أمن ولا استقرار ولا أمان فى المنطقة دون حل يضمن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة على خطوط الرابع من يونية 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

وقرر الوزراء تشكيل وفد يعمل مع المجتمع الدولى والمؤسسات الدولية للحد من التبعات السلبية للقرار ومواجهة آثاره، وتبيان خطورته فى ضوء المكانة الوطنية والتاريخية والدينية للقدس عند المسلمين والمسيحيين على امتداد العالمين العربى والإسلامى. وستعمل اللجنة الوزارية مع المجتمع الدولى لإطلاق منهجية فاعلة للضغط على إسرائيل للالتزام بقرارات الشرعية الدولية، ووقف كل الخطوات الأحادية التى تستهدف فرض حقائق جديدة على الأرض وخصوصا بناء المستوطنات ومصادرة الأراضى و تفريغ القدس من سكانها العرب المسلمين والمسيحيين والعمل مع المجتمع الدولى لإيجاد حل للصراع العربى الإسرائيلى. كما أكد الوزراء ان موقف جامعة الدول العربية والدول العربية من ذلك القرار واضح، بأنه يشكل خرقاً للقوانين والشرعية الدولية، ولا أثر قانونيا له وأن الدول العربية ستعمل فى هذا الإطار، وهذا موقف واضح وجامع للدول العربية بأن القدس قضية لا تتقدم عليها أى قضية أخرى فى العالمين العربى والإسلامى والمسيحى أيضاً، وان قرار الكنيست الإسرائيلى بتغيير القانون الأساس جعل التفاوض على القدس مشروط بثلثى أعضاء الكنسيت، هو قرار مرفوض لعدم الاعتراف بأى قرار اسرائيلى حول القدس لأنها أرض محتلة وفق القانون الدولى، وكذلك قرار الحزب الحاكم فى إسرائيل لفرض السيادة الإسرائيلية على الضفة الغربية والمستوطنات، وهذا مرفوض لأنه يمثل خرقاً لكل القوانين والاتفاقيات الدولية.

السعودية

أمن البحر الأحمر جزء لا يتجزأ من الأمن القومى العربى

التقى وزير الخارجية سامح شكرى فى عمان بوزير خارجية المملكة العربية السعودية عادل الجبير، حيث بحثا تطورات قضايا المنطقة وأمن البحر الأحمر باعتباره امتداداً للأمن القومى العربى، وحيث أوضح شكرى أن المحادثات عكست إدراكاً مشتركاً لطبيعة التحديات التى تواجه المنطقة، وتوافقاً فى الرؤى بشأن سبل مواجهة كافة أشكال التدخل الأجنبى فى الشئون العربية. وأكد الوزيران الأهمية البالغة لزيادة التنسيق فى مواجهة تلك التحديات، وتبنى مواقف مشتركة من شأنها الحفاظ على مصالح الشعبين الشقيقين، والأمن القومى العربى واستقرار المنطقة بصفة عامة. كما تناول اللقاء تطورات القضية الفلسطينية، حيث اتفق الوزيران على أهمية الحفاظ على الوضعية التاريخية والقانونية لمدينة القدس وفقاً لمقررات الشرعية الدولية، ومحددات التحرك العربى خلال الفترة القادمة من أجل الدفاع عن وضعية المدينة باعتبارها إحدى قضايا الحل النهائى التى سيتحدد مصيرها من خلال المفاوضات، فضلاً عن أهمية دفع جهود إحياء عملية السلام وتحقيق التسوية العادلة والشاملة للقضية الفلسطينية.

- أدانت مصر بأشد العبارات فى بيان صادر عن وزارة الخارجية محاولة استهداف العاصمة السعودية بصاروخ باليستى، تم إطلاقه من الأراضى اليمنية قبل اعتراضه على بعد 25 كيلومترا جنوب الرياض. وأكدت مصر على وقوفها حكومة وشعباً مع حكومة وشعب المملكة العربية السعودية الشقيقة فى مواجهة أية محاولة لاستهداف أمنها واستقرارها، مشددة على ضرورة الوقف الفورى لأى استهداف لأراضى المملكة، ومحاسبة من يثبت تورطه فى هذه الاعتداءات، مع ضرورة احترام مبادئ القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة، وما نص عليه من احترام سيادة الدول ومراعاة حسن الجوار.

اثيوبيا

قلق بالغ من تعثر المسار الفنى لمفاوضات سد النهضة

التقى سامح شكرى وزير الخارجية بأديس أبابا برئيس الوزراء الاثيوبى «ديسالين» ثم مع «وركنا جيبيو» وزير خارجية إثيوبيا لمتابعة التعاون الثنائى بين الدولتين، ونتائج الجولة الأخيرة لاجتماعات اللجنة الفنية الثلاثية الخاصة بسد النهضة، حيث اعرب عن قلق مصر البالغ من التعثر الذى يواجه المسار الفنى المتمثل فى أعمال اللجنة الفنية الثلاثية، مشيرا الى أن استمرار حالة عجز اللجنة عن التوصل لاتفاق حول التقرير الاستهلالى المُعد من جانب المكتب الاستشارى، من شأنه ان يعطل بشكل مقلق استكمال الدراسات المطلوبة عن تأثير السد على دولتى المصب فى الإطار الزمنى المنصوص عليه فى اتفاق المبادئ.

وأكد شكرى أن مصر تعاملت بمرونة مع التقرير الاستهلالى ووافقت عليه دون تحفظات، اقتناعا منها بأن الدراسات ذات طبيعة فنية ولا تحتمل التأويل او التسييس، بالإضافة إلى ثقة مصر فى حرفية وحيادية المكتب الاستشارى. وأشار إلى أن الاتفاق الإطارى لإعلان المبادئ الموقع فى مارس 2015 كان واضحا فى تأكيد محورية استكمال الدراسات قبل بدء ملء السد وفقا للمادة الخامسة من الاتفاق، بل أنه ينص على ضرورة اتفاق الدول الثلاث على قواعد ملء السد وأسلوب تشغيله. من جانبه، أكد وزير الخارجية الإثيوبى التزام حكومته بالاتفاق الإطارى لإعلان المبادئ، وأن بلاده حريصة على نجاح المفاوضات والتعاون بين الدول الثلاث، مشيرا إلى أن إثيوبيا لا تسعى للإضرار بمصالح مصر المائية.

وشدد الوزير شكرى على حساسية أمن مصر المائى، ومن ثم فإن الأمر لا يمكن الاعتماد فيه على الوعود واظهار النوايا الحسنة فقط، ولكن المطلوب هو التزام الدول الثلاث بتنفيذ اتفاق إعلان المبادئ، لاسيما فيما يتعلق بالاعتماد على الدراسات كأساس ومرجعية للملء الاول للسد وأسلوب تشغيله السنوى. وأردف الوزير شكرى بأن مصر تحرص على استكمال الدراسات الفنية، لذا فإنها تقترح وجود طرف ثالث له رأى محايد وفاصل يشارك فى أعمال اللجنة الفنية الثلاثية يتمثل فى «البنك الدولي»، نظرا لما يتمتع به البنك من خبرات فنية واسعة، ورأى فنى يمكن ان يكون ميسرا للتوصل الى اتفاق داخل أعمال اللجنة الثلاثية، مشيرا إلى أن مصر تثق فى حيادية البنك الدولى وقدرته على الاستعانة بخبراء فنيين على درجة عالية من الكفاءة. وقد وعد الجانب الاثيوبى بدراسة المقترح المصرى والرد فى أقرب فرصة، كما أعرب الجانب المصرى عن اعتزامه طرح المقترح على السودان.

الإمارات العربية المتحدة

تحديات مشتركة وتعزيز للتعاون الاقتصادى والتجارى

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بنظيره الإماراتى سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان فى العاصمة الإماراتية فى إطار التشاور والتنسيق الدورى بين الوزيرين حول القضايا والتحديات الإقليمية، ومتابعة مسار العلاقات الثنائية. واستعرض الوزيران التطورات فى كل من سوريا وليبيا والعراق واليمن والقضية الفلسطينية، فضلاً عن الأوضاع فى القارة الأفريقية ومنطقة القرن الأفريقى باعتبارها امتداداً لأمن البحر الأحمر والأمن القومى العربى، وحيث عكست المحادثات الإدراك الشامل لطبيعة التحديات المحيطة بالمنطقة، والتطابق فى المواقف، والأهمية البالغة للتنسيق والتعاون والتضامن بين الدولتين فى مواجهة تلك التحديات. كما أكد الوزيران رفضهما لكافة أشكال التدخل الأجنبى من خارج الإقليم فى شئون الدول العربية، وحرصهما على اتخاذ مواقف مشتركة من شأنها أن تحافظ على المصالح العليا للدولتين والشعبين المصرى والإماراتى، وتعزز من الأمن القومى العربى واستقرار المنطقة.

وأحاط شكرى نظيره الإماراتى بآخر تطورات مشروع سد النهضة ونتائج زيارته لأديس أبابا، مؤكداً الثوابت المصرية المرتبطة بشكل مباشر بالأمن المائى المصرى. كما بحث الوزيران مسار العلاقات الثنائية وسبل تكثيف التعاون فى مختلف المجالات، حيث تم الاتفاق على قيام وزير خارجية الإمارات بزيارة قريبة إلى مصر لاستكمال المشاورات والتنسيق فيما يتعلق بالقضايا والتحديات الإقليمية، على أن يُعقد على هامشها منتدى لرجال الأعمال لدعم الاستثمار وتعزيز التعاون فى المجالات الاقتصادية والتجارية.

سوريـــا

حفظ كيان ووحدة الدولة ومؤسساتها

استقبل وزير الخارجية سامح شكرى وفداً ضم أعضاء المكتب الرئاسى للهيئة العليا للتفاوض السورية، برئاسة نصر الحريرى، وبحضور أعضاء من مجموعة القاهرة للمعارضة السورية، فى اجتماع موسع هو الأول من نوعه منذ تشكيل الهيئة وتوحيد المعارضة فى نوفمبر 2017، وذلك للتباحث حول مستجدات الأزمة السورية وتنسيق الجهود المبذولة من أجل دعم المسار السياسى لتسوية الأزمة. وقد أعربت الهيئة العليا للتفاوض ورئاستها للوزير شكرى عن خالص تقديرهم لدعوتهم واستقبالهم بالقاهرة، مؤكدين أنهم حرصوا على مشاركة كافة أعضاء المكتب الرئاسى فى هذا اللقاء، تقديراً للدور المحورى الذى لعبته مصر فى تشكيل وفد تفاوضى موحد من كافة تنظيمات المعارضة السورية. كما أشادوا بالدور المصرى المهم والمتوازن تجاه الأزمة منذ بدايتها على الصعيدين السياسى والإنسانى، فضلاً عن المساهمة فى إقرار عدد من مناطق خفض التصعيد.

وأكد الوزير شكرى من جانبه استمرار الموقف المصرى الداعم للحل السياسى بما يحفظ كيان ووحدة الدولة ومؤسساتها، ويلبى طموحات الشعب السورى الذى مازال يعانى من ويلات الاقتتال والدمار. وشدد على ضرورة استئناف المفاوضات الجارية تحت رعاية الأمم المتحدة بجنيف على أساس مرجعيات الحل السياسى وأهمها القرار 2254، مع الترحيب بأية مبادرات أخرى مطروحة طالما تأتى لتعزيز هذا الإطار.

كما أشاد الوزير بجدية وتنظيم وفد المعارضة خلال جولات جنيف الأخيرة بعد توحيد صفوفها، حيث باتت تمثل طيفاً أوسع من القوى والتيارات السياسية السورية، كما تم الاتفاق على مواصلة التشاور والتنسيق بشأن استحقاقات المرحلة القادمة. كما أعرب وزير الخارجية عن تطلع مصر لإحراز تقدم فى العملية السياسية خلال الفترة المقبلة.

تونـــس

دول الجوار الثلاث تنسق حول ليبيا

استقبل الرئيس التونسى، الباجى قائد السبسى كلاً من وزير الخارجية المصرى سامح شكرى ووزير خارجية الجزائر عبد القادر مساهل، بقصر قرطاج، مقر الرئاسة التونسية، وذلك على هامش الاجتماع الوزارى لآلية دول الجوار الثلاثية حول ليبيا. وقد بحث الوزير شكرى مع الرئيس التونسى آخر التطورات فى ليبيا، واستعرض الجهود المصرية من أجل دعم المسار السياسى وخطة المبعوث الأممى لليبيا غسان سلامة، فضلاً عن الجهود المصرية المبذولة لتوحيد المؤسسات العسكرية فى ليبيا والتى تحظى بدعم وتأييد كافة الأطراف الليبية الفاعلة والشركاء الإقليميين والدوليين. كما أكد خلال اللقاء أهمية تضافر جهود كل من مصر وتونس والجزائر لمواجهة التحديات الأمنية ومخاطر الإرهاب فى ليبيا، مشيراً إلى ضرورة التحسب من تسرب أعداد كبيرة من إرهابيى «داعش» الهاربين من سوريا والعراق إلى ليبيا والدول المجاورة لها، بعدما تعرض التنظيم لضربات موجعة هناك.

كما وجه وزير الخارجية الشكر للرئيس السبسى على رعايته لمبادرة إنشاء آلية ثلاثية للتشاور والتنسيق على المستوى الوزارى ما بين الدول العربية المجاورة لليبيا، والتى تسهم بشكل فعال فى توحيد المواقف وتنسيق الجهود على المستويين الإقليمى والدولى، مؤكداً أهمية التنسيق الثلاثى فى المحافل الدولية والإقليمية باعتبارها الدول الأكثر تأثراً بالأوضاع فى ليبيا. وقد تم التأكيد خلال اللقاء على المسئولية الملقاة على جميع الأطراف الليبية لإنقاذ دولتهم من حالة عدم الاستقرار الراهنة، وتحمل المسئولية من خلال العمل الجاد على تحقيق التوافق الوطنى وإعلاء المصلحة العليا للوطن فوق أى اعتبار آخر.

ليبيا

ضرورة مواجهة تنامى الخطر الإرهابى

تناول لقاء وزير الخارجية مع مبعوث الأمم المتحدة إلى ليبيا آخر المستجدات على الساحة الليبية وجهود تسوية الأزمة، حيث أكد شكرى دعم مصر وتثمينها لجهود الأمم المتحدة فى هذا الإطار، وشدد على أهمية دعم كافة الأطراف الإقليمية والدولية لهذه الجهود، موضحاً أن الحل النهائى يجب أن ينبع من إرادة وتوافق الشعب الليبى بكافة أطيافه. واستمع الوزير سامح شكرى إلى عرض متكامل من المبعوث الأممى لنتائج اتصالاته الأخيرة مع كافة الأطراف الليبية، وتحركاته القادمة التى تستهدف تهدئة الوضع فى ليبيا وتشجيع الأطراف على الانخراط الإيجابى فى مختلف مراحل العملية السياسية، بما فى ذلك الإعداد للانتخابات. كما أحاط المبعوث الأممى وزير الخارجية بالموقف بشأن الحوار الوطنى الذى تستضيفه تونس حول تعديل اتفاق الصخيرات. وأكد الوزير شكرى أهمية استكمال الجهود القائمة من أجل تقريب وجهات النظر بين الأطراف المختلفة من أجل التوصل لرؤية وطنية واحدة بشأن مستقبل ليبيا. كما استعرض وزير الخارجية الجهود التى تقوم بها مصر من أجل المساعدة فى توحيد المؤسسة العسكرية الليبية لتمكينها من أداء مهامها فى استعادة الأمن والاستقرار والقضاء على الإرهاب.

وفى هذا الإطار، أعرب الوزير شكرى عن قلق مصر البالغ من تنامى الخطر الإرهابى، خاصة مع عودة إرهابيى «داعش» من سوريا والعراق ومحاولاتهم الهروب إلى ليبيا ومنطقة الساحل، بما يهدد أمن واستقرار المنطقة ككل، بالإضافة إلى استمرار عمليات الهجرة غير الشرعية. وأكد وزير الخارجية للمبعوث الأممى مجدداً على دعم مصر للمسار السياسى القائم تحت رعاية الأمم المتحدة. كما اتفق الجانبان على أهمية أن تبذل كل الأطراف الدولية والإقليمية جهوداً مكثفة من أجل احتواء الوضع فى ليبيا ومنعه من الانجراف إلى هوة أكثر عمقاً من عدم الاستقرار والانفلات الأمنى.

- كما التقى وزير الخارجية مع وزير المالية المفوض بحكومة الوفاق الليبية، د. أسامة سعد حماد صالح على هامش «مؤتمر أفريقيا 2017» بشرم الشيخ حيث بحث الوزيران الوضع السياسى والاقتصادى فى ليبيا، وفرص العمل المتمثلة فى مشروعات إعادة إعمار البلاد. إذ أكد الوزير سامح شكرى دعم مصر الكامل لليبيا فى كافة المجالات، واستعدادها الدائم لإعادة الاستقرار والأمن للشعب الليبى الشقيق.

كوت ديڤوار

تعظيم الاستفادة من الفرص الاستثمارية فى قارتنا

فى إطار التعاون والتنسيق بين مصر والدول الأفريقية استقبل سامح شكرى، وزير الخارجية مارسيل أمون-تانو وزير خارجية كوت ديڤوار، وتناول اللقاء سبل تطوير العلاقات الثنائية بين البلدين والقضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك. ورحب وزير الخارجية بمشاركة رئيس كوت ديڤوار فى منتدى الاستثمار بشرم الشيخ خلال الفترة من 7 إلى 9 ديسمبر 2017، فى ضوء أهمية هذا الحدث الأفريقى الذى يهدف إلى تعظيم الاستفادة من الفرص الاستثمارية الضخمة التى تتيحها دول القارة الغنية بمقوماتها البشرية والطبيعية.

كما هنأ الوزير شكرى وزير خارجية كوت ديڤوار على انتخاب بلاده عضواً غير دائم بمجلس الأمن، اعتباراً من شهر يناير 2018. وقد عبر وزير خارجية كوت ديڤوار فى هذا الإطار عن تطلع بلاده للاستفادة من خبرة مصر التى اكتسبتها خلال عضويتها فى مجلس الأمن، وهو ما أكد الوزير شكرى استعداد مصر وترحيبها به، مشيراً إلى ثقة مصر فى أن كوت ديڤوار ستكون خير ممثل للقارة الأفريقية ومصالحها بالمجلس. كما أعرب شكرى عن تطلع مصر للتنسيق مع كوت ديڤوار بشأن القضايا المطروحة على أجندة عمل المجلس. ودعا الوزير شكرى إلى تفعيل اللجنة المشتركة فى عام 2018، مبدياً استعداد مصر للمشاركة فى جهود التنمية بكوت ديڤوار، بالإضافة إلى تعزيز التعاون من خلال الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية التابعة لوزارة الخارجية فى مجال بناء القدرات ونقل الخبرات. كما تناول اللقاء عدداً من القضايا الإقليمية خاصة مفاوضات سد النهضة.

الصومال

دعم مصر الكامل للحكومة الصومالية

أدانت مصر فى بيان لوزارة الخارجية الهجوم الإرهابى الذى استهدف معسكراً للتدريب تابعاً للشرطة فى العاصمة الصومالية مقديشيو، مما أسفر عن استشهاد نحو 13 شخصاً وإصابة 15 آخرين. وأعرب البيان عن خالص التعازى لأسر الشهداء، متمنياً سرعة الشفاء للمصابين، ومؤكداً وقوف مصر حكومة وشعباً مع حكومة وشعب الصومال الشقيق فى مواجهة الإرهاب. كما أكد على دعم مصر الكامل للحكومة الصومالية من أجل إعادة بناء مؤسسات الدولة.

وفى إطار الجهود المصرية الداعمة للصومال الشقيقة فقد تم تسليم شحنة مساعدات دوائية مقدمة من مصر، وذلك عبر الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية التابعة لوزارة الخارجية، وبالتعاون مع وزارة التضامن الاجتماعى والهلال الأحمر المصرى، وذلك فى احتفال شهد مشاركة كبيرة من مختلف الأوساط السياسية والعسكرية الصومالية فى مقدمتهم وزير الدولة لشئون رئاسة الوزراء، ونائب قائد القوات المسلحة، ومحافظ مقديشيو، ومستشار وزير الدفاع، ومدير عام وزارة الصحة، والعديد من أعضاء مجلس النواب والشيوخ، ولفيف من مختلف وسائل الإعلام الصومالية، وبحضور القائم بالأعمال بالإنابة بالسفارة المصرية فى مقديشيو. وجارى إرسال شحنة مساعدات دوائية أخرى مقدمة من الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية إلى الصومال. وقد أعرب المسئولون الصوماليون عن شكرهم وامتنانهم لما تقدمه مصر من مساعدات وأهميتها فى دعم الشعب الصومالى ومساعدته على تجاوز التحديات الراهنة التى يواجهها.

الاتحاد الأفريقى ومفوضية الاتحاد الأفريقى

تقييم الشراكات الاستراتيجية للاتحاد

شارك وزير الخارجية سامح شكرى فى الجلسة الختامية للخلوتين المشتركتين للجنة المندوبين الدائمين للاتحاد الأفريقى ومفوضية الاتحاد الأفريقى حول مراجعة أساليب العمل وتقييم الشراكات الاستراتيجية للاتحاد، واللتان عقدتا اجتماعاتهما خلال الفترة من 10 إلى 14 ديسمبر 2017 فى القاهرة، وتم تنظيمهما بهدف مراجعة الموقف والتقييم والخروج بتوصيات حول أساليب العمل والشراكات الاستراتيجية الخاصة بالاتحاد الأفريقى. فالاجتماعات الخاصة بأساليب العمل تناولت كيفية تحسين أداء الاتحاد الأفريقى وجعله أكثر فاعلية، بما يَضمن تحقيق أهداف الدول الأعضاء فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسلم والأمن فى القارة. كما تناولت جلسات الشراكات الاستراتيجية الموقف بشأن شراكات الاتحاد الأفريقى مع الاتحاد الأوروبى، والدول العربية، والصين، والهند، وكوريا الجنوبية، وبحث كيفية تعزيز التعاون مع هؤلاء الشركاء، بالإضافة إلى الاستفادة من الميزة النسبية لكل شريك فى تحقيق التنمية والازدهار فى القارة الأفريقية.

وقد ألقى الوزير شكرى فى الجلسة الختامية، بياناً أكد فيه أن مصر بوصفها عضواً مؤسساً فى الاتحاد الأفريقى ومنظمة الوحدة الأفريقية تدرك الدور المهم الذى يضطلع به ممثلو الدول الأعضاء فى تشكيل سياسات القارة الأفريقية، مشيراً إلى حرص مصر على تعزيز أساليب عمل لجنة المندوبين الدائمين للاتحاد الأفريقى بشكل يسهم فى بناء التوافق بين آراء الدول الأعضاء لاعتماد القرارات وتنفيذ السياسات الأفريقية. كما أكد شكرى على دعم مصر للجهود الحالية للإصلاح المؤسسى والهيكلى للاتحاد الأفريقى التى تهدف إلى تعزيز حوكمة الدول الأعضاء للاتحاد، فضلاً عن تمكين مفوضية الاتحاد الأفريقى من مساعدة الدول الأعضاء فى تحقيق أهداف أجندة 2063 الإنمائية. كما شدد شكرى على أهمية التصدى لأية محاولات لتجاوز قواعد الاتحاد الأفريقى للحد من دور الدول الأعضاء فى الإشراف على المفوضية ومراقبة وتقييم أدائها. ولعل استضافة مصر للخلوتين تأتى فى إطار اهتمام مصر بتعزيز علاقاتها الأفريقية، حيث استضافت مصر مؤخراً منتدى الاستثمار فى أفريقيا لعام 2017، واجتماعات اللجنة الإقليمية للآلية الأفريقية لمراجعة النظراء، والاجتماع رفيع المستوى للسلم والأمن فى منطقة البحر الأحمر، وهو ما يؤكد على اهتمام مصر المستمر بالقضايا والأولويات الأفريقية، ورغبتها فى مواصلة الإسهام فى تحقيق السلم والأمن والتنمية على مستوى القارة.

قمة الاتحاد الأفريقى والاتحاد الأوروبى

زيادة الفرص الاقتصادية للشباب

شارك وزير الخارجية سامح شكرى فى فعاليات الدورة الخامسة لقمة الاتحاد الأفريقي/الاتحاد الأوروبى بالعاصمة الإيفوارية أبيدجان، بمشاركة قادة الدول والوزراء الأفارقة والأوروبيين، حيث طرح رؤية مصر تجاه القضايا الحيوية ذات الأولوية للشباب، وحيث أكد الوزير شكرى خلال مداخلته فى شأن زيادة الفرص الاقتصادية للشباب، على أن اختيار القمة موضوع «الاستثمار فى الشباب من أجل مستقبل مستدام»، إنما يعكس الإدراك لأهمية دور الشباب، الذى يشكل ثروة حقيقية يجدر العمل على استثمارها وتعظيم الاستفادة منها تحقيقاً لأهداف التنمية الشاملة، وبالأخص أجندة 2063 للاتحاد الأفريقى. كما أكد شكرى أهمية الاستثمار فى الشباب من خلال التعليم، والتثقيف، والتدريب والتأهيل المهنى، بحيث يتحول الشباب الأفريقى إلى ثروة فعلية، وتتم حمايته من الوقوع ضحية للبطالة، وما يرتبط بها من مشاكل اجتماعية تؤدى إلى انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية.

وأشار وزير الخارجية إلى حرص الرئيس السيسى على الالتقاء بالشباب المصرى بصورة دورية للاستماع لرؤيتهم المستقبلية، ولإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن شواغلهم وتطلعاتهم واحتياجاتهم من خلال حوار مجتمعى إيجابى تفاعلى، وهو ما انعكس فى قيام مصر بالدعوة لاستضافة المنتدى الأول لشباب العالم فى مدينة شرم الشيخ. كما عبر الوزير شكرى عن سعادته بوجود ممثلين عن الشباب المصرى الذى نظم المنتدى الأول لشباب العالم للمشاركة فى القمة الأفريقية الأوروبية، حيث شاركوا فى الجلسة التفاعلية لرؤساء الوفود على هامش القمة.

وأكد الوزير شكرى أنه إذا كانت الحكومات جادة فى العمل المشترك لحماية الشباب فعليها إيجاد حلول تخدم مصالح الدول المختلفة بشكل متساوٍ، فضلاً عن مواجهة قضية الهجرة غير الشرعية من منظور شامل وليس مجرد المنع، الأمر الذى أدى إلى تفاقم المشكلة وظهور ممارسات بغيضة مرتبطة بعبودية البشر. كما أكد ضرورة حماية الشباب من الاستقطاب من قبل الجماعات الإرهابية.

منتدى الحوار المتوسطى فى روما

البعد الأورومتوسطى ركن أساسى فى سياسة مصر الخارجية

التقى الوزير سامح شكرى مع فيديريكا موجيرينى نائبة رئيس المفوضية الأوروبية والممثلة العليا للسياسة الخارجية والأمنية للاتحاد الأوروبى خلال مشاركتهما فى أعمال منتدى الحوار المتوسطى فى روما، فى إطار الشراكة الاستراتيجية بين الجانبين، وباعتبار أن الاتحاد الأوروبى هو الشريك التجارى الأول لمصر وشريك رئيسى فى مجال التنمية، حيث أن حجم التبادل التجارى بينهما يقترب من 30 مليار يورو سنوياً، فضلاً عن استثمارات مباشرة تتجاوز 45 مليار يورو. وقد أكد وزير الخارجية أن البعد الأورومتوسطى، يظل ركناً أساسياً فى سياسة مصر الخارجية، استناداً إلى المعطيات التاريخية والحقائق الجغرافية التى تعزز الروابط المشتركة بين ضفتى المتوسط، موضحاً اهتمام مصر بتوسيع التعاون فى الإطار الأورومتوسطى بهدف تنمية المصالح المتبادلة ومواجهة التحديات المشتركة، مشيراً إلى وثيقة أولويات المشاركة التى تم اعتمادها فى يوليو 2017، والتى فتحت مرحلة جديدة من التعاون بين مصر والشركاء بالاتحاد الأوروبى.

كما أشار وزير الخارجية إلى اهتمام مصر بتوسيع نطاق التعاون الثلاثى فى أفريقيا فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، والاستفادة من خبرات مصر والاتحاد الأوروبى فى أفريقيا، بما يخدم مصالح الأطراف الثلاث. وقد استحوذت القضايا الإقليمية على جانب كبير من المحادثات، لاسيما الوضع فى ليبيا وتأثيراته على الأوضاع الإنسانية للمهاجرين الأفارقة، حيث بحث الطرفان الجهود التى يمكن للاتحاد الأفريقى والاتحاد الأوروبى والأمم المتحدة القيام بها لمعالجة هذا الوضع، بالتعاون والتنسيق مع السلطات الليبية. واستعرض الوزير شكرى الجهود التى تقوم بها مصر من أجل توحيد الجيش الوطنى الليبى، ودعم جهود المبعوث الأممى غسان سلامة فى بناء التوافق الوطنى الليبى.

وفيما يتعلق بتطورات سد النهضة، استعرض وزير الخارجية الجمود الذى يعترى المسار الفنى، مشيراً إلى أولوية إتمام الدراسات الخاصة بالتأثيرات المُحتملة للسد وفقاً للإطار الزمنى المحدد، لضمان الاستفادة بتوصيات تلك الدراسات خلال عملية ملء خزان السد، وتحديد أسلوب تشغيله، وهو الأمر الذى يقتضى إدراك الجانب الأثيوبى لأهمية عنصر الوقت.

ورداً على استفسار موجيرينى، بشأن تقييم مصر لمستقبل عملية السلام بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، وجهود تحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية، استعرض شكرى الجهود المصرية فى هذا الإطار والاتصالات التى تقوم بها مع الطرفين لتشجيعهم على استئناف المفاوضات. كما تبادل الجانبان، تقييم الوضع الأمنى والإنسانى فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، والجهود المبذولة من جانب الاتحاد الأوروبى والأمم المتحدة ومصر والأردن، لدعم نشاط الأونروا. كما تطرقت المحادثات لتقييم مسار العملية السياسية فى سوريا، بما فى ذلك مسار عملية جنيف واجتماعات آستانة والحوار السورى/ السورى.

وفيما يتعلق بجهود مكافحة الإرهاب، أعادت موجيرينى تأكيد الموقف الأوروبى الداعم لمصر فى الحرب على الإرهاب، مجددة إدانتها وسائر المؤسسات الأوروبية للحادث الإرهابى الغادر الذى وقع بمسجد الروضة فى شمال سيناء. كما أشادت بالجهود المصرية فى مواجهة ظاهرة الهجرة غير الشرعية، والتى تمثل شاغلاً مشتركاً للجانبين المصرى والأوروبى. وقد أكد الوزير شكرى أهمية تقديم المجتمع الدولى الداعم لمصر لتمكينها من الانتصار فى معركة القضاء على الإرهاب.

مكافحة الإرهاب فى منتدى حوار المتوسط

تقاعس بعض الدول عن تقديم العون لمصر لمحاربة الإرهاب

أكد سامح شكرى أن جريمة مسجد الروضة هجمة بربرية لا يمكن قبولها وأننا نواجه إرهاباً يفجر المساجد ونتطلع لدعم المجتمع الدولى لمصر فى حربها ضد الإرهاب. وأوضح أن مصر نموذج للتناغم الحضارى بين الثقافات المختلفة والمجتمع المصرى يتسم بالتسامح والنأى عن الطائفية والعنف، وأنه من الضرورى تعميق التعاون بين شمال وجنوب المتوسط لاستعادة ميزان القوة الاستراتيجى ومعالجة ما ألّم به خلال السنوات الماضية. وأشار وزير الخارجية إلى أن العمليات العسكرية فى سوريا والعراق ضد تنظيم داعش الإرهابى كانت ناجحة، ولكن حدث تهاون واضح مع المقاتلين الأجانب وسُمِح لهم بالفرار، وقد حذرت مصر مراراً من مغبة ذلك لأنه سيؤدى إلى إعادة بروز الخطر الإرهابى فى مناطق أخرى فى سيناء المصرية وفى ليبيا وأفريقيا جنوب الصحراء مما ينذر بعواقب وخيمة.

وأوضح وزير الخارجية أن منطقة العمليات تقع فى شمال شرق سيناء ولا تمثل سوى 5٪ من مساحة شبه جزيرة سيناء وهى منطقة معزولة نوعاً ما. وشدد على أن حادث مسجد الروضة يمثل هجمة بربرية أودت بحياة 310 مواطنين من بينهم 27 طفلاً وأنه ينبغى على العالم بأسره أن يشد من أزر مصر فى مواجهة الإرهاب. وسلط وزير الخارجية الضوء على أن مصر تواجه إرهاباً يفجر المساجد ولا يمكن تحقيق الأمن فى ظل العمليات الإرهابية التى تقع فى أوروبا أيضاً، والتى تحتاج إلى تعامل عسكرى حازم.

واستطرد الوزير بأن الرؤية المصرية لمحاربة الإرهاب تجمع بين التعامل العسكرى، وتنفيذ مشروعات تنموية فى شبه جزيرة سيناء لتحقيق مستوى معيشى للسكان وتحصينهم ضد الأيديولوجيات المتطرفة، إلى جانب المواجهة الفكرية لتلك الأيديولوجية التى تستند إليها الجماعات الإرهابية، متسائلاً عن أسباب تقاعس بعض الدول عن تقديم العون لمصر لمحاربة الإرهاب، لاسيما ما تحتاجه من معدات وتكنولوجيا متقدمة.

وفيما يتعلق بالشأن الليبى، أكد وزير الخارجية أن مصر تتقاسم حدوداً ممتدة مع ليبيا، مشيراً إلى جهود مصر المتواصلة للوصول إلى حل سياسى وزرع الثقة بين الجماعات المختلفة فى ليبيا والتوصل إلى اتفاق عادل يشمل جميع الأطراف، حيث كانت مصر فاعلاً رئيسياً فى التوصل لاتفاق الصخيرات، كما استضافت الكثير من الاجتماعات لتجسير الهوة بين الفرقاء الليبيين، وتوسيع أفق الحوار بينهم لإعادة بناء الدولة الليبية، وإعادة هيكلة مؤسساتها على نحو أفضل، معتبراً أن الأمور فى ليبيا تتجه نحو منحى إيجابى. كما أشار الوزير شكرى إلى وجود منظمات تقدم أنواعاً مختلفة من الدعم لتهريب البشر والأسلحة فى هذه المنطقة، داعياً إلى العمل معاً لقطع الإمدادات عن الجماعات الإجرامية التى تمتهن الاتجار بالبشر. وفيما يتعلق بقضية الهجرة، جدد وزير الخارجية الإشارة إلى أن مصر تستضيف ملايين اللاجئين خاصة من سوريا انطلاقاً من مسئولية مصر تجاه دول المنطقة، منوهاً إلى أن اللاجئين فى مصر لا يتم حصارهم فى مخيمات أو مراكز إيواء وإنما يعيشون بحرية وينعمون بالأمن على الأراضى المصرية.

وفى معرض رده على تساؤل بشأن الديمقراطية فى مصر، أكد الوزير أن المجتمع المصرى مر خلال السنوات الخمس الأخيرة بمرحلة بناء المؤسسات بوضع الدستور وانتخاب برلمان يعبر عن المجتمع المصرى ويتمتع بكافة الصلاحيات للممارسة الديمقراطية، حيث تسعى مصر لتحقيق التوازن بين القوى المختلفة، مع احترام سيادة القانون وضمان عدم انتهاكه، وكذلك تحقيق التنمية المجتمعية لضمان توفير الخدمات الأساسية بجودة عالية للمواطنين المصريين وتحقيق آمالهم فى مستوى معيشى جيد، فى ظل مشهد إقليمى معقد يموج بالصراعات، وأوضاع اقتصادية صعبة تعانى منها المنطقة بأسرها، وهو ما يتسق مع دور مصر عبر الزمن الذى يستند إلى قيم راسخة تضرب بجذورها فى عمق التاريخ.

وأخيراً فيما يتعلق بعملية السلام فى الشرق الأوسط، ثمّن وزير الخارجية توجه الإدارة الأمريكية فى سعيها لتحقيق السلام بالمنطقة، مؤكداً تعاون مصر مع الشركاء فى الولايات المتحدة لوضع حد لهذا الصراع الممتد، كما أعرب عن استعداد مصر للتنسيق مع الجانب الأمريكى عند تبلور رؤية محددة من جانب الإدارة، مؤكداً أن التفاوض هو السبيل الأمثل لحل هذا الصراع.

واختتم وزير الخارجية حديثه بالإشارة إلى أن مصر تستشرف المستقبل من خلال هذا المنتدى والمحافل المشابهة، كما أنها تبقى ملاذاً آمناً للسائحين، مؤكداً أن مصر دولة آمنة ومستقرة والشعب المصرى يرحب بضيوفه بحفاوة دائمة. وأبرز وزير الخارجية شخصية مصر المتفردة كنموذج للتزاوج الحضارى بين الثقافات المختلفة الإغريقية والرومانية والعربية الأفريقية، مستعرضاً تراث مصر الثرى وحضارتها العظيمة مما أسبغ على المجتمع المصرى سمة التسامح والنأى عن الطائفية والعنف، مشيراً إلى أن هناك دروساً مستفادة من التاريخ المصرى لتحقيق الاستقرار المجتمعى، ولذلك نسعى دائماً لمد جسور التواصل مع شركائنا الدوليين لاسيما فى منطقة المتوسط.

التعليم فى منتدى حوار المتوسط

تغذية مناخ التسامح وقبول الآخر ونبذ ثقافة العنف والتطرف

تم التوقيع على هامش منتدى حوار المتوسط فى روما على إعلان مشترك بشأن برنامج ايراسموس بلس للتبادل العلمى والطلابى بين إيطاليا وكل من مصر ولبنان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب. يهدف الإعلان الذى وقع عليه من الجانب المصرى وزير الخارجية سامح شكرى إلى تعزيز أطر التواصل الثقافى والحضارى بين شمال وجنوب المتوسط من خلال توسيع قنوات التبادل الطلابى مع الجامعات الإيطالية. ويعكس أهمية الحوار الطلابى والشبابى فى تغذية مناخ التسامح وقبول الآخر ونبذ ثقافة العنف والتطرف، حيث يتضمن حزمة من الإجراءات لتطوير برامج التبادل العلمى وتقديم المنح الدراسية للطلاب من جنوب المتوسط الراغبين فى الدراسة ببرنامج ايراسموس بالدول الأوروبية عامة وإيطاليا على وجه خاص.

اللاجئون يعيشون بحرية وينعمون بالأمن على الأراضى المصرية

وفى معرض رده على تساؤل بشأن الديمقراطية فى مصر، أكد الوزير أن المجتمع المصرى مر خلال السنوات الخمس الأخيرة بمرحلة بناء المؤسسات بوضع الدستور وانتخاب برلمان يعبر عن المجتمع المصرى ويتمتع بكافة الصلاحيات للممارسة الديمقراطية، حيث تسعى مصر لتحقيق التوازن بين القوى المختلفة، مع احترام سيادة القانون وضمان عدم انتهاكه، وكذلك تحقيق التنمية المجتمعية لضمان توفير الخدمات الأساسية بجودة عالية للمواطنين المصريين وتحقيق آمالهم فى مستوى معيشى جيد، فى ظل مشهد إقليمى معقد يموج بالصراعات، وأوضاع اقتصادية صعبة تعانى منها المنطقة بأسرها، وهو ما يتسق مع دور مصر عبر الزمن الذى يستند إلى قيم راسخة تضرب بجذورها فى عمق التاريخ.

وأخيراً فيما يتعلق بعملية السلام فى الشرق الأوسط، ثمّن وزير الخارجية توجه الإدارة الأمريكية فى سعيها لتحقيق السلام بالمنطقة، مؤكداً تعاون مصر مع الشركاء فى الولايات المتحدة لوضع حد لهذا الصراع الممتد، كما أعرب عن استعداد مصر للتنسيق مع الجانب الأمريكى عند تبلور رؤية محددة من جانب الإدارة، مؤكداً أن التفاوض هو السبيل الأمثل لحل هذا الصراع.

واختتم وزير الخارجية حديثه بالإشارة إلى أن مصر تستشرف المستقبل من خلال هذا المنتدى والمحافل المشابهة، كما أنها تبقى ملاذاً آمناً للسائحين، مؤكداً أن مصر دولة آمنة ومستقرة والشعب المصرى يرحب بضيوفه بحفاوة دائمة. وأبرز وزير الخارجية شخصية مصر المتفردة كنموذج للتزاوج الحضارى بين الثقافات المختلفة الإغريقية والرومانية والعربية الأفريقية، مستعرضاً تراث مصر الثرى وحضارتها العظيمة مما أسبغ على المجتمع المصرى سمة التسامح والنأى عن الطائفية والعنف، مشيراً إلى أن هناك دروساً مستفادة من التاريخ المصرى لتحقيق الاستقرار المجتمعى، ولذلك نسعى دائماً لمد جسور التواصل مع شركائنا الدوليين لاسيما فى منطقة المتوسط.

مكافحة مقاتلى داعش

هناك تساهل فى مطاردة المقاتلين الأجانب

أكد سامح شكرى وزير الخارجية أن العمليات العسكرية الناجحة فى العراق وسوريا للتخلص من تهديدات داعش كانت إيجابية، ولكن تبين أن هناك تساهلاً مع المقاتلين الأجانب فيما يتعلق بالسماح لهم بالفرار من مناطق المواجهات العسكرية، قائلا «حذرنا مراراً وينبغى أن تُسمع تحذيراتنا بفاعلية أكثر من ذلك». وأضاف أثناء إلقائه بيان مصر بمنتدى حوار المتوسط فى روما، أن السماح بفرار الإرهابيين يؤدى إلى تمرد وعودة التهديدات الإرهابية فى ليبيا وتشاد ومالى وغيرها من الدول الأفريقية، بعدما تبين بروز المقاتلين الأجانب من خلال المخيمات والمعسكرات فى أفريقيا جنوب الصحراء وهذا له عواقب وخيمة وقد يتسبب فى تهديد أمنى كبير على مصر وباقى البلدان الأفريقية.

روسيا

خصوصية العلاقة بين القاهرة وموسكو وعمق الشراكة

فى إطار العلاقات الاستراتيجية بين مصر وروسيا والحرص على دفعها قُدماً، عقد وزير الخارجية سامح شكرى ونظيره الروسى سيرجى لافروف جلسة مشاورات ثنائية خلال مشاركتهما فى منتدى الحوار المتوسطى فى روما، حيث أكدا خصوصية العلاقات بين القاهرة وموسكو وعمق الشراكة بينهما فى شتى المجالات. وحيث جدد وزير الخارجية التزام مصر بتعميق التشاور والتنسيق مع روسيا، لاسيما فيما يتعلق بالقضايا والأزمات الإقليمية فى ظل التعقيدات التى تخيم على المشهد الإقليمى فى الوقت الراهن. وقد تبادل الوزيران وجهات النظر والتقييم بشأن جهود التسوية السياسية للأزمة السورية وجهود مكافحة الإرهاب فى سوريا، فضلاً عن الوضع فى لبنان والأزمة اليمنية. كما تناولا أمن الطيران، حيث استعرض وزير الخارجية الإجراءات التى اتخذتها السلطات المصرية من أجل تعزيز أمن المطارات لتوفير الحماية الكاملة للمسافرين ولكافة ضيوف مصر، وفى مقدمتهم السائحين الروس، وقد أكد الوزيران حرص الجانبين على استئناف الطيران المباشر بين مصر وروسيا فى أقرب فرصة.

كما تباحث الوزيران شكرى ولافروف حول الحرب على الإرهاب، حيث قدم الوزير الروسى تعازيه فى ضحايا الحادث الإرهابى الذى وقع بمسجد الروضة بشمال سيناء، معرباً عن ثقته فى قدرة الدولة المصرية على التصدى لمثل هذه الأفعال الإرهابية، مجدداً دعم موسكو الكامل لمصر فى مواجهة هذه الهجمة الإرهابية الشرسة.

ومن جانبها، أدانت مصر بأشد العبارات فى بيان صادر عن وزارة الخارجية الهجوم الإرهابى الذى وقع فى أحد المتاجر بسان بطرسبورج، مما أسفر عن إصابة نحو 13 شخصاً. وأعرب البيان عن وقوف مصر حكومة وشعباً مع الحكومة والشعب الروسى الصديق فى مواجهة الإرهاب، متمنياً سرعة الشفاء للمصابين. وجدد البيان مطالبة مصر بضرورة تكاتف الجهود الدولية من أجل مواجهة الإرهاب وتجفيف منابع تمويله، والامتناع عن توفير ملاذ آمن لعناصره، مشدداً على أهمية مكافحة تلك الظاهرة من منظور شامل.

الأمم المتحدة

إدانة الإرهاب فى مصر

نجح وفد مصر لدى الأمم المتحدة فى نيويورك بتوجيه من سامح شكرى وزير الخارجية، بعد أيّام قليلة من وقوع الحادث الإرهابى فى مسجد الروضة ببئر العبد، فى استصدار قرار بتوافق الآراء من الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة الحادث الإرهابى. وفى عرضه لمشروع القرار أمام الجمعية العامة، أشار السفير عمرو أبو العطا مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويورك، إلى أن القرار المصرى يؤكد ضرورة تعزيز ثقافة السلام وأهمية وقف والتصدى للهجمات الإرهابية الموجهة إلى دور العبادة والمنشآت الدينية والأماكن المقدسة، ويدين الحادث الإرهابى الذى وقع ضد مصلين أبرياء بمسجد الروضة وأسفر عن استشهاد 310 أشخاص من ضمنهم 27 طفلاً، موجهاً الشكر للدول التى أعربت عن تأييدها للقرار المصرى وتلك التى قامت بتبنيه. وأضاف أن القرار المصرى هو رسالة قوية من المجتمع الدولى إلى الإرهاب باعتزامنا القضاء عليه وفشله فى زعزعة ثقتنا وإصرارنا على المضى قدماً فى طريق التنمية والرخاء.

جدير بالذكر أن القرار المصرى، والذى تبنته 78 دولة، هو الأول من نوعه للجمعية العامة، وهو الأمر الذى يعطى رسالة قوية إلى المجتمع الدولى بوقوفه بشكل قوى ومتحد خلف مصر فى معركتها ضد الإرهاب، وقد قامت بعثة مصر لدى الأمم المتحدة فضلاً عن البعثات المصرية بالدول المختلفة بجهود كبيرة طوال الأيام القليلة الماضية لحشد التأييد للقرار المصرى، وهى الجهود التى أسفرت عن اعتماد القرار بالتوافق وبهذا التأييد الكبير له.

المجـــر

إنشاء منطقة صناعية لڤيشجراد فى مصر

اجتمع وزير الخارجية سامح شكرى مع بيتر سيجارتو وزير خارجية المجر على هامش قمة الاتحادين الأفريقى/الأوروبى فى أبيدچان على ضوء رئاســـة المجر لمجموعة ڤيشجراد التى تضم سلوفانيا وپولندا والمجـــــر والتشيك، وحرص مصر على تطويـــر علاقات التعاون مع دول المجموعة حيث أعرب شـــكرى عن تطلعه لقيـــام دول المجموعـــة بمشروعات وإنشاء المنطقة الصناعية لڤيشجراد فى مصر، والتوقيع على أربع اتفاقيات للتعاون الثنائى مـــع المجر. وقد دعا الوزيـــر المجرى الوزير شكرى لزيارة بودابست لتوقيعها خلال العام المقبل.

كمـــا أعرب الوزيـــر المجرى عـــن تعازيه وتضامنـــه الكامل مع مـــصر إزاء الحادث الإرهابى الذى استهدف مسجد الروضة ببئر العبد غرب العريش بمحافظة شمال سيناء. وقد استعرض شـــكرى الجهود المصرية فى مكافحة الإرهاب، مطالبـــاً بضرورة تكثيف جميع الدول لجهودها من أجل مكافحة تلك الظاهرة. وتطـــرق اللقاء للجهود التى تقوم بها مصر لتسهيل الحوار بين الفرقاء الليبيين وتفعيل اتفاق الصخـــيرات، فضلاً عن دعم جهود المبعوث الأممى إلى ليبيا.

كرواتيـــا

مشروعات فى المنطقة الاقتصادية لتنمية محور قناة السويس

اجتمع وزير الخارجية ســـامح شكرى مع ماريا بوريك نائبـــة رئيس الـــوزراء ووزيرة خارجية كرواتيا خـــلال قمة الاتحـــاد الأفريقى-الاتحاد الأوروبى بأبيدجان حيـــث أعرب عن تطلع مصر لتعزيـــز العلاقـــات الثنائية فى كافـــة المجالات، وتقديرها لمواقف كرواتيـــا المتوازنة تجاه مصر بشـــكل عام وفى إطار الاتحاد الأوروبى. كما أكد أهمية تبـــادل الخبرات فى مجـــالى الغاز والموانئ البحرية والاستفادة من الفرص الاستثمارية المتاحة فى مـــصر، داعياً الشركات الكرواتية للاســـتفادة من تلـــك الفرص، وتنفيذ مشروعـــات فى المنطقة الاقتصاديـــة لتنمية محور قناة الســـويس. كما تناول اللقاء قضية مكافحة الإرهاب، والإجراءات المصرية لمكافحة تلك الظاهرة البغيضة، فضلاً عن الدور الرائد للأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية فى مكافحـــة الإرهاب والفكر المتطـــرف، وأهمية تعزيز التعاون الأوروبى مع مصر فى هذا الصدد.

ومن جانبها، أكدت نائبة رئيس الوزراء ووزيرة خارجية كرواتيا تطلع زغرب لتعزيز التعاون مع مصر الدولة المحورية فى الشرق الأوســـط، مؤكدة على وجـــود العديد من الآفـــاق لتطوير العلاقات الثنائية.

ليتوانيـــا

اتفاقات للطيران المدنى والسياحة وإعفاء الجوازات الدبلوماسية

اجتمع وزير الخارجية سامح شكرى مع ليناس لينكفيســـيوش وزير خارجية ليتوانيا خلال قمة الاتحاد الأفريقي/الاتحـــاد الأوروبى فى أبيدجان حيث بحثا العلاقـــات الثنائية والقضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك، وحيث أكد الوزير الليتوانى أهمية البناء على زيارة الوزير شـــكرى مؤخرا إلى ليتوانيا، مشيراً إلى تطلعه لعقد مشاورات للتوقيع على اتفاق جديد للطيران المدنـــى، واتفاق إعفاء الجوازات الدبلوماســـية من شرط الحصول على التأشيرة المســـبقة، فضلاً عن التوقيع على مذكرة تفاهم فى مجال السياحة، وهو ما أمن عليه الوزير شـــكرى، داعياً نظيره الليتوانى لزيارة مصر فى أقرب فرصة ممكنة. كما تناولا القضايا الإقليمية خاصة جهـــود إحياء المفاوضات الفلســـطينية الإسرائيلية، حيث استعرض وزير خارجية ليتوانيا رؤية بلاده حول عملية الســـلام. وتناول شكرى الجهود المصرية الرامية لاستئناف المفاوضات بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، وتحقيق السلام العادل والشـــامل فى المنطقة، وفقاً لقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة والمبادرة العربية للسلام، بما يضمن حق الشعب الفلســـطينى فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

الأمم المتحـــدة: نائبة السكرتير العام

دفع أجندة التنمية المستدامة 2030

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية السيدة أمينة محمد نائبة سكرتير عام الأمم المتحدة حيث أكد دعم مصر الكامل لجهود ودور الأمم المتحدة المحورى فى معالجة العديد من القضايا محل اهتمـــام المجتمع الـــدولى على مختلف الأصعدة السياسية والأمنية والتنموية، لاسيما فى ظل ما يشـــهده الواقع العالمى الراهن من تعقيدات واضطرابات متزايدة، وعلى رأسها انتشـــار الإرهاب والتطرف وتراجع الأوضاع فى المنطقتين العربية والأفريقية، مشـــيراً إلى حرص مصر على تقديم كافة أشـــكال الدعم والمســـاندة للجهود التى يبذلها سكرتير عام الأمم المتحدة للارتقـــاء بآليات عمل المنظمة، وبما يتواءم مع التطورات الجارية والمشـــهد العالمى والإقليمى المتغير.

وحرصت نائبة الأمين العام على تقديم العزاء لمصر وشعبها فى جريمة بئر العبد الإرهابية، معربة عـــن تقديرها لقدرة الدبلوماســـية المصرية على جـــذب الدعم الدولى الواســـع للقرار الـــذى أقرته الجمعيـــة العامة للأمم المتحـــدة حول أثر العمليـــات الإرهابية ضد دور العبادة على جهود تعزيز ثقافة السلام. كما اســـتعرضت رؤية المنظمة الدولية بشأن تنفيذ الأجندة التنموية للأمم المتحدة، جنباً إلى جنب مع جهود المنظمة فى مجال حفظ السلم والأمن الدوليين، فضلاً عن دور الأمين العام فى قيادة جهود الإصلاح الإدارى والهيكلى بالأمم المتحدة. وأشادت نائبة الأمين العام بما لمسته من توافر رؤية شاملة للتطوير والتنمية لدى الحكومة المصرية تتسق مع الأهداف والأجندة التنموية للأمم المتحدة.

وتناول الاجتماع بشكل مستفيض الأفكار التى يطرحها الســـكرتير العام حول سبل إصلاح المنظمة، ســـواء فيما يتعلق بالشق التنموى أو إعادة الهيكلـــة الإدارية وتطوير منظومة حفظ وبناء السلام داخل الأمم المتحدة، حيث أكد شكرى على الأولوية المتقدمة التى توليها مصر لضرورة مراعاة شواغل وحقوق الدول النامية خلال عملية الإصلاح، وبما يضمن أن يكون لها صوت مسموع ومؤثر داخل عملية صنع القرار بالأمم المتحدة، ولاسيما أنها تمثل القاعدة الواســـعة من العضوية العامة داخل المنظمة.

وأشار وزير الخارجية إلى أهمية تعزيز دور الأمم المتحدة فى دفع أجندة التنمية المستدامة 2030 بأبعادهـــا الاقتصاديـــة والاجتماعية والبيئية المختلفـــة وخاصة ملف تغير المناخ، وبمـــا يتواءم مع الأولويـــات الوطنية للدول النامية، ويراعى مصالحها فى المقام الأول.

كما أكد شـــكرى على ضرورة توسيع رقعة مشاركة الدول المساهمة بقوات بآليات صنع القرار الخاصة بعمليات حفظ السلام الأممية، والتى تواجه حاليـــاً مرحلة جديدة مع تغير البيئة الأمنية المحيطـــة وتصاعد التهديدات الإرهابية.

باكستـــان

مكافحة الفكر المتطرف

أدانت مصر فى بيان صادر عن وزارة الخارجية الهجوم الإرهابى الذى استهدف كنيســـة فى مدينة كويتا بإقليم بلوشستان الباكستانى مما أسفر عن وفاة نحو 8 أشـــخاص وإصابة 44 آخرين. وأعرب البيان عن خالص التعازى لأسر الضحايا، متمنياً سرعة الشـــفاء للمصابين، ومؤكداً وقوف مصر حكومة وشـــعباً مع حكومة وشعب باكستان فى مواجهة الإرهاب. كمـــا دعا البيان إلى تكاتف الجهود الدولية من أجل القضاء على ظاهرة الإرهاب ومكافحة الفكر المتطرف.

الدولة الفلسطينية المستحيلة

قراءة فى الاستراتيچية الإسرائيلية

دفعني قرار الرئيس الأمريكى ترامب يوم الأربعاء 6 ديسمبر 2017 بالاعتراف بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل إلى إعادة قراءة بعض الوثائق الإسرائيلية الرئيسية، وذلك للإجابة على سؤال هل يمكن أن تنشأ دولة فلسطينية؟ وأين؟ وخلصت إلى أن الدولة الفلسطينية- في ظل الظروف الراهنة- مستحيلة.

أ. د. عبد المنعم المشاط

عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة المستقبل

aalmashat2020@yahoo.com

وأهم الوثائق التى أعدت قراءتها كانت استراتيچية إسرائيل فى الثمانينات لأوديد يانون، إسرائيل 2028: الرؤية الاستراتيجية للاقتصاد والمجتمع فى العالم المتشابك، بدائل المستقبل للشعب اليهودى 2030، منظور استدامة إسرائيل 2030، سيناريوهات متوقعة لمستقبل اليهود 2050، بالإضافة إلى خطاب نتنياهو أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر 2017، ولعل أخطرها جميعًا هى وثيقة يانون؛ فهى من ناحية تعبر عن المشروع الصهيونى فى نسخته العملية، وهى أيضًا امتداد لفكر تيودور هرتزل، والذى رأى فى يومياته أن الدولة اليهودية تمتد من النيل إلى الفرات، كما أنها تدفع بإسرائيل لأن تصير القوة الإقليمية المسيطرة على الشرق الأوسط، ولكى تصل إلى ذلك عليها أن تقوم بتقسيم الدول العربية إلى دويلات صغيرة تابعة لإسرائيل، ولعل ذلك يعكس الواقع المعاصر فى العراق وسوريا واليمن وليبيا والسودان، وربما يمتد إلى دول عربية أخرى.

ويقوم جوهر الاستراتيچية على أن الدول الأوروبية تولت تقسيم ميراث الدولة العثمانية إلى دول جمعت فيما بينها أجناسًا متباينة وديانات متصارعة ومذاهب متنافرة وجماعات متناحرة، ولم يكن لتلك الجماعات والمجتمعات أى رأى فى هذا التقسيم، ومن ثم؛ فإن تحقيق الوئام الوطنى يقتضى تفكيك الدول القائمة وإعادة بنائها على أسس عرقية ودينية ومذهبية متناسقة. ولقد أخذت كونداليزا رايس، كعضو نشط فى المحافظين الجدد بالولايات المتحدة، الخيط من هذا

التحليل ونادت فى بيروت عام 2006 بإنشاء الشرق الأوسط الجديد الذى يعاد فيه بناء دول المنطقة حسب اعتبارات وحدة الدين أو العرق أو المذهب بحيث لا يوجد تناحر داخلى بين أقلية وأغلبية مختلفة دينيًا أو عرقيًا أو مذهبيًا، كما طور الفكرة أيضًا رالف بيترز فى مقالته الشهيرة بعنوان «الحدود الدموية: كيف يتحول الشرق الأوسط إلى إقليم أفضل»، والتى نشرت فى مجلة القوات المسلحة الأمريكية عام 2006، وفيها يتم تقسيم العراق وسوريا وليبيا واليمن والسعودية وإيران؛ فأين الدولة الفلسطينية من كل ذلك؟ وما هو مصير حل الدولتين كما طرحه چورچ بوش وأيده فيما بعد أوباما، ولم يرفضه ترامب ولكنه أرجأه وأحاله إلى موافقة الطرفين الإسرائيلى والفلسطينى؟ وبطبيعة الحال، لن يوافق الطرف الإسرائيلى. وعلينا أن نؤكد على أن خطاب نتنياهو أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة لم يتضمن كلمة «الفلسطينيين»، ناهيك عن كلمة «العرب» أو حل الدولتين، ولكنه- فى التحليل النهائي- تحدث وبتفصيل واستهلاك وقت لم يعطَ لأى مسئول آخر، وكان يدشن إسرائيل الكبرى تمهيدًا لوضع استراتيچية يانون موضع التنفيذ؛ فالعالم- فى خطابه- يحتاج إلى إسرائيل أكثر من احتياج إسرائيل إليه.

وطبقًا للوثائق المشار إليها؛ فإن إسرائيل تسعى إلى تركز اليهود من البحر (المتوسط) إلى النهر (نهر الأردن)، وتهجير الفلسطينيين خارج الضفة الغربية، كما فعلوا فى القدس؛ حيث تشير الإحصاءات إلى أن سكان القدس حوالى 850.000 منهم 550.000 يهودى، والباقى فلسطينيون (35٪)؛ فكان السيناريو الأكثر قبولاً هو تحويل الأردن إلى وطن بديل للفلسطينيين، ثم تحول الإسرائيليين عام 2008 إلى فكرة تبادل الأراضى لإنشاء وطن للفلسطينيين خارج الأراضى الفلسطينية، وعلى الرغم من أن مصر رفضت حتى النظر إلى مثل هذا الاقتراح فى ظل النظام الأسبق للرئيس مبارك؛ فإن إسرائيل لا تزال تثير هذا الأمر، سواء من جانب الكتاب أو السياسيين الإسرائيليين.

والواقع الإنشائى على الأرض فى الضفة الغربية يشير إلى أن بناء المستوطنات يتم فى إطار خطة طويلة الأمد مفادها استحالة إقامة دولة فلسطينية تخترق المستوطنات؛ فهل يمكن أن تمتد إسرائيل من النهر إلى البحر مع بقاء الفلسطينيين بها (حوالى 1.3 عرب إسرائيل- 5 ملايين فلسطينى فى الضفة الغربية وغزة)؟ ومن الناحية الأيديولوچية، لا يمكن أن تسمح إسرائيل بذلك؛ حيث إن المبرر لوجودها raison d›être أنها دولة يهودية، ومن ثم لا يمكن أن تكون أغلبيتها غير يهودية، وهكذا، وبالنظر إلى الاعتبارات الأيديولوچية (النقاء اليهودي)، والاستراتيچية (الدولة المسيطرة على الإقليم)، والأمنية (سحل أية مقاومة فلسطينية)، وفى ظل الوهن العربى والتفكك الإسلامى والتناحر الفلسطيني- الفلسطينى والتحيز الأمريكى والدولى لإسرائيل، صارت الدولة الفلسطينية أبعد ما تكون عن الواقع السياسى المعاصر.

أهو توطين للفلسطينيين.. أم تصفية لقضيتهم؟

انقشعت الغيوم عن تلال من الهموم، فلا شك أن مرحلة الانتقال بين إدارتين أمريكيتين، ومحاولة تحديد سياسات الإدارة الجديدة من قضايانا المهمة والحيوية يكتنفها عادة فى البداية غموض يحتاج بعض الوقت لاستجلائه من خلال الواقع العملى. فقد انتكست القضية الفلسطينية أخيراً بالموقف الأمريكى غير القانونى والمنحاز لإسرائيل بصورة كاملة فى القدس، فى الوقت الذى كنا نعمل فيه على تحريك الموقف إيجابياً، وكنا نسعى أن تقدم الإدارة الأمريكية الجديدة صيغة لتسوية القضية الفلسطينية يمكن البناء عليها.

سفير سيد ابوزيد عمر

solitairegypt@gmail.com

ضرورة أن نكون أكثر انتباهاً وحذراً

حدث بالفعل تحسن طفيف فى بؤر الأزمات فى المنطقة، إلا أن هذا لا ينفى استمرارها وبكل حدتها فى سوريا والعراق واليمن وليبيا. وانحسرت داعش فى العراق وسوريا ولبنان جغرافياً، إلا أنها تظل خطراً مستطيراً على الأرض قادرة على تفجير المزيد من شلالات الدماء كلما وجدت إلى ذلك سبيلا.

وأعتقد أن الشواهد هنا وهناك لا تدعو بأى حال إلى التفاؤل، وتدق أجراساً تنذر بضرورة أن نكون أكثر انتباهاً واستعداداً وحذراً، أن نكون أو لا نكون، من بينها ما أصبح يقال بصراحة وبصورة علنية، بعد ما كانت مجرد تلميحات فى غرف مغلقة، وكانت ترفض فى وقتها، وإشارات بعض الصحف ومراكز البحوث الإسرائيلية منذ الثمانينات عن إمكانية توطين الفلسطينيين فى أراضٍ مصرية بسيناء لاستيعاب اللاجئين، وتعويضاً عن الأراضى التى يمكن أن تقتطع من الفلسطينيين، والتى كانت بالضرورة من تلك التى احتلت بعد حرب 1967 والتى يفترض أنها تخضع لقرارات مجلس الأمن الصادرة بعدها، وأصبح إعلان هذه الفكرة أمراً لا يمكن التغاضى عنه بعد أن صدرت علنا من وزيرة حالية بالحكومة الإسرائيلية.

عبثية فكرة توطين الفلسطينيين فى سيناء

صرحت جيلا جمائيل وزيرة شئون المساواة الاجتماعية الإسرائيلية فى منتصف شهر نوفمبر 2017 لمجلة ريبونوت الإسرائيلية «بأن ثمة خطة سياسية يمكن أن تحظى بقبول دول عربية مجاورة لإسرائيل تقوم على إقامة دولة فلسطينية فى سيناء. وشددت على أنها ضد إقامة دولة فلسطينية على أرض فلسطين حماية لأمن مواطنى إسرائيل، خاصة وأن فلسطين التاريخية تخص اليهود فقط، ووصفت إقامة دولة فلسطينية بأنها خطر على إسرائيل»، وذكرت «أن الحل الواقعى لا يسمح سوى بإقامة منطقة حكم ذاتى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وأى حديث غير ذلك سيحول المشكلة إلى مشكلة إقليمية وليست إسرائيلية فحسب، ما يعنى أنه ينبغى وضع أجزاء من دول عربية فى الحسبان، مثل شبه جزيرة سيناء. ويمكن فى إطار حل إقليمى للقضية الفلسطينية اقتطاع أجزاء من سيناء مقابل تقديم مساعدات اقتصادية وأمور أخرى لمصر، وثمة مصلحة مشتركة للجانبين فى هذا الحل حيث سيتم تقديم الدعم للاقتصاد المصرى المتعثر وسط تفاقم أزمة تنظيم داعش فى سيناء بما يهدد الاستقرار فى مصر».

وقد أطلقت الوزيرة جمائيل هذه التصريحات منذ شهور، إلا أنه أعيد نشرها قبل أيام من زيارة قصيرة قامت بها لمصر يوم 27 نوفمبر 2017 للمشاركة فى مؤتمر برعاية الاتحاد الأوروبى حول تمكين المرأة. وهى من حزب الليكود والمرجح أنها تعبر بهذه التصريحات عما يعتلج فى ذهن رئيس الحكومة الإسرائيلية من أفكار، فهى مقربة منه، فضلا عن أن نتنياهو سبق أن طرح هذه الفكرة على الرئيس الأسبق عام 2010.

وقد عبرت وزارة الخارجية المصرية عن غضبها ورفضها لهذه التصريحات الصادرة عن عضو بالحكومة الإسرائيلية، وطلبت رسمياً توضيحات لها، ونقل عن مسئول بالخارجية الإسرائيلية أن هذه التصريحات تعبر عن الرأى

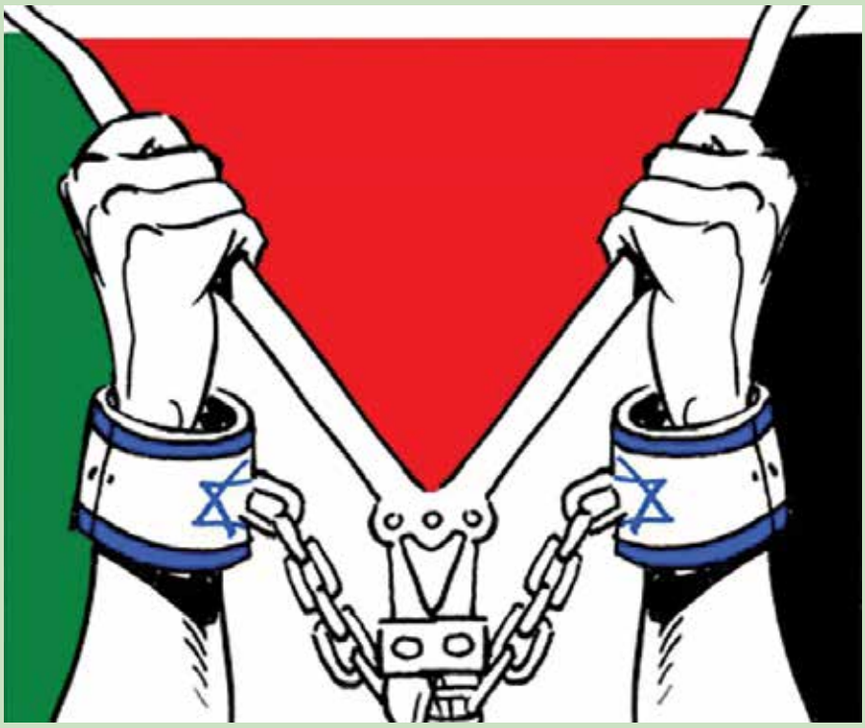

الشخصى للوزيرة ولا تمثل الموقف الرسمى الإسرائيلى.

كذب الادعاء بأن مبارك وافق على التوطين

يسترعى الانتباه أن ينشر هذا التصريح عن الوزيرة الإسرائيلية جيلا جمائيل، وأن تعلن بعده بأيام يوم 29 نوفمبر 2017 هيئة الإذاعة البريطانية أنها حصلت على حق حصرى بالحصول على وثائق بريطانية تم الإفراج عنها بمقتضى قانون حرية المعلومات، تزعم أن الرئيس الأسبق مبارك كان قد قبل طلباً أمريكياً بتوطين فلسطينيين فى مصر ضمن تسوية سياسية مع إسرائيل قبل أكثر من 30 عاما. وأشارت الوثائق إلى أن مبارك كشف عن الطلب الأمريكى وموقفه منه خلال مباحثاته مع رئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر أثناء زيارته لندن فى طريق عودته من واشنطن فى فبراير 1983، وجاءت الزيارتان بعد 8 شهور من غزو إسرائيل للبنان فى 6 يونيو 1982، واحتلال الجيش الإسرائيلى لجنوب لبنان ومحاصرته لمنظمة التحرير الفلسطينية وبعض وحدات الجيش السورى فى بيروت الغربية. وقد انسحبت منظمة التحرير من غرب بيروت بعد الدمار الهائل الذى أحدثته العمليات العسكرية الإسرائيلية، وبعد تدخل فيليب حبيب المبعوث الأمريكى الخاص إلى الشرق الأوسط.

وتضمنت الوثائق أن الرئيس الأسبق فى مباحثاته مع تاتشر يوم 2 فبراير 1983 قال إنه عندما طلب منه فى وقت سابق أن يقبل فلسطينيين من لبنان أوضح للولايات المتحدة أنه يمكن أن يفعل ذلك فقط كجزء من إطار شامل للحل. وأبدى مبارك استعداده لاستقبال مصر الفلسطينيين من لبنان رغم إدراكه المخاطر التى تنطوى عليها مثل هذه الخطوة. وردت تاتشر بأنه أيا تكن التسوية المستقبلية فإنه لا يمكن أن يعود الفلسطينيون إلى فلسطين التاريخية ذلك أنه حتى لو أقيمت دولة فلسطينية فإنها لا يمكن أن تستوعب كل فلسطينى الشتات. وقد نفى الرئيس مبارك فى بيان صدر عنه فى نفس يوم كشف الوثيقة البريطانية أن يكون قد وافق على توطين الفلسطينيين بمصر، موضحاً أنه «إبان الغزو الإسرائيلى للبنان فى يونيو 1982، ووصول القوات الإسرائيلية لبيروت، اتخذت قرارا بسحب السفير المصرى من إسرائيل، وعملت على تأمين خروج الفلسطينيين المحاصرين فى بيروت، وعلى رأسهم ياسر عرفات وتم عبورهم قناة السويس متجهين إلى اليمن، واستقبلت عرفات لدى توقف الباخرة بالقناة، مؤكداله وقوف مصر مع الشعب الفلسطينى للحصول على حقوقه المشروعة». ونفى مبارك بصورة قاطعة أى مزاعم عن قبول توطين فلسطينيين بمصر وتحديداً المتواجدين منهم وقتذاك فى لبنان، فقد كانت هناك مساعٍ من بعض الأطراف لإقناعه بتوطين بعض الفلسطينيين الموجودين فى لبنان فى ذلك الوقت بمصر وهو ما رفضه رفضا قاطعا. كما أنه أكد رفضه كل المحاولات والمساعى اللاحقة لتوطين فلسطينيين فى مصر أو مجرد التفكير فيما طرح من قبل إسرائيل تحديدا عام 2010 لتوطين فلسطينيين فى جزء من أراضى سيناء من خلال الاقتراح الذى تقدم به رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك، فقد رد عليه على الفور فى ذلك اللقاء مؤكداً عدم استعداده حتى للاستماع لأى أطروحات فى هذا الإطار، إذ أنه تمسك بمبدأ لم يحيد عنه إطلاقا وهو عدم التفريط فى أى شبر من أرض مصر التى حارب جيل كامل من أجلها، وهو ما تجسد فى الإصرار على استعادة آخر شبر من أرضنا المحتلة عام 1967 بعودة طابا كاملة للسيادة المصرية.

مصر مع الشعب الفلسطينى للحصول على حقوقه المشروعة

وأشهد شخصياً أننى عندما كنت مديراً لمكتب نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية خلال

أهو توطين للفلسطينيين.. أم تصفية لقضيتهم؟

فترة الخلاف اللبنانى الفلسطينى، توليت بنفسى الاتصال بالأطراف المعنية لعدم التعرض للباخرة التى أقلت الفلسطينيين إلى اليمن عبر قناة السويس، ولم يتم خلال كل ذلك التطرق من قريب أو بعيد إلى موضوع التوطين.

فالفكرة ليست جديدة كما أوضحنا، فقد سبق أن طرحها الجنرال جيورا أيلاند على مجلس الأمن القومى الإسرائيلى عام 2009 والتى تقوم على مضاعفة مساحة غزة، وذلك بضم 600 كيلومتر مربع من سيناء لإتاحة الفرصة لبناء مدن فلسطينية جديدة فى سيناء، مع إقامة ميناء بحرى ومطار دولى لتحقيق تنمية اقتصادية للفلسطينيين. وتشمل الخطة ضم المساحة المذكورة لتتجاوز غزة مساحة حدود 1967 التى لم يعد الالتزام بها مقبولا من الناحية الأمنية لدى إسرائيل مقابل منح مصر 600 كيلومربع من صحراء النقب جنوب إسرائيل.

نقل مقاتلى داعش إلى سيناء

قد تبدو هذه النقطة بعيدة عن مشكلة التوطين، فى الوقت الذى أراها تقع فى صميمها، فالخطة لدى من وضعها متكاملة، ذلك أن الهدف من تركيز الإرهاب على سيناء هو تجهيز مسرح الأحداث بحيث يكون طبيعياً يقبل ما كان يعد أمراً يستحيل قبوله. فكل ما يوضع من خطط للإرهاب، وينفق فى سبيل دعمه وجعله أكثر تأثيراً، ليس المقصود به فقط هدم الدولة الوطنية المصرية وتحطيم قواعدها وأركانها وإدخالها فى فوضى الدولة الفاشلة، ويفقد الفلسطينيون بذلك سندهم التاريخى، الذى يمكن أن يقبل فى حالة انهياره - لا قدر الله- فكرة مثل قبول تصفية القضية الفلسطينية على حساب الأراضى المصرية وبخاصة سيناء، وما فلسطين سوى امتداد لها.

ولقد تابعنا عن كثب الجهود التى بذلت لطرد داعش من الأراضى العراقية والسورية مدعمة بقوى التحالف والتى يأتى على رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما، وجرى الاعتماد على قوى طائفية سواء الحشد الشعبى الشيعى فى العراق والقوات السورية الديمقراطية ذات الأغلبية الكردية فى سوريا، والتى لمشاركتها آثار سلبية جانبية، لا يتسع المقام لشرحها، ولكن أسفرت تلك المعارك عن إخلاء تلك الأراضى الشاسعة فى البلدين من مقاتلى داعش. ويلاحظ أنه فى أكثر من حالة فقد خرج الآلاف من هؤلاء المقاتلين بصورة آمنة مصحوبين بعائلاتهم، بل وأسلحتهم الخفيفة والثقيلة، بمقتضى صفقات كانت واشنطن وأنقرة قريبة منها، وأبرزها ما تم بين حزب الله وجماعات داعش فى عرسال بلبنان، وما تم مع قوات سوريا الديمقراطية (قسد) فى الرقة، الذين نقلوا إلى تركيا فى طريقهم إلى ميادين أخرى للقتال على رأسها سيناء المصرية.

ولقد نقلت وكالة أنباء سبوتنيك الروسية عن الرئيس التركى رجب طيب أردوجان يوم 5 ديسمبر 2017 أنه قال أمام اجتماع للكتلة البرلمانية لحزب العدالة والتنمية أن الإرهابيين الذين غادروا الرقة أرسلوا إلى مصر لاستخدامهم هناك فى صحراء سيناء. وقيل أنه أدلى بهذا التصريح شعوراً منه بالاستفزاز من جراء تسليح الولايات المتحدة لقوات سوريا الديمقراطية وغالبيتها من الأكراد.

موقف انفرادى أمريكى أهم عناصر التسوية النهائية

ولقد غلب لدىّ الاعتقاد أن عملية السلام وبخاصة القضية الفلسطينية، تمر بأخطر مراحلها، فقد وعد الرئيس الأمريكى بإيلائها اهتمامه، ولكن الواقع يقول إنها بذلك أصبحت فى أيدٍ أكثر انحيازا لإسرائيل، فضلا عن أن معادلات القوى تجعلها بالضرورة فى المستوى الأضعف لما وصلت إليه

الأوضاع العربية من تردٍ، بالإضافة إلى الانقسام الفلسطينى الذى مازال فى طور الالتئام، وأكثر ما يدل على ذلك هو قرار الرئيس الأمريكى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأمريكية إليها، وهو بذلك قد اتخذ موقفا انفراديا من واحد من أهم قضايا التسوية النهائية، ضاربا عرض الحائط بكل القرارات الصادرة من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة واعتراضات الأغلبية العظمى لدول العالم، فضلا عن غموض الموقف الأمريكى أو عدم ثباته من بقية عناصر التسوية النهائية والتى تشمل صيغة الدولتين، واللاجئين، والحدود، والمستوطنات، والمياه، وبما يصل إلى اقتناع أغلب الأطراف بأن واشنطن فقدت دورها كراعٍ متوازن وعادل أو وسيط نزيه يمكنً الركون إليه فى عملية السلام، وهذه مشكلة فى حد ذاتها أن يعاد من جديد بلورة صيغة متوازنة وقادرة على أن تتولى هذه الرعاية.

وتأتى صيغة التوطين أو تبادل الأراضى كواحدة من الإفرازات السلبية للمرحلة الراهنة، تطلق أحيانا كبالونات اختبار لتلمس الحدود الدنيا لما يمكن للأطراف المباشرة قبوله وتستهدف فى النهاية تصفية القضية الفلسطينية على حساب الدول المجاورة الأردن أو مصر. فمن بين ما سبق طرحه كانت فكرة «الخيار الأردنى» بضم ما تبقى من الأراضى الفلسطينية إلى الأردن فى كيان واحد، إزاء الاتصال الجغرافى للضفتين، وكانت القدس الشرقية جزءا من هذا الكيان قبل أن يسدل عليها الغموض بالقرار الأمريكى الأخير. ومن الجانب الآخر يجىء البديل المصرى بأن تمتد الدويلة الفلسطينية البديلة من غزة إلى عمق الأراضى المصرية، وفى الحالتين فقد رفضت تلك الأفكار بشدة من كل الأطراف العربية.

فقد كانت مصر الدولة الأكثر حرصاً على الكيان الفلسطينى شعباً وأرضاً، وليس أدل من ذلك أنها وقفت كالصخرة فى الستينات ضد كل محاولات إذابة هذا الكيان، وأصرت على أن تكون صلتها بقطاع غزة لا تزيد عن الإدارة، وعينت حاكما عسكريا للقطاع لكى يقوم بإدارته كوديعة ترد لأهلها من الفلسطينيين، وهو ما قامت به فور تشكيل السلطة الفلسطينية، وذلك خلافاً لما قامت به الأردن من ضم الضفة الغربية إثر النكبة إلى المملكة الهاشمية. ودعمت مصر كل الجهود الرامية إلى الحفاظ على هوية الشعب الفلسطينى، وكانت ضد التجنيس أو إسقاط صفة اللاجئين، وساندت حكومة عموم فلسطين (أحمد حلمى)، والاتحاد القومى الفلسطينى (أحمد الشقيرى) ومنظمة التحرير الفلسطينية (ياسر عرفات)، على أساس أن الشعب الفلسطينى وحده صاحب الحق الشرعى فى فلسطين، وأن من حقه أن يسترد وطنه ويقرر مصيره.

ضرورة تشبث الفلسطينيين بالأرض

ولذلك فإننى أحبذ تشبث الفلسطينيين بالأرض، ورفض التنازل عن أى شبر من تلك التى احتلت عام 1967، ويكفى أنهم قد أصبحوا يطالبون بـ 22٪ فقط من أرض فلسطين التاريخية، بمعنى أنه قد تم التنازل لإسرائيل بالفعل عن 78٪ من الأراضى الفلسطينية. وإذا كان القرار 181 لعام 1947 هو المرجعية، فيكون قد تم التنازل عن 26٪ من الأراضى التى كانت مخصصة للفلسطينيين طبقاً لقرار التقسيم. ومن ثم فإن المبادرة التى وردت فى قرار القمة فى بيروت عام 2002 تمثل الحد الأدنى لما يمكن القبول به لحل القضية الفلسطينية، دون أن يجور أحد على أراض لدول ذات سيادة رسمت حدودها قبل أن يظهر العبرانيون على سطح الأرض بآلاف السنين. ومن نافلة القول أن نرفض تماما أية أفكار تجترئ على أرض مصر، وأن نعتبر مجرد الإشارة إليها جريمة لا تغتفر.

عام 2018 لا بد أن يكون عام إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة

هناك إجماع واضح من كافة الأطراف المباشرة والمعنية بالقضية الفلسطينية على أن القرار الذى اتخذه الرئيس الأمريكى فى السادس من ديسمبر 2017 بالإعتراف رسمياً بأن القدس هى عاصمة لإسرائيل والموافقة على نقل السفارة الأمريكية إلى القدس يعد قراراً مجحفاً ومعوقاً لعملية السلام. وقبل أن أخوض فى تفصيلات هذا الموضوع أود أن أشير إلى نقطتين رئيسيتين، الأولى وهى ضرورة ألا تؤثر ردود الأفعال الفلسطينية والعربية التى أعقبت القرار على خطة تحركنا خلال المرحلة القادمة، والثانية أهمية أن تكون تحركاتنا مبنية على رؤية مدروسة وخطوات منسقة عربياً ودولياً. وسوف يحاول هذا المقال تقييم مواقف الأطراف وصولاً لبلورة بدائل للحركة السياسية أمام كل طرف.

لواء محمد ابراهيم
عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية
mohamedeldewery@yahoo.com

أولاً: موقف الولايات المتحدة

لا شك أن قرار القدس كان ظاهرة كاشفة للعناصر الخمس التالية:

العنصر الأول: أننا نتعامل مع إدارة أمريكية مختلفة تماماً عن الإدارات الجمهورية السابقة حيث تعاملت مع أهم قضية عربية محورية بقدر كبير من التعنت وعدم الاكتراث بالموقف العربى.

العنصر الثانى: أن هذه الإدارة ذات خبرة محدودة فى ملف عملية السلام ولم تستفد من مواقف الإدارات السابقة بل تعمدت أن تسير عكس توجهاتها ومن ثم كان هذا القرار الخاطئ بل وقرارات خاطئة أخرى وهو الأمر الذى حدث من خلال تصريح مسئول أمريكى بأن حائط البراق لا بد أن يخضع للسيادة الإسرائيلية خلال أية تسوية. كما أن واشنطن سوف تعارض طرح أى قرار فى مجلس الأمن يخالف توجهاتها.

العنصر الثالث: أن هذه الإدارة أظهرت تطابقاً فى رؤاها بالنسبة لعملية السلام مع الموقف الإسرائيلى وخاصة فى مسألة شديدة الحساسية عربياً وإسلامياً مثل القدس.

العنصر الرابع: أن هذه الإدارة اتخذت موقف الوسيط المتحيز ولم تعد تعبأ بدور الشريك الكامل الذى قامت به طوال عقود سابقة، هذا الدور الذى أتاح لها إنجاز معاهدة السلام الإسرائيلية مع مصر عام 79 ومع الأردن عام 94 واتفاقات أوسلو عام 93 وما تلاها من مفاوضات.

العنصر الخامس: أن إدارة ترامب تعاملت مع قضية الإرهاب من منظور مصالحها فقط ولم تستمع إلى القادة العرب وهم يؤكدون لها أن القضاء على الإرهاب يتطلب إقامة دولة فلسطينية مستقلة بجوار دولة إسرائيل تنفيذاً لمبدأ حل الدولتين الذى تبنته الإدارات السابقة.

هذا، ولم تنجح تصريحات المسئولين الأمريكيين لتخفيف وطأة قرار ترامب من خلال إشارتهم أن وضعية القدس سوف يتم حسمها فى المفاوضات أو غيرها من التصريحات التى لم تعدلها مصداقية, ولعل أخطر ما تضمنه القرار ليس نقل السفارة ولكن الأخطر هو تبنى واشنطن نفس مفهوم الحكومة الإسرائيلية بأن القدس هى العاصمة وبما يعنى أنها القدس الموحدة حتى وإن حرص المسئولون الأمريكيون إظهار غير ذلك, ولذا فقد سارع نتنياهو بالتأكيد على أن أية مفاوضات قادمة يجب أن تعترف بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل.

وفى رأيى أن واشنطن إذا ما أرادت أن تعود إلى قيادة عملية

السلام فعليها أن تتخذ أياً من البدائل التالية:

- **البديل الأول:** أن تتراجع عن هذا القرار حتى يتم إعادة تصحيح البوصلة الأمريكية فى عملية السلام.

- **البديل الثانى:** أن تعلن بوضوح تأييدها الكامل لحل الدولتين والذى يعنى ضرورة إقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية على حدود 67 وأن يتم ذلك من خلال المفاوضات.

- **البديل الثالث:** وهو تقديم الإدارة الأمريكية رؤية سياسية متكاملة ومقبولة عربياً لحل القضية الفلسطينية تتضمن تحديداً لكافة قضايا الوضع النهائى والالتزام بأن يتم حسم هذه القضايا من خلال المفاوضات فقط ودون أية شروط أو مواقف مسبقة.

ثانياً: الموقف الفلسطيني

من المؤكد أن القرار الأمريكى كان صادماً للسلطة الفلسطينية التى تتبنى التوجه السلمى وكانت تنتظر من الإدارة الأمريكية إعلان موعد بدء التفاوض وليس إغلاق ملف المفاوضات.

ومع التسليم بأن إقامة الدولة الفلسطينية تعد مسئولية عربية ودولية وليست فلسطينية فقط إلا أن قرار وقف المفاوضات مع إسرائيل لفترة تعدت الثلاث سنوات لم يجانبه الصواب حيث أتاح ذلك لتل أبيب التحرك بحرية لتسويق مواقفها ودفع إدارة ترامب لاتخاذ هذا القرار فى ظل جمود عملية السلام, وكم كنت آمل أن يكون النموذج المصرى الناجح فى المفاوضات مع إسرائيل حاضراً حيث لم تسمح مصر بوقف هذه المفاوضات رغم العقبات التى واجهتنا حتى حصلنا على أرضنا كاملة.

مسارات الحركة أمام الجانب الفلسطينى فى المرحلة المقبلة متعددة أهمها ما يلى:

* مزيد من التنسيق مع الموقفين العربى والدولى من أجل الحفاظ على قوة الدفع التى أعقبت قرار ترامب بما فى ذلك اللجوء إلى المنظمات الدولية لإصدار كافة القرارات الممكنة التى تخدم الموقف الفلسطينى أو تدين الموقف الأمريكى أو تكشف الموقف الإسرائيلى.

* إنهاء حقيقى للانقسام وتنفيذ كافة بنود المصالحة الفلسطينية فى أسرع وقت وبكل جدية ومصداقية.

* استمرار المقاومة السلمية بكافة صورها لفترة طويلة قادمة والوصول إلى خطة شاملة فى هذا المجال يتم تنفيذها داخل الأراضى الفلسطينية وفى كافة الدول الصديقة التى تتواجد فيها الجاليات الفلسطينية وفى إطار القانون الذى يحكم هذه الدول.

* تجميد الاتصالات مع المسئولين الأمريكيين مع النظر فى

عام 2018 لا بد أن يكون عام إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة

استمرار هذا الموقف من عدمه بعد فترة ليست طويلة حتى لا يعطى ذلك التوجه أية تفسيرات خاطئة بأن السلطة الفلسطينية تخلت عن عملية السلام.

* الحرص على ألا تتجه الأمور إلى أن تقوم إسرائيل بعمليات عسكرية موسعة على قطاع غزة تستثمرها لصالحها.

ثالثاً: موقف الدول العربية

من الواضح أن الموقف العربى الحالى كان أحد عناصر الحسابات الأمريكية وهى تتخذ هذا القرار وهذا هو الدرس الرئيسى الذى يجب ألا يغيب عن أذهاننا فسوف تظل إسرائيل الحليف الرئيسى للولايات المتحدة حتى لو تعارض ذلك مع المصالح العربية الحيوية مع قناعتى بأهمية الحفاظ على العلاقات العربية الأمريكية على المستوى الإستراتيجى وبالتالى فالمطلوب من الجانب العربى ما يلى:

* رفض أية محاولات إسرائيلية بأن يسبق التطبيع مع الدول العربية أى حل للقضية الفلسطينية.

* الطرح الفورى للمبادرة العربية للسلام مصحوبة بآليات التنفيذ وتسويقها دولياً حتى لا نقع فى نفس خطأ ترك الساحة خالية أمام إسرائيل للتحرك وتسويق مواقفها المتطرفة فيكفى خمسة عشر عاماً بعد طرح هذه المبادرة ونحن نتعامل معها بعدم الجدية وإلا فما الفائدة من بقائها.

* رفض أية صفقة سياسية تطرحها واشنطن قد تنتقص من الثوابت الفلسطينية خاصة قضيتى القدس واللاجئين.

* مواصلة التحرك الحالى لتجميع أكبر موقف رافض للقرار الأمريكى مع دعم الموقف الفلسطينى فى كافة المحافل أخذاً فى الاعتبار أن هذه القرارات هى وسيلة فقط وليست هدفاً نهائياً.

* إزالة القيود أمام المواطنين الراغبين فى زيارة القدس والتى يسير فيها قطار التهويد الإسرائيلى بأسرع مما نتصور.

* تفعيل عمل لجنة القدس التى تترأسها المغرب بالإضافة إلى ضرورة التوجيه الأفضل للدعم المادى الذى تقرره القمم العربية مشكورة لدعم صمود سكان القدس.

وقد جاء الاجتماع الذى عقدته جامعة الدول العربية لوزراء الخارجية العرب فى التاسع من ديسمبر 2017 ليؤكد الإجماع العربى الرافض لهذا القرار الذى ينتهك كافة المواثيق الدولية ويقوض حل الدولتين ويقضى على الدور الأمريكى كوسيط فى عملية السلام، مع الاتجاه للتواصل مع المجتمع الدولى لمواجهة تداعيات هذا القرار وقد أحسنت الجامعة صنعاً عندما أكدت أن مجلس الجامعة سيكون فى حالة انعقاد دائم ثم العودة للاجتماع خلال شهر لتقييم الموقف.

رابعاً: موقف إسرائيل

من الواضح أن هذا القرار ارتبط بقناعات إدارة ترامب كما ارتبط بضغوط مارستها إسرائيل ليكون نقطة تحول لصالحها فى أية تسوية قادمة ويتمشى مع مفهومها بشأن القدس التى تعتبرها عاصمتها الأبدية. ومن الضرورى استخدام كافة الوسائل المتاحة لدينا حتى تصل إلى إسرائيل القناعات الثلاثة التالية:

القناعة الأولى: أن الدول العربية لن تقدم على اتخاذ أى

قرار فى مجال تطبيع العلاقات مع إسرائيل إلا إذا وافقت على إقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة وعاصمتها القدس الشرقية من خلال المفاوضات.

القناعة الثانية: أن الموقف العربى لايزال يمتلك أدوات التأثير لتغيير المعادلة السياسية الحالية سواء من خلال امتلاكه سلاح المقاومة السلمية أو مبادرة سلام أجمع العرب عليها وهم قادرون على فرضها إذا ما أحسنوا التحرك.

القناعة الثالثة: أن الأمن الإسرائيلى لن يتحقق إلا إذا حصل الفلسطينيون على حقهم فى إقامة دولتهم المستقلة.

خامساً: الموقف الدولى والمنظمات المختلفة

لا شك أن قرار ترامب حول القدس يمثل رسالة أمريكية واضحة للمجتمع الدولى كله سواء الاتحاد الأوروبى أو روسيا أو المنظمات الدولية بأنها لا تعير مواقفهم أى اهتمام مادام الأمر يتعلق بمصلحة إسرائيل.

وقد جاء اجتماع منظمة التعاون الإسلامى الذى عقد فى اسطنبول فى الثالث عشر من ديسمبر 2017 متمشياً مع المواقف الإقليمية والدولية الرافضة للقرار الأمريكى والمؤكدة أن القدس الشرقية هى عاصمة الدولة الفلسطينية مع مناشدة دول العالم للاعتراف بالدولة الفلسطينية.

وهناك دور مهم للمجتمع الدولى بكل مكوناته حيث أن عليه أن يتجه إلى تقديم الدعم الكامل للقضية الفلسطينية وإقامة الدولة المستقلة ذات السيادة طبقاً لمبدأ حل الدولتين وأن يتم ترجمة ذلك فى كافة تحركاتهم السياسية أو فى قرارات المنظمات الدولية وعلى رأسها دعم التوجه نحو الاعتراف بالدولة الفلسطينية على حدود 67 وعاصمتها القدس الشرقية.

والخلاصة، فى رأيى أن القرار الأمريكى رغم خطورته إلا أنه يتضمن رسالة إيجابية للموقفين العربى والفلسطينى مفادها أنه لا يمكن لنا التعامل مع القضية الفلسطينية بنفس التعامل التقليدى الحالى، ومن ثم يجب بلورة موقف عربى ودولى مؤسس على رؤية واضحة نمتلكها بالفعل منذ سنوات تقودنا نحو خوض معركة سياسية شديدة الشراسة تبدأ من الآن. وهنا أقترح أن يتم هذا التحرك تحت عنوان أن عام 2018 لا بد أن يكون عام إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على حدود 67 وعاصمتها القدس الشرقية، وثقتى كبيرة فى قدرة القيادة السياسية المصرية على أن تتبنى وتقود هذا التحرك المصيرى.

ما هو مصير عملية السلام؟

مثل قرار الرئيس دونالد ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وإعلان اعتزامه نقل السفارة الأمريكية إليها نقلة نوعية خطيرة لسياسة الولايات المتحدة تجاه عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية والعالم العربى والشرق الأوسط ككل. ويعد القرار نكوصاً وتراجعاً عن السياسة التى انتهجتها واشنطن منذ 70 عاماً أى منذ اندلاع النزاع العربى الإسرائيلى بصدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين فى نوفمبر 1947.

أ. د. هشام مراد

أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة

mouradh890@gmail.com

كما أنه يعتبر تنصلاً وإنكاراً لما توافق عليه المجتمع الدولى ونصت عليه المواثيق والقرارات الدولية. فمنذ ذلك الحين، التزمت واشنطن بحل الدولتين. كما أنها لم تعترف بعد حرب يونيو 1967 باحتلال إسرائيل للقدس والضفة الغربية وقطاع غزة ورفضت الاعتراف بضم تل أبيب للقدس فى 30 يوليو 1980، مثلها فى ذلك مثل بقية المجتمع الدولى. وكان موقفها الرسمى هو ترك مصير القدس لمفاوضات الوضع النهائى للأراضى الفلسطينية المحتلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين مع عدم الاعتراض على أن تكون القدس الشرقية هى عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة. لكن إرهاصات القرار الأمريكى الأخير ظهرت جلية فى بعض المواقف التى عبر عنها ترامب ووزارة الخارجية الأمريكية خلال الأشهر الأخيرة، كما سنرى لاحقاً.

ورغم أن الكونجرس الأمريكى أصدر عام 1995، فى عهد الرئيس بيل كلينتون، قانوناً يقضى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس بحلول 1999، إلا أنه منح الرئيس الأمريكى سلطة تأجيل تنفيذ هذا القرار كل ستة أشهر إذا رأى أن من شأن تنفيذه تهديد المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط. ومنذ عهد كلينتون، اعتاد الرؤساء الأمريكيون على استخدام تلك الرخصة الممنوحة لهم من الكونجرس بتأجيل تنفيذ القرار. لكن الرئيس الحالى كان له رأى آخر. وكان قراره المعلن فى 6 ديسمبر بمثابة الصدمة للفلسطينيين والعرب والمجتمع الدولى نظراً لتداعياته السلبية على عملية السلام وعلى الاستقرار فى المنطقة. فلا شك أن قرار الاعتراف الأمريكى بالقدس عاصمة لإسرائيل قد وجه ضربة قاصمة لعملية السلام التى لم يكن لها وجود فعلى منذ سنوات طويلة. فإدارة الرئيس باراك أوباما السابقة فشلت طوال ثمانى سنوات فى استئناف مفاوضات السلام بسبب تعنت حكومة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وعدم رغبة أو قدرة الولايات المتحدة على الضغط عليها لاتخاذ الخطوات اللازمة لتحريك المباحثات، خاصة فيما يتعلق بوقف الاستيطان فى القدس والضفة الغربية.

وجاءت الإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة ترامب تحمل وعوداً بتحريك عملية السلام وبعقد «صفقة القرن» لحل نزاع الشرق الأوسط. وبالفعل أوفد ترامب بعد توليه السلطة فى يناير 2017 كبير مستشاريه وصهره جاريد كوشنر للمنطقة عدة مرات لاستطلاع فرص استئناف عملية السلام. ولم يكف المسئولون الأمريكيون عن القول إن الأفكار الأمريكية الجديدة، التى كان من المفترض أن تطرح فى بداية 2018 لتحريك المفاوضات، ستكون غير تقليدية و«خارج الصندوق» أى مبتكرة لحلحلة الوضع المتأزم منذ سنوات طويلة. وكان فريق إعداد

المبادرة يتكون، بالإضافة لكوشنر، من جيزون جرينبلات المبعوث الأمريكى للمفاوضات الدولية وديفيد فريدمان السفير الأمريكى فى إسرائيل ودينا باول نائبة مستشار البيت الأبيض لشئون الأمن القومى. والثلاثة الأوائل هم من اليهود المقربين لإسرائيل. فكوشنر هو صديق لعائلة رئيس الوزراء الإسرائيلى وجرينبلات هو من أشد مناصرى إسرائيل كما أن فريدمان معروف بمواقفه المعارضة لإقامة دولة فلسطينية.

وقد ألقى اختيار هؤلاء بظلاله على الأفكار التى كان من المنتظر أن تطرحها المبادرة الأمريكية. فاستقراء ما تسرب منها كان يفيد بهذا المعنى. فقد أوضح جرينبلات فى 11 نوفمبر 2017 أن واشنطن لن تطرح إطاراً زمنياً محدداً للوصول لاتفاق سلام نهائى بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وغنى عن الذكر أن هذا الموقف يصب فى مصلحة تل أبيب التى طالما ماطلت فى التوصل لأى اتفاق. وهو يخدم سياستها القائمة على إعطاء الانطباع للعالم الخارجى بالرغبة فى التوصل لاتفاق والاستمرار فى التفاوض لأشهر طويلة تسمح بتقليل ضغوط المجتمع الدولى عليها وحصولها على منافع سياسية واقتصادية متنوعة بدعوى تشجيعها على تقديم التنازلات اللازمة للتوصل لاتفاق سلام. وهو ما لم يحدث أبداً خلال السنوات الماضية، على الأقل فى ظل رئاسة نتنياهو. إذ لم تنجح واشنطن والمجتمع الدولى مطلقاً فى حمله على خفض سقف مواقفه بما يتوافق مع الإجماع الدولى.

كما قال جرينبلات فى ذات التصريح أن الولايات المتحدة لن تقدم أفكاراً محددة أو تسعى لفرض أى اتفاق. وهو ما يتوافق أيضاً مع تكتيك إسرائيل الساعى لفرض سياسة الأمر الواقع. فتل أبيب تسعى دوما لمنع تدخل المجتمع الدولى فى أية مفاوضات سلام مع الفلسطينيين وقصر تلك المشاركة على الولايات المتحدة دون غيرها بحكم انحياز واشنطن لإسرائيل. إلا أنها كانت تعمل فى نفس الوقت على أن يقتصر الأمر على رعاية أمريكية للمفاوضات وأن ينحصر الضغط الأمريكى على الجانب الفلسطينى وأن تترك المفاوضات للطرفين الفلسطينى والإسرائيلى وحدهما بما يعكس الاختلال فى ميزان القوى بينهما على نتائج المباحثات. وعلى العكس من ذلك كان الفلسطينيون، ومعهم الدول العربية، يسعون دوما لإشراك أطراف خارجية كالاتحاد الأوروبى وروسيا والأمم المتحدة فى المفاوضات لخفض تأثير هذا الخلل الفادح فى ميزان القوى لصالح إسرائيل. وقد أثبتت التجربة التاريخية أنه بدون ممارسة الضغط الدولى

على إسرائيل، فلا يمكن أن تسعى هى طواعية للتوصل لاتفاق سلام مع الفلسطينيين. فلم تنفك تل أبيب تفرض سياسة الأمر الواقع القائمة على التهويد وقضم الأرض الفلسطينية من خلال إقامة المستوطنات ومصادرة الأراضى وطرد الفلسطينيين من القدس وهدم منازلهم، بما يؤدى فى النهاية إلى تفريغ القضية الفلسطينية من مضمونها ويتحول الأمر فى نهاية المطاف إلى قضية إنسانية بشأن لاجئين فلسطينيين وليست قضية سياسية تتعلق بحقوق شعب فى الحفاظ على أرضه وهويته وكيانه المستقل وهو ما لا يمكن تحقيقه سوى بقيام دولته المستقلة.

ولكى تتمكن من استئناف مفاوضات السلام، كان من المتوقع أن تقترح واشنطن على كلا الطرفين اتخاذ مجموعة من إجراءات بناء الثقة. فتطلب من تل أبيب اقتصار أنشطة الاستيطان على المستوطنات القائمة بالفعل وعدم الاستيلاء على أراض فلسطينية جديدة ونقل صلاحيات جديدة للسلطة الفلسطينية فى الضفة الغربية. أما بالنسبة للجانب الفلسطينى، فكان من المتوقع أن تطلب الإدارة الأمريكية استئناف التعاون الأمنى الكامل مع إسرائيل ووقف محاولات السلطة الفلسطينية مقاضاة المسئولين العسكريين والسياسيين الإسرائيليين المتهمين بارتكاب جرائم حرب بحق الفلسطينيين أمام المحكمة الجنائية الدولية فى لاهاى. كما كان من المنتظر أن تسعى واشنطن إلى أن تطلب من دول الخليج أو من بعضها القيام ببعض خطوات التطبيع مع إسرائيل أو أن تتعهد بتقديم مساعدات مالية سخية للسلطة الفلسطينية لتشجيعها على تقديم بعض التنازلات.

كما اتضح من تسريبات المبادرة الأمريكية أنها كانت ستقتصر على ذكر مجموعة من المبادىء العامة دون الخوض فى القضايا الشائكة المرتبطة بالوضع النهائى للأراضى الفلسطينية المحتلة كالقدس والمستوطنات، التى كانت دائماً عقبة فى سبيل التوصل لاتفاق. ولم يكن هناك ما يشير إلى أن الإدارة الأمريكية استطاعت أن تبلور أفكاراً محددة أو واضحة بشأن تلك القضايا. ومما يؤكد ذلك ما أعلنه الرئيس الفلسطينى محمود عباس فى أغسطس الماضى من أنه غير قادر على فهم مضمون مبادرة السلام الأمريكية رغم لقاءاته التى تعدت العشرين مع مبعوثى الرئيس ترامب. ولم يخف المسئولون الفلسطينيون تشاؤمهم إزاء ما يمكن أن تطرحه المبادرة الأمريكية التى وصفها البعض بأنها مؤامرة أمريكية يهودية لتصفية القضية الفلسطينية. وهم يذكرون على سبيل المثال رفض وزارة الخارجية الأمريكية تأييد حل الدولتين كأساس للتسوية فى الشرق الأوسط. وقد برر مسئولو الوزارة ذلك فى نهاية أغسطس الماضى بدعوى أن اتخاذ مثل هذا الموقف من شأنه أن يخل بالحياد الواجب اتباعه تجاه طرفى النزاع. وهو أمر يناقض تماما ما توافق عليه المجتمع الدولى منذ تفجر القضية الفلسطينية فى 1947 وصدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم الأراضى الفلسطينية إلى دولتين. كما أنه يناقض الموقف الأمريكى الرسمى طوال عقود. لكن موقف وزارة الخارجية يتماشى مع موقف ترامب الذى رفض تبنى حل الدولتين كأساس للتسوية، مكتفياً بالقول إنه مع الحل الذى يتفق عليه الطرفان. مما يعنى واقعياً إنه مع الحل الذى توافق عليه إسرائيل، أى كيان أقل من الدولة يسمح بالتخلص من الفلسطينيين داخل معازل متقطعة الأوصال ويتيح لإسرائيل استبعاد الكابوس

جدار لن يجدى

الديموغرافى الذى يمثله قبولهم فى إطار دولة واحدة مع الإسرائيليين وبالتالى الحفاظ على يهودية الدولة.

ذلك الموقف الأمريكى الجديد من حل الدولتين كان ينبىء بما سيأتى لاحقاً فى صورة قرار رئاسى يعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل ويتجاهل تماماً الإشارة إلى القدس الشرقية التى يطالب بها الفلسطينيون عاصمة لدولتهم المستقلة. إن قرار ترامب، الذى يستجيب بالأساس لاعتبارات سياسية داخلية مرتبطة بانتخابات التجديد النصفى للكونجرس فى 2018، يعنى عملياً انسحاب الولايات المتحدة من ممارسة أى دور فعال فى تحريك عملية السلام خلال الفترة القادمة. الأمر الذى يتوقع معه جمود جهود الحل لأمد طويل. فمواقف واشنطن الأخيرة البالغة الانحياز لإسرائيل ستشجع تل أبيب على المغالاة فى صلفها وتعنتها ورفضها لتقديم أى تنازلات ومواصلة سياسة الأمر الواقع المتمثلة فى تسريع وتيرة الاستيطان فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، خاصة القدس. وليست هناك من قوى دولية أخرى قادرة أو راغبة فى الوقوف بفعالية فى وجه السياسة الإسرائيلية.

كما أن قرار ترامب من شأنه إضعاف القوى المعتدلة فى المنطقة، وخاصة السلطة الفلسطينية بقيادة الرئيس محمود عباس، التى تتبنى خيار الحل السلمى للقضية الفلسطينية بالاعتماد على دور الولايات المتحدة كوسيط نزيه. إذ أن الموقف الأمريكى الأخير، بانحيازه الفج لإسرائيل، أظهر ضعف هذا النهج. ويعنى ذلك فى نفس الوقت تقوية شوكة القوى الراديكالية والمتشددة فى المنطقة مثل إيران وحزب الله والجماعات الإرهابية مثل داعش والقاعدة التى لن تفتأ تندد بقرار ترامب كدليل على عداء الولايات المتحدة للإسلام والمسلمين.

كما سيساعد القرار دولة مثل تركيا على دعم طموحاتها فى ممارسة دور أكبر فى العالم العربى والإسلامى من خلال التنديد بالسياسة الأمريكية تجاه القدس.

لا ريب أن قرار ترامب لا يصب فى مصلحة الولايات المتحدة فى المنطقة ويعرض مصالحها للخطر ويقوض من مصداقيتها ويزيد من عزلتها الدولية بعد خروجها عن الإجماع الدولى فى قضية بمثل هذه الأهمية والخطورة. وينم ذلك عن عدم إدراك أو استخفاف الإدارة الأمريكية بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى وبالأبعاد الدينية والتاريخية والروحية التى تربط الفلسطينيين والشعوب العربية بالقدس. وقد يعبر الأمر، كما ذكر بعض غلاة المؤيدين الأمريكيين لإسرائيل، عن الرغبة فى سحق التطلعات الوطنية للشعب الفلسطينى كسبيل لتسوية نزاع الشرق الأوسط لصالح إسرائيل.

صفقة القرن فى مهب الريح

يبدو أن الرئيس الأمريكى دونالد ترامب يملك من المغامرة الكثير، وربما تكون هذه المقدرة قد ساعدته كثيراً فى أعماله التجارية، بل من المؤكد أنها أوصلته إلى البيت الأبيض، إلا أن كل المغامرات سبق أن دفنت فى رمال الشرق الأوسط، ولم ينجح المغامرون والواقعيون والمخلصون بعد فى وضع نهاية للصراع العربى الإسرائيلي.

محمد صابرين

mohsabreen@yahoo.com

وربما لن يكون من الجموح القول إن «صفقة القرن» التى بشر بها ترامب منذ لحظاته الأولى فى البيت الأبيض هى الآن فى مهب الريح. وأخشى أن أقول أنها ذهبت فى طريق بلا عودة. وربما من خذل ترامب هو ترامب نفسه، وذلك لعدة أسباب: لعل السبب الأساسى هو لجوء ترامب إلى سياسة «الصدمة والرعب»، ومن هنا جاء قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وتخيل ترامب أن فرض أمر واقع سوف يتم تمريره بعد موجة من الغضب والتنديد والرفض، ولكن غاب عنه وعن فريقه أن القدس لا يملك قرارها مسئول فلسطينى أو قائد عربى أو مسلم مهما بلغت قوته أو حتى شعبيته. ففى اللحظة التى يتم فيها العبث بالمقدسات أو مجرد شبهة التفريط فيها فإنها تكون لحظة النهاية سواء لشخص أو نظام. وهذا المصير تعرض له إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، كما كان مشهوراً عن الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات قوله لن أوقع على أى اتفاق بشأن القدس قبل توقيع الزعماء العرب، وفى المقابل أصر هؤلاء الزعماء على أنهم لن يقرروا أى شيء إلا بعد موافقة الجانب الفلسطينى.

وأحسب أن «الخطيئة الثانية» تتعلق بأن بقرار ترامب قدم خدمة لإسرائيل سوف تقوم فى مقابلها بمساعدته على النجاح، وسوف يفاجأ الرئيس المغامر وطاقمه المستجد أن إسرائيل سوف تطلب المزيد، وسوف تحيل حياته إلى جحيم. ويمكن لمن يتابع هذه القضية أن يستعيد الشكاوى المرة للزعماء الأوروبيين بل وشكاوى باراك أوباما من رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو.

ولعل «الخطيئة المستفزة» تتعلق بالطاقم الذى أسند إليه الملف، فصهره جاريد كوشنر يتبرع للمستوطنات ليس فقط قبل المهمة ولكن خلال عمله على التوصل إلى التسوية، كما أن جيسون دى جرينبلات معروف عنه انحيازه الصارخ لإسرائيل.

ومن الغريب أن ترامب قد صعب الأمور على مصر والسعودية فى التمهيد للحل، فقد ساهمت مصر فى إنجاز المصالحة بين الرئيس محمود عباس وقادة حماس، وهى خطوة من شأنها أن تعزز موقف السلطة الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطينى. واستدعت المملكة العربية السعودية الرئيس الفلسطينى محمود عباس إلى الرياض لتعزيز أهمية التوصل إلى اتفاق سلام.

والنقطة الأخرى المهمة هى أن الرئيس الأمريكى ومستشاريه بقيادة صهره كوشنر وهم يعملون على صياغة مسودة أمريكية لإنهاء الصراع الفلسطيني-الإسرائيلى، لم يقدروا بشكل كبير أن احتمالات السلام عالقة فى أزمات أخرى فى المنطقة. ومثلما يدرك الكثيرون أن عملية السلام فى المنطقة، متشعبة ومرتبطة بمحيطها الإقليمى وتطوراته كما ظهر فى الأيام الأخيرة من خلال التوتر الحاصل بين كل من السعودية وحزب الله المدعوم من إيران فى لبنان، إلى جانب شعور إسرائيل بالقلق إزاء حزب الله وكذلك الجهود التى تبذلها إيران لإقامة ممر أرضى فى جنوب سوريا، وفى حال اندلعت حرب مع حزب الله، فإنها ستفشل أى جهود فى هذا الإطار.

العرب لن يقبلوا حلاً بأى ثمن

إذن ما هى هذه الخطة وملابساتها، وهنا نعرض لرواية صحيفة نيويورك تايمز. فقد كتب بيتر بيكر، كبير مراسلى البيت الأبيض فى هذه الصحيفة مؤخرا يقول: إن «الرئيس ترامب بدأ مع مستشاريه فى وضع خطة جديدة لإنهاء الصراع المستمر منذ عقود بين إسرائيل والفلسطينيين، وتهدف الخطة إلى تجاوز الأطروحات القديمة من

قبل الحكومات الأمريكية السابقة بغرض تحقيق ما أسماه الرئيس ترامب بـ«صفقة القرن». وقال مسئولون فى البيت الأبيض إن فريق ترامب من المهتمين حديثاً بعملية السلام فى الشرق الأوسط وهو ما دفعه إلى دراسة القضية لمدة عشرة أشهر متتالية لمعرفة تفاصيل النزاع الأكثر تعقيداً فى العالم والخروج بخطة جديدة لإنهاء حالة الجمود الذى فشل فيه أغلب السياسيين من ذوى الخبرة الكبيرة فى المنطقة. وتقول الصحيفة إن «فريق ترامب جمع وثائق وبيانات من أجل التعرف على مختلف القضايا المتعلقة بالنزاع الإسرائيلي-الفلسطينى، وقال مسئولون إنهم يتوقعون أن تعالج الخطة نقاط الخلاف الرئيسية مثل القدس والمستوطنات فى الضفة الغربية المحتلة. ومع أن ترامب لم يلتزم بدولة فلسطينية، فقد نقلت الصحيفة عن محللين أن بناء الخطة سيتم وفق ما يسمى بحل الدولتين الذى كان محور الجهود من أجل السلام لسنوات». ونقلت الصحيفة عن جيسون دى جرينبلات كبير المفاوضين الرئيسيين قوله: «لقد أمضينا الكثير من الوقت فى الاستماع إلى الإسرائيليين والفلسطينيين والقادة الإقليميين الرئيسيين خلال الأشهر القليلة الماضية والاشتراك معهم للمساعدة فى التوصل إلى اتفاق سلام دائم». وأضاف: «لن نضع جدولاً زمنياً ملزماً لتطوير أو عرض أية أفكار محددة ولن نفرض اتفاقاً. وهدفنا هو تسهيل، وليس إملاء، اتفاق سلام دائم لتحسين حياة الإسرائيليين والفلسطينيين والأمن فى جميع أنحاء المنطقة».

رسالة مهمة للأمير تشارلز

ويحضرنى فى هذا المقام رسالة الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا المؤرخة فى 24 نوفمبر 1986 إلى صديقه لورنز فان دربوست، التى سربتها منذ أسابيع صحيفة ديلى ميل البريطانية، والتى قال فيها لصديقه: «أنا فى طريقى إلى قبرص وإيطاليا بعد المرور فى قناة السويس. ثلاثة أيام جميلة فى البحر. وهذه الرحلة كانت مثيرة وتعلمت منها الكثير عن الشرق الأوسط ووجهة النظر العربية. وقد قرأت أجزاء من القرآن وأنا مسافر والقراءة أعطتنى نظرة داخلية عن كيف يفكرون ويعملون. لا أعتقد أنهم يستطيعون فهمنا عن طريق التوراة. أعجبت كثيراً ببعض نواحى الإسلام، خصوصاً التأكيد على حُسن الضيافة والوصول إلى الحاكم. أيضاً بدأت أفهم وجهة نظرهم عن إسرائيل. لم أكن أعرف أبداً أنهم يرونها مستعمرة أمريكية. والآن أدرك أن العرب واليهود كانوا جميعاً فى الأصل شعوباً ساميّة لكن

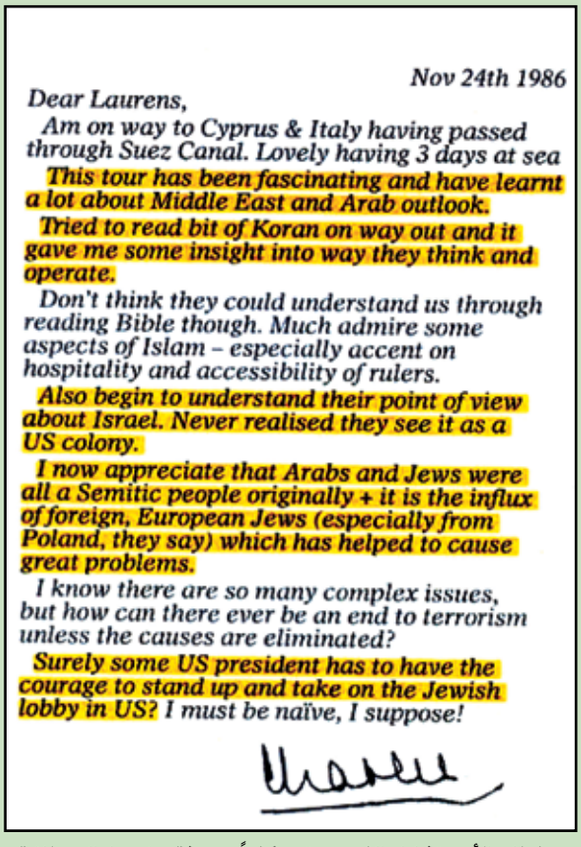

Nov 24th 1986

Dear Laurens,

Am on way to Cyprus & Italy having passed through Suez Canal. Lovely having 3 days at sea

This tour has been fascinating and have learnt a lot about Middle East and Arab outlook.

Tried to read bit of Koran on way out and it gave me some insight into way they think and operate.

Don't think they could understand us through reading Bible though. Much admire some aspects of Islam – especially accent on hospitality and accessibility of rulers.

Also begin to understand their point of view about Israel. Never realised they see it as a US colony.

I now appreciate that Arabs and Jews were all a Semitic people originally + it is the influx of foreign, European Jews (especially from Poland, they say) which has helped to cause great problems.

I know there are so many complex issues, but how can there ever be an end to terrorism unless the causes are eliminated?

Surely some US president has to have the courage to stand up and take on the Jewish lobby in US? I must be naïve, I suppose!

خطاب الأمير تشارلز الذى سربته مؤخراً صحيفة ديلى ميل البريطانية

تدفق اليهود الأوروبيين، خصوصاً من بولندا كما يقولون، أسهم فى خلق مشكلات كبيرة. أدرك أن هناك قضايا معقدة كثيرة ولكن كيف يمكن أن ينتهى الإرهاب إذا لم تنته أسبابه. بالتأكيد أى رئيس أمريكى يجب أن يملك الشجاعة للوقوف فى وجه اللوبى اليهودى فى أمريكا. لا بد أننى ساذج كما أتوقع».

فإذا كان هذا هو حال الأمير تشارلز المعروف بثقافته الرفيعة، فماذا الذى يمكننا أن نتوقعه من الرئيس ترامب ومعاونيه حديثى العهد بدهاليز الشرق الأوسط وتعقيداته؟

إن ترامب عليه أن يخشى من تحقق أحلامه، فقد تحقق الحلم وأصبح الرئيس لأقوى دولة فى العالم، وها هو يدخل على عملية السلام فأصابها فى مقتل، وليس من المؤكد أن يتحقق ما سبق أن راوده من أفكار النجاح فيما فشل فيه رؤساء آخرون، ولقد أساء إلى القضية عندما أوكل المهمة لكوشنر، صهره ومستشاره، مع افتقاره لأية خلفية عن القضية، وهو ما قوبل بالازدراء وقتها. وأحسب أن الرهانات سوف تثبت الأيام أنها كانت خاطئة، ومن أهمها أن الوقت قد حان، فى ظل استعداد الدول العربية لحل المسألة من أجل التركيز على إيران، التى يعتبرها التهديد الأكبر. فرغم أن التصور مقبول إلا أن العرب لن يقبلوا حلاً بأى ثمن. ومثلما تقول تمارا كوفمان ويتس، التى كانت مسئولة بوزارة الخارجية فى عهد أوباما، إن القادة الإسرائيليين والفلسطينيين «مقيدون بشدة» ليس فقط من قبل الائتلافات الحاكمة ولكن من قبل الجمهور. وأضافت: «يصعّب هذا حتى على القادة السياسيين تقديم تنازلات كبيرة فى ظل هذه الظروف».

يحول القضية من نزاع على الحدود إلى صراع دينى

أخطر ما فى قرار الرئيس الأمريكى دونالد ترامب بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس المحتلة هو أنه يهدد بتحويل القضية من نزاع على الأرض والحدود وعودة اللاجئين إلى صراع دينى، وهو أمر خطير للغاية، وللأسف فإن فكرة استعجال معركة هيرمجدون والتنبؤات بنهاية الزمان وعودة الْمَسِيح أصبحت رائجة داخل بعض الأوساط السياسية فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة، ولكن لايزال بعض اليهود العقلاء يحذرون من تحويل المسألة إلى صراع دينى.

سوزى الجنيدى
نائبة رئيس تحرير مجلة الأهرام العربى
elgeneidy_suzy@yahoo.com

بعض اليهود العقلاء يحذرون

الأمر المؤكد أن كل تلك النبوءات لم تكن وحدها السبب خلف قرار ترامب بنقل السفارة. فالرجل لديه تحقيقات جدية تقوم بها لجنة موللر حول مدى اتصال مقربين منه مثل نجله دونالد ترامب جونيور، أو زوج ابنته ومستشاره جاريد كوشنر، ومستشاره للأمن القومى السابق مايكل فلين بروسيا ومدى التأثير الروسى على نتائج الانتخابات الرئاسية التى فاز فيها على منافسته هيلارى كلينتون، وبالتالى فهو يحتاج لمساندة اللوبى اليهودى للخروج من هذا المأزق، خاصة وأنه درس مدى تفكك الوضع العربى حالياً وتوقع أن رد الفعل سيقتصر على التنديد والرفض، ولكن ترامب لم يحسبها جيداً لأن رد فعل الشارع العربى والإسلامى جاء متصاعداً ضد القرار وساندته أصوات عاقلة من اليهود أنفسهم خوفاً من تحويل المشكلة إلى صراع دينى يحصد الجميع.

وحيث شهد شاهد من أهلها كتب عوزى برعام، وهو زعيم سابق من زعماء حزب العمل الإسرائيلى أن ما يدعو للقلق هو حقيقة أن الليكود يرتبط منذ فترة طويلة بالرؤيا الخلاصية المسيحانية التى تزدهر فى الضفة الغربية. والذين يعتقدون أن يد الله هى المسئولة عن تصريح ترامب، وعليهم إرسال جنودهم لضمان استمرار العملية الخلاصية. فمن ناحيتهم الأمر يتعلق بإنجاز لله، ومن يعارضه يكون مخطئا. فكل عملية ديمقراطية هى أمر غريب لا تتلاءم مع أوامر الله.

ويضيف برعام أن الخطر يكمن فى الحكومة التى تصفق لتصريحات تحظى بتفسير خلاصى مسيحانى. ويؤكد أن إسرائيل يمكنها الازدهار فقط إذا فهم زعماؤها ومواطنوها أنه يجب فصل النزاع عن المعتقدات التى تؤدى إلى حرب دينية وإقامة دولة واحدة، التى رغماً عنها ستكون دولة أبارتهايد، مؤكداً أنه لم يستطع البناء على ذلك، أو أن يحتفل بهدية جاءت من أشخاص عديمى المسئولية يمكن أن يجروا الجميع إلى الكارثة.

أما هنرى سيجمان كبير أعضاء ورئيس مشروع الشرق الأوسط بمجلس العلاقات الخارجية، والذى برغم كونه يهودياً من أصل ألمانى، إلا أن آراءه كانت دائماً متوازنة ومؤيدة بشدة لحق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم المستقلة. فقد أشار فى حديث سابق معى إلى أن حل الدولتين قد انتهى تماماً مؤكداً أن ترامب أحمق وكاذب، وحذر من تحول الصراع إلى صراع دينى مشيراً إلى أن الفلسطينيين ليس أمامهم سوى محاولة الحصول على حقوق متساوية داخل دولة إسرائيل، ومشيراً أيضاً إلى أن الأمر يهدد بتحويل المسألة من صراع على الأراضى والحدود والسياسة الوطنية إلى حرب دينية. ويتذكر أنه عندما التقى فى عدة مناسبات مع العاهل السعودى الراحل الملك عبد الله بن عبد العزيز قبل أن يعلن عن مبادرة السلام أنه قال له ولوفد مشروع الشرق الأوسط بمجلس العلاقات الخارجية الأمريكى أن الصراع الفلسطينى الإسرائيلى يمكن أن يحل طالما هو صراع سياسى. ولكن إذا تحول إلى صراع دينى فإن الله يساعدنا جميعاً. وهذا هو الإدراك

لديه الذى دفعه إلى تقديم مبادرته للسلام. ويؤكد سيجمان أن هذا النوع من الحرب الدينية هو ما قد يكون ترامب قد حققه بقراره المتهور بشأن القدس.

أساطير غريبة

والجدير بالذكر فإنه وفقاً لأحد التفسيرات المسيحية، فإن المسيح سيعود إلى الأرض ويهزم الدجال أو النبى الكاذب فى معركة هيرمجدون، بعد إطلاق سراح الشيطان من الهاوية والذى سيستعين بيأجوج ومأجوج من زوايا الأرض الأربعة، وسيعسكرون فى «المدينة الحبيبة» المحيطة «بالقديسين» (وهذا يشير إلى القدس) ولكن ستأتى النار من عند الله، من السماء وتلتهم يأجوج ومأجوج والشيطان، وهى عقيدة مسيحية ويهودية مشتركة، تؤمن بمجئ يوم يقع فيه صدام بين قوى الخير والشر، وسوف تقوم تلك المعركة فى أرض فلسطين فى منطقة مجدو، متكونة من مائتى مليون جندى يأتون لوادى مجدو لخوض حرب نهائية.

ويذكر أنه فى عام 1984 أجرت مؤسسة يانكوفينش استفتاء أظهر أن 39٪ من الشعب الأمريكى أى حوالى 85 مليون مواطن يعتقدون أن حديث الإنجيل عن تدمير الأرض بالنار- قبل قيام الساعة- هو حديث عن حرب نووية فاصلة. وعند المسلمين فإن هناك إيماناً بمعركة كبرى فى آخر الزمان تقع بين المسلمين واليهود دون الإشارة إلى اسم هرمجدون تحديداً، وينتهى الأمر بانتصار المسلمين فى المعركة.

وللأسف يتسابق بعض رجال السياسة فى الولايات المتحدة حالياً إلى تثبيت فكرة المعركة بتفسيرها اليهودى للحصول على مكاسب سياسية، وتنفيذاً لمآرب الصهيونية العالمية وإرضاءً لدولة إسرائيل العنصرية. وفى هذا الصدد تقول الكاتبة الأمريكية جريس هالسل فى كتابها النبوءة والسياسة: «إن النبوءات التوراتية تحولت فى أمريكا إلى مصدر يستمد منه عشرات الملايين من الناس نسق معتقداتهم ومن بينهم أناس يرشحون أنفسهم لانتخابات الرئاسة الأمريكية وكلهم يعتقدون قرب نهاية العالم ووقوع معركة هرمجدون، ولهذا فهم يدعمون التسلح النووى ويشجعون وقوع هذه المعركة باعتبار أن ذلك سيقرب مجيء المسيح».

وقد شارك فى هذا التوجه تقارير لمنظمات دولية تشير إلى وجود هيئات وجمعيات سياسية وأصولية فى الولايات المتحدة وكل دول العالم تتفق فى أن نهاية العالم قد اقتربت، وأننا نعيش الآن فى الأيام الأخيرة السابقة على معركة هرمجدون، وهى المعركة الفاصلة التى تبدأ بقيام العالم بشن حرب ضد إسرائيل، وبعد أن تنهزم يأتى المسيح ليحاسب الأعداء ويحقق النصر، ثم يحكم العالم لمدة ألف عام يعيش العالم فى حب وسلام كاملين.

سوف تظل القدس لنا

في السادس من ديسمبر 2017 وبينما لم تجف بعد دموع العالم العربي والإسلامي من البكاء في الذكرى المائة لوعد بلفور المشئوم خرج علينا الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بنكبة جديدة، وشهدنا بعد ذلك الفيتو الأمريكي فى مجلس الأمن وتمرير قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإبطال قراره، واشتعلت الأوضاع ميدانياً في الأراضى المحتلة.

منى الدالى

monamdaly@yahoo.fr

فقد اختار ترامب أن يصدق على قرار تم تأجيله خلال 22 عاماً لهوله وتداعياته السلبية الجمة. أعلن ترامب نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس وبالتالى اعتراف الولايات المتحدة رسمياً بالقدس عاصمه لإسرائيل.

فى عام 1995, تبنى الكونجرس الأمريكى بأغلبية كبيرة قانون سفارة القدس الذى نص على ضرورة نقل السفارة الأمريكية إلى القدس فى سقف زمنى لا يتجاوز مايو 1999. إلا أن ذلك القانون تضمن بنداً يسمح للرئيس الأمريكى بتوقيع إعفاء مدة ستة أشهر إذا رأى أنه ضرورى لـ «حماية المصالح الأمنية القومية الأمريكية». ومنذ إدارة الرئيس بيل كلينتون، والإدارات الأمريكية المتعاقبة توُقّع الإعفاء تلقائياً كل ستة أشهر، على الرغم من أنهم كانوا قد وعدوا بوصفهم مرشحين بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

واليوم ذيل ترامب القرار بإمضائه. وتوالت ردود الأفعال والتحركات الدبلوماسية فى أعقابه. ففى حين أعلن الرئيس الفلسطينى محمود عباس خروج واشنطن بهذا القرار من دائرة عمليه السلام أعرب رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو عن فخره بالرئيس الأمريكى الذى اتخذ قراراً تاريخياً. وأعلنت مصر منذ اليوم الأول تمسك العرب بحقهم فى القدس الشرقية وصرح وزير الخارجية سامح شكرى أن هذا القرار من شأنه أن يعقد الوضع ويعرقل عملية السلام. وتقدمت مصر بطلب لمجلس الأمن لوقف القرار الأمريكى فى محاولة منها للتمسك بالشرعية الدولية. ورغم دعم أربع عشرة دولة لمسودة القرار إلا أن النقض الأمريكى أو حق الفيتو أوقف إصداره. وهى نتيجة متوقعة ولكنها تظهر مدى العزلة الدولية للولايات المتحدة التى باتت تمثل رمزاً للتعسف فى استخدام القوة على المستوى الخارجى.

وتجدر الإشارة إلى أن إسرائيل كانت قد احتلت القدس الغربية عام 1948، وأعلنتها عاصمة لها عام 1949، فى خطوة رفضها المجتمع الدولى، بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، ثم احتلت القدس الشرقية عام 1967. وتنص القرارات الدولية على أن القدس الشرقية التى تقع ضمن حدودها الأماكن المقدسة لليهود والمسيحيين والمسلمين، أرضٌ محتلة، وهى الجزء الذى يريده الفلسطينيون عاصمةً لدولتهم، وترفض إسرائيل ذلك.

وعلى الرغم من محاولة الإدارة الأمريكية التقليل من خطورة القرار، فما لم يقله ترامب ولا مسئولو إدارته هو أنّ إسرائيل ترفض منذ عام 1967 الاعتراف بحق الفلسطينيين فى القدس الشرقية. كما أنّ ترامب برر قراره إعلان القدس عاصمة لإسرائيل بأنه يطبّق القانون الذى أصدره الكونجرس عام 1995 .

وينص هذا القانون على أنّ مدينة القدس «يجب أن تبقى موحدة»، و»ينبغى الاعتراف بها عاصمةً لدولة إسرائيل»، ومن هنا، يصبح أيّ حديث عن أنّ قرار ترامب لا يتضمن مصادرة لحق الفلسطينيين فى مناقشة قضايا الوضع النهائى، ومن ضمنها القدس، فى المفاوضات، مناف للدقة والصحة. ولا ننسى أن القدس هى الكتلة الأكثر تعداداً والأكبر مساحة فى الضفة الغربية. والاستمرار فى طمس هويتها عن طريق تهويدها وإنشاء المستعمرات بها هى خطة مدروسة وتنفذ بدقة فهكذا تحكم إسرائيل قبضتها على مساحات أكبر من الأرض وبدعم أمريكى مطلق وتؤكد سياسة الأمر الواقع المرفوضة.

وبعد توقيعه لهذا المرسوم ولأول مرة منذ وصوله إلى الرئاسة يعلن ترامب دعمه حل الدولتين، غير أنّ دعمه هنا جاء مشروطاً بموافقة الطرفين وهو ما يعيد المفاوضات إلى مربعها الأول، ويمنح حق النقض لإسرائيل التى ترفض الاعتراف بدولة فلسطينية. وليس سراً أن قرار ترامب بخصوص القدس لم يكن محل توافق بين مستشاريه الرئيسيين؛ ففى حين عارضه وزير الخارجية، ركس تيلرسون، والدفاع، جيمس ماتيس، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، مايك بومبيو، فقد أيّده كلّ من نائب الرئيس، مايك بينس، والسفيرة الأمريكية فى الأمم المتحدة،

نيكى هالى، وسفير الولايات المتحدة فى إسرائيل، ديفيد فريدمان. كما أيده أيضاً، صهره ومستشاره جاريد كوشنر، والمبعوث الأمريكى الخاص للسلام فى الشرق الأوسط، جيسون جرينبلات.

تتمثل حجج معارضى هذا القرار فى أنه قد يمثّل تهديداً للمصالح الأمريكية فى المنطقتين العربية والإسلامية، كما أنه قد يضعف الرعاية الأمريكية للمفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية ويفشل أى مقترحات للسلام تعمل عليها، وربما يفجرها عبر الانجرار إلى جولة جديدة من العنف فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، فضلاً عن أنه قد يساهم فى عزل أمريكا دبلوماسياً. فى المقابل، جادل الطرف المؤيد للقرار بأن إعلاناً من هذا النوع سيعزز مصداقية ترامب بين الإسرائيليين، وبناءً عليه، يُمَكِّنُه من المناورة مع حكومة نتنياهو اليمينية فى حال طرحت الإدارة الأمريكية إطاراً لاتفاق نهائى مع الفلسطينيين.

لماذا اتخذ ترامب قرار نقل السفارة؟

حاول ترامب أن يضع قراره فى إطار الالتزام بالقانون الذى أقره الكونجرس عام 1995. ولكن هناك بعد شخصى فى قرار ترامب، فهو لم ينفذ أياً من وعوده الانتخابية تقريباً، ما يتناقض مع ميله إلى الظهور بمظهر الرئيس القوى الذى يتخذ قرارات لا يجرؤ غيره على اتخاذها، والذى وجد فى قضية فلسطين تحديداً فرصةً لممارسة هذا الميل. لكن هناك أيضاً رغبته فى إرضاء جمهوره وقاعدة دعمه الانتخابية ليس فقط من اليهود ولكن أيضاً من الإنجيليين الذين يمثلون 25% ممن انتخبوه. ومن المعروف أن هذه الطائفة تؤيد القرار بناء على مرجعية دينية تنتظر عودة المسيح وإيمان اليهود به هذه المرة كمخلص لهم. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا القرار من شأنه منح ترامب القوة والدعم اللازمين للترشح لفترة رئاسية ثانية. إذاً هو قرار يصب فى مصلحته السياسية على الصعيد الداخلى أكثر منه محاولة للتواجد دولياً بشكل مؤثر.

الرهان على إرادة الشعوب:

وتبزغ هنا إرادة الشعب الفلسطينى وقدرته على الصمود والضغط كمحرك أساسى فى القضية. فقد اشتعلت المظاهرات المنددة والغاضبة من هذا القرار فى الأراضى المحتلة وسقط عدد من الشهداء برصاص الجيش الإسرائيلى فى مشهد يتكرر كثيراً فى كل مرة يتعرض فيها الفلسطينيون للظلم والقهر. ولكن بصمودهم هذا يتم الضغط على قوى الاحتلال لقبول حلول لم تنجح الحكومات فى طرحها. رأينا ذلك مع الانتفاضة الفلسطينية الأولى أو انتفاضة الحجارة من ديسمبر 1987 إلى نهاية عام 1993 والانتفاضة الثانية أو انتفاضة الأقصى التى اندلعت عام 2000. وهو ما يحدث حالياً إذ أعلن ترامب أن نقل السفارة لن يتم فى الحال وربما يستغرق سنتين كما ألغى نائبه مايك بنس زيارة المنطقة بعد أن شعرت الولايات المتحدة أنها ضيف غير مرغوب فيه.

ولقد شاهدنا جميعاً الفتاة الفلسطينية «عهد التميمي» المناضلة ذات الستة عشر عاماً من قرية النبى صالح قرب رام الله، وهى تقاوم بأيديها الصغيرة جنود الاحتلال الذين اقتحموا منزلها لمصادرة بعض أجهزة الكمبيوتر والمحمول ثم اعتقلوها وقدموها للمحاكمة ورفضت المحكمة الإسرائيلية الإفراج عنها، فقد أضحت أيقونة للمقاومة الشجاعة الرافضة لاحتلال عسكرى غاشم مستمر منذ خمسين سنة. إن عهد التميمى تمثل جيلاً جديداً من المقاومين الأبطال، ورغم ذلك لم تحظ عهد بالاهتمام الإعلامى الدولى الذى حظيت به ملالى يوسفزاى الباكستانية التى منحوها جائزة نوبل، وأسباب التفرقة بين الفتاتين معروفة ومفهومة، وإن كانت غير عادلة.

ورغم مصادرة إسرائيل لأكثر من 66% من أراضى الفلسطينيين بالقدس الشرقية فإن الشعار الذى ما زال يرفعه ويؤمن به الشعب الفلسطينى، ونحن معه، فى خضم صموده بعيداً عن حسابات السياسيين هو «القدس لنا».

الشرعية الدولية فى مواجهة الأمر الواقع

يمثل قرار الرئيس الأمريكى ترامب فى السادس من ديسمبر 2017 بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس خطوة خطيرة تحمل تداعيات سلبية كبيرة على عملية السلام وعلى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، وتمثل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولى ولقرارات مجلس الأمن التى تمثل الشرعية الدولية الضامنة لحقوق الفلسطينيين.

د.أحمد سيد أحمد

خبير العلاقات الدولية فى الأهرام

ahmedsaidahmed@hotmail.com

مصر والدفاع عن الثوابت الفلسطينية:

شكلت قضية القدس أحد أبرز الثوابت فى السياسة الخارجية المصرية على مدى عقود طويلة، ليس فقط كجزء من الالتزام المصرى بحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة وعلى رأسها حقه فى إقامة دولته المستقلة وفقاً لحدود عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، ولكن أيضاً باعتبار القدس رمزاً عربياً وإسلامياً إلى جانب كونه فلسطينياً، وكذلك أيضاً لأن أى تغيير بوضعية القدس العروبية من شأنه ليس فقط أن يقوض إمكانية تحقيق السلام العادل والشامل بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ولكنه يقوض الأمن والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط الملتهبة أساساً بصراعاتها وأزماتها وتحدياتها وعلى رأسها خطر الإرهاب والتنظيمات الإرهابية.

ترتكز الرؤية المصرية على أن القضية الفلسطينية هى أم القضايا وأنها مفتاح تحقيق الاستقرار والأمن فى المنطقة ومن ثم فإن غياب حل عادل وشامل ودائم لها من شأنه أن يغذى بيئة عدم الاستقرار ويفجر الأزمات الأخرى. وينبنى الموقف المصرى على أسس واضحة وهو أن حل القضية ينبغى أن يكون فى إطار السلام العادل أى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس الشرقية وتشمل الضفة الغربية وقطاع غزة وحق عودة اللاجئين ووفقاً لحل الدولتين، وبالتالى فإن أى صيغ أخرى للسلام، كما هو الحال على الطريقة الإسرائيلية، والذى يتمثل فى مجرد إقامة دويلة فلسطينية أشبه بحكم ذاتى وكانتونات معزولة فى الضفة الغربية وغزة تقطع أوصالها المستوطنات الإسرائيلية واعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، لن يجدى أو يحقق التسوية النهائية والشاملة لهذه القضية المزمنة منذ أكثر من نصف قرن.

ورغم أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة أجلت تنفيذ قرار الكونجرس بنقل السفارة الأمريكية لأكثر من عقدين من الزمان فى إطار ترك تقرير مصيرها لمفاوضات السلام التى ترعاها الولايات المتحدة رسمياً منذ انطلاقها فى مدريد عام 1991، فإن إقدام الرئيس ترامب على اتخاذ مثل تلك الخطوة يحمل تداعيات خطيرة، فرغم أنه لن يغير من الوضع القانونى للقدس، إلا أنه يؤجج حالة عدم الاستقرار فى المنطقة ويدفع باتجاه تفجر انتفاضة فلسطينية جديدة، كما أنه يعنى إعلاناً رسمياً بوفاة عملية السلام التى تعيش حالة من الموت السريرى منذ سنوات بسبب التعنت والمراوغة الإسرائيلية ورفض تقديم تنازلات جوهرية وحقيقية وإعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة، ونتيجة للانحياز الأمريكى لوجهة النظر الإسرائيلية. كما أنه يفقد الثقة فى حيادية الدور الأمريكى كراعٍ نزيه لعملية السلام ويعطى الضوء الأخضر للحكومة الإسرائيلية للتمادى فى سياسة التحدى وتنفيذ مخططاتها فى التهويد وابتلاع الأراضى الفلسطينية، إضافة إلى أنه يعطى الذريعة والمبررات للتنظيمات المتشددة التى سعت لتوظيف الورقة الفلسطينية لخدمة أجنداتها ومصالحها. وعلاوة على ذلك قد يدفع دولاً أخرى لنقل سفاراتها إلى القدس.

ولذلك كان حرص مصر وتحذيراتها من خطورة وعواقب الخطوة الأمريكية، والتحرك على مسارات عديدة لمنع تصاعد العنف سواء عبر الاتصالات المتواصلة مع الإدارة الأمريكية وآخرها اتصال وزير الخارجية سامح شكرى بوزير الخارجية الأمريكى تيلرسون

والتحذير من مغبة وخطورة قرار نقل السفارة، أو عبر التحرك على المستوى الدولى والعربى لحشد الدعم العالمي للقضية الفلسطينية خاصة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، أو على مسار توحيد الصف الفلسطيني وتحقيق المصالحة بين فتح وحماس وإنهاء حالة الانقسام التى استمرت لعقد من الزمان كان الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية هى الخاسر الأكبر. ولذلك تظل القدس الشرقية كعاصمة للدولة الفلسطينية أحد أبرز الثوابت المصرية تجاه الشعب الفلسطيني ودعمه ومساندته حتى ينال كامل حقوقه المشروعة وهو ما يشكل صمام أمان ضد المحاولات الإسرائيلية والخطوات الأمريكية للقضاء على ما تبقى من القضية الفلسطينية.

الشرعية الدولية سلاح الفلسطينيين فى مواجهة قرار ترامب:

فى مقابل سياسة الأمر الواقع التى سعى ترامب لتكريسها فإن الشعب الفلسطيني يمتلك أهم سلاح وهو الشرعية القانونية والموقف الدولى الداعم له فقد عقد مجلس الأمن الدولى يوم الجمعة 8 ديسمبر2017، جلسة طارئة لبحث القرار الأمريكى بالاعتراف بشكل أحادى بالقدس عاصمة لإسرائيل. وباستثناء تأييد مندوبة واشنطن للقرار، فقد أدانت ورفضت كل دول المجلس الخطوة الأمريكية وأكدت أن القدس الشرقية هى مدينة محتلة كما أكدت على حل الدولتين. كما رفضت الدول الكبرى قرار ترامب وحذرت أيضاً من تداعياته، حيث اعتبرت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماى أن «لندن لا توافق على قرار ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لدولة إسرائيل قبل التوصل إلى اتفاق نهائى حول وضعها»، مؤكدة «أن مقر السفارة البريطانية فى إسرائيل هو تل أبيب وليس هناك أى خطة لنقلها». ووصف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قرار ترامب بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل بأنه «مؤسف» وأشار: «لا توافق فرنسا على قرار الولايات المتحدة، وتؤيد الحل القائم على وجود دولتين، إسرائيل وفلسطين، تعيشان فى سلام وأمن، وعاصمتهما القدس». وأعاد ماكرون تأكيد موقفه الرافض لقرار ترامب خلال لقائه برئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو فى باريس يوم الأحد 10 ديسمبر 2017. وأكدت المستشارة الألمانية إنجيلا ميركل أن حكومتها لا تدعم قرار الرئيس ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل. ودعا الاتحاد الأوروبي إلى استئناف عملية سلام هادفة فى اتجاه حل الدولتين، وأكد «أنه طريق لا بد من التوصل إليه عبر المفاوضات لحل وضع مدينة القدس كعاصمة مستقبلية لكلا الدولتين حتى يمكن تحقيق تطلعات كلا الطرفين». وطالب البابا فرانسيس بابا الفاتيكان بضرورة احترام الأوضاع القائمة فى مدينة القدس المحتلة، طبقاً للقرارات الصادرة عن الأمم المتحدة.

ويمثل الموقف الدولى والأوروبى الرافض لقرار ترامب إقراراً بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ورفض تغيير وضع القدس كمدينة محتلة بما يحافظ على الشرعية القانونية لها، كما أنه يعزل الخطوة الأمريكية ويجعلها مجرد سلوك أحادى لا يرتب أية آثار قانونية أو سياسية. كما يشكل الموقف الدولى ظهيراً قوياً للموقفين العربى والإسلامى فى مواجهة قرار ترامب وإجهاضه على أرض الواقع ويضع كلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل فى عزلة دولية وفى مواجهة المجتمع الدولى بأكمله وهو ما يفرغ الخطوة الأمريكية من مضمونها. إضافة إلى أنه يمكن

الشرعية الدولية فى مواجهة الأمر الواقع

توظيف الموقف الدولى فى دعوة دول العالم إلى الاعتراف بالقدس الشرقية كعاصمة للدولة الفلسطينية، وكذلك منع الدول الأخرى من حذو السلوك الأمريكى فى نقل سفاراتها للقدس.

ويعتبر قرار ترامب خروجاً واضحاً على الشرعية الدولية والمرجعيات القانونية الداعمة لحقوق الشعب الفلسطينى ولوضعية القدس الشرقية كمدينة محتلة من قبل إسرائيل عام 1967، فمن بين عشرات القرارات الدولية حول القدس هناك العديد من القرارات المحددة التى تنص بشكل واضح على عدم شرعية ما تقوم به إسرائيل تجاه تغيير وضع القدس وأبرزها: قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181 لسنة 1947، والذى صوتت الولايات المتحدة لصالحه والذى على أساسه قامت دولة إسرائيل، حيث نص القرار على إقامة دولتين أحدهما عربية وأخرى يهودية وأن يكون وضع القدس تحت إدارة دولية لتقرير مصيرها. ونص القرار 242 لسنة 1967 الصادر عن مجلس الأمن، على انسحاب إسرائيل من كل الأراضى التى احتلتها بعدوانها في الخامس من يونيو من هذا العام ومنها القدس. وأكد قرار مجلس الأمن رقم 267 لعام 1969 أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية والأعمال التي اتخذتها «إسرائيل» من أجل تغيير وضع القدس، بما في ذلك مصادرة الأراضي والممتلكات، هى أعمال باطلة ولا يمكن أن تغير وضع القدس، وطالب إسرائيل بإبطال جميع تلك الإجراءات وأن تمتنع

عن اتخاذ أية إجراءات مماثلة فى المستقبل. ورفض القرار 478 لسنة 1980 الاعتراف بقرار الحكومة الإسرائيلية بضم القدس الشرقية وإعلان القدس عاصمة موحدة لإسرائيل واعتبره انتهاكاً للقانون الدولى، ودعا القرار الدول الأعضاء إلى سحب بعثاتها الدبلوماسية من المدينة. وقد سحبت بالفعل غالبية الدول بعثاتها الدبلوماسية من القدس، ومن ثم فإن إعادة أية دولة لبعثتها الدبلوماسية للقدس، بما فيها البعثة الأمريكية، يمثل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولى ولقرارى مجلس الأمن 476 و478. وأكد قرار مجلس الأمن رقم 605 لعام 1987 على انطباق اتفاقية جنيف لعام 1949 على الأراضى المحتلة بما فيها القدس الشرقية بما يعنى عدم شرعية أى إجراءات تقوم بها سلطات الاحتلال لتغيير وضع المدينة.

وأخيراً نص القرار 2334 لسنة 2016 الصادر عن مجلس الأمن، على عدم الاعتراف بأية تغييرات تجريها إسرائيل على خطوط عام 1967 ومنها القدس الشرقية، وأن إنشاء إسرائيل للمستوطنات فى الأراضى الفلسطينية المحتلة منذ ذلك التاريخ، بما فيها القدس الشرقية، ليس له أية شرعية قانونية. وطالب القرار إسرائيل بوقف فورى لجميع الأنشطة الاستيطانية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية.

فضلاً عن العديد من القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة مثل القرار رقم69/90 لعام 2014 الذى يؤكد الضرورة الملحة لإنهاء الاحتلال الإسرائيلى الذي بدأ فى عام 1967 بصورة تامة. وكذلك القرار الصادر من الجمعية العامة قبل أيام قليلة من إعلان ترامب بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس والذى أكد أنه «لا صلة للقدس بإسرائيل» والصادر بأغلبية 151 دولة مقابل امتناع تسع دول ورفض ست دول فقط، ونص على أن «أى خطوات تتخذها إسرائيل كقوة احتلال لفرض قوانينها وولايتها القضائية وإدارتها فى مدينة القدس غير مشروعة وتعتبر لاغية وباطلة ولا شرعية لها».

المسارات العربية للتحرك لمواجهة قرار ترامب:

أولاً: التحرك الدبلوماسى الدولى

مطار القدس بفلسطين

من خلال مجلس الأمن لاستصدار قرار من المجلس برفض القرار الأمريكى، فى ظل تأييد الدول الكبرى الأخرى مثل روسيا وبريطانيا وفرنسا والصين وبقية أعضاء المجلس والتى رفضت بالإجماع قرار ترامب فى الجلسة الطارئة للمجلس عقب إعلان ترامب، وهو ما يبطل قانونية القرار الأمريكى من ناحية، ويجعله مجرد خطوة أحادية وسلوك انفرادى لا يؤسس لأى وضع قانونى ميدانياً كما أنه يزيد من عزلتها ومعها حليفتها إسرائيل والمجتمع الدولى ويظهر أن الولايات المتحدة تضرب بالقانون الدولى والشرعية الدولية عرض الحائط.

ثانياً: توظيف حالة الزخم والتأييد الدولى للحقوق الفلسطينية والرافض لقرار ترامب وهو ما عبر عنه أغلب زعماء العالم، فى إيجاد حالة من التلاحم والتنسيق بين الموقف العربى الرافض والغاضب والذى عبر عنه بيان الاجتماع الوزارى الطارئ للجامعة العربية، وبين الموقف الدولى الرسمى والشعبى لتشكيل جبهة ضغط عربية ودولية على الولايات المتحدة للتراجع عن قرارها أو تجميده لحين تقرير مصير القدس وفقاً للمفاوضات وعملية السلام، أو فى أسوأ الاحتمالات نقلها للقدس الغربية ذات الغالبية اليهودية، لأن القدس الشرقية هى محل الصراع والتى احتلتها إسرائيل عام 1967 والتى تضم الأماكن المقدسة التى تخص أصحاب الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام والتى يزيد أتباعها عن أكثر من ثلاثة مليارات ونصف شخص.

ثالثا: التحرك المضاد لقرار ترامب عبر دعوة بقية دول العالم إلى الاعتراف بالقدس الشرقية كعاصمة للدولة الفلسطينية، وكذلك استصدار قرار بالاعتراف بالقدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية، خاصة والشرعية الدولية المتمثلة فى القانون الدولى وقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة ومنظمة اليونسكو فى صالح الشعب الفلسطيني، إضافة إلى أن العديد من دول العالم وبرلماناتها، كما حدث فى العديد من البرلمانات الأوروبية، اعترفت فى السابق بالدولة الفلسطينية، كذلك التحرك المبكر والسريع دبلوماسياً لمنع أن تقوم دول أخرى بحذو السلوك الأمريكى وتنقل سفاراتها إلى القدس.

رابعاً: اللعب بورقة المصالح العربية والإسلامية مع الولايات المتحدة وتوظيف أوراق المصالح الاقتصادية فى الضغط على إدارة ترامب، وهو المدخل الصحيح للتعامل مع تلك الإدارة التى تجهل الأوضاع المعقدة فى الشرق الأوسط والطبيعة الخاصة لمدينة القدس ومكانتها ليس فقط لدى العرب والمسلمين بل أيضاً المسيحيين.

وأخيراً: التحرك ليس فقط على صعيد مواجهة قرار ترامب ولكن أيضاً الأهم التحرك على العودة لأصل القضية وهو إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للقدس الشرقية والأراضى الفلسطينية المحتلة وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

الأسباب والتداعيات

موضوع نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ليس موضوعاً جديداً، فهو مطروح منذ أكثر من عقدين حينما اتخذ مجلس الشيوخ قراراً بتاريخ 1995/10/24 بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، واعتمد الكونجرس المخصصات المالية اللازمة للتنفيذ.

وقد أعطى مجلس الشيوخ الرئيس كلينتون الحق فى تأجيل تنفيذ القرار الذى أصبح قانوناً واجب التنفيذ من قبل السلطة التنفيذية (الرئيس) لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد إذا رأى الرئيس الأمريكى مصلحة فى ذلك بشرط أن يعلن الرئيس فى كل مرة يطلب فيها التأجيل أن طلبه يتفق مع دواعى الأمن القومى الأمريكى.

وقد أكد بيان صدر عن البيت الأبيض أن الرئيس الأمريكى لن يستخدم حق الاعتراض على القرار ولكنه لن يوقعه، وأكد البيان على أن عدم التوقيع لا ينفى أن يصبح القرار قانوناً ملزماً. ومن المعروف وفقاً للقواعد الدستورية فى الولايات المتحدة أن قرارات الكونجرس تكتسب قوة القانون إذا لم يوقعها الرئيس خلال عشرة أيام من تاريخ إرسالها إليه للتوقيع ما لم يردها مشفوعة بما يدل على ممارسته حقه فى الاعتراض على التشريع.

ولم يجرؤ أى من الرؤساء الأمريكيين منذ كلينتون وحتى أوباما على تنفيذ قرار الكونجرس، بل كان يتم تأجيله كل ستة أشهر بسبب التأثيرات السلبية المتوقعة على عملية السلام فى الشرق الأوسط وعلى العلاقات الأمريكية بالدول العربية والإسلامية.

أسباب اتخاذ ترامب للقرار:

هناك مبررات سياسية محلية حيث إن قرار ترامب هو هدية لناخبيه الأصوليين الإنجيليين، الذين وعدهم خلال حملته الانتخابية

د. علاء عبدالحافظ

استاذ العلوم السياسية بجامعة اسيوط

alaa1969_958@yahoo.com

بالاعتراف بالقدس ونقل السفارة إلى هناك. ومن المعروف أن مدينة القدس تحتل أهمية خاصة لدى الأصوليين منذ فترة طويلة، وازداد هذا الاهتمام فى أعقاب حرب يونيو 1967. فقد اعتبرت الحركة الأصولية المعاصرة أن احتلال إسرائيل للقدس كاملة فى تلك الحرب بمثابة تحقيق للنبوءة التوراتية، وإشارة لاقتراب نهاية الأزمنة، وأنشأت العديد من جماعات الضغط التى ركزت جهودها على الدعوة لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، ومن بينها منظمة السفارة المسيحية الدولية – القدس Inernational Christian Embassy – Jerusalem ، ومؤسسة جبل المعبد Temple Mount Foundation.

من ناحية أخرى، فمن المحتمل أن يكون المال وراء هذا القرار، فأحد أهم المتبرعين الجمهوريين هو الملياردير شيلدون أديلسون، والذى حث ترامب مراراً على نقل السفارة الأمريكية إلى القدس. وسيشهد العام المقبل انتخابات الكونجرس ومن المتوقع أن يرشح ترامب نفسه مرة أخرى فى عام 2020 وهذه الحملات الانتخابية المُكلفة بحاجة إلى مُمولين لها.

ومن الأمور التى سهلت من اتخاذ القرار فى الوقت الحالى الأزمات والحروب الراهنة فى المنطقة، والتى تصعب من اتخاذ موقف عربى موحد وقوى رداً على القرار.

مخالفة القرار للقانون الدولي:

إن قرار ترامب بنقل السفارة الأمريكية للقدس يخالف القرارات العديدة الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العامة التابعين للأمم المتحدة فى هذا الشأن. وهناك العديد من القرارات التى تخص بصفة خاصة وبالتحديد «القدس» كأرض عربية محتلة وتنص على تحريم وإبطال الإجراءات التى تتخذها دولة إسرائيل تجاه المدينة. وقد جاءت هذه القرارات منذ احتلال إسرائيل للقدس ولم تتوقف هذه القرارات، ومنها:

– قرارا الجمعية العامة فى 4 يوليو 1967 ، 15 ديسمبر 1972 اللذان أكدا على بطلان ما تقوم به إسرائيل من إجراءات فى القدس.

– قرارات مجلس الأمن التى أكدت بطلان الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لضم وتهويد القدس أو لتغيير وضعها القانونى، ودعت إسرائيل إلى إيقاف تلك الإجراءات وإلى الكف عن اتخاذ أى إجراءات يكون من شأنها تغيير الوضع القانونى للمدينة، وهى

قرارات مجلس الأمن 252 الصادر فى 1968/5/21، و267 الصادر فى 1969/7/3، و271 الصادر فى 1969/9/15، و298 الصادر فى 1971/9/25.

تلا ذلك إصدار مجلس الأمن للقرارات رقم 465 و476 و478 لعام 1980م، والتى تنص على بطلان القوانين الإسرائيلية التى تعتبر القدس عاصمة موحدة لإسرائيل، والرامية إلى تغيير الوضع القانونى للمدينة المقدسة.

ولكن إسرائيل لم تكف عنها ولم تلغ أياً من تلك الإجراءات غير القانونية فى المدينة، وتعتبر أن القدس عاصمة موحدة وأبدية لها، وأنها كانت كذلك منذ ثلاثين قرناً ويجب أن تظل كذلك، ولذلك دأبت إسرائيل (متحدية بذلك كل القرارات الدولية) على إخراج سكان القدس العرب، وإدخال أكبر عدد ممكن من اليهود إليها.

وبالإضافة إلى تناقض قرار ترامب مع قرارات الشرعية الدولية الخاصة بالصراع الإسرائيلي- العربى، والقضية الفلسطينية، فإنه يتناقض أيضاً مع الأعراف والقوانين الدولية التى لا تجيز اكتساب أراضى الآخرين بالقوة المسلحة، بالإضافة إلى تناقضه مع مبادئ الأمم المتحدة وميثاقها ومقاصدها المكرسة للحفاظ على السلم والأمن والدوليين.

وكما تبين قرارات الأمم المتحدة وبالأخص القرار 181 الخاص بالتقسيم والفصل الثالث فيه الخاص بتدويل القدس، فإن معظم القدس الغربية بالإضافة إلى ضواحيها هى مناطق عربية صرفة كانت فيها بلديات عربية مع سائر بلديات القدس العربية شرقاً وغرباً ، لولا الاحتلال اليهودى لتلك الأحياء عام 1948 بعد المذابح الدموية التى ارتكبتها الجماعات المسلحة الصهيونية فى دير ياسين وغيرها، وكان من نتيجتها نزوح أهل القدس وضواحيها عنها.

يخالف قرار ترامب أيضاً الاتفاقيات المبرمة بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، والتى كانت الولايات المتحدة شاهدة عليها وبخاصة اتفاقية أوسلو وإعلان المبادئ الفلسطيني- الإسرائيلى، ومع رسائل التفاهم والتطمينات التى أعطتها الولايات المتحدة راعية عملية السلام إلى منظمة التحرير والأطراف العربية الأخرى.

التداعيات المحتملة للقرار:

واجه القرار موجة عارمة من الرفض الدولى من جانب الدول العربية والإسلامية، وحتى من الدول الحليفة للولايات المتحدة الأمريكية كالدول الأوروبية، وشعبيًّا، لم يكن الغضب أقل حدة، فخرج الآلاف فى عواصم عدة تنديدًا بالقرار الأمريكى ورفضًا له. ولا شك أنه سيكون للقرار تداعيات سلبية على عملية السلام فى الشرق الأوسط وعلى مصداقية الولايات المتحدة كدولة راعية لتلك العملية، حيث يهدد القرار مقترح حل الدولتين، المنوط به صهر ترامب اليهودى المحافظ جاريد كوشنر، خاصة مع قيام إسرائيل بتكريس سياسة الأمر الواقع عبر بناء المستوطنات الإسرائيلية وخنق الأحياء المسلمة والمسيحية واختراقها بالأسوار الإسمنتية. كما سيكون للقرار تداعيات سلبية على جهود مكافحة الأيديولوجيات والتنظيمات المتطرفة كداعش، إذ يقدم مبررات للبعض فى تأييد الأفكار المتطرفة، وهو ما قد يؤدى إلى تقويتها، وربما تتعرض المصالح الأمريكية فى دول المنطقة للخطر.

أوراق الضغط العربية والإسلامية:

تندرج الخطوات المفترضة بين التحركات القانونية فى المنظمات الإقليمية والدولية، أو تلك المحلية ذات الصلة بالولايات المتحدة الأمريكية. وتبدو التحركات التلقائية فى دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن لاتخاذ قرار بعدم الاعتراف بالقرار الأمريكى، ومنع الدول من نقل بعثاتها الدبلوماسية إلى القدس. ومن الأوراق الأخرى التى يمكن استخدامها دعوة جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامى ومنظمة دول عدم الانحياز وكافة المنظمات الإقليمية والدولية؛ إلى اتخاذ آليات قانونية وقرارات لمواجهة القرار الأمريكى. يمكن أيضاً دعوة البرلمانات العالمية للضغط على الولايات المتحدة لكى تلتزم بتعهداتها السابقة المتعلقة بمدينة القدس، وفق قرارات الشرعية الدولية. كما أن التلويح بورقة الاقتصاد قد يكون مهماً، وذلك بالأخذ فى الاعتبار صفقات الأسلحة التى تبرمها الدول العربية والإسلامية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

انشـودة:

أنت العهـد وأنت المجـد

صدرت أغنية «أنت العهد» التى تحتفى بالفتاة الفلسطينية الأسيرة المحتجزة فى إسرائيل عهد التميمى التى اعتقلها جنود الاحتلال الإسرائيلى من داخل منزلها فى قرية النبى صالح قرب رام الله بعد انتشار ڤيديو لها وهى تقاوم وتطرد جنوداً إسرائيليين من منزلها، والتى أصبحت أيقونة صاعدة للنضال الفلسطيني.

وقد أهديت الأغنية إلى عهد، وإلى كل من حفظ العهد، من الأهل والأسرى والشهداء فى فلسطين الحبيبة، ولكل من بقى على العهد مع القدس وحق الفلسطينيين فى أرضهم ومقدساتهم. وهى غناء محمد بشار، ولحن خالد مصطفى، وكلمات بشار الحوامدة.

الكلمات:

أنت العهد وأنت المجد
شامخة كزيتون الأرض
منذ المهد وحتى اللحد
لا لا لا لن يدنس عرض
يا وطن مزروع فينا
يا مرساة لكل سفينة
نحن الجزر وأنت المد
يا شقراء الشكى المكسي
يا طاهرة كطهارة قدس
علمتى أجيالاً منا
كيف يثور الشعب المنسي
عيناك الزرقاء منارة
وطن يحضن كل حضارة
لا نامت عين الجبناء
أشعلت فى القلب شرارة.

مستقبل اليمن بعد صالح

دخلت الأزمة اليمنية فى تقديرى الشخصى منعطفاً خطيراً داخلياً وإقليمياً عندما لقى الرئيس السابق على عبد الله صالح مصرعه 4 ديسمبر 2017 على أيدى عناصر تابعة لأنصار الله الحوثيين فى إطار نهجه بالرقص على رؤوس الثعابين. وقد وصف عبدالملك الحوثى زعيم جماعة أنصار الله الحوثيين – الشريك الإستراتيجى لصالح منذ 2014 فى الحكم– مقتل صالح بأنه يوم استثنائى وتاريخى، بينما دعا الرئيس اليمنى عبد ربه منصور هادى إلى الانتفاض فى وجه الحوثيين ومقاومتهم مؤكداً أن الجيش اليمنى الموجود حول العاصمة صنعاء سيكون عوناً وسنداً.

سفير د. يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

تصاعد حدة الانقسام والتوتر

وقد أثار مقتل الرئيس صالح ردود فعل عديدة إقليمية ودولية، فمصر أعربت عن قلقها البالغ إزاء التطورات المؤسفة التى يشهدها اليمن الشقيق، والتى أسفرت عن مقتل الرئيس صالح على يد عناصر ميلشيات الحوثى فى تصعيد خطير لحدة الانقسام والتوتر، وأن تلك التطورات هى انعكاس آخر لخطورة الأزمة التى يمر بها اليمن خلال السنوات الأخيرة نتيجة الانقلاب على الشرعية والتدخلات الخارجية السلبية والتى أفضت إلى حلقة مفرغة من العنف يدفع ثمنها الشعب اليمنى الشقيق، وجددت مصر تأكيد موقفها الداعى إلى ضرورة الالتزام بالحل السياسى للأزمة اليمنية.

وعلى الرغم من أن صالح المولود فى قرية الأحمر فى 21 مارس 1942 قد اكتسب خبرات سياسية وعسكرية خلال فترة حكمه لليمن التى امتدت حوالى 33 عاماً وفى ظل ظروف سياسية داخلية وإقليمية معقدة، واستطاع أن يدير شئون البلاد بطريقة «الرقص على رؤوس الثعابين» إلا أنه لم يتمكن من السيطرة على التحالفات التى عقدها لإدارة اليمن مع الحوثيين. فقد شارك صالح مع أنصار الله الحوثيين منذ سبتمبر 2014 فى إدارة شئون اليمن من صنعاء من خلال تأسيس ما وصفه بالمجلس الأعلى لحكم اليمن – غير المعترف به دولياً– بعد اتفاقه مع زعيم جماعة أنصار الله الحوثيين على ذلك، وقاد حرباً ضد التحالف العربى لدعم الشرعية فى اليمن الذى تقوده السعودية والمعترف به إقليمياً ودولياً. وتجدر الإشارة إلى أن أنصار الله الحوثيين يعتبرون الرئيس السابق مسئولاً عن مقتل مؤسس الحركة حسين الحوثى عام 2004 وأن قتلهم لصالح يأتى فى إطار الثأر لزعيمهم.

وعلى الصعيد الميدانى، شهدت الأزمة اليمنية تطوراً نوعياً نتيجة مقتل صالح من جانب عناصر تابعة لأنصار الله الحوثيين، حليف على عبد الله صالح والشريك مع الحوثيين فى عضوية ما يسمى «المجلس الأعلى لحكم اليمن من صنعاء» غير المعترف به دولياً. وظل صالح يمارس دوراً رئيسياً فى الحكم والسيطرة على الأمور بمقتضى المبادرة الخليجية مقابل الحصانة القضائية لصالح وعائلته، إلا أن صالح ظل لاعباً رئيسياً ميدانياً وسياسياً وأمنياً على الساحة اليمنية.

تدهور أكثر من ذى قبل

فقد اعتبر الحوثيون أن دعوة صالح للحوار مع السعودية فى مطلع ديسمبر2017 خروجاً على التحالف الإستراتيجى بين صالح والحوثيين، واندلعت اشتباكات دموية بين الجانبين منذ بداية ذلك التحالف الذى عاصرته خلال خدمتى سفيراً لمصر لدى اليمن من صنعاء ثم عدن ثم الرياض منذ سبتمبر 2014 فى ظل ظروف صعبة. إذ تجدر الإشارة إلى أن مشاورات قد جرت لتشكيل مجلس عسكرى برئاسة العميد طارق محمد عبد الله صالح، نجل شقيقه، بعد مقتل صالح، إلا أن الحوثيين قتلوا طارق أيضاً طبقاً لبيان صادر عن حزب المؤتمر الشعبى العام – جناح صالح 5 ديسمبر 2017– وتجرى محاولات أيضاً تهدف إلى قيام النجل الآخر أحمد على عبد الله صالح بتشكيل ذلك المجلس، نقلاً من دولة الإمارات التى كان يقيم فيها. وفى رأيى أن مقتل صالح أثر بلا شك على سير الأزمة اليمنية التى تدهورت أكثر من ذى قبل، كما أنها أثرت من ناحية أخرى على حجم الاشتباكات التى زادت حدتها مع سقوط العديد من القتلى من المدنيين وغيرهم، والسؤال هو: «هل تستطيع الساحة اليمنية الداخلية فى صنعاء تشكيل

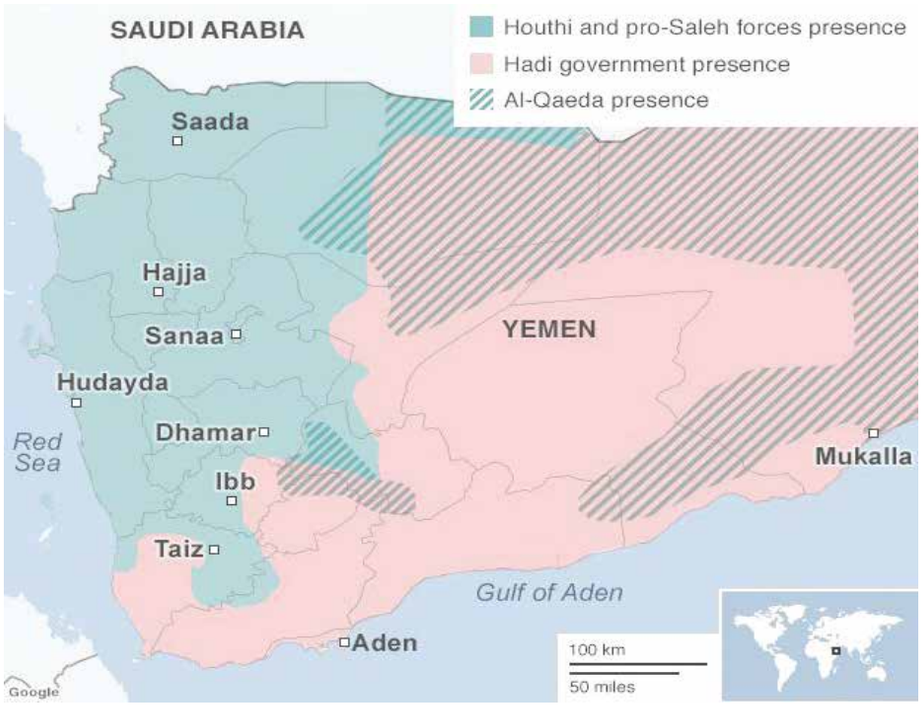

مستقبل اليمن بعد صالح

قوة سياسية – داخلية– أمام أنصار الله الحوثيين، أم ستستمر الساحة أمام أنصار الله الحوثيين لتحقيق شروطهم وأهدافهم.

كارثة إنسانية غير مسبوقة

وعلى المستوى الاقتصادى والإنسانى، فقد أدت الأزمة اليمنية منذ 2011 إلى كارثة إنسانية لسكان اليمن الذى يقدر حالياً بحوالى 27 مليوناً مع تفشى الفقر والمرض فى حوالى 22 مليوناً منهم وانتشار المجاعة وسط حوالى ثلاثة ملايين منهم، بالإضافة إلى انتشار وباء الكوليرا وسط حوالى ثلاثة ملايين يمنى. وتجدر الإشارة إلى استمرار ظهور المنظمات الإنسانية الدولية للأمم المتحدة وجهود مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية المختلفة وجهود مصر المتنوعة للدعم الإنسانى الإغاثى لليمن من خلال القوات المسلحة المصرية التى أرسلت عدة طائرات قمت بالتنسيق لإرسالها لليمن من خلال مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية وذلك وفقاً لتوجيهات الرئيس السيسى بدعم الشرعية فى اليمن. وتواصل مصر دعمها للشرعية فى اليمن من خلال أيضاً علاج أبناء اليمن فى مصر ووضع تيسيرات متعددة فى هذا الشأن للمرضى والدارسين وغيرهم.

أما على المستوى الإقليمى، فتشير بعض التقديرات إلى أن أنصار الله الحوثيين سيواصلون فى زيادة نفوذهم وإحكام السيطرة على بعض المناطق فى اليمن خاصة صنعاء وصعدة وتهديد الأمن القومى السعودى سواء من خلال الحدود المشتركة اليمنية السعودية أو بواسطة إطلاق صواريخ باليستية فى اتجاه الرياض، وهو الأمر الذى تشير بعض التقديرات إلى حصول الحوثيين على دعم إيرانى فى هذا الشأن.

أمن باب المندب خط أحمر

وأما فيما يخص تهديد باب المندب، ففى تقديرى أن مسألة تهديد الملاحة ستظل خطاً أحمر لأهميته للأمن القومى المصرى والعربى وعلى صعيد الملاحة الدولية خاصة وأن حوالى 38% من التجارة الدولية تمر عبر ذلك المجرى البحرى الدولى الإستراتيجى.

وأما على المستوى السياسى، ففى الواقع فإن مقتل صالح قد أعطى الفرصة لأنصار الله الحوثيين بالسيطرة الكاملة على عملية صنع القرار، وكذا على المؤسسات غير الرسمية التى ما زالت تمثل مركز الثقل الرئيسى الآخر الروحى والمعنوى فى صعدة معقل الحوثيين الأساسى. ولعل استمرار سيطرة الحوثيين على صنعاء سياسياً، تمتد فى الوقت الحالى ميدانياً وعسكرياً خاصة على الأجهزة السياسية والأمنية التى كان يسيطر عليها حزب المؤتمر الشعبى العام جناح صالح، برئاسته.

وفيما يخص مستقبل الأوضاع فى اليمن، ففى رأيى الشخصى سيظل أنصار الله الحوثيين فى موقع القيادة والسيطرة على صنعاء وبعض مناطق اليمن مرتبطة بعدة عوامل منها:

1 – مدى قدرة أنصار الله الحوثيين على خلق غطاء سياسى وقبلى وعسكرى وقاعدة اجتماعية بدلاً من الرئيس السابق صالح.

2– مدى قدرة حزب المؤتمر الشعبى العام على حل قضية الخلافة السياسية لصالح بإيجاد قيادة كاريزمية لتوحيد الحزب بعيداً عن المناورات والتكتيكات التى دارت خلال العقود الماضية.

3 – مدى قدرة العناصر الأخرى الناصرية، والقومية والإسلامية على الاستمرار فى مساندة ذلك الحزب وتجميع صفوفها فى الدعم السياسى والعسكرى والاقتصادى للحزب.

ويؤثر العامل القبائلى بشكل كبير على مستقبل تطورات الأوضاع، خاصة فى المناطق المحيطة بصنعاء، والمناطق الشمالية والوسطى فى اليمن، أما فى الجنوب فإن دور القبيلة ينحسر عن الشمال. كما يمثل دور الجيش والكتائب والفصائل العسكرية خاصة فى صنعاء والمحافظات الشمالية دوراً كبيراً فى المرحلة الحالية، ودور هذه الكتائب والفصائل فى تقييم الموقف والانضمام إلى الرئيس الشرعى عبد ربه منصور هادى رئيس الجمهورية.

وفى تقديرى الشخصى أن حزب المؤتمر الشعبى العام يستطيع تجميع صفوفه خاصة من خلال أعضاء الحزب فى الرياض والقاهرة والمحافظات اليمنية المختلفة، ذلك الحزب الذى أسسه صالح عام 1982، ويمتلك هذا الحزب أغلبية مجلس النواب ويميلون نحو الشرعية ويستطيعون تشكيل قوة سياسية

كبيرة تساند الشرعية، فضلا عن مدى قدرة القائد الميدانى البديل لصالح على تمكين الشعب اليمنى والقبائل اليمنية من القيام بدور رئيسى وحل خلافاتها مع التنظيمات السياسية الأخرى مثل التنظيم الناصرى والاشتراكى والإصلاحى وحلفاء صالح الذين انقلبوا عليه من قبل عبد الله الأحمر، والآخرين التابعين لنائبه السابق الفريق على محسن الأحمر والذى يشغل حالياً منصب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة اليمنية الشرعية. وفى رأيى فإن مستقبل اليمن وحل الأزمة اليمنية سيظل مرتبطاً بمدى قدرة القيادة اليمنية على إعلاء قيم الدولة الوطنية والمواطنة، وليس الولاء للقبيلة أو الزعيم، وأن تعلو مصالح الدولة اليمنية على المصالح القبلية والحزبية والأيديولوجية، والطائفية، وعدم تمكين التنظيمات المسلحة ومقاومة التطرف والإرهاب ووقف اختراقها لمؤسسات الدولة وتحقيق التنمية المتوازنة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والإنسانية.

الحل السياسى هو الأساس لحل الأزمة

أما عن أزمة الخلافة السياسية، فإن مستقبل الأوضاع فى اليمن بشكل عام، بعد مقتل صالح يتوقف أيضاً على مقدرة أحمد (نجل صالح، وهو سفير اليمن لدى الإمارات سابقاً، وقائد سابق للحرس الجمهورى اليمنى) على إدارة العمليات العسكرية الميدانية من صنعاء - وكما ذكر بعد اغتيال والده - وعلى توحيد صفوف الكتائب والفصائل العسكرية وأيضاً توحيد القبائل بشكل رئيسى، ومدى قدرته على التلاحم مع الرئيس الشرعى عبد ربه منصور هادى والفريق على محسن الأحمر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة اليمنية – وكان قائداً لقوات الأمن للرئيس السابق صالح– ودعم الرئيس عبدربه منصور هادى القائد الأعلى للقوات المسلحة اليمنية والذين يحظون بدعم التحالف العربى لدعم الشرعية فى اليمن خاصة دعم السعودية والإمارات المعترف به دولياً.

وفى تقديرى أيضاً أن وحدة اليمن وسلامة أراضيه واستقراره، وتحقيق الأمن فيه يرتبط فيما إذا كان البديل لصالح، ميدانيا، خاصة من صنعاء، لديه من القدرات الشخصية والمواهب للقيادة والسيطرة كلاعب أساسى، والتمتع بروابط قبائلية قوية ولديه مفاتيح المؤسسة العسكرية والأمنية تأسيساً وانتشاراً ويقود القاعدة الشعبية بروح وطنية وليست حزبية.

وأخيراً، وفى تقديرى فإن الحل السياسى هو الأساس لحل الأزمة اليمنية، ومن أجل القضاء على حالة الاحتراب الداخلية والمشاحنات بين القبائل والاقتتال بين الأحزاب، وحالة عدم الاستقرار السياسى والفقر والجوع والمرض الأمر الذى جعل الشعب اليمنى يدفع تكاليف باهظة إلى جانب تشريد ملايين من اليمنيين خارج وطنهم، ويجب أن ترتكز عناصر الحل السياسى للأزمة على مرجعيات أساسية منها قرار مجلس الأمن 2216 والمبادرة الخليجية، ومخرجات الحوار الوطنى، وعلى دعم جهود المبعوث الأممى إسماعيل ولد الشيخ، ورفض فرض الأمر الواقع بالقوة، فضلا عن دعم تحالف دعم الشرعية فى اليمن حماية للأمن القومى العربى، والأمن القومى المصرى، مع أهمية وضع حل ناجز للقضية الجنوبية، وعدم السماح بتهديد أمن السعودية الذى يرتبط ارتباطاً عضوياً بالأمن القومى المصرى، وحماية أمن الخليج والبحر الأحمر، والتنسيق والتعاون فى إطار مكافحة التطرف والإرهاب بكافة أشكاله فى اليمن.

إن أمن باب المندب يرتبط ارتباطاً عضوياً بالأمن القومى المصرى وأمن قناة السويس، والأمن القومى اليمنى، ومن ثم فإن مضيق باب المندب خط أحمر، ومن الضرورى توقيف الخارجين عن الشرعية ومنع استخدام الأراضى اليمنية كمنصة لتهديد الدول المجاورة والمنطقة والعالم، وكمسرح للعمليات الإرهابية، مع الشروع فى تنفيذ برامج عملية لإعمار اليمن فى مختلف المجالات وحل المشكلات الغذائية والصحية والتعليمية بشكل عاجل.

الطريق إلى التسوية فى سوريـــا

فى الرابع عشر من ديسمبر 2017 أعلن المبعوث الأممي إلى سوريا، ستيفان دي ميستورا، انتهاء الجولة الثامنة من المباحثات السورية فى جنيف دون تحقيق الأهداف المرجوة، إلا أن فشل جولة مفاوضات فى تحقيق تقدم ملموس لا يقلل من الفرص المتاحة والإنجازات التى تحققت فى الوضع السورى على مدى العامين الماضيين.

أ. د. نورهان الشيخ

أستاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة

nourhanelsheikh@feps.edu.eg

إن عـــودة سريعـــة بالذاكرة إلى الجولة الأولى من مباحثات جنيف تؤكد التقدم الكبير الذى تم، وهناك مجموعة من العوامل التى تهيئ ظروفاً مواتية لدفع عملية التسوية. أولها، زوال شبح «أفغنة سوريا»، وتحولها إلى حاضنة لمئات التنظيمات الإرهابية المتناحرة مع الدولة السورية، ومع بعضها البعض، وبؤرة تشـــع الإرهاب وعدم الاستقرار فى الشرق الأوســـط والعالم على النمط الأفغانى. فعلى مدى ما يقرب من خمس سنوات انهارت قوى الدولة السورية، وبدت تحتضر فى أنفاســـها الأخيرة، ومثل بدء الضربات الجوية الروسية فى سبتمبر 2015 «قبلة الحياة» لسوريا التى كادت أن تتحول إلى «دولة خلافة» مظلمة فكراً وممارســـة كلون علمها، يشع منها العنف والتطرف والإرهاب فى كل اتجاه. وقد أعلنت وزارة الدفاع الروســـية فى 6 ديسمبر 2017 تحرير أراضى سوريا من مسلحى «داعش»، وهو حصاد جهد ضخم من التخطيط والعمل الميدانـــى والضربات الجوية الدقيقة قامت به موســـكو على مدى أكثر من عامين.

فخلال تلك الفـــترة، نفذ الطيران الروسى أكثـــر مـــن 92 ألف ضربة جوية فى ســـوريا، تمكن خلالها من القضـــاء على ما يقرب مـــن 54 ألف عنصر إرهابى، وتدمـــير حوالى 100 ألف هدف وموقع للإرهابيين تشـــمل مركز قيـــادة ومعســـكرات تدريب وغيرها. إلى جانب تخليص العالم من زعيـــم التنظيـــم، ورأس الأفعى، أبو بكر البغدادى، وعدد كبير من قيادات التنظيم، من بينهم مئات الشيشانيين أمثال أبو عمر الشيشانى، وعلاء الدين الشيشانى، وصلاح الدين الشيشانى، وغيرهم من قيادات داعش الذين كانت تمثل عودتهم لروســـيا تهديداً مباشراً لأمنها القومى، إلى جانب آلاف آخرين من مختلف أنحـــاء العالم. إن هزيمة «داعش» الحقيقية انطلقت من سوريا.

وفى هـــذا الســـياق، أعلن الرئيس بوتين خلال زيارتـــه لقاعدة حميميم يوم 11 ديســـمبر 2017، والتى كانت الأولى من نوعها، «عودة جزء كبير من القوة العسكرية الروسية الموجودة فى سوريا إلى روسيا»، فى إشارة إلى انتهاء زخم العمليات العســـكرية من ناحية، ولإعطاء رســـالة إيجابية للمجتمعين فى جنيـــف8 فى محاولـــة لدفع عملية التسوية. وأن الجهد العسكرى تتممه التسوية الســـلمية فى سوريا، وبدون تســـوية لا يمكن ضمان الحفاظ على الإنجازات التى تحققت عســـكرياً فى مواجهة داعش وغيرها من التنظيمات الإرهابية.

وقد كان لإطلاق مســـار «أستانا» فى ينايـــر 2017 دور حيـــوى فى بدء استعادة الاستقرار فى سوريا وتثبيت النجاحات التى تمـــت ضد الإرهاب، كما كانـــت المرة الأولى التى تشـــارك فيها المعارضة المسلحة فى مفاوضات مباشرة مع النظام السورى، ومثل ذلك فى حد ذاتـــه إنجازاً ضخماً. وعلى مدى سبع جولات من المفاوضات الصعبة فى أستانا حتى أكتوبر 2017، استطاعت روســـيا بالتعاون مع الدول الضامنة الأخرى، إيران وتركيا، أن تنقل سوريا من حالة الحرب إلى بداية الاســـتقرار من خلال مناطق خفـــض التصعيد، وجهود مركز المصالحـــة الروسى فى حميميم، الذى يبـــذل دوراً حيوياً فى دعم المصالحة فى ســـوريا ونزع سلاح الأفراد والميليشيات وإعادة دمجها فى المجتمع كمواطنين.

وثانياً، فقد تـــم توحيد المعارضة الســـورية لأول مرة من خلال مؤتمر الرياض2 فى نوفمبر الماضى، والتوجه لجنيـــف (8) بوفد واحـــد يمثل كل فصائـــل المعارضة. ويعتبر هذا فى حد ذاته، إنجازاً لم يكن متصوراً فى ضوء التناقضات الحادة التى كانت تموج بها المعارضة. ولاشـــك أن توحيد منصات المعارضة الثلاثة، موســـكو، الرياض، القاهرة، فى وفد واحـــد يعتبر خطوة مهمة وضرورية نحو التسوية السلمية واستعادة الاستقرار فى سوريا.

وثالثاً، فـــإن التوافـــق الروسى الأمريكى الذى عكســـه إعلان بوتين وترامـــب عـــلى هامش قمـــة منتدى التعـــاون الاقتصـــادى لدول آســـيا والمحيط الهادى (إبيك) فى فيتنام، جاء متســـقاً مع قرار مجلس الأمن 2254 لعـــام 2015، ويتضمن مجموعة من المبادئ والمحددات التى ستحكم عملية التسوية السلمية، أهمها علمانية الدولة السورية وســـلامة ووحدة أراضيها،

اجتماعات جنيف المتعددة

فلا تقسيم ولا فيدرالية، وتجنب تكرار التجربة العراقية. وأنه لا مكان للجماعات الإرهابية فى مستقبل سوريا، وستستمر ملاحقتها وتصفيتها للنهاية. أما المسلحون السوريون فأمامهم فرصة لإعادة الاندماج فى المجتمع وتسليم أسلحتهم من خلال مركز المصالحة الوطنية فى حميميم.

ولكن رغم العوامل السابقة والتى تدعو إلى التفاؤل النسبى بشأن عملية التسوية فى سوريا، يبدو الطريق إلى الأخيرة ليس ممهداً بالكامل، وهناك تحديات عدة تعترض مسيرة الاستقرار الكامل فى سوريا. أولها، إن الحرب على الإرهاب لم تنته بعد فى سوريا، ومازالت هناك العديد من التنظيمات الإرهابية التى اتجهت لحرب العصابات واستنزاف القدرات، إلى جانب انتشار الخلايا الإرهابية والذئاب المنفردة فى سوريا والمنطقة.

كما أن استمرار الخلاف بين المعارضة السورية، رغم الوفد الموحد، خاصة حول حتمية رحيل الرئيس الأسد من عدمه، وغياب الرؤية المشتركة فيما يتعلق بالملامح العامة للدستور السورى الجديد وللدولة السورية العلمانية الديمقراطية المأمولة، وكذلك حول الجدول الزمنى للانتخابات البرلمانية والرئاسية والتى لابد وأن تحظى بإشراف أممى ضماناً للشرعية وعدم التشكيك فى نتائجها من جانب أى طرف سورى أو خارجى. كما يثور التساؤل بشأن وضع الأكراد خاصة مع رفض الفيدرالية وأيضاً فيما يتعلق ببعض ما يتم تداوله حول تطبيق النموذج اللبنانى فى سوريا بأن يكون رئيس الدولة علوياً، ورئيس الوزراء سنياً، ورئيس البرلمان- مسيحياً أو شيعياً وهكذا؛ وهل يمثل ذلك حلاً أم يكرس الانقسامات ويقوض الاستقرار. ولدى المعارضة السورية فرصة سانحة للتغيير عليها استثمارها أو سيتم تجاوزها وتجاهلها خاصة وإنها لم تعد تملك شيئاً على الأرض حيث يظل الرئيس بشار الأسد ونظامه هو السلطة الشرعية.

فقد بدا الرئيس السورى خلال لقائه مع الرئيس بوتين، فى سوتشى فى نوفمبر2017، بحالة جيدة وعكست ابتسامته تفاؤلا بالمستقبل، وبدوره المستقبلى فى سوريا. ومن الواضح أن الرئيس الأسد سوف يستمر الفاعل الرئيسى لفترة ليست بالقصيرة نظراً للتغير فى توازنات القوى على الأرض فى ضوء النجاحات التى حققها الجيش السورى بمساعدة روسيا، واستمرار انقسام المعارضة واتجاه منصتى موسكو والقاهرة للقبول بدور الأسد ولو مرحلياً. فضلاً عن عدم قدرة المعارضة على طرح قيادة تمثل منافساً حقيقياً للأسد الذى ما زال يتمتع بقبول بين قطاع واسع من السوريين. وقد سبقت زيارة الرئيس الأسد ولقاءه بالرئيس بوتين القمة الثلاثية بين روسيا وتركيا وإيران حول التسوية فى سوريا، وحملت رسالة بأن موسكو لا تعبر عن موقفها فقط وإنما تتحدث أيضاً بلسان سوريا. إن قمة بوتين الأسد تضمنت تفويضاً ضمنياً من السلطة فى سوريا للرئيس بوتين بالاتفاق على الإجراءات التى تكفل إعادة الاستقرار الكامل لسوريا.

ومن القضايا المهمة التى تمثل تحدياً أيضاً مستقبل تواجد القوات الأمريكية فى سوريا، التى تعتبرها الحكومة السورية احتلالاً ليس له أى سند قانونى أو شرعى. وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية فى 5 ديسمبر 2017 استمرار الاحتفاظ بوجود عسكرى فى سوريا بحجة «منع عودة الجماعات الإرهابية إلى هذا البلد». وكذلك الحال بالنسبة للقوات التركية التى تعتبرها الحكومة السورية احتلالاً أيضاً. إلى جانب اعتراض إسرائيل على الوجود الإيرانى فى سوريا والغارات الجوية التى تشنها الطائرات الإسرائيلية على سوريا من آن لآخر منتهكة بذلك السيادة السورية.

يضاف إلى ما سبق تحدى إعادة البناء وتعمير ما خربته الحرب، ومن المنتظر أن تلعب الصين وإيران إلى جانب روسيا دوراً مهماً فى هذا الخصوص. وسوف يكون التحرك الروسى القادم فى سوريا على قدمين، الأولى عملية سياسية تحافظ على الإنجازات التى تحققت وتدعم السلام والاستقرار فى سوريا. والثانية بدء عملية إعادة الإعمار فى المناطق المحررة.

لقد انطلق قطار التسوية فى سوريا وعلى الجميع تقديم تنازلات للحاق به، وإلا تم تجاوزهم، فمازالت الحكومة السورية لا تبدى المرونة المطلوبة لدفع المفاوضات، ورغم اجتماع الرياض 2 والبيان الختامى الذى تمخض عنه، لا تبدو المعارضة السورية مستعدة بعد للمستقبل، ولم تبلور رؤية جادة ومتكاملة لمستقبل سوريا ودورها فى سوريا الجديدة، وينعقد الأمل على مؤتمر الحوار السورى فى سوتشى للتقريب بين الطرفين والتمهيد للتسوية النهائية المأمولة فى جنيف9.

مائة عام بلا دولة

هل يعاقب الغرب الأكراد على تحرير صلاح الدين للقدس؟

«الشعوب التى لا تمتلك دولة تتعرض دوماً للمجازر»، كلمة منسوبة لعالم الاجتماع التركى إسماعيل بيشكجى الذى سجن حوالى 20 عاماً بسبب مواقفه الداعمة لقضية الأكراد.

تنطبق المقولة بشكل كبير على القومية الكردية، فالكرد من أكثر الشعوب التي تعرضت للمجازر الجماعية وهي أيضا من أكثر القوميات التي قامت بثورات شعبية وحركات استقلال من أجل تأسيس دولة ولكن لم يكتب لها البقاء، ولم تنجح أى دولة كردية خلال القرن العشرين وحتى الآن فى البقاء سوى أيام معدودة أو شهور قليلة على الأكثر.

بدأ الكرد بالتفكير في إنشاء دولة مستقلة باسم كردستان في مطلع القرن الـ 20، وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وضع الحلفاء الغربيون المنتصرون تصوراً لدولة كردية في معاهدة «سيفر» في العام 1920، إلا أن هذه الآمال تحطّمت بعد ثلاث سنوات، إثر توقيع معاهدة «لوزان» التي وضعت الحدود الحالية لدولة تركيا، وبشكل لا يسمح بوجود دولة كردية. وانتهى الوضع بالأكراد كأقليات في تركيا والعراق وسوريا وإيران وأرمينيا، وعلى مدار السنوات الـ 80 الماضية، فشلت أية محاولة كردية لتأسيس دولة مستقلة والتي كان آخرها استفتاء إقليم كردستان للاستقلال عن العراق.

وجاءت أحداث ما بعد استفتاء إقليم كردستان الذي عقد فى 25 سبتمبر2017 لتمثل صدمة كبيرة لدى قطاع كبير من الشعب الكردي الذي كان يُمني نفسه بولادة دولته والاحتفال برفع علم بلاده لأول مرة كدولة وليس إقليماً. وتحولت الفرحة لترحة، ومشروع الدولة لإقليم محاصر، والحكم الذاتي فقد كل سلطاته،

محسن عوض الله

باحث فى الشئون الكردية

mospress2000@yahoo.com

وانخفض علم كردستان وسقط حلم الدولة، واستيقظ الأكراد على استقالة زعيمهم مسعود برزاني ولا أحد يعلم تماما ماذا ينتظر الإقليم وسكانه.

ما حدث بكردستان العراق بعد الاستفتاء تتشابه ظروفه مع الكثير من فقرات التاريخ الكردي الملىء بمحاولات الاستقلال، فيكفي أن تعرف عزيزي القارىء أن القرن العشرين وحده شهد قيام خمس دول وجمهوريات كردية تفاوتت أعمارها واختلفت أماكنها ولكنها انتهت جميعا بفشل التجربة وسرعة السقوط.

ونحاول خلال السطور القادمة تسليط الضوء على الثورات ومحاولات الاستقلال الكردية خلال القرن العشرين، نغوص فى أعماق التاريخ بحثاً عن أسباب فشل كل هذه التجارب، والظروف التي نشأت فيها وكيف تعامل معها المجتمع الدولي.

مملكة كردستان (1922 – 1924)

ما بين أكتوبر 1922 ويونيو 1924، أسّس الشيخ محمود الحفيد زادة البرزنجي في شمال العراق مملكة كردستان. ولم تنل المملكة وقتها الاعتراف الدولي، فبعدما أعلن البرزنجي نفسه ملكًا على كردستان في نوفمبر 1922 بعدة أشهر، أرسلت بريطانيا إلى السليمانية حملة عسكرية لنزع سلطاته، وتحركت القوات العراقية بدعم من الاستعمار البريطاني لتسيطر على المدينة في 19 يوليو 1924. واستطاع «الحفيد» مجددًا الإغارة على القوات العراقية، وأخرجها من المدينة لتعود إلى سيطرته، ولكن الجيش العراقي، وبدعم البريطانيين، استعاد السيطرة على السليمانية وأجبر الحفيد على مغادرة المنطقة واتخاذ الجبال مقرًا لشن حرب عصابات استمرت حتى عام 1926، حين تمكنت القوات الإنجليزية، عن طريق مشير هماوندي الجاش، شيخ عشيرة «هماوند»، من اجتياز شعاب الجبل والالتفاف من الخلف حول القوات الكردية، فجُرح الشيخ محمود وأُلقي القبض عليه وسيق إلى بغداد، حيث حكمت عليه المحكمة البريطانية بالإعدام، ثم خفّفت الحكم إلى عشر سنوات مع غرامة قدرها عشرة آلاف روبية، قبل أن تنفيه إلى الهند.

جمهورية كردستان الحمراء (1923 – 1929)

تأسست جمهورية «كردستان الحمراء» في بداية عهد لينين في يوليو 1923، وكانت جمهورية حكم ذاتي تابعة لحكومة أذربيجان، لكنها لم تستمر سوى لمدة ست سنوات، حيث انتهت بشكل تراجيدي عام 1929. وعاصمة هذه الجمهورية كانت مدينة لاجين، وحوالي 70% من سكانها كانوا

أكرادًا. وقد جاءت فكرة إعلان الدولة نتيجة للكثير من الظروف الصعبة التي تعرض لها الأكراد المتواجدون هناك، حيث أعلن عدد من كبار رموزهم تأسيس منطقة حكم ذاتي عام 1923، بإيعاز من لينين نفسه، وبالفعل تشكّلت المؤسسات الإدارية في الإقليم الجديد، وانتخب كوسي حجييف كأول رئيس للبرلمان وأول رئيس لكردستان «السوفييتية».

ورغم أن درجة الحكم الذاتي الممنوحة للكرد كانت محدودة، قياسًا على أقاليم وقوميات أخرى، إلا أن تجربة كردستان الحمراء شكّلت على الصعيد السياسي أول تجربة لدولة كردية في العصر الحديث، وحدث تقدم ملموس على صعيد نشر الدراسات حول اللهجة والثقافة الكردية، كما مُنح الإقليم الحق في البث الإذاعي، وإصدار جريدة «كردستان السوفييتية»، وافتُتح معهد تربوي، وبدأ تعليم الأطفال اللغة الكردية. ولم تستمر هذه الدولة فترة طويلة، وكما بارك الاتحاد السوفييتي قيامها، كان هو أيضًا من يقف وراء نهايتها، نتيجة لمعارضة القيادات السوفييتية، مثل جوزيف ستالين، ووزير الشئون الخارجية السوفييتي، لأي «تحرك كردي قد يؤدي إلى إلحاق الضرر بكل من تركيا أو إيران».

وجاءت نهاية هذه الجمهورية بعدما رُحّل كثير من الأكراد من هناك، وأعيد دمج من تبقى منهم تدريجيًا مع السكان الأذريين، وجرت إعادة توزيع للمنطقة في عدة وحدات إدارية جديدة تحت سيطرة الأذريين، وتغيّر اسم المنطقة إلى «إقليم نقشوان». وبعدها، تعرض الكرد لسياسات عنصرية من قبل السلطات الأذرية، فمُنعوا من التحدث باللغة الكردية، من أجل صهرهم ضمن الأكثرية الأذرية، وهُجّرت أكثريتهم إلى جمهوريات آسيا الوسطى وسيبريا، وصودرت أراضيهم وممتلكاتهم.

جمهورية آرارات (1927-1930)

في عام 1927، وبالتزامن مع احتجاجات في جنوب شرق تركيا، اندلعت ثورة كردية وأُعلنت فيها جمهورية «آرارات الكردية المستقلة». وفي هذا العام، قاد أكراد تركيا سلسلة من المواجهات مع السلطة، بدأت بثورة في مناطق جبال آرارات باسم «ثورة آغري» أو ثورة «آرارات»، عام 1930، بقيادة إحسان نوري باشا (1896-1976) الذي أسس حزبًا سياسيًا كرديًا باسم «خويبون»، فأعلن مناطق جبال آرارات دولة كردية مستقلة، ليبدأ مع الدولة التركية حربًا شاملة في المنطقة الكردية بتركيا.

وفي البداية، مُنيت القوات التركية بخسائر فادحة، وهو ما استدعى من الأتراك إعلان النفير العام واستدعاء آلاف الجنود والمتطوعين لمحاصرة تلك المنطقة وارتكاب الجرائم بحق المدنيين حتى لجأ نوري باشا وعائلته ولفيف من الثوار إلى إيران، ونتيجة لعدم وجود دعم عسكري أو مادي كافيين، فقد تم القضاء على جمهورية آرارات في عام 1930 على يد الجيش التركي.

جمهورية مهاباد (يناير – ديسمبر 1946)

تأسست جمهورية مهاباد في أقصى شمال غرب إيران عام 1946، ونشأت نتيجة للتأثير السوفييتي في إيران، فرغم إعلان إيران الحياد خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أن القوات السوفييتية دخلتها بذريعة تعاطف شاه إيران رضا بهلوي مع هتلر. وفي عام 1945، نشأ الحزب الديمقراطي الكردستاني KDP، ليطالب بالحكم الذاتي، وبالاعتراف بالكردية كلغة رسمية، والمزيد من الحكم الديمقراطي المحلي، وقوانين أفضل في التعامل بين الفلاحين وملاك الأراضي.

في 24 يناير 1946، أعلن الحزب الديمقراطي الكردستاني قيام جمهورية مهاباد في احتفال في مدينة صقيز، شارك فيه مندوبون من المناطق المحيطة، وأصبح قاضي محمد زعيم الحزب رئيسًا للإقليم، بينما أصبح مصطفى برزاني، والد الزعيم الكردي الحالي مسعود البرزاني، قائدًا عامًا. وفي مايو من نفس العام، انسحبت القوات السوفييتية من إيران، لتترك الجمهورية الوليدة عرضة للهجوم من قبل القوات الحكومية الإيرانية. وفي ديسمبر 1946، دخلت القوات الإيرانية مهاباد لتقضي نهائيًا على الحكم الكردي في المنطقة، وفي 30 مارس 1947، شنق الجيش الإيراني قاضي محمد مع شقيقه بينما هرب مصطفى البرزاني مع عدد من رجاله إلى الاتحاد السوفييتي.

جمهورية لاجين الكردية 1992

تعد هذه آخر دولة للأكراد التي أعلنت استقلالها بشكل فعلي، فبعد القضاء على كردستان الحمراء في أذربيجان، لم تتوقف المحاولات الكردية هناك لإقامة دولة في المنطقة بين أذربيجان وأرمينيا. وشهد عام 1992 إعلانًا لولادة جمهورية لاجين الكردية برئاسة ويكيل مُصطفاييف في

مائة عام بلا دولة للأكراد

مدينة لاجين، وجاء هذا بعد أن استولت القوات الأرمينية على لاجين، حيث نُقل المثقفون والشباب الأكراد الموجودون في أرمينيا إلى لاجين بأذربيجان من خلال حافلات. ومع ذلك، لم تنجح الدولة وانهارت بسرعة، نتيجة لممارسات الحكومة الأذربيجانية، التي تلقت دعمًا مباشرًا من الأتراك، جنبًا إلى جنب مع الصمت الروسي والمحاولات الأرمينية للسيطرة على المنطقة، ما اضطر مُصطفاييف في نهاية المطاف للهروب إلى إيطاليا طلبًا للجوء السياسي.

بين النشأة والسقوط

إن نظرة عامة على ظروف نشأة وسقوط ما يمكن تسميته بالدول والجمهوريات الكردية خلال القرن العشرين نجد أنها جميعا تتشابه فى عوامل الصعود والسقوط. وربما يكون للعوامل الخارجية الجزء الأعظم في نشأة أو سقوط أي كيان كردي، فلعبة المصالح حاضرة بقوة فى القضية الكردية وظهر ذلك بوضوح فى جمهورية كردستان الحمراء التي ولدت بقرار من الزعيم السوفيتي لينين وسقطت بقرار من ستالين! فصراع القوى الكبرى على خيرات المنطقة، ومتاجرة هذه القوى بأحلام الدول الناشئة والقوميات جعل من الكرد ورقة تتقاذفها المصالح وتتلاعب بها أجهزة الدول العظمى فتدعمها لتحقيق هدف وتتخلى عنها لتحقيق مصلحة كما حدث فى جمهورية مهاباد عندما دعم الاتحاد السوفييتي الجمهورية الكردية الوليدة ثم تركها وحيدة تواجه القوات الإيرانية التي أسقطتها وأعدمت رئيسها وسط تواطؤ سوفييتي تام.

الأكراد والمصلحة الغربية

فى كتابه «كردستان مستعمرة دولية» يرى عالم الاجتماع التركي د.إسماعيل بيشكجي أن «أكبر مصيبة يمكن أن تحل في تاريخ أمة أن تصبح هدفاً لسياسة فرق تسد، وذلك لأن هذه السياسة تدمر كيان الأمة وتقطع أوصالها»، وهذا ما حدث بالنسبة للأمة الكردية في الربع الأول من القرن العشرين. إذ يرى بيشكجي «أن الأكراد أمة بلا دولة، والهدف الرئيسي للاستعمار الدولي هو أن يحول دون تأسيس دولة كردية، الأمر الذي يسهل الاستغلال المستدام للموارد الطبيعية ولآبار النفط والمياه والمعادن الأخرى من ثروات كردستان». وقد لخص مسعود برزاني الرئيس السابق لإقليم كردستان العراق مأساة الكرد مع الاحتلال فى كتابه «البرزاني والحركة التحررية الكردية» بقوله «إن الاستعمار البريطاني لم يكن صادقا أبدا فى وعوده بمنح كردستان الاستقلال». وكلام برزاني تؤكده الوقائع التاريخية فقد وعدت بريطانيا الأكراد بإقامة دولة لهم في اتفاقية سيفر 1920، وألزموا الحكومة التركية بالاعتراف بذلك، وحصل الكرد - وللمرة الأولى في التاريخ- على الاعتراف العالمي بالدولة ولكن بريطانيا تجاهلت هذا النص وأخلفت وعدها للكرد ولم تذكر أى شيء عن حقوقهم فى الاستقلال وإقامة دولتهم فى اتفاقية لوزان 1923 التي وقعت بين دول الحلفاء وتركيا.

ويرى المستشرق السوفييتي لازاريف فى كتابه «الإمبريالية والمسألة الكردية» أن الدور البريطاني ضد الكرد بدأ يظهر بوضوح بعد الحرب العالمية الأولى، إذ سعى الإنجليز لاحتواء ثورات الأكراد بتقسيم كردستان بين تركيا والعراق، وإيران وسوريا، فعقد الإنجليز اتفاقيات بين الدول الثلاثة الخاضعة للنفوذ البريطاني «تركيا والعراق وإيران»؛ لحفظ أمن الحدود، ولحصار الأكراد ومنعهم من توحيد كردستان، فساند الإنجليز القوميين الأتراك، ودعموا أتاتورك لدوره في إلغاء الخلافة ومحاربة الشريعة، ووقفوا ضد الكرد، وقاموا بدعم الحكومات العراقية التابعة لهم لإخماد ثورات الكرد بقسوة، ونفس السلوك فعلوه في إيران لمنع الأكراد الإيرانيين من الثورة، والتواصل مع أكراد تركيا والعراق. كما قدم الإنجليز السلاح والدعم للحكومات التابعة لهم في الدول الثلاثة، وساندوا جهودهم في التصدي ورفض أية حركة لاستقلال الكرد، واضطرت للتدخل بنفسها، واستخدام سلاح الجو الملكي لقصف الأكراد في العراق، وعلى الحدود الإيرانية العراقية أكثر من مرة. وهذا الموقف البريطاني خاصة والغربي بشكل عام عبر عنه الكاتب الإيراني حميد رضا جلائي فى كتابه «المشكلة الكردية» بنظرية المصلحة التي تحكم سياسات الدول الغربية بعيداً عن أى مبادىء أو شعارات زائفة. فيقول جلائي فى كتابه «برصد سلوك الدول الغربية نجد أنه كلما سارت حكومات تركيا والعراق وإيران في طريق

مصالح الدول الغربية القوية دافعت هذه الدول عن مشروعات حكومات هذه الدول الثلاث في المناطق الكردية».

أبعاد عقائدية

بعيداً عن نظرية المصلحة، بعض المؤرخين يعتبر أن هناك أسباباً عقائدية ودينية وراء الموقف الغربي الرافض فى حقيقته لقيام أية دولة كردية، واستدل هؤلاء على ذلك بالموقف البريطاني من ثورة الشيخ محمود الحفيد فى أوائل العشرينات حيث تدخل الإنجليز بكل قواتهم البرية والجوية لإخماد الثورة بالتعاون مع الحكومة العراقية وطاردوا الرجل فى الجبال حتى أصابوه ولم يزالوا به حتى نفوه فى الهند. ويرجع المراقبون هذا الموقف البريطاني من الشيخ الحفيد لخوف الإنجليز منه لتدينه ولكونه أحد أقطاب الطريقة القادرية وتأثره بالخلافة العثمانية. وهذا الرأي ربما يتوافق مع نظرية الخلاف العقائدي وحالة العداء التي يكنها الغرب للأكراد كما يراها عثمان علي صاحب كتاب «الحركة الكردية المعاصرة». إذ يرى الكاتب أن كراهية قادة الغرب للأكراد تفوق كراهيتهم لأي شعب آخر، فقد سمحت بريطانيا ودول أوروبا بانفصال شعوب وأعراق كانت تابعة للدولة العثمانية، في الشام والخليج، وشمال أفريقيا، والبلقان وشرق أوروبا، وتم الاعتراف بها والقبول بانضمامها إلى عصبة الأمم، ثم الأمم المتحدة بعد ذلك، ولكنهم لم يقبلوا بتشكيل الكرد لأية دولة. وبحسب الكاتب فإن التجربة التاريخية تؤكد أن الدول الغربية تتلاعب بالأكراد وأحلامهم في إقامة كردستان الكبرى المستقلة، وثبت خلال قرنين من الثورات والانتفاضات الكردية أن هناك (فيتو) غربيًّا ضد إقامة دولة موحدة للأكراد على حساب تقسيم سايكس بيكو 1916 أثناء الحرب العالمية الأولى، وإن هدف إجهاض تلك الأحلام لا يخرج عن إطار الدفع بهم طوال الوقت للصدام مع الدول القائمة لإضعافها. ويرجع الكاتب ذلك إلى أن هناك بُعداً عقدياً لا يمكن إغفاله في محددات استراتيجيات الدول الغربية، وهو أن الأكراد مسلمون سُنة، وجدهم صلاح الدين الأيوبي الذي أذاق الصليبيين الهزائم، وطردهم من بيت المقدس، فهذا الشعب المتمسك بدينه وقياداته التاريخية الإسلامية ربما جعل دول الغرب تقف في الخندق الكاره لهم، والرافض لحصولهم على الاستقلال مهما قدموا من تنازلات، ومهما عرضوا من استعداد للدخول في بيت الطاعة الغربي.

الخلافات والخيانة

بعيداً عن الموقف الدولي هناك أزمات داخل الصف الكردي نفسه، فالخلافات البينية والصراع على السلطة جزء رئيسي من الحياة الكردية، والخيانة حاضرة بشكل كبير فى الثورات الكردية كما ذكرنا سابقاً فى وشاية شيخ قبيلة هاموند بالشيخ الحفيد ملك كردستان، وكما ظهر فى اتهامات الخيانة التي أطلقها مسعود برزاني رئيس إقليم كردستان بحق حلفائه بحزب الاتحاد الكردستاني فى السليمانية. فهذه الحالة الكردية رصدها المفكر والسياسي الكردي عبد الله أوجلان مؤسس حزب العمال الكردستاني في مرافعته المعنونة بـ «القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية: دفاعاً عن الكرد الذين بين فكَّي الإبادة الثقافية». إذ يقول أوجلان متحدثا عن النخبة الكردية «السبب الأول في العجزِ عن تطويرِ الحركةِ القوميةِ الكرديةِ المعاصرة، هو نمطِ التكوينِ التاريخيِّ للشريحةِ الفوقيةِ الكرديةِ، إذ هناك اعتلالٌ وانحرافٌ في طرازِ تكوينِ هذه الشريحة» معتبرا أن الخصائصُ العائليةُ والأنانيةُ الشخصيةُ ظلت في المرتبةِ المتقدمة داخل الذهنية الكردية طيلةَ سياقِ التاريخ.

ويرى أوجلان أن هذه الشريحةِ الفوقيةِ الكرديةِ المتواطئة، لَطالما أَهدَت نفوذَ السلطةِ إلى مؤسِّسي الهيمنةِ على شعوبِها «القوى الدولية والإقليمية»، من أجل مصالحِها الشخصيةِ أو العائليةِ البسيطة. أما عالم الاجتماع التركي إسماعيل بيشكجي فكان أكثر وضوحاً من أوجلان فى توصيف الأزمة الداخلية الكردية حيث يتحدث عمن وصفهم بـ«طبقة العملاء» وهم مجموعة من القوى التقليدية الكردية التي سعت الدول التي تقتسم كردستان للسيطرة عليهم وشراء ولاءاتهم مقابل امتيازات يحصلون عليها، كتعيينهم نواباً في البرلمانات المركزية أو وزراء أو موظفين كباراً في الدولة لقاء تخليهم عن هويتهم القومية. ويرى بيشكجي فى كتابه «كردستان مستعمرة دولية» أن هذه الطبقة من العملاء التي تخون قضية شعبها وتزداد ثراء أصبحت ظاهرة عامة وتعكس تحولاً سياسياً في المجتمع الكردي، مشيراً إلى أن مهمة هؤلاء تنحصر في تنفيذ الأوامر الصادرة إليهم من قبل الأجهزة العسكرية والأمنية والمخابراتية. وربما كان توصيف بيشكجي أكثر تعبيراً عن الأوضاع بإقليم كردستان حيث تنقسم نخبة الإقليم وأحزابه بين أجهزة الاستخبارات الإقليمية والعالمية وظهر هذا الدور واضحاً فى سيطرة القوات العراقية على مدينة كركوك وطرد البشمركة الكردية منها كما أوضحنا ذلك فى مقالات سابقة.

وختاماً، ورغم كل التحليلات والقياسات، تبقى للقضية الكردية أسرارها التي لم تكتشف بعد، ويبقى هناك الكثير من الترتيبات والمؤامرات التي لم تظهر للنور، ومازالت هناك الكثير من الأسرار والتفاصيل فى كواليس الثورات ومحاولات الاستقلال الكردية، ولكن من المؤكد أن كل العوامل السابقة متفرقة أو مجتمعة ساهمت بشكل أو بآخر فى سقوط الحلم الكردي فى تحقيق الدولة. ويتمسك الكرد بحقهم الإنساني فى تقرير مصيرهم كأمة مظلومة تلاعبت بهم المصالح الدولية وتواطأت ضدهم القوى العالمية وتخلت عنهم، ليبقى الكرد أكبر قومية فى العالم بلا دولة ولا مظلة قانونية ترعى حقوقهم فى ظل نظام عالمي لا يرحم.

لبنـــان بعد أزمة إستقالة الحريرى

تراجع رئيس الوزراء اللبناني «سعد الحريري» من بيروت، في 6 ديسمبر 2017، عن استقالته التى كان قد فاجأ العالم بها، قبل ذلك بأسبوعين من الرياض، احتجاجًا على نفوذ «حزب الله» والتدخل الإيراني في الشأن اللبناني. وكما هو معروف فقد كادت تلك الأزمة أن تعصف باستقرار الدولة اللبنانية وأثارت مخاوف باندلاع حرب أهلية أو تدخل عسكري إسرائيلى.

وقد جاء قرار الحريرى بالتراجع نتيجة جهود دبلوماســـية من بينها وســـاطة فرنســـية مصرية. ورغم انتهاء الأزمـــة مرحلياً، إلا أن الدولة اللبنانية مازالت تواجه تحديات لعل أبرزها الإعداد للانتخابات البرلمانية المقبلة، ودور حـــزب الله الإقليمى والتدخـــلات الخارجية فى الشـــأن الداخلي.

فقد ســـادت المفاجأة المشـــهد اللبنانى بعد قرار الاستقالة، حيث أعلن الرئيس العماد «ميشال عون» رفضه قبول الاســـتقالة حتى عودة الحريـــرى لبـــيروت لتقديمها له بنفسه، ومناقشته فى أسبابها، بينما أشـــاد رئيس الجمهورية السابق «ميشال سليمان» بقرار الحريرى، فى حين طالب النائب «وليد جنبلاط» إجراء حوار مباشر بين الســـعودية وإيـــران لفك الاشـــتباك الإقليمى بينهما.

وبينما أبدى الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله هدوءًا غير معهود به، حيث دعـــا المجتمع اللبنانى إلى انتظـــار عودة الحريـــرى لبيروت لبحث أمر استقالته، وأكد أن الحزب يتمنى بقاء الحريـــرى فى منصبه وتعهد بسحب عناصره المسلحة من سوريا والعراق واليمن، وهو اعتراف منـــه بتواجد عنـــاصر حزبه هناك وبتدخله عسكرياً فى تلك الدول بما يخالف المصلحـــة الوطنية، وهو ما كان جوهر اعـــتراض الحريرى على أنشطة الحزب ودافعه لتقديم

منى سليمان
باحثة فى العلاقات الدولية
solimanmona484@yahoo.com

اســـتقالته. وخلال الأزمـــة أبدت القوى السياسية تمســـكها ببقاء الحريرى فى منصبه.

ورغـــم حـــدة الأزمـــة إلا أنها أسفرت عن انعكاسات إيجابية منها ظهور زعامة سنية ممثلة فى «سعد الحريري» (زعيم تيار المستقبل 47 عاماً) تستطيع ملء الفراغ السياسى الذى نتج عـــن اغتيال والده رئيس الوزراء الأســـبق الشـــهيد «رفيق الحريـــري» فى 14 فبراير 2005، حيث التـــف حوله كافـــة طوائف المجتمـــع مطالبة بعودتـــه للبلاد، ونظمـــت تظاهـــرات للإعلان عن التمســـك به كزعيم لتيار المستقبل وكرئيس لـــوزراء لبنـــان، وهذه الشعبية الجارفة استطاع الحريرى اكتســـابها من خلال إدارته للأزمة التى مازال الغموض يكتنفها، وهذا قد يؤدى لإيجاد توازن مع الزعامة الشيعية الشعبية «لنصرالله».

كما نتـــج عن الأزمـــة تجديد التوافق بين مكونـــات المجتمع على تطبيق بنـــود «اتفـــاق الطائف» وضرورة العمل بمبدأ النأى بالنفس وإعلاء المصلحة الوطنية تحت شعار «لبنان أولاً» الـــذى رفعه الحريرى خاصة وقد بـــرز الرفض اللبنانى والإقليمى والدولى لاســـتدراج لبنان لمعارك التنافس الإقليمى بين المحاور المختلفة بالمنطقـــة لأن وجود لبنان كجزء من محور ضد آخر يعد مقدمة لعدم اســـتقرار سياسى واقتصادى وربما يؤدى لحـــرب أهلية جديدة. والأزمة أثبتت وجود درجة عالية من وعى المجتمع اللبنانى بكافة طوائفه ورفضه لأى تدخل خارجى فى شأنه الداخلى ورفضه لاســـتدراج بلاده طرفاً فى حرب إقليمية أو أهلية.

كما أدت الأزمـــة لإعادة الزخم الـــدولى لـــضرورة دعـــم الدولة واقتصادها، وتمثـــل ذلك فى «بيان باريس» الـــذى أصدرته مجموعة دعم لبنان بفرنسا فى ديسمبر 2017 وأكد أن الحريرى شريك أســـاسى فى صون وحدة لبنان واســـتقراره، ودعا لضرورة التزام لبنان تطبيق القرارين الدوليين 1559 و1701. كمـــا تعقد ثلاثة مؤتمـــرات دولية خاصة بلبنان، الأول لدعم المؤسسة الأمنيـــة ويعقد فى رومـــا فى يناير 2018، والثانى ســـيخصص لدعم الاقتصاد اللبنانى ويعقد فى باريس فى مـــارس 2018، ثم يعقد مؤتمر لدعـــم الدول المســـتقبلة للنازحين ومنهم لبنان فى بروكســـل فى الربع الأول من 2018. وبـــدوره أصدر

مؤتمر صحفى للحريرى فى القاهرة

مجلس الأمن بياناً فى 21 ديسمبر 2018 رحب فيه بعودة الحريرى لمنصبه وجدد تأكيد ضرورة تقديم الدعم القوى لاستقرار لبنان وسيادته وأمنه واستقلاله السياسى ووحدة الأراضى اللبنانية بما يتوافق مع قرارات مجلس الأمن 1701 و1680 و1559 والقرارات الدولية ذات الصلة وتصريحات رئيس مجلس الأمن حول لبنان. وطالب المجلس الأحزاب اللبنانية بتطبيق سياسة ملموسة للنأى بالنفس عن الصراعات الخارجية.

الوساطة المصرية الفرنسية:

أسفرت الجهود الدبلوماسية المصرية الفرنسية عن حل الأزمة. فالرئيس السيسى نجح فى توثيق علاقته بفرنسا ورئيسها ماكرون من خلال الزيارة الناجحة التى قام بها لباريس فى أكتوبر 2017، ودشن خلالها تعاوناً استراتيجيًا مصريًا فرنسيًا، نتيجة تقارب وجهات نظر العاصمتين فى ضرورة حل قضايا المنطقة بالطرق السياسية والدبلوماسية. وفيما يخص الجهود المصرية، فقد كثفت القاهرة اتصالاتها الدبلوماسية لحل الأزمة، وقام وزير الخارجية بجولة عربية شملت الإمارات والكويت والبحرين والسعودية وسلطنة عمان والأردن لبحث حل الأزمة. كما استقبل الرئيس السيسى الحريرى بالقاهرة قبل ساعات من عودته لبيروت، ورتبت القاهرة زيارة الحريرى المفاجئة لقبرص حيث إنها تمت بالتشاور مع الرئيس السيسى غداة عقد اجتماع القمة الخامسة بين رؤساء مصر واليونان وقبرص. وقد تركز الموقف المصرى لحل الأزمة على عدة محددات هى ضرورة تأمين سلامة سعد الحريرى الشخصية، وتأمين بقائه بمنصبه كرئيس وزراء للبنان، وسلامة تياره السياسى المعتدل، ووقف التدخلات الخارجية فى الشأن اللبنانى الداخلى والحفاظ على الدولة اللبنانية مستقرة وموحدة. وكان الدافع الأساسى للقاهرة هو تجنب أى عدوان إسرائيلى جديد على لبنان يضاعف من حدة الأزمات بالمنطقة.

وفيما يخص الموقف الفرنسى من الأزمة فقد مر بثلاث مراحل. الأولى إدارة الأزمة، حيث بدأها «ماكرون» بتكثيف اتصالاته الإقليمية والدولية مع عدد من قادة الشرق الأوسط، وأكد موقف فرنسا فى ضرورة دعم أمن لبنان واستقراره وتهدئة التوتر. كما قام الرئيس الفرنسى بزيارة للرياض لبحث حل الأزمة. أما المرحلة الثانية فهى التوسط لحل الأزمة، والتى بدأت بدعوة «ماكرون» لـ«الحريري» لزيارة باريس وتأكيده أنه يستقبله كرئيس للوزراء، وذلك فى 21 نوفمبر 2017. أما المرحلة الثالثة، فهى دعم لبنان حيث استضافت باريس مؤتمر «باريس 4» لدعم لبنان كما أعلن «ماكرون» عزمه زيارة بيروت فى مارس 2018 لتأكيد دعم الدولة اللبنانية ومؤسساتها.

وقد تركز الموقف الفرنسى على ضرورة عودة الحريرى لبيروت وإعلان تراجعه عن الاستقالة، مع ضمان عمل المؤسسات السياسية بحيادية فى إطار احترام الدستور. وتطابقت المحددات الفرنسية مع الرؤية المصرية واتفقت الدولتان على منع جرّ لبنان إلى مواجهة سياسية تؤدى إلى تصعيد وتوتر أمنى وسياسى واقتصادي. وكان ذلك من عوامل نجاح الوساطة الثنائية التى أثبتت نجاحها بفاعلية وحازت على إشادة من المجتمع اللبنانى ومن بعض الدول الإقليمية والدولية.

تحديات مستقبلية: رغم انتهاء أزمة الاستقالة، إلا أن هناك تحديات تواجه الدولة اللبنانية منها:

تصاعد نفوذ حزب الله

هناك مؤشرات على تصاعد القوة العسكرية والنفوذ السياسى «لحزب الله» على المستوى الداخلى والإقليمى، وساهمت ما عرف بثورات «الربيع العربي» فى تصاعد قوة الفاعلين من غير الدول وحل بعضهم محل الدولة كما هو الحال مع تنظيم «داعش» وكذلك «حزب الله» حيث تصف مراكز الأبحاث الغربية الحزب بأنه أقوى ميليشيا مسلحة فى العالم، إذ يملك «ترسانة» من الصواريخ والأسلحة المتطورة القادرة على إصابة أهدافها بدقّةٍ متناهيةٍ، وقد تحولت ميليشياته لجيش منظم، وارتفع عدد مقاتليه ليبلغ 25 ألفًا، خمسة آلاف منهم

تلقوا تدريبات عســـكرية فى إيران. كما حقق الحزب نجاحات سياسية خلال تواجده فى ســـوريا ونجح فى تحرير مدينة «عرسال» من سيطرة «جبهة النصرة» فى أغسطس 2017 مما ضاعف من نفـــوذه. ولذا يبق التحدى الرئيسى للدولة اللبنانية وهو كيفية مواجهة «حزب الله» سياسيًا أم عســـكريًا؟! وهنـــاك معضلتان تواجهان الدولة اللبنانية فى تعاملها مع الحزب، الأولى هى نزع الســـلاح حيث يرفض الحـــزب ومازال أى حديث حول نزع ســـلاحه، ووجود ميليشـــيات قوية ومســـلحة يمثل تحدياً لمؤسسة الجيش اللبنانى الذى يضطلع وحـــده بالدفاع عن الدولة أرضًا وشعبًا وحكومةً، كما يرفض الحزب دمج سلاحه داخل المؤسسات الأمنية للدولة اللبنانية. أما المعضلة الثانية فهـــى دور الحزب الإقليمى حيث تتواجد عناصره المســـلحة فى ســـوريا والعراق واليمن، وهو ما حذر منه الحريرى بقوله «إن دور حزب الله فى المنطقة سيكلف لبنان غالياً». وتتمثـــل مخاوف الحريرى فى فرض عقوبـــات اقتصادية ضد لبنان من قبل المجتمع الدولى لكونها موطن «حزب اللـــه» بعد تصنيفه كمنظمة إرهابية من بعض الدول. لذا فيجب التفرقة بين الدور اللبنانى للحزب كأحد الأحزاب السياســـية المكونة للحكومـــة اللبنانية والتى ستخوض بقوة الانتخابات المقبلة، كما أن مؤسسات الحزب الاجتماعية والثقافيـــة تؤدى دورهـــا بكفاءة ملحوظة، وبين دور الحزب كفاعل دولى من غير الـــدول عابر للحدود بحيث لا تتحمل الدولة ومؤسساتها وشعبها تبعات تدخله فى أى صراع إقليمى أو دولي. وربما أمكن الاتفاق إقليميًا ودوليًا على محاسبة الحزب حال تجاوزه حدود دوره الإقليمى عبر فرض عقوبات عليه أو تصنيفه كمنظمة إرهابية، وهو ما قامت به بعض الدول مؤخرًا.

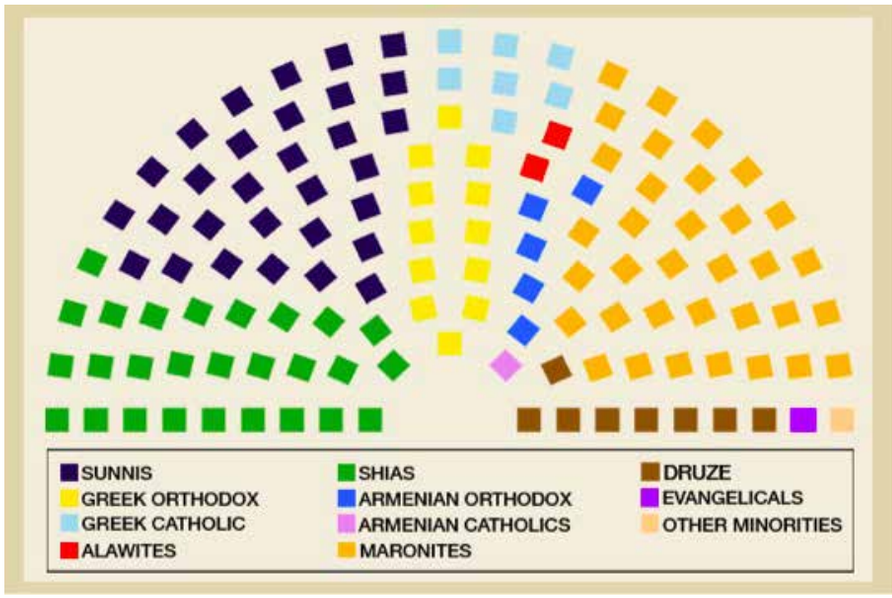

تركيبة البرلمان اللبنانى

الحفاظ على «النأى بالنفس»

لقـــد مثل بث فيديو مســـجل لتواجد أمين ميليشـــيات «عصائب أهل الحق» العراقية «قيس الخزعلي» بجنوب لبنان فى 9 ديسمبر 2017 وهى ميليشيا تابعة للحشد الشعبى بالعراق تمول من إيران وعلى علاقة وثيقة بحزب اللـــه اللبنانى اختباراً «للحريري». فقد أصدر الأخير بيانًا ينتقد الحادثة، لأنها تشكل مخالفة للقوانين اللبنانية. وبث هذا الفيديو يؤكد وجود قـــوى لبنانية ترغب فى خرق الإجماع السياسى على تطبيق مبدأ «النأى بالنفـــس»، وتتصدى الحكومة اللبنانية لتلك الخروقات، معتمدة فى ذلك على دعم دولى وعربى قوى لشـــخص الحريرى لضمان حياد لبنان إقليميًا.

صعوبة الانتخابات القادمة

فمن المقرر إجـــراء الانتخابات البرلمانيـــة فى الأســـبوع الأول من مايـــو 2018. وستشـــهد لبنان معركة انتخابية شرســـة تعكس ما نتج عن الأزمة مـــن تصاعد أدوار مكونـــات المجتمع. كما ســـتحدد نتائج الانتخابات ملامح مســـتقبل الدولة. ففى حالة فوز تيار المستقبل بزعامة الحريرى سيســـتمر نهج النأى بالنفس وســـتعمل الحكومة الجديدة برئاسته على تطبيقه، أما فى حالة فشله فى تحقيق الأغلبية سيتم تشكيل حكومة ائتلافية أو تولى تيار (8 آذار) المؤيد «لحزب الله» رئاسة الوزراء مما يؤدى لعدم اســـتقرار الدولة، وتوتر فى العلاقات اللبنانية العربية نظرًا لاعتراض عدد كبير من الدول العربية لاســـيما دول مجلس التعاون الخليجى على دور الحزب الإقليمي.

مصاعب الأزمة الاقتصادية

تفاقمـــت أزمـــة الاقتصاد بعد عام 2011 حيث اســـتقبلت لبنان مليوناً ونصف مليون لاجىء سورى بالإضافة لوجود لاجئين فلسطينيين وعراقيين بها من قبل، وعلى المجتمع الدولى الاســـتمرار فى تقديم الدعم لبيروت لمواجهة تلك الأزمة.

تهديد الجماعات الإرهابية للاستقرار

بالرغم مـــن نجاح «حزب الله» اللبنانـــى فى طرد عنـــاصر جبهة «النـــصرة» و«داعش» مـــن قرية «عرســـال» فى أغسطس 2017، إلا أن هزيمة التنظيم دفعته للبحث عن موطئ قدم آخـــر فى المنطقة، ربما يجده فى لبنان. حيث يســـود البلاد اســـتقرار ســـياسى هش وتتواجد

ميليشيات مسلحة وعدد كبير من اللاجئين بلا مأوى يمكن استقطابهم ليكونوا نواة لخلايا إرهابية، فضلاً عن الطبيعة الجبلية للبنان التى تتيح للعناصر الاختباء من قوات الأمن مما يفرض على الحكومة اليقظة وملاحقة البقايا الباقية من التنظيمين فى شمال لبنان.

شراسة التنافس الإقليمى

تمر المنطقة العربية بمرحلة استقطاب وتنافس سياسى بين المحورين الإيرانى والسعودى نال من المجتمع اللبنانى إذ يحسب «حزب الله» وحلفاؤه على المحور الإيرانى، بينما تيار المستقبل وحلفاؤه يحسبون ضمن المحور السعودي. وقد برز هذا التنافس خلال الأزمة حيث أعلن مستشار المرشد الإيرانى للشئون الدولية «على أكبر ولايتي» الذى زار لبنان واجتمع بالحريرى إن طهران تدعم وتحمى استقلال لبنان وشعبه، وحكومته، وإن الانتصارات فى لبنان وسوريا والعراق هى «لمحور المقاومة»، الأمر الذى اعترضت عليه أوساط سياسية لبنانية، واعتبرته نصرًا لطهران. وهذا يؤكد أن طهران ستستمر فى التواجد عبر وكلائها الإقليميين من الأحزاب السياسية والميليشيات المسلحة فى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن لتحقيق هدفها الأسمى وهو بسط نفوذها الإقليمى على المنطقة العربية. فى حين دافع قائد الحرس الثورى الإيرانى «محمد على الجعفري» عن سلاح «حزب الله» وأكد أنه غير قابل للتفاوض وتعهد باستمرار تزويد الحزب بأفضل أنواع الأسلحة لأنه السبيل الوحيد للدفاع عن الشعب اللبنانى فى مواجهة إسرائيل. بينما ألمحت مصادر خليجية إلى إمكانية فرض عقوبات اقتصادية على لبنان وترحيل العمالة اللبنانية بدول مجلس التعاون الخليجى، حال استمرت تدخلات «حزب الله» فى الشأن الداخلى لدول المجلس وحال استمر انخراطه فى أزمات المنطقة. وهذه معضلة من نوع آخر فطالما استمر التنافس الإقليمى بين الرياض وطهران ستبقى لبنان جزءًا منه.

تكرار الخروقات الإسرائيلية

لا يكاد يمر أسبوع دون اختراق المقاتلات الإسرائيلية للأجواء اللبنانية انتهاكاً لسيادة الدولة، مما دفع الرئيس ميشال عون لتقديم احتجاج يوم 18 ديسمبر 2017 للممثلة الخاصة للسكرتير العام للأمم المتحدة فى لبنان «برنيل دالركارديل».

مستقبل الدولة اللبنانية:

سيناريو الاستقرار السياسى الهش، فالبيئة السياسية التى مرت بها الدولة خلال أزمة استقالة الحريرى تشبه نظيرتها قبل اغتيال والده «رفيق الحريري»، ورغم تجاوز الأزمة إلا أن عواملها مستمرة ممثلة فى دور حزب الله الإقليمى وفى التدخل الإيرانى فى الشأن اللبنانى مما ينذر باحتمالات تكرارها وربما يؤدى لاستمرار حالة الاستقرار السياسى الهش.

سيناريو إرساء الاستقرار بعد الانتخابات، ففى حالة فوز تيار المستقبل بأغلبية فى الانتخابات بفعل الشعبية التى اكتسبها الحريرى خلال أزمته، فإن ذلك قد يعمل على تقليص نفوذ حزب الله السياسى، ويساعد على تطبيق مبدأ النأى بالنفس وإرساء استقرار الدولة اللبنانية.

سيناريو التصعيد السياسى، وربما يبدأ ذلك قبل الانتخابات، ربما من خلال حدوث سلسلة من الاعتداءات أو الاغتيالات ضد السياسيين المعارضين للنفوذ الإيرانى من المرشحين فى الانتخابات، لمنع خوضهم الانتخابات. فإذا تم ذلك، قد تبدأ مرحلة من عدم الاستقرار السياسى والفوضى الأمنية، تجعل الدولة اللبنانية رهينة لحكم الميليشيات المسلحة. وربما تلغى الانتخابات. بيد أن هذا سيناريو مستبعد حيث تسعى كل القوى السياسية لخوض الانتخابات والحصول على تفويض شعبى جديد وشرعية قانونية لتواجدها داخل مؤسسات الدولة اللبنانية.

سيناريو التصعيد العسكرى، فالمتابع للخطاب السياسى لحزب الله وإسرائيل، يرى أن الطرفين يستعدان لخوض معركة عسكرية، ربما لا تكون على الأراضى اللبنانية. فإسرائيل دأبت مؤخرًا على قصف مواقع الحزب العسكرية داخل سوريا وبالقرب من دمشق. كما أن مصادر بالحزب وداخل إسرائيل تؤكد أن الحزب يمتلك القوة التى تؤهله لردع إسرائيل ولن تجرؤ الأخيرة على مهاجمته. وربما تلجأ تل أبيب لتوجيه ضربة لمنشآت الحزب بجنوب لبنان، ومخازن أسلحته لتقليص قوته العسكرية المتصاعدة كنوع من الضربات الاستباقية. بيد أن هذا الاحتمال مرهون بمواقف القوى الإقليمية والدولية حال توجيه إسرائيل ضربة للحزب.

وختاماً، فرغم صعوبة البيئة الإقليمية وشدة التداخل والتشابك بين مختلف العناصر، إلا أنه يمكن العمل على إرساء استقرار الدولة اللبنانية عبر تطبيق عدد من الإجراءات ومنها احترام الدستور الذى يحفظ حقوق كل الطوائف ومكونات المجتمع بما يحقق السلم والأمن فى الدولة، وإلزام كافة مكونات المجتمع بتطبيق بنود «اتفاق الطائف» وأهمها سياسة النأى بالنفس، واعتماد الحوار كأداة لحل الخلافات السياسية وتجنب تصعيد أى أزمة سياسية، مع استمرار الدعم العربى والدولى للبنان حتى يتجاوز هذه المرحلة المعقدة.

بيان وزير الخارجية المصرى أمام

مؤتمر الدول العربية والأفريقية المتشاطئة على البحر الأحمر

11 ديسمبر 2017

يطيب لى أن أرحب بكم فى القاهرة فى افتتاح مؤتمر الدول العربية والأفريقية المشاطئة للبحر الأحمر، ذلك الشريان المائى المهم الذى كان ومازال جسراً للتواصل بين الحضارات العريقة التى عاشت على شواطئه منذ فجر التاريخ. فالبحر الأحمر بموقعه المتميز يمثل نقطة التماس بين الجوار العربى والأفريقى، ونقطة التقاء قارات العالم القديم، إذ شهد البحر الأحمر موجات الهجرات الأولى فيما بينها وكذا بواكير حركة التجارة بين أرجاء العالم منذ العصور القديمة. واليوم يُعد أحد أهم طرق الملاحة الدولية التى تنقل حوالى 15% من التجارة العالمية، كما يعيش فى دوله أكثر من 200 مليون نسمة يطمحون إلى تحقيق السلم والاستقرار والنمو.

لقد شهد التاريخ الحديث مساعٍ عدة، سواء فردية أو جماعية، قامت بها دولنا لتنظيم شئون البحر الأحمر ومجابهة تحدياته، إلا أن هذه المساعى - رغم جديتها- لم ترق بعد إلى مستوى التنسيق الذى نأمله. فلا نزال فى حاجة إلى إطار مناسب يرسى قواعد تعاون اقتصادى إقليمى متناغم يحقق المنفعة المشتركة، ويؤدى إلى إجراء حوار كاشف حيال الأوضاع السياسية فى إقليم البحر الأحمر ومحيطه، ويوفر فى الوقت ذاته صيغة للتنسيق المشترك الفاعل لمجابهة التحديات الأمنية فى المنطقة.

إلا أن الفرصة لا تزال سانحة اليوم لتدارك ما مضى، ويتسق ذلك مع ما دعت إليه القمم العربية الأفريقية الماضية - لا سيما القمة العربية الأفريقية الأخيرة فى مالابو عام 2016 - من أهمية تعزيز الحوار السياسى لتنسيق المواقف من القضايا الإقليمية وتشجيع الاستثمار وتعزيز التجارة الإقليمية بين الدول العربية والأفريقية. وتدعونا طموحات تعزيز التعاون المشترك وما يحمله ذلك من فرص، فضلاً عن التحديات الراهنة التى تواجهها المنطقة، إلى البدء دون إبطاء فى جهود تحقيق التنسيق والتكامل اللازمين بين الدول العربية والأفريقية المشاطئة للبحر الأحمر.

لقد شهدت الفترة الماضية تركيزاً من مختلف الأطراف على جهود مكافحة القرصنة فى منطقة القرن الأفريقى سعياً لتقويض هذه الظاهرة السلبية ولضمان عدم امتدادها إلى البحر الأحمر. غير أنه مع الانحسار النسبى لحدة تهديدات القرصنة، فإن تحديات جديدة تبرز اليوم وتستوجب إيلاءها اهتمامنا وتكاتفنا.

فالأوضاع السياسية فى منطقة البحر الأحمر لم تكن أكثر اضطراباً فى يوم من الأيام، أخذاً فى الاعتبار الأطماع الخارجية التى تحيق بالإقليم، وما تشهده بعض الدول المحيطة من اضطرابات سياسية وأمنية، وفى هذا الإطار تثير تطورات الأوضاع فى اليمن مخاوف عدة إذ تشكل تهديداً للسلم والاستقرار ليس فى الداخل اليمنى فقط، وإنما فى الإقليم ككل. وأود فى هذا السياق أن أؤكد على موقفنا الثابت والداعم لوحدة واستقرار وسلامة اليمن وللرئيس هادى وحكومته الشرعية، وضرورة الالتزام بالحل السياسى على أساس المرجعيات المتعارف عليها خاصة قرار مجلس الأمن رقم 2216.

وتشهد شُطآن البحر الأحمر أيضاً تزايداً فى موجات الهجرة غير الشرعية والاتجار فى البشر. كما تظل أخطار الإرهاب ماثلة فى المنطقة، مع إصرار الدول الداعمة له على نشر بذور الفتنة وعرقلة جهود التنمية من أجل مصالحها الخاصة. وقد حرصت مصر على أن تكون فى مقدمة الدول المتصدية للإرهاب فى المنطقة فى إطار مشاركتها فى التحالف العربى، وفى هذا السياق تشارك القوات البحرية المصرية فى تأمين الملاحة فى مضيق باب المندب والبحر الأحمر ومنع تهريب السلاح، بما يتماشى مع القرارات الدولية ذات الصلة.

وما من شك فى أن الأوضاع الاقتصادية لدول البحر الأحمر تتأثر سلباً بمثل هذه التحديات السياسية والأمنية، وعلى الرغم من أن الإقليم يمكن أن يمثل منظومة تتكامل فيها عوامل التنمية الاقتصادية من عمالة وفيرة وخبرات عالية ومصادر استثمار وموارد وسوق واسعة، إلا أنه لا تزال هناك مساحة كبيرة أمام الدول العربية والأفريقية المشاطئة للاستغلال الكامل لإمكانات وفرص التعاون المشترك فيما بينها، بما من شأنه تعظيم الفوائد الاقتصادية لهذه الدول. وقد حرصت مصر على تطوير قناة السويس والمنطقة الاقتصادية المحيطة بها بما من شأنه دعم وتعزيز فرص التكامل الاقتصادى فى منطقة البحر الأحمر.

مع إدراكنا لوجود قدر من الخلافات بين بعض الدول المشاطئة

للبحـــر الأحمر، إلا أننـــا مقتنعون أنهـــا لا تبلغ الحد الـــذى يمكن أن يُعيق جهودنا فى تعظيم استفادتنا المشتركة من البحر الأحمر، وإيجاد محفـــل جامـــع لدولـــه العربية والأفريقية يحقق منفعتها المشتركة. وفى تقديرنا أن إطار التعاون المأمول ينبغى أن يأخذ فى الاعتبار التفاوت فى مستويات النمو الاقتصادى بين دول البحـــر الأحمر، ومن ثم تباين أهدافها وخططهـــا التنموية، الأمر الذى يعنـــى ضرورة تنوع مجالات مشروعات وآليات التعاون، والسماح كذلك بسرعات متفاوتة للتنفيذ بما يُمكن كل دولة منهـــم من اللحاق بأى مشروع إقليمى وفقاً للملاءمة الوطنية.

ولعل أطر التعـــاون فى منطقة البحر المتوســـط خير شـــاهد على أن وجـــود اختلافـــات فى وجهات النظر أحياناً أو قـــدر من التفاوت الاقتصادى بين الدول المشـــاطئة لا تعنى بالتبعية انتفاء سبل التعاون والتنسيق لتحقيق المنفعة المشتركة. ونحن عـــلى ثقة مـــن قدرتنا على التوصل إلى صيغة تفاهم تعزز من التنسيق والتعاون سعياً وراء هدف واحد هو تحقيق الســـلام والرخاء لشعوبنا التى تستحق منا ذلك.

إننا نطرح مبادرتنا هذه اقتناعاً من مصر بأهمية تعزيز ملكية الدول العربية والأفريقية المشاطئة للبحر الأحمر لشئونه، وضرورة التنسيق بينها لمجابهـــة تحدياته، لذا نعتقد بأننـــا فى حاجة للبنـــاء على مؤتمر اليوم ومتابعة وتفعيل ما ســـينتج عنه من توصيات. من هذا المنطلق، أود أن أؤكـــد على اســـتعداد مصر لاستضافة مؤتمر ثان للدول العربية والأفريقية المشاطئةً للبحر الأحمر العام المقبل، كما نرحب باستضافة أية اجتماعات قـــد تقترحها الدول المشاطئة ســـواء لمجموعات العمل المعنية بالبحر الأحمـــر أو للقطاع الخاص والمستثمرين.

ختامـــاً، أود الإشـــارة إلى أننا حرصنا على أن يتيح جدول أعمال مؤتمرنا هذا الفرصة لكافة الوفود المشاركة للتداول الكافى حول كيفية تعزيز التنســـيق فيما بين دولنا فى المجالات الاقتصادية والسياســـية والأمنية، وصـــولاً إلى خلاصات عن أفضل السبل لتعاوننا المشترك. وأثق فى أن النقاشـــات والمداولات البناءة التى ستشهدها جلســـات المؤتمر على مدار يوميه ستتســـم بالعمق والموضوعية والرغبـــة فى التقارب وتحقيق المنفعة المشتركة بين الدول العربية والأفريقية المشاطئة للبحر الأحمر، كما أثق أيضـــاً أن المؤتمر ســـيأتى بأفكار وأطروحاتٍ جديدة من شـــأنها تعزيـــز مصالح دولنا وترسيخ التعاون فيما بيننا.

تصريحات السفير حمدى لوزة نائب الوزير للشئون الأفريقية حول المؤتمر:

إن أهمية اســـتضافة مصر لهذا المؤتمـــر رفيع المســـتوى وفِى هذا التوقيت الذى تمـــوج فيه المنطقة بأحداث مهمة تنبع من أسباب كثيرة نظراً لأنه فى كل البحار فى منطقتنا وغيرها تجد أن هناك تعاوناً إقليمياً بين الدول المتشاطئة، وينطبق ذلك على البحر الأســـود وبحر البلطيق والأدرياتيـــك والبحـــر المتوســـط والمحيط الهنـــدى. كل الدول التى تشترك بشـــواطئ على بحر واحد تسعى للتعاون بينها، وأن محاولة إيجاد إطار للتعاون بين دول البحر الأحمر ليس بجديـــد، وقد بدأ ذلك بمشاركة فعالة ومبادرات من مصر مـــن 2006 واجتماعات فى 2008. لكن للأسف التطورات الإقليمية لم تساعد على نمو وتطور هذا التعاون لأنـــه كان هناك تركيـــز من جانب الدول الإقليميـــة والمجتمع الدولى لمكافحة ظاهرة القرصنة على ساحل الصومال وخليج عدن. وكانت تلك الأولوية الأولى وهذا الذى جعل عدداً من الأســـاطيل مـــن دول مختلفة يكون لها وجـــود فى المنطقة بهدف أســـاسى وهو حماية حركة التجارة عبر مضيق باب المنـــدب ومواجهة ظاهرة القرصنة.

وخلال السنوات الأخيرة شهدنا التطورات فى اليمن وأثرها على الأمن والســـلام فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر. وقد أحييـــنا تلك المبادرات مرة أخرى من خـــلال الدعوة لهذا الاجتمـــاع الذى عقـــد فى القاهرة لأننا نرى أن هـــذه المرحلة تتطلب أن نتخطى الاقتصـــار على ظاهرة القرصنة لأنها بدأت تنحسر ونفكر فيما يمكن عمله بشكل جماعى بين الدول العربية والأفريقية المشاطئة للبحر الأحمر، ولدينا إطار يشـــمل عقد قمة كل 3 ســـنوات بين الدول

العربية والأفريقية.

الدور المصرى فى منطقة البحر الأحمر أســـاسى كما أن محور قناة السويس أساسى والاعتبارات الأمنية والاقتصادية تحتـــم على مصر أن تلعـــب دوراً رائداً فى تنمية وتطوير التعاون فى البحر الأحمر. ومصر تطل على بحرين، ولها مصالح اقتصادية وتجارية مع كافة الـــدول. ونرى تطوراً فى العلاقات للدول المشاطئة للبحر المتوســـط بدأت 1995 من خلال عملية برشلونة. وكانت هناك محاولة لتفعيلها من خلال الاتحاد من أجل المتوسط منتصف 2008. وذلـــك رغم الخلافـــات والنزاعات القائمة بـــين بعـــض دول البحر المتوســـط. وهذا لم يمنع أن تأتى جميع الدول وتتفق أن تكون هناك صيغة للتعاون بينها، وهذا ينطبق أيضاً على البحر الأحمر. ويجب أن يبدأ العمل على تطوير التعاون بين الدول المطلة عليه.

إننـــا مدركـــون تمامـــاً حجم التحديـــات التى تواجـــه المنطقة الجنوبية وبصفـــة خاصة اليمن، وهى تحديـــات كل المنطقة تعانى من آثارها، ونرى التفاعلات المترتبة عليهـــا فى المرحلـــة الحالية. ونأمل أنه فى إطار الجهـــود المبذولة على كافة الأصعدة، عـــلى صعيد عملية السلام والمصالحة الفلسطينية وفتح وحماس، ومواجهة الأزمة فى سوريا وليبيا واليمن، أن نتمكن فى المرحلة القادمة من إيجاد تســـوية بناء على قرارات الأمم المتحدة، تســـاعد على عـــودة اليمن إلى دورهـــا التقليدى الذى كان نشطاً على مدار التاريخ، وحركة التجارة عبر البحر الأحمر. كما قد تكون هناك خلافات أخرى بين دول ســـاحلية ولكن لا نعتقد أنها يمكن أن تعيق عملية التعاون بين الدول على أساس من المصلحة المشتركة. ويشـــير إلى أن المناقشات أوضحت أن هناك رؤية معينة، وقد عقدت اجتماعات تحضيرية متعددة للإعداد له من جانب الجهات المعنية فى مصر وكانت وزارة الخارجية من ينسق هذه الاجتماعات.

إن المناقشات الخاصة بالأوضاع والتهديـــدات الأمنية تم التوافق على أن انحســـار ظاهـــرة القرصنة لا يعنى غياب التحديات. وأن التحدى الأساسى الذى تواجهه الدول الآن هو الإرهاب والاتجار فى البشر والجريمة المنظمة وغيرها مـــن الجرائم التى تتطلب تعاوناً من الدول. ومن هنا اتفق أننا فى حاجـــة إلى التعاون فى مجال تبـــادل المعلومات والتدريب وتنشـــيط حركة التفاعل بين الدول لنكـــون مدركـــين أن الخطر الذى يواجه دولة يواجه كل الدول، وأثره سيمتد ليشمل كل الدول. ورأينا أن أى تهديد لـــدول فى المجرى المائى يؤثر على حركة اســـتخدام البحر الأحمر والتى تمثل من 10 إلى 15% من حركة التجـــارة العالمية. ومن الأهمية بمكان أن تأخذ دول المنطقة زمام المبادرة وحماية المجرى المائى.

وعلى الصعيد كان هناك ترحيب من جانب المشاركين بالعرض الذى قدمتـــه الهيئـــة الاقتصادية لقناة الســـويس عن المشروعات فى محور القناة وحجم العمالة والاســـتثمار، بما يســـمح بمشـــاركة الهيئة فى مشروعات أخرى فى المنطقة. ونحن نقول إلى جانب المشروعات المقامة فى مصر فى هذه المنطقة فنحن مدركون أن الدول الأخرى فى سبيل العمل على بدء مشروعات عملاقة فى دولها منها السعودية والسودان.

من أهـــم المســـائل التى اتفق عليهـــا أن تناول هـــذا الموضوع يتطلب مشـــاركة القطاع الخاص وضرورة عقد اجتماع قريبا تشارك فيه جهات حكومية مـــن وزارات التجارة والنقـــل، بجانب جمعيات تضـــم القطـــاع الخـــاص، لأن فى النهاية من يقـــوم بحركة التجارة هو القطاع الخاص ومن يســـتثمر

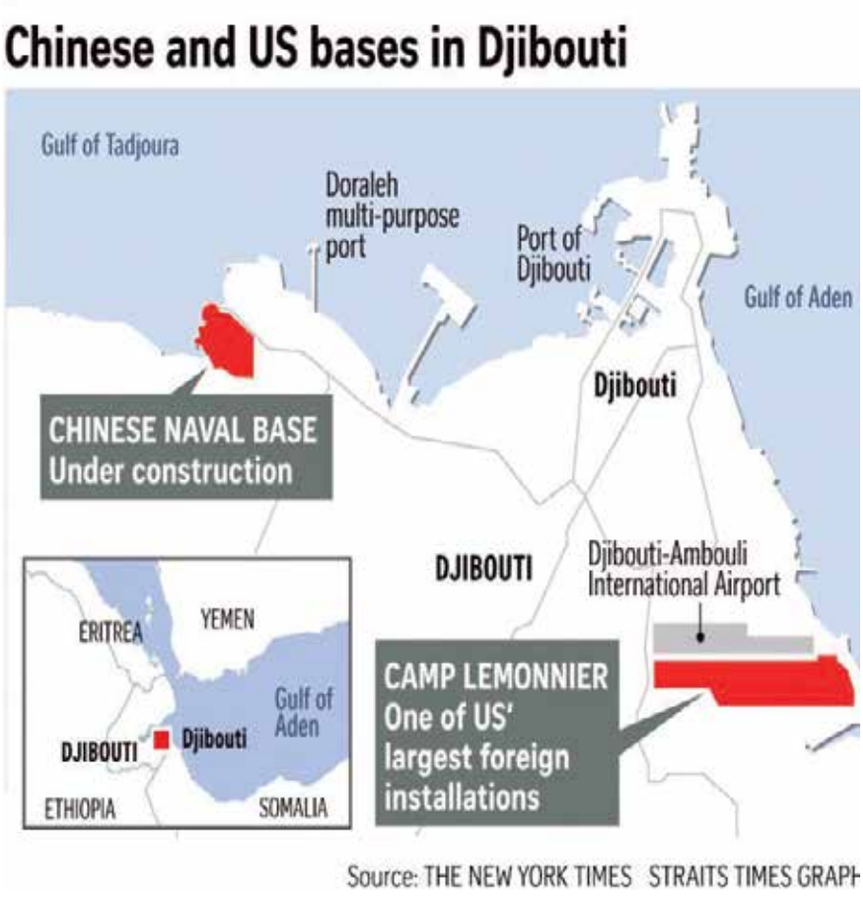

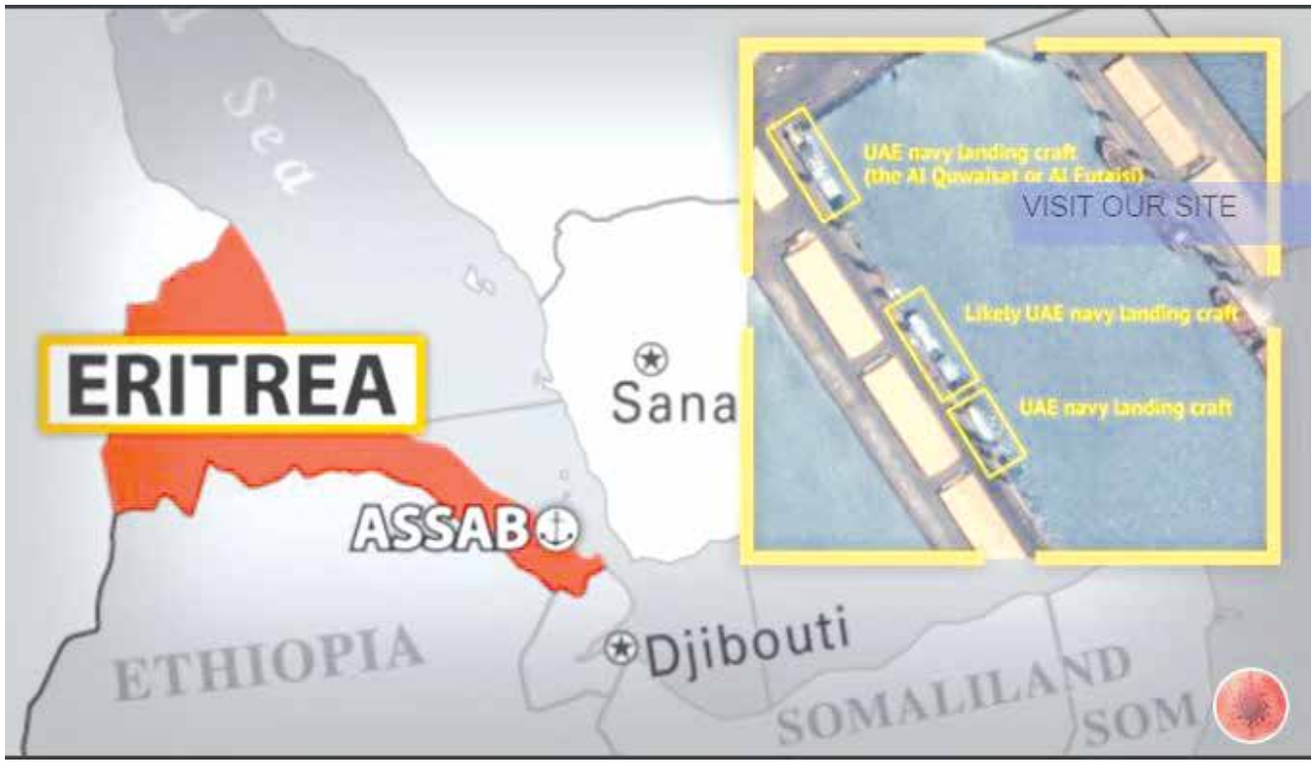

هو أيضاً القطـــاع الخاص، فاتفق أنه فى الاجتمـــاع القادم على صيغة لعقد اجتماع نعرض خلاله كجهات حكومية رؤيتنـــا ودعمنا لتطوير حركة التبـــادل التجارى بين الدول وتشجيع القطاع الخاص أن يساهم فى التطويـــر بالإضافـــة لمشروعات الربط الكهربائى وتوسيعها ويجب طرحها باعتبارهـــا نموذجاً ناجحاً للعلاقات العربية الأفريقية.

ملف السياحة من الملفات المهمة خاصة وأن مصر لها خبرة واســـعة فيه فى إقليـــم البحر الأحمر ويمكن تعزيز التعاون فى هـــذا المجال مع الدول المتشاطئة. فإننا نرى فى البحر المتوسط هناك سفناً تحمل سياحاً تزور عدة موانـــئ والكل معترف بما لدى مـــصر من خبرة فى تطوير المناطق على ســـاحل البحر الأحمر. وكثير من الدول فى ســـبيلها لإنشاء مشروعات سواء على الساحل أو فى بعض الجزر الساحلية، وحريصون أن يتعرفـــوا عـــلى تجربـــة مصر ومشـــاركة رجال أعمال مصريين. وما ننظر إليه المشروعات التكاملية تســـمح بجذب للمنطقة المزيد من الســـياح وإتاحة الفرصة للسائح بالتعرف على أكثر من بلد.

تثير تطورات الأوضاع فى اليمن مخاوف عدة إذ تشكل تهديداً للسلم والاستقرار ليس فى الداخل اليمنى فقط، وإنما فى الإقليم ككل. والثوابت المصرية تجـــاه الأزمة اليمنية تدور حول تنفيذ قـــرارات الأمم المتحدة وإيجاد تسوية سياسية للأزمة. لكن فى قضايا تتعلق بالتعاون الإقليمى مطلوب تجنـــب تنـــاول نزاعات محـــددة ومحاولة إيجاد القاســـم المشـــترك الذى يجمع الدول، فإلى جانب الأوضاع فى اليمن هناك قضايا أخـــرى تواجـــه دول المنطقة على الساحل الأفريقى أكثر من العربى، وتجنبنا مناقشـــتها وبشكل رئيسى فى الاجتماع لأنها تناقش فى محافل أخرى على مستوى الجامعة العربية والأمم المتحدة وعلى مستوى جهود التحالف القائم على مواجهة التهديد الحالى فى اليمـــن. ورأينا أنه يجب النظر فيما بعد هذه المرحلة وإعادة بناء اليمن وتطوير العلاقات بينها وبين الدول المجاورة .وحول موجات الهجرة غير الشرعيـــة والاتجار فى البشر وخطر الإرهاب ذكر الســـفير حمـــدى لوزة أن مصر لها ســـجل إيجابى فى مكافحة الاتجار بالبشر ومكافحة الإرهـــاب باعتراف دول الإقليم ودول العالم. وتتناول قضية الإرهاب ليس مـــن منطلق محاربة المســـلحين الذين يقومون بعمليات إرهابية وإنما أيضا مواجهة تمويل الإرهاب وعمليات الشـــحن للشباب من خلال التطرف والتشدد. ولدينا إطار آخر يتم التعامل فيه لظاهرة مكافحة الإرهاب مـــن التعاون مع دول ولكن لا نريـــد أن تطغى هذه القضايا وأن تصبح أساس العمل فى إطار التجمع الذى نسعى إلى إنشائه بين الدول المتشـــاطئة، وأننا نسعى للنظر للأمام والتعاون.

إن أمن كل هذه المنطقة مرتبط بأمن مصر وأمنهـــا لا يقتصر على قناة الســـويس وإنما يمتد إلى باب المنـــدب. وأعتقد أن الـــدول كلها متنبهة إلى ذلـــك. وفى نفس الوقت أى رخاء فى المنطقة أثره سيمتد إلى جميع الدول. ولا ننسى أنه عند بناء قناه السويس فى القرن التاسع عشر الرخاء لم يتحقق فى مدن بعينها فى مصر، وإنما امتد إلى ميناء عدن الذى كان فى وقت من الأوقات يشهد حركة تبادل تجارى بعد ميناء نيويورك، فالمنطقة يمكن أن تشـــهد طفرة فى مجال النمـــو إذا ما تم البناء على ما تملكه من ثروات.

العلاقات بين مصر والسودان: الى أيـن؟

تتسم العلاقات بين مصر والســـودان بتعدد الروافد، وعلى النحو الذى توصف معه بانها علاقات فريدة وتتســـم بالخصوصية، إذ تتأســـس على ثوابت الجغرافيا ووقائع التاريخ والروابط الثقافية والوشائج الإجتماعية،فضلا عن رابطة نهر النيل الذى يمثل شريانا تاجيا لأبناء وادى النيل، وتتجسد تلك الروافد فى مقولة شعب واحد فى دولتين كل منهما عمقا إستراتيجيا للآخر. ولعل ما قد يجعل من تلك الروافد كتله صلبه لا تنال منها الازمات أو المواقف والسياسات غير المواتية ما يحظى به الموقع والموضع الاســـتراتيجى للبلدين فى القارة الافريقية فى إتصال بالمنطقة العربية، حيث يدفعان وبقوة حال توافر الإرادة السياســـية الصادقة نحو آفاق رحبة للتكامل الإقتصادى الإيجابى والبناء لما فيه المصالح المشتركة للبلدين، وذلك بما يمتلكاه من موارد بشرية وطبيعية ضخمة كما ونوعا.

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

واقع الامر، وعلى الرغم مما تقدم، فلعله من طبيعة الامـــور ان لا يخلو الامر من رواســـب تاريخية محدودة تجاوزها الزمن، وتضاءل تأثيرها بل وقد ينعدم، بتأثير قوة وفاعلية الروافد المشـــار إليها، ولكن للأســـف يسعى البعـــض إلى إيقاظهـــا وتضخيمها بل ربما إســـتغلالها، لأتخاذ مواقف وسياسات سالبه لأغراض تتعارض ومصالح الشـــعبين والبلدين وهو ما نلحظة ويمكن رصده على مدى بضعة عقود.

لقد جـــاء إنقلاب عـــام 1979 فى السودان بقيادة الرئيس عمر البشير- وهو ما سمى بعد ذلك بثورة الإنقاذ - ليتبنى توجها سياسيا إسلاميا فى إطار الحركة الاسلامية الإقليمية / الدولية، وإقترن ذلـــك بنزعة ذاتية ذات منحى إستقلالى عن الدولة الشقيقة مصرتحت مظنة أن تلك النزعة تحقق شـــعبية للنظـــام الوليد وتثبـــت أركانه.ولقد تجســـد ذلك فى سلسلة من الممارسات والإجـــراءات العدائية تجاه مصر بدءا بمصادرة الممتلكات المصرية والإستيلاء عليها، وتحويل الجامعات المصرية فى الخرطوم إلى جامعات سودانية،وإقامة علاقات مع التنظيمات الإســـلامية فى مصر، وخاصة الإخوان والتى وصلت إلى حد تدبـــير محاولة إغتيال الرئيس الاســـبق مبارك عام 1995 فى أديس أبابا. وقد كان هذا التوجه الاســـلامى ومحاولة فرضه بالقـــوة على جنوب الســـودان أحد الاســـباب الرئيسية لإنفصال جنوب السودان بدعم غربى قوى، رغـــم أن القيادات السياســـية الجنوبية كانت تتبنى - فكريا - توجها وحدويا شريطة أن يكون علمانيا وهو الامر الذى أفقد فى الإستفتاء على تقرير المصير، خيار الوحدة أية جاذبية أمام خيار الإنفصال.

من ناحية أخرى، إتسق هذا التوجه الاســـلامى مع التوجه الذى تتبانه كل من قطر وتركيـــا وإيران، وهو محور سيئ السمعه دوليا من حيث الإرهاب، بل وإلتحق به الســـودان ضمنيا - لم يزل يواجه مشكلة إدراجه على قائمة الـــدول الراعية للإرهـــاب - ودول المثلث تشـــكل محورا مناوئا لكل من مصرودول بالخليج. وهو محور يتخذ من القواعد العســـكرية والإستثمارات والدعـــم الاقتصادى منهجـــا لتعزيز تواجده ونفوذه، بما لديه من امكانات مادية مؤثرة إقليميا ودوليا - قطر -، وعســـكرية متقدمة - إيران وتركيا -، بجانب الامكانات الإقتصادية للأخيرة.

على خلفية ما تقدم وفى إطاره يجئ دور السودان، فاذا كانت الدول الثلاث تســـعى إلى النيل من مصر وتحجيم دورها ونفوذها.بـــل وربما إضعافها وتفتيتها بالتقسيم فان تلك الاهداف تتسق مع رؤية السودان المشار إليها، ونضيف أن العمليـــات الإرهابية التى تشـــهدها مصر مدعومه على الأرجح من جانب دول المحور المشار إليه، مع التذكير بأن السودان يأوى عناصر من تنظيم الإخوان على أراضيه بل وهناك ما يفيد ان بها مراكز للتدريب.

من ناحية ثالثة، تسعى دول المحور الثلاث - ومن بينهم دولتان ليسا من المنطقة العربية، والثلاثه ليســـوا من الدول المتشـــاطئه على البحر الاحمر بل وخارج منطقتـــه - وبتعاون مع السودان تســـعى للولوج إلى منطقة البحر الأحمر ذات الأهمية الأستراتيجية للأمن القومى المصرى والامن القومى العربى، فتتواجد إيران عســـكريا فى البحر الأحمر عبر اليمن ولو من خلال الحوثيـــين بجانب تنظيـــم القاعدة، وتتواجد تركيا بقاعدة عســـكرية فى الصومال على مدخـــل البحر الاحمر، ومؤخرا ســـتتواجد فى البحر الاحمر أيضا عـــبر الســـودان بتقدير يرجح بقوة من واقـــع نتائج زيارة أردوغان للسودان مؤخرا إقامة قاعدة عسكرية فى جزيرة ســـواكن، والتصريح حول إتفاق سرى لـــم يعلن عنه. هذا فضلا

عن سعى دول المحور فى إتساق مع دور للسودان فى التغلغل والتسلل لدول أفريقية ذات مواقف وسياسات سالبه تجاه مصر ومن أبرزها أثيوبيا. إذ تجدر الإشارة هنا إلى إجتماع رؤساء أركان القوات المسلحة للسودان وقطر وتركيا فى الخرطوم إبان زيارة أردوغان للعاصمة السودانية، وكذا إجتماع رئيسى أركان كل من السودان وأثيوبيا مؤخرا بعاصمة الأخيرة، فى إتصال بزيارة الرئيس التركى للسودان. هذا مع العلم بوجود إتفاق للتعاون العسكرى بين الخرطوم واديس أبابا تم توقيعة بين رئيسى البلدين فى العام الماضى. وقد صرح البشير فى أعقابه بأن أى إعتداء على أثيوبيا بمثابة إعتداء على السودان، مثلما تضمن أتفاقا بشأن الحدود بين البلدين إعترافا من أثيوبيا بأن مثلث حلايب سودانى.

على ضوء مجمل ما تقدم شهدت العلاقات المصرية السودانية حالة شبه مزمنه من التوتر، وظلت تراوح مكانها فى هذا الاطار عبر العقود الثلاث الماضية، بل وتصاعدت حالة التوتر مع دأب السودان على إثارة وربما إفتعال العديد من القضايا والمشاكل التى يمكن أن نجد تفسيرا لها فى إطار التوجهات الأسلامية والنزعة الذاتية، وفى إرتباط النظام القائم فى الخرطوم بالمحور الثلاثى المشار إليه، والتى تتمحور حول المصالح الذاتية للسودان دون مراعاة للمصالح المشتركة التى تتأسس على الروافد المتعددة المشار إليها، تلك المصالح التى تشكل اساسا لعلاقات صحية بين شعبى وادى النيل.

ويمكن حصر تلك القضابا والمشاكل فى مجموعتين من القضايا الاولى جوهرية، والثانية مفتعله.

والمجموعة الاولى تبدأ بقضية سد النهضة التى تبنى فيه السودان موقفا أثيوبيا خالصا يصل إلى حد أن وصفه البعض بالتواطؤ حيث لا يراعى الحقوق المائية التاريخية لمصر أو القوانين الدولية المعنية بالانهار أو الأتفاقات الموقعة بين دول النهر، أو التجارب الناجحة لدول متشاطئه على نهر، أو حتى الاضرار التى ستصيب الإقتصاد المصرى،

وتليها قضية حلايب وشلاتين، وهى قضية محسومة أصلا ولا تستوجب أن تكون محل نزاع لإجراء حوار أو التوجه للتحكيم الدولى، ويدرك الطرف السودانى ذلك، إذ أنه يعى تماما لو طبق قواعد القانون الدولى بشأن الحدود والأتفاقات الموقعه بصددها وبشكل سليم لتأكد أن دعواه بسودانية مثلث حلايب تفتقر لأى اساس.

ثم تجئ قضية تسليم سواكن لتركيا، وهى قضية تمس الامن القومى المصرى بل والعربى فى منطقة البحر الاحمر،والتساؤل يدور حول الغرض الرئيسى من هذا التسليم ومن المستهدف من إقامة قاعدة عسكرية فى هذه الجزيرة وفى هذا التوقيت، خاصة اذا أخذنا فى الإعتبار توجهات المحور الثلاثى بالتعاون مع السودان، وأحاديث الأخير عن مثلث حلايب والذى إقترن بتصريحات ذات طابع عسكرى من جانب البشير وقادة عسكريين سودانيين بصدده.

أما القضايا المفتعله فمن أبرزها الإدعاء بدعم مصر للمعارضة السودانية، ولحركات التمرد، ودعم جنوب السودان ضد السودان، وتخلى مصر عن دعم السودان فى محافل دولية بشأن حقوق الإنسان، وإمتناع مصر عن دعم طلب السودان رفع العقوبات عنه، الإدعاء بإبعاد السودان عن الحوار مع أثيوبيا فى قضية سد النهضة، حملات إعلامية يبدأها الجانب السودانى ويرد عليها الجانب المصرى، وتقييد التأشيرات للمصريين، حظر إستيراد سلع مصرية تحت دعاوى غير صحيحة، وقد ثبت فى كل هذه القضايا أنها جاءت مفتعله من الجانب السودانى وأن مصر فى جميع تلك القضايا وكذا فى القضايا الحيوية كانت ولم تنزل حريصة على التهدئة وعدم التصعيد وإنتهاج سياسة الإحتواء.

على ضوء مجمل ما تقدم فان النهج السودانى فى تعامله مع مصر يتسم بالعدائية ويدير ويخلق أزمات، من منطلق توجهاته السياسية وإرتباطاته الاقليمية والدولية التى لا تتسق مع نظيرتها المصرية. وهو بهذا يدفع نحو تكريس سياسة المحاور المتصادمة التى قد لا تقتصرفقط على الصراع والتصادم السياسى بل وربما قد تدفع إلى نظيره العسكرى، خاصة وأنه ـ أى النظام القائم فى السودان ـ ينتمى لمحوريضم قوى إقليمية من خارج المنطقة العربية والقارة الافريقية من ذوى الاطماع التوسعية والهيمنة والسيطرة على نحو يستهدف النيل إن لم يكن طمس الهوية العربية وتغيير خريطة المنطقة..

وعلى الرغم من هذا التباين فى التوجهات بين البلدين، وفى العلاقات الاقليمية والدولية لكل منهما، والتأكيد على حق وحرية كل دولة فى إتخاذ ما تراه من سياسات وتوجهات، إلا أن هذا الحق ليس مطلقا بل مقيدا باطار علاقات إقليمية ودولية يتعين مراعاتها وخاصة بين دول الجوار، تتأسس على مبادئ راسخة ومستقره لعل أبرزها، حسن الجوار والمصالح المشتركة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية والأمن المتبادل

وفى التقدير، إن كسر الحلقة المفرغة لحالة التوتر المتنامى والمتصاعد فى العلاقات بين البلدين، والتى قد تصل إلى حالة التدهور، يستوجب مراجعة شامله مع النظام القائم فى السودان، وان يكون ذلك فى إطارتفعيل العمل بالوثيقة الإستراتيجية التى وقعت من جانب الرئيسين السيسى والبشير فى إكتوبر 2016، والتى تضمنت تناول العلاقات بين الدولتين ليس فقط فى الإطار الثنائى بل وأيضا فى الإطار الإقليمى عبر آليات وردت بالوثيقة شاملة فى التناول لكافة المجالات، وشاملة أيضا لآليات على كافة المستويات، ومن بينها آلية القمة على المستوى الرئاسى، مع مراعاة تجنب الحملات الإعلامية السالبة التى قد تترك أثارا ورواسب غير مواتيه على العلاقات الشعبية بين البدين.

جزيرة سواكن والأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر

أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان خلال زيارته للسودان يوم 25 ديسمبر 2017 أن السودان خصص جزيرة سواكن على البحر الأحمر لتركيا، كي تتولى إعادة تأهيلها وإدارتها لفترة زمنية لم يحددها. وأضاف خلال زيارته للجزيرة برفقة الرئيس البشير أن السودان سلم الجزيرة لتركيا لإعادة تأهيلها وإدارتها، مضيفاً «وهناك ملحقاً لن أتحدث عنه الآن».

وقال إن الأتـــراك الذين يريدون الذهاب للعمرة فى السعودية سيأتون إلى سواكـــــن، ومنها يذهبون إلى العمرة فى ســـياحة مبرمجة. وتنفذ وكالة التعاون والتنســـيق التركية (تكا) مشروعاً لترميم الآثار العثمانية بالجزيرة. وتفقد البشير وأردوغان مبنى الجمارك ومســـجدى الحنفى والشافعى التاريخيين بالجزيرة.

جزيرة سواكن تاريخياً

1 - تبلغ جزيرة ســـواكن على البحر الأحمر مساحة قدرها 20 كيلو متراً مربعاً. وتقـــع عند خط عرض 19.5 شـــمال خط الاستواء، وخط طول 37.5 شرق جرينتش، وترتفع 66 متراً فوق مستوى سطح البحر، وتبعد عن مدينة بورســـودان حوالى 62 كيلو متراً، والخرطوم 642 كيلو متراً. وهى جزيرة مرجانية توسعت إلى الساحل وما جاوره فغدت مدينة سواكن تضم الجزيرة والساحل، ما جعل منها ميناء طبيعياً.

2 - ولا يعرف تاريخ محدد لبناء ســـواكن ولكن الكثير من الشواهد تدل عـــلى أن الجزيرة كانت مأهولة منذ تاريخ موغل فى القدم. واشتهرت بعد ظهور الإسلام إلى أن حلت محل عيذاب كمنفذ تجارى لممالك السودان القديمة وميناء أفريقيا الأول للحجيج. وكانت على اتصال دائم عبر الرحلات بينها والموانئ المجاورة الأخرى منها القصـــير وســـفاجا فى مصر وجدة والليث وينبع فى السعودية.

3 - ويرجـــع الكاتـــب المصرى الشـــاطر البصيلى لفظ شواخن إلى أصل مصرى قديم. وأن سبب تحول

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

كلمة شواخن إلى شواكن أو سواكن يعود إلى خلـــو لغات ولهجات قبائل البجا من حـــرف الخاء، والذى غالباً ما يقلب إلى الكاف، وهناك من يعتقد أن الاسم عربى الأصل من كلمة سوق أو أسواق.

المصريون القدماء وجزيرة سواكن

- كانت جزيرة سواكن مأهولة منـــذ تاريخ موغـــل فى القدم حيث يشير المؤرخون إلى اكتشاف جزيرة ســـواكن مع قدمـــاء المصريين منذ الأسرة الخامسة من الدولة القديمة الفرعونيـــة حوالى 2400 قبل الميلاد حيث كانت ســـفن الفراعنة تمر عبر ســـواكن وتســـتخدمها كمحطة فى الطريق إلى بلاد بونـــت (الصومال حالياً) لجلب العـــاج والذهب والمر واللبان والبخور وهو ما جســـدته رحلة الملكة حتشبســـوت من الأسرة 18 الفرعونيـــة (1479 – 1458 ق.م) على جـــدران معبدها بالدير البحرى فى طيبـــة (الأقصر حالياً). واستمر نشاط الفراعنة التجارى مع مدن وموانئ جنـــوب البحر الأحمر بشـــاطئيه الأفريقى والآسيوى حتى مجئ الإسكندر الأكبر إلى مصر 332 ق.م أى أن علاقـــة مصر الفرعونية بجزيرة سواكن امتدت تقريباً 2100 عام.

البطالمة فى مصر وجزيرة سواكن

1 - ازداد النشـــاط التجـــارى وإعادة بنـــاء وتأهيل المدينة والميناء على يـــد المصريين فى عهـــد الأسرة البطلميـــة بمـــصر 323 ق.م – 30ق.م، وخاصة فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفيوس الذى اهتم كثيراً بالتجارة عبر البحـــر الأحمر وقام بتشـــييد ميناء برنيس (رأس بناس حالياً) عام 285 ق.م واعتباره همزة وصل مع ميناء ومدينة ســـواكن فى الجنوب منه.

2 - وأشـــار الجغرافى اليونانى بطليموس عام 175 ق.م بأن سواكن كانت ميناء الرجاء الصالح على البحر الأحمر ذلك الوصف الذى أورده عن ذلك الميناء الواقع على البحر الأحمر ينطبق على سواكن من حيث وقوعه عـــلى جزيرة مســـتديرة بقطر 1.5 كيلو متر بمقياس اليـــوم فى نهاية لسان بحرى إلى داخل البر. كما أشار بطليمـــوس فى وصفه إلى الفيلة التى تم اســـتجلابها إلى المدينة من غابات وسط السودان. ومع ذلك كان الميناء الرئيسى بحســـب البطالمة والرومان هو ذلك الذى شيده بطليموس الثانى فى 285 ق.م وهو ميناء برنيس الذى أصبح يشـــكل بموقعـــه على البحر الأحمر نقطة وصل مهمة لليونانيين والرومـــان تربطهـــم بعالم المحيط الهندى.

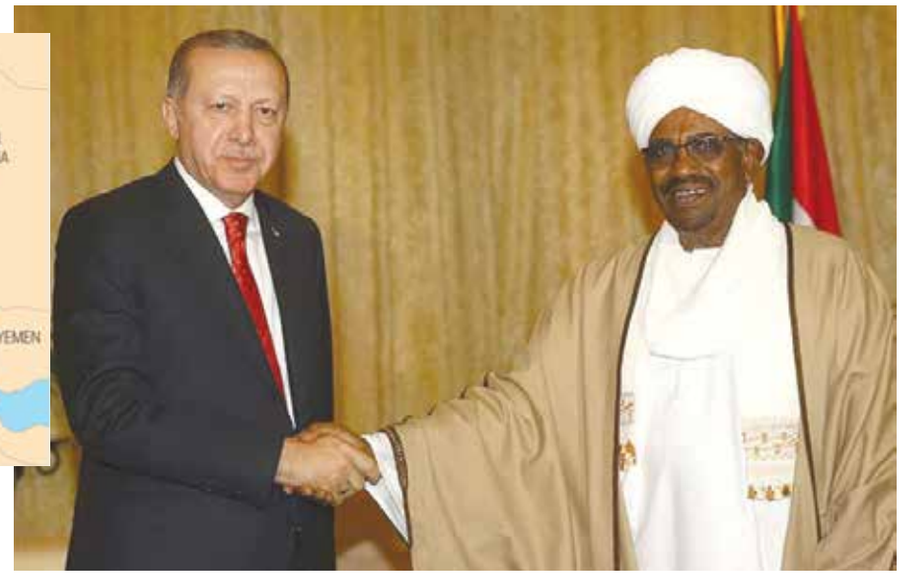

العرب وجزيرة سواكن

1 - خلال القرن الثامن الميلادى ورد اسم سواكن لأول مرة فى مؤلفات الرحالة وعلماء الجغرافيا والتاريخ العرب كمدينة مر بهـا أفراد أسرة بنى أمية المتجهين إلى مصر هرباً من العباسيين بعد قتل الخليفة الأموى مروان بن محمد عام 750 ميلادية. فقد ذكر المقريزى فى كتابه: المواعظ والاعتبار بذكـر الخطط والآثار بأن ثمـة طريق من النيـل (مصر) إلى سواكن وباضع (مصوع الحالية فى أريتريا) ودهلك (فتحها الخليفة عمر بن الخطاب عام 641 ميلادية) نجا منه بنو أميـة الهاربون عبر مصر. وهذا يعنى أن جزيرة سواكن عاصرت مينائى عيذاب ومصوع خلال فترة خمسة قرون. وتؤكد مراجع عربية قديمة أن سـواكن استقبلت أفواجاً مـن الأسر العربية خلال القرون 9، 10، 11 الميلادية بغرض الاستقرار والإقامة فيها. ووفقاً للمقريزى وابن سليم الأسـوانى فإن سواكن كانت مرتبطة بمراكز تجميع التجارة على النيل انطلاقاً من مصر، وكانت تشكل منفذاً بحرياً للدويلات المسـيحية فى السودان، والحبشـة وكان يمر بها المسـيحيون إلى القدس حتى أوائل القرن 16 الميلادى.

2 - أدى ضعف الدولة العباسية فى بغداد وظهور الدولة الفاطمية فى مصر 969 – 1171 ميلادية إلى تغير فى حركة الملاحـة والتجارة الدولية فى البحر الأحمـر حيث أصبح ميناء القصير وعيذاب أهم مركزين للتجارة مع الهند. وقـد أدت فترة الحروب الصليبية 1096 – 1204 ميلادية، والغـزو المغولى فى الـشرق الأدنى (سـقوط بغداد 1258 ميلادية) إلى تحول التجـارة بين أوروبا والشرق الأقصى إلى منطقة البحر الأحمر عبر مصر طوال عصر المماليك (1250 – 1517ميلادية).

3 - وفى الواقع إن حال سواكن وباضع (مصـوع) وعيذاب(أقصى جنوب مـصر) وغيرها مـن مدن ومواني البحر الأحمر والتى كانت تتلقى التجارة مباشرة من مصر قد تغيرت بعد اكتشـاف طريق رأس الرجـاء الصالح فى أواخـر القرن 15 أى فى 1498 ميلاديـة عـلى يد البرتغاليين، واتجاه السفن الأوروبية إلى طريق رأس الرجـاء الصالح فى الوصـول إلى موانئ الشرق الأقصى، وشبه الجزيرة الهندية ولم تنتعش موانئ البحـر الأحمر مرة أخرى إلا عقب افتتاح قناة السويس فى 1869.

الدولة المملوكية فى مصر وجزيرة سواكن

بدأ حكـم المماليك فى مصر من 1250 – 1517 ميلاديـة إلا أنه فى عام 1264 ميلادية أغار المماليك من مصر على جزيرة سواكن عندما أثار أحد حكامها غضب السلطان المملوكى الظاهر بيبرس وذلك بسبب استيلائه على بضائع بعض التجار المصريين فأرسل حملة عسـكرية مكونة من 50 سـفينة من ميناء عيذاب ضد حاكم سواكن. وبعد الدمار الذى حل بالمدينة، استقبلت سواكن أهل عيذاب المصريين الذين نزحوا لاسـتئناف حياتهم فى خدمـة التجارة والملاحة فوصلت إليها فى عهد المماليك السفن التجارية من الهند والصين واستمر هـذا الانتعاش التجـارى للمدينة بفضـل المماليك فى مصر، حتى هزم المماليك فى موقعة ديو البحرية عام 1509 على يد البرتغاليين، ثم ظهور الخطر العثمانى فى عهد سليم الأول فى 1517 ممـا أدى إلى انتهاء دور المماليـك وحكمهم لسـواكن فترة امتدت لحـوالى 253 عاماً منذ غزو الجزيـرة فى 1264 حتـى 1517 ميلادية.

العثمانيون وجزيرة سواكن

غزا السـلطان العثمانى سليم الأول بعد اسـتيلائه على مصر من المماليـك فى 1517 ميلادية جزيرة سـواكن مباشرة خـلال وجوده فى مصر، وأصبحت المدينة مقراً لحاكم مديريـة الحبشـة العثمانية، وقد ضُمت سواكن فى عهد السلطان سليم الأول إلى ولايـة الحجاز العثمانية إلا أن المدينـة سرعان مـا تدهورت فى ظل سياسـة التضييق التى وضعها العثمانيون عـلى التجارة الأوروبية للحد مـن نشـاطها التجارى عبر طريق البحـر الأحمر فى محاولة من الدولة العثمانيـة لمحاربة الأطماع

جزيرة سواكن والأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر

الأوروبية فى منطقة البحر الأحمر (وربما لإبعادهم أيضاً عن مكة والمدينة واليمن).

1 - وفى عام 1540 ميلادية فى عهد السلطان سليمان القانونى ابن سليم الأول حدث خلاف بين قائد أحد الأساطيل البرتغالية وحاكم سواكن، وكانت السفن التجارية فى طريقها من جزيرة جوا غرب شبه القارة الهندية إلى خليج السويس بغرض مهاجمته والاستيلاء عليه، وعندما وصلت سواكن أحدثت دماراً بالمدينة الأمر الذى أثار غضب العثمانيين فاصطدموا بالبرتغاليين وفى عام 1629 أصبحت سواكن قاعدة عسكرية للحملة العثمانية على اليمن.

محمد على والخديوى إسماعيل وجزيرة سواكن

1 - قام محمد على بعد إنشاء مدينة الخرطوم 1821 لتصبح عاصمة للسودان، بإنشاء مدينة كسلا، فضلاً عن العديد من المنشآت المدنية والعسكرية وضم جزيرة سواكن إلى ولاية مصر، إلا أن الإمبراطورية العثمانية لم تعترف له بذلك وقامت بتأجير الجزيرة له مقابل مبلغ سنوى يدفع للباب العالى، وبعد وفاة محمد على فى 1849 عادت للدولة العثمانية اسمياً.

2 - فى عام 1865 تنازلت السلطة العثمانية رسمياً للخديوى اسماعيل عن سواكن مقابل 15 ألف جنيه مصرى سنوياً، وازداد فى عهد الخديوى اسماعيل خاصة بعد افتتاح قناة السويس عام 1869 عدد سكان المدينة من البحارة المصريين والعرب وغيرهم من التجار القادمين من اليونان واليمن وأرمينيا والهند. وقد سعى الخديوى اسماعيل إلى تطوير المدينة مرة أخرى فبنى فيها منازل جديدة ومصانع ومساجد ومستشفيات وحتى كنيسة لأقباط المهجر، فعادت إليها السفن الأوروبية وجرت عمليات تبادل السلع السودانية كالتمور والجلود والقطن والصمغ العربى وسن الفيل وريش النعام وشمع العسل بمنتجات الشرق والغرب ومن بينها التوابل والزجاج والورق والمنسوجات.

3 - عملت فى الميناء شركات بحرية دولية مثل «شركة الهند الشرقية الإنجليزية»، و«الشركة الخديوية»، و«شركة ملاحة رباتينو الإيطالية.» كما حاول الخديوى اسماعيل ربط المدينة ببقية مناطق الإنتاج فى السودان خاصة مناطق الجنوب السودانى مثل جوبا وملكال وهى المدن التى شيدها الخديوى اسماعيل خلال رحلات استكشاف منابع النيل حيث كان قد أنشأ الجمعية الجغرافية عام 1875 وتمكنت فى عهده البعثات الاستكشافية من الوصول إلى منابع النيل الاستوائية حتى بحيرة فيكتوريا، وسميت غندوكرو الواقعة على الحدود السودانية - الأوغندية بـ «الإسماعيلية» وأطلق على بحيرة كيوجا فى أوغندا بحيرة «إبراهيم».

4 - وحاول الخديوى اسماعيل أيضاً ربط مدينة وميناء سواكن ببقية مناطق الإنتاج فى السودان بخطوط السكك الحديدية، إلا أن الحرب المصرية/الحبشية فى 1875/1876 واندلاع الثورة المهدية بعد ذلك أى إلى تراجع حركة العمران. وتضم أنقاض المدينة حتى الآن منذ عصر الخديوى اسماعيل والخديوى عباس حلمى الثانى الذى زار سواكن فى أواخر القرن 19 منازل للسكن وقصوراً منها منزل الشناوى ومنزل خورشيد والمؤسسات العامة مثل مبنى الجمارك ومبنى البنك الأهلى المصرى والمسجد الشافعى وكلها من بقايا إصلاحات وبناء فى عهد الخديوى اسماعيل.

الصراع الدولى على البحر الأحمر عبر التاريخ

البحر الأحمر بالمفهوم الجيواستراتيجى أكثر اتساعاً منه بالمفهوم الجغرافى للبحر نفسه.

1 - يتميز البحر الأحمر بموقعه المتوسط بين قارتى أفريقيا وآسيا على الرغم من سواحله الصحراوية القاحلة الطاردة وذلك لكونه بحراً ضيقاً تنتشر به الجزر، التى تزيد من تقارب الساحلين الآسيوى والأفريقى، فضلاً عن أن مضايق البحر الأحمر كانت بمثابة معابر أرضية انتشرت عبرها أنواع من النباتات والحيوانات البحرية. كما كانت أيضاً طريقاً مرت عبره الغزوات واللغات والهجرات والثقافات والديانات والأجناس، هذا

فضلاً عن توسط البحر للطريق بين قارتى أوروبا وأستراليا، والطريق الملاحى بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، فهو يربط بين البحار الشرقية والبحار الغربية بصفة عامة وبين البحر المتوسط والمحيط الهندى وبالتالى فهو أشبه ما يكون ببحر عائم يمتد بانحراف بين الشمال والجنوب. ويشغل البحر الأحمر بين خطوط العرض ثمانى عشرة درجة (12 30- شمال خط الاستواء) ويشغل مساحة قدرها 438.000 كيلو متر مربع، وطول سواحله 4938 كيلو متراً.

2 - فالمحيط الهندى تتمثل أهميته بالنسبة للبحر الأحمر فى وجود سياج مرتفع من اليابس حول مياهه من جهة الشمال، وتتخلله مجموعة من الممرات المائية التى تخترق هذا الحصار المضروب من قبل اليابس، ومن هنا تأتى أهمية المحيط الهندى للبحر الأحمر (قاعدة ديجوجارسيا الأمريكية)، إذ يتحكم فى مجموعة الممرات الاستراتيجية مثل رأس الرجاء الصالح، وقناة موزمبيق، ومضيق باب المندب، ومضيق هرمز ومضيق ملقا، وكلها مؤثرة استراتيجيا وجيوبوليتيكيا وجيواستراتيجياً على البحر الأحمر.

3 - أما البحر المتوسط فهو بحر مغلق يحيط به اليابس المرتفع، ويتوسط قارات العالم القديم: أوروبا وآسيا وأفريقيا، وتكمن أهمية البحر المتوسط فى تحكمه فى عدة ممرات مائية مهمة مثل: مضيق جبل طارق، البحر الأسود والمضايق التركية (البسفور والدردنيل) وبحر إيجه، وقناة السويس، وكلها تؤثر بشكل أو بآخر استراتيجياً، وجيوبوليتيكياً، وجيواستراتيجياً فى البحر الأحمر.

4 - ويجيء اعتماد معظم الدول المطلة على البحر الأحمر منفذاً لها على العالم الخارجى، ما يجعلها شديدة الحساسية لكل ما يمكن أن يؤثر على التوازن الإقليمى فى البحر الأحمر والذى يرتبط بدوره بالتوازن العالمى، كما أن هذا الاعتماد من شأنه أن يعرض أمن وسلامة هذه الدول للخطر، إذا حدث احتلال الساحل، أو أمكن السيطرة على نقاط الاختناق الرئيسية والثانوية التى تتحكم بقوة فى تنظيم حركة الملاحة الدولية.

لمحة جغرافية وتاريخية

1) للبحر الأحمر بيئته الخاصة، التى شكلها عناصر التاريخ والجغرافيا السياسية والطبيعية، وظروف المكان والمتغيرات التى تتناوب على الفعل والتأثير، وقد اجتمعت هذه العناصر لتكون للبحر الأحمر مكانة استراتيجية، وأهمية اقتصادية خاصة به.

2) فالمرحلة الأولى من الاهتمامات حيث كان البحر الأحمر بحراً داخلياً، يصل بين اليابسة الأفريقية واليابسة الآسيوية، ويربط بين السواحل المطلة عليه، حيث شهد فى هذه المرحلة التاريخية أقواماً وشعوباً كثيرة، كالمصريين القدماء والإغريق والرومان والعرب وشعوب شرق أفريقيا، وكان لهذا البحر منزلة كبيرة لدى العرب فى جنوب شبه الجزيرة العربية حيث كانوا يستخدمونه طريقاً لتجارتهم شمالاً وغرباً، وقامت حضارات عربية عند مدخله الجنوبى خلال الألف الثالثة قبل الميلاد مثل ممالك معين وسبأ وحمير.

3) ولقد تأكدت عروبة البحر الأحمر، مع ظهور الإسلام فى القرن السادس الميلادى، وارتبطت السيطرة عليه بحماية الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة، فضلاً عن تزايد علاقات العرب بشرق أفريقيا، وقد تجزرت إسلامية البحر الأحمر والسيطرة العربية عليه، فى أثر الفتح الإسلامى لمصر خاصة، وشمال أفريقيا عامة، وتم فتح جزر دهلك وميناء باضع (مصوع حالياً فى أريتريا) فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب فى 641 ميلادية.

4) وقد تقلصت أهمية البحر الأحمر كممر تجارى، على أثر اكتشاف البرتغال فى 1498 لطريق رأس الرجاء الصالح، إذ أصبح هذا الطريق المعبر المائى المباشر بين الشرق والغرب.

الأهمية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية للبحر الأحمر

1) وقد استمر هذا الوضع حتى بدأ النشاط الاستعمارى الأوروبى خاصة بين انجلترا وفرنسا، حيث ازدادت أهمية البحر والبر المحيط به، وشهدت المنطقة غزو نابليون بونابرت لمصر 1798-1801، وقد فكر نابليون فى شق قناة تصل البحرين الأحمر والمتوسط، وخطط للاستيلاء على البحر الأحمر كله، وحينها بدأت بريطانيا فى إدراك مدى خطورة البحر الأحمر، خاصة للسيطرة على الطريق المؤدى إلى الهند، فقامت باحتلال جزيرة سوقطرة عام 1835، وعدن 1839، وجزيرة بريم 1847، وبذلك سيطرت بريطانيا على مفاتيح دخول البحر الأحمر، ومن عام 1863 حتى 1879 فترة عهد الخديوى اسماعيل باشا استطاعت مصر المستقلة عن الدولة العثمانية بسط نفوذها على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر ابتداء من السويس ورأس بناس (برنيس) والقصير وسواكن ومصوع وعصب وبربرة على ساحل المحيط الهندى.

2) وكان حفر قناة السويس وإعدادها للملاحة الدولية فى 1869، بداية اتصال البحر الأحمر بمحيطات وبحار العالم الأخرى، حيث ارتفعت الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر ارتفاعاً كبيراً وعظيماً، وأصبحت له قيمة جيوسياسية، وجيواستراتيجية، واقتصادية عالمية، وغدا دوره رئيسياً ومهماً فى تطور الصناعة والحضارة التى شهدتها أوروبا فى القرنين 19 و20 بسبب قناة السويس.

3) وقد أدى ذلك كله إلى منافسة حادة بين القوى الاستعمارية

جزيرة سواكن والأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر

الأوروبية (بريطانيا وإيطاليا وفرنسا) للسيطرة على البحر الأحمر، وهكذا سيطرت بريطانيا على المدخلين الجنوبى والشمالى للبحر الأحمر احتلال عدن 1839، ومصر فى 1882، وجزء من الصومال (الصومال البريطانى 1884)، والسودان (1899 اتفاق ثنائى مع مصر)، واحتلت فرنسا إقليم عفار وعيسى (جيبوتي)، وربطته بأديس أبابا بخط سكة حديد (وهو نفس الخط الذى أعادت الصين تشييده)، لاستغلال موارد الحبشة والسيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر من جهة الغرب، كما سيطرت إيطاليا على إقليم أريتريا 1936 – 1941، وجزء من الصومال الإيطالى، وفى أثناء الحرب العالمية الثانية احتلت بريطانيا أريتريا عام 1941.

4) وعلى أثر الحرب العالمية الثانية، وتغير موازين القوى الدولية، وظهور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كقوتين عظميين، وعلى ضوء أهمية هذه المنطقة، بالنسبة إلى مصالحهما الاستراتيجية، بدأ الصراع بينهما على السيطرة على دول المنطقة، وعلى هذا الشريان البحرى الحيوى وقد لعب البحر الأحمر بمجراه وجزره ومضايقه دوراً مهماً منذ أقدم العصور حتى اليوم، وكان طريقاً لنقل الحضارات والأديان من الجزيرة العربية والشام إلى مناطق متعددة فى أفريقيا وآسيا، واكتسب موقعاً استراتيجياً عن طريق الربط بين ثلاث مناطق مهمة، ففى الشمال البحر المتوسط وما يطل عليه من دول عربية وأوروبية، وفى الشرق تقع منطقة الخليج العربى ذات الثروة النفطية، وفى الغرب منطقة القرن الإفريقى التى تتحكم فى مدخل البحر الأحمر من ناحية الجنوب وتمثل نقطة تحرك ووثوب إلى حوض النيل ومرتفعات الحبشة.

5) ونظراً إلى هذا الموقع الوسط، كان البحر الأحمر ولا يزال أحد ميادين التنافس والصراع الدولى من أجل السيطرة على مناطق النفوذ والممرات المائية، فهو يتحكم فى أحد الطرق الرئيسية للتجارة العالمية، وبصورة خاصة بالنسبة إلى الإمداد بالنفط والمواد الخام، إضافة إلى دوره كحلقة وصل بين نصفى الكرة الأرضية الشمالى والجنوبى.

6) ويمكن حصر موانئ البحر الأحمر العميقة القادرة على استقبال سفن كبيرة فى مينائى عدن والحديدة فى اليمن، وجدة وينبع وحقل فى السعودية، والعقبة فى الأردن، وإيلات فى إسرائيل، والغردقة وسفاجا ورأس بناس والقصير والسويس فى مصر، وبورسودان وسواكن فى السودان، ومصوع وعصب فى أريتريا، وميناء جيبوتى فى جيبوتى.

7) وتمثل الجزر اليمنية أهمية استراتيجية عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، وتأتى على رأسها جزيرة بريم التى تقع داخل مضيق باب المندب، وتبلغ مساحتها 12.8 كم2 وتعرف جغرافياً باسم مفتاح باب البحر الأحمر، هذا فضلاً عن مجموعة جزر كمران، وجزيرة زقر القريبة جداً من باب المندب، وتشرف على خطوط الملاحة، فضلاً عن مجموعة جزر حنيش الكبرى وحنيش الصغرى، وأيضاً جزر الزبير.

8) وتمثل الجزر الأريترية أهمية استراتيجية، منها مجموعة جزر دهلك تقع بالقرب من باب المندب ومن خطوط الملاحة الرئيسية فى جنوب البحر الأحمر، أما جزيرة مصوع القريبة من ميناء مصوع فنظراً لأهميتها فقد تم وصلها بالميناء بخط سكة حديد وطريق معبد، وبها قاعدة بحرية وقاعدة جوية، أما جزيرة فاطمة، فهى ذات أهمية استراتيجية بمحاذاة الممر الملاحى فى جنوب البحر الأحمر، كما أنها تصلح للاستخدام كميناء عسكرى، وبها مطار. أيضاً جزيرة حالب، وهى أكبر جزر خليج عصب، وتقع جنوب فاطمة بمسافة 5 كيلومترات، وبها قاعدة بحرية ذات موقع استراتيجى مهم، كذلك يوجد جزيرة دوميرا وتقع على بعد 24 كيلومتراً غربى مضيق باب المندب وتشرف على الممرات الملاحية شمالاً وتشكل تهديداً مباشراً لجزيرة بريم اليمنية.

الوضع والمكانة الاستراتيجية للبحر الأحمر

1) للبحر الأحمر مكانة استراتيجية وجيوسياسية خاصة بين علمى التاريخ والجغرافيا السياسية حيث يمثل القلب فى الاستراتيجيات العالمية والإقليمية، خاصة وأن نزاعات تنشب فيه وحوله، وأنه يستقطب تنافس القوى الكبرى، ويتصف بسمات خاصة كمسرح حرب، وكموقع استراتيجى واقتصادى ذى أهمية على مستوى الاقتصاد العالمى والعلاقات السياسية الدولية.

2) فالبحر الأحمر بالمفهوم الجيوسياسى أكثر اتساعاً منه بالمفهوم الجغرافى للبحر نفسه، إذ لا يقتصر دوره على الوحدات السياسية، التى ترتبط به سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً أو استراتيجياً، وثمة من يرى أن منطقة القرن الأفريقى، تدخل ضمن نطاق المفهوم الجيوسياسى للبحر الأحمر، كما أن منطقة الخليج العربى، يمكن أن تدخل فى الحيز الجيوسياسى لهذا البحر، باعتبار أن معظم صادراتها النفطية تمر عبره.

3) وعلى هذا القياس أيضاً، يمكن القول، إن دول أوروبا الصناعية لها علاقة جيوسياسة بالبحر الأحمر، لأنها تعتمد على نفط الخليج اعتماداً رئيسياً، ولا تخرج الولايات المتحدة الأمريكية عن الحيز الجيوسياسى

للبحر الأحمر حيث يمر نفط الخليج، الذى تحتكر معظم إنتاجه وتجارته ونقله الشركات الأمريكية.

4) ويتضح من ذلك، أن النطاق الجيوسياسى للبحر الأحمر متسع اتساعاً، يمكن أن يشمل معظم الخريطة السياسية للعالم، وذلك لعدة خصائص تميزه وتدفع به إلى الصدارة من حيث الأهمية الجيواستراتيجية، لهذا يصبح من المؤكد أن أى حديث عن استراتيجية للأمن فى البحر الأحمر، يعنى الحديث عن استراتيجية كتلة جغرافية واسعة، تشمل البحر المتوسط، والخليج العربى، والقرن الأفريقى، وبينهما البحر الأحمر، ويقتضى هذا أن تؤخذ هذه الكتلة فى الحسبان عند تخطيط استراتيجية الأمن فى البحر الأحمر.

5) وللمفاهيم والعوامل الجيوسياسة دور مهم فى تقييم سياسات البحر الأحمر، سواء من وجهة نظر استراتيجيات الدول المطلة عليه، أو من وجهة نظر القوى الإقليمية والعالمية، ويمثل البحر الأحمر بسبب كونه محور الربط بين قارات العالم القديم (آسيا وأفريقيا وأوروبا) والبحر الأبيض المتوسط، والخليج العربى، والمحيط الهندى متضمناً القرن الأفريقى، القطب الذى تتلاشى فيه وحوله مصالح وأهداف هذه المجموعة الكبيرة من الدول المحلية والإقليمية والعالمية ذات القدرات العسكرية والسياسية والاقتصادية المتنوعة، وذات المصالح المتقاطعة، ولهذا تعد مجموعة الدول المطلة على البحر الأحمر قلب هذه الشبكة المعقدة من التفاعلات.

6) وتزداد هذه الشبكة تعقيداً، إذا ما نظرنا إلى البحر الأحمر من ناحية ارتباط أمنه ارتباطاً وثيقاً بأمن البحر المتوسط، والخليج العربى، والمحيط الهندى، ومن ثم فإن البحر الأحمر بحكم موقعه الجيوسياسى والجيواستراتيجى، يشكل عنصراً مهماً ومؤثراً فى مسار تاريخ هذه المناطق ومستقبلها، إذ أنه محط أنظار القوى الكبرى فى العالم، ومحور رئيسى تتحرك حوله صراعاتها، تحقيقاً لمصالحها السياسية والعسكرية والاقتصادية بصفة عامة، كما تتلاطم فيه النزاعات الإقليمية حول الحدود البحرية والمطالب القومية، وعلى أثر تدفق النفط فى منطقة الخليج العربى، اكتسب البحر الأحمر قيمة استراتيجية كبيرة، جعلته حلبة للتنافس بين كافة القوى.

7) وكانت عروبة البحر الأحمر هدفاً استراتيجياً للدول العربية المطلة عليه وفى هذا الإطار كانت هناك تحركات سياسية عربية، تهدف إلى تنسيق السياسات والأهداف لتخطيط استراتيجية عربية موحدة تجاه البحر الأحمر، بيد أن هذه التوجهات لم تلق نجاحاً، لاعتبارات داخلية وإقليمية، فضلاً عن الوجود العسكرى الأجنبى فى البحر الأحمر وحوله.

أسباب تعثر التعاون الأمنى الإقليمي

1) لما كانت منطقة البحر الأحمر تتميز بتعايش ثلاث قوميات مختلفة تعتنق ثلاث ديانات هى الإسلام والمسيحية واليهودية، فقد أدت التناقضات فى مصالح دول هذه القوميات إلى قيام تكتلات إقليمية، أسفرت عن نشوب صراعات إقليمية وداخلية، وقد أدى ذلك إلى منع قيام تعاون أمنى أو سياسى أو اقتصادى بين هذه الدول، يكون أساساً لنظام أمنى إقليمى شامل، يوفر الاستقرار للمنطقة، خاصة وأن هناك ترابطاً عضوياً بين أمن البحر الأحمر والأمن القومى العربى بصفة عامة، وأمن الدول المطلة عليه بصفة خاصة. لذلك أصبح أمن البحر الأحمر لا ينفصل عن هدف تحقيق الأمن القومى العربى.

2) ونظراً للموقع الاستراتيجى للبحر الأحمر، الذى يربط بين العالمين العربى والأفريقى فقد وفر هذا الربط عبر التاريخ التقارب والتجاور بين هذين العالمين عامة، وبين الدول المطلة على سواحله خاصة، كما أوجد شراكة فى شئون الأمن وتحقيق الاستقرار، وقد أدى ذلك كله إلى نشوء شبكة من التفاعلات، وعلاقات الشراكة، أو التصادم، غزتها سياسات واستراتيجيات القوى الإقليمية الأخرى، والقوى الكبرى ذات المصالح فى البحر الأحمر، وهكذا أصبح البحر الأحمر غير مقصور على علاقات الدول المطلة عليه، وإنما تداخلت فى شبكة العلاقات أيضاً تلك القوى التى ترتبط بالبحر الأحمر، استراتيجياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً وهى كثيرة، كمنطقة الخليج بشقيه العربى والفارسى، والقرن الأفريقى، والولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا (ألمانيا، فرنسا، ايطاليا، بريطانيا)، واليابان والصين والهند وتركيا وروسيا وغيرها.

3) وتساعد الجغرافيا السياسية والاقتصادية، ومقاصد القوى الكبرى على فهم أعمق لطبيعة النزاعات فى البحر الأحمر، إذ أن الأهمية القصوى لمنطقة هذا البحر، تنبع من مجموعة الحقائق الثابتة، والمتغيرات الجديدة، وهى حقائق ومتغيرات جعلت من البحر الأحمر منطقة جذب استراتيجى بكل المقاييس.

4) ولما كان البحر الأحمر يمثل طريقاً نفطيا من الدرجة الأولى، إذ ينقل عبره النفط الخليجى من مناطق الاستخراج إلى مراكز الاستهلاك فى أوروبا، ولما كان يؤدى الدور نفسه فى الحركة العكسية لنقل السلع المصنعة من أوروبا إلى أكبر سوق لها فى آسيا وأفريقيا، أصبحت أوروبا وروسيا وتركيا داخلة تلقائياً فى دائرة البحر الأحمر الجيوسياسة والتى تشمل أيضاً كلاً من الصين واليابان والهند وكوريا الجنوبية باعتبارها قوى اقتصادية عالمية مؤثرة.

التواجد العسكرى الأجنبى فى القرن الإفريقى

تموضع جيواقتصادى أم مقدمات نيواستعمارية؟

تشكل أفريقيا «نقطة انطلاق» لعدد من الدول الأجنبية، التى تسعى لتعزيز قدراتها العسكرية ضد بعضها البعض فى إطار احتدام بيئة التنافس والتجاذب الدولى متعدد التشابكات والقوى خارج بيئتها المحلية، وما عزز من صدق تلك الرغبة المشئومة وأكد تجلياتها الأولية، ما كشفه المحلل الأمنى الأمريكى (مايكل كلير)، مؤلف كتاب (حروب مصادر الثروة)، فى الحوار الذى نشرته مجلة «آسيا تايمز أون لاين» عام ٢٠٠٣، حين نوَّه إلى احتمالية زيادة النفوذ الأمريكى فى أفريقيا، حيث رأى أنها ستكون هى الهدف، وستكون مصرحًا للحروب القادمة بين القوى المتصارعة.

مُسلّم هنيدى

متخصص فى الشؤون الأمنية ودراسات الأمن القومى

mosllam_future@yahoo.com

وتفعيلاً لهـــذا التوجه، فقد جاءت زيارة الرئيس الأمريكى الأسبق «جورج بوش» الابن فى يوليو 2003 إلى خمس دول أفريقية هى: (الســـنغال، جنوب أفريقيا، بتســـوانا، أوغندا، نيجيريا)؛ تتويجًا لهذا التوجه الأمريكى وتكريسًا للاســـتراتيجية الجديدة. حيث ركزت الزيـــارة على دول محوريـــة ومهمة للإدارة الأمريكية؛ فالســـاحل الغربى تتركز فيه المصادر النفطية، والجنوب الأفريقى ذو سواحل ممتدة على جانبى المحيطين الهنـــدى والأطلسي, وأوغندا منبع النهر الذى يتحكم فى مصير عدة دول محورية فى القارة الســـمراء. وقد سبق تلك التحركات الأمريكية وتزامن وتلاها جملة من التحـــركات المماثلة للقوى الأخرى وعلى رأســـها فرنســـا والصين واليابـــان وإيطاليا وإسرائيل وإيران وتركيا وغيرها. فى إطار البحث عن ترســـيخ آليات جديدة لاستمرار اســـتغلال موارد القارة، ولكن وفق الســـياق الذى يتماشى مع مستجدات ما بعد إنهاء حالة الاستعمار التقليدى لتلك الدول. وهو ما سيشكل وبالاً كبيراً على تلك الدول المستضيفة، وسيجعلها تدور فى فلك النظام العالمى بتجاذباته وتعقيداته الاستغلالية الظالمة.

حتى صـــارت تلك الـــدول محط أنظار أغلب القوى الغربية والإقليمية، ومنها من ســـلك التوجه العســـكرى لتعزيز وإحكام السيطرة على مقدرات تلك الدول، وفى ســـياق توظيف آلية تأسيس القواعد العســـكرية؛ راحت تلك القـــوى تنشىء العديد من القواعد والتمركزات العسكرية والاستخباراتية فى بعـــض دول القـــارة ذات الأهمية الجيوبوليتيكية. وعليه تستهدف تلك السطور تشريح هذا الوضع المعقد بكل تجلياته وتجاذباته وانعكاساته الحالية والمستقبلية، واســـتقراء ما يمثله من خطورة على مستقبل سيادة واستقلال دول القارة، وما يشكله من ضغوطات وتهديدات للأمن القومـــى الأفريقى والعربـــى والمصرى فى المســـتقبل، فى سياق تعقيدات وتطورات بيئة التنافس والتصارع الدولى على الساحة العالمية والأفريقية والشرق أوسطية التى باتت تتزايد بصور مقلقة.

أفريقيا فى بيئة التنافس والاستقطاب الدولى:

لطالمـــا احتلت القـــارة الأفريقية مواضـــع متباينـــة ضمـــن المصالح الاســـتراتيجية للقـــوى الكبرى عبر المراحـــل التاريخيـــة المتعاقبة، إلا أن هذه النظرة قد تغيّرت تمامًا وأصبحت القارة الســـمراء فى قلـــب الاهتمامات الاســـتراتيجية لكل القـــوى الكبرى وغير الكبرى الصاعدة على الســـاحة الدولية والإقليمية. وجاء هذا الاهتمام الدولى والإقليمى المتزايد تمشـــيًا مع الإستراتيجية التوســـعية التى تبنتها أغلب الحكومات الغربية على الأصعدة السياســـية والاقتصادية والعسكرية؛ وذلك لتحقيق غايـــات أمنها القومى بمعناه الشـــامل لتلك القوى، والذى صار يأخذ أبعـــاداً مركبة مع مطلع الألفية ليتمكن من خـــلال جملة من التحايلات المستحدثة التى فى الشئون الداخلية لتلك الدول المستضعفة، ولكن تحت مزاعـــم مكافحة الإرهاب خارج الحدود والقضاء على القرصنة الملاحية، والتصدّى للقـــوى الصاعدة فى النظام الدولى فى أجوائه التنافســـية، وتأمين الاحتياجات المتزايدة من الطاقة.

وقد ظهر هذا التبـــدّل فى التوجّه الدولى جليًّا من الكتابات والتصريحات التى كثيراً ما أطلقها وروج لها أصحاب نظرية «الســـيطرة الحميـــدة» على مقدرات القارة وثرواتها، وعلى رأسهم «المحافظون الجدد» فى الولايات المتحدة (ريتشـــارد بيرل، بول ولفووتيز، ديك تشيني)، الذى أشـــار فى تقرير أعده عام 2001 حول السياســـة القومية الأمريكية بالنســـبة للطاقة أن أفريقيا ســـتكون «أحد المصـــادر الأمريكية المتنامية بسرعة مـــن النفط والغاز». ولكن تكمـــن بواعث هـــذا الاهتمام الغربى المتزايد بالقـــارة فى الرغبة فى

تأمين الموارد النفطيـــة. حيث تبحث تلك القوى عن مخرج لعقدة الارتباط والارتهـــان ببترول الشرق الأوســـط، ووجدت على مـــا يبـــدو مبتغاها فى البترول الأفريقى ذى الكلفة السياسية والاســـتخراجية الأقل، وهو ما أشار إليه بصورة جليـــة الرئيس الأمريكى «بـــوش» الابن فى خطابـــه عن حالة الاتحاد فى فبراير من العام 2006، كما جاءت جنوب أفريقيا على رأس المناطق المشـــار إليها فى الخطاب الذى ألقته وزيرة الخارجيـــة الأمريكية «هيلارى كلينتـــون» فى جامعة جـــورج تاون الأمريكية، على أنها ســـتحدث تغييرًا فى بنيوية النظام العالمى وستشـــكل مجرى التاريخ مجدداً، وأن السياسة الخارجية لبلادهـــا أمام مهمة تطوير اســـتراتيجية للحفاظ على بعض نفوذ الولايات المتحدة فى تلك الدول. ومبعث الاهتمام فى حقيقته تولـــد منذ العام 2002، حين أصبـــح النفط الأفريقى مصلحة إستراتيجية قومية لواشنطن وغيرها من الدول الأخرى. وليس تأمين مصادر النفط فى الحقيقة هو الداعى للتحرك الأمريكـــى فى القارة وفقط، ولكن الرغبة فى تحجيم الدور الصينى المتنامى فى القارة شـــكل إحدى زوايا الرؤية الأمريكية حيال استراتيجيتها هناك. كذلك شـــكلت ظاهرة مكافحة الإرهاب (المفتعلة) أحد تلك الأســـباب الرئيســـية التى أُوجِدت كذريعة لكل القوى حتى تستغلها لبسط السيطرة على مقدرات وموارد القارة، ابتداءً من استغلال هاجس تنظيم القاعدة وحتى ما بعد ظهور «داعش» وأخواتها.

فرغم كل المحاولات التى قامت بها الولايات المتحدة وغيرها من الدول التى انتظمت فى إطار الحرب الأمريكية على الإرهاب منذ أحداث الحادى عشر من ســـبتمبر عام 2001، إلا أن الشواهد تؤكد على أن التنظيمات ما زالت تحتفظ بحيويتها وقادرة على تطوير وإخراج مخططاتهـــا المتتالية إلى حيز التنفيذ. ومن هنا كانت الأهمية التى أولتها تلك الدول وعلى رأســـها الولايات المتحدة

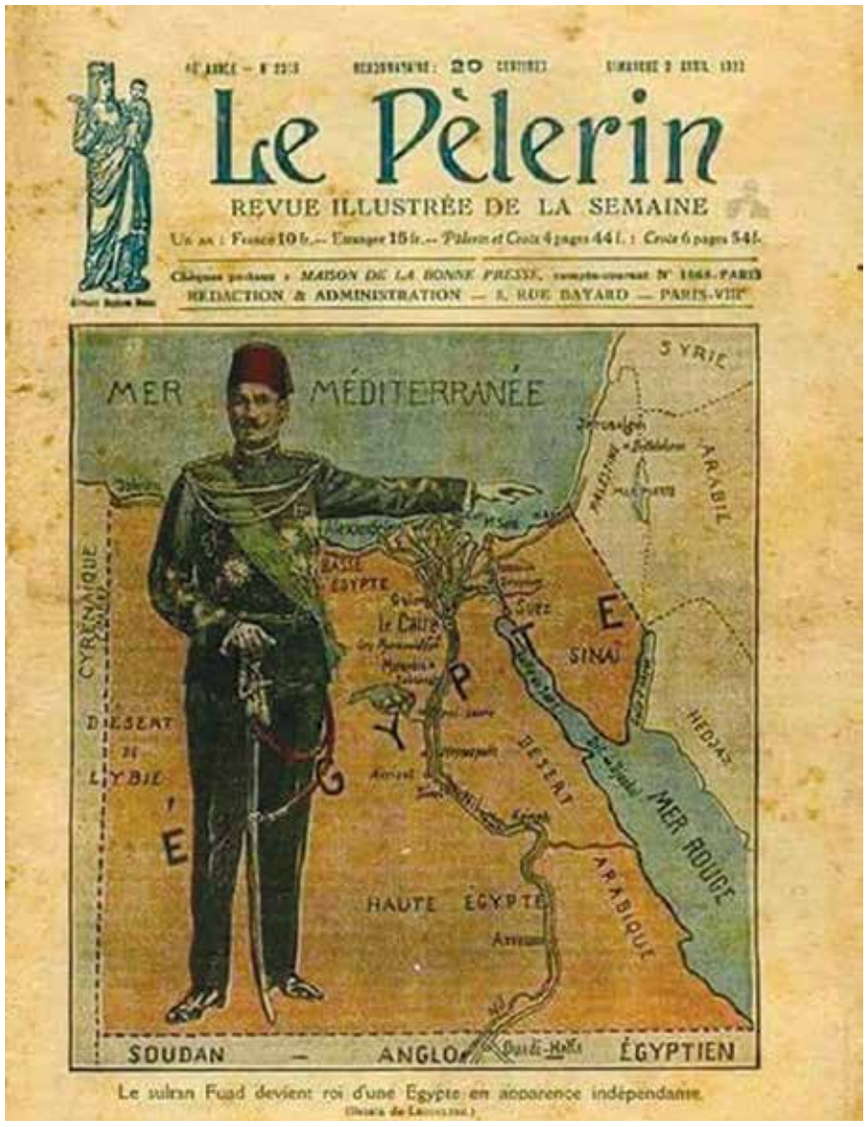

مجلة «الحاج» الفرنسية الصادرة فى أبريل 1922 تبين حدود مصر المستقلة

لأفريقيا عامة، حيث تتركز الهواجس من نمو تلـــك التنظيمـــات وغيرها، حتى شـــكل تطوير التنسيق الأمنى والعســـكرى لمكافحة الإرهاب السمت الأبـــرز لكل التفاعـــلات والتحركات. ففى المغرب العربى تنشـــط «السلفية الجهادية» وهى فى منظومتها الفكرية وطريقـــة أدائها ليســـت ببعيدة عن آليات تنظيـــم القاعدة ومنهجه، وهذا يأتى متزامنًا مع الحديث المســـتفيض عن تمركز تنظيـــم القاعدة بمنطقة الصحراء الكبرى، واستعداده للانطلاق منها لتنفيذ عملياته سواء العالمى منها والذى يســـتهدف المصالح الأمريكية والأوروبية أو المحلى كذلك، وبدافع تلك المخاوف يمكن قـــراءة كل التحركات والمناورات الغربية المشتركة مع قوات البلدان الأفريقية للتدرب على مكافحة الجماعات الإرهابية، ومن ثم محاولة إيجاد توجه عسكرى مشترك لمواجهة تحديات مـــا يســـمى بالإرهاب وهو ما تطلب عقد الكثـــير من الصفقات التسليحية مع تلك الدول، كما تنامى الاختراق والتغلغل فى صورة التعاون فى التدريب وإعادة بناء وتطوير الجيوش وبناء القواعد العسكرية.

وقـــد تـــم هـــذا التحـــرك على محورين أساســـيين، همـــا: تكثيف الوجـــود العســـكرى فى القارة حيث ســـعت الولايات المتحـــدة للتغلغل فى القارة وتحزيمها عســـكريًا من خلال القواعد العســـكرية تارة، ومن خلال الاتفاقات تارة أخرى، والمحور الثانى: التحركات تجاه تأمين مصادر النفط حيث وضعت تلك القـــوى هذا النفط الأفريقى نصب أعينهـــا وعملت على

التواجد العسكرى الأجنبى فى القرن الإفريقى

منـــع الصراعات فى مناطـــق إنتاجه، فالصراعات المعقدة التى ظلت حبيسة الجدران الحدودية مشـــتعلة سنوات عدة بدأ يتكشـــف لها حل سياسى منذ العام 2003؛ لتسهيل عملية الاستثمار واستخراج هذا الكنز الأسود. يضاف إلى ما ســـبق حرص ورغبة كل القوى الحثيث فى تأمين استمرار تدفق موارد القـــارة وموادها الأوليـــة الأخرى إلى مصانعها أينما وجدت، وفى ذات الوقت استمرار استغلال شـــعوب وأسواق القارة كســـاحة كبيرة لبيع وتصريف منتجاتها النهائية، بالإضافة إلى دخول بعض دول وتجمعات القارة فى ساحة التجـــاذب والاســـتقطاب والتنافس المتزايد بين القوى الدولية والإقليمية، وحتى الـــدول العربية؛ فقد ســـاهم بعضها فى تعميق ذات المعضلة.

الدلالة الجيواستراتيجية للتمركزات المكانية:

فى عهود الاستعمار الغابر، عايشنا أفريقيا عندما تم تمزيقها، ونشـــاهد الآن، كيف أن دولاً عددية تســـعى لأن تستغلها لخدمة مصالحها فى منافسة نيواستعمارية فتدفعها لأن تشترك فى حروب بالوكالة نيابةً عنها ولكن على أرضها، وهو ما ســـيعزز من تمزيق القارة الســـمراء مـــن جديد بصورة مدمرة؛ كنتيجة حتمية لتنامى ظاهرة التواجد العســـكرى الغربى فى القارة، والتى حتماً ســـتصطدم مع بعضها عندما تصاب تلـــك القواعد بالتخمة التسليحية عبر الزمن. تلك القواعد التى تظهر وتنتـــشر وكأن الأفارقة مجرد حـــراس لا يمكنهم حماية أنفســـهم، وذرائع حماية الاستثمارات ومكافحة القرصنة باتت غير قابلة للتصديق فى الوقت الحالى، فتلك القواعد ليست إلا «نقطة انطلاق» لمواجهـــة مقبلة بين القوى العظمى فى المستقبل، وستكون أكثـــر عنفـــاً ودموية، ويبـــدو أنهم يحاولون اســـتغلال الدول الأفريقية لتخوض تلك الحـــروب بالوكالة نيابة عنهم.

فلأمريـــكا وبريطانيـــا وأوروبا والصـــين وإسرائيل وإيـــران وتركيا مصلحة كبـــيرة فى اســـتمرار صراع استعراض القوى لإظهار مدى القدرة العســـكرية ضد بعضهم البعض، وما الاهتمام المبالغ بإقامة قواعد عسكرية مطلة على البحر الأحمـــر فى أفريقيا، إلا خطـــوة عـــلى طريق الاســـتغلال الاستعمارى من قبل تلك القوى.

وفى هذا الاتجاه، يتزايد عدد القواعد العســـكرية فى عدد من الدول والمواقع ذات البعد الإستراتيجى فى أغلب جنبات القارة، ومنها منطقة القرن الأفريقى على وجه التحديـــد؛ كونها ذات موقع اســـتراتيجى مهم، فهى بوابة رئيسية لممرات الشـــحن والتجـــارة الدولية، والســـيطرة عليها توضح مدى نفوذ وســـيطرة الدولة المســـيطرة عليها، ولقربها مـــن مضيق باب المندب الذى تعبر منه سنوياً نحو 12 مليون حاوية من البضائـــع، إضافة لناقلات النفط، ويعد أحد أهم منافذ التجارة الدولية.

وتعد جيبوتى، متعددة العرقيات واللغات، واحدة من أكثر دول المنطقة اســـتقراراً مقارنة بدول مجاورة مثل الصومال وجنوب الســـودان واليمن. وتقع ضمـــن القـــرن الأفريقى على الســـاحل الشرقى للقارة الســـمراء. وتتحكم، مع اليمن فى الجهة الآسيوية المقابلة، بمضيق باب المندب. ومن هنا كانت تعبر، قبل مئات السنين، قوافل تجار جلود الحيوانات من أفريقيا إلى الصين، ومبادلتها بالأقمشـــة. اليوم تعـــود الأهمية التجاريـــة إلى المنطقة باستثمارات تقدر بمئات المليارات من الدولارات.

كمـــا تطـــل جيبوتى عـــلى الممر البحرى مـــن المحيـــط الهندى وعلى الســـاحل الغربى للمملكـــة العربية الســـعودية وميناء إيلات الإسرائيلى. علاوة على ذلك، تســـتفيد جيبوتى من قناة الســـويس الرابطة بـــين البحر الأبيض المتوســـط والبحـــر الأحمر. مما أهلها لأن تكـــون أحد أهم المواقع الإســـتراتيجية للتجارة العالمية، وهو ما يفسر اختيـــار كل القوى لهذا البلد بالذات لبناء أولى قواعدها العسكرية. فهذا البلـــد الأفريقـــى الصغير يعد أحد أهم الشرايـــين البحرية فى العالم، وسوف تســـتمر أهميته فى النمو أكثر، نظراً لتنامى أهمية الدور الإستراتيجى لمضيق باب المندب الذى سيســـاهم فى تفعيل الجهود الدولية الفاعلة. فالعديد من العوامل الجغرافية صنعت مكانة جيبوتى الإســـتراتيجية، منها إطلالها على مضيق المندب أحد الممرات الأكثر اكتظاظًـــا بحركة الملاحـــة فى العالم، حيث يســـتخدم الميناء كنقطة انطلاق الأساطيل الأجنبية المتواجدة فى المنطقة بهدف مراقبة خليج عدن وحماية الممر المائى من عمليات القرصنة، إضافة إلى ما ألقاه الصراع فى اليمن خلال السنوات الأخيرة من ثقل وأهمية أكبر لهذا الممر، وهو ما دفع دولة مثل الصين للدخول على خط التنافس الأمريكى الأوروبى لتثبيت أقدامها من خلال الاســـتثمار وإنشاء قواعد عسكرية على أراضيها، كما ســـيأتى ذكره لاحقاً، كما ساعد قربها من المناطـــق الملتهبة فى أفريقيا وآســـيا والشرق الأوســـط فى إضفاء المزيد من الأهمية الإستراتيجية عليها، ما أهلها لأن تكون أهم دولة فى مجال تأمين طرق التجارة وكنقطة انطلاق لمكافحـــة الإرهـــاب فى منطقة القرن الأفريقى. ورغم مساحتها الصغيرة إلا أن لها أهمية محورية فى منطقة القرن الأفريقى، حيث يدخل خليج «توجورة» عمـــق البر الجيبوتى لمســـافة 61 كم لتمثل منطقة آمنة للإبحار تجاه البحر الأحمـــر، تعبر فيها أهـــم الصادرات والواردات العالمية، ما زاد من أهميتها كونها من المحاور الرئيســـية للتجارة العالمية، فأكثر من 80 % من الســـلع التى تســـتوردها جارتها إثيوبيا، يتم إفراغها فى ميناء «دوراليه»، أحد أكبر موانئ المياه العميقة فى شرق أفريقيا. كما ســـاعد قربها من المناطق الملتهبة

فى إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط فى إضفاء المزيد من الأهمية الإستراتيجية لهذا الكيان الصغير، ما أهلها لأن تكون أهم دولة فى مجال تأمين طرق التجارة وكنقطة انطلاق لمكافحة الإرهاب فى منطقة القرن الأفريقى.

كل هذه العوامل أهلت جيبوتى لأن تكون ساحة لتسابق العديد من الدول على إنشاء قواعد عسكرية بها، وهو ما ساهم فى التقليل من الآثار السلبية الناجمة عن افتقارها للموارد الطبيعية والاقتصادية، وبات هذا الموقع المميز من أهم مصادر الدخل لهذا البلد العربى، الذى يحصل سنويًا على قرابة 160 مليون دولار مقابل تأجير هذه القواعد.

واقع وحجم بعض القوى المتمركزة فى تلك المنطقة:

تتمتع جيبوتى الدولة العضو بجامعة الدول العربية، بموقع مميز، أضفى عليها أهمية إستراتيجية دولية هائلة، وضعها فى بؤرة اهتمام الدول الكبرى فى الشرق والغرب على حد سواء، فهى تقع على الشاطئ الغربى لمضيق باب المندب، وتحدها من الشمال إريتريا، ومن الغرب والجنوب إثيوبيا، والصومال من الجنوب الشرقى، فيما تطل شرقًا على البحر الأحمر وخليج عدن، وعلى الجانب المقابل لها عبر البحر الأحمر فى شبه الجزيرة العربية اليمن التى تبعد سواحلها نحو 20 كيلومترًا.

ولكل تلك المزايا صارت جيبوتى قبلة كل القوى الراغبة فى التمدد عسكرياً خارج حدودها من خلال بناء القواعد العسكرية؛ كان أولها فرنسا التى كانت تحتل تلك المنطقة المهمة فيما مضى، حيث توجد قاعدة عسكرية فرنسية داخل أسوار ضخمة يعود معظمها إلى حقبة الاحتلال الفرنسى لجيبوتى قبل مائة سنة. وهى الأكبر مساحة، لكنها، فى الوقت الراهن، أقل عتاداً وجنوداً مما كانت عليه فى الماضى، مقارنة بالقاعدة الأمريكية المعروفة باسم «لومونييه» التى تدير علاقات مع عشرات الدول فى المنطقة، وتتعاون مع الفرنسيين فى تسيير دوريات فى البحر. الوجود العسكرى الفرنسى فى جيبوتى، هو الأقدم من بين جميع الدول المستعمرة، حيث سيطر الفرنسيون على جيبوتى عام 1850، التى ظلت تحت الهيمنة الفرنسية قرابة المائة عام، إلى أن أعلنت استقلالها لكن بصورة غير مكتملة، حيث أبت فرنسا أن تتركها إلا أن تضمن بقاء بعض قواتها بها ضماناً لمصالحها داخل القارة الإفريقية، لذا أبرمت فرنسا وجيبوتى اتفاقية عسكرية تسمح بتواجد ما بين 3800 و4500 جندى فرنسى على الأراضى الجيبوتية، تم تقلص العدد إلى أكثر من 1500 جندى كجزء من قوات حفظ الأمن.

وتعد القاعد العسكرية الفرنسية فى جيبوتى، أهم قاعدة للفرنسيين فى قارتنا، مهمتها كما هو معلن حماية حركة التجارة عبر مضيق باب المندب، فضلاً عن الاشتراك فى حماية جيبوتى من أى اعتداء خارجى أو داخلى، وهو ما حدث فى مساعدتها فى القضاء على التمرد عام 2001. كما ساهم الوجود العسكرى الفرنسى فى جيبوتى أيضاً فى دعم المنظومة الاقتصادية والمعيشية للشعب الجيبوتى، حيث أفادت بعض التقارير الرسمية أن المساهمة الاقتصادية لعناصر هذه القوات وأفراد عائلاتهم فى جيبوتى تمثل قرابة 130 مليون يورو، أى حوالى 25% من إجمالى الناتج الداخلى وما يساوى 65% من موازنته.

وأمريكياً، بدأ التفكير فى إقامة القاعدة الأمريكية، الأكبر فى أفريقيا داخل جيبوتى، عقب هجمات سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة؛ وذلك فى محاولة للحد من نشاط الجماعات المتطرفة وتقديم الخدمات الإنسانية والعمل عن قرب مع الحكومات المحلية، حيث تقع القاعدة جنوبى مطار «أمبولي» الدولى بجيبوتى، وهى قاعدة «ليمونيير»، وبها ما يزيد عن 3000 جندى أمريكى، أنشئت فى 2002، لمراقبة المجال الجوى والبحرى والبرى للسودان وإريتريا والصومال وجيبوتى وكينيا، واليمن، وتمويل وتدريب جنود جيبوتى.

ومؤخراً أمدت وزارة الدفاع الأمريكية إيجار القاعدة لعشر سنوات قادمة، وتصل تكلفة الإيجار فى العقد الجديد إلى حوالى 60 مليون دولار سنوياً، بدلا من 30 مليون دولار التى كانت تدفعها واشنطن قبل ذلك.

ومن هذه القاعدة، تنطلق عمليات «مكافحة الإرهاب» التى ينفذها الجيش الأمريكى فى الصومال، حيث «حركة شباب المجاهدين» المسلحة، وفى اليمن، ضد تنظيم القاعدة، إضافة إلى الحفاظ على المصالح الأمريكية فى القارة، سواء كانت عسكرية أو اقتصادية أو سياسية.

وفيما بعد أدى تفاقم الفوضى على الساحل الصومالى واستهداف جماعات متشددة وقراصنة للسفن العابرة، إلى تزايد أهمية القرن الأفريقى. فأسست وزارة الدفاع فى عام 2007 القيادة العسكرية الأمريكية فى أفريقيا – «أفريكوم» وهى وحدة مكونة من قوات مقاتلة موحدة تحت إدارة وزارة الدفاع الأمريكية، هى مسئولة عن العمليات العسكرية الأمريكية وعن العلاقات العسكرية مع 53 دولة أفريقية فى أفريقيا عدا مصر، حيث تقع فى نطاق القيادة المركزية الأمريكية، ثم زاد الاهتمام بالمنطقة عقب التمرد الذى قام به الانقلابيون الحوثيون فى اليمن، ومحاولات إيران الداعمة للانقلابيين، التواجد فى المضيق الذى تمر منه الناقلات عبر البحر الأحمر وقناة السويس إلى الدول الغربية. وتمتد القاعدة الأمريكية، ومركزها فى ضاحية «آمبوليه»، بجوار سور مطار جيبوتى بطول نحو 4 آلاف متر. وفيها مدرج لانطلاق الطائرات من دون طيار والطائرات الحربية والمروحيات. ويبلغ عدد الجنود فيها نحو 2000 جندى وضابط، ويرتفع العدد إلى نحو 3700 بحساب العاملين المدنيين

الأمريكيين والمحليين. وتغص القاعدة بحظائر للطائرات وهناجر لتخزين الآليات والأسلحة. وتملأ أركانها بعدد من المطاعم والمقاهى ذات الماركات العالمية المعروفة، ومنها مطاعم البيتزا.

وتماشيًا مع إستراتيجيتها الجديدة نحو التأثير فى المحيط الدولى، وإحياء الدور الغائب منذ عقود طويلة، ها هى الصين تدخل سباق التنافس هى الأخرى للبحث عن تواجد عسكرى لها فى جيبوتى، حيث أعلنت رسمياً البدء فى تشييد قاعدة لوجيستية فى جيبوتى، كأول منشأة عسكرية للصين فى الخارج، وذلك فى 25 فبراير 2016. وذلك على بعد كيلومترات عدة من القاعدة الأمريكية خلال عام 2017. وبينما تسعى المملكة العربية السعودية إلى إقامة قاعدة فى مكان مجاور، تحاول إيران أن تجد لها موضع قدم، ليس فى جيبوتى التى قطعت علاقتها مع طهران قبل أشهر عدة بسبب سياساتها المريبة، ولكن فى مناطق أخرى لم تتضح بعد.

وحيث فتحت جيبوتى التى تعد من أهم دول القرن الأفريقى، الباب لدول كبرى وصديقة لتأسيس قواعد عسكرية، لكن،كمايقول مسئولوها،بشروط خاصة لا تتعارض مع الأمن القومى الجيبوتى، ولا مع توجهات الدولة. والهدف مواجهة الإرهاب وحماية التجارة الضخمة العابرة من باب المندب، إضافة إلى حماية الاستثمارات الكبيرة التى تستقطبها جيبوتى من دول العالم لخدمة باقى دول القارة الأفريقية، وبخاصة تجمع دول «الإيجاد» و«الكوميسا». وفى تجلٍ لافت وكاشف لاحتمالية تشابك الموقف داخل جيبوتى بين تلك القوى، فحين وافقت جيبوتى للصين على إقامة قاعدة عسكرية، سألهم الأمريكيون عن أنه ربما لا ينبغى الموافقة للجيش الصينى على التواجد هنا، لكن الجيبوتيين ردوا قائلين إن «الصين تريد أن تحمى معنا تجارتها، خاصة وأن ثلث الحاويات التى تعبر من باب المندب قادمة أساساً من الصين».

فى مطلع العام الماضى اعتقد الأمريكيون أن القاعدة الصينية التى سيتم تأسيسها ستكون قرب مدينة «أُبخ» التاريخية والمطلة مباشرة على باب المندب، فى شمال جيبوتى. وجاء هذا الظن، على ما يبدو، بسبب قيام طلائع من الجيش الصينى بالتدريب فى صحراء «أُبخ» ذات الطابع الاستراتيجى. ولكن فيما بعد اتضح أن قطعة الأرض، التى شرعت الصين فى إقامة قاعدتها العسكرية عليها، تقع قرب منطقة «تاجورة»، جنوب مدينة جيبوتى، على مسافة تبلغ نحو 10 كيلومترات من مقر القاعدة الأمريكية. أى فى النطاق الصحراوى للعاصمة. وتبلغ مساحة القاعدة الصينية نحو 80 فداناً، وهى أقل من مساحة نظيرتها الأمريكية بكثير.

الغيرة الأمريكية، والغربية عموماً، من وجود الصينيين فى جيبوتى، وهو الوجود العسكرى الأول لها خارج أراضيها، لا يتعلق ببناء قاعدة لها فى «تاجورة» فقط، ولكنه يتعلق كذلك بالاستثمارات الصينية الضخمة التى بدأت تتدفق على هذا البلد باعتباره منفذاً بحرياً مهماً لدول وسط أفريقيا. حيث تجنى جيبوتى نحو ربع مليار دولار سنوياً مقابل تأجير أراض لقواعد عسكرية، وتبلغ قيمة التأجير السنوية للولايات المتحدة نحو 70 مليوناً، وللصين نحو 100 مليون، ولليابان ما يقارب من 35 مليوناً، ولفرنسا (القاعدة الأقدم) نحو 30 مليوناً، بالإضافة إلى مبالغ أخرى من دول لها تواجد عسكرى محدود مثل ألمانيا وأسبانيا. هذا إلى جانب مساعدات ومشروعات تقوم بها هذه الدول لتنمية دول القرن الأفريقى وبلدان وسط القارة انطلاقاً من جيبوتى.

إسرائيلياً، سعت دولة الاحتلال مبكراً إلى إقامة عدة قواعد عسكرية موجهة ضد الدول العربية، فعملت على إقامة قاعدة بحرية فى ميناء «مصوع» عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، بالإضافة إلى القواعد الجوية فى كل من أثيوبيا وكينيا، والوجود الجوى فى غينيا، بل ذهبت إلى حد إقامة قواعد جوية فى تشاد على الأخص فى المنطقة المجاورة لحدود السودان، وهذه تمثلت فى ثلاثة مطارات أحدها مطار بحيرة «ايرو» والثانى مطار «الزاكومة» والثالث مطار «مفور» وبعدما قطعت العلاقات الدبلوماسية بين تشاد وإسرائيل تبين أن مهمة تلك القواعد هى مراقبة الحدود الليبية والسودانية بالإضافة إلى إمكانية استخدامها ضد مصر لضرب أهداف منتخبة فى مؤخرة الجبهة المصرية.

وما حدث فى أثيوبيا تكرر فى أوغندا، حيث أوفدت إسرائيل عدداً كبيراً من المستشارين العسكريين لتولى تنظيم وتدريب القوات المسلحة الأوغندية، بخاصة السلاح الجوى وقد وصل عدد أولئك المستشارين إلى 500 شخص تغلغلوا فى كل وحدات القوات المسلحة، وأصبحوا من الناحية العملية مسيطرين عليها، حيث عمل بعضهم كمستشارين لقياداتها، أو مشرفين على المعاهد العسكرية التى أقيمت بدعم إسرائيلى فى أوغندا، علماً بأن بعض الضباط الأوغنديين كانوا يفدون إلى إسرائيل فى بعثات عسكرية، وفى هذه الأجواء فإن تدفق الأسلحة الإسرائيلية إلى أوغندا بدا أمراً طبيعياً، من الرشاش «عوزي» إلى دبابات «شيرمان» إلى طائرات «المستير»، ولكن مع تطور الأحداث، ثبت أن هذه الأسلحة لم تكن لحساب القوات المسلحة الأوغندية فقط، ولكنها كانت ترسل لهدف آخر أهم هو تزويد حركة الانفصال فى جنوب السودان وفى غيرها بما تحتاجه حين يجد الجد.

كذلك، لم يغب الاتحاد الأوروبى عن سباق التنافس نحو الفوز بتواجد عسكرى له فى جيبوتى، حيث شكلت بعض دول الاتحاد قوة مشتركة أطلق عليها اسم (العملية الأوروبية لمكافحة القرصنة) (أتلانتا)، مهمتها تتركز فى

العمل على تطويق جرائم القرصنة فى مضيق باب المندب، ومراقبة حركة التجارة بها.

وسمح الاتحاد الأوروبى بوجود مئات الجنود من ثمانى دول أوروبية هي: ألمانيا، بلجيكا، أسبانيا، فرنسا، اليونان، هولندا، بريطانيا والسويد، وقد لاقى الوجود الأوروبى ترحيباً واسعاً من قبل القيادة الجيبوتية.

وحتى اليابان وبالرغم من غيابها المعتاد عن ساحات السباق العسكرى المسلح، نظراً لما تنتهجه من سياسات سلمية خارجية، فقد كان لها هى الأخرى نصيب من مضمار القواعد العسكرية فى جيبوتى، حيث تعود العلاقات بين جيبوتى واليابان إلى السابع والعشرين من شهر يونيو عام 1977، حين اعترفت اليابان بسيادة جمهورية جيبوتى، لتبدأ أولى علاقات التعاون الثنائى بين البلدين بنهاية عام 1980، والتى شملت العديد من المجالات التجارية والاقتصادية والتكنولوجية. وفى عام 2009 أنشأت البحرية اليابانية قاعدة عسكرية فى جيبوتى، تمكنها من المشاركة فى التصدى للقراصنة الصوماليين، بما فى ذلك ميناء دائم ومطار لإقلاع وهبوط لطائرات الاستطلاع اليابانية، لتضع طوكيو من خلال هذه القاعدة أول أقدامها داخل القارة السمراء. ولم يقتصر المضمار على تلك القوى، بل تنامت وتهافتت أغلب الدول الأخرى على اقتسام الكعكة الجيبوتية فى تأسيس قواعد عسكرية هناك لذات الأغراض المعلنة وغير المعلنة. بما يفسر ويؤكد على خطورة هذا التنامى والتواجد المتنافس فى تلك المنطقة الحساسة بالنسبة لسلامة وحرية الملاحة الدولية فى قناة السويس والبحر الأحمر.

الانعكاسات على ثوابت الأمن القومى المصري:

لم يخطر ببال الكثيرين أن دولة بحجم جيبوتى التى لا تتعدى مساحتها الـ23 ألف كيلومتر مربع، ويقدر عدد سكانها بنحو 864 ألف نسمة، ستصبح يومًا ما قبلة للدول العظمى شرقًا وغربًا، ومطمعًا للعديد من التوجهات السياسية والاقتصادية والعسكرية، الإقليمية منها والدولية. فقد ساهم الموقع الإستراتيجى فى أن تكون موطنًا للعديد من القواعد العسكرية لبعض الدول، فى مقدمتها فرنسا والولايات المتحدة، ومؤخرًا السعودية والصين، ما يضع العديد من التساؤلات حول تهديد هذه القواعد للأمن القومى المصرى، وآليات تعامل القاهرة مع هذه القضية الأمنية الخطيرة.

وفى مسعى مصرى لمواجهة تلك التطورات، فقد استهدفت الدولة التعامل مع تطورات الأوضاع فى منطقة البحر الأحمر والقارة الأفريقية، ما جعلها تدشن الأسطول الجنوبى ليحمل رسالة من مصر للجميع، بأن القاهرة عازمة على تقوية قدراتها العسكرية بكل أنواعها، بحريًا وجويًا وبريًا، ولم يكن انضمام الأسطول الجنوبى إلى الأسطول الشمالى، إلا خطوة على طريق دعم القوات البحرية بصفة عامة، لتظل تلعب دورها، كذراع من الأذرع المصرية العديدة لحماية أمنها القومى، وأمنها الاقتصادى أيضًا. وقد جاء التدشين فى هذا الوقت الراهن نظرًا للتحديات الأمنية والمواجهة المصرية للإرهاب التى تتجاوز الحدود، كما يعد هذا التدشين مفتاح العلاقات السياسية المصرية مع العديد من البلدان العربية والأفريقية، فى ظل عدم استقرار الأوضاع الأمنية بالمنطقة العربية، وكذلك فى منطقة القرن الأفريقى بصفة عامة. كما تعد الخطوة المصرية الأخيرة أمراً ضرورياً، للقضاء على أعمال القرصنة البحرية، وحماية وتأمين خطوط المواصلات، فضلاً عن سهولة عمليات البحث والإنقاذ، حال وقوع حوادث غرق أو حدوث كوارث بحرية، مع إمكانية القيام بعمليات البحث والإنقاذ لمساعدة الدول العربية.

وتتعدد المخاطر التى يمكن أن يواجهها الأمن القومى المصرى، فإلى جانب خطر الإرهاب، الذى يستطيع التسلل من كل المنافذ البحرية، فإن هناك تهديدات تهريب السلاح، والمخدرات، والهجرة غير الشرعية وغيرها.

وبتدشين الأسطول الجنوبى، تكون مصر قد أحكمت قبضتها العسكرية على حدودها البحرية، سواء من ناحية البحر المتوسط شمالاً، والذى يتواجد به الأسطول الشمالى، أو من ناحية البحر الأحمر جنوبا، بعد استقرار الأسطول الجديد على مساحات طويلة من امتداده، وبالتالى فإن حركة التجارة الدولية المارة بقناة السويس أضحت مؤمنة شمالاً وجنوباً. كذلك، وردت تقارير بأن مصر بدأت تشييد قواعد بحرية جديدة بكامل بنيتها التحتية على امتداد البحر المتوسط والبحر الأحمر مواجهة لقواعد إيران وإسرائيل العسكرية فى السودان وإريتريا. وسوف تضم إحدى هذه القواعد مهبطاً وممرات لطائرات الرافال والسوخوى، بالإضافة إلى وحدة دفاع جوى بها منظومة صواريخ إس 300 الروسية. وتضم مركز عمليات فى البحر الأحمر ووسط وشرق أفريقيا، إضافة إلى حاملة الطائرات الميسترال المصرية، وأحدث أنواع الغواصات. كما سيكون هناك مراكز لانطلاق قوات بحرية للعمل الخارجى وحماية الأمن القومى. وكذلك ستكون مجهزة بقواعد صواريخ طويلة المدى.

وختاماً، فقد أدى غياب القاهرة طيلة السنوات الماضية، لاسيما عن منطقة القرن الإفريقى، إلى تهديد مصالحها الأصيلة والتاريخية، وها هى الدول التى حلت مكانها تعزز تواجدها بقواعد عسكرية، وآلاف الجنود، وترسانات من الأسلحة، بما يهدد عمق مصر الجنوبى أمنيًا وسياسيًا من جانب، ومائيًا من جانب آخر، وفى المقابل، تعود مصر وتعيد تقييم توجهاتها الخارجية صوب القارة عموماً ودول القرن الإفريقى بصفة خاصة.

الهجمة الإسرائيلية فى أفريقيا

بمصافحة حارّة مع رئيس توجو فور جناسنجبى (Faure Gnassingbé) وابتسامة رضا وهو بصحبة بول كاجامى (Paul Kagamé) رئيس رواندا، كان رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو (Benyamin Netanyahou) يقود مع نهاية سنة 2016 حملته الهادفة إلى كسب ودّ القارة السمراء. وكان شعار جولته التي كان يقوم بها فى منطقة جنوب الصحراء يكشف عن طموحه: «إسرائيل تعود إلى أفريقيا وأفريقيا تعود إلى إسرائيل».

الحاجى بوبا نوحو

Alhadji Bouba Nouhou

باحث مشارك فى مركز مونتسكيو للبحوث السياسية

(جامعة بوردو – مونتانى)

وكانت النقطة المركزية لإستراتيجية تل أبيب تتمثل فى عقد لقاء قمّة إسرائيلى أفريقى نهاية شهر أكتوبر2017 بمدينة لومى عاصمة توجو، وهو لقاء كان موجهاً إلى كل رؤساء دول القارة السمراء، وكان ينتظر منه أن يسلط الأضواء على التعاون فى مجالات الهندسة والعلوم الزراعية والرى والأمن وغير ذلك.

لكنّ التوترات ظلّت تتراكم طيلة سنة 2017، ففى بداية شهر يونيو أثار حضور نتنياهو القمة الواحدة والخمسين للمجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا المنعقدة فى منروفيا (عاصمة ليبيريا) انتقاد كل من السنغال والنيجر ونيجيريا. كما عمدت المملكة المغربية التى كانت تستعد للعودة إلى هذه المنظمة بقوة إلى إلغاء مشاركتها فى آخر لحظة خشية أن يُعتبر حضورها تطبيعاً مع إسرائيل. والحال أن البلدين قد قطعا علاقاتهما الدبلوماسية منذ سنة 2000. لقد اعتبرت ردود الفعل هذه بمثابة الفأل السيئ بالنسبة إلى انعقاد قمّة أكتوبر. وبدون أن يكون الأمر مفاجئاً، توالى خلال الصيف الماضى إعلان عواصم دول غرب أفريقيا امتناعها عن حضور قمة «لومي» المزمعة. وفى مطلع شهر سبتمبر، أطلقت دولة جنوب أفريقيا رصاصة الرحمة على مبادرة نتنياهو. عند ذاك أصبح إلغاء القمة أمراً ضرورياً خاصّة وأن المظاهرات التى ينظمها المعارضون لرئيس توجو تسبّبت فى شلل البلد المضيِّف.

لقد ظلت العلاقات بين إسرائيل وأفريقيا منذ البداية تتراوح بين التردد ومنطق التقارب. فعندما أصدرت منظمة الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين يوم 29 نوفمبر 1947 كانت القارة السمراء لا تزال ترزح تحت الهيمنة الاستعمارية، وقد صوّتت الدولتان الأفريقيتان الوحيدتان المستقلتان فى ذلك الوقت وهما ليبيريا وأثيوبيا تصويتا مختلفاً، فالأولى صوّتت بنعم أمّا الثانية فقد امتنعت عن التصويت. بعد الحرب العربية الإسرائيلية الأولى سنة 1948 وتوقيع معاهدات الهدنة خلال شهر فبراير1949 بين إسرائيل وجيرانها العرب (مصر، الأردن، لبنان، سوريا) تواترت الحوادث على خطوط المواجهة وخاصة على الحدود المصرية. خلال سنة 1955 تمّ إقصاء إسرائيل من حضور مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد فى «باندونج» بأندونيسيا والذى شارك فيه الرئيس جمال عبد الناصر بعد الاتفاق على انسحاب القوات البريطانية من الأراضى المصريّة. وقد أدى العدوان الثلاثى سنة 1956 إلى زيادة حدّة التوتّر بين القاهرة وتل أبيب التى احتلّت سيناء لمدّة محدودة فى خضمّ التدخل الفرنسى البريطانى قبل أن تحوّل أنظارها صوب أفريقيا جنوب الصحراء والتركيز على «المجموعة المضطهدة». وقد شهدت بداية سنوات الستينات من القرن الماضى توافد عدد كبير من القادة الأفارقة على إسرائيل فى زيارات تفقدية دراسية للكيبوتزات أى التعاونيات الزراعية.

إن إسرائيل لا تغفل أبداً عن مصالحها الإستراتيجية، فقد كان افتتاح أول قنصلية فى أثيوبيا عام 1956 شاهداً على أهمية مضيق عدن، فبفضل النفاذ إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى عبر خليج العقبة كانت تل أبيب تخطط لتكون جسراً مع البلدان المتقدمة، ولتروّج لنفسها كنموذج فى مجالات كثيرة: التربية، الصحة، الجيش، المخابرات، إلخ. وقد ساندت هذه الدولة الناشئة

* منشور بترتيب خاص مع لوموند دبلوماتيك - النسخة العربية

تكوين هيئات استصلاح زراعى فى نيجيريا، كما ساعدت عديد من البلدان (السنغال، مدغشقر، كينيا، فولتا العليا (بوركينا فاسو لاحقاً)، مالى، داهومای (بنين لاحقاً)، الكاميرون، كوت ديفوار، غانا، نيجيريا، تنزانيا، غينيا) على إنشاء منظمات شبابية للاستغلال الزراعى على شاكلة المنظمات الإسرائيلية للشباب المقاتل.

خلال سنة 1958 قامت جولدا مائير(Golda Meir) وزيرة الشئون الخارجية الإسرائيلية آنذاك بجولة أفريقية أصبحت مرجعاً للعمل الدبلوماسى فى إسرائيل. تقول هذه المرأة التى ستصبح رئيسة للوزراء سنة 1969 مفسّرة: «إذا كنّا قد زرنا أفريقيا، أليس ذلك بقصد حشْد مزيد من الأصوات لدى منظمة الأمم المتحدة؟ نعم، طبعا، هذا واحد من أهدافنا، وهو هدف مشرّف تماما». ثم إن هذه العلاقات تكتسى بعداً اقتصادياً كبيراً إذ تم توقيع اتفاقيات تعاون مع كل من أثيوبيا وأوغندا وزائير وكينيا ورواندا وتشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى.

ورغم ذلك فقد قررت غينيا-كوناكرى وهى الدولة المقربة من مصر قطع علاقاتها مع تل أبيب إثر حرب يونيو 1967. وستزداد التوترات حدّة مع حرب أكتوبر 1973، إذ عمدت الأغلبية الساحقة من الدول الأفريقية (باستثناء مالاوى وبوتسوانا وسوازيلاند وليسوتو وجنوب أفريقيا) إلى النسج على منوال غينيا. ولقد نظمت جامعة الدول العربية عزلة إسرائيل مستفيدة فى نفس الوقت من عامل الإسلام داخل البلدان الإسلامية وعامل المكسب النفطى. كما جاءت العلاقات القائمة بين تل أبيب وبريتوريا اللتين تعتبران نفسيهما مواليتيْن للغرب وفى مقدمة المتصدّين للشيوعية لتغذّى عداء عواصم القارة السمراء [لإسرائيل]. ورغم الحظر العالمى المفروض على نظام التفرقة العنصرية فقد تواصل توريد الماس من جنوب أفريقيا إلى إسرائيل، كما أدى التعاون العسكرى الوثيق إلى مساندة إسرائيلية [لجنوب أفريقيا] فى مقاومتها لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى (بزعامة نيلسون مانديلا الذى كان يناضل ضد نظام التفرقة العنصرية) وضدّ الحركات الثورية فى كل من أنجولا وموزمبيق وناميبيا.

على الرغم من معاهدة السلام الموقّعة فى كامب ديفيد مع مصر سنة 1978 فإنّ إسرائيل لم تفلح فى استعادة موقعها. وإذا كان الجلاء عن سيناء الذى تمّ خلال شهر أبريل1982 قد أسقط واحدة من حجج خصومها، فإنّ القضية الفلسطينية التى اعتبرت مسألة تحرر وطنى ظلت أولوية بالنسبة إلى حكومات القارّة. فقد واصلت هذه الدول دعمها المستمر للفلسطينيين داخل الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة منذ انضمت إليها منظمة التحرير الفلسطينية بصفة عضو مراقب سنة 1974: الإقرار بحق تقرير المصير سنة 1975، التصويت يوم 10 نوفمبر من نفس السنة على القرار رقم 3379 الذى يؤكد إنّ الصهيونية شكل من أشكال العنصرية (قبل أن يتم إلغاؤه لاحقاً سنة 1991)، إلخ.

هناك حدثان متناقضان سيقعان لاحقاً ليطبعا العلاقات الأفريقية الإسرائيلية، أولهما هو التوقيع على اتفاقيات أوسلو سنة 1993 وهو حدث سيؤدى تدريجياً إلى اعتراف حوالى أربعين دولة أفريقية من منطقة جنوب الصحراء بإسرائيل حتى لقد أصبح لديها اليوم عشر

بعثات فى القـــارة. الحدث الثانى هو نهاية نظـــام التفرقة العنصرية والنصر الانتخابى الذى حققه المؤتمر الوطنى الأفريقى سنة 1994، وهو حدث ســـيؤدى إلى تحـــول موقف جنوب أفريقيا إلى طليعة المساندين للقضية الفلسطينية.

كمـــا أدانت البلـــدان الأفريقية والعربية السياســـة التى تنتهجها إسرائيل داخل الأراضى المحتلة وذلك بمناســـبة انعقاد مؤتمـــر منظمة الأمم المتحدة حول العنصرية الذى احتضنته مدينة «دوربان» فى جنوب أفريقيا سنة 2001. وفى سنة 2002 فقدت إسرائيل موقع المراقب داخل الاتحاد الأفريقى، وهى صفة ظلت تتمتع بها منذ سنة 1993. وفى سنة 2009 ساند الأفارقة لجنة التحقيق الأممية التى رأسها القاضى الجنوب أفريقى ريتشـــارد جولدســـتون (Richard Goldstone) والتـــى تتهـــم إسرائيل بارتـــكاب جرائم فى غـــزة أثناء عمليـــة «الرصاص المصهـــور». وخلال ســـنة 2011 صوّتت كل البلدان الأفريقية تقريباً لصالح انضمام فلسطين إلى منظمة اليونســـكو (باســـتثناء بوروندى والكاميرون والرأس الأخضر وكوت ديفـــوار ورواندا وتوجـــو وأوغندا وزامبيا التى امتنعت عن التصويت).

كما انتظمت مظاهرات شعبية حاشدة فى كل من داكار (السنغال) وكيب تاون (جنوب أفريقيا) وزاريا (نيجيريا) والرباط (المغرب) تأكيداً لتضامن الشعوب مع الفلسطينيين إثـــر تدخل الجيـــش الإسرائيلى فى قطاع غـــزّة خلال شـــهرى يوليو وأغسطس2014. فى عام 2016 بعد أن عرضت السنغال (بالاشتراك مع ماليزيـــا ونيوزيلندا وفنزويلا) على التصويت أمام منظمة الأمم المتحدة القـــرار رقـــم 2334 الذى يقضى بإدانة احتلال الأراضى الفلسطينية عمدت تل أبيب إلى استدعاء سفيرها بداكار (قبل استئناف العلاقات بين البلدين خلال شهر يونيو2017).

لكن هذه التوترات التى سببتها الأراضى المحتلة لـــم تمنع إسرائيل من التطبيـــع التدريجى لعلاقاتها مع العواصم الأفريقية خاصة وأن السلطة الفلســـطينية أصبح يُنظَر إليها فى عديد مـــن دول القارة على أنها مجرد ســـلطة سياسية عاديّة وأنّ مصير الأراضى الفلســـطينية المحتلّـــة لم يعد يُطـــرح من زاوية التحرّر الوطنى. وقد زاد ســـقوط نظـــام معمر القذافى ســـنة 2011 باعتباره من أنصار التيار المتشدّد، وتفاقـــم المنافســـة الاقتصادية فى تفكيك الجبهة الأفريقية (المعارضة لإسرائيل)، ويذهب نعيم جيناه المدير التنفيذى لمركـــز أفريقيا والشرق الأوســـط إلى تفسير ذلك بقوله: «إنّ بعض بلدان القارّة بصدد استبدال مفهوم التضامـــن بمفهوم المصالح الخاصّة».

ومع مـــرور الوقـــت أصبحت إسرائيـــل كذلك مرجعـــاً فى المجال الأمنى، ففى الوقـــت الذى يتفاقم فيـــه الإرهاب فى منطقة الســـاحل والقرن الأفريقـــى صارت إسرائيل تحتل موقعاً ملائمـــاً على خارطة بيع الأسلحة ومجال المخابرات، فقد عمدت كينيـــا بحكم ما تعرضت له خلال السنوات الأخيرة من هجمات إرهابية إلى تدعيـــم تعاونها مع تل أبيب فى مجال مكافحـــة الإرهاب، وهو تعاون انطلق من خلال عملية احتجاز رهائن مشـــهودة جرت فى مطار عنتيبى (أوغندا) سنة 1976. كما تلقّت نيروبـــى دعما قويّا من أجهـــزة الأمـــن الإسرائيلية خلال المجزرة التى ارتكبت فى مركز وست جيت التجارى ســـنة 2013. أمّا فى شرق أفريقيا فتُعتبَر كينيا وأوغندا أبرز المحطات الإسرائيلية فى التصدى لتوسّع العمليات الإرهابية، إذ توفر لهما إسرائيل خدمات مستشـــارين خاصين ووحـــدات قتالية صغيرة وطائرات بدون طيـــار وتجهيزات مراقبة وزوارق بحرية سريعة. أما جنوب الســـودان فقـــد أصبح بعد استقلاله ســـنة 2013 على لائحة حلفاء إسرائيل الجـــدد فى المنطقة، ذلك أن البلدين يتقاســـمان نفس العداء الموجه ضدّ النظام القائم فى الخرطوم والمساند لحركة «حماس» الفلسطينية.

وإذا كانـــت منطقـــة القـــرن الأفريقى تكتسى أهمية إستراتيجية بسبب حركة الملاحة البحرية فى خليج عدن ومضيق بـــاب المندب والبحر الأحمر فإنّ العمليات الإرهابية التى تُرتَكب فى الساحل وفى غرب أفريقيا (بوركينا فاسو، مالى، النيجر، كوت ديفوار) من شـــأنها أن توسّع من مجال التدخل المحتمـــل لتلّ أبيب. فيوم 14 أبريل2014 اتخذ الجنرال

ماهر هيريس (Maher Heres)، المكلف بتكوين كتيبة التدخل السريع بالكاميرون، من مدينة مروى العاصمة الإقليمية لمنطقة أقصى الشمال، قاعدة له بقصد إدارة الأزمات المرتبطة بتنظيم «بوكو حرام» الإرهابى. وتذهب وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى أن اتفاقيات التسليح مع البلدان الأفريقية أخذت فى الارتفاع المتواصل منذ سنة 2009 حتى تجاوزت المائة مليون دولار فى السنة.

وفضلا عن مبيعات الأسلحة والاتجار فى الحجارة الكريمة تغطى العلاقات الاقتصادية مجالاً واسعاً يمتد من أنشطة المناجم إلى الأعمال التجارية الزراعية مروراً بالتكنولوجيات البيئية، فشركة مجموعة بانى شتاينمتز للموارد تساهم فى استخراج النحاس والكوبالت والنفط والغاز من ناميبيا وأنجولا وبوتسوانا وجنوب أفريقيا وسيراليون وغيرها. أما فى كينيا، فإن الشركات الإسرائيلية تستثمر فى مجال البنية التحتية للفنادق. وأما فى كوت ديفوار فإنّ مجموعة تيليمانيا بصدد بناء محطّة مركزية لتوليد الطاقة الحرارية تعمل بالغاز الطبيعى بسونجن داجبى بضواحى أبيدجان. كما تضمن صناعة الأحجار الكريمة تدفق الأموال الإسرائيلية نحو جنوب أفريقيا وبوتسوانا. ويسوّق الإسرائيليون خبرتهم بالبيئات القاحلة بقصد عرض ما لهم من دراية فى مجال الطاقة الشمسية وتطهير المياه والزراعة، ففى كل سنة تدرب الوكالة الإسرائيلية للتعاون الدولى (ماشاف) حوالى مائة خبير أفريقى خاصة فى مجال الزراعات الغذائية والصناعات الزراعية. وقد أعلن المعهد الإسرائيلى للصادرات والتعاون الدولى أنّ كلا من جنوب أفريقيا وأنجولا وبوتسوانا وكينيا ونيجيريا وتوجو تعدّ من ضمن الشركاء التجاريين المنتظمين. وبالجملة فإن الصادرات الإسرائيلية نحو القارة الأفريقية قد تجاوزت المليار دولار منذ سنة 2015. ولئن كانت أفريقيا لا تمثل سوى نسبة 2 بالمائة من التجارة الخارجية الإسرائيلية فإنّ إمكانية تطوّر المبادلات تبقى بالغة الأهمية.

إنّ فلسطين العضو المراقب فى الاتحاد الأفريقى لتنظر بعين الخشية إلى عملية الاستدراج الدبلوماسى التى تقوم بها تل أبيب فى الوقت الذى تراوح فيه عملية السلام مكانها. وقد عمد وفد من « فتح « خلال شهر أكتوبر2017 إلى القيام بجولة فى العواصم الأفريقية. لكن هناك دولاً لها مواقف أخرى. فرئيس رواندا بول كاجامى الذى ستتولى بلاده الرئاسة الدورية للاتحاد الأفريقى بداية من يناير 2018 صرّح خلال شهر مارس الماضى أثناء زيارة إلى واشنطن: «إنّ رواندا هى بلا شكّ صديقة لإسرائيل التى لها الحقّ فى الوجود والازدهار بصفتها عضوا كامل العضويّة فى المجتمع الدولي». وعلى الرغم من إلغاء قمّة «لومى»، فإنّ العودة الدبلوماسية القوية لإسرائيل إلى القارّة الأفريقية قد لا تكون سوى مسألة وقت.

الرئيس موجابى.. بطل هزمته أخطاؤه

لم ينتبه الرئيس روبرت موجابى أنه عندما تتراكم الأخطاء، حتى لو كان التراكم على مدار سنوات طويلة، فإنها تؤدى إلى تآكل ما تحقق من بطولات، وما قدم من تضحيات فى سنوات النضال من أجل الاستقلال، وما اتسم به من روح التسامح وقبول الآخر فى المراحل الأولى عقب الاستقلال طوال عقد الثمانينيات وتعيش مع الأقلية البيضاء فى زيمبابوى.. ومما يزيد من التراكم العناد وعدم استشارة ذوى المعرفة والخبرة، والوقوع وسط مجموعة من المستفيدين تخشى على مصالحها الخاصة أكثر من حرصها على المصالح العامة، ويصبح همسها الأول هو إرضاء الزعيم، بالحق والباطل.

سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

لقد تغرب موجابى وتنقل بين عدة دول فى شبابه ليتعلم ويكون على اتصال بالمناضلين الأفارقة، وبدأ بجنوب أفريقيا، وموزمبيق، وتنزانيا، وعاد إلى زيمبابوى عام 1962 وانضم إلى الحركة التى كونها جوشو أنكومو عام 1961 وهى اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى «زابو Zapu» ولكنه انضم إلى الاتحاد القومى لزيمبابوى الأفريقية عام 1963، ثم استقل وكون الاتحاد الوطنى الزيمبابوى الأفريقى «زانو Zanu». وظل يكافح بالتعاون مع جوشو أنكومو إلى أن تحقق إنهاء حكم الأقلية البيضاء بزعامة إيان سميث، وتولى موجابى رئاسة الحكومة فى 18 أبريل 1980 مع وجود حاكم بريطانى وفقًا لنظام الكومنولث البريطانى حتى عام 1987 ولم تعد زيمبابوى تابعة رمزيًا للتاج البريطانى وأصبح موجابى رئيسًا للجمهورية.

كان موجابى فى منافسة مستمرة مع جوشو أنكومو الذى سمى أبو الأمة وأبو الاستقلال، واعتمد موجابى على انتمائه إلى قبائل الشونا التى تمثل نحو 72% من سكان زيمبابوى، بينما نكومو من قبائل الاندبيلى التى تمثل نحو 24% من السكان، ونكومو له الفضل فى إنشاء أول حركة تحرير لزيمبابوى عندما شعر بالتفرقة العنصرية واضطر لترك وظيفته ليعمل فى مزرعة والده لتربية الماشية.

وقد احتدم الصراع الصامت بين موجابى ونكومو عام 1983 وخرج إلى العلن وتحول إلى صراع مسلح خاصة فى مناطق متابيليلاند وميرلاند، حيث تمرد قبائل الإندبيلى ولجأ نكومو لجنوب أفريقيا ثم بريطانيا واستخدمها وجرت مصالحة بين الزعيمين فى عام 1986 ولكن بعد أن راح ضحية الصراع نحو 20 ألف قتيل، الأغلبية العظمى منهم من الإندبيلى، وعاد نكومو لهرارى وتولى منصب نائب رئيس الجمهورية، وحتى لا يكون النائب الوحيد فقد عين موجابى نائبًا ثانيًا هو جوزيف مسيكا، وهو من الشونا أيضًا، ولم يتوقف التنافس بين موجابى ونكومو ولكن لا يتسع المجال لتناوله، ودائمًا ما ينفى امرسون مناتجاجوا اتهامه بأنه اضطلع بالدور الأكبر فى مذابح 1983 فى متابيليلاند، وميدلاند، ولكن الاتهام عاد إلى السطح بعد أن تولى الرئاسة عقب استقالة موجابى.

وتعتبر قضية استعادة الأراضى الزراعية من الأقلية البيضاء فى زيمبابوى من أهم القضايا التى لم يحسن موجابى إدارتها، وقد عاصرتها فى هرارى وشاركت فى مناقشات برنامج التنمية للأمم المتحدة الذى اقترح إنشاء صندوق يمول من الدول المانحة والهيئات الدولية لتقديم تعويضات لأصحاب المزارع من الأقلية البيضاء وبناء قرى ومزارع نموذجية مجهزة بكل الآلات والمعدات الزراعية والتقاوى والمدارس وعيادات. وتقوم الفكرة على أن يتكفل الصندوق بكل تكاليف المحصول الأول وبعد الحصاد وبيع المحصول يعتمد الفلاحون على أنفسهم ويمولون زراعاتهم من عائدات بيع المحصول.

وكانت إدارة الصندوق المقترحة مكونة من الحكومة وملاك الأراضى البيض والفلاحين والأفارقة المنتفعين وذلك تحت إشراف برنامج التنمية للأمم المتحدة.

ولكن موجابى وحكومته أصروا على تولى إدارة الصندوق وإلا لن تقبل الفكرة من أساسها، ورفضت الأمم المتحدة والدول المانحة وأصحاب المزارع البيض مطلب موجابى وحكومته، وتوقف المشروع.

تضايق موجابى وأوعز لرابطة قدامى المحاربين ببدء عملية الاستيلاء على أجزاء من المزارع التجارية التى يملكها البيض، وفى عام 2000 أراد أن يضيف نصًا للدستور يمكن الحكومة من الاستيلاء على جزء من هذه الأراضى دون تعويض استنادًا إلى مقولة «إن المستعمرين البيض قد استولوا على هذه الأراضى بلا مقابل وهى ملك شعب زيمبابوى».

ولكن نجح البيض ومن لا يوافقون على هذا التعديل الدستورى فى رفضه فى استفتاء عام وحشدت الأقلية البيضاء كل أعضائها حتى الذين كانوا يقيمون فى جنوب أفريقيا واستراليا ونيوزيلاندا حضروا للإدلاء بأصواتهم برفض التعديل. وقد قدر عدد هؤلاء المقيمين فى الخارج ويتمتعون بجنسية زيمبابوى بنحو 120 ألف شخص.

ازداد غضب موجابى، وازدادت

ايان سميث رمز العنصرية البغيضة

موجابى وزوجته الثانية جريس

مع هـذا الغضب عمليات استيلاء قدامى المحاربين من أجل الاستقلال على المزارع التجارية من أصحابها البيض.. وساد القلق والاضطراب والعنف وتراجع الإنتاج الزراعى والثروة الحيوانية إلى جانب أصحاب المزارع من البيض وهم أصحاب عدد كبير من المصانع التى تأثرت وتوقف الكثير منها عن الإنتاج، وشحت البضائع الرخيصة من الأسواق، وانهار سعر صرف العملة الوطنية، وتركت أعداد كبيرة من البيض زيمبابوى إلى أن تنصلح الأمور.. وبدأ كثير من أفراد الشعب يقارنون بين حياتهم الصعبة والبطالة والفقر وبين حالتهم فى ظل حكومة الأقلية البيضاء برئاسة إيان سميث.. وقد احتدم التراشق بالكلام بين موجابى وإيان سميث الذى كان يسافر بين الحين والآخر إلى لندن ويتحدث عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى زيمبابوى فى محاضرات عامة وأحاديث تليفزيونية، وذات مرة هدده موجابى أنه سيلقى القبض عليه فى المطار عند عودته، فما كان من إيان سميث إلا أن حدد رقم الطائرة وساعة وصوله إلى المطار فى هرارى وتحدى أن يلقى أحد القبض عليه، وطلب من موجابى أن يسير معه فى شوارع هرارى ليرى بنفسه أيهما أكثر شعبية لدى شعب زيمبابوى وفى مقدمتهم الأفارقة، وعاد سميث ولم يتعرض له أحد، ولكنه تم الاستيلاء على جزء من مزرعته وفيها جزء لتربية الماشية للحوم التصدير والألبان، وكان قدامى المحاربين يذبحون بقرة منها كل يوم.

كانت زيمبابوى سلة غذاء لمعظم الدول المحيطة بها فأصبحت تعانى من تناقص كبير فى الصادرات والسلع فى الأسواق المحلية لدرجة المجاعة فى بعض المناطق ووصول التضخم إلى أرقام قياسية.

وقد نتج عن هذه الأزمة تشكيل حزب الحركة الديمقراطية للتغيير - أغلبيته من اتحادات العمال والموظفين والمدرسين من الأفارقة وأعداد من البيض، برئاسة رئيس الاتحاد العام للنقابات العمالية مورجان تسفانجراى، وهو أول حزب معارض لم يشارك فى حرب الاستقلال.. وكانت مشكلة هذا الحزب أن رئيسه تسفانجراى ليس على نفس مستوى روبرت موجابى، لا من حيث مستوى التعليم والخبرة والثقافة السياسية، إلى جانب أنه كان من أتباع موجابى بحكم رئاسته للاتحاد العام لنقابات العمال، ولكنه مثل كل من يريدون التغيير بالأسلوب الديمقراطى عن طريق الانتخابات، وقد ظل الحزب وزعيمه صامدين أمام كل ما تعرضوا له من اعتقالات وإهانات واعتداءات واتهامات بالعمالة وتلقى مساعدات ودعم خارجى من القوى الاستعمارية السابقة.

وحقق الحزب مكسباً كبيراً فى الانتخابات عام 2008 ولكنها تعرضت لتدخلات وتزوير كبيرين ورغم ذلك فقد اضطر موجابى أن يقبل أن يتولى مورجان تسفانجراى رئاسة الحكومة فى الفترة من -2009 2013.. ولكن الفريق المؤيد لموجابى كان يعمل بكل الوسائل على الحد من صلاحيات رئيس الوزراء لصالح موجابى.

لقد خسر موجابى أهم مستشار له غير رسمى وهى زوجته الأولى سالى هايفرون وهى من غانا وقد تزوجها عام 1961 وظلت بجانبه بحكمتها وثقافتها بمثابة كابح لاندفاعاته وتخفف من عناده، وقد اشتد عليها المرض منذ بداية 1990 إلى أن توفت عام 1992.. وأثناء مرضها تزوج موجابى مدنياً سكرتيرته جريس ماروفو.. وكانت فى نحو سن 28 سنة بعد طلاقها من زوجها الأول الضابط فى حرس الرئاسة، وذلك رغم أن ديانتهما الكاثوليكية تمنع الجمع بين زوجتين، ثم تزوجها فى حفل رئاسى كبير عام 1996 زواجًا كنسيًا ورسميًا لتصبح منذ ذلك الحين السيدة الأولى.. ولم تكن على مستوى زوجته الأولى سالى، لا من حيث مستوى تعليمها وثقافتها العامة، ولا شخصيتها، وهى من الذين يهتمون كثيرًا بجمع الثروة وحب التملك واقتناء الأشياء الثمينة بنهم وشراسة.

وكان موجابى فى بادئ حياتهما معًا يعتبرها مجرد زوجة جميلة وتتولى بعض المهام مثل جمعية أطفال الشوارع، ثم بعد ذلك تولت رئاسة أمانة المرأة فى الحزب الحاكم. وكان الرئيس قدوتها ومثلها الأعلى، ولكنها استغلت فارق السن بينهما من ناحية وكبره البالغ فى السن وبدأت تمارس

نفوذًا سياسيًا سواء بالتأثير على موجابى ليحقق لها رغباتها أو عن طريق مجموعة الأربعين G40 التى شكلتها داخل الحزب الحاكم، واسمها يشير إلى أن أعضاءها يدور سنهم حول 40 عامًا ومنهم وزراء وشخصيات مؤثرة فى رابطة الشباب للحزب الحاكم والتى اتخذتها أداة لبسط نفوذها.

ومن الشخصيات المهمة التى أبعدها موجابى من دائرة مستشاريه الأساسيين هى جويس موجورو - زوجة الجنرال سولوموند موجورو، الذى كان أحد أكثر الرجال نفوذًا فى زيمبابوى، وقد توفى عام 2011 فى ظروف مشبوهة. وقد عرفت السيدة جويس بمريقة الدماء. وقد تولت لفترة طويلة منصب وزير الموارد المائية والثروات الطبيعية ومنصب وزير الدفاع إلى أن عينت نائبًا لرئيس الجمهورية. ولكنها أقيلت من هذا المنصب فى عام 2014 وكونت حزبًا سياسيًا صغيرًا بزعامتها لا يتعارض مع مبادئ الحزب الحاكم ولكنه تعبير عن استقلاليتها وأنها لم تفقد دورها.

لقد أصبح نائب رئيس الجمهورية أمرسون منانجاجوا، وهو من المخلصين لموجابى سواء فى فترة حرب التحرير من أجل الاستقلال أو طوال حكمه. وقد تولى عدة مناصب منها مسئول الأمن، ووزارة الدفاع، ووزارة المالية، من العوامل المهمة هو ومجموعته الذين يحدون من طموحات جريس زوجة موجابى التى شعرت أن منانجاجوا سيكون عقبة كأداء فى طريقها للترشح لمنصب رئيس الجمهورية فى الانتخابات التى ستجرى عام 2018، وظهرت أعراض التوتر بينها وبينه وأنه مدعوم من الحرس القديم.. فقامت أو بعض مساعديها بتسريب أن منانجاجوا لديه خطة للتفاوض والمصالحة مع أصحاب المزارع التجارية من الأقلية البيضاء وإعادة الكثيرين منهم الذين غادروا زيمبابوى لإدارة مزارعهم وذلك بدعوى إنعاش الاقتصاد الزيمبابوى. وأقنعت الرئيس موجابى بضرورة التخلص منه.

وقد أصدر موجابى قرارًا فى 5 نوفمبر 2017 بإقالة نائبه أمرسون منانجاجوا الذى ما أن علم بالقرار حتى خرج يوم 6 نوفمبر 2017 من زيمبابوى ولم يعلن إلى أين خوفًا على حياته وهو الذى عرف بالتمساح لشدته وقسوته مع أعدائه ومعارضيه ويعلم أنه يمكن أن يتعرض لعملية تصفية جسدية تنهى حياته. وقد عرف فيما بعد أنه اتجه إلى جنوب أفريقيا.

ولم يمض وقت طويل، فقد تحركت دبابات ومدرعات الجيش الوطنى فى زيمبابوى يوم 2017/11/14 باتجاه العاصمة هرارى وانتشرت فى عدة مواقع حيوية، وذلك بعد إعلان قائد الجيش رفض إقالة نائب الرئيس منانجاجوا وآخرين والتى أسماها بعملية تطهير سياسى. وقد حرص الجيش على تأكيد أنه لا يقوم بانقلاب عسكرى، وإنما استهدف «مجرمين» محيطين بالرئيس موجابى. وحذر قائد الجيش من أن الجيش قد يتدخل إذا لم يوقف الحزب الحاكم «حملة تطهير» فى صفوفه.

وقد رد متحدث من الحزب على الجنرال شيونجا قائد الجيش واتهمه بالخيانة ومعتبراً أن سلوكه الذى قام به هدفه التحريض على تمرد. وهذا المتحدث من جماعة الأربعين.

وقد سيطر الجيش على هيئة الإذاعة والتليفزيون الرسمية، وأغلقت المدرعات الشوارع المؤدية إلى المصالح الحكومية الأساسية والبرلمان والمحاكم، وتقع كلها فى أماكن مجمعة ومتقاربة. ووجه الجيش بيانًا من الإذاعة والتليفزيون أكد أن هذا ليس انقلابًا عسكريًا على الحكومة، وطمأن الأمة أن «فخامة الرئيس وعائلته بخير وأمان، وأن المستهدف هم المجرمون المحيطون بالرئيس موجابى الذين يرتكبون جرائم فى ظل معاناة البلاد من ضائقة اقتصادية واجتماعية، وأنهم سيقدمون للعدالة، وأن الأمور ستعود إلى طبيعتها عندما يستكمل الجيش مهمته».

أوقف الجيش وزير المالية تشومبو، وهو عضو بارز فى جماعة الأربعين، وقد صرح محاميه بعد ذلك أنه نقل

إلى المستشفى للعلاج من آثار الضرب الذى تعرض له. وإن انضمام رابطة قدامى المحاربين لحزب التحرير إلى الجيش، مثل خسارة أخرى كبيرة للرئيس موجابى، لأن الرابطة كانت إحدى أدواته البالغة الأهمية فى تنفيذ برنامجه للاستيلاء أو استعادة الأراضى الزراعية من البيض. وقد صرح رئيس الرابطة موتسفانجوا، بأن ما قام به الجيش «حركة تصحيحية لدولة كانت على حافة هاوية، وأنها بنهاية فصل مؤلم وحزين جدًا من تاريخ دولة شابة سلم الديكتاتور الذى يحكمها، بعدما كبر سنه، الأمور لعصابة من اللصوص المحيطين بزوجته».

وقد نصحت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا رعاياهما فى زيمبابوى بالبقاء فى منازلهم بسبب ما يحيط الموقف السياسى من غموض.

وأعرب الرئيس جاكوب زوما، رئيس جنوب أفريقيا ورئيس مجموعة السادك، عن أن الموقف فى زيمبابوى يثير قلقًا بالغًا، وأنه تحدث إلى الرئيس موجابى يوم 2017/11/15 هاتفيًا واطمأن عليه وأنه بخير ولكنه فهم من حديثه أنه يخضع لإقامة جبرية فى منزله. ودعا الجيش والحكومة إلى الهدوء وضبط النفس.

ودعا رئيس غينيا ورئيس القمة الأفريقية الفاكوندى، إلى استعادة النظام الدستورى فورًا، لأن الأمر فى زيمبابوى يبدو أشبه بانقلاب، وأنه

على اتصال بالرئيس زوما لإيجاد حل سلمى. وحث الاتحاد الأوروبى جميع الأطراف فى زيمبابوى على الانتقال من المواجهة إلى الحوار للتوصل إلى تسوية سلمية للأزمة.

وقال وزير خارجية بريطانيا يوريس جونسون، إنه لا يعلم عما إذا كان سيسقط موجابى، وقال إنه لا يجب أن تبدل زيمبابوى «ديكتاتورًا غير منتخب» بديكتاتور آخر. وصرح فيما بعد بأن الجميع يريد أن يرى زيمبابوى ناجحة ومستقرة، وناشد الجميع أن يتجنبوا العنف.

وصرح المتحدث باسم الخارجية المصرية يوم 2017/11/15 أن مصر تتابع بقلق تطورات الأوضاع السياسية والأمنية فى زيمبابوى، وتدعو جميع الأطراف لضبط النفس والتعامل بحكمة مع الوضع الراهن بما يرعى مصالح ومقدرات الشعب الزيمبابوى.

وقد عاد إلى هرارى يوم 2017/11/16 مورجان تسفانجراى، زعيم المعارضة ورئيس حزب الحركة الديمقراطية للتغيير، وحث خصمه الرئيس موجابى على التنحى عن السلطة وإتاحة الفرصة لتنظيم انتخابات حرة ونزيهة، حيث إن موجابى يقاوم وساطة عدة أطراف للتخلى عن السلطة.

وقال تسفانجراى إن ثمة حاجة إلى إطار لما بعد الانتخابات لضمان الاستقرار، وأن أحدًا لم يتصل به ليكون جزءًا من أية آلية انتقالية تفاوضية، ولكنه سيشارك إذا تم الاتصال به.

وقام القس الكاثوليكى موكوتورى، وهو على صلة قوية بموجابى منذ سنوات، بالوساطة بين موجابى وجنرالات الجيش لتيسير عملية نقل سلمى وسلس للسلطة، بعد تنحى موجابى الذى يحكم منذ عام 1980.

وقد تسرب عن موجابى قوله إن عزله ليس ممكنًا إلا بتصويت لقيادة الحزب الحاكم وكان موجابى قد التقى يوم 2017/11/15 وفدًا من وزيرين من جنوب أفريقيا وقد تحدث الرئيس جاكوب زوما مع موجابى أثناء وجود الوزيرين معه.

ولوحظ أن سكان العاصمة هرارى فى بداية الأحداث قد مضوا فى حياتهم اليومية العادية من أعمال وتسوق وتجارة دون أن يعطوا اهتمامًا كبيرًا لانتشار قوات من الجيش فى عدة مواقع وكأنهم لا يصدقون أن تغييرًا سيحدث. وأن بعضهم قد أبدى أنهم يعانون من سوء الأحوال الاقتصادية والبطالة، وأنهم يأملون أن تكون زيمبابوى أفضل بعد عهد موجابى، وأنهم سعداء بما يحدث وأنه حان وقت رحيل موجابى. ولم تحدث أى اضطرابات من الشعب وهو ما يعنى تقبل فكرة غياب موجابى عن السلطة.

وقد ظهر موجابى علنًا يوم 2017/11/17 فى حفل تخرج طلبة الجامعة المفتوحة، وانتقل إلى قصر الرئاسة، وكان الهدف من ذلك إظهار احترام تاريخه الطويل من أجل الاستقلال، وسجنه لمدة عشر سنوات، ونفيه للخارج. وتوضيح أنه قد جرت إجراءات الاستقالة من الرئاسة وليس العزل بأسلوب لائق، وأن تختفى زوجته جريس من المشهد تمامًا، وأن يحمى الجيش البلاد لحين إتمام الانتقال السلمى للسلطة. وضمان أن موجابى سيرحل بهدوء ودون أية محاكمة. وأن ظهور موجابى بهذه الصورة قد أحدث بلبلة لدى الرأى العام خاصة وأن وسائل الإعلام نشرت صورًا لموجابى وهو يصافح قائد الجيش شيونجا وهو يبتسم فى حضور الوزيرين من جنوب أفريقيا.

وصرح مسئول بالحزب الحاكم أن قادة الحزب من المقرر اجتماعهم يوم 2017/11/19 لوضع مسودة طرد موجابى تمهيدًا لعزله يوم 2017/11/21 إذا رفض التنحى، وأنه ليس هناك عودة لموجابى، وإذا تملكه العناد فإن الحزب سيطرده من رئاسة الحزب يوم 2017/11/19 وبعدها سيكون عزله من الرئاسة 2017/11/19.

ودعا رئيس رابطة قدامى المحاربين الشعب إلى التظاهر فى هرارى يوم السبت 2017/11/18، قائلاً: «نريد استعادة كرامتنا» ووجه تحذيرًا صارمًا إلى موجابى وزوجته، وقال «اللعبة انتهت».. كما وجه الجيش نفس الطلب إلى الشعب.

استجاب الشعب وقام بمظاهرات حاشدة فى هرارى ورفعوا الأعلام وهم يرقصون ويغنون ابتهاجًا بسقوط موجابى، وأعربوا عن دعم الجيش الذى وضع حدًا لحكم موجابى الاستبدادى.. والتقطوا صورًا مع الجنود والضباط، ورفعوا صور قائد الجيش، ولافتات عليها شعارات مثل «موجابى - ارحل من زيمبابوى» و«لا لأسرة موجابى» كما حملوا صور نائب الرئيسي المقال امرسون منانجاوا إلى جانب قائد الجيش وهتفوا «هذان هما الزعيمان اليوم» ورفعوا شعار «ارقد بسلام يا موجابى».

وبعدما رأى موجابى انفضاض الجميع من حوله، الجيش الذى كان سنده الرئيسى والحزب الحاكم الذى يرأسه، ورابطة قدامى المحاربين، وأغلبية الشعب، وأن الجميع يطلبون منه الاستقالة، وافق يوم 2017/11/19 على التنحى من رئاسة زيمبابوى وتمت الموافقة بعد جلسة مفاوضات ثانية عقدها موجابى مع هيئة أركان الجيش لإقناعه بالاستقالة، وصياغة البيان الرسمى، خاصة بعد إعلان اللجنة المركزية للحزب الحاكم إقالة موجابى من رئاسة الحزب، واختيار امرسون منانجوا خلفًا له فى رئاسة الحزب، وفصل جريس مافرو - زوجة موجابى- من الحزب نهائيا ومن قيادة الرابطة النسائية فى الحزب.

كما دعت رابطة الشباب فى الحزب الحاكم موجابى إلى الاستقالة وإعادة منانجاوا فورًا. ويلاحظ أن رئيس رابطة قدامى المحاربين كان يقود حملة لإقالة موجابى منذ نحو عام ونصف العام. وقد ناشد منانجاوا الرئيس موجابى بالاستجابة لرغبة الشعب فى التغيير وحماية إرثه فى الكفاح.

وكان أحد أعضاء البرلمان قد صرح بأنه يمكن عزل موجابى عن طريق البرلمان وفقًا للمادة 97 من دستور زيمبابوى وأن البدء فى إجراءات العزل يتم بأغلبية بسيطة وقرار العزل ذاته يتطلب أغلبية الثلثين لتمريره. وقال النائب بول مانجوانا إن الحزب يريد اتهام موجابى بأنه أجاز لزوجته

الرئيس موجابى.. بطل هزمته أخطاؤه

الاستيلاء على السلطة، وبأنه لم يعد قادرًا جسدًا على الاضطلاع بدوره لتقدمه فى السن «93 سنة»، وأن موجابى بات مصدرًا لزعزعة الاستقرار والسبب فى الانهيار الاقتصادى بصورة غير مسبوقة خلال الخمسة عشر عامًا الأخيرة.

وقد استعد البرلمان فعلاً لعزل موجابى إذا لم يتقدم باستقالته، وظل فى حالة انعقاد متصل انتظارًا لقرار موجابى.

وقد دعا موجابى إلى اجتماع يرأسه لمجلس وزرائه ولم يحضر إلا المدعى العام وخمسة وزراء فقط، بينما فضل 17 وزيرًا حضور اجتماع آخر للتخطيط لعزل موجابى.

وقال قائد الجيش إن الحديث بين موجابى ومنانجاجوا كان مشجعًا وقد أعطيت عدة ضمانات لمنانجاجوا لتأمينه وضمان سلامته، كما أن موجابى وافق على خريطة طريق للخروج من الأزمة.

وأخيرًا استقال موجابى يوم 2017/11/21 وأعلن رئيس البرلمان جاكوب موديندا ذلك أمام البرلمان فى جلسة طارئة فى نفس اليوم، وقرأ رسالة الاستقالة التى جاء فيها:

«أنا روبرت موجابى أسلم رسميًا استقالتى من رئاسة جمهورية زيمبابوى فورًا.. واخترت أن أستقيل طوعًا ويعود هذا القرار إلى رغبتى فى ضمان انتقال سلمى للسلطة دون مشاكل وعنف».

وقد استقبل النواب فى البرلمان الرسالة بالتصفيق، وبدأت الاحتفالات فى العاصمة هرارى فرحًا باستقالة موجابى. ورفع المتظاهرون أمام البرلمان لافتات كُتب عليها «انتخابات حرة بلا عنف من البوليس» و«عمل، كهرباء، غذاء وماء» و«موجابى ارحل الآن».

وأكدت تريزا ماى رئيسة وزراء بريطانيا أن استقالة موجابى تعطى زيمبابوى فرصة لصنع طريق جديد متحرر من القمع الذى اتسم به حكم موجابى، وأنها شاهدت خلال الأيام الأخيرة رغبة شعب زيمبابوى فى إجراء انتخابات حرة وعادلة، وفرصة لإعادة بناء اقتصاد البلاد عن طريق حكومة شرعية، وأنها تريد أن تعود زيمبابوى مجددًا للمجتمع الدولى. وقال وزير خارجية بريطانيا إن سقوط موجابى منعطف يعطى بارقة أمل لبلاده، وأن الأولوية الآن السماح بأن يكون لزيمبابوى شرعية منتخبة انتخابًا حرًا وفقًا للدستور.

واعتبرت واشنطن أن استقالة موجابى فرصة تاريخية للتغيير وقد تساهم فى إنهاء عزلتها الدولية التى تعانى منها، وعلى أبناء زيمبابوى أن يقرروا مستقبلها، ودعت إلى تنظيم انتخابات حرة ونزيهة. وكان مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشئون الأفريقية قد صرح يوم 2017/11/17 أن واشنطن كان موقفها دائمًا أنه إذا أجريت إصلاحات دستورية، وإصلاحات اقتصادية وسياسية، وتحرك لحماية المجال السياسى وحقوق الإنسان، حينئذ يمكن لواشنطن البدء فى بحث رفع العقوبات المفروضة على زيمبابوى.

وقد ظهرت صور امرسون منانجاجوا وهو يصافح رئيس جنوب أفريقيا جاكوب زوما قبل عودة منانجاجوا إلى هرارى يوم 2017/11/22 وأعلن أنه سيؤدى اليمين الدستورية خلفًا لموجابى وقد أداها فعلاً وفى 2017/11/23 أمام حشد من الآلاف من الشعب فى استاد رياضى فى هرارى.

وجاء فى القسم «أنا امرسون رامبوزو منانجاجوا، أقسم بصفتى رئيساً لجمهورية زيمبابوى بأن أكون وفيًا لجمهورية زيمبابوى، وبأن ألتزم وأدافع عن دستورها وقوانينها وأعتزم خدمة بلدنا بوصفى رئيساً لجميع المواطنين بغض النظر عن اللون أو العقيدة أو القبيلة أو الانتماء السياسى».

ثم ألقى كلمة، أهم ما جاء فيها:

- يجب عدم البقاء رهائن للماضى، والطلب من الذين «عاقبونا فى الماضى» مراجعة الأمر.
- حض على الوحدة من أجل دفن الخلافات وإعادة بناء زيمبابوى جديدة ومزدهرة، بلد يتسامح مع وجهات نظر متباينة.
- أقر بحدوث أخطاء خلال عهد موجابى، مشيداً بصوت الشعب خلال الإطاحة بموجابى، وأكد على تنظيم انتخابات ديمقراطية فى العام القادم، متعهدًا بتغيير المناخ السياسى «السام» والحقود والاستقطابى فى البلاد.
- اعتبر أنه خادم زيمبابوى وناشد جميع الوطنيين للعمل معًا.
- وعد بالعمل على إيجاد وظائف وعمل للشباب وخفض الفقر فى كل زيمبابوى، وحماية الاستثمارات الأجنبية فى البلاد، ووجوب وقف الفساد فورًا.
- تعهد بدفع تعويضات لمزارعين من الأقلية البيضاء صودرت ممتلكاتهم عام 2000، واستدرك قائلاً: «إن الإصلاحات التى تمت وقتها كان لابد منها.. (وهو بهذا يستميل البيض ولا يريد إغضاب الفلاحين الأفارقة).

وقد صرح زعيم المعارضة تسفانجراى بأنه يأمل بأن يبرهن الرئيس منانجاجوا على أن قيادة الأمة قد تغيرت، وألا يستسلم لإغراء التفرد بالسلطة.

وقال مسئول حكومى فى زيمبابوى إن الرئيس السابق روبرت موجابى، قد حصل فى إطار اتفاق تنحيه عن السلطة يوم الثلاثاء 2017/11/21 على حصانة من الملاحقة القضائية، وضمانات بتوفير حماية له داخل زيمبابوى. وأن موجابى قد أبلغ المفاوضين معه أنه يرغب فى أن يموت فى زيمبابوى، ولا يخطط للعيش فى المنفى.

وأضاف المسئول إن الأمر كان مؤثرًا للغاية بالنسبة لموجابى الذى شدد على أهمية حمايته من أجل البقاء فى البلاد، وأنه قد يسمح له بالسفر للخارج إذا دعت الحاجة لذلك، وقال مصدر حكومى آخر، إن موجابى أدرك العداء العام لزوجته جريس التى أرادت خلافته، وغضب بعض الأوساط من طريقة دخولها معترك الحياة السياسية فى الحزب الحاكم، لذا كان من الضرورى تأكيد أن أسرته ومن بينها زوجته ستكون فى أمان.

وسيحظى موجابى بحزمة من المزايا تشمل معاشًا ومسكنًا ومخصصات مالية، والتنقل، وتأمين صحى. وقد أصر موجابى على أنه كان يقتصد فى الإنفاق فى حياته وأنه لا يملك ثروة أو عقارات خارج زيمبابوى.

ولكن الرئيس السابق موجابى يدار لصالحه نشاط صناعى لمنتجات الألبان، وتملك أسرته عددًا من المزارع، وأن جريس زوجته اشترت عقارات وسيارات فارهة فى جنوب أفريقيا، وخاتم ألماس من بلجيكا يبلغ ثمنه 1.3 مليون دولار أمريكى.

الخاتمة:

يمكن استخلاص عدة نقاط من سياق تطورات مسيرة موجابى، على النحو التالى:

- إن تراكم أخطاء موجابى، وفى مقدمتها النهج الذى اختاره لتناول قضية الأراضى الزراعية مع الأقلية البيضاء وما ترتب عليها من نتائج بالغة الأهمية والخطورة منها إحداث حالة من الانقسام المزدوج بين شعب زيمبابوى، ما بين الأغلبية الأفريقية والأقلية البيضاء، وبين الفلاحين والعمال الزراعيين الأفارقة، والعمال الصناعيين ومعظم المدرسين وأعداد كبيرة من الموظفين الأفارقة، انقسام سياسى حقيقى لأول مرة بإنشاء حزب حركة التغيير الديمقراطى من اتحاد العمال والموظفين. وتدهور اقتصادى غير مسبوق أدى إلى فقر وبطالة واستياء عام.

- عدم تقبل الرئيس موجابى لمبدأ تداول السلطة بانتخابات ديمقراطية نزيهة وشفافة والتلاعب فى الانتخابات وممارسة كل أنواع الضغوط والتهديدات والاعتقالات ضد زعيم وأعضاء حزب حركة التغيير الديمقراطى، والنشطاء السياسيين والحقوقيين.

- لم يعترف موجابى بكبر سنه «93 سنة» وأمراض الشيخوخة، وعدم قدرته على القيام بأعباء رئاسة الجمهورية وسط المشكلات والأزمات التى كانت سياساته وعناده من أهم أسبابها، وتآكل شعبيته، ورحيل معظم القيادات التى رافقته فى النضال من أجل الاستقلال، وخضع لرغبات زوجته التى تخطت طموحاتها كل الحدود سواء فى إطار السلطة التنفيذية أو الحزب الحاكم، وتسببت فى كثير من الغضب العام.

- اقترف موجابى أكبر خطأ فى حياته بالاستجابة لرغبات زوجته والإطاحة بنائبه ورفيقه طوال فترة حكمه امرسون منانجاجوا، وهو ما لم يغفره له لا الجيش ولا الحزب الحاكم ولا قدامى المحاربين، واتفقوا جميعًا، وأيدهم الشعب على الإطاحة بموجابى.

- وكما أجمعت كل المؤسسات الزيمبابوية على رحيل موجابى، اتفقت آراء وأغلبية الدول على نفس الرأى، مع اختلاف فى الوسيلة فبينما رأى البعض إسقاطه تمسكت الدول المجاورة بأن يتم رحيل موجابى بالاتفاق السلمى وبطريقة دستورية.. واتفق الجميع على رفض انقلاب عسكرى وأن يتوقف تدخل الجيش وينشط السياسيون حتى تم التوصل إلى صيغة تحفظ لموجابى كرامته ولا تبخس دوره القومى بطلاً أساسيًا من أبطال الاستقلال، وتجنب زيمبابوى عقوبات من الاتحاد الأفريقى ومنظمات دولية أخرى إذا حدث انقلاب عسكرى.

كما أن العلاقة الخاصة والوثيقة التى كانت بين موجابى ونائبه المقال منانجاجوا قد جعلت الأخير أكثر تجاوباً فى الاستجابة لكل مطالب موجابى ليقضى ما تبقى من حياته معززًا مكرمًا فى بلده ولا يضطر للغربة مرة أخرى، وقد عبر منانجاجوا عن علاقته بموجابى بقوله وهو فى جنوب أفريقيا وقبل أن يعود إلى هرارى لتولى رئاسة الحزب ورئاسة الجمهورية، أن علاقته بموجابى كانت علاقة العبد بالسيد، ولكنها تطورت إلى علاقة الابن بالأب، ولم ينس منانجاجوا أن ينوه بدور موجابى فى خدمة بلده فى خطابه فى الاستاد عقب أدائه اليمين الدستورية رئيسًا للجمهورية، وهو نوع من الامتنان لموجابى الذى أبقاه إلى جانبه طوال حكمه حتى اللحظات الفاصلة بينهما، وحرص على عدم إغضاب الفلاحين الذين وزع عليهم موجابى الأراضى المنزوعة ملكيتها من الأقلية البيضاء، وتجنب خلق عداوات أو حزازات مع بعض عشائر قبائل الشونا التى ينتمى إليها كل من موجابى ومنانجاجوا، والتى لا تقبل أى إهانات تلحق بزعيمهم موجابى.

- لقد أراد موجابى أن يكون بطلاً لاستعادة الأراضى الزراعية من الأقلية البيضاء ليس فى زيمبابوى فقط وإنما فى كل الدول المجاورة خاصة جنوب أفريقيا وناميبيا وبوتسوانا، ولكن هذه الدول رفضت طريقة موجابى واختارت أسلوبًا قانونيًا ديمقراطيًا بمساعدة الدول المانحة والمجتمع الدولى. وكانت النتيجة أن خسر موجابى حلم البطولة وخسر الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الذى كانت تتمتع به زيمبابوى حتى عام 2000.. وهو الاستقرار والتعايش الذى استمر بين الأغلبية الأفريقية والأقلية البيضاء منذ الاستقلال عام 1980، وشجع القوى الكبرى على نقل تجربة زيمبابوى إلى جنوب أفريقيا منذ 1990 إلى أن حققت التحول الديمقراطى عام 1994 وحصول الأغلبية الأفريقية على الحكم بالانتخاب الديمقراطى.

- وإذا أوفى الرئيس الجديد امرسون منانجاجوا، بما وعد به من تسامح ومساواة وتقبل الرأى والرأى الآخر، والتعايش بين الأغلبية الأفريقية والأقلية البيضاء، وتعويض من نزعت وصودرت أراضيهم من البيض، وحماية الاستثمارات الأجنبية، ومحاربة الفساد، فإنه سيلقى كل تعاون ليس فقط من الدول المجاورة خاصة جنوب أفريقيا وموزمبيق، وإنما أيضًا من الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبى، خاصة بريطانيا التى لها أكبر أقلية بيضاء فى زيمبابوى.

تحتاج زيمبابوى إلى جهود قوية ومثابرة ومساعدات كبيرة للخروج من أزماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتراكمة على مدى الخمسة عشر عامًا الأخيرة من حكم موجابى الذى هزمته أخطاؤه.

موجابي من بطل الاستقلال إلى الإجبار على الاستقالة..

موجابى ذو التوجه «الماركسى اللينينى الماوي» الملقب بـ«أبو الاستقلال» حيث انخرط فى صفوف الماركسيين وأسسوا حزباً حمل اسم الحزب الوطنى الديمقراطى الذى أصبح فيما بعد اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى المعروف اختصاراً باسم زابو، وهو الحزب الثورى الذى قاد المقاومة ضد الحكم الاستعمارى وبعدها تولى منصب رئيس وزراء جمهورية زيمبابوى الجديدة بعد انتهاء الحكم البريطانى عام 1980، وتولى منصب الرئيس بعد سبع سنوات من جلاء الاستعمار واحتفظ موجابى بالسلطة، من خلال انتخابات مثيرة للجدل، حتى أجبر على الاستقالة فى نوفمبر عام 2017، فى سن 93 عاماً.

مصطفى كمال

باحث مساعد بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية

فخلال حكمه كان اقتصاد زيمبابوى فى حالة تعثر حيث انتشر الفقر وارتفعت الديون الخارجية، ونسبة البطالة، فى الوقت الذى عزم فيه موجابى على الاحتفاظ بالسلطة وهو ما ظهر فى رفضه التنازل فى 29 مارس 2008، عندما خسر الانتخابات الرئاسية لمورغان تسفانجيراى، زعيم حركة التغيير الديمقراطى المعارضة، فلم يكن موجابى على استعداد للتخلى عن زمام الأمور وطالب بإعادة فرز الأصوات. وكان من المقرر إجراء انتخابات فى يونيو من العام ذاته. وفى غضون ذلك، تعرض أعضاء أنصار حركة التغيير الديمقراطى للهجوم والقتل العنيف من قبل مؤيدى موجابى فضلاً عن إعلانه أنه لن يسمح لتسفانجيراى بحكم زيمبابوى، وخلص تسفانجيراى إلى أن استخدام موجابى للقوة سيحرف التصويت لصالح موجابى، وقد أدى رفض موجابى لتسليم السلطة الرئاسية إلى اندلاع عنف أصاب الآلاف وأسفر عن مقتل 85 من مؤيدى تسفانجيراى. وفى سبتمبر 2008، وافق موجابى وتسفانجيراى على اتفاق لتقاسم السلطة. وبذلك تمكن موجابى من الحفاظ على سيطرته على قوات الأمن واختيار القادة لمناصب الوزارة الأكثر حيوية.

وفى نهاية عام 2010، اتخذ موجابى إجراءات إضافية للسيطرة الكاملة باختيار المحافظين المؤقتين دون استشارة تسفانجيراى.

وفى 10 ديسمبر 2011، فى المؤتمر الشعبى الوطنى فى بولاوايو، أعلن موجابى رسمياً عزمه على الانتخابات الرئاسية فى زيمبابوى عام 2012. غير أن الانتخابات تأجلت، حيث اتفق الجانبان على صياغة دستور جديد، وأعيد جدولتهما لعام 2013.

الاستيلاء العسكرى والاستقالة

فى 14 نوفمبر2017، لم يمض وقت طويل على عزل موجابى نائبه ايمرسون منانجاجوا، إلا وظهر ما يبدو أنه انقلاب عسكرى، حيث تم رصد الدبابات فى العاصمة هرارى. وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى، ظهر متحدث باسم الجيش على شاشات التليفزيون ليعلن أن الجيش نفذ عملية القبض على المجرمين الذين «يتسببون فى معاناة اجتماعية واقتصادية فى البلاد من أجل تقديمهم للعدالة». وأكد المتحدث أن هذا ليس استيلاء عسكرياً على الحكم، ووفقاً لما ذكره متحدث باسم حزب زانو الجبهة الوطنية، فإن نائب الرئيس السابق منانجاجوا تولى رئاسة الجمهورية ما تبقى من ولاية موجابى أى حتى انتخابات سبتمبر 2018.

رئيس زيمبابوى الجديد ايمرسون منانجاجوا

شراكة متصلة من أجل السلام والتنمية

لا يستطيع باحث أكاديمي أو مؤرخ منصف أن يغفل الدور الثقافي والاجتماعي والسياسي والتنموي الذي قامت، وما زالت، تقوم به مصر في دعم جهود التنمية فى قارتنا الأفريقية، ونشر السلام فيها وتمديد أواصر العلاقات معها. وقد قام الرئيس السيسي بخطوات واسعة في هذه المسيرة منذ توليه الرئاسة في يونيو 2014 فكانت هناك عدة محطات أبرزها مؤتمر تجميع التكتلات الاقتصادية الأفريقية الثلاث الأكبر، «كوميسا- تجمع دول شرق وجنوب أفريقيا» و«سادك- تجمع تنمية الجنوب الأفريقي» و«تجمع شرق أفريقيا» الذي عقد في شرم الشيخ في يونيو 2015، وآخرها المنتدى الدولي للشباب بشرم الشيخ، -4 9 نوفمبر 2017، ومنتدى الاستثمار في أفريقيا (أفريقيا 2017) الذي استضافته شرم الشيخ أيضا خلال الفترة من 7-9 ديسمبر 2017.

محددات السياسة المصرية الأفريقية

هناك مجموعة من المحددات التى أوجبت على مصر ضرورة لعب دور فاعل فى سياستها الخارجية صوب أفريقيا، أبرزها ما يلي:

- المحددات الأمنية: حيث إن أفريقيا تعتبر البوابة الجنوبية والغربية للأمن المصرى، وأمن البحر الأحمر هو جزء أساسى من الشاغل المصرى جنوباً، ولعل هذا يفسر أسباب الاهتمام المصرى بالسودان- ومن بعدها أريتريا وجنوب السودان- والصومال عبر التاريخ، لأن استقرارهم – خاصة السودان- معناه استقرار الحدود الجنوبية لمصر، ومن ثم نجد محاولات الاهتمام المصرى بتسوية أزمات السودان المختلفة سواء فى الجنوب أو فى الغرب حيث دارفور، والأزمات الأزلية للصومال المقسم (بجهود مكثفة واهتمام فريد من الأمم المتحدة أثناء الفترة الوحيدة التى ترأس فيها المصرى العظيم الراحل د. بطرس بطرس غالى سكرتير عام الأمم المتحدة إبان فترة توجيهه لهذه المنظمة الأممية)، ومواجهة مشكلة القرصنة الدولية ومشاركة مصر فى قوات حفظ السلام الدولية والأفريقية فى المنطقة.

كما أن البوابة الغربية لمصر من ناحية ليبيا وتشاد والنيجر تزايدت أهمية تأمينها خاصة بعد سقوط الدولة الليبية والتى سعت القوى

سفيرة د.عبير بسيونى

abassiouny@hotmail.com

الخارجية لتحويلها إلى مكان للإرهاب والاتجار بالبشر والاتجار غير المشروع فى الأسلحة مما جعل لتلك الدول تحديداً أهمية متزايدة لمصر فى حربها لمكافحة الإرهاب والجرائم المتصلة به.

- المحددات المائية: خاصة وأن النيل الذى يمتد فى إحدى عشرة دولة أفريقية يعد شريان الحياة لمصر، بالنظر إلى ضعف/ انعدام مصادر المياه الأخرى (الأمطار، المياه الجوفية)؛ ومن ثم فإن النيل يشكّل قضية أمن قومى لمصر التى تتحصل على 55.5 مليار متر مكعب من مياهه سنويًا بموجب اتفاقيتى 1929، 1959. وأكثر من 85% من المياه التى تصل لمصر تأتى من هضبة الحبشة حيث إثيوبيا، و15% من الهضبة الاستوائية حيث منطقة البحيرات العظمى والتى تضم ست دول، هي: كينيا، تنزانيا، أوغندا، الكونغو الديمقراطية، رواندا، بوروندى. ومن ثم فإن مصر لا تقبل بأى تفريط فى حصتها من هذه المياه، وهناك ضرورة لتحقيق أمن مصر المائى والزراعى والغذائى والاجتماعى والاقتصادى من تلك المحددات التى تعد مسألة حياة أو موت.

- المحددات السياسية: وتتمثل فى الثقل النسبى الذى تلعبه أفريقيا فى المحافل الدولية بالنظر إلى عدد دولها (54 دولة)، أى أكثر من ربع دول العالم تقريبًا، ولقد لعبت هذه الدول دورًا مهمًا فى دعم مصر وإصدار القرارات الدولية المساندة إبّان حرب 1973؛ حيث قامت غالبيتها بقطع العلاقات مع إسرائيل، ومثلت حجر الزاوية فى تفاعلات مصر الدولية والإقليمية بفترات أخرى عصيبة مرت بها الأمة المصرية والعربية.

- المحددات الاقتصادية: حيث تشكّل أفريقيا قوة اقتصادية مستقبلية بما تملكه من موارد وثروات طبيعية وبما تحققه دولها من معدلات نمو متسارعة وبما فيها من اقتصاديات قوية يمكن التكامل معها وتحقيق تكامل اقتصادى حقيقى. كما أن السوق الأفريقية سوق واعدة للمنتجات المصرية، خاصة وأن حجم سكان القارة يصل إلى أكثر من مليار نسمة، وتمتاز المنتجات المصرية بالجودة من ناحية، ورخص الأسعار نسبيًا من ناحية ثانية، كما أن المستقبل يجعل نمو الاقتصاد المصرى مرتبطاً بنظيره الأفريقى وتبادل الاستثمارات لفتح

فـــرص جديدة للتســـويق والعمالة، وكذلك زيادة حجم التبادل التجارى، خاصة وأنه لا يزيـــد عن 1% فقط من حجم التبـــادل التجارى المصرى مـــع دول العالم، ولعل هـــذا يدعم ســـبل الدفع لتعزيـــز علاقات مصر مع التجمعـــات الاقتصادية الأفريقية وخاصـــة تجمـــع الكوميســـا الذى انضمت إليه مصر عام 1998 وأصبح يضم الآن 20 دولة.

- المحددات الثقافية والتاريخية: والتى ترجع إلى دور الأزهر الشريف فى نشر الثقافة الإســـلامية فى ربوع القـــارة؛ حيث يتم إرســـال الدعاة، واســـتقبال المبعوثين للدراســـة فى مصر، ويشـــكّل الطلبة الأفارقة أكثر من نصف المبعوثـــين فى الأزهر. كما أن مصر القبطية تلعـــب دورًا مهمًا أيضاً فى هذا الشـــأن خاصة فى شرق أفريقيـــا (إثيوبيا تحديدًا)، والروابط التاريخيـــة بينهـــا وبين الكنيســـة القبطيـــة فى الإســـكندرية عميقـــة. وأفريقية مصر أمـــر لا خلاف عليه حتى وإن حاول المســـتعمر الأوروبى فصلها عـــن قارتها بمحاولات عديدة أقلها التمييز بين عروبتها وأفريقيتها وأعلاهـــا تشـــويه تاريـــخ العرب والمصريين بشـــكل خاص فى أفريقيا. ولهذا كان من المهم الاستفاضة بعض الـــشيء فى بيان جذورنـــا الأفريقية. وتمتد العلاقات المصريـــة الأفريقية إلى العـــصر الفرعونى، وهى علاقات متشـــابكة بدرجة كبـــيرة ولدينا من الفراعنـــة ذوى الجـــذور الأفريقية دليل، ومصر هى الدولة الوحيدة التى قدمت شـــهداء من أجل الحفاظ على وحدة الأراضى الأفريقية، فمصر تحيا فى أفريقيا وبســـببها وليس فقط تقع بهـــا جغرافيا، وتعمل الدولة المصرية بكافة أجهزتها على استعادة وتطوير العلاقات مع أفريقيـــا فهى علاقات موجـــودة بالفعل، ويؤكـــد النائب البرلمانى والأستاذ الجليل عميد معهد الدراسات والبحوث الأفريقية الأسبق د. ســـيد فليفل أن المكون الزنجى فى الخرائط الوراثية لدى المصريين أكبر من مثيله لدى بعـــض قبائل الأمهرة بأثيوبيا.

- المحـــددات التنموية: مع الزيادة الســـكانية فى مصر والحاجة الماســـة للتوســـع الاقتصادى وفى نفس الوقت مـــرور الاقتصاد العالمـــى خاصة فى دول الشـــمال المتقـــدم بأزمات مالية واقتصادية ضخمـــة وارتفاع معدلات تشـــبع أســـواقها كان من الضرورى التوجـــه للمناطق البازغـــة فى العالم وعلى رأســـها القـــارة الأفريقية. وقد تغيرت خريطة أفريقيـــا الاقتصادية بشـــكل درامى من القارة المعدومة إلى قارة الفرص الغنية بالموارد الطبيعية وصاحبـــة الاقتصاديـــات الناميـــة، والمتسارعة فى النمو حيث تمكنت أكثر من ثلث دول القارة من تخطى حاجز 6% معدل نمو ســـنوى. وحازت دولاً عديدة بالقارة عـــلى لقب أسرع الدول نمواً وهي: رواندا وتنزانيا وموزمبيق وكوت ديفـــوار والكونغو الديمقراطى وأثيوبيا. وظهرت عدد من الدول الغنية فى القارة مثل نيجيريا وجنوب أفريقيا وكينيـــا والجزائر وغينيا الاســـتوائية والجابون وزامبيا وأوغندا والكاميرون وكوت ديفوار والسودان.

ولقد دفعت هـــذه المحددات مصر إلى التركيز على القارة الأفريقية خاصة الدائرة النيلية التى تضم دول حوض النيل، والإقليم الشمالى والشرقى للقارة، ومؤخراً الغربى والجنوبى، ونفس الأمر على الصعيد الثنائى أيضًا.

مجالات العلاقات المصرية الأفريقية

المســـتوى الثقـــافي/ الاجتماعي- الحضاري:

تعتبر أفريقيا هى ثانى أكبر قارات العالم من حيث المساحة وعدد السكان. وهى أصل الوجود الإنسانى، وصاحبة أول وأقدم الحضـــارات. كما أنها أكثر قارات العالم تعددًا فى لغاتها، والأفارقة من أكثـــر الأفراد الملمـــون، وبطلاقة، ليس بعـــدة لغات أفريقية فحســـب، وإنما يتحدثـــون أيضاً لغة أوروبية أو أكثر. والتواصل الحضـــارى قائم فى أفريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ بين شمال أفريقيا والصحراء الكبرى فهما يعتبران منطقتين جغرافيتين تكملان بعضهما، ويمكن الاســـتدلال على ذلك من خلال متابعة التغيرات المناخية التى عرفتها المنطقتان، والتحركات البشرية التـــى صاحبتها، والمخلفـــات الأثرية التى تبرز التواصـــل والتأثير المتبادل للمنطقتين. وكان للصحراء دور كبير فى تعمير شمال أفريقيا بالإنسان أولاً، وبالتطورات الحضارية التى تلت هذا التعمير والتى عرفتهـــا المنطقة ثانياً. وقد كشفت الأبحاث الأثرية والتنقيبات العلمية أن الصحراء وشـــمال أفريقيا عرفت اســـتقرار الإنســـان بها منذ البدايات الأولى لظهور الإنســـان ـ مما يؤكد عراقة هاتـــين المنطقتين فى قدم استقرار الإنســـان بهما. وأفريقيا هى القارة الوحيدة التى يعد فيها الإسلام هو الديانة الأسرع انتشـــاراً، كما أنها كانت الملجـــأ الأول ودار الهجرة الأولى للمسلمين الأوائل.

حضارات أفريقيا امتداد لحضارة مصر

فحضـــارات أفريقيا تعد جزءاً من حضارة مـــصر. وفى تقاليد المصريين القدماء فإن جنـــوب القارة هو أرض الأجداد (بلاد بونت)، فهو منبع العنصر الحامـــى، ولمصر تاريـــخ مشرف فى مساندة قضايا التخلص من الاستعمار فى أفريقيـــا، فلقـــد احتضنت حركات النضال والتحرير دون تمييز بســـبب اللون أو الديـــن أو العرق فكانت قبلة الثوار والمناضلين. وتتنوع المؤسسات والآلات المصريـــة التى تقـــوم بالدور الثقـــافى المصرى فى أفريقيـــا، ما بين مؤسســـات ثقافية وإعلامية ودينية، أهمها الأزهـــر الشريف (بلغ عدد هذه المعاهد الأزهرية الخارجية ســـتة عشر معهداً منها أربعة عشر معهداً بأفريقيا، وواحداً بكندا، وواحداً بباكستان. وبلغ عدد الدول التى يوجـــد للأزهر علماء معاريـــن إليها ســـبعة وثمانين دولة تشمل معظم الدول الأفريقية المسلمة، ويشكّل الطلبة الأفارقة أكثر من نصف المبعوثين فى الأزهر).

كما تعاظم دور الكنيسة القبطية

المصرية التى تعد الكنيسة الأمّ فى القارة الأفريقية منذ تأسيسها فى القرن الأوّل الميلاديّ، ولها دور قوىّ وفعّال فى أفريقيا، من دون الاقتصار على الجانب الدينيّ فقط، فدورها يتعدى ذلك إلى مجموعة من الأدوار السياسيّة والثقافيّة والتعليميّة والتنمويّة. وأرسلت الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة بعثات عدّة إلى أفريقيا، فكان بناء الكنيسة المصريّة الأولى فى نيروبى بكينيا عام 1976، حتّى وصل عدد الكنائس فى كينيا وحدها إلى 55 كنيسة، وتوسّع بناء الكنائس المصريّة فى تنزانيا وزامبيا والكونغو ونيجيريا. ولم تقتصر خدماتها على الجانب الروحانيّ فقط، إذ وثّق أسقف عام الكرازة فى أفريقيا الأنبا بولس الخدمات الكنسيّة المصريّة فى أفريقيا ضمن فيلم وثائقيّ عنوانه «معجزة أفريقيا»، الّتى تقدّم خدمات طبيّة واجتماعية وتعليميّة وتثقيفيّة.

كما أن لوزارة التعليم عدداً من المدارس فى القارة الأفريقية التى تقدم المناهج المصرية، وقامت وزارة التعليم العالى بفتح فروع لجامعاتها وتوسعت ولم تعد مقصورة على جامعة القاهرة فقط بل انضمت جامعات أخرى لها مثل جامعة الإسكندرية التى فتحت فرعاً بالفرنسية فى تشاد وتم تخريج أول دفعة فى 2016. وتقوم مراكز البحوث الأفريقية المنتشرة فى مصر بدراسات أفريقية عديدة فى العلوم المختلفة وأهمها الأنثروبولوجى والتاريخ والسياسة والسلام. كما تنتشر المراكز الثقافية المصرية فى أفريقيا (مركزان فى نيجيريا وفى موريتانيا)، وكذلك المكاتب الإعلامية المصرية (كمبالا، أديس أبابا، أبوجا، بريتوريا، الجزائر، الخرطوم، الرباط)، وتمثّل المكاتب الإعلامية فى أفريقيا حوالى نصف عدد مكاتب الإعلام الخارجى التابعة للهيئة العامة للاستعلامات، كما تسهم الهيئة بمجلة « أفريقيا قارتنا « ودورية « آفاق أفريقية» التى تصدر بلغات ثلاث ويشارك فيها الباحثون الأفارقة. وأسهم الحرف العربى فى توثيق اللغات والثقافة الأفريقية، كما قدم المفكرون المصريون إسهاماتهم العظيمة للثقافة الأفريقية وتخصص العديدون منهم فى الدراسات الأفريقية على رأسهم إسهامات المفكر المصرى سمير أمين فى السنغال والذى تمت إقامة مركز ثقافى للدراسات فى داكار يرأسه اعترافاً بفضله.

ويشارك عمال مصر أيضاً فى التواصل الأفريقى من خلال مكاتب التمثيل العمالى بالخارج بأداء مهام وأدوار مهمة ليس على مستوى العامل فقط وإنما بالمساهمة فى توفير فرص العمل وفتح الأسواق الجديدة للعمالة المصرية ولمصر14 مكتب تمثيل عمالى فى الدول العربية والأفريقية والأوروبية تابعة لوزارة القوى العاملة والهجرة، ولهذه المكاتب دور مهم للغاية خلال هذه المرحلة التى تعانى فيها مصر من البطالة بشكل مكثف لفتح أسواق عمل جديدة للعمالة المصرية فى تخصصات غير تقليدية. وعلى مستوى أفريقيا فلمصر أربعة مكاتب تمثيل عمالى سعت خلال الفترة الماضية لتوفير فرص عمل حقيقية للعمالة المصرية، منها فى الجزائر وليبيا (طرابلس وبنغازي) تتابع حقوق ومستحقات العمالة المصرية التى عادت ما بعد الثورة الليبية وسقوط الدولة الليبية، كما أن المكتب فى السودان يهتم بالسوق السودانية التى أصبحت سوقا واعدة لابد من الاهتمام بها.

ولا يمكن هنا إهمال قوافل الإغاثة والقوافل الخيرية والطبية التى اشتهرت بها مصر عبر عهودها المختلفة منذ قديم العصور ولقد تبوأت القوافل الطبية العسكرية مركزاً مهماً فى هذا الإطار وجارى العمل على عودتها للقارة السمراء خاصة التى تحتاج وبسرعة للمساعدات الصحية الفورية لمنع انتشار الأمراض الوبائية كما سبق أن حدث بالنسبة للإيبولا ومتابعة التطورات الصحية فى المناطق المختلفة بالقارة.

هذا، وقد تميزت الفترة الأخيرة– خاصة منذ تولى الرئيس السيسي– بالاهتمام بالذراع الدينى لمصر التى أصبحت لها دور كبير متطور خاصة وأن مصر بالفعل تقوم بمساهمات واسعة فى نشر الوعى الدينى الصحيح وحملات الأزهر الشريف فى هذا الشأن وكذا المجلس الأعلى للأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء فى العالم ورئيسها فضيلة مفتى جمهورية مصر العربية الذى يقود بنفسه قافلة لعدد من الدول الأفريقية للتبصير بيسر الدين الإسلامى الحنيف وسماحته وبطلان بعض الفتاوى الخاطئة وبدأت أول قافلة فى أبريل 2016. كما تعمل مصر على إنشاء آلية مقاومة عبر الانترنت يمكن من خلالها القضاء على فرص استمرار الإرهاب، وإمكانية نشر الأفكار الهدامة ودفع التعاون الدولى لغلق مواقع الإنترنت والقنوات التى تحرض أو تجند الشباب فمن الثابت أن الشباب هم المسيطرون على داعش الليبية والشباب الصومالية والطوارق المالية وبوكو حرام النيجيرية وغيرها ولابد أن يكون التواصل معهم بأساليبهم العصرية لنشر ثقافة السلام ومقاومة نشر الإرهاب وأفكاره. وعلى التوازى نشطت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وكثفت من بعثاتها وجهودها للانتشار وبناء الكنائس فى دول لم تكن لها بها تواجد مثل أوغندا وبوروندى من دول النيل وفى غرب أفريقيا أيضاً.

كما قامت مصر فى السنوات الأخيرة بتنشيط القوى الناعمة لها وتعميق جذورنا الأفريقية من خلال الفنون والآداب أيضاً وبشكل أكبر، فأحيت مصر مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية وانتظمت دوراته كما عقدت مصر المؤتمر الثالث للثقافة الأفريقية برعاية وزير الثقافة فى أكتوبر 2017 كما تم تدشين أسوان عاصمة للثقافة الأفريقية.

كما ساهمت مصر بدورات وجهود لحماية الشباب الأفريقى من خلال مبادرة الاتحاد الأفريقى لمكافحة الاتجار بالبشر وتهريب المهاجرين فى القرن الأفريقى التى تنفذها وزارة الخارجية المصرية 2015-2018.

وحظى الشباب الأفريقى باهتمام خاص من الرئيس عبد الفتاح السيسى الذى رعى المنتدى الدولى للشباب بشرم الشيخ -4 9 نوفمبر 2017، وخصصه

للشباب الأفريقى الذى يمثل مستقبل القارة الأفريقية وأملها خاصة وأنها قارة شابة وأكثر من نصف سكانها من الشباب، ولهذا تبنى الرئيس السيسى عقد مصر لهذا المؤتمر بشكل سنوى فى نفس التوقيت من كل عام لجذب الانتباه لمشاكل الشباب وحلولها.

العلاقات على الصعيد الدبلوماسي والسياسي: مرت هذه العلاقة بثلاث مراحل أساسية:

تميزت المرحلة الأولى بدعم مصر لقضايا استقلال دول القارة ومحاربة الاستعمار والتمييز العنصرى ضد أبنائها؛ فمصر تعيش فى قلب العالم وبالتالى تؤثر السياسات الجيوبوليتيكية لدول العالم على مصر والمنطقة سواء فى إطارها الشرق/ أوسطى أو الأفريقى أو العربي/الإسلامى. والنظام الدولى نفسه وتشكيله من متعدد الأقطاب أو ثنائي/ أوحد القطبية يؤثر على تأقلم مصر معه. ولأنه لا يمكن دراسة كل التأثيرات العالمية على أفريقيا فمن المهم توضيح أن مصر كانت من بين 4 دول أفريقية فقط (هى مصر وإثيوبيا وجنوب أفريقيا وليبيريا) المؤسسين لمنظمة الأمم المتحدة ومن قبلها فى المنظمات الدولية والدول المستقلة منذ إنشاء عصبة الأمم، كما شاركت مصر فى وضع وإنشاء القانون الدولى والإنسانى والمحاكم الدولية ولهذا تم انتخابها فى 15 أكتوبر -2015 وللمرة السادسة- لتمثل منطقة الشمال الأفريقى فى مجلس الأمن عامى 2016 و2017، وذلك بعد غياب استمر 20 عاماً عن المجلس وحيث كانت الفترات السابقة لها بمجلس الأمن هى الفترات: 1946 و-1949 1950، و-1961 1962، و-1984 1985، و-1996 1997. كما كانت مصر إحدى الدول المؤسسة والراعية لميلاد منظمة الوحدة الأفريقية فى مايو 1963 والتى تحولت إلى «الاتحاد الأفريقي».

وعلى المستوى الثنائى مع الدول الأفريقية قامت عام 1961 بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع نظام الفصل العنصرى «الأبارتيد»، وهى العلاقات التى كانت أقرتها الحكومة المصرية- قبل إعلان الجمهورية- عام 1949. وتميزت مرحلة الخمسينات والستينات بمساندة حركات التحرر الوطنى الأفريقية ولعبت لجنة التضامن الآسيوى الأفريقى، ومقرها القاهرة، دوراً أساسياً فى تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية من أجل مساندة كافة جهود الكفاح من أجل الكرامة واستقلال الإرادة السياسية للمواطن الأفريقى، وساهمت بإيجابية فى عمليات استقلال دولنا الشقيقة فى أفريقيا. كما استقبلت القاهرة فى أوائل الستينات وفدًا من ممثلى سبع حركات تحرير شعبية من جنوب أفريقيا- فى أوج موجة العنصرية العالمية- لدعمها فى مناهضة ممارسات التمييز العنصرى لحكومة الأقلية البيضاء ضد غالبية الشعب الأسود، وكانت تلك الزيارة بداية لدعم الحكومة المصرية لحركات تحرر جنوب أفريقيا حيث احتضنت مصر المطالب المشروعة للأغلبية فى قيام دولة ديمقراطية فى جنوب أفريقيا. وكانت مصر دائما سندا لكفاح قارتنا الأفريقية التى عانت كثيراً من مطامع المستعمرين والمستغلين لكنها انتفضت وتحررت بكامل أراضيها وسجل أبناؤها كفاحاً مشهوداً من أجل الحرية السياسية والثقافية فرض على كل العالم احترام الإنسان الأفريقى الحر.

بالنسبة للمرحلة الثانية فتميزت بدعم مصر لمواقف ومصالح الدول الأفريقية وبالتعاون السياسى والدبلوماسى والعسكرى من أجل الاستقرار وإحلال السلم والأمن بالقارة وحل النزاعات التى خلفتها السياسات الاستعمارية، وتنمية الشخصية والثقافة والحضارة الأفريقية بشكل مستقل عن المستعمر القديم الذى شوه التاريخ والحضارة الأفريقية. وهكذا تميز الدور المصرى فى مجال السلم والأمن. وشاركت مصر بشكل مباشر فى جميع عمليات حفظ السلم والأمن بالقارة السمراء. ومن أجل ذلك أنشأت مصر مركز القاهرة لتسوية المنازعات وحفظ السلام فى أفريقيا تابعاً لوزارة الخارجية فى عام 1994 كأداة لبناء القدرات الأفريقية فى مجالات السلم والأمن. وحديثاً طور المركز من دوراته لتشمل التعاون وبناء القدرات لمكافحة الفساد والإرهاب، كما امتد نشاطه لموضوعات جديدة تهم القارة مثل الهجرة غير الشرعية والاتجار بالأسلحة وبالبشر وبالموارد الطبيعية بشكل غير شرعى وغيرها من أمور مرتبطة. كما قامت مصر بزيادة برامج بناء القدرات وتطويرها من خلال المعهد المصرى للدراسات الدبلوماسية الذى نشأ فى عام 1966 للاستجابة لحاجة ضرورية وملحة فى الساحة الدبلوماسية فى العالم العربى وأفريقيا من خلال تنظيم برامج تدريبية متعددة للدبلوماسيين من أفريقيا أولا، وآسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية واللاتينية .

وتقوم مصر بدعم جهود الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية لتأمين تحقيق السلام فى عدد من مناطق النزاعات المتدة فى قارة أفريقيا ومساهمتها حاليا بأكثر من ثلاثة آلاف فرد فى البعثات الأممية، وبذا تعد مصر من أكبر الدول المساهمة بقوات فى بعثات الأمم المتحدة لحفظ السلام، وهو الأمر المستمر فى المرحلة الثالثة أيضاً. وشملت المرحلة الثانية جهوداً عديدة للوساطة قد يكون أبرزها الوساطة المصرية فى الصومال على مدار أزمتها المتصلة خاصة فى التسعينات.

أما المرحلة الثالثة- الحالية للتعاون المصري- الأفريقى فتركز على مرحلة جديدة من الكفاح الأفريقى هو كفاح من أجل حياة أفضل ومن أجل الحرية الاقتصادية والتنمية المستدامة ومكافحة الإرهاب ومواجهة التحديات. وقد تعرضت مصر فى هذه المرحلة لأزمة مع الاتحاد الأفريقى عندما قرر فى 5 يوليو 2013 تعليق عضوية مصر، عقب يومين من عزل الشعب للرئيس مرسى، «لحين استعادة النظام الدستوري» فصدر بعدئذ قرار بالإجماع بعودة مصر للمشاركة فى أنشطة الاتحاد الأفريقى فى 17

يونيو 2014 ومن بعدها بدأ النشاط المكثف فى الإطار المتعدد لرفعة المصالح الأفريقية فى حين لم يتوقف التعاون الثنائى المصري- الأفريقى فى أية لحظة. وانتقلت مصر بهذه المرحلة الجديدة فى التعاون والتواصل مع قارتنا الأفريقية من التناول التاريخى لدور مصر فى تحرير أفريقيا ومساندة حركات التحرر والاستقلال الوطنى إلى توجه ودور مستقبلى نحو مواجهة التحديات الجديدة والناشئة التى تواجه شعوب القارة.

ويؤرخ لذروة هذه المرحلة بتولى الرئيس السيسى للرئاسة فى مصر ومحورية الدائرة الأفريقية لدى الرئاسة المصرية وحيث جاء التمهيد لهذه المرحلة بما أبدته الدبلوماسية المصرية من اهتمام ومرحلة الانتقال من ملف واحد مهيمن، المتعلق بمياه النيل، إلى مسارات الحوار المتعددة على نطاق واسع بتكثيف دبلوماسى لدور مصر فى القارة الأفريقية بانتهاج استراتيجية متكاملة الأبعاد تنموياً وثقافيا وسياسيًا مسترشدة بهوية مصر الأفريقية والمصالح الاستراتيجية فى أفريقيا، فانتماء مصر لمحيطها الأفريقى يتجاوز الأبعاد الجغرافية والإثنية والتاريخية التقليدية، حيث يعد هذا الانتماء مكونًا رئيسًا من مكونات «الهوية» المصرية على مر العصور، وعنصرًا محوريًا فى تشكيل المعالم الثقافية للشخصية المصرية (بجانب العربية والإسلام والمسيحية)، ومن ثم حرصت الدساتير والمواثيق المصرية على إعلاء شأن انتماء مصر الأفريقى، وهو الواضح فى ديباجة دستور ٢٠١٤ بالنص على أن مصر رأس أفريقيا المطل على المتوسط، وفى المادة الأولى باعتزاز مصر بانتمائها إلى القارة الأفريقية. وأنه على صعيد البعد الاستراتيجى، تحتل القارة الأفريقية مكانة خاصة فى منظومة الأمن القومى المصرى، لأن أمن مصر القومى يبدأ منها، علاوة على دور النيل وتأمين البحر الأحمر الممر الإستراتيجى المهم لقناة السويس وللتجارة الدولية.

وقد استخدمت مصر الفرصة المتاحة لها للإسهام العالمى والحضارى فى مستقبل القارة المعاصر، فوجود مصر فى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة كعضو غير دائم اعتباراً من يناير 2016 إلى ديسمبر 2017 كان فرصة مجددة لإطلالة حضارية متميزة لمصر قامت فيها بدورها كممثل أمين للقارة الأفريقية. ولكل هذا، تحرص مصر بشدة على أن يصل الصوت الأفريقى للمجتمع الدولى، وأن تحظى قضايا القارة بأولوية فى المحافل الدولية، ولم تدخر وسعاً فى التحدث باسم القارة جنباً إلى جنب مع شركائنا الأفارقة داخل المجلس، لتسليط الضوء على احتياجات القارة وشواغلها. كما أن مصر تساهم بكثافة فى جهود إصلاح منظمة الأمم المتحدة وكذلك إعادة هيكلة الاتحاد الأفريقى ليعكس مصالح دوله ويحقق الاستقلال لهم.

كما قامت مصر بلعب دور مهم فى حل أكبر مشاكل العصر فى ضوء معاناة مصر التاريخية من مشكلة الإرهاب من جهة، ورئاسة مصر للجنة مكافحة الإرهاب بمجلس الأمن الدولى وفريق المتابعة بمجلس الأمن الخاص بها (المديرية التنفيذية لمكافحة الإرهاب المعنية برصد تنفيذ القرار 1373 وتيسير تقديم المساعدة التقنية إلى الدول الأعضاء) وفى إطار جهود مصر لتطوير أجندة نشر السلم ومكافحة الإرهاب فى أفريقيا من خلال عضوية مصر فى مجلس السلم والأمن الأفريقى التابع للاتحاد الأفريقى وعضويتنا فى مجلس الأمن الدولى 2016/2017. كما كان لمصر- من خلال عضويتها فى تجمع الساحل والصحراء الذى يضم فى عضويته 27 دولة ويعد أكبر التجمعات على الإطلاق بالقارة الأفريقية- دور أساسى فى التقارب الأفريقى لمواجهة التحديات الحالية خاصة فيما يتعلق بمكافحة الإرهاب وانتشار الجماعات المسلحة وتهريب السلاح والمخدرات عبر الحدود، وقد عقد مؤتمر مهم لوزراء دفاع دول التجمع فى شرم الشيخ فى مارس 2016 انتهى بالتوافق على إنشاء مركز لمكافحة الإرهاب وتعزيز التعاون فى مكافحة الإرهاب من خلال تعزيز التعاون العسكرى والأمنى فى مجال تبادل المعلومات الاستخباراتية. هذا وقد تم مؤخراً تأطير الكفاح الجماعى ضد آفة الإرهاب ومتلازمة التطرف وما يرتبط بها من الجرائم العابرة للحدود والانتهاكات بمزيد من التعاون المؤسسى، كما تم الاتفاق على إنشاء قوة عسكرية جديدة فى شمال أفريقيا لإنفاذ مخرجات مؤتمر وزراء دفاع دول الساحل والصحراء الذى تم فى شرم الشيخ فى مارس 2016.

وفى الإطار متعدد الأطراف أيضاً قادت مصر حملة لتولى رئاسة لجنة رؤساء الدول والحكومات حول التغير المناخى، فى وقت حرج فيما يتعلق بالمفاوضات الدولية حول التغير المناخى وأجندة التنمية ما بعد 2015، لضمان عدم تجاهل احتياجات القارة الأفريقية بالنظر إلى أن تأثيرات التغير المناخى تمثل تهديدا آنيا لا يمكن إصلاحه بالنسبة للمجتمعات الإنسانية، وهو ما ينطبق بشكل خاص على قارة أفريقيا، بما لهذه الظاهرة من تأثير على منطقة الساحل والصحراء، وتعرض بحيرة تشاد للجفاف، بالإضافة إلى موجات الجفاف الحادة والمتكررة التى تضرب الشرق والجنوب الأفريقى. هذا التهديد لا يمكن أن يترك ليتفاقم دون مواجهة، ولذلك فقد عملت مصر ومازالت تعمل فى إطار الجهود الدولية للتخفيف من الآثار السلبية للتغير المناخى.

وتعمل مصر مع الدول الأفريقية لإحلال الصحة والأمن والسلام والرخاء لشعوبها، وكان أحد التحديات مؤخرا هو فيروس الإيبولا، والذى يتم مناقشته على جدول أعمال مجلس السلم والأمن بالاتحاد الأفريقى، وقد شعرت مصر بالقلق نتيجة انتشار الفيروس فى غرب أفريقيا، وما تسبب فيه من مآسٍ لسكان المناطق المتأثرة به، لذلك سارعت بتقديم تبرعات عاجلة للتعامل مع هذه الظاهرة. كذلك فقد ساهمت مصر فى إنشاء مركز الأمراض المتوطنة والمنقولة والإيدز فى أفريقيا، لضمان قدرة القارة على التعامل مع مثل هذه الأزمات غير المتوقعة. واليوم انحسر فيروس الإيبولا، وأصبحت أفريقيا أكثر

قدرة على مواجهة مثل هذه الأمراض.

كما أن مصر تلعب دوراً مهماً فى الوساطات وحل أكبر مشاكل القارة الأفريقية خاصة مشاكل الحروب الأهلية المستمرة بالكونغو الديمقراطى الغنى بالموارد الطبيعية والثروات المعدنية النفيسة والتى يتم بها جميع عمليات التجارة غير المشروعة للموارد الطبيعية من الماس ومقابلها من الأسلحة، تساهم مصر بقوات فى بعثة حفظ السلام فى الكونغو الديمقراطية، وهى من أخطر مناطق الخدمة على الإطلاق، فى إطار الحرص المصرى على معالجة قضايا منطقة البحيرات العظمى، وتوفير مستقبل أفضل لشعوبها. ولعب مركز القاهرة الإقليمى للتدريب على تسوية المنازعات وحفظ السلام دوراً مهماً فى رفع كفاءات المنظمات الإقليمية من خلال دورات وورش عمل للمنظمات الإقليمية القائمة على حل مشاكله خاصة منظمة المؤتمر الدولى للبحيرات العظمى. وترأس مصر لجنة القرار 1533 التى نشأت بمقتضى القرار 1533 لعام 2004 المعنية بمتابعة نظام العقوبات الخاص بالكونغو الديمقراطية.

وقد ركزت مصر – مرة أخرى- على جهود الوساطة فى هذه المرحلة حيث أرسلت المبعوثين للوساطة فى النزاعات الداخلية على النحو الذى تم فى بوروندى خلال أزمتها السياسية فى يناير 2016، والوساطة المصرية فى الصومال على مدار أزمتها المتصلة منذ التسعينات وحتى الآن من إرسال الوفود المختلفة، وحالياً الوساطة المصرية وجلسات التقارب بين الفرقاء فى ليبيا، ومن قبلها استضافتها لجلسات الحوار بشأن السودان. أما جهود مصر لاستقرار جنوب السودان وإنهاء الحرب الأهلية فى هذا البلد الشقيق فلا حصر لها فقد استضافت القاهرة اجتماعات عدة آخرها خلال الفترة من 13 وحتى 16 نوفمبر 2017 وانتهت بوثيقة إعلان القاهرة التى تم توقيعها مؤخراً لتوحيد الحركة الشعبية لتحرير السودان بمقر المخابرات العامة، وذلك تحت رعاية الرئيس السيسى، ورئيس جمهورية أوغندا يورى موسيفينى التى نأمل أن تنهى عملية الصراع المسلح فى جنوب السودان.

العلاقة على الصعيد الاقتصادى والتجاري:

بالتوازى مع جهود مصر للتغلب على التحديات التى تواجه أفريقيا، أعطت الأولوية الكبرى للجهود التنموية الرامية إلى تحقيق الرخاء للقارة وتحسين مستوى معيشة شعوبها. وترأس مصر حاليا اللجنة الفرعية متعددة الأطراف بالاتحاد الأفريقى التى تعمل جنباً إلى جنب مع الدول الأفريقية الأعضاء لتطوير الشراكة مع الدول غير الأفريقية، حيث تسمح جهود اللجنة الفرعية للشركاء بالاستفادة من الخبرات والمزايا النسبية لبعضهم البعض للتغلب على المعوقات التى تواجههم. وتحرص مصر أيضا على تبادل الخبرة مع الدول الأفريقية الأخرى بما يحقق المنفعة المتبادلة والسعى للوصول إلى رؤية مشتركة. وتسعى مصر أيضا لوضع خبرائها تحت تصرف أفريقيا من خلال الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية، إحدى الكيانات التابعة لوزارة الخارجية المصرية والتى نشأت فى أول يوليو 2014 لتحل محل الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع أفريقيا المنشأ منذ عام 1981. وتهدف الوكالة بشكل أساسى إلى تقديم المساعدة عن طريق الخبراء والاستشاريين المصريين للدول الأفريقية الأخرى، بالإضافة إلى منح المساعدات الإنسانية للدول التى تعانى من الجفاف والمجاعات. وتركز الوكالة المصرية على بناء القدرات والتعاون التنموى مع البلدان الأفريقية الشقيقة، والذهاب إلى أبعد من المفهوم الكلاسيكى لتقديم المساعدة نحو تبادل الخبرات والمساهمة فى إقامة المشاريع التنموية. وتهدف الوكالة إلى استيعاب والتكيف مع الاحتياجات والأولويات لدى البلدان الأفريقية الشقيقة، والتركيز على المشاريع المستدامة. وتنمية قدرات بناء ميزة تنافسية فى التفاعلات الإقليمية والعالمية وبسرعة وبصورة مكثفة للغاية تستهدف أفريقيا قارة المستقبل مع ثروات وموارد هائلة. كما تحرص مصر على تقديم منح دراسية إلى الآلاف من الطلبة الأفارقة للالتحاق بالجامعات المصرية، والتى يحظى بعضها بمراكز متقدمة فى تصنيف الجامعات الأفريقية.

وقد دشنت مصر مبادرة تنمية دول حوض النيل عام 2013 وهى المبادرة التى تشرف عليها وزارة الخارجية بتنفيذ الوزارات المصرية المعنية وتكرار النماذج الناجحة من التعاون الفنى مع الدول الأفريقية الشقيقة بتنفيذ عدد كبير من المشروعات كالمزارع النموذجية المشتركة، وإيفاد آلاف الخبراء المصريين وبناء الجامعات والمدارس وإقامة المشاريع المصرية برعاية الدولة المصرية.

كما تشارك مصر بفعالية بمبادرات مصرية فى أفريقيا. ففى إطار النيباد، الشراكة الجديدة من أجل التنمية فى أفريقيا وهى مبادرة تتضمن رؤية الاتحاد الأفريقى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للقارة الأفريقية، تم صياغتها وتبنيها من قبل رؤساء خمس دول أفريقية، هى مصر والجزائر ونيجيريا وجنوب أفريقيا والسنغال، وأقرتها قمة منظمة الوحدة الأفريقية- الاتحاد الأفريقى فيما بعد- التى عقدت فى لوساكا عاصمة زامبيا فى يوليو 2001. تبنت مصر مشروعاً حيوياً فى مشروعات البنية الأساسية هو مشروع تدشين الخط الملاحى بين بحيرة فيكتوريا والبحر المتوسط، وهو أكبر مشروع نهرى فى أفريقيا لربط 11 دولة متشاطئة على نهر النيل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق ميناء دمياط، وذلك بهدف تسهيل وصول المنتجات الأفريقية إلى دول الاتحاد الأوروبى، ومن المخطط الانتهاء منه فى عام 2024، وسيساهم هذا المشروع بشكل كبير فى تسهيل حركة التجارة بين الدول الأفريقية من ناحية وبين دول القارة مع أوروبا من ناحية أخرى، وبدأت بعض المراحل

عام 2017 أهمها عملية التدريب ونقل الخبرات المصرية للدول الأفريقية المطلة على النيل. وتتولى مصر حاليا أيضاً مسئولية الملف الزراعى فى النيباد، وهو أحد أهم الملفات فى القارة، والذى تمتلك مصر فيه خبرة كبيرة تأمل فى توظيفها لخدمة القارة وشعوبها، حيث تشغل الأراضى الخصبة جزءا كبيرا من مساحة القارة، وهو ما يجعل تطوير القطاع الزراعى أمراً أساسياً، سيكون له مردود إيجابى ضخم على الاقتصادات الأفريقية كما سيسهم فى خلق فرص عمل وتحقيق النمو.

كما أطلقت مصر مبادرتين أفريقيتين بمؤتمر باريس للمناخ- ديسمبر -2015 الأولى خاصة بالتكيف والثانية بالطاقة الجديدة والمتجددة (أعلنت فرنسا وألمانيا توفير نصف ما تحتاجه المبادرة وهو 5 مليارات دولار من إجمالى عشرة). وتساهم مصر أيضاً بدورها الريادى من خلال رئاسة مصر للدورة الحالية للمنظمة الأفريقية للطيران المدنى وغيرها من اللجان والمنظمات الأفريقية.

وكذلك تشارك مصر بقارتها الأفريقية فى جهود الشراكة من أجل التنمية ومواجهة التحديات التى تواجه سياسة بناء القدرات لدى الأشقاء الأفارقة، والربط مع جدول أعمال 2063 ودمجه فى السياسات والخطط الوطنية للدول الأفريقية من خلال مفاهيم أكثر شمولا بما يفضى إلى تحقيق أهداف التنمية الأفريقية.

والشركات المصرية لها دور أساسى لا يمكن إنكاره فى تنمية أفريقيا فشركة النصر بفروعها المختلفة حققت دوراً مهماً فى مسار الدول الأفريقية، وتلاحقت الشركات المصرية الرائدة فى العمل فى قارتنا السمراء. كما أن الشباب المصرى أصبح يجد فى أفريقيا مقصداً لبدء أعماله والهجرة لها بعد أن تعثرت محاولات الهجرة للشمال وفتحت آفاق للعمل فى الجنوب، حيث استقبلت دول الجنوب والغرب الأفريقى هجرات مصرية لأول مرة فى تاريخ المصريين.

ومن أجل تعزيز الاستثمار فى القارة الأفريقية عقدت مصر مؤتمراً لتجميع التكتلات الاقتصادية الأفريقية الثلاثة الأكبر، «كوميسا- تجمع دول شرق وجنوب أفريقيا» و«سادك- تجمع تنمية الجنوب الأفريقي» و«اياك- تجمع شرق أفريقيا» الذى عقد فى شرم الشيخ فى يونيو 2015 وقعت فيه اتفاق التجارة بين التكتلات الاقتصادية الأفريقية الثلاثة الأكبر، «كوميسا» و«سادك» و«تجمع شرق أفريقيا»، بمشاركة رؤساء وقادة من 26 دولة أفريقية أعضاء فى التكتلات ووزراء التجارة فيها بما يعمل على توسيع حركة التجارة وتعزيزها، وتسهيل انتقال البضائع والسلع والخدمات بين الدول الـ26، كما يضمن حرية انتقال رؤوس الأموال والأفراد، إلى جانب مزايا عديدة ستوفرها منطقة التجارة الحرة، بينها خفض التعريفة الجمركية المفروضة على البضائع وخفض تكلفة النقل وتطوير أساليب التجارة والخدمات اللوجيستية والبنية التحتية. وبهذا يمثل الاتفاق نقطة انطلاق قوية للشركات المصرية فى كل القطاعات للدخول إلى الأسواق الأفريقية، ونافذة مهمة للمنتجات المصرية بما ينعكس زيادة فى الصادرات، خصوصاً وأن المنتجات المصرية تلقى قبولاً كبيراً فى تلك الأسواق لما تتميز به من جودة وأسعار تنافسية.

وقد كانت آخر مساهمات مصر فى تنمية القارة الأفريقية تبنيها لعقد منتدى أفريقيا 2017 (شرم الشيخ، 7-9 ديسمبر 2017). ومنتدى أفريقيا مثل منصة للقاء رجال الأعمال من الكبار والشباب وللمستثمرين أيضًا من أنحاء القارة السمراء، وعمل المنتدى كفرصة كبيرة لأصحاب الأعمال والمستثمرين للتواصل مع النخب السياسية فى البلدان الأفريقية لتكوين شراكة حقيقية وطرح أفكار جديدة للنهوض بالقارة وتوسيع شبكة العلاقات الاقتصادية بين بلدان أفريقيا بمشاركة 1500 وفد من أكثر من 40 دولة شاركت فى المنتدى الذى نظمته وزارة الاستثمار والتعاون الدولى وكذلك آلية الاستثمار التابعة للكوميسا- السوق المشتركة لشرق وجنوب أفريقيا. وناقش المنتدى توقعات الاستثمار فى القارة خلال عام 2018، وأيضًا دور المرأة فى الاقتصاد الأفريقى وآليات تمكينها اقتصاديًا. وفى نهاية منتدى أفريقيا 2017، أوصى بزيادة التكامل الاقتصادى وتشجيع ضخ استثمارات جديدة فى البلدان الأفريقية لرفع معدلات النمو الاقتصادى والتنمية، وإقامة مشروعات مشتركة خاصة فى مجال البنية الأساسية لتدعيم الاستثمارات والتكامل الاقتصادى بين بلاد القارة. كما أوصى المنتدى فى ختام فعالياته، وفقًا لوزيرة الاستثمار والتعاون الدولى سحر نصر فى كلمتها، بضرورة تعزيز دور القطاع الخاص الأفريقى والتعاون بين هيئات الاستثمار الأفريقية من أجل زيادة معدلات الاستثمار وتبادل الخبرات. وأشارت التوصيات إلى ضرورة تنفيذ برامج محفزة لريادة الأعمال وتبنى مبادرة لإتاحة التمويل لزيادة مشاركة الشباب كعماد للاقتصاد الأفريقى حاليًا، وتمكين المرأة فى كافة مجالات النشاط الاقتصادى كعنصر فعال فى عملية التنمية فى أفريقيا وكمحور أساسى لتحقيق الاستقرار الاقتصادى فى بلدانها. ولفت المنتدى الانتباه إلى أهم ما تفتقده أفريقيا ومصر لتقوم بدورها المنتظر فى أفريقيا وهى شبكة طرق ومواصلات منخفضة التكاليف (حيث إن التواصل الجوى مرتفع التكاليف خاصة فى ضوء مصاريف خدمته وارتفاع وقود الطائرات للضعف فى العام الماضى فقط)، ولهذا كان تركيز وأبرز رسائل الرئيس السيسى للشباب فى مؤتمر أفريقيا 2017 إن القارة الأفريقية لا تعانى نقصًا فى الموارد الطبيعية أو البشرية ولكنها بحاجة إلى شبكة طرق وسكك حديدية تصل دول القارة بعضها ببعض. كما أكد المنتدى على أهمية المبادرة التى أطلقها الرئيس عبد الفتاح السيسى خلال المؤتمر لإنشاء أول مركز أفريقى لريادة الأعمال.

إن أفريقيا قادرة على تحقيق السلام والنمو والرخاء. والمشاركة المصرية- الأفريقية من أجل هذا الهدف ستحيل الشعار الذى انتشر فى الألفية الجديدة من أن «أفريقيا هى المستقبل» من مجرد شعار إلى حقيقة تسعى مصر وشباب القارة السمراء إلى تحقيقه.

مهمة فى جزر القمر

فى مطلع ربيع 1995 تم تكليف الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع أفريقيا بالسفر إلى جزر القمر ومشاركتهم الاحتفال بالعيد الوطنى وتقديم التهنئة لرئيس وشعب الجزر واصطحاب هدية عينية عبارة عن مجموعات من الكتب والأدوات المكتبية لطلاب الجزر لربطهم بالتعليم المصري، وصدر القرار بأن يرأس الوفد السفير الراحل جلال عبدالمعز أمين عام الصندوق- وأحد أكثر خبراء مصر فى التعاون الفنى مع دول القارة الأفريقية - وعضويتى وكنت فى ذلك الوقت مستشار الصندوق.

أفريقيا مدرسة للدبلوماسيين

وقد شملت المهمة بالإضافة إلى جزر القمر، التفتيش على خبراء الصندوق فى زيمبابوى وزامبيا وكينيا وتنزانيا، وبدأت فورا فى الإعداد للرحلة وبكل شغف حيث إن جزر القمر كانت بالنسبة لكلينا هى الجزء المجهول من الزيارة. وقد كانت الصدمة الأولى التى تلقيتها عند الإعداد لخطة السفر إلى الجزر وكنت أعلم أن الوسيلة الوحيدة لها هو الطيران عبر تنزانيا إلا أنه طيران غير منتظم بمعنى أنها طائرة مروحية صغيرة وتقلع عندما يكتمل عدد الركاب أو تؤجل لوقت آخر وهو ما يعنى اختلال أو انفراط جدول باقى المهمة. ولولا أن زيارة الجزر كانت الجزء الرئيسى لكنا قد تجاوزنا عنها ولكن بالبحث والتحرى أمكن

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

التوصل إلى خط آخر وحيد أطول كثيرا لطيران الإمارات ولكنه أضمن عن طريق جوهانسبرج يتوقف فى مورونى عاصمة جزر القمر فى طريقه إلى دبى ثم تعود الطائرة فى نفس الموعد بعد أسبوع لتعيدنا إلى جوهانسبرج.

تعاون متعذر مع جنوب أفريقيا

وبعد أن تدارسنا الخط الجديد قررنا إلغاء زيارتنا إلى تنزانيا وتعديل الخط ليبدأ بالقاهرة- جوهانسبرج وتكون لدينا فرصة عدة أيام لإجراء مباحثات فنية فى الخارجية لتدريب بعض الجنوب أفريقيين فى القاهره من مجالات مختلفة (دبلوماسيين - زراعيين - تمريض- صيد إلخ) وكنا قبل ٣ أشهر قد استضفنا دبلوماسياً ودبلوماسية من جنوب أفريقيا فى الدورة التى ينظمها الصندوق للدبلوماسيين الأفارقه وقد سعدا جدا بالدورة وهو ما جعلنا نتوقع أن مباحثاتنا مع الخارجية الجنوب أفريقية ستكون ناجحة.

وبالفعل قمنا بشحن الهدية معنا جوهانسبرج/ مورونى ووصلنا إلى جوهانسبرج وبالسيارات إلى بريتوريا وكانت السفارة قد أعدت لنا سلسلة لقاءات مع كبار المسئولين الفنيين فى الخارجية وبعد أن عرضنا

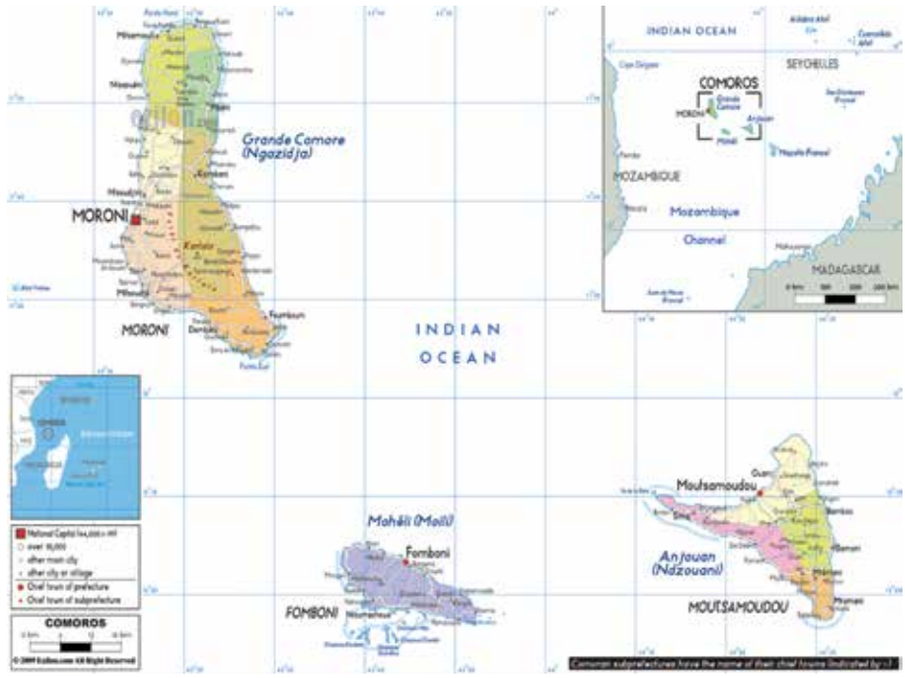

عليهم تجاربنا والبرامج التى نعدها للمتدربين لرفع مستواهم فوجئنا برفضهم المشاركة فى أى من هذه البرامج بحجة أن متدربيهم هم أعلى مستوى من المتدربين من الدول الأفريقية الأخرى المشاركة فى البرنامج وبالتالى فلن يكون ذا نفع لهم وعرضنا عليهم التعاون الثلاثى مثل تعاوننا مع اليابان فاعتذروا بأنهم ليسوا فى احتياج، وفى الأغلب فإن الرفض كان سياسيا.

استقبال حافل فى موروني

وصلنا موروني فى رحلة مريحة وجو لطيف وبقدر كبر حجم الطائرة وفخامتها بقدر صغر المطار وبساطته ووجدنا فى استقبالنا كبار المسئولين فى الخارجية القمرية ومندوب عن رئيس الجزر والمفاجأة هى وجود زوجة وزير الخارجية للترحيب بنا نيابة عن زوجها معتذرة لتغيبه خارج البلاد وحرصه على سرعة العودة بعد يومين ليلحق بنا.

وسألنا عن الشحنة وهى الهدية المصرية المقدمة لشعب وحكومة القمر والتى أكد لنا مدير مصر للطيران فى جوهانسبرج أنها ستكون معنا على نفس الطائرة إلا أنهم اعتذروا لنا بأنه لم يتوفر لها حيز وستصل على الرحلة القادمة فى الأسبوع القادم وهى نفس الرحلة التى نغادر عليها وكانت مشكلتنا أن جدول مباحثاتنا كان يشمل احتفالا رسميا وإعلاميا بتسليم الهدية.

وجزر القمر هو تجمع لأربع جزر وسكان أغلبهم من أصول يمنية شيعية وعند الدعوة للاستفتاء عن فرنسا صوتت ٣ جزر للانفصال والانضمام إلى الجامعة العربية أملا فى المعونات بينما تمسك سكان الجزيرة الرابعة مايوت بالانضواء تحت الحكم الفرنسى، والمشكلة الرئيسية التى كانت تؤرق جزر القمر هى وجود مرتزق فرنسى يدعى بوب دينار وبعض مساعديه قد قاموا بعدة انقلابات فى القارة الأفريقية منها ٤ فى جزر القمر ولم ينته إلا بوصول قوات فرنسية قامت بالقبض عليه وإرساله إلى فرنسا للمحاكمة وظل هناك حتى مات.

استغرقت الرحلة من المطار إلى الفندق حوالى نصف ساعة فى طريق مفرد خال تماما وبلا أى ملامح سوى بعض النباتات الخضراء على جانبى الطريق، وتم توزيعنا على الغرف وتركوا لنا تحديد موعد العشاء وعند نزولنا للعشاء وجدنا مدير المراسم الرئاسية فى انتظارنا لإبلاغنا بموعدنا اليوم التالى مع الرئيس وتسليم هدية مصر لشعب القمر وبعدها سيستقبلنا رئيس الوزراء وفى اليوم التالى سيستقبلنا وزير الخارجيه ثم قادنا إلى قاعة الطعام وما أن جلسنا حتى أحاط بنا ما لا يقل عن عشرة أشخاص لا يبعدون عنا بأكثر من متر من جميع الاتجاهات وهو ما أثار ضيقنا وشعورنا بعدم الراحة فسألت مدير الفندق وكان هو أيضا يقف محدقا فينا عن مكان وجود باقى النزلاء فصدمنا بقوله إنه لا يوجد نزلاء غيرنا للفترة القريبة القادمة وأن هذا هو فندق مخصص لضيوف الحكومة وكان مستشفى للمستعمر الفرنسى وقائمة الطعام تعطى خيارات محدودة جدا وغير جذابة وبالتالى فقد أنهينا طعامنا على عجل وجلسنا فى ركن منزو لتدارس كيفية تسليم الهدية وهى لم تصل بعد.

تسليم شكلى للهدية

وسألنا عما إذا كان مدير مراسم الرئاسة مازال موجودا فجاء على عجل وأبلغناه أن الخطوط الإماراتية لم تقم بشحن الطرود لمشاكل خاصة بها ونظرا لعدم إمكاننا الانتظار لأكثر من أسبوع وبما أن الشركة تؤكد أن الطرود ستصل الأسبوع القادم فيمكن إجراء تسليم شكلى ومؤتمر صحفى كما هو مقرر على أن تتسلم الرئاسة الطرود الأسبوع التالى دون مراسم (وهى فكرة

اقتبستها من حادثة سبقتها بعشر سنوات فى إحدى دول غرب أفريقيا أثناء زيارة للدكتور بطرس غالى والسفير أحمد صدقى والمستشار على ماهر وقامت الجالية بالتبرع بمبلغ مالى كمساهمة فى سداد ديون مصر وتم إصدار شيك مصرفى بالمبلغ وسلمه السفير للدكتور بطرس غالى ونظرا لوجود مؤتمر صحفى للوزير فى اليوم التالى فظهرت فكرة أن يتم تسليم الشيك فى المؤتمر الصحفى وللأسف نسى الوزير الشيك فى غرفته وتذكر متأخرا فطلب من السفير ظرفا فارغا مكتوبا عليه أنه مساهمة من الجالية المصرية فى سداد ديون مصر وبداخله ورقة بيضاء وخلال المؤتمر أعلن السفير نبأ مساهمة الجالية وسلم الظرف للوزير الذى سلمه بدوره للمستشار على ماهر الذى عاد مسرعا إليه بعد نهاية المؤتمر وقبل أن ينطق بكلمة توقع الوزير الموقف وأخذ يضحك مداعبا إياه: إوعى تكون ضيعت الشيك؟

فى صباح اليوم التالى ذهبنا بصحبة مدير المراسم إلى مقابلة الرئيس سعيد جوهر الذى رحب بنا بشدة واستفسر منا عن إقامتنا وشكرناه على استضافتنا فى هذا الفندق وعلى تزويدنا بسيارة وسائق للتحرك فى الجزيرة لأى مكان، واستطرد ولكنكم لن تجدوا أماكن كثيرة للذهاب إليها ثم تذكر أن هناك بركاناً خامداً سيضع تحت تصرفنا طائرته الهليكوبتر رغم قدمها للطيران فوقه وطلب ألا نتردد فى العودة إليه إذا كانت لدينا أية مشكلة ثم سلمناه الأوراق الخاصة بالشحنة وألقى السفير عبد المعز كلمة نقل فيها تحيات مصر شعباً ورئيساً لشعب الجزر والرئيس.

مهمة إرسال الفاكس

فى الطريق إلى رئاسة الوزراء صغت رسالة فاكس بسيطة غير سرى للصندوق يفيد بوصولنا وتسليمنا الشحنة ولقائنا بالرئيس ثم سألت مدير المراسم أين يمكن إرسال فاكس للقاهرة فضحك كثيرا قائلا إن الجزيرة ليس بها إلا فاكسان دوليان عن طريق فرنسا الأول فى مكتب رئيس الجمهورية والثانى فى مكتب رئيس الوزراء الذى سنقابله بعد دقائق. ورغم أنه أمر غير معتاد إلا أنى لم أجد حلا إلا أن أسأل مدير مكتب رئيس الوزراء إن كان يمكنه إرسال فاكس إلى القاهرة فطلب منى أن أطلب ذلك من رئيس الوزراء فهو الوحيد فى المبنى الذى يعرف كيفية إرسال الفاكسات عن طريق باريس وفوجئت برئيس الوزراء يقطع الحديث باسماً متسائلاً عن رقم الفاكس الذى أريد إرساله وجلس على مكتبه أكثر من ربع الساعة يحاول مع باريس إرسال الفاكس ثم رجوته أن يرسله إلى سفارتنا هناك فى باريس وهى التى سترسله بدورها إلى الصندوق فى القاهرة وهو ما تم فعلا. وكان اللقاء شديد الود.

وبعد انتهاء اللقاء حاولنا الذهاب لمطعم فرنسى فلم نجد إلا مطاعم شعبية تقدم لحوم ماعز قزمة وبالتالى عدنا إلى الفندق وتكرر حال اليوم السابق وبعد العصر فوجئنا بزيارة الخبير الوحيد الموفد من الصندوق إلى جزر القمر وهو خبير قانونى وكنا قد نسيناه- لأن مهمتنا هناك كانت تقديم الهدية والاستماع إلى طلباتهم من مساعدات أو خبراء- أما الجزء المقبل من المهمة والذى سيبدأ فور مغادرتنا الجزر فهو التفتيش على الخبراء ومدى استفادة الدول المستفيدة منهم.

استقبلنا خبيرنا الشاب النابه بترحاب شديد واستفسرنا عن أحواله فأوضح أنه يحب أن يتحدث معنا باستفاضة لذلك طلب أن نسمح بقبول دعوته للعشاء فقبلنا وبعد مسيرة ثلاثة أرباع الساعة توقفت السيارة أمام كوكب آخر: قرية سياحية لشركة جنوب أفريقية اسمها صن سيتى على طرف الجزيرة وشاهدنا الجميع يرتدى ملابس أسبانية والموسيقى والطعام أيضا من أسبانيا واتفقنا بما أن الغد هو لقاء وزير الخارجية وهو اللقاء الرسمى الأخير لنا أن نتقدم إليه بعد اللقاء بخالص الشكر على الاستضافة الكريمة ونرجوه أن نبدأ جزءاً خاصاً كأجازة قبل بداية الجزء الثانى بزيارة خمس دول للتفتيش على الخبراء.

وفى الصباح استقبلنا وزير الخارجية فى مكتبه بترحاب شديد وقدمنا له التهنئة على العودة من مهمته الخارجية . وطالبناه ممتنين أن يقبل تكفلنا بتحمل نفقات إقامتنا فى الفندق الحكومى نظراً لانتهاء الجزء الرسمى من زيارتنا فسألنا إن كنا سنغادر قبل موعدنا المقرر بعد أربعة أيام إلا لو كنا سنغادر إلى باريس وهى طائرة اليوم التالى فأبلغناه أنه لا يوجد أى طريق أمامنا إلا عن طريق جنوب أفريقيا بعد أربعة أيام فوافق مشكورا وذكر أنه يعلم أننا من مدينة كبيرة كالقاهرة فسنشعر بالملل فى الفندق الصغير

وأشـــاد بقرية صن ســـيتى فهى على مســـتوى دولى وتأتيها سياحة بالتعـــاون بين خطـــوط الإمارات وإدارة القريـــة فى جنـــوب أفريقيا على شكل أفواج يمكث كل فوج لمدة أسبوع وتقســـم القرية سبعة أيام كل يوم لإحـــدى الدول من الأكل إلى اللبس إلى الموســـيقى والرقص بين أســـبانيا وإيطاليا وفرنسا وآسيا ولاتينى وأمريكى وأفريقى.

وانطلقنـــا مسرعين إلى القرية لنبـــدأ باليوم الإيطالى ونســـتعد للمرحلـــة القادمـــة مـــن الجولة واكتشـــفنا أن مكتـــب الطـــيران الإماراتـــى يقع فى القريـــة معنا وبالتالى لم نحتـــج لمغادرة القرية إلا إلى المطـــار. وفى اليـــوم المحدد للمغادرة اكتشـــفنا أن رئاســـة الجمهورية مشـــكورة قد سددت نفقـــات الزيارة كلها كما أرســـل لنا الوزير هدية لـــكل منا عبارة عن زجاجة زيت الياســـمين وهو الذى يصدر إلى فرنســـا لصناعة العطور وكذلـــك علبة من القرنفل والجنزبيل، وعدنا إلى جوهانسبرج لعدة ســـاعات فى انتظار الطائرة التالية إلى هرارى.

إشادة بخبرائنا فى هرارى ولوساكا

وصلنا إلى هرارى واستقبلنا زملاؤنا فى السفارة وفى اليوم التالى عقدنا لقاء لخبرائنا نسمع منهم تقييماً عن عملهم كما قرأنا تقارير حكومية من جهات عملهم أشادوا فيها بمستواهم المتميز وطالبوا بزيادة بعض التخصصات ثم طرنا إلى زامبيا وكان الســـفير فى استقبالنا واصطحبنا فى جولة بلوساكا وفى اليـــوم التالى اجتمعنا مع الخبراء بمقر الســـفارة وكان موعد الطائرة التالية إلى نيروبى قد قارب إلا أن سوء تقدير البعض للمسافة كاد أن يفقدنا اللحاق بالطائرة وبمعجزة انتظرنا الطيار.

فى نيروبى كنت أتحســـب لكل خطواتى من كثرة ما ســـمعته من حوادث جرت لبعض الزملاء أحدهم كان مســـتغرقاً فى النوم هو وزوجته واستيقظا فى الصباح فوجدا نفسيهما على الأرض ولا توجد فى المنزل قطعة أثاث واحدة واتضح أن السرقة تمت عن طريق التخدير من جهاز التكييف. ولم يتركنا السفير فى جولاتنا واستطاع أن يزيل الصورة الســـلبية لدينا عن نيروبى بصـــورة جديـــدة للأناقة والجمال فالفندق الـــذى أقمنا فيه كان أنيقاً وفاخراً جداً ودعانا السفير إلى العشـــاء فى مطعم مـــن المطاعم الأنيقة المفتوحة يسمى كارنيفور أى أكلة اللحوم وهو يعتمد على أســـياخ لحوم مشـــوية يمر بها الجرسونات على الموائـــد وكل يأكل كما يريد ومن معظم أنواع اللحوم كالغزال والتمساح والبقر والأغنام والطيور وهذا النوع من المطاعم منتشر بكثرة فى البرازيل ويسمى شوراسكريه.

وعنـــد مغادرتنـــا نيروبـــى اصطحبنا الســـفير إلى المطار وكان لدينا وزن قليـــل زائد نتيجة لشراء بعض علب الشاى الكينى المشهور وكمـــا قد يستشـــف مـــن المهمة الســـابقة أن العمل فى أفريقيا هو مدرســـة مهمة وبقدر صعوبته إلا أنه ممتع ومتغير ويكســـب شباب الدبلوماسيين العاملين فيها باجتهاد خبرات ومهـــارات وحرية حركة لن يكتسبها زميله الذى يعمل بسفارة بإحدى الدول الكبرى إلا بعد فترات مضاعفة.

مستقبل الدور الإقليمى التركى ودول الجوار العربى

تعتبر تركيا من أهم الأطراف الإقليمية الرئيسية التى تستطيع أن تلعب دوراً مهما فى الحفاظ على النظام والأمن الإقليمى فى المنطقة ومع دول الجوار الجغرافى العربى بشكل أساسى، ولقد مثلت استراتيجية الرئيس التركى أردوغان منذ وصوله إلى سدة الحكم فى ممارسة سياسته الخارجية حجر الأساس فى نجاح تركيا فى السياسة الإقليمية فى العقد الأخير، ومع ظهور عدة تطورات إقليمياً ودولياً كان من شأنها تهديد أهداف تركيا الخارجية، عملت تركيا على إعادة تنظيم سياساتها فى ضوء التطورات الإقليمية مع الحفاظ على الثوابت وتتلخص محددات السياسة الخارجية التركية في:

أولا: الحفاظ على السلم والأمن الدوليين والتصدى لأى نشاط إرهابى أو غيره من شأنه تهديد الأمن الإقليمى والدولى على حد السواء.

ثانيا: سياسة تصفير المشاكل مع دول الجوار. ويقوم المبدأ الثالث على الأقاليم الداخلية والخارجية لدول الجوار ولاسيما الشرق الأوسط ويرتكز المبدأ الرابع على «السياسة الخارجية متعددة الأبعاد»، ذلك أن العلاقات مع اللاعبين الدوليين ليست فى حالة تنافس وإنما متممة ومكملة ويتمثل المبدأ الخامس فى قوة المبادرة الدبلوماسية أو ما يعبر عنه بـ«القوة الناعمة».

لقد مثل ما يسمى بالربيع العربى نقطة تحول فاصلة فى سياسة تركيا الخارجية، إذ شكل منهج تركيا المنطلق من القيم وتركيزها على الديمقراطية والشرعية الشعبية أساس سياستها تجاه الحراك الشعبى الذى شهدته دول الثورات العربية. فمنذ قيام الثورات العربية، انتهجت تركيا سياسة خارجية ديناميكية تعكس مبادئها الأساسية لدعم الشعوب التى انتفضت للمطالبة بحقوقها الأساسية وحريّاتها السياسيّة رغبة منها فى قيادة التحولات فى المنطقة، لكن موقف تركيا اصطدم

أ.د. هدى ميتكيس
أستاذة العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة
hoda.mitkees@yahoo.com

أولا بالوضع المتدهور والمتفاقم فى سوريا، ثم بتغير نظام الحكم فى مصر الشيء الذى تطلب منها إعادة النظر فى استراتيجياتها تجاه التحولات الإقليمية على أساس نفس مبادئ السياسة الخارجية التى كانت تتبعها خلال العقد الأخير والتى كانت تركز على مفهوم العمق الاستراتيجى والبناء من الداخل وتحسين العلاقات مع الدول الجارة.

وتُظهر تركيا رغبة فى تنويع سياستها الخارجية على نحو يتسم بالقوة. ويكمن التغيير الأساسى فى سعى تركيا للعمل بفاعلية ضمن التحالفات الغربية والابتعاد عن العمل وحدها بعد أن كانت تسعى لاستقلالية دورها الإقليمى وتحديد أجندة المنطقة. إن تبلور النهج الجديد يرتكز على نظريات سياسية قدمت منذ بداية تداعى ما يسمى بثورات الربيع العربى وتنامى انعكاساتها السلبية على تركيا، إلا أن المسار الذى اتبعته تركيا خلال السنوات الخمس الماضية لم يمكنها من إحداث اختراقات مهمة فى ملفات المنطقة مع أنه أنتج مواقف تركية متميزة عن حلفائها فى قضايا الإقليم وفى الملف السورى خاصة، لتظهر أولى المراجعات السياسية فى 2012 لثوابت السياسة الخارجية الحديثة التى ألمح إليها أحمد داوود أوغلو الذى أدرك حجم الصعوبات التى تعترض تركيا وتهدد دورها الإقليمى مؤكدا حاجة تركيا إلى حسم الأزمة السورية بسرعة لتفادى انعكاساتها السلبية وتأمين استقرار الأنظمة الجديدة فى المنطقة إضافة لحاجتها إلى الاعتماد على التنسيق مع حلفائها من أجل تصحيح ميزان القوى المعرض للاختلال. وبناء على هذه الاستراتيجية الجديدة توصلت تركيا إلى اتفاق تفاهم ينهى التوتر وإعادة تطبيع العلاقات السياسية بينها وبين إسرائيل بعد قطيعة دبلوماسية استمرت لست سنوات على أثر اعتداء القوات البحرية الإسرائيلية على سفينة الإغاثة التركية قبالة شواطئ غزة.

كما أنه من شـــأن عدة عوامل أمنيـــة أن تلعب دوراً أساســـياً فى تحديد العلاقات الخليجية - التركية منذ وصول حـــزب العدالة والتنمية إلى الســـلطة، إذ انتقلـــت العلاقات من الطابعين السياسى والاقتصادى إلى الطابعين الأمنى والعســـكرى، وقد ارتبط ذلك بعدد من المحددات منها طبيعة التطـــورات الإقليمية وارتفاع وتيرة الصراعات فى المنطقة العربية خاصـــة فى ظل تبنى تركيا لمقاربات سياســـية وأمنية تتلاقى والرؤى الخليجيـــة، بداية بالغزو الأمريكـــى للعراق الـــذى رأت فيه كل من تركيـــا ودول الخليج بداية لبسط النفوذ الإيرانى ولا سيما بعد تصاعد الاحتقان الطائفى والمذهبى فى العراق والذى يمثل تهديداً مباشراً لدول الجوار، ممـــا دفع بتركيا إلى إدراك المصالح المتشابكة والتهديدات المشـــتركة مع دول الخليج. وتخوفاً من المشروع التوســـعى الإيرانى فى منطقة الشرق الأوســـط، ويجســـد إنشاء «مجلس تعاون استراتيجي» بين الســـعودية وتركيا الذى أعلن عنه وزير الخارجية الســـعودى فى ديسمبر 2015 تناغم رؤية البلدين فى عدة قضايا إقليمية أهمها الأزمة الســـورية، ليمثل خطـــوة مهمة فى التعاون والتوافـــق بين البلدين من شـــأنها تنســـيق الجهود لمواجهة الإرهاب وإيجاد حل للأزمة السورية والتصـــدى للنفـــوذ الإيرانى ودعم القضية الفلسطينية وإحلال السلام والاستقرار فى المنطقة.

ملامح الدور الإقليمى التركى فى المنطقة العربية:

لقد شهدت الســـنوات الأخيرة تزايد ظهور الدور التركى والاهتمام به فى غالبية القضايـــا المحورية فى الشرق الأوسط ولاسيما بعد وصول حـــزب العدالة والتنميـــة للحكم فى 2002 وإعلانه تدشـــين سياســـة تركية جديدة تجاه المنطقة قوامها تأكيد حضور تركيا ومكانتها كقوة مركزية للاستقرار وطرف فاعل فى معالجة مختلف القضايا والصراعات فى المنطقة. إلا أن هذه السياســـة ما لبثت أن واجهت تحديات جمة فى إثر انـــدلاع أولى شرارات الربيع العربى التى ما لبثت أن استشرت فى المنطقة العربية، الأمر الذى أخل بالتوازنات القائمة، ومازالت فصـــول الربيع العربـــى تتوالى وتتســـارع مهددة السياســـات والتوازنـــات الإقليمية برمتهـــا والتى مـــن أبرزها الدور التركى.

ننطلق هنا من فرضية أساسية قوامها: أن المتغيرات الإقليمية التى شـــهدتها المنطقة، وشهدها العالم، ساهمت فى وضع تركيا أمام خيارات إســـتراتيجية، تتأرجح ما بين غياب وعزلـــة عن عالم عربى وإســـلامى يرتبط بها جغرافيًّا وتاريخيًّا، وبين تعنت ورفـــض أوروبى لا يقبل بها أو بمشاركتها، ولكنه يخشى تركها وانفلاتها. فما كان من تركيا إلاَّ أن اختارت عمقها الإســـتراتيجى مع الإبقاء على حبل الـــود موصولاً مع غربها الأوروبى.

الدور التركى فى النظام الإقليمى العربى ومتغيرات البيئة الإقليمية:

يمكن تقســـيم الأسباب الدافعة لدور تركـــى إقليمـــى فى المنطقة والنابعة من البيئة الإقليمية إلى الآتي:

- حالة الفراغ التى تسود المنطقة بعد انهيار النظام الإقليمى العربى، وحالة التفـــكك والـــتردى اللذين اعتريا الوضع العربى بشـــكل عام، وخصوصًا بعـــد الاحتلال الأمريكى للعراق فى عام 2003.

- تمتلك الدول العربية مفاتيح أساســـية فى الصراع الجيوبوليتيكى العالمى، ولا يمكن تصنيف إمكاناتها فقـــط فى خانة مـــوارد الطاقة من نفط وغاز. فالـــدول العربية تطل على المضايق المتحكمة فى السلســـلة البحرية الأهم فى العالم المتجهة من الشرق الأوسط شرقًا وحتى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية غربًا، أى فى مضايـــق هرمز وباب المندب وقناة السويس وجبل طارق. وتشكل هذه المضايق عنق الزجاجة للسلســـلة البحرية الأهم فى نصف الكرة الغربى، تأسيسًـــا على ذلك لا يمكن حصر أهمية الدول العربية فى النفط والغاز فقط، بل إن جغرافيتها السياســـية لا تقل عن - إن لم تكن تتفوق على - الأهمية الجيوبوليتيكية لكل من إيـــران وتركيا فى حســـم الصراعات الكونية.

- تتمدد تركيا إقليميًّا فى المنطقة

بتكاليف سياسية أقل بكثير من العائد السياسى الذى تجنيه، بحيث إن الجدوى الاستراتيجية من لعب هذا الدور تكون متحققة تمامًا فى حالة الشرق الأوسط. وتكفى هنا الإشارة إلى الدور الإقليمى الإيرانى، الذى استثمرت فيه إيران ماليًّا وأيديولوجيًّا لبناء شبكة من التحالفات مع الدول والحركات والأحزاب السياسية لمدة ثلاثين عامًا.

- إن المنطقة العربية والشرق الأوسط هو المجال الجغرافى الوحيد فى جوار تركيا الذى يمكنها فيه لعب دور إقليمى دون الاصطدام بقوى عالمية، بالمقارنة بالقوقاز حيث النفوذ الروسى، أو فى ألبانيا والبوسنة حيث نفوذ دول أوروبا الوسطى.

- الصورة الإيجابية لتركيا عند شرائح عربية واسعة، والترحيب غير المسبوق لأوسع القطاعات العربية بدور تركى فى المنطقة لأول مرة منذ قيام الجمهورية عام 1923. ووصل الأمر إلى حد الحديث عن «النموذج التركي»، وضرورة الاستفادة من الدروس التى يقدمها، مثل التناوب السلمى على السلطة، وإدماج التيارات الإسلامية فى العملية الديمقراطية، والفصل بين الحزب والدولة، وتوسيع هامش المناورة تحت سقف التحالف مع القطب العالمى الأوحد. السبب الموضوعى السادس لدور تركيا الإقليمى يتلخص فى توافر تاريخ مشترك بين تركيا والعرب، ووجود تقارب ثقافى وحضارى ومذهبى بين تركيا والدول العربية، وهو ما لا يجعل تركيا عنصرًا وافدًا إلى المنطقة ويسهل قيامها بهذا الدور.

إن تطور النظرة العربية إلى تركيا، بدأ نتيجة لعدد من العوامل المتوازية بعضها متعلق بتركيا ذاتها، والبعض الآخر متعلق بالمنطقة العربية، وهذه العوامل هي:

- العوامل المتعلقة بتركيا: ساهمت تطورات عديدة تتعلق بتركيا فى تحسين صورتها فى العالم العربى منها: وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم فى 2003 م، وقرار البرلمان التركى فى عام 2003 م بالامتناع عن التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية فى حربها على العراق، كذلك تحسين علاقات تركيا بالاتحاد الأوروبى، وبالتحديد بدء محادثات انضمام تركيا إليه فى عام 2004 م، كذلك موقف تركيا حيال الحرب على غزة، والموقف التركى الصلب من اعتداء إسرائيل على أسطول الحرية وقطع العلاقات مع إسرائيل، وإيقاف التعاون العسكرى والاقتصادى معها.

لقد ارتبطت كل هذه التطورات، بتطورات أخرى بالعالم العربى، وبالتالى كانت لها دلالات فى المناقشات الدائرة فى المنطقة، وهذا أدى إلى أن النتيجة النهائية كانت تغيرًا فى تصور دور تركيا على مستوى كل من الجماهير والحكومات العربية، إضافة إلى تحولات جوهرية فى كل من الاقتصاد والسياسة الخارجية لتركيا، حيث نجحت فى إيجاد اهتمام بهذا البلد يمكن ترجمته إلى صورة إيجابية. وعليه فإن مرونة الاقتصاد التركى مع الإصلاحات السياسية كانتا سببًا فى تصاعد القوة التركية الناعمة فى المنطقة، بحيث أصبحت تركيا نموذجًا جذابًا لتيار الإصلاحيين فى العالم العربى.

تقييم الدور التركى فى المنطقة العربية:

رغم تصاعد الدور الإقليمى لتركيا منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم، إلا أن الدور التركى فى أعقاب الثورات العربية وردت عليه الملاحظات التالية:

- فرضت المواقف التركية ومحدّدات سياستها الداخلية التى تخضع لتجاذبات حزبية وانتخابيّة عديدة تراجعًا فى حضورها بعد الثورات العربية، خاصّة فى حالتى الثورة الليبية والثورة السورية، وبالطبع سيسهم التموضع الجيوسياسى المتوقع فى العالم العربى فى ملء الفراغ الذى استغلّته تركيا سابقًا كفاعل جيواستراتيجى يحظى بقبول شعبى لإنضاج دور فاعل فى المنطقة. ولا يعنى هذا أننا سنكون أمام واقع جديد يتدهور فيه الحضور التركى عربيًّا فنجاح الثورات العربية قلّص أدوار الدول

التى تعتاش على سياستها الخارجية مثل إيران، وهذا يعنى رجحان كفّة التنافس التركى الإيرانى فى المنطقة العربيـــة لصالح أنقرة، مع احتفاظ تركيا بقوة اقتصادية تجعلها قادرة على بلورة تقاطعـــات لبناء علاقات إستراتيجية مع الدّول العربية.

- لقد شهدت فترة ما بعد الثورات العربية توترًا بين تركيا وباقى دول المنطقة وتحديدًا ســـوريا والعراق وإيران وبدأ يأخذ مسارات خطرة، ولعـــل مردها جملة من الأســـباب المتعلقة بالسياســـة التركية نفسها والتى يمكن تلخيصها فى الآتي:

أ - موافقة أردوغـــان على نشر الدرع الصاروخى الأطلسى الأمريكى عـــلى الأراضى التركية حتى من دون موافقة البرلمـــان التركى، وهو قرار إستراتيجى خطير، نظرًا لأنه موجه ضد دول المنطقة ولاسيما إيران التى وصفته بالتهديد الخطير للتوازنات العسكرية والأمنية فى المنطقة.

ب - إظهار تركيا البعد الطائفى فى سياستها تجاه المنطقة العربية، وهـــى هنا عملـــت عـــلى أكثر من مســـتوى وصعيد، فمن جهة دعمت حركات الإســـلام السياسى ولاسيما حـــركات الإخوان فى البلـــدان التى شـــهدت ثورات واحتجاجات مثل مصر وتونس وليبيا وســـوريا. ومن جهة ثانية نســـقت مع السعودية وقطر والجامعة العربية تجاه الملف السورى، والعمل معًا من أجل إحالة هذا الملف إلى مجلس الأمن ووضعه تحت الفصل الســـابع الذى يعنى خيار التدخل العســـكرى فى الأزمة السورية. ولا يخفى على المراقب أن هذا التوجه يحمـــل معه الخلفيات السياســـية لفرض ترتيب سياسى جديد فى المشـــهد الإقليمى للمنطقة، فالتخلـــص من النظام الســـورى يعنـــى تفكيك التحالف الســـورى الإيرانـــى ومعه حـــزب الله، وفتح المجال الجغرافى السورى كى يكون معبرًا لإقامة تحالـــف مختلف بين تركيـــا ودول الخليج ومصر فى عهد الإخوان، ويكون مرتبطًا بالسياسة الأمريكيـــة والغربية بشـــكل عام، ولعل هذا ما يفسر سر الحديث عن ضرورة الاقتداء بالنموذج التركى فى المنطقة، بوصفه حقق تجربة ناجحة بين الإســـلام والعلمانية والاقتصاد، فى حين لا يخفى على المراقب أن كل ما سبق هو نوع من الحرب الذكية لمواجهـــة النمـــوذج الإيرانى والذى يوصـــف غربيًّا بالمتشـــدد، فى حين أنه يشـــكل عقبة فى وجه السياسات الأمريكية فى المنطقة.

ج - التورط التركـــى فى الأزمة الســـورية، فعلى وقع الدعم التركى للمعارضة الســـورية السياســـية والعسكرية لتغيير النظام فى دمشق، أعلنت تركيا أن علاقاتها مع النظام السورى وصلت إلى مرحلة القطيعة واللاعـــودة، ولـــم تكتـــف بإقامة مخيمات للاجئين وانتهاج أســـلوب التهديد، بل أمنـــت المأوى للجيش الســـورى الحر وباقى المجموعات المسلحة، ودعمتها بالسلاح وتحولت المناطـــق الحدوديـــة إلى ممـــرات للمســـلحين والجيش الحر وإدخال الأسلحة إلى الداخل السورى.

وعلى المستوى السياسى احتضنت تركيا حركة الإخوان الســـورية، وفى إسطنبول أُسّـــس المجلس الوطنى السورى الذى اتخذ من تركيا مقراً له، وبات يطالب بإســـقاط النظام، واللافت فى كل هذا أن حكومة رجب طيب أردوغـــان التـــى كانت على صداقة متينة مع النظام الســـورى لم تقم بأية وســـاطة بين المعارضة الســـورية والنظام للتوصل إلى حل سلمى للأزمة السورية، وهى نفسها التى قامت بوســـاطة بـــين النظام السورى وإسرائيل من أجل التوصل إلى اتفاقية سلام! وكل ما سبق كان كافيًا لانتهاج سوريا سياسة مضادة للسياسة التركية.

محددات السياســـة الخارجية التركية فى عهد أردوغان:

وتتمثل أهم محددات سياسة تركيا الخارجية فى عهد «أردوغان»، فيما يلي:

1 - إن تركيـــا التـــى اتجهت فى البداية إلى الانفتاح على الدول العربية ومجمل الجوار الجغرافى انطلاقًا من نظرية «صفر المشـــكلات»، وعقدت مع هـــذه الدول سلســـلة اتفاقيات على أمل التعـــاون والتكامل؛ تخلت عن هذه السياســـة لصالـــح البُعد الأيديولوجـــى الذى تجـــلى فى دعم حركات الإســـلام السياسى، لا سيما جماعة الإخوان، وســـعت أنقرة إلى إيصال هذه الجماعة إلى السلطة فى عددٍ من الدول على أمل أن تُشـــكِّل جسرًا لقيادة تركيا للمنطقة.

2 - إنّ تركيا وفى ســـبيل تحقيق هدفها السابق سعت إلى تدعيم عدد من التنظيمات المســـلحة، وقد تجلى هذا الأمر بشـــكل واضح فى الأزمة السورية.

3 - تحركت تركيـــا من قناعة بأن عضويتهـــا فى الحلف الأطلسى وعلاقتهـــا التاريخية مـــع الغرب بشـــقيه الأمريكى والأوروبى، تعد بمثابة موافقة غربية على الدور الذى تتطلع إليه أنقرة فى المنطقة، خاصة وأنها اعتقدت أن نموذجها السياسى حقق المعادلة الصعبـــة فى التوفيق بين الإســـلام والعلمانية والاقتصاد، وأن هذا النموذج هو ما يريد الغرب تعميمه فى المنطقة.

4 - إلى جانب تبنى تيارات الإسلام الســـياسى، ارتكز المشروع التركى على معادلـــة تاريخية أطلقت عليها (العثمانية الجديدة)، وهى معادلة أرادت السياســـة الخارجية التركية من خلالها الاســـتفادة من الروابط التاريخية والثقافيـــة والاجتماعية

لبناء عالـــم أو فضاء جغرافى حيوى للسياسة التركية.

وقد بدت هذه الرهانات التركية واضحة فى ســـاحات مصر وتونس وليبيا وسوريا والعراق وفلسطين، على أمل أن تؤدى هذه السياسة إلى قيادة أنقرة للشرق الأوسط فى إطار النظريات التى طُرحت لإعادة ترتيب الوضع فى المنطقة.

وُيمكن القول إن الرهانات التركية فى الإقليم كانت أقرب إلى الطموحات القاتلـــة والأوهـــام الأيديولوجيـــة والسياسية؛ إذ إن نظرةً واحدةً إلى ما آلت إليه السياســـة الخارجية التركية تجاه دول المنطقة تكشف لنا الصورة المأســـاوية التى انتهـــت إليها هذه السياسة، بل والأخطر انتقال تداعيات هذه السياسة إلى الداخل التركى على شكل تهديد لأمنها القومى.

وبالتـــالى فالقـــراءة الدقيقة فى مآلات العوامل التـــى انطلقت منها السياسة التركية تجاه العالم العربى ومُجمل الجـــوار الجغرافى، تضعنا أمام النتائج التالية:

1 - إن البُعد الأيديولوجى الذى اعتمدته تركيا فى دعم حركات الإسلام السياسى بغية إيصالها إلى السلطة، كشف حقيقة قصور الوعى السياسى التركـــى فى فهم طبيعـــة العلاقات الدولية، وكيفية تطوير العلاقات بين الدول على أساس المصالح المشتركة والتنميـــة وبما يخدم الاســـتقرار والديمقراطية؛ إذ تحوَّل هذا البُعد إلى مشكلة للسياسة الخارجية التركية تبلورت فى صعوبـــة إقامة علاقات إيجابية مع العالم العربى، لا سيما فى ظل موقفها العدائى من مصر.

كمـــا أن المقاربة التركية لقضية التصدى للخطر الإيرانى فى المنطقة بدت مكشـــوفة؛ إذ ظهرت السياسة الخارجية التركيـــة وكأنها تنتهج خطابين متناقضين؛ ففى الوقت الذى كانت تؤيد فيه المواقف الخليجية فى اليمن وســـوريا، حرصت على إقامة علاقات جيدة مع إيران انطلاقًا من مصالحها الاقتصاديـــة والتعاون معها لمواجهـــة الصعود الكردى فى المنطقة.

2 - إن قضية الدعم التركى لعددٍ من الجماعات المســـلحة فى سوريا بغية التخلص من نظام بشار الأسد، أسفرت عن نتائج فى غاية السلبية، فمن جهة أدى هذا الدعم إلى عسكرة «الثـــورة الســـورية»، وتحولها إلى العنف المســـلح، وصعود الجماعات الإرهابيـــة، لا ســـيما «داعـــش» و«النـــصرة»، ومـــن جهـــة ثانية كانت ســـببًا فى المزيد من التدخلات الخارجية التى عقَّـــدت من الأزمة الســـورية، وجعلتها أزمة إقليمية ودولية بامتياز.

وقـــد كان لما ســـبق تداعيات كبيرة على السياســـة التركية تجاه الأزمة الســـورية؛ حيث وصلت هذه السياسة إلى طريق مسدود، وهو ما أجبر أنقرة عـــلى الانفتاح والتقارب مع موسكو عبر الانقلاب على شعار «إسقاط النظام الســـوري». فبعد خسارتها معركة حلب لم تعد تركيا معنية بإســـقاط هذا النظام، وإنما أصبحت أولويتها هى كيفية محاربة الصعود الكردى فى سوريا، لا سيما مع حسم معركة الرقة وطرد الأكراد لداعش منها.

وفى العمـــق، باتت تركيا تخشى من أن يؤدى تحرير الأكراد بواسطة قوات سوريا الديمقراطية الكردية للرقة من «داعـــش» إلى ولادة إقليم كـــردى ســـورى على غـــرار إقليم كردســـتان العراق عـــلى حدودها الجنوبية، وهو ما تعده تركيا خطرًا مصيريًّا عـــلى أمنها القومى، خاصةً وأن ما يجـــرى كرديًّا فى ســـوريا والعراق سيشجع كُرد تركيا على رفع سقف مطالبهم القومية.

ولعـــل الجانب الآخـــر الذى لا يقل خطورة عـــن التحدى الكردى هو انتقال خطر المنظمات الإرهابية إلى الداخل التركى، وانتشار السلاح بشـــكل كثيف؛ حيث شهدت تركيا خلال الفترة الماضية سلســـلة من التفجيرات الإرهابيـــة فى قلب المدن الكبرى (مثل: إســـطنبول، وأنقرة، وديار بكر)، وهو ما دفع المعارضة التركية إلى تحميـــل حكومة حزب العدالـــة والتنمية المســـئولية عنها بوصفها تجاهلت خطر انتقال هذه المنظمات الإرهابية إلى الداخل التركى عندما دعمتها وحاولت استخدامها لتغيير أنظمة حاكمة فى المنطقة.

3 - أثبتت الوقائـــع أن رهانات تركيا على الغرب لانتهاج سياستها السابقة تجاه الأزمات التى تشهدها المنطقة، لم تكن دقيقة أو صائبة؛ إذ أن تركيا وبحكم عضويتها فى الحلف الأطلسى راهنت على أنها ستنجح فى جلب الحلـــف إلى التدخل فى الأزمة السورية وتغيير النظام، لكن حادثة إسقاط تركيا لمقاتلة روسية ومن ثم التصعيد الذى مارسته موسكو ضد أنقرة أثبت عدم صحة الرؤية التركية، وخيبة أملها من الحلف الأطلسى، إلى درجة أن تركيـــا تحدثت عن خيانة الحلف لهـــا، وعليه بدأ التوتر يخيم على علاقة تركيا مع حلف الناتو، بل وصدرت أصـــوات كثيرة عن الحلف تطالب بإخراج أنقرة من عضويته.

أيضًا، تبـــدو العلاقات التركية - الأمريكية حالياً فى أســـوأ حالاتها بســـبب اعتراف الرئيس الأمريكى دونالـــد ترامب مؤخـــراً بالقدس عاصمة لإسرائيل بعد إصداره قراراً رئاسياً ينص على ذلك وعزم الإدارة الأمريكية نقل ســـفارتها بإسرائيل من تل أبيب إلى القدس وهو القرار

الذى أثار سخط وغضب كل الدول العربية والإسلامية باعتباره قراراً يمثل انتكاسة لعملية السلام وخطوة من شأنها الافتئات على حقوق الفلسطينيين والعرب التاريخية فى القدس وأن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية ممثلة فى القدس الغربية، ورفض واشنطن فى السابق الاستجابة للمطالب التركية بالتخلى عن الدعم العسكرى لكُرد سوريا، وإبعادهم عن معركة تحرير الرقة، والاعتماد على تركيا بدلا منهم. وعلى غرار الولايات المتحدة، فإن علاقة تركيا مع أوروبا سلبية للغاية لأسباب كثيرة، منها ما يتعلق بمشكلات انضمامها للاتحاد الأوروبى، والانتقادات الأوروبية لطريقة تعامل أردوغان مع المعارضة فى الداخل.

4 - حَمْلَ مُجمَلُ الخطاب السياسى التركى تجاه العالم العربى نزعةً «عثمانية» تتحدث وكأن هذا العالم حديقة خلفية لتركيا الطامحة إلى استعادة أمجاد الدولة العثمانية، فالقدس وغزة وحلب وبغداد والموصل وغيرها من العواصم والمدن العربية بدت وكأنها شأن داخلى فى خطابات أردوغان، وقد أحيت هذه الخطابات المخاوف فى المنطقة من طموحات تركية جامحة، لا سيما عندما تحدث أردوغان عن موت اتفاقية «لوزان»، وإصراره على المشاركة فى معركة الموصل، وحديث الأوساط التركية عن حقوق تاريخية فى الموصل ومناطق أخرى فى الشمال السورى، فى استحضار للإرث العثمانى، لا سيما وأن هذا الأمر تزامن مع تحولات فى الداخل التركى على شكل التخلص من الأسس التى قامت عليها الجمهورية لصالح بناء نظام رئاسى أعطى لأردوغان صلاحيات شبه مطلقة.

ويمكن القول، إن المحددات السياسية لطبيعة الدور التركى فى المنطقة ظلت حاكمة للأنماط المتغيرة للسياسة الخارجية إزاء الثورات العربية ووفقًا لخصوصية كل حالة، وفى هذا الإطار بدا جليًّا خفوت الموقف التركى حيال الوضع فى كل من البحرين واليمن، حيث ارتبطت التوجهات التركية بالحرص التركى على العلاقات السياسية مع دول مجلس التعاون الخليجى، بحيث جعل المقاربة التركية حيال الملفين تقوم على ضرورة إنهاء الأزمات الداخلية فى الدولتين وإنهاء الانقسامات المجتمعية عبر الأدوات السلمية، بالترافق مع رفض التدخلات الخارجية، خصوصًا الإيرانية منها لما لها من تأثير وتداعيات سلبية على عملية التغيير السلمى والمتدرج الذى راعته دول الخليج فى الحالتين.

وفى ضوء كل ما تقدم يمكن أن نحدد الدور التركى الإقليمى مستقبلاً بثلاثة مسارات رئيسية، وهى ما يلي:

1 - المسار الأول: تنامى الدور التركى

يستند هذا المسار إلى افتراض مفاده تصاعد الدور الإقليمى التركى فى المرحلة المقبلة فى ضوء النجاحات التى حققتها حكومة أردوغان بشأن تأمين الاستقرار السياسى والاقتصادى فى تركيا والمحافظة عليه للانطلاق نحو دور إقليمى فاعل ومؤثر، حيث ستكون تركيا حسب قول أوغلو دولة فعل وليست دولة رد فعل، وأنه سيعمق انخراط تركيا فى السياسة الإقليمية والمنظمات الدولية والسياسة العالمية.

ويتوقف تحقيق تنامى هذا الدور على ما يلي:

أ - استمرار التأييد الشعبى لحكومة أردوغان فى انتهاج السياسة الإقليمية.

ب - استكمال الإصلاحات الداخلية فى إطار حل المشكلة الكردية سلميّا وتحقيق النجاح بعد ذلك.

ج - تناغم السياسة الخارجية التركية مع السياسة الأمريكية العامة حيث تعد تركيا بالنسبة للولايات المتحدة حسب وصف مراكز الأبحاث المرموقة مثل (راندوكارنيجي) بأنها دولة النموذج الذى يجب أن تعتمد عليه الولايات المتحدة فى المنطقة. وهذا ما يضفى القبول الأمريكى على تنامى الدور التركى.

د - الحاجة الأمريكية والغربية والعربية لدور تركى فاعل لموازنة الدور الإيرانى السلبى.

هـ - الارتكاز على تعدد العلاقات وعدم حصرها فى محور واحد الأمر الذى يتيح لتركيا مركزًا مهمًّا فى الساحة الإقليمية.

2 - المسار الثاني: انكفاء الدور التركي

مستقبل الدور الإقليمى التركى ودول الجوار العربى

يفترض هذا المسار استحالة تحقيق الدور التركى الإقليمى، وعليه فإن الأهداف التى وضعتها حكومة أردوغان وفكرة داوود أوغلو فى وضع سياسة جديدة تقوم على دمج قضايا السياسة الخارجية فى إطار واحد لصياغة السياسات، ومنها القدرة على اتباع سياسة خارجية متكاملة لإدراج قضايا متعددة فى نفس الإطار لم تحقق بالشكل المطلوب، الأمر الذى يستدعى التراجع عنها والانكفاء نحو الداخل.

وتتوقف عملية انكفاء الدور الإقليمى على ما يلي:

أ - عدم قدرة حزب العدالة والتنمية على الاحتفاظ بنسبة الأغلبية فى البرلمان التركى فى الانتخابات النيابية القادمة، وهذا يعنى صعوبة تشكيل الحكومة من قبل الحزب.

ب - حدوث انقلاب عسكرى من قبل المؤسسة العسكرية التركية، حيث وجهت أصابع الاتهام إلى عدد من الضباط بالتآمر لاغتيال نائب رئيس الوزراء التركى (بولنت أرنت)، وهو ما استدعى مجلس الأمن القومى ببحث تورط الجيش بالتآمر ضد الحكومة. وهذا يعنى العودة إلى الوراء.

ج - إخفاق حكومة أردوغان فى تحقيق المصالحة مع الأكراد وهذا يضع الحكومة أمام امتحان عسير مع المؤسسة العسكرية التى تريد القضاء على حزب العمال الكردستانى وعدم إعطاء الحقوق الكاملة للأكراد.

د - ازدياد الصراع بين العلمانيين والإسلاميين، إضافة إلى الانقسام العرقى بين الأتراك والأكراد، وتفاقم التحديات الاقتصادية بالشكل الذى يؤثر سلبًا فى أى دور إقليمى.

هـ - فشل تركيا فى تقديم نفسها بدور الجسر للتفاهم بين الشرق والغرب.

و - تضاؤل الأهمية الإستراتيجية لتركيا لدى الولايات المتحدة.

ز - الرفض العربى للدور التركى برمته، وحدوث توافق عربى - عربى على لفظ الدور التركى والاستغناء عنه.

3 - المسار الثالث: محدودية الدور التركي

يركز هذا المسار على افتراض مفاده أن الدور التركى سيكون ثانويًا أو محدودًا لعدم قدرة تركيا على القيام بدور فاعل فى القضايا الكبرى، ولاسيما قضية الصراع العربى الإسرائيلى، وأن هناك لاعبين إقليميين منافسين لتركيا فى منطقة الشرق الأوسط، إضافة إلى تركيز تركيا نحو مناطق أخرى، مثل البلقان وقبرص والقوقاز لها أهمية أكبر من الشرق الأوسط لدى أنقرة.

وتستند محدودية الدور التركى إلى ما يلي:

أ - عدم قدرة من سيخلف أردوغان فى رئاسة الحكومة الحصول على قاعدة شعبية كبيرة تمكن تركيا من أداء دورها الإقليمى الفاعل.

ب - تحديد الدور الإقليمى التركى من قبل الإدارة الأمريكية الجديدة، فهى قد تعتمد على تركيا بشكل كبير فى آسيا الوسطى، والأمريكيون الآن يتحدثون عن (آسيا الوسطى الكبرى) فيما يغيب (الشرق الأوسط الكبير أو الجديد) وبالتالى ستشكل تركيا منصة الانطلاق إلى تحقيق ذلك، وستكون بمثابة الركيزة الإستراتيجية الأمريكية تجاه آسيا الوسطى.

ج - فشل المحاولات التركية بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبى سيكون عائقًا أمام بروز أى دور إقليمى تركى.

د - ازدياد حساسيات القوى الإقليمية الأخرى، مثل إيران، ومصر، والسعودية سيحد من فاعلية الدور التركى فى منطقة الشرق الأوسط.

هـ - عدم قدرة تركيا على تحقيق الموازنة فى علاقاتها بين (إسرائيل) وتعاطفها مع الحركات الإسلامية، ولاسيما حركة حماس يفقدها خاصية التوازن فى العلاقة بين المعتدلين والمتشددين فى المنطقة، إذ إن وقوفها على مسافة متساوية منهما يجعلها فى موقع موازن على نحو يدعم دورها الإقليمى.

و - إن الانفتاح التركى على سوريا وتطوير علاقاتها معها سينعكس سلبًا على أدائها دور الوسيط فى المفاوضات غير المباشرة بين (إسرائيل) وسوريا.

ز - عدم قدرة تركيا على الإمساك بورقة العراق التى تعد من أهم الأوراق التى تحتفظ بها إيران حاليًا، وتسعى إلى استخدامها لدعم نفوذها الإقليمى وانتزاع اعتراف أمريكى بهذا النفوذ، وليس من مصلحة تركيا ترك هذه الورقة بيد إيران، وإذا لم تراجع تركيا حساباتها الضيقة وغير الدقيقة على هذا الصعيد فإن العقدة الكردية ستظل عقبة أمام دورها الإقليمى لا محالة.

من العرض السابق يتضح بجلاء الحضور التركى الفاعل فى المنطقة العربية والشرق الأوسط وتعدد أبعاد الأدوار التركية فى المنطقة وما واجهته من تحديات وصعوبات، وبخاصة فى ظل ثورات الربيع العربى، بحيث إن استمرارية الدور التركى وتطوره فى المستقبل مرهون بالعوامل الحاكمة له والضغوط التى تواجهه وكيفية معالجتها له، ولاسيما مع صعوبة الحفاظ على الصيغ التوافقية التى تطرحها حكومة العدالة والتنمية بين سعيها لتحقيق مصالحها الوطنية من جهة، ودورها كحليف

أسئلة محرجة فى المؤتمر الصحفى بباريس

للولايات المتحـــدة والغرب من جهة ثانيـــة، والترويج لدورهـــا كفاعل إقليمى يسعى إلى تحقيق الاستقرار ومصالـــح المنطقـــة ككل من جهة ثالثة، مع تأكيد عدم التعارض بين هذه الأبعـــاد وتكاملها مع بعضها البعض.

وتنطلق تركيا فى سياستها الجديدة فى الوقت الراهن من جُملة عوامل وأسباب، لعل أهمها:

1 - وصول سياستها الخارجية ولاســـيما تجاه الأزمة السورية إلى طريق مســـدود، إذ أنه مع التدخل العســـكرى الـــروسى فى ســـوريا، والتفاهم الأمريكـــى – الروسى على الحل الســـياسى للأزمة، لم يعد من الممكن لتركيا البقاء على استراتيجيتها السابقة فى إسقاط النظام السورى أو حتى إقامة منطقة أمنية عازلة أو حتى الرهان على المجموعات المسلحة لتحقيق أهدافها.

2 - اكتشاف تركيا عدم جدوى اعتمـــاد البُعـــد الأيديولوجـــى فى سياستها الخارجية من خلال دعم حركات الإســـلام السياسى ولاسيما دعـــم جماعات الإخـــوان فى العالم العربى، إذ أن هذه السياسة ألحقت خسائر كبيرة بالدبلوماسية التركية، فالثابت أن السياسة الخارجية للدول لا تُبنى عـــلى الأيديولوجيات بقدر ما تُبنى عـــلى المصالح المتبادلة بين الدول، واحترام العلاقات الدولية.

3 - إحساس تركيا بأن سياساتها الســـابقة، أدت إلى بـــروز تحديات مصيرية تهدد أمنها القومى، إذ باتت تجد نفســـها أمام صعود كردى فى سوريا والعراق ينسحب إلى الداخل التركى على شكل تحد لبنيان الدولة التركية، ولعل مـــا عزز من القناعة التركية هذه، هو استفادة الكُرد من توتر العلاقـــات التركية مع الخارج وانفتاحهـــم الكبير عـــلى اللاعبين الأمريكى والـــروسى. وعليه، باتت أنقرة تـــرى ضرورة الانفتاح على الخارج للحد من الصعود الكردى، وتطويع البعد الخارجى فى مواجهة مساعى إقامة دولة كردية ستكون تركيا المتضرر الأكبر منها.

ختامًا، يُمكـــن القول إن الدرس الذى ينبغى استخلاصه هو أن سياسة الرهانات التركية السابقة كانت تعبيرًا عن عدم فهم دقيـــق لطبيعة قضايا وأزمات المنطقة ولتعقيداتها التى لها علاقة بالمصالـــح والعلاقات الدولية والإقليمية، وهو ما ألحق خسارة بهذه السياســـة، ووضعها فى امتحان مع نفســـها دون أن تعرف كيف تخرج منها حتى الآن.

ولا بد من التقييـــم الموضوعى للدور التركـــى فى المنطقة العربية، بعيدًا عن التعويل عليه بشكل كامل، أو تجاهله، أو التحفز ضده. فتركيا –بحكم الجوار الجغرافى على الأقل– تمثل طرفًا أصيلاً فى بعض القضايا التى تدور على حدودها، مثل المسألة العراقية، والملـــف النووى الإيرانى، والعلاقات مع ســـوريا، وهى كذلك طرف مشـــارك فى قضايـــا إقليمية عديدة أخرى فيما يتجاوز حدودها المبـــاشرة. لكن الطبيعـــة المعقدة، والممتدة لقضايا المنطقة، وتعقيدات الداخل التركى تجعل الدور التركى – على نشـــاطه– مقيـــدًا بعوامل ذاتية، ومعطيـــات خارجية، وأدوار ومواقف أطراف أخـــرى، بعضها مبادر ويطرح تصورات ومشروعات مخالفة للرؤيـــة التركية، وبعضها يتعين عليه النهوض بمســـئولياته قبل الرهان عـــلى الأدوار التركية أو الارتهان بها.

مبادرة الحزام والطريق:

التفاهم الشعبى بين الصين والدول العربية الأفريقية

إن التفاهم الشعبي أو الاتصال الشعبي من الاتصالات الخمسة (أي الاتصال السياسي والاتصال الطرقي والاتصال التجاري وتداول العملات) لتحقيق مبادرة الحزام والطريق، يعني تعزيز العلاقات الودية وتعميق تفاهم العقليات وتطوير أواصر الصداقة بين شعب الصين وشعوب الدول الواقعة على طول الحزام والطريق، كما أنه يدعم الحوار والتبادل والتدارس بين الحضارات المختلفة ساعياً إلى تشييد الأسس الاجتماعية والشعبية لبناء الحزام والطريق.

د. دينج جون

أستاذ بمعهد دراسات الشرق الأوسط، جامعة شانغهاى للدراسات الدولية

aldingjun@163.com

وتعتبر الدول العربية الأفريقية من شركاء طبيعيين والدول المتعاونة المهمة لبناء الحزام والطريق مع الصين، وقد قال الرئيس الصينى شى جين بينغ فى الجلسة الافتتاحية للاجتماع الوزارى السادس لمنتدى التعاون الصينى العربي: «إن التعارف والتواصل بين الصين والعالم العربى بدءاً من طريق الحرير، فنحن شركاء طبيعيون لتنفيذ مبادرة الحزام والطريق».

أولاً: العوامل الإيجابية للتفاهم بين الشعب الصينى والشعوب العربية الأفريقية:

الأول – للتفاهم بين الشعب الصينى والشعوب العربية الأفريقية أسس تاريخية متينة

«اطلب العلم ولو فى الصين!» إن هذه المقولة العربية القديمة المشهورة جعلت الصين تنال منزلة منبع العلوم وموطن الحكم فى أذهان الشعوب العربية الأفريقية منذ أكثر من ألف سنة، وقد أظهروا إعجابهم الشديد تجاه الصين فيتشوقون إليها. وبتشجيع هذه المقولة تتابع جمع غفير من العرب والأفارقة عبر طريق الحرير والبخور بريـاً وبحرياً إلى الصين بعد رحلات طويلة شاقة، حتى إن الكثير منهم استوطنوها حباً لها. فمن الممكن أن نقول إن المقولة عكست بصورة حقيقية مسيرة التقدم التاريخى للتبادل بين الحضارتين الصينية والعربية الأفريقية. وقد أخبرنا التاريخ بأن التبادل السلمى بين الحضارتين الصينية والعربية الأفريقية مثال نموذجى يحتذى به فى التواصل الحضارى البشرى. ومن المعروف أن للتفاهم والصداقة بين شعب الصين والشعوب العربية الأفريقية تاريخ عميق، وأنهم ابتلوا جميعاً ببلايا تاريخية متشابهة، وأنهم مشاركون فى الآلام والآمال فى سبيل مقاومة الاستعمار الأجنبى والسعى إلى التحرير القومى واستقلال الدولة، وواقفون صفا واحدا فى سبيل الدفاع عن العزة القومية وسيادة الدولة، فتركوا صفحة مليئة بقصص البطولات فى تاريخ البشر، فهذه هى أسس تاريخية متينة للتفاهم بين الشعب الصينى والشعوب العربية الأفريقية.

الثانى – للتفاهم بين الشعب الصينى والشعوب العربية الأفريقية دوافع واقعية قوية:

1 – الثقة السياسية والعلاقة الودية بين حكومة الصين وحكومات الدول العربية الأفريقية: فحكومة الصين تمسك دائما بموقف عادل فى القضايا الدولية عامة والقضايا العربية الأفريقية خاصة، وتؤيد الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى فى استقلال الدولة، وترى أن تُحل جميع النزاعات عن طريق الحوار والمفاوضة. فدور الصين يمثل صوت الحق إزاء القضايا العربية الأفريقية. واليوم تزايدت الاتصالات المتعددة المستويات وتعمقت الثقة المتبادلة بين حكومة الصين وحكومات الدول العربية الأفريقية، وبادر الجميع إلى إجراء التبادلات الثنائية والتبادلات المتعددة الأطراف، فأنشأوا عدة آليات ومنصات للتبادل، منها «منتدى التعاون الصينى العربي» و«منتدى التعاون الصينى الأفريقي» و«معرض الصين والدول العربية» و «الحوار الاستراتيجى بين الصين ومجلس التعاون الخليجي» وغيرها. لقد أقامت الصين مع كثير من الدول العربية الأفريقية علاقات الشراكة الاستراتيجية الشاملة والشراكة الاستراتيجية والشراكة التعاونية الاستراتيجية. إن الزيارات المتبادلة العالية المستوى والثقة السياسية المتبادلة بين الصين والدول العربية الأفريقية توسعان الرؤى المشتركة لبناء الحزام والطريق مما جعلتا للاتصال المشاعرى والتفاهم الشعبى أساساً سياسياً وطيداً، وجعلتا تقومان بدورهما القيادى الاستراتيجى البارز.

2 – المبادلات الاقتصادية والتجارية المتصاعدة بين الصين والدول العربية الأفريقية: وقد قال الرئيس الصينى شى جين بينغ فى كلمته التى ألقاها بمقر جامعة الدول العربية فى 21 من يناير عام 2016م إن الصين ستباشر الأعمال

التعاونية الإبداعية مع الدول العربية، وتدعم العملية الصناعية فى الشرق الأوسط، إلى جانب توسيع مجالات التعاون فى الطاقة الإنتاجية. ولا شك أن تحقيق مبادرة الحزام والطريق قد جلب بفرص تاريخية نادرة للتبادلات الاقتصادية والتجارية والإنسانية والمشاعرية بين الصين والدول العربية الأفريقية، فضخّت لها مزيدا من القوة الدافعة، وفتحت أمامها الآفاق شاسعة المدى. إن الشعوب العربية الأفريقية الآن فى أمس الحاجة إلى الاستقرار والتنمية، وقد أصبحت الصين فى نظرهم مضربة المثل فى معالجة قضية الاستقرار والتنمية بنجاح، الأمر الذى شوّقهم فى معرفة المزيد عن الصين والاستفادة من خبراتها. فكثير من الدول العربية الأفريقية جعلت خطة تنميتها ومشاريعها الإنشائية تتماشى مع مبادرة الحزام والطريق الصينية متمنية التعاون معها. فيمكن القول بأن مبادرة الحزام والطريق سيشد الربط بين الصين والدول العربية الأفريقية، وسيكتبون جميعاً صفحة جديدة عن التبادل السلمى عبر طريق الحرير الجديد.

3 - القيم المشتركة بين الحضارتين الصينية والعربية الأفريقية: إذ أن كلا الحضارتين من الحضارات الشرقية، فبينهما نقاط التشابه فى القيم الأخلاقية. فالحضارة الصينية والحضارة العربية الأفريقية من الحضارات الإنسانية الراقية، ومن أبرز خصائصهما التسامح والاستيعاب، وقد أبدى كل منهما روح التسامح والاستفادة من ثقافات الآخرين، والموقف الإيجابى فى التفاعل الثقافى، والقدرة الفائقة على التدامج الثقافى، مما قدّمتا مساهمات عظيمة فى تطوير التاريخ البشرى وتقدمه. فالصين والدول العربية الأفريقية تدعو جميعاً إلى الحوار بين الحضارات، وترفض «صراع الحضارات» متيقنة بأن التبادل والتدارس بين الحضارات قادر على تقديم المساهمات المهمة لتحقيق الأمن والسلام فى أنحاء العالم. وفى السنوات الأخيرة تعمق الحوار الحضارى بين الصين والدول العربية الأفريقية، وعمم التبادل الإنسانى والثقافى شتى المجالات بين الجانبين، بحيث إن الآليات والمنصات التعاونية الثنائية ومتعددة الأطراف ذات الطبقات فى المجالات العلمية والثقافية والتعليمية والإعلامية وغيرها فى طور الإنشاء والإكمال، وتم تشغيلها تدريجياً، فإن التبادلات الإنسانية والثقافية الشاملة المتزايدة بين الصين والدول العربية الأفريقية أصبحت قوة دافعة للتفاهم الشعبى.

ثانيا: العوامل السلبية للتفاهم بين الشعب الصينى والشعوب العربية الأفريقية

الأول: محدودية التعارف بين الشعب الصينى والشعوب العربية الأفريقية، والمعرفة القائمة بين الطرفين قد أصابها ببعض الخلل وسوء الفهم. فكثير من الصينيين ينظرون إلى العرب والأفارقة بعين باردة وسلبية، ويظنون أنهم يحرصون على العنف والحرب والقتال والإرهاب، ولا يوجد عندهم شيء إلا البترول والصحراء، وكذلك لا يعرف عن الصين كثير من العرب والأفارقة، فهم ينظرون إليها بعين الارتياب والشك. وكانت الصين مشهورة باسمها ومجهولة بشئونها لدى عامتهم، فلا يعرفون عن أحوالها الداخلية إلا قليلا، أما التطورات والإصلاحات التى حققتها الصين اليوم فهم فى ضيق النظر والمعرفة، فبطبيعة الحال قلت معرفتهم عن سياسة الصين الداخلية والخارجية السارية المعمول بها ولاسيما عن مبادرة الحزام والطريق الصينية. وبجملة القول إن هناك بعض الانطباعات الغامضة الأسطورية فى التعارف بين الصينيين والعرب والأفارقة، فصورة كل طرف عند الآخر مشوّهة بمعلومات مسبقة سلبية كاذبة مما جعل الأمر أبعد ما يكون عن الحقيقة.

الثاني: إن الدراسة العربية فى الصين والدراسة الصينية فى الدول العربية الأفريقية لا تزال ضعيفة سواء أكانت فى المستوى الكلى أو الجزئى،

فهى عاجـــزة عن تقديم الدعم العلمى للتعارف والتفاهم بين الشعب الصينى والشـــعوب العربيـــة الأفريقية. ومن المعروف أن الصـــين والدولة العربية الأفريقيـــة مجـــاورة تُصنّف ضمن البلدان الشرقية سياســـيا وجغرافيا، ولكن العجيب أن التعارف بينها إنما يتم عن طريق الغرب! والمشـــكلة هى قلة الخـــبراء وندرة نتائـــج البحوث ونقص شـــديد فى المعرفـــة المنظمة والدراســـة المعمقة تجاه ثقافة الآخر. أما الدراسات الموجودة حالياً فهى غير كافية لعـــرض واقع الجانب المدروس من حيث الشـــمول والعمق، لأن هناك نقاط ومواضـــع عمياء، والميل من كلا الطرفين إلى تقليد واعتماد على الغرب فى مصادرهـــم ونظرياتهـــم وطرق دراستهم ومواقفهم.

الثالث: إن النـــشر الإعلامى الثنائى فى الوسائل الإعلامية الصينية والعربية الأفريقية ليس محدوداً فحسب بل تنقصه المنهجية والتواصلية والاستقلالية، مما أدى إلى ضعفه فى توجيـــه الرأى العام للتعارف والتفاهم بين الشعب الصينى والشـــعوب العربية. فعلى سبيل المثال، إن الوسائل الإعلامية الصينية تنقصها سمات التوازن والشمولية حينما تنشر الأخبار عن الـــدول العربية الأفريقية، فهى تركز دائما على الجوانب الســـلبية دون الإيجابية، وتهتم بالأخبار الساخنة السطحية دون تعمق فيما وراء الأحداث، حتى ينقصها التمســـك بزمام الكلام الذى يتبين من خلالـــه موقف الصين. وهذا جلب بتأثيرات ســـلبية للتعارف والتفاهم. فمثلاً بعد ظهور تلك المنظمة المتطرفة ما تسمى بـ«الدولة الإسلامية» فى عام 2014م، كثير من وسائل الإعلام الدولية لم يســـتعملوا عبـــارة «الدولة الإسلامية» مباشرة، بل استخدموا رمز «ISIS» أو كلمـــة «داعـــش» بدلا عن اسمها المدعى، ولكن للأسف إن وسائل الإعلام الصينية تستعمل عبارة «الدولة الإســـلامية» مباشرة (بالرغم من وضع علامة التنصيص عليها) دون المبالاة بأن تلك التسمية قد تقود الرأى العام نحو الجهة الخاطئة، وذلك لأن هذه التسمية ستترك انطباعاً سلبياً فى نفوس العامة الذين لا يدركـــون حقيقة تلك المنظمة الإرهابية، ولا يعرفون عن الإسلام شيئا، فتجعلهم يربطون الإرهاب بالإســـلام، ومثل هذا التوجيـــه الخاطيء قد يسيء التعارف والتفاهم الشعبى. وكذلك الأمر عند الوسائل الإعلامية العربية الأفريقية، إذ تكثر فى نشرها لأخبار الصين ظواهر تاليـــة: نشر الأخبار غـــير الصحيحة، وتعميم حكم الجزء على الكل، ومسايرة الغرب فى المواقف، ونقل النشر الإعلامى الغربى... إلخ، فلا تستطيع توجيه الرأى العام وعرض الصورة الحقيقية للصين.

الرابع: إن وجـــود بعض الموانع والعوائق فى التعـــارف والتفاهم بين الشعب الصينى والشـــعوب العربية الأفريقية جعل التبادل الثنائى يواجه صعوبات وتحديات عديدة. منها أولا: تعثر العلاقـــات الطبيعية بين الصين وبعض الدول العربيـــة نتيجة لعدم استقرار بعض المناطق، والتنظيمات الإرهابية فى الشرق الأوسط، الأمر الذى سبب خطراً مضاعفاً للتعارف والتفاهم وبناء الحزام والطريق، ففى السنوات الأخيرة تعرضت المؤسسات والشركات الاســـتثمارية الصينية فى بعض الدول العربيـــة للأخطار الأمنيـــة المتزايدة، حتى إن العلاقات الشعبية بين الصين وسوريا والعراق وليبيا واليمن تعانى من ويلات الحروب والاضطرابات.

وثانياً: التوجيـــه الخاطئ للرأى العام مـــن هيمنة الخطـــاب الغربى أســـاء التعارف والتفاهم بين الشعب الصينى والشـــعوب العربية الأفريقية إساءة شديدة. ومنذ فترة طويلة، قام العالم الغربى متحيزاً ومغطرســـاً من خلال وســـائله الإعلامية القوية بنشر الأخبار الكاذبة التى لا تحصى ولا تعد عن الصين والدول العربية الأفريقية. ففى الســـنوات الأخيرة أثارت وسائل الإعلام الغربيـــة ضجة قوية لنظريات عديدة، منهـــا «تهديـــد الصين» و«تهديد الإسلام» و«صراع الحضارات»، ونشرت «الإســـلاموفوبيا» على نطاق واســـع، كمـــا أنها اعتـــبرت نهضة الصين تهديداً، واستثمارها الخارجى «الاستعمار الشرقى الجديد»، ومبادرة الحزام والطريق هى «مشروع مارشال الجديـــد» فى نظرهم...إلـــخ. فكثيرا ما يحدث ســـوء التفاهم بين الشعب الصينى والشـــعوب العربية الأفريقية نتيجة لهذا النوع من التوجيه الخاطئ للرأى العام.

ثالثاً: هنـــاك اختلافات كبيرة بين الـــدول العربية الأفريقيـــة فى النظم السياســـية والقومية بجانب الفوارق فى القبليـــة والطائفيـــة والعنصرية، تتشابك وتتراكم الخلافات فيما بينها على الأصعدة السياســـية والاقتصادية والقوميـــة والدينيـــة وغيرها، حتى ترســـخت الضغائن بين بعض الدول والقبائل والطوائف الدينية، الأمر الذى صعّـــب تحقيق التفاهـــم، حتى أثار العداوة المتبادلة، وهذه الأوضاع المعقدة سببت بعض المشـــاكل والتحديات فى التعارف والتفاهم بين الصين والدول العربية الأفريقية المعنية.

ثالثاً: بعض الاقتراحـــات لتوثيق التعارف والتفاهم بين الشعب الصينى والشعوب العربية الأفريقية

الأول: توســـيع مجـــالات التبادل الإنســـانى والثقافى بين الصين والدول العربية.

1 - تكثـــير التواصـــلات العالية المســـتوى، وإبـــراز دور القيـــادة الاســـتراتيجية فى تحفيـــز التبادلات الشـــعبية وبعث الثقـــة فيها لتوجيه الـــرأى العام وتقوية الثقـــة المتبادلة وإزالة الشكوك البينية.

2 - حســـن الاســـتفادة من أنواع الوســـائل الإعلامية، وإظهـــار الدور البـــارز للإنترنت ووســـائل الإعلام الحديثة فى نشر الأخبار، وإبداع أساليب النـــشر المتنوعة على ضـــوء «الإنترنت +» لاستئصال ســـوء التفاهم، ودعم التعارف والتفاهم.

3 - الحث على ترجمة أمهات الكتب للثقافتين الصينية والعربية الأفريقية، فعلى الجانب الصينى تقديم المزيد من الأعمال الفنيـــة والثقافية التى تعكس وضع الصين الحـــالى وصورتها لإخوة العرب والأفارقة.

4 - تعزيـــز التعـــاون التعليمى، وإقامة كثير من معاهد كونفشـــيوس فى الدول العربية لدعـــم عملية تعليم اللغة الصينية فى الدول العربية وتعليم اللغة العربيـــة فى الصين، وتوفير كثير فأكثر الفرص لطلاب العرب والأفارقة

للدراسة فى الجامعات الصينية.

5 - توجيه وتشجيع التواصل والتبادل بين المؤسسات الشعبية ورجال الأعمال من أوساط الصناعة والتجارة والنساء والشباب فى الصين والدول العربية الأفريقية.

6 - الاهتمام بالإصغاء المتعدد القنوات والمستويات إلى أصوات شعوب الدول العربية الأفريقية، ومعرفة آمالهم وأفكارهم تجاه بناء الحزام والطريق، واهتمام بمصالحهم واحتياجاتهم، وإعطائهم ردوداً صادقة ملائمة.

الثاني: تعزيز الدراسة المتبادلة من أجل توفير الدعم العلمى للتعارف والتفاهم.

1 - تفعيل دور المراكز الفكرية والعلماء والباحثين فى توثيق التعارف والتفاهم والارتباط الوجدانى، وحثهم على القيام بالأعمال التواصلية من تعاون وتبادل فيما بينهم، وإجراء دراسات ميدانية فى البلد الشريك للحصول على المصادر الأولية والتخلص من الاعتماد على دراسات الغرب.

2 - الاهتمام بالدراسات المنهجية للحضارة العربية الأفريقية، واستدراك النقص فى مجالات وأصعدة الدراسة المعنية، وتقوية الدراسة المتعددة التخصصات المشتملة على علوم السياسة والتاريخ والقوميات والأديان وغيرها، لإسماع العالم صوت الصين، تعريفه بموقفها، وبالعكس كذلك.

3 - العناية بإعداد الأكفاء وبناء فريق العمل الناجح كى تسير الدراسة الثنائية بشكل مستمر.

الثالث: إنشاء آليات ومنصات معنية، ودفع الحوار بين الحضارتين الصينية والعربية الأفريقية. من المعروف أن الحضارة الصينية والحضارة العربية الأفريقية من ضمن الحضارات الآسيوية الأفريقية، بالرغم من وجود تاريخ التواصل العريق بينهما، إلا أن الحوار والتبادل والتدارس بينهما اليوم فى غاية المحدودية، فمن الضرورى إنشاء واستكمال الآليات والمنصات التبادلية المعنية لتوسيع مجالات التبادل الحضارى ورفع مستواه.

الرابع: توجيه القوى الشعبية الصينية للمشاركة فى مشاريع الإغاثة الإنسانية فى منطقة الشرق الأوسط. إن بعض الدول العربية الأفريقية تعانى كوارث إنسانية خطيرة، خاصة فى السنوات الأخيرة، وقد اضطر الملايين من اللاجئين إلى ترك أوطانهم مما يلفت أنظار العالم. والصين تسعى دائماً حكومة وشعباً إلى تقديم مساعدات إنسانية للدول العربية المعاناة قدر الاستطاعة. فعليه يجب توجيه القوى الشعبية للمشاركة فى الإغاثة الدولية فى ظل ناء مجتمع ذى مصير مشترك للحزام والطريق، وعلى وجه الخصوص تقديم الإغاثة الإنسانية للدول العربية الأفريقية المبتلاة بالكوارث. ومما لا شك فيه أن مشاركة القوى الشعبية الصينية فى مشاريع الإغاثة الإنسانية فى الدول العربية الأفريقية ليس لها دور كبير فى دفع الاتصال المشاعرى والتعارف والتفاهم فحسب، بل ولها دور مهم فى إظهار جمال تقاليد الأمة الصينية من حب الخير والإيثار، كما أنها تحسن سمعة الصين أمام المجتمع الدولى بأن الصين لا تسيطر ولا تظلم مهما بلغت من القوة والغنى.

الخامس: توجيه الأوساط الدينية لإجراء التبادلات الدينية الفعالة، وإظهار دورها الفريد للدبلوماسية الإنسانية والثقافية. ويعتبر الدين الإسلامى عنصراً مهما للتواصل بين الصين والدول العربية الأفريقية عبر التاريخ، وكانت لأوساط الإسلام فى الصين تقاليد جميلة فى إجراء التبادل الدولى بشكل إيجابى، ففى فترة حرب المقاومة ضد العدوان اليابانى، قامت أوساط الإسلام الصينية بكشف حقيقة العدوان اليابانى عن طريق التبادلات الدينية، فتم تشكيل التحالف ضد العدوان اليابانى فى العالم الإسلامى بنجاح. إن توجيه الأوساط الإسلامية الصينية لإجراء التبادلات الدينية مع الدول العربية يساعد العرب والأفارقة على تعرف بالسياسة القومية والدينية وحقيقة حياة المسلمين فى الصين، كما أنه سيساهم مساهمة فى مقاومة الأفكار المتطرفة تسرباً ونشراً، ومحاربة الجماعات المتطرفة من خلق الصراع بين الحضارات، فضلا عن ذلك فإنه سيدفع إلى الحوار الدينى والتبادل الحضارى، فتزيل الشك وتزيد الثقة، وتعمق التعارف والتفاهم والصداقة.

رؤية عالمية لطريق الحرير

للتعرف على مواقف القوى الكبرى من مبادرة طريق الحرير الجديد الصينية والمعروفة رسميا باسم مبادرة الحزام والطريق يجب التعرف على أهم التحولات فى النظام العالمى.

منذ معاهدات وستفاليا عام 1648 وظهور الدولة القومية التى قامت علاقاتها على التحالفات والتوازنات شهد العالم التحول من نظام متعدد الأقطاب الأوروبية بالإضافة إلى الولايات المتحدة واليابان فيما قبل الحرب العالمية الثانية، والذى تبلور فى تحالفين كبيرين متضادين أثناء الحرب (الحلفاء فى مواجهة دول المحور) إلى نظام ثنائى القطبين بعد الحرب (الولايات المتحدة قائدة حلف الأطلنطى والاتحاد السوفيتى قائد حلف وارسو).

ومنذ عام 1991 بعد سقوط الاتحاد السوفييتى أصبحت الولايات المتحدة هى القوة المهيمنة الوحيدة فى العالم.

ومن بداية القرن الحالى بدأت روسيا تحت قيادة بوتين فى مواجهة محاولات الناتو التوسع شرقاً فى اتجاه وسط آسيا، كما صعدت الصين وأصبحت القوة الاقتصادية الثانية فى العالم، وتحاول الحفاظ على مصالحها الحيوية خاصة فى آسيا.

وقد أعلن الرئيس الأمريكى السابق باراك أوباما سياسة الاتجاه إلى آسيا.

مازالت الولايات المتحدة هى القوة الوحيدة حتى الآن التى تمتلك مقومات القوة الشاملة العسكرية والاقتصادية والعلمية والثقافية، بينما القوى الصاعدة تتباين فى امتلاكها لأنواع القوة فبعضها يمتلك القوة العسكرية مثل روسيا وبعضها يمتلك القوة الاقتصادية مثل الصين والهند والبرازيل وتمتلك أنواع القوة الأخرى بدرجات متفاوتة وإن كانت جميعها متزايدة.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

يتشكل ومازال العالم المتعدد الأقطاب ولكن ازدادت القيود على القوة المهيمنة وأصبحت حسابات تحركاتها أكثر صعوبة عما سبق فى الماضى.

إن الثورة فى مجال الاتصالات والمواصلات والعلوم بأنواعها ووجود الأسلحة الذرية لدى عدة أطراف تهدد بأن تكون الحرب العالمية الثالثة هى نهاية البشرية.

صعود الصين والمبادرة

يشكل الصعود الصينى معضلة بالنسبة للقوة الأمريكية المهيمنة وهو الوضع الذى وصفه عالم السياسة الأمريكى جراهام أليسون بـ«فخ ثيوسيديدس» (على غرار صعود أثينا ومنافستها لإسبرطة فى العصور القديمة) أى أن هناك قوة مهيمنة تستشعر خطورة صعود قوة أخرى مما يخلق بينهما صراعاً عسكرياً فى أغلب الحالات المشابهة على مر التاريخ.

وفى مواجهة هذا الموقف نادى الرئيس الصينى السابق هو جين تاو بنظرية الصعود السلمى للصين ومؤداها أن الصين تريد تحقيق تنميتها فى سلام وبالتوافق مع الولايات المتحدة القوة العظمى، ومن خلال تعاون القوتين يمكن تجنب الصدام بينهما.

وتؤكد الصين على أنها قوة مسئولة وتريد العمل على تحسين النظام الدولى الموجود سواء عن طريق المنظمات الموجودة فيه أو عن طريق إيجاد حوكمة رشيدة لإدارة العالم والثروات الإنسانية المشتركة.

طرح الرئيس الصينى شى جين بينغ مبادرة الحزام والطريق فى عام 2013 وتتضمن المبادرة طرقاً برية وطرقاً بحرية لربط دول طريق الحرير القديم بوسائل حديثة خاصة فى مجال البنية التحتية مثل الطرق السريعة والسكك الحديدية وأنابيب البترول والغاز وخطوط الإنترنت والكابلات البحرية والخطوط الجوية والقنوات والكبارى والموانىء والخطوط الملاحية. وبجانب هذا توفر المبادرة تمويل المشروعات والتعاون فى المجالات العلمية والثقافية مع تشجيع التصنيع. كذلك أعلنت الصين أن المبادرة تلتزم بمبادىء وأهداف ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء التعايش السلمى الخمس ومنها عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى وأنها مفتوحة لجميع دول العالم والمنظمات الإقليمية والدولية.

ويبدو أن الأهداف الرئيسية للمبادرة هى:

1 - إيجاد مجالات جديدة للاقتصاد الصينى الذى كان قد بدأ فى النمو البطيء.

2 - تسهيل حصول الصين على الطاقة وتدويل اليوان.

3 - مساعدة دول الجوار على تحقيق الاستقرار (تحقيق الأمن ضد الشرور الثلاث: الإرهاب والانفصال

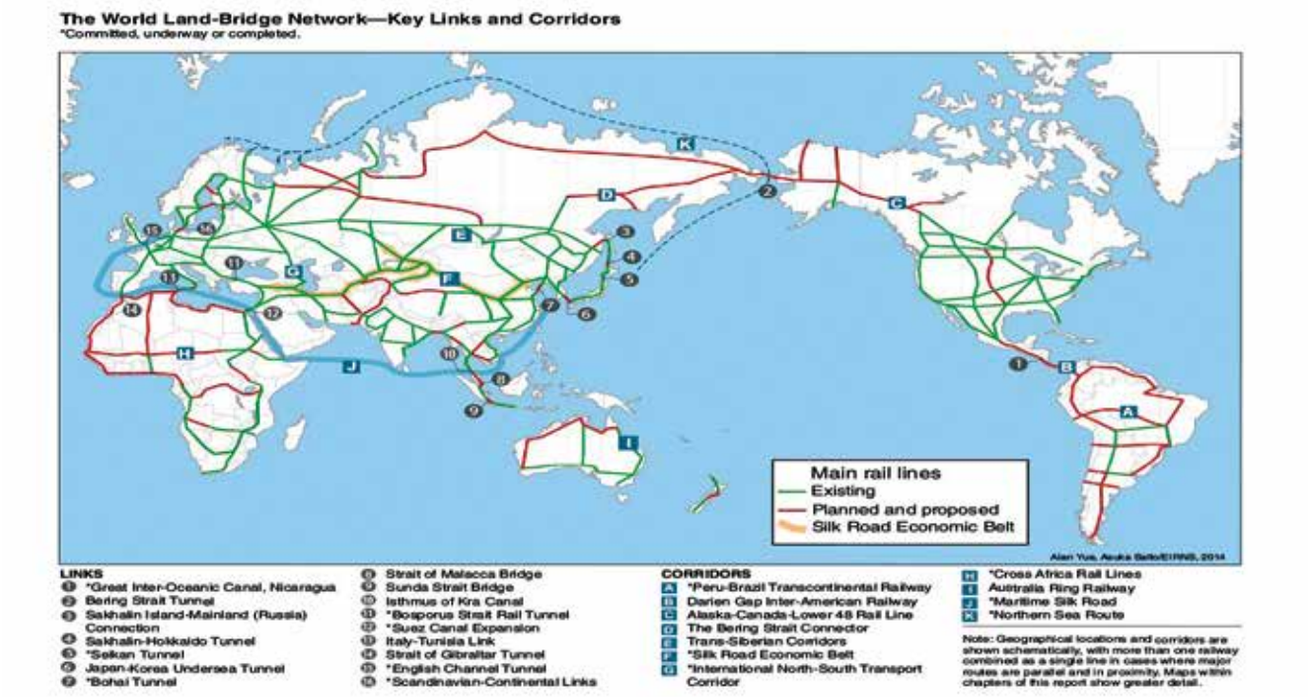

والتطرف).

ومن أهم الأسس التى تقوم عليها المبادرة اتباع قواعد اقتصاد السوق فى ظل مبدأى التعاون والكسب المشترك.

وبينما تعترض طريق الحرير البرى كثير من التحديات والعقبات الأمنية وغيرها فإن الطريق البحرى يبدو أسهل بكثير وإن كان أمامه عقبات سياسية وهو الطريق الأكثر أهمية لاقتصاد الصين ولوضعها الجيواستراتيجى.

ويمكن استنتاج أهم الفوائد التى ستعود على الصين من المبادرة فيما يلى:

1 - تنمية المناطق الغربية من الصين وربط الصين بدول آسيا الوسطى التى تشهد تنافساً على النفوذ فيها من جانب الولايات المتحدة وروسيا والهند والصين.

2 - إيجاد طرق برية وحديدية تسهل استيراد احتياجات الصين وتصدير منتجاتها وتوفير بديل عن النقل البحرى فى حال اضطرتهم الظروف إلى ذلك (مثل تعرضها لحصار بحرى) بل وفتح طرق برية إلى البحار (مثل ميناء جوادار البحرى فى باكستان) وذكر البعض فكرة حفر قناة عبر تايلاند تمكن السفن من تفادى المرور بمضيق ملقا وتقصر المسافة إلى المحيط الهندى.

3 - سيوفر الطريق البحرى المأمول نقاط (موانىء أساساً) للسفن الصينية لحماية خطوطها البحرية.

4 - تعاون الصين مع كثير من دول العالم من خلال المبادرة سوف يعلى من مكانة ونفوذ الصين.

وقد شكلت الصين وروسيا والهند والبرازيل وجنوب أفريقيا مجموعة بريكس التى تعبر عن آراء الدول الصاعدة وتهدف إلى تطوير التعاون بينها من أجل عالم متعدد الأقطاب.

ويعتبر الاتحاد الأوروبى واليابان وكوريا الجنوبية من القوى الأخرى التى يشار إلى أنها ستكون من أقطاب النظام الدولى الجديد.

ويلاحظ أن معظم القوى الصاعدة أو البازغة تقع فى شرق آسيا وهذا يعنى تزايد أهمية المحيط الهادى بالإضافة إلى المحيط الهندى المؤدى إليه. وكذلك ازدادت أهمية آسيا الوسطى (وجود قواعد عسكرية روسية وأمريكية بها) الواقعة ما بين القوى الغربية والقوى الصاعدة فى شرق آسيا (وجود قواعد عسكرية أمريكية وروسية وهندية وفرنسية وتركية..إلخ) وتتمتع المنطقتان بوفرة مصادر ومخزونات الطاقة من بترول وغاز والتى يتبارى الجميع للحصول عليها أو السيطرة عليها.

وبالنسبة للصين فإن مبادرتها تعكس امتدادها التاريخى وتراثها الثقافى وتفوقها الاقتصادى ووفرتها المالية وتقدمها العلمى والتكنولوجى ورغبتها فى مساعدة جيرانها ودول العالم الثالث على التقدم بتوفير مشروعات البنية التحتية والتكنولوجيا والمعرفة الفنية والتصنيع والتعاون فى مجالات التبادلات الشعبية والإعلامية والثقافية والفنية.

رؤية الأمم المتحدة للمبادرة الصينية

أجرت منظمة اليونسكو دراسات مفصلة تاريخية وثقافية عن طريق الحرير القديم وذلك خلال فترة التسعينات من القرن العشرين.

وفى فبراير عام 2008 أعلن برنامج الأمم المتحدة للتنمية مبادرة تضم 19 دولة لاستثمار 43 مليار دولار لإحياء طريق الحرير القديم وبعض الطرق المتصلة به والعابرة بين أوروبا وآسيا لمسافة تمتد إلى 7 آلاف كيلومتر.

تحدث السيد أنطونيو جوتيرش أمين عام الأمم المتحدة فى قمة منتدى الحزام والطريق فى مايو 2007 بالصين فذكر أن مبادرة الحزام والطريق تشترك مع أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر فى «رؤية عالمية للتنمية» وأن كليهما يعمل على

رؤية عالمية لطريق الحرير

خلق الفـــرص وتوفير المطالب العالمية والتعاون للكسب المشترك وأن كليهما يهـــدف إلى تعميق التواصل عبر البلاد والأقاليم والتواصـــل فى البنى التحتية والتجارة والمال والسياسات وأهم من هذا كله التواصل بين الشعوب. وامتدح المبـــادرة لقدرتها الهائلـــة على فتح الأسواق واتســـاعها الجغرافى وطموح أهدافها.

يتضح من هذا أن الأمم المتحدة تؤيد المبادرة الصينيـــة لأنها تزيد التعاون الدولى وتخلق فرصاً اقتصادية جديدة خاصة أمام الـــدول النامية وعلى أمل تخفيف بعض المشـــاكل الإقليمية عن طريق التعاون الاقتصادى وتقوم على إحياء ترابط تاريخى عابر للحضارات بما ينقـــض نظرية صراع الحضارات التـــى نادى بهـــا المفكـــر الأمريكى صامويل هنتنجتون لأن مبادرة الحزام والطريـــق تقوم على أســـاس تواصل وترابـــط الحضارات والتـــى بلورتها الصين فى سياســـتها بمصطلح «بناء مصير إنسانى مشترك».

رؤية الولايات المتحدة للمبادرة الصينية

طرح السياسى والكاتب الأمريكى ليندون لاروش فى عـــام 1992 فكرة إيجاد «الجسر الأرضى الأوراسى» ليصل أوروبا بآسيا، ويقول البعض إن هذه الفكرة هى إحدى الأفكار الرئيســـية المؤديـــة إلى مبادرة طريـــق الحرير الجديد حيث إن هدف الصين الأساسى منهـــا هو ربطهـــا بأوروبا عبر طرق حديثة وسريعة ومتطورة.

وفى عام 2011 عرضت الســـيدة هيـــلارى كلينتون وزيـــرة خارجية الولايات المتحدة حينئذ فى كلمة لها فى تشـــينداى فى الهند عن مبادرة طريق الحرير الأمريكية، وكان لديها هدفان أولهما ملء الفـــراغ الاقتصادى الذى سيتركه انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، وثانيهما توفير طرق بديلة للطرق التقليديـــة التى ربطت تجارة وسط آسيا بالاتحاد السوفييتى السابق ثم بروسيا بعد ذلك.

ولكن المبـــادرة لـــم تتوافر لها الاستثمارات، وكانت الفكرة الرئيسية عن الطرق الجديدة أن تصل شـــمال آســـيا بجنوبها بخطـــين: الأول خط أنابيـــب غاز مـــن تركمانســـتان إلى جنوب آســـيا وقـــدرت تكلفته حينئذ بـ11 مليـــار دولار، والثانى خط نقل للطاقة الكهربائية من قرغيزســـتان وطاجيكستان إلى باكستان.

وفى دراســـات لمجلة «الشـــئون الخارجية الأمريكية» أشـــارت إلى أنه يجب على الغرب منـــع تنفيذ مبادرة طريق الحرير الجديد الصينية (الحزام والطريق) لأنها سوف تزيد من مكانة الصين فى النظام العالمى.

وتدل تصرفـــات الولايات المتحدة على خشـــيتها من تأثير هذه المبادرة، فقد حاولت إثناء الدول الأوروبية عن الانضمام إلى البنك الآســـيوى للبنية التحتية الذى أنشأته الصين خصيصاً لتمويل مبادرتها.

واقتصر تمثيل الولايات المتحدة فى قمة منتدى طريق الحرير ببكين خلال مايو 2017 على حضور الســـيد مات بوتينجر مستشار الرئاسة الأمريكية.

وقد طرحـــت الولايـــات المتحدة مشروعين لربطها بحلفائها ومواجهة المبـــادرة الصينية وهمـــا: «الشراكة عبر الأطلنطـــى» و«الشراكة التجارية والاســـتثمارية عـــبر الباســـيفيك». الأول يربطها بالـــدول الأوروبية عبر الأطلنطى، والثانـــى يربطها بالدول الآسيوية عبر المحيط الهادى (ولم تدع الصين إلى الانضمام).

ويرى محللون أمريكيون أنه يمكن للولايات المتحدة أن تشترك فى المبادرة الصينية دون خشية للأسباب الآتية:

1 - بعد مجال المبـــادرة الصينية جغرافيا عن الولايات المتحدة.

2 - يمكـــن للمشروعات الأمريكية الاســـتفادة من الفرص التى تتيحها المبادرة لأمريكا وفى باقى أنحاء العالم.

3 - يمكـــن أن تتحســـن علاقات البلدين بالمشـــاركة الأمريكية، وبهذا أيضا يمكـــن للولايات المتحدة «رصد» المبادرة وتطوراتها.

فى حديث فى شـــهر أكتوبر 2017 أمام لجنة خدمات التســـلح بمجلس الشـــيوخ الأمريكى ذكر وزير الدفاع الأمريكـــى جيمس ماتيـــس «فى عالم تسوده العولمة، هناك كثير من الأحزمة والطرق، ولا يجب أن تقوم دولة واحدة بإملاء حزام واحد وطريق واحد».

كما ذكر وزير الخارجية الأمريكى ريكس تيلرسون فى أكتوبر 2017 أيضاً «إن كثيراً مـــن دول المحيطين الهندى والهادى ليـــس أمامهـــا إلا خيارات محدودة فى مجال برامج الاســـتثمار وخطـــط التمويل للبنيـــة التحتية». وأضاف «إن الولايات المتحدة ســـوف تسعى إلى أن تتوسع فى آليات وأدوات

مالية إقليمية شفافة وعلى مستوى عال لتساعد الدول بدلاً من إثقالها بديون متراكمة».

وقد اشتركت الولايات المتحدة مع اليابان فى شهر نوفمبر 2017 فى إطلاق مبادرتين لمواجهة تأثيرات مبادرة حزام واحد وطريق واحد الصينية.

الرؤية الأوروبية للمبادرة الصينية

شـــاركت الدول الأوروبية ومنها انجلترا وفرنســـا وإيطاليا وألمانيا فى إنشاء البنك الآســـيوى للبنية التحتية وكذلك فى تنفيذ مشروعات بالاشـــتراك مع الصـــين وتم بالفعـــل ربط لندن بمدينة اى او الصينية بخط ســـكك حديدية وأيضا ربـــط ميناء دويزبرج الداخـــلى الألمانى بالصـــين. وهناك مشروعات أخرى جـــارى تنفيذها مع دول أوروبا الشرقية عبر اليونان.

وتهتم الدول الأوروبية بما توفره المبادرة الصينية مـــن أموال ضخمة للاســـتثمار، كما تنظر إلى مشـــاركة الـــشركات الأوروبيـــة فى مشروعات المبادرة خاصة فى العالم الثالث.

وفى نفس الوقـــت فإن هذه الدول مدركة أنها تقوم باختيار المشروعات المفيـــدة لها وبالتالى يتزايـــد تبادلها التجارى مـــع الصـــين وصادراتها لاحتياجات المشروعات المنفذة فى العالم الثالـــث، كما أن تعاونهـــا الأكبر مع الصين هو فى المجال الاقتصادى مع قلة التبادل الثقافى الذى هو أحد المجالات المهمة فى المبادرة الصينية.

ولم تطـــرح الدول الأوروبية حتى الآن مبادرات كبرى بديلـــة للمبادرة الصينية لأنها مستفيدة منها..

روسيا والمبادرة الصينية

فى مايو 2014 وقع رؤساء روسيا وبيلاروســـيا وكازاخســـتان اتفاقية إقامة الاتحاد الاقتصادى الأوراسى بين الدول الثلاث بهـــدف تحقيق التكامل الاقتصـــادى بينها، وتشـــكل الدول الثلاث سوقاً تعداده 180 مليون نسمة ومجمـــوع الناتج القومى الإجمالى لها

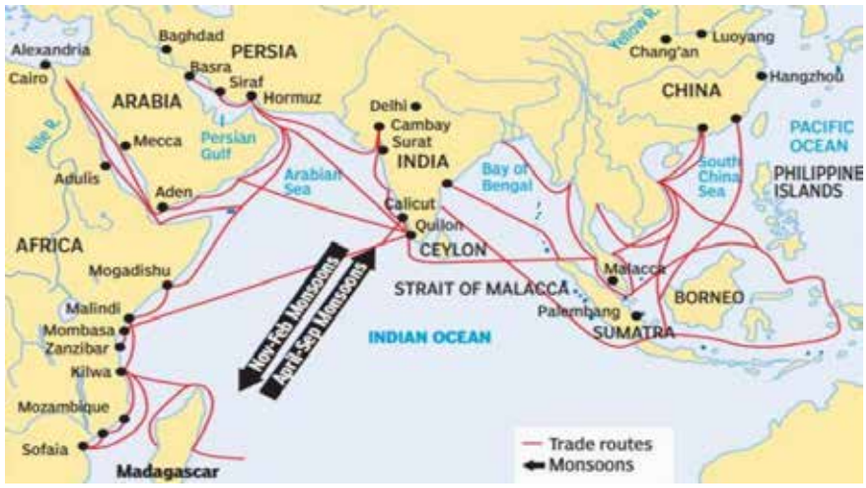

4 تريليونـــات دولار، وأعلن الرئيس الـــروسى فلاديمير بوتـــين أن الاتحاد مفتوح لكافة دول الاتحاد السوفييتى السابق (ما عدا دول البلطيق الثلاث).

وينظر الغرب إلى هذا الاتحاد على أنه محاولة لإعادة دول وسط آسيا إلى نفوذ روسيا.

وافتتحـــت إيـــران وأذربيجان فى مـــارس 2017 خط ســـكك حديدية بينهمـــا طوله 10 كيلومـــترات وهو جزء من مشروع «ممـــر النقل الدولى بين الشـــمال والجنـــوب» الذى أطلق عـــام2000. وباســـتكمال هذا الممر سوف يفتح لروســـيا مخرجاً بحرياً وتجاريا على الخليج العربى بما يسمح بالتغلب على العقوبات الاقتصادية التى يفرضها الغرب عليها، بالإضافة إلى أنه ســـوف يجعل من أذربيجان وإيران مركزين للنقل بين آسيا وأوروبا.

وســـوف تزداد فعالية وإمكانيات ممر النقل الدولى بتنفيذ مبادرة الحزام والطريق لأن الممر عبارة عن بنية تحتية فى المواصـــلات ويتكون من طرق برية وسكك حديدية ونقل بحرى على امتداد 7200 كيلومتر تربط روسيا بالمحيط الهندى (ميناء تشـــابهار الإيرانى على خليج عمان).

وتتعاون روسيا مع الصين فى بعض مشروعات الحزام والطريق خاصة فى مد طريق سكك حديدية بين موسكو وبكين.

بل البعض يفكـــر فى أن ينفذ خط سكك حديدية بين برنج والاسكا عبرة ممر مضيـــق برنج من خـــلال هذه المبادرة.

ويلاحظ حساســـية روســـيا إزاء منطقة آسيا الوســـطى وخشيتها من امتداد نفوذ القوى الأخرى فيها.

اليابان والمبادرة الصينية

فى مايو 2015 أعلن السيد شينزو ابيه رئيـــس وزراء اليابـــان مبادرة «الشراكة للبنية التحتية عالية الجودة» الموجهـــة إلى دول جنوب شرق آســـيا وخصصت اليابـــان مبلغ 200 مليار دولار لاســـتثمارها فى المبادرة خلال خمس ســـنوات. وبموجـــب المبادرة تصدر اليابان نظام بنية تحتية متكامل وحديث وذى جودة عالية وتشترك فيه الشركات الخاصـــة اليابانية بالتعاون مع الدول والهيئات الدولية.

ورغم أن الهدف المعلن من المبادرة اليابانيـــة إلا أنه مـــن الواضح أنها مطروحة كبديل للمبـــادرة الصينية فى منطقـــة جنوب شرق آســـيا فهى لم تشـــارك فى إنشـــاء البنك الآسيوى للبنية التحتية أو الاجتماعات الخاصة بالمبادرة الصينية.

وأثناء جولة الرئيـــس الأمريكى دونالد ترامب الآســـيوية زار اليابان يـــوم 5 نوفمبر 2017 وتـــم الإعلان عـــن توقيـــع اتفاقيتين بـــين هيئة الاستثمارات الخاصة فيما وراء البحار وبين وكالة التنميـــة المالية الحكومية الأمريكيـــة وشركاء يابانيين «لتقديم استثمارات يابانية بديلة عالية الجودة

فى مجـــال البنية التحتيـــة فى الإقليم الهندوباسيفيكى» (منطقة المحيطين الهندى والهادى).

كمـــا وقعت اتفاقيـــات أخرى فى إطار مبـــادرة «الشراكـــة الأمريكية اليابانية فى مجال الطاقة الاستراتيجية لتســـهيل الحصول على طاقة أساسية بأسعار مقبولة فى مناطق جنوب شرق آسيا وجنوب آســـيا وأفريقيا وجنوب الصحراء».

ويلاحـــظ مـــن عناويـــن هذه الاتفاقيات أنها متأثرة بالآراء السائدة فى الغرب بأن المبادرة الصينية ستؤدى إلى تكبيل الـــدول بالديون، وأن البنية التحتية التى ســـتقيمها الصين ليست ذات نوعية عالية، وأن تطبيق المبادرة يســـوده الغموض وعدم الشفافية فى الإجراءات، وأن كل هذه المآخذ ســـوف تتغلب عليهـــا المبـــادرات الأمريكية اليابانية المشتركة الجديدة.

الهند والمبادرة الصينية

يرى البعض أن هنـــاك نظامين يظهران فى شرق آسيا، أحدهما الصين باقتصادها الذى تتحكم فيه الحكومة، والآخر كتلة تقودهـــا اليابان والهند وهى ذات اقتصاد سوق حر وتنافسى.

ويرجع موقـــف الهند الحذر من مبادرة الحـــزام والطريق إلى بعض المشاكل العالقة بين البلدين. وتتخوف الهند مـــن الممر المقترح فى المبادرة بين الصين وباكســـتان لأنـــه قريب جداً مـــن أراض متنازع عليهـــا بين الهند والصين. وبالفعـــل حدثت مواجهة فى شـــهر أغســـطس 2017 بين حراس الحـــدود فى الجانبين فى هضبة دوكلام بسبب تشييد الصين لطريق بالمنطقة ضمن الممر الصينى الباكســـتانى وقد استطاع الجانبان احتواءها.

أطلقـــت الهنـــد مبادرة باســـم «موسم» فى اجتماع لجنة التراث العالمى لليونســـكو فى اجتماعها بالدوحة فى يونيو 2014. والمبادرة ثقافية فى المقام الأول ويشير اسمها إلى الرياح الموسمية التى كان التجـــار والبحارة يبحرون بمساعدتها فى المواســـم المختلفة بين إندونيسيا والهند وشرق أفريقيا.

وتهدف المبادرة إلى دراســـة عالم المحيط الهندى مـــن النواحى الأثرية والتاريخيـــة والثقافيـــة والاجتماعية والجغرافية والطرق البحرية والتفاعل بين شرق أفريقيـــا والجزيرة العربية وشـــبه القارة الهنديـــة وسريلانكا وأرخبيل جنوب شرق آسيا.

ويلاحظ هنا:

1 - أن الهند تنفى أن تكون المبادرة فى مواجهة مبـــادرة الحزام والطريق الصينية.

2 - أن مبـــادرة الحزام والطريق الصينية أمكـــن تنفيذهـــا بناء على دراســـات أثرية وتاريخيـــة وثقافية قامت بها اليونسكو فى التسعينيات من القرن العشرين لطريق الحرير القديم، أى أن مبـــادرة «موســـم» يمكن أن تكون أساساً لمبادرة هندية اقتصادية فى المســـتقبل عندما تتوافر الظروف المناسبة والإمكانيات.

3 - أن الهند لا تتوافر لها رؤوس أموال ضخمة للاســـتثمار فى الخارج، ولكن يمكنها توفيرهـــا بالتعاون مع إحدى أو بعض القـــوى الاقتصادية الأخرى.

وبرغم تعاون الهند ومشـــاركتها الصين فى عدد من التجمعات والمنظمات الإقليمية مثل أبك ومنظمة شـــنغهاى للتعاون ومجموعة بريكس إلا أنه من الواضح من خلال تعليقات الساســـة والإعلام الهندى أن هناك عدم ارتياح للشـــق الخاص بالمبادرة الصينية فى خلق الطريـــق البحرى الجديد بصفة خاصة وقيام الصين فى إطاره بتطوير عدة موانىء فى المحيـــط الهندى مثل ميناء «همبانتوتا» فى سريلانكا وميناء «جوادار» فى باكستان.

وقد أطلقت الهند واليابان مبادرة مشتركة باسم «ممر التنمية الآسيوى الأفريقـــى» لتحقيق التكامل بين دول جنوب آسيا وشرق آســـيا والمحيطين الهنـــدى والهادى وأفريقيـــا» وبناء إقليم حر ومنفتح على بعضه. لم يعلن البلدان عن وسائل التمويل ويبدو أن تمويـــل هذه المبادرة ســـيتم فى إطار المبادرة اليابانية للبنية التحتية.

وتســـتمر الهند فى نفس الوقت فى التعاون فى إطار مبادرة «الممر الدولى الشـــمالى الجنوبى» بهـــدف توصيل وربط شواطىء الهند الغربية بمدينة سانت بطرسبورج الروسية شمالًا.

وقد انتهت الهند من المرحلة الأولى لتطويـــر ميناء «تشـــاهبار» الإيرانى الواقـــع على المحيط الهنـــدى (خليج عمان).

ومن الواضـــح أنه مـــع ازدياد أهمية المحيـــط الهنـــدى فى التجارة والاســـتراتيجية العالمية فـــإن أهمية البحر الأحمر وقناة السويس تتزايدان مما يفرض تفكير دول البحر الأحمر فى إيجاد نوع مـــن التنظيم والتعاون الوثيق بينها.

كيف يرى باقى العالم المبادرة الصينية

يمكن تلخيص ما ورد بشأن كيف يرى العالم مبـــادرة الحزام والطريق الصينيـــة ومن خلال ما ســـبق ذكره بمقالات طريـــق الحرير رؤية مصرية ورؤية عربية ورؤية أفريقية والمنشورة سابقاً بمجلة «الدبلوماسى» فيما يلى:

1 - نظراً لجيرتها المباشرة للصين ترى دول جنوب شرق آســـيا ووسط آســـيا وجنوبها (ماعـــدا الهند) أن المبادرة مفيدة لها حيـــث تفتقر كل هذه المناطق بشدة إلى بنية تحتية قوية بسبب عدم توافر الاستثمارات خاصة الحكومية لتمويـــل بنائها، كما توفر الصين التكنولوجيا اللازمة بمبادرتها.

وتشـــارك معظم هـــذه الدول فى المبادرة الصينية، وتدرك أن الصين هى الوحيدة بين القوى الكبرى المتنافســـة التى أعلنت وخصصت اســـتثمارات

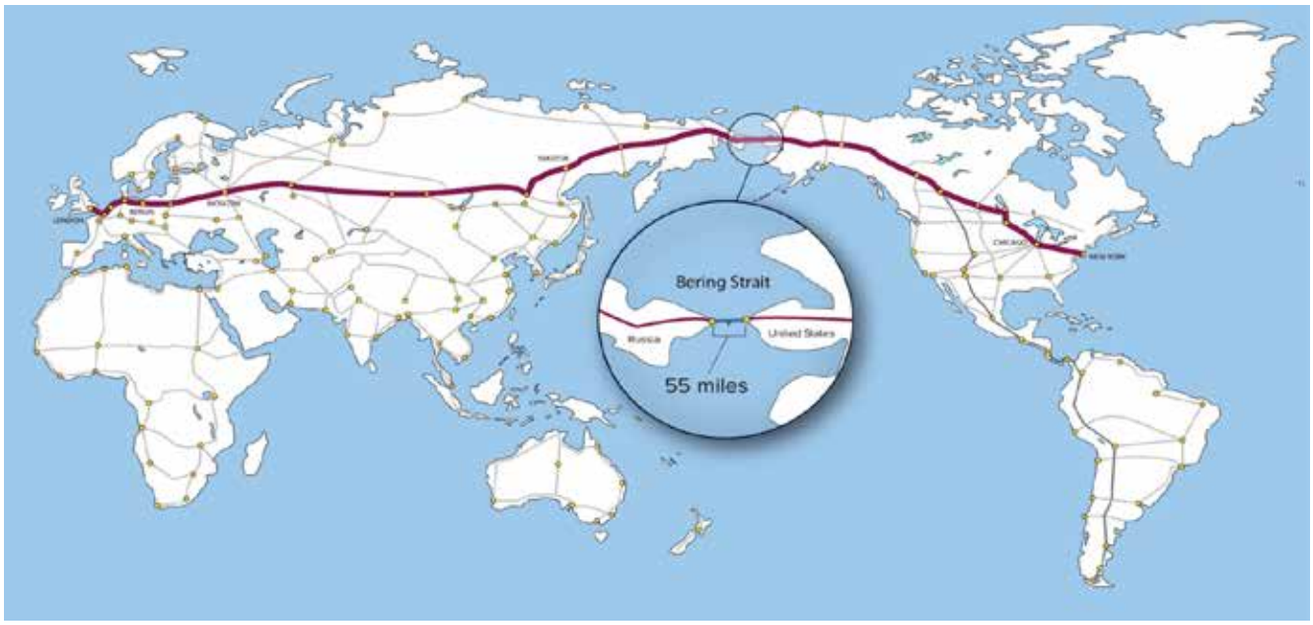

كبرى لاستخدامها فى بناء البنية التحتية فى الدول الأخرى.

2 - أمـــا دول أوروبـــا الشرقية والغربية فتعلن اختلاف قيمها ونظمها عن النظام الصينى، ومع ذلك تشارك فى المبادرة سواء فى عضوية البنك الآسيوى للبنية التحتيـــة أو فى عدة مشروعات كبيرة تم بالفعل إنجاز بعضها.

وترى هذه المجموعة الاستفادة من الإمكانيات المالية التى توفرها والفرص التى تتيحها للمشاركة فى مشروعات فى دول ثالثة.

3 - ورحبت دول الشرق الأوســـط والـــدول الأفريقيـــة ودول أمريـــكا اللاتينية بالمبادرة الصينية رغم بعدها عن المجال الجغرافى للمبادرة وتبحث عن الاستفادة من المبادرة خاصة من خلال الشـــق الخاص بطريق الحرير البحرى الجديد. وتـــم بالفعل إنجاز بعض المشروعات فى هذه المناطق.

ويســـاعد على هـــذا التوجه إيمان معظـــم دول العالم الثالث بأن النظام العالمى يتجه إلى التعددية القطبية.

خاتمة:

1 - أثارت مبـــادرة الصين طريق واحـــد وحـــزام واحد - رغـــم أنها مبـــادرة اقتصاديـــة فى المقام الأول - مخاوف قوى أخرى فسرتها على أنها محاولة لتوســـيع النفوذ وأن أهدافها جيواستراتيجية.

2 - كرد فعل أطلقت معظم القوى الصاعدة بالإضافة إلى الولايات المتحدة مبادرات هدفـــت منها إلى الوصول إلى أكبر عدد من الـــدول فى نفس المناطق التى تمتد إليها مبادرة الحزام والطريق وهى المبـــادرة الوحيدة التى تصل إلى مصر حتى الآن.

ويلاحظ هنا اشتراك هذه المبادرات فى التوجه إلى جنوب شرق آسيا وجنوب آســـيا خاصة، وبعضها أشار إلى آسيا الوسطى.

3-وهكـــذا يمكن القول أنه بفضل المبادرة الصينية أصبح لدينا فى العالم الثالث عدة مبادرات اقتصادية سخية ومفيدة يمكن لنا الاختيار منها كل بما يعتقد أنه مناسب لظروفه، والاستفادة من توافـــر التمويل لـــدى أصحاب المبادرات.

4- وإذا قارنا المبادرات المطروحة ســـنجد أن المبادرة الصينية نطاقها الجغرافى أوسع ومواردها المالية أوفر وأنها أكثر جاذبية لدول العالم الثالث باختلاف نظمها لأنها بجانب التمويل توفر نقل التكنولوجيا وتعرض تصنيع أفريقيا بالإضافـــة إلى أن بها مكونات مالية وثقافية وإعلامية وشعبية تحتاج إليهاهذه الدول.

5 - ولا شـــك أن هـــذه المبادرات بتركيزها على البنية التحتية فى معظمها ســـوف تؤدى - رغم تنافســـها - إلى استفادة بعضها من بعض ولو بطريقة غير مباشرة، وسينتهى الأمر بتكاملها بما يؤدى إلى نمو اقتصادى عالمى قوى فى المستقبل يرفع فيه ملايين البشر من حالة الفقر، وســـوف يستفيد الجميع أثناء هذه العملية ســـواء دول متقدمة أو نامية.

هـــذا الاســـتكمال أو التكامل فى الجهود ســـوف يـــؤدى إلى مزيد من التعاون وربما التنســـيق بين الدول الكبرى حرصـــاً على اســـتثماراتها وحرصاً على ما حققتـــه من رفاهية لشعوبها.

6 - وبالطبـــع لا يعنـــى كل هذا اختفاء الصراع السياسى ولكن ما سبق يخفف كثيراً من تلك النزاعات ويقلل من احتمالات الصدام المســـلح خاصة مع تزايد التشابك الاقتصادى التعاون الدولى.

وبجانب الاســـتفادة من المبادرة الصينية يجـــب علينا دراســـة كافة المبـــادرات المطروحة لنســـتفيد منها وتســـتفيد الشركات المصرية سواء من الاستثمارات أو التجارة أو التكنولوجيا أو المعرفة العلميـــة والعملية ولو من خلال المشروعـــات التى ســـتنفذها مختلف المبادرات فى دول ثالثة.

أندونيسيا.. صداقة تاريخية وتعاون لبناء المستقبل

أندونيسيا: تعد أكبر أرخبيل فى العالم، وتقع فى جنوب شرق آسيا، حيث تبلغ مساحتها ما يقرب من 2 مليون كم2، ومكونة من 17 ألف جزيرة. يحدث بها العديد من البراكين والزلازل نظراً لوقوعها عند تقاطع أوراسيا والصفائح التكتونية الهندية الأسترالية، وما خلفته واقعة تسونامى من 170ألف متوفى.

ومن حيث السكان بها ما يقرب من 300 مجموعة عرقية و700 لهجة، ويرتكز معظم سكانها فى جزيرة جاوة والتى توجد بها العاصمة جاكرتا. وتعتبر أكبر دولة ذات أغلبية إسلامية حيث يبلغ تعداد المسلمين بها 210 ملايين نسمة أى ما يمثل ما يقرب من 90٪ من السكان ويعتبر أتباع المذهب الشافعى الأغلب بين المذاهب الأخرى والمتمثلة بالحنفية والمالكية والحنبلية والشيعة بفرقتيهما (الزيدية والعلوية) وبعض الطرق الصوفية، مع مجموعة من الأقليات المسيحية والبوذية والهندوسية والكاثوليكية والبروتستانتية والكنفوشيوسية والهندوسية، وينص دستورها على احترام التنوع الإثنى والدينى وفقاً لمبدأ البانشاسيلا الذى يؤمن بالتنوع العرقى والدينى والامتداد الجغرافى لأندونيسيا (تقوم البانشاسيلا على خمسة مبادئ، وهى نقاط تفاهم بين جميع الطوائف: الإيمان بالله الواحد الأحد، القومية، الديمقراطية، الإنسانية العادلة المهذبة، العدالة الاجتماعية).

وتم انتخاب الرئيس «جوكو ويدودو» فى أكتوبر 2014، ويعتبر الرئيس السابع فى تاريخ أندونيسيا بعد سوكارنو، سوهارتو، يوسف حبيبى (1998-1999)، عبد الرحمن واحد (1999-2000)، ميجاواتى سوكارنو (2001-2004) وسوسيليو بابانج يودهونو (2004-2014)، كما يعتبر الرئيس الأندونيسى أول رئيس خارج الطبقة

سفير عمرو معوض

السياسية التى حكمت البلاد طوال الفترتين الماضيتين.

تتكون السلطة التشريعية من مجلسين تشريعيي

ن: مجلس النواب والذى يبلغ عدد أعضائه 560 عضوا وتكون مهامه سن القوانين والتشريعات والموافقة على القرارات الحكومية، مجلس الأقاليم ويتم انتخاب 4 أعضاء من 34 محافظة بأندونيسيا أى بإجمالى 136 عضواً، ويمكن اجتماع المجلسين معاً فى مجلس الشعب الاستشارى فى الموضوعات الضرورية والتى تمس أمن البلاد.

يتواجد على الساحة الإندونيسية العديد من الأحزاب السياسية، تفرع عدد كبير منها من الحزب الحاكم ومنها حزب المجموعة الوطنية (جولكار) والحزب الديمقراطى، ووصل عددها إلى 10 أحزاب بالإضافة إلى حزب العدالة والرفاهة المزدهرة الذى يتعاطف مع الجماعة الإرهابية «الإخوان»، هذا بالإضافة إلى وجود أكبر جمعيتين إسلاميتين فى أندونيسيا وهما نهضة العلماء والمحمدية وتضم فى عضويتها أغلب الإندونيسيين من المسلمين وتربطهما علاقات وثيقة مع الأزهر الشريف كما تدعم الجمعيتان الطلبة الإندونيسيين الذين يدرسون فى الأزهر الشريف مادياً ومعنوياً.

أعلن الرئيس «جوكو ويدودو» عن تشكيل الحكومة برئاسته مكونة من ائتلاف لخمسة أحزاب ولهم 247 مقعداً بالبرلمان وهما حزب النضال الديمقراطى الإندونيسى، حزب الصحوة الوطنية، حزب ضمير الشعب، حزب التنمية المتحد والحزب الوطنى الديمقراطى، حيث تكونت من 34 وزيراً.

حاول الرئيس الإندونيسى خلال الفترة الماضية توسيع ائتلافه الحكومى بإدخال أحزاب مؤيدة له تمهيداً لتشكيل حكومة عريضة تتكون من أغلبية الأحزاب، ونجح فى توسيع الأحزاب المؤيدة له فى البرلمان حيث حصل على تأييد 8 أحزاب من أصل 10 أحزاب بالبرلمان، وأعلن عن تشكيل حكومة جديدة فى 27 يوليو 2016 حصلت فيها الأحزاب المنضمة للائتلاف على مناصب فى الوزارة الجديدة.

ساهمت التفجيرات الإرهابية التى حدثت فى جاكرتا فى منتصف يناير 2016 فى زيادة الاصطفاف لحد كبير حول الرئيس الإندونيسى من قبل الأحزاب والمفكرين والمثقفين الإندونيسيين بعد أن ازدادت درجات عدم الرضا عن أدائه فى الفترة التى سبقت التفجيرات، وذلك وفقاً للمؤشرات التالية:

- خلقت وعياً جديداً حول المخاطر الناجمة من انتشار الفكر المتطرف

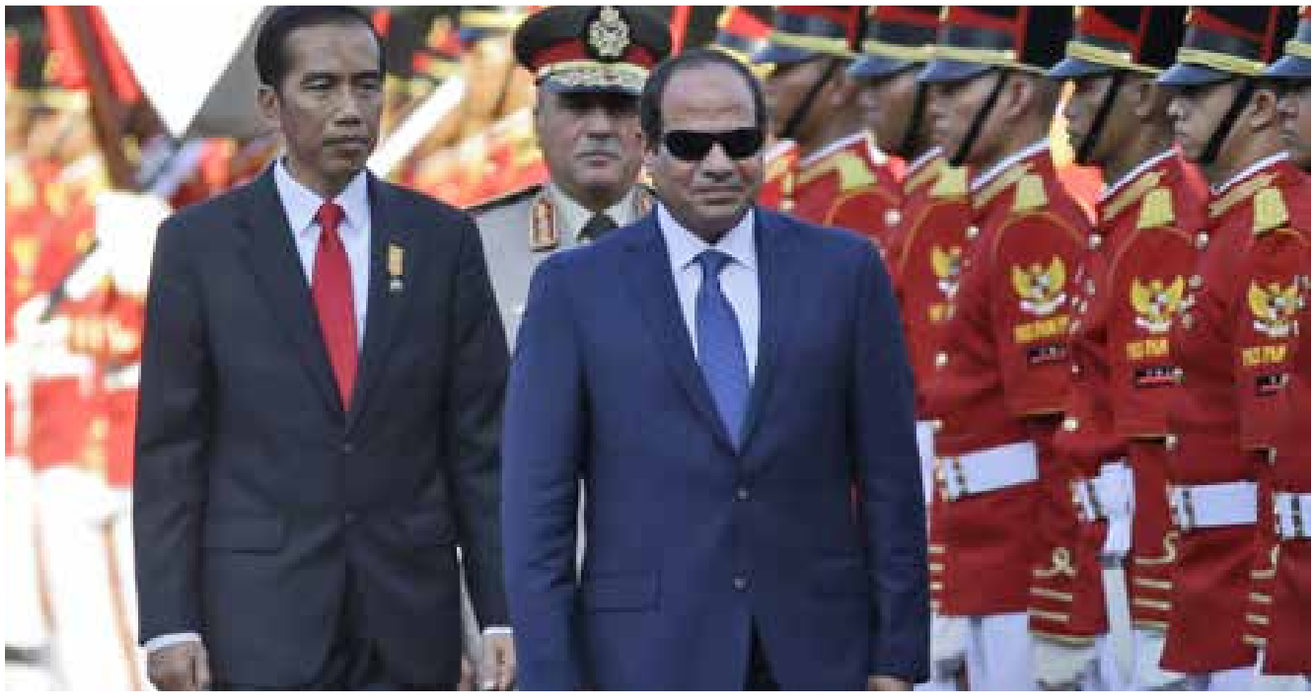

استقبال جاكرتا للرئيس السيسى

والإرهابى وضرورة تغيير سبل مواجهته والتعامل معه على المستوى الحكومى، وداخل الجمعيات الدينية والمؤسسات الأمنية المختلفة.

- إظهار النقص فى التعاون والتوافق بين المؤسسات الأمنية المختلفة حول طبيعة دورهم فى المرحلة القادمة وذلك خلال اجتماعاتهم المختلفة من أجل تعديل قانون مكافحة الإرهاب، وهو الأمر الذى استغله الرئيس الإندونيسى لصالحه لكى يقوى صورته داخلياً حيث حرص على الظهور بأنه المنسق والوسيط بين تلك الأجهزة المتصارعة فيما بينها.

الأوضاع الاقتصادية:

تسلم الرئيس الإندونيسى «ويدودو» البلاد وكانت معدلات النمو الاقتصادية تقارب الـ6٪، وذلك اعتماداً على العوامل الثلاث التالية: زيادة قيمة الصادرات الأولية لإندونيسيا، حجم السوق الضخم لإندونيسيا، بالإضافة إلى استمرار ارتفاع متوسط دخل الفرد (من 5400 دولار بسقوط سوهارتو فى عام 1998 إلى 9300 دولار فى عام 2013)، وارتفاع حجم الطبقتين العليا والمتوسطة من السكان ذات القوة الشرائية العالية (74 مليون نسمة فى عام 2013 ومن المتوقع أن تصل إلى 141 مليون نسمة فى عام 2020 أى 53 ٪ من السكان).

تستمر الحكومة الإندونيسية فى تطبيق سياساتها الاقتصادية الإصلاحية حيث أعلنت عن برنامج اقتصادى متكامل تم تطبيقه على 13 مرحلة وهدف إلى تحرير الاقتصاد وجذب الاستثمار الأجنبى فى مجالات لم تكن مفتوحة قبل ذلك للاستثمار الأجنبى المباشر بهدف التغلب على السياسات الانغلاقية التى كانت موجودة قبل ذلك لتفادى آثار الأزمة المالية الآسيوية فى عام 2008. وتأثر الوضع الحالى بعدة عوامل محيطة تمثلت فى:

الإجراءات المالية التى اتخذتها اليابان مؤخراً وإعلان البنك المركزى اليابانى مؤخرا عن تطبيق معدلات فائدة سلبية. وانخفاض معدلات النمو بالاقتصاد الصينى واحتمال انخفاض أسعار عملة اليوان الصينية، وانخفاض حجم الاحتياطى من العملات الأجنبية فى المرحلة الأخيرة نظراً للقيام باستخدام بعض الموارد لتسديد بعض الديون. فضلاً عن انخفاض إيرادات الدولة من البترول نظراً لانخفاض أسعار البترول العالمية وأثر ذلك على تخفيض البنود المختلفة بالميزانية، واحتمال تأثر الصكوك الإندونيسية بهذا. وتحاول الحكومة الإندونيسية الخروج من هذه الآثار الركودية والتغلب عليها من خلال توصيتها الموجهة للبنك المركزى الإندونيسى لتخفيض سعر الفائدة للمرة الثالثة على التوالى، كذلك زودت أيضاً حجم برنامج الإقراض متناهى الصغر، حتى تحدث تلك المتغيرات حراكاً يساهم فى تحقيق طفرة فى الصادرات الإندونيسية.

ويتواكب ذلك مع استمرار الصعوبات اللوجيستية والروتينية والبيروقراطية بالعديد من مشروعات البنية الأساسية التى وعد بتنفيذها الرئيس الإندونيسى فى بداية مهامه الانتخابية.

سياسة إندونيسيا الخارجية:

تلتزم إندونيسيا بعدم الدخول فى أى أحلاف دولية، والحفاظ على حيادية مواقفها المتزنة دائماً باعتبار الدولة التى تحرص على إقامة علاقة ودية ومتزنة وتاريخية مع جميع الدول، فهى لديها علاقات متشعبة وجيدة مع كل من إيران والسعودية.

كما تحرص جميع الدول الإسلامية (تركيا- إيران-

الزعماء تيتو وسوكارنو وناصر ونكروما ونهرو

أندونيسيا.. صداقة تاريخية وتعاون لبناء المستقبل

السعودية) على تكثيف علاقتها معها فى الفترة الأخيرة إلا أننا نلاحظ أنه على الرغم من الحفاوة التقليدية التى يتم استقبال مسئولى تلك الدول بها، يسعى الجانب الإندونيسى دائماً إلى الاهتمام بتحقيق مصالحه الاقتصادية والاجتماعية من خلال الاستفادة من المشروعات الخيرية فى مجال الصحة والتعليم التى تقدمها تلك الدول الثلاث دون أن يتبع ذلك تأثير على قرارات إندونيسيا السياسية داخل المحافل الدولية (الأمم المتحدة أو منظمة التعاون الإسلامى) وفقاً للمؤشرات التالية:

- فهى من الدول التى مازالت لديها سفارة بدمشق، ولديها سياسة تجاه اليمن مختلفة عن السعودية نظراً لوجود جالية يمنية مؤثرة جاءت من حضرموت واستقرت بالبلاد ولها دور تاريخى فى البلاد.

- كانت من الدول التى رحبت بتوصل إيران لاتفاق مع الدول دائمة العضوية بمجلس الأمن+1 واعتبرته نموذجاً لحل النزاعات بالطرق السلمية وتبنت مبادرة خلال القمة الأفريقية الآسيوية بالتنسيق مع منظمة التعاون الإسلامى مؤخرا لتقليل التوترات داخل العالم الإسلامى.

- أنها من ضمن الدول التى ليس لديها علاقات رسمية مع إسرائيل إلا أنها تستقبل فى ذات الوقت العديد من المثقفين اليهود للحوار مع نظرائهم الفلسطينيين والعرب، وتطالب بعدم التركيز على البعد الدينى فى الصراع بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل على الرغم من تواجد الجماعات الإسلامية المتطرفة بأراضيها.

- كذلك تحرص الدول التى تتواجد بها أكبر جاليات إسلامية (ألمانيا- المملكة المتحدة- أستراليا- الولايات المتحدة الأمريكية) خلال الفترة الأخيرة على توثيق علاقتها وبخاصة الأمنية معها بشكل أكبر، وذلك لاستلهام نموذجها فى التعايش السلمى بين مختلف الإثنيات والديانات، حيث يتفاخر المسئولون الإندونيسيون حالياً بأن الإسلام فى إندونيسيا يتميز بالصفات الوسطية التالية: الحرص على التعايش مع الآخر، وتطبيقه للشافعية وليس الحنبلية السلفية، وإيمانه بالصوفية الغزالية، مما يجعله يتسم باللاعنف والسلمية نظراً لكونه إسلاماً «أزهرياً» منفتحاً على العالم وهو من ضمن الأهداف التى تم الاتفاق عليها زيادة التعاون بين البلدين فى نشر الإسلام الوسطى بالإضافة إلى مكافحة الإرهاب خلال الزيارة الرئاسية فى سبتمبر 2015.

الثقافة الإندونيسية:

تلعب الثقافة دوراً كبيراً فى الترويج لإندونيسيا وقضاياها بالخارج ويعتز الإندونيسيون دائماً بالترويج لدولتهم باعتبارها نموذجاً للتعايش السلمى فعلى الرغم من كونها دولة مترامية الأطراف تجمع فى داخلها العرقيات والقبائل والديانات المختلفة، إلا أنها مازالت تحافظ على بقائها كدولة متماسكة رافعة شعار «الوحدة فى التنوع»، فلكل محافظة من المحافظات الإندونيسية الأربعة والثلاثين زيها التقليدى الخاص وطعامها الخاص ورقصاتها الخاصة ويقومون باستعراضها فى المؤتمرات والمحافل الدولية المستمرة التى تقوم إندونيسيا باستضافتها فى مختلف المحافظات.

كما قامت مؤخرا بتأسيس

المركز الإندونيسى من أجل الحوار والتعاون بين الحضارات الذى يشترك فيه ممثلون عن رؤساء الأديان والمعتقدات الستة فى إندونيسيا: الإسلام، المسيحية، البوذية بجناحيها اليابانية والصينية، الهندوسية، الكونفوشيوسية. ويحرص هذا المركز على استضافة العديد من المؤتمرات الدولية برعاية مشتركة مع العديد من المنظمات التابعة للأمم المتحدة ومنظمة سانت ايجيديو الإيطالية بهدف توضيح التعايش السلمى بين الأديان المختلفة فى بيئة مواتية تشجع على التسامح والأخوة والتفاهم واحترام معتقدات الآخر وحقه فى الحياة من خلال الاستفادة بالتجربة الإندونيسية فى هذا المجال منذ بداية الدولة فى 1945 وحرصهم على تضمين مادة فى الدستور الإندونيسى تلزم جميع الأطياف المختلفة على احترام التنوع الإثنى والدينى، كما قام الرئيس الإندونيسى مؤخراً بتعيين رئيس المركز الدكتور سراج الدين شمس الدين كبمعوث له للحوار بين الحضارات.

حرص الآباء المؤسسون للدولة الإندونيسية على تطبيق نظام البانشاسيلا الذى يسمح بوحدة الدولة فى إطار من التنوع العرقى والدينى خوفاً من إقامة الدولة على أساس دينى يمكن أن يؤدى إلى نشر الطائفية والنزاع الفكرى بين المجتمع الإسلامى فى إندونيسيا وبأسلوب قد يعرض البلاد إلى الشرذمة بأسلوب يتنافى مع وحدة الوطن ويحقق أهدافاً خارجية لتقسيم البلاد أسوة بما حدث فى تيمور الشرقية وما أعقبه من محاولة انفصال إقليم اتشيه وتكرار التجربة التى حدثت فى مناطق أخرى مع استخدام أسلوب الحروب بالوكالة داخل الدولة الإندونيسية وهو ما يحذر منه الرئيس الإندونيسى دائماً.

تتميز العلاقات المصرية الإندونيسية بأنها علاقات راسخة ومتميزة، حيث إن مصر تعد أول دولة تعترف باستقلال إندونيسيا فى عام 1945 وكذا أول دولة تبرم اتفاقية صداقة معها فى عام 1947. إن مصر وإندونيسيا يعدان من الدول المؤسسة لمنظمة عدم الانحياز، وللتعاون الأفريقى الآسيوى وذلك خلال اللقاءات التى عقدت فى باندونج عام 1955، وتتشارك الدولتان فى العديد من المحافل الدولية وأهمها منظمة التعاون الإسلامى، ومجموعة الـ15، ومجموعة الـ77، ومجموعة الـ8 وغيرها من المحافل المهمة الدولية وتتبادل الدولتان تأييد بعضهما البعض فى هذه المحافل.

الأزهر الشريف له مكانة خاصة فى قلوب الإندونيسيين، حيث يسعى العديد من الطلبة للدراسة فى المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر باعتباره منارة الإسلام، وهناك تعاون مثمر بين الأزهر الشريف والجمعيات الإسلامية الكبرى فى إندونيسيا مثل نهضة العلماء والجمعية المحمدية.

العلاقات التجارية بين البلدين تمثل أهمية كبيرة حيث يصل حجم التبادل التجارى إلى حوالى 1.5 بليون دولار وتأمل البلدان فى تطوير هذه العلاقة وزيادة الصادرات المصرية للسوق الإندونيسى لإصلاح الخلل فى الميزان التجارى الذى يميل لصالح الجانب الإندونيسى، كذلك ستتيح الزيارة الفرصة للاتفاق على انعقاد اجتماعات اللجنة المشتركة بين البلدين نظراً لما توفره اجتماعات اللجنة من فرصة فى مراجعة الاتفاقيات الثنائية بين البلدين واقتراح مبادرات جديدة لتطوير مسار وحجم العلاقات الثنائية.

إن زيارة الرئيس عبد الفتاح السيسى رئيس الجمهورية إلى إندونيسيا عام 2015 كانت لها أهمية خاصة ودلالات كبيرة، حيث إنها تأتى كأول زيارة لرئيس مصرى لإندونيسيا منذ عام 1983 وتعكس الزيارة رؤية السيد الرئيس من ضرورة دعم علاقات مصر مع كافة دول العالم وخاصة تلك التى تربطها علاقات تاريخية، وكذا رؤية سيادته نحو منطقة جنوب شرق آسيا (النمور الآسيوية) والاستفادة من تجاربها الاقتصادية والتنموية لتحقيق التنمية الشاملة فى كافة القطاعات بمصر، كما تتيح الزيارة أيضاً إطلاع الجانب الإندونيسى على مشروع قناة السويس الجديدة والتى رغب فى الاستفادة من التجربة المصرية فى هذا الإطار.

كما فتحت الزيارة آفاقاً غير تقليدية للعلاقات التاريخية بين البلدين فى كافة المجالات ومن المتوقع أن تشهد العلاقات الثنائية فى الفترة التالية للزيارة زخماً يتماشى مع المستوى التاريخى للعلاقات بين البلدين، خاصة وأن التحديات التى تواجهها مشتركة وتتطلب المزيد من التعاون فى المستقبل من أجل التغلب على هذه التحديات وأن الجانب الإندونيسى يتطلع للتعاون فى المستقبل للمساهمة مع الأزهر الشريف فى توضيح الجانب الأخلاقى فى الإسلام للغرب وذلك إيماناً بأن الدين الإسلامى جاء ليتمم الأخلاق وتنمية الوعى الإسلامى باحترام التعددية من خلال التأكيد على التشاور ونبذ العنف.

كما أن للزيارة دلالات مهمة حيث تؤكد توجه سياسات مصر الخارجية نحو علاقات قوية وموسعة مع كافة دول العالم واهتمام مصر بدول جنوب شرق آسيا التى تربطها علاقات تاريخية قوية وتعد من الدول الصاعدة اقتصادياً. وساهمت زيارة السيد الرئيس فى دفع العلاقات المصرية الإندونيسية فى كافة المجالات وخاصة الاقتصادية والاستثمارية لما لدى البلدين من إمكانيات وخطط مستقبلية من أجل إقامة مشروعات كبرى يمكن للقطاع الخاص والحكومى الاستثمار فيها، وخاصة فى محور قناة السويس، كما تم التوقيع على عدد من الاتفاقيات بين البلدين خلال الزيارة المرتقبة.

مائة عام على ثورة أكتوبر

جاء الاحتفال بالذكرى المائة للثورة الشيوعية فى موسكو فى أكتوبر من العام الماضى خافتاً ودون احتفالات أو فعاليات تليق بهذه المناسبة التاريخية، وكأن لسان حال السلطات الرسمية فى روسيا يقول فلنعبر هذه المناسبة بأقل انتباه ممكن ودون لفت الأنظار إليها، وأنه من الأفضل لو طوت صفحة النسيان هذه الثورة وما صاحبها من أحداث، وكفانا ما شاهدناه من نتائجها فلا داع لأن نثير الذكريات الخاصة بها من جديد.

سفير د. علاء الحديدي

alaaelhadidi@yahoo.com

وقد عزا البعض الآخر إحجام السلطات عن إيلاء هذه المناسبة التاريخية ما تستحقه من اهتمام، إلى حساسية النظام الحالى من أى مظهر من مظاهر الحراك الجماهيرى ضد السلطة، ناهيك عن ما قد يشتم منه من دعوة أو تشجيع على تكرار مثل هذا النوع من الحراك الشعبى الذى قد يستلهم من أحداث الثورة السابقة نموذجا يحتذى به ويعمل على محاولة تقليده. والمفارقة أننا نجد أن الأمر اختلف فى العاصمة الفرنسية، باريس، حيث امتلأت بعض وسائل المواصلات والإعلام بالعديد من الإعلانات والدعاية عن ندوات ومناقشات بمناسبة الاحتفال بهذه الذكرى التاريخية، وعلى عكس الأجواء التى صاحبت هذه الذكرى فى عاصمة الثورة ذاتها، وكأن لسان حالها يقول إننا لا نخشى من الحديث عن هذه الثورة، وأننا وقد عشنا ثورتنا نحن فى عام 1789 وما تبعها من أحداث وثورات أخرى، نستطيع تناول الثورة الروسية بكل حيدة وموضوعية، ودون إثارة للمشاعر أو لذكريات ماض يريد البعض نسيانه. فهل يرجع ذلك الاختلاف فى تناول أحداث الثورة الروسية إلى ما درجت النخبة الفرنسية عليه من تناول ومناقشة موضوعات فى ظل أجواء من الحرية والانفتاح لم تتعود عليها النخبة الروسية حتى الآن؟ أم أن الدولة والنخبة فى فرنسا قد تصالحا تاريخياً مع إرثهما الثورى وهو ما لم يحدث فى روسيا إلى اليوم؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، وهو ما يعتقده الكاتب، فلماذا هذا الصراع بين الحاضر والماضى فى روسيا، وما مظاهر هذا الصراع؟ وبالتالى موقع الثورة الروسية فيه؟ ومن أجل تقديم الإجابة يجب أولا فهم واستعراض جذور الثورة الروسية فيما يمكن وصفه بـ«إشكالية العلاقة بين روسيا والغرب».

جذور الثورة وإشكالية العلاقة مع الغرب

لا يمكن فهم ما حدث فى روسيا فى أكتوبر من عام 1917 دون فهم ما حدث فى فبراير من نفس العام. ورغم أن الأدبيات السوفيتية تتحدث دائما عن «ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى»، مع ذكر ما حدث قبلها فى فبراير من نفس العام باعتباره إرهاصات لما أتى بعد ذلك، إلا أن نظرة أكثر عمقا لأحداث هذا العام من فبراير إلى أكتوبر، تذهب إلى أن ما حدث فى فبراير كان هو الذى يستحق لقب «الثورة الكبرى»، فى حين كان استيلاء البلاشفة (الذين أطلق عليهم الشيوعيون بعد ذلك) على الحكم فى أكتوبر هو نهاية الثورة التى بدأت فى فبراير. وبالتالى يجب علينا أولا فهم «ثورة فبراير» هذه، والتى لولاها، ما كان لما يسمى بثورة أكتوبر أن تقوم أصلا.

وكما نعرف فإن ثورة فبراير هى الثورة التى أطاحت بالنظام القيصرى الضارب بجذوره فى المجتمع الروسى منذ ما يقرب الألف عام. وقد كتب الكثير عن أسباب هذه الثورة وجذورها، وهل كانت هذه الثورة حتمية ونتيجة للضغوط الاقتصادية والاجتماعية التى لم تستطع الدولة والنظام السياسى القائم وقتذاك التواكب معها؟ أم أن الحرب العالمية الأولى وعجز النظام القيصرى عن إدارة هذه الحرب - وهو ما تسبب فى العديد من الهزائم المتوالية- قد أفضى فى النهاية إلى القضاء على النظام القيصرى بعد عشرة قرون، كانت آخر ثلاثة قرون منها تحت حكم أسرة رومانوف. هناك طبعا من يجمع بين السؤالين ويعتبرهما سؤالاً واحداً، باعتبار أن فشل النخبة والدولة فى روسيا القيصرية عن إدارة الحرب ما كان إلا تعبيرا ونتيجة عن فشل النخبة والدولة فى روسيا عن مواجهة عملية التحديث والتغيير الذى كان يمر به المجتمع الروسى منذ منتصف القرن التاسع عشر، فانتهى به الأمر إلى سلسلة من الهزائم والاضطرابات، كان أشهرها ثورة 1905، والتى تعد فى نظر الكثير من المؤرخين البداية الحقيقية لما جاء بعد ذلك فى 1917.

وهنا علينا أن نتوقف قليلاً لنشرح المقصود بالتغييرات التى حدثت فى روسيا وكيف عجزت الدولة عن التعامل معها. بداية، فقد شهدت الإمبراطورية الروسية التى كانت تعد ثانى أكبر إمبراطورية فى العالم فى القرن التاسع عشر (15٪ من

مساحة اليابسة فى العالم)، قفزة فى عدد السكان من ١٣مليوناً فى عام 1816 إلى 170 مليوناً فى عام 1914، تضاعف خلالها عدد السكان خلال الفترة من 1850 إلى 1900. وقد شهدت روسيا خلال هذه الفترة أكبر عملية تصنيع حيث وصل عدد عمال المصانع إلى ما يقارب المليون ونصف المليون عامل، أغلبهم فى المدن الكبيرة وخاصة فى صناعة النسيج. وهو الأمر الذى أصبح معه الاقتصاد الروسى رابع أكبر اقتصاد فى العالم بحلول عام 1910 نتيجة تحقيق معدل نمو متوسط يبلغ 4٪ سنويا خلال العقدين السابقين (1890-1910). النسيج. وبناء على ما تقدم، يحلو للكتاب الشيوعيين أن يتم الحديث عن أحداث أكتوبر من عام 1917 باعتبارها ثورة شيوعية قامت بها «الطليعة الثورية» ممثلة فى «البلاشفة» بزعامة مفجر الثورة لينين، الذى قاد العمال والجنود والطلاب، وبما يتوافق مع ما درجت عليه الأدبيات الماركسية التى بشرت بالثورة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة مثل ألمانيا، ولكن بالقطع ليس فى روسيا التى كانت مازالت ذات أغلبية ريفية رغم ما شهدته البلاد من حركة تصنيع كما أسلفنا. لذلك فإن التفسير الاقتصادى والاجتماعى لما حدث فى روسيا، وخاصة منذ منتصف القرن التاسع عشر، رغم أنه قد يؤيد وجهة النظر الماركسية/ السوفيتية فى شرح وتحليل التاريخ الروسى الحديث فى بعض جوانبه، إلا أنه لا يقدم صورة كاملة أو تفسيراً صحيحاً لما مر به المجتمع الروسى من صراعات فكرية وسياسية ما زال يعيشها حتى الآن. وما كانت الثورة الروسية فى شقيها سواء فى فبراير أو أكتوبر من ذلك العام، إلا أحد مظاهر هذا الصراع الطويل فى تاريخ روسيا الحديث وفصلاً من فصولها الكثيرة، وهو الصراع الدائر بين دعاة التحديث على النمط الغربى الأوروبى من ناحية، ممثلة فيما يمكن وصفه بالجناح الأوروبى فى النخبة الروسية، والتى كانت عادة ما تتكون من مثقفين ثوريين ورجال أعمال وبعض الأرستقراطيين المؤمنين بضرورة الإصلاح والتطوير إن أرادت روسيا أن تواكب الغرب وتلحق به حتى تستطيع أن تواجه ما تتعرض له من ضغوط داخلية وخارجية، وبين جناح مضاد فى النخبة الروسية من دعاة التمسك بالهوية القومية الروسية أو من يطلق عليهم التيار السلافى الأرثوذكسى.

الصراع بين موسكو وسان بطرسبرج

هذا، وقد بدأ الصراع بين هذين التيارين وتبلورا مع بطرس الأكبر(1672-1725)، والذى بدأ عملية تحديث روسيا على النمط الغربى الأوروبى. وقد بلغ به الحد فى محاولة محاكاة النموذج الحضارى الأوروبى بقيامه بنقل العاصمة من موسكو إلى مدينة جديدة تم إنشاؤها من العدم على بحر البلطيق سميت باسمه وهى سان بطرسبرج. وكان يهدف من ذلك قطع كل صلة للدولة الجديدة التى كان بصدد بنائها مع كل ما تمثله العاصمة القديمة من تراث كان يراه السبب فى تأخر روسيا عن أقرانها فى الغرب. فقد كانت موسكو تمثل التقاليد الروسية

السلافية الأرثوذكسية منذ أن نشأت القومية الروسية كما نعرفها الآن، أى منذ أن اعتنق الأمير فلاديمير الأول، أمير الروس الكيفيين فى القرن العاشر الميلادى - نسبة إلى مدينة كييف عاصمة أوكرانيا حالياً والعاصمة الأولى للروس وقبل أن تنتقل القوة السياسية إلى أمراء موسكو وبالتبعية العاصمة إليها- الديانة المسيحية الأرثوذكسية ولتصبح أهم سمات تشكيل الشخصية أو الهوية الروسية. وقد عمق من هذا الانتماء سقوط القسطنطينية فى عام 1453 على يد محمد الفاتح «الإسلامى»، وبذلك انتقل أيضاً مركز الديانة المسيحية الأرثوذكسية إلى موسكو لتصبح «موسكو» فى الأدبيات الروسية «روما الثالثة» بعد سقوط روما الأولى ثم القسطنطينية أو روما الثانية. ورغم خضوع الكنيسة الروسية للدولة فى شخص القيصر، إلا أنها بدورها كانت مصدر الشرعية والثقافة ولها تأثير لا يغفل على حكم الدولة، وبمعنى آخر كان تحالف الدولة مع الكنيسة الأرثوذكسية هو ما منح النخبة الروسية وقتذاك إيماناً عميقاً بأنها خط الدفاع الأول ضد الشرق الإسلامى ممثلا فى المغول الذين هاجموا روسيا فى القرن الثانى عشر واحتلوا البلاد لمدة قرنين. وكان أمراء موسكو هم الذين بدأوا حرب التحرير ضد الاحتلال المغولى والذى توج بانتصار القيصر إيفان الرابع وقيامه بتشييد كاتدرائية سانت بازيل أمام الكريملين كرمز يخلد به هذا الانتصار، وفى ذات الوقت يكرس فيه رسالة موسكو الروسية كالدولة التى أنيط بها مهمة الدفاع عن المسيحية «الحقة»، أى الأرثوذكسية الروسية تحديدا وليس أى أرثوذكسية أخرى. فقد كان العداء أيضا لبولندا الكاثوليكية والقوى المسيحية الأخرى مثل ليتوانيا البروتستانتية وغيرها لا يقل عن العداء للإسلام. وهكذا أصبحت موسكو الحاضنة والحافظة للديانة المسيحية الروسية الأرثوذكسية.

من هذا المنطلق نستطيع أن نتفهم هذه «الفتنة» التى بدأها بطرس الأكبر، وانعكست على الدولة والمجتمع وأحدثت شرخا وانقساما فى النخبة والشخصية الروسية ما زالا مستمرين إلى اليوم. فقد أخذ هذا الصراع شكل مدرستين أو تيارين كما أسلفنا، وقد اتخذ الجناح أو التيار الأوروبى من العاصمة الجديدة - بطرسبرج- مقراً له، ورأى فى الانتماء للحضارة الغربية الأوروبية، بما فى ذلك لغتها (كانت النخبة لا تتحدث الروسية ولكن الفرنسية وبعضهم الألمانية)، السبيل الوحيد لتقدم روسيا ورقيها ولتصبح إحدى الدول «المتحضرة». أما الجناح أو التيار «السلافى الأرثوذكسى» فقد اتخذ من موسكو، العاصمة القديمة، مقراً له، وكان يبجل كل ما هو روسى ويتوجس من كل ما هو غربى/ أوروبى. طبعا لم تكن الأمور بمثل هذه الحدية أو القطعية، وكانت توجد العديد من المساحات المشتركة بينهما ولعل أبرزها الانتماء إلى الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وإن اختلفت درجة هذا الانتماء بين التيارين، وقد ظهر ذلك أيضا فى بطرسبرج بإنشاء كاتدرائية سانت إزاك الأرثوذكسية فى عام 1858 ولكن على الطراز المعمارى الإيطالى الكاثوليكى وليس الطراز المعمارى السلافى الروسى الذى تميزت به الكنائس فى موسكو.

وهنا تكمن المفارقة، فإن عملية الإصلاح والتحديث هذه التى قام بها كل من بطرس الأكبر ومن سار على نهجه مثل كاترين الثانية (حكمت منذ 1762 إلى 1796) أو حتى ألكسندر الثانى (حكم منذ 1855 إلى 1881)، كانت تؤدى فى كل مرة إلى إطلاق قوى وتجمعات جديدة فى المجتمع يجب التعامل معها بمزيد من الانفتاح والإصلاح. لعل أبرز مثال على ذلك عملية المراجعة الشاملة التى قامت بها الدولة والنخبة الحاكمة فى أسباب الهزيمة التى منيت بها البلاد فى حرب القرم الأولى (1853-1856)، وجاء الرأى القائل بأن من أهم أسباب الهزيمة تأخر البلاد اجتماعياً وثقافياً ممثلاً فى استمرار نظام الأقنان أو عبيد الأرض فى روسيا والذين كانوا يشكلون أساس الجيش الروسى من الجنود. وقد عزز من ضرورة إصلاح نظام الأقنان هذا الذى تكرس منذ القرن الخامس عشر أنه كان يحول دون انطلاق البلاد اقتصاديا والتوسع فى عمليات التصنيع التى كانت قد بدأت فى روسيا فى بعض المدن وتتطلب توافر الأيدى العاملة الرخيصة. وعليه كان قرار القيصر ألكسندر الثانى الذى لقب بمحرر العبيد بتحرير هؤلاء الأقنان فى عام 1861 والسماح لهم بتملك الأرض والهجرة إلى المدن حيث فرص العمل الوفيرة فى العديد من المصانع التى ظهرت وقتذاك. إلا أن كبار الملاك من الأرستقراطية الروسية والعائلة المالكة كانوا من أشد المعارضين لإلغاء هذا النظام. ولم يتمكن القيصر من تنفيذ رغبته إلا بعد قيام «التاج» بدفع التعويضات المناسبة لهم نيابة عن هؤلاء الأقنان أو العبيد المحررين، وعلى أن يقوم هؤلاء الأقنان بدورهم بتسديد ثمن الأرض هذه للتاج على فترة 49 عاما وبفائدة 6٪ سنويا. وهو الأمر الذى حظى بترحيب وتشجيع من رجال الطبقة الجديدة من أصحاب رؤوس الأموال والأعمال والصناعة ودون النظر إلى ما كان ذلك يعنى من زيادة معاناة هؤلاء العبيد الذين من المفترض أنه قد تم تحريرهم وحصلوا على حريتهم. فأصبح هؤلاء الأقنان المحررون وأبناؤهم بعد ذلك وقود الاحتجاجات والحركات الثورية التى شهدها المجتمع الروسى منذ ذلك التاريخ، وكان ألكسندر الثانى أول ضحاياها عندما تم اغتياله فى عام 1888، ثم أعقب ذلك مسلسل الثورات الثلاث التى تعاقبت على روسيا بدءا بثورة 1905، مروراً بثورة فبراير 1917 وانتهاء بثورة أكتوبر فى ذات العام.

وهكذا كما نرى، فإن قضيتى

التحديث والعلاقة مع الغرب كانتا محور ما شهدته النخبة من صراعات وانقسامات تفرعت وتشعبت للعديد من الحركات والمنظمات التى تراوحت ما بين اليمين المحافظ جدا إلى اليسار المتطرف جدا. وكان فى القلب من هذه الصراعات الموقف من نظام الحكم والعدالة الاجتماعية .

ولعل المفارقة الكبرى هنا كانت فى الموقف أو النظرة لنظام الحكم، فقد أخذت النخبة الحاكمة بجميع المظاهر الخارجية للحضارة الغربية الأوروبية مثل المأكل والملبس والسكن والفن والموسيقى والآداب، كما أسلفنا، ولم تأخذ بأى إصلاحات جادة وعميقة إلا إذا كانت مضطرة لذلك. إلا أن الموقف من نظام الحكم أحدث انقساماً شديداً بين أبناء النخبة الواحدة من أنصار المدرسة أو التيار الأوروبى، حيث تمسكت النخبة الحاكمة من العائلة المالكة والأرستقراطية بالحق الإلهى فى الحكم، ومحاربة أى دعوة للإصلاح أو الانفتاح على الحريات والحقوق الشخصية، فى حين أخذت نخبة مضادة فى التشكل وخاصة من أبناء الطبقة الوسطى الآخذة فى النمو والاتساع منذ منتصف القرن التاسع عشر وبدأت تنادى بتوسيع الحريات والدعوة لنظام ديمقراطى ليبرالى على النسق الأوروبى.

كان على الروس انتظار ثورة 1905 لبدء عملية الإصلاح السياسى وإنشاء مجلس نواب منتخب (الدوما) من أجل انتزاع هذا المكسب الديمقراطى الأولى والحصول عليه قبل الانتقال إلى أشكال أرقى من الحكم سبقتهم إليه العديد من الدول الغربية الأوروبية. وقد جاءت ثورة 1905 بعد الهزيمة القاسية التى منيت بها روسيا فى حربها مع اليابان بين عامى 1904-1905 وشكلت صدمة كبرى للنخبة الروسية الأوروبية البيضاء والتى كانت تنظر بتعال واحتقار شديد لليابانيين باعتبار انتمائهم إلى الجنس الآسيوى الأصفر. ورغم ما مثله انتخاب الدوما من نقلة نوعية فى التاريخ الروسى وبداية انتهاج طريق بناء الدولة الديمقراطية الحديثة على النسق الأوروبى، ونجاح جهود الإصلاحيين والمصلحين فى وضع روسيا أخيرا على نفس مصاف الدول الغربية الأوروبية والانضمام إلى العالم «المتحضر»، إلا أن الرياح أبت إلا وأن تأتى على عكس ما كانت تشتهيه سفن الإصلاح والتحديث هذه. فقد تقاعس القيصر عن استكمال جهود الإصلاح وبدأ فى التراجع عنها وتقليص ما كان يتمتع به الدوما من صلاحيات محدودة وتعزيز قبضة الدولة (أى القيصر) فى المقابل حتى لم يتبق من مجلس الدوما سوى اسمه فقط، حتى أن القيصر قام بحل الدوما أكثر من مرة ليأتى بمجلس منزوع الصلاحيات، ويحتفظ لنفسه بكل السلطات.

دور الفرد فى التاريخ

كثير من الكتابات تحدثت عن شخصية لينين الفذة ودوره فى تفجير الثورة الروسية، وحتى إذا كان المؤرخ من أنصار تغليب العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى تفسير مجرى التاريخ وأحداثه الكبرى، ومنها الثورة الروسية، فإن أحدا لا يستطيع أن ينكر دور فلاديمير إليش لينين فى تفجير الثورة واستيلاء البلاشفة على الحكم، بل إن البعض يذهب إلى أنه لولا لينين ما كانت الثورة البلشفية. وفى المقابل نستطيع أن نتساءل أيضا وبشكل معكوس، هل لو كان قيصر روسيا حينذاك شخصاً آخر غير نيكولاس الثانى، فهل كانت الأحداث اتخذت نفس المسار وآلت الأمور إلى ما آلت إليه من نهايات؟ لقد كتب الكثير أيضاً عن شخصية هذا القيصر وكيف تسبب برعونته وضعفه وعدم خبرته فى الكثير من الأمور وبما أدى إلى هلاك الأسرة المالكة ونهايتها. ولعل حديثه مع السفير البريطانى فى بطرسبرج ما يلخص المشهد حين رد على نصيحة المبعوث البريطانى بالعمل على كسب ثقة شعبه، بأنه من الواجب على الشعب الروسى أن يعمل على كسب ثقته هو وليس العكس. وقد قيل الكثير فى تفسير شخصية نيكولاس الثانى شديدة الرجعية بما مر به من تجربة فى طفولته حين شاهد جثة جده ألكسندر الثانى بعد أن مزقتها قنبلة إرهابى، وكيف تأثر بهذا المشهد المروع، وبالتالى كراهيته ورفضه لكل ما حاول جده القيام به من عمل أو جهود إصلاحية، وتمسكه بشكل متعنت بنظام الحق الإلهى للملوك وكأننا فى القرون الوسطى، ودون إدراك لمتطلبات العصر وما طرأ على المجتمع الروسى ذاته من متغيرات تفرض عليه اللحاق بركب القرن العشرين وعدم التمسك بتقاليد سياسية عفى عليها الزمن. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن خصاله الشخصية، وبما عرف عنه من ضعف وضيق الأفق، دعته إلى اتخاذ العديد من القرارات الخاطئة ولعل أبرزها قراره الكارثى بتسليم مقاليد الحكم

أثناء الحرب العالمية الأولى لزوجته الألمانية المولد والأصل فى الوقت الذى كانت بلاده فيه تحارب ألمانيا، وقيامه بتنحية عمه الدوق نيكولاى ذى التاريخ والخبرة العسكرية الطويلة عن قيادة الجيش، ليتولى هو مسئولية القيادة فى سبتمبر 1915 ودون أن يتمتع بأى خبرة أو دراية بالأمور الحربية سوى استعراض حرس الشرف. ولا يتسع المجال هنا لذكر نتائج حكم القيصرة ألكسندرا على الأوضاع فى البلاد والتعجيل بإنهاء الحكم القيصرى بعد القضاء على آخر ما تبقى من هالة أو قدسية أو شرعية كان القيصر يتمتع بها وسط جموع الشعب وغير المثقفين.

هذا وقد جاء اشتراك روسيا فى الحرب العالمية الأولى ليكشف عن مدى عجز الدولة والنخبة الروسية الحاكمة عن مواجهة الأوضاع الداخلية المتأزمة، وفشل جهود الإصلاح والتحديث السابقة عن مواجهة الضغوط الخارجية وعلى رأسها المواجهة العسكرية مع ألمانيا الأكثر تقدما وتحديثا. وقد ظهر ذلك بوضوح فى عجز الدولة عن توفير ما يحتاجه الجيش من أسلحة مختلفة مثل البنادق والتى إذا ما توافرت فلم تكن الذخيرة الخاصة بها متوافرة، هذا ناهيك عن مشاكل التموين والإمداد والعجز عن توفيرها مثل المواد الغذائية والملابس والأحذية وغيرها من الأساسيات التى يجب أن يتمتع بها أى جيش مقدم على حرب، وكانت النتيجة تكبد القوات الروسية خسائر فادحة تمثلت فى 2.5 مليون قتيل و٥ ملايين جريح، فضلا عن انهيار خطوط القتال وتقهقر القوات الروسية بشكل ارتجالى وانسحابهم من الأراضى والمواقع التى كانوا يسيطرون عليها فى بداية الحرب وهروبهم بشكل جماعى إلى المدن والقرى القريبة من جبهات القتال، الأمر الذى ضاعف من حجم الأزمات التى كانت تعيشها هذه المدن والقرى بدورها منذ بداية الحرب نتيجة النقص الحاد فى المواد التموينية والغذائية. ومع سقوط هيبة الدولة وانكسار شرعية الحكم والقيصر كما أسلفنا، عمت الفوضى وضربت الاضطرابات جميع أرجاء البلاد، وهو ما أفضى فى النهاية إلى ثورة فبراير 1917 وتولى النخبة «الأوروبية» مقاليد الحكم بالكامل ولأول مرة، واستكمال الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التى بدأت من قبل منذ عهد بطرس الأكبر ولكن دون الشق السياسى منها، فتم تفعيل الدوما وبدا أن روسيا أخيرا على طريق البناء الديمقراطى، أسوة بدول غرب أوروبا التى كانت النخبة الروسية تتطلع دوما إلى اللحاق بها والاعتراف بهم ضمن الأسرة الأوروبية المتحضرة، ومعاملتهم بالاحترام والندية المطلوبة. ورغم ما لاح من فرصة للنخبة الجديدة، إلا أنها غلبت النزعة الوطنية فى محاولة للثأر من الهزائم التى منى بها الجيش الروسى، وقررت الحكومة الانتقالية التى تشكلت بقيادة ألكسندر كيرينسكى (1881-1970) استئناف الحرب معولين على الدعم الذى وعدوا به من قبل الدول الحليفة التى كان يهمها استمرار روسيا فى الحرب. إلا أن قرار استمرار الحرب من قبل حكومة كيرينسكى قد كشف بدوره عن مدى انعزال هذه الحكومة والقوى السياسية التى كانت تؤيدهم عن قراءة الواقع السياسى الذى كانت تعيشه البلاد، ومدى كراهية الجنود للحرب الدائرة آنذاك، ناهيك عن تطلع الفلاحين منهم والذين كانوا يشكلون أكثر من 90٪ من الجنود للعودة إلى قراهم، وتحقيق حلم امتلاك قطعة أرض مثلما وعدهم القيصر ألكسندر الثانى ورفع من سقف توقعاتهم.

هنا تظهر عبقرية لينين، وكيف نجح فى الاستيلاء على الحكم فى 25 أكتوبر بتنظيم محدود العدد يسمى بـ«البلاشفة» أى الأغلبية داخل حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى الذى كانوا ينتمون إليه. وكان هؤلاء البلاشفة يمثلون بدورهم أقلية مقارنة بالحركات السياسية الأخرى التى كانت بالقطع أكثر عددا وانتشارا وخاصة بين أوساط المثقفين والثوريين الآخرين. إلا أن لينين استطاع أن يقرأ نبض الشارع بنجاح وأدرك بحسه السياسى أن الفرصة قد حانت بعد تلكؤ حكومة كيرينسكى فى توزيع الأرض على الفلاحين والاستمرار فى الحرب ضد ألمانيا. وهنا تظهر عبقرية لينين مرة أخرى من خلال تبنيه لشعار مكون من ثلاث كلمات بسيطة؛ الخبز والأرض والسلام. وكان هذا الشعار الصيحة التى استطاع بها البلاشفة جذب الجماهير من الجنود الثائرين والفلاحين الغاضبين والعمال الجائعين إلى صفوفهم وطرد حكومة

كيرينسكى. وكان أول إجراء اتخذه لينين إصدار مرسوم توزيع «الأرض» على الفلاحين وتحقيق حلمهم فى امتلاك قطعة أرض، أما ثانى إجراء فكان الدخول فى مفاوضات فورية مع ألمانيا لإنهاء الحرب. وقد تمسك لينين بإنهاء الحرب أيا كان الثمن، وحتى بعد الشروط المتعسفة التى وضعها الوفد الألمانى للوفد الروسى، فقد خالف لينين رأى معظم رفاقه فى اللجنة المركزية للحزب بمواصلة الحرب ضد ألمانيا بعد فشل المفاوضات، واستطاع بما كان يتمتع به من قوة شخصية وحجج قوية أن يقنع اللجنة المركزية بأهمية وقف الحرب ومهما كانت الشروط، وعدم تكرار الخطأ التاريخى الذى وقعت فيه الحكومة الانتقالية بزعامة كيرينسكى، فكان له ما أراد وتم توقيع اتفاقية برست ليتوفسك فى مارس 1918 وأثبتت الأيام صدق حدس لينين السياسى، وتمكنه من إرساء دعائم الدولة الروسية الجديدة والتى بدأها بنقل العاصمة من بطرسبرج وعودتها إلى موسكو.

انتصار موسكو وعودة روما «الرابعة»

يحلو للعديد من الكتاب والمؤرخين الآن وبعد مائة عام على أحداث «ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى» كما أطلق عليها بعد ذلك، أن يعزو نجاح لينين والبلاشفة إلى مجموعة من العوامل السابق ذكرها، والتى يأتى على رأسها قرار كيرينسكى باستمرار الحرب وذكاء لينين فى استثمار الغضب الذى انتاب شرائح عديدة من الشعب والعمل على جذبهم من خلال شعاره المكون من الكلمات الثلاثة سالفة الذكر، ثم خطوته بإنهاء الحرب وتوزيع الأرض. ولا شك أن لينين والبلاشفة قد نجحوا أيما نجاح فى سحب البساط من تحت أقدام كل منافسيهم من القوى السياسية الأخرى، وخاصة النخبة الأوروبية الليبرالية الديمقراطية وتجريدها من أى شرعية كانت تحظى بها، والقضاء على الفرصة التى لاحت بعد ثورة فبراير فى ذات العام بعد القضاء على الحكم القيصرى لتثبيت دعائم نظام ديمقراطى على النسق الغربى الأوروبى. وكان للفشل الذريع لهذه النخبة فى أول اختبار حقيقى لها فى الحكم، ما مهد لانزوائها وتقهقرها أمام النخبة الجديدة التى كان يمثلها البلاشفة بما يحملونه معهم من أفكار وأيديولوجية لم تكن تحظى بشعبية كافية من قبل. وقد عمدت الدعاية البلشفية آنذاك إلى استثمار الغضب الشعبى ضد كيرينسكى وأنصاره من النخبة الروسية ذات الاتجاهات الأوروبية لمهاجمتها وما كانت تنادى به من أفكار ديمقراطية ليبرالية باعتبارها معادية للشعب ومصالحه. ونجح البلاشفة فى تصوير أنفسهم بأنهم وحدهم من كانوا يمثلون مصالح الشعب الحقيقية ومن خلال الدعوة لنقل السلطة إلى مجالس السوفيت التى نشأت فى أغلب المدن بدعوة منهم. وهى تلك المجالس التى نشأت بالانتخاب فى مواقع العمل المختلفة سواء كانت فى المصانع أو حتى الوحدات العسكرية، وكذلك الأحياء السكنية والتجارية. وكانت هذه السوفيتات بمثابة سلطة موازية للحكومة ومجلس الدوما المنتخب ذى الأغلبية الليبرالية المؤيدة لكيرينسكى. وقد روج البلاشفة وبنجاح لفكرة أن نقل السلطة لمجالس السوفيت هذا يعنى عمليا حكم الشعب من خلال الطبقة العاملة، وهو ما تمت ترجمته أيديولوجيا بعد ذلك بديكتاتورية البروليتاريا.

وفى الحقيقة فإن الدعوة لحكم الطبقة العاملة أو ديكتاتورية البروليتاريا كانت تنسجم مع تاريخ طويل لعدة حركات ودعوات شعبوية راجت فى أوساط النخبة الروسية منذ منتصف القرن السابق حول العودة للفلاحين الذين كانوا يمثلون أغلبية الشعب، والتأكيد على الهوية القومية الروسية وقيمها السلافية الأرثوذكسية، وكان من أبرز هذه الحركات حركة النورودينكس التى انتشرت بين المثقفين الروس من 1860 إلى 1880، وبذلك نجح لينين والبلاشفة فى المزاوجة بين أحد أبرز التقاليد الفكرية الروسية وأيديولوجية أوروبية (الماركسية) باعتبارها تمثل أداة لتحديث المجتمع ولكن دون أن يرتبطوا أو يكونوا جزءا من التيار الغربى الأوروبى المناوئ لهم. وبذلك أصبحت الماركسية ومن خلال مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا أيديولوجية روسية ذات جذور تمتد إلى الحركات الشعبوية الروسية السابقة فى إطار الإرث الحضارى السلافى والذى تم التأكيد عليه بالعودة إلى موسكو كناية عن الانفصال المادى والحضارى عن أوروبا الغربية. كما حل الحزب الشيوعى كما سمى بعد ذلك ببنائه وتنظيمه الهيراركى محل الكنيسة الروسية الأرثوذكسية فى القرى والنجوع والمصانع والمدن. وأصبحت موسكو مرة أخرى مركز العقيدة الروسية الجديدة التى حلت محل العقيدة الروسية الأرثوذكسية. أى أن موسكو باتت روما الرابعة بعد سقوط روما الثالثة بثورتى فبراير ثم أكتوبر 1917، وهكذا عاد التيار السلافى إلى الحكم بعد انقطاع لمدة قرنين ونصف تقريبا، وإن أخذ شكل الحركة الشيوعية كما عرفناها بعد ذلك.

وكما ذكرت فى البداية، فإن هذا الصراع بين التيارين السلافى والأوروبى استمر ومازال مستمرا، وقد أدى انهيار النظام الشيوعى فى عام 1990 إلى عودة التيار الغربى الأوروبى لفترة وجيزة فشل خلالها وللمرة الثانية بعد تجربة فبراير- أكتوبر 1917 فى إدارة البلاد بكفاءة وانتشالها من الأزمات التى كانت تعانى منها والتى لا يتسع المجال هنا لاستعراضها بالتفصيل، ولكنها أفضت فى النهاية إلى عودة التيار السلافى الأرثوذكسى وبكل قوة هذه المرة لحكم البلاد تحت زعامة الرئيس الروسى الحالى فلاديمير بوتين، وكأن المجتمع الروسى يمر بدورات ولكن تستمر إشكالية علاقته بالغرب دون حل نهائى.

الانتخابات الرئاسية فى أمريكا اللاتينية

فى ظل تراجع الولايات المتحدة عن الانخراط فى العديد من الأنشـــطة والمناطق فى العالم «لاستجماع وتركيز القـــوة»، وفى ظل صعود الصين الواضح، يـــرى المراقبون أن الانتخابات الرئاســـية فى أمريكا اللاتينية خلال العامين 2018 - 2019 ســـوف تتأثر بهذين العاملين، بالإضافة إلى التأثر بظاهرة تزايد إمكانيات استخدام الإعلام - وبصفة خاصة وسائل التواصل الاجتماعى - للتأثير فى النظام الديمقراطى والانتخابات.

وعلى المســـتوى الإقليمـــى نجد أن أهم المشـــاكل التى تواجهها دول أمريكا اللاتينية هى: «تباطؤ النمو الاقتصادى - الفساد - الجريمة والخلل الأمنى - ضعف الثقة فى المؤسسات الديمقراطية».

ونتناول هنا الانتخابات التى أجريت فى الربع الأخير من عام 2017 والانتخابات المتوقعة فى عامى 2018 ، 2019.

أولاً: أحدث الانتخابـــات اللاتينية فى نهاية عام 2017:

شيلـــى

أجريت انتخابات الرئاســـة يوم 19 نوفمبر 2017 وشـــارك فيها 43 مرشحاً رئاســـياً، كما أجريت معهـــا انتخابات البرلـــان وانتخابات المحليـــات فى نفس الوقت.

ووفقاً للدستور لا تستطيع الرئيسة الحالية ميشل باتشلت الترشح.

لم يحز أى من المرشحين على الأغلبية المطلقـــة، ولذا جرت انتخابـــات الإعادة يوم 17 ديســـمبر بين الحائزين على أعلى عدد من الأصوات وهما: سبستيان بنييرا «2.4مليون صوت تقريبا وكان رئيســـاً لشـــيلى فى الفترة 2010 - 2014 وتؤيده تكتلات اليمـــين، والإعلامـــى الخاندرو بيير «1.5 مليون صوت تقريباً» وتؤيده تكتـــلات يســـار الوســـط وكلاهما من المستقلين وقد فاز بها سبستيان بنييرا فى جولة الإعادة.

ومن المقـــرر أن يتولى منصبه اعتباراً من 11 مارس 2018.

هنـــدوراس

أجريـــت الانتخابات الرئاســـية يوم 26 نوفمـــبر 2017، كمـــا أجريت معها انتخابات برلمان أمريكا الوسطى «SICA» وانتخابات المحليات فى نفس الوقت.

وتأتى هذه الانتخابـــات بعد تعديل دستور البلاد ليســـمح للرئيس بالترشح لإعـــادة الانتخابـــات (كان انقلاب عام 2009 نتيجة لعدم إقرار الدستور سابقاً لفكرة إمكان الترشح لإعادة الانتخابات).

حصل الرئيس الحالى خوان أورلاندو هرناندث مرشح الحزب الوطنى على 41 مليون صوت تقريباً، بينما حصل منافسه السياسى والإعلامى ســـلفادور نصر الله مرشح (حزب محاربة الفساد) وهو من أصـــل لبنانى عـــلى 1.35 مليون صوت تقريباً، وكان متقدماً فى بداية الانتخابات.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

اســـتغرقت اللجنة العليا للانتخابات عدة أيـــام أعلنت بعدها فـــوز الرئيس هرناندث مما أدى إلى اندلاع مظاهرات فى أنحاء البلاد تندد بتزوير نتائج الانتخابات، وســـقط عدد من القتلى من المتظاهرين، ففرضت الحكومة حظـــر التجوال لمدة عـــشرة أيام، ومع ذلك بـــدأت تظاهرات (قرع الأوانى CACfROLAZOS حيث يســـير المواطنون وهم يقرعون الأوانى النحاســـية أو من الصفيـــح للتعبير عن استيائهم.

وقد طلب الســـيد نصرالله أن تقوم محكمة دولية بإعادة عد الأصوات، ولكن اللجنة العليـــا للانتخابات أعلنت يوم 18 ديســـمبر 2017 عن فوز الرئيس خوان أورلاندو هيرثاندث بالانتخابات.

ثانياً: انتخابات رئاسية خلال عام 2018:

من المقرر إجراء انتخابات رئاســـية فى أربع دول لاتينية خـــلال عام 2018 كالتالى:

كولومبيا «27 مايو» ـ المكســـيك «1 يوليو» ـ البرازيل «7 أكتوبر» ـ فنزويلا «نهاية العام».

والواقع السياسى يشـــير إلى دخول أعداد كبيرة من مرشحى الأحزاب فى هذه الانتخابات، وأيضاً كثرة عدد المرشـــحين المســـتقلين ممـــا يعنـــى أن الحكومات الجديدة ستكون فى أغلب الأحوال ائتلافية، ومن المهـــم أن تسرع هذه الحكومات من وتيرة النمو الاقتصادى الذى سيؤثر على عمليات التكامل الإقليمى.

ومن المقرر إجـــراء أربعة انتخابات رئاســـية أخرى فى دول أمريكا اللاتينية خلال عام 2019.

ثالثاً: أحداث رئاسية:

كما حدثت عدة أحداث تتعلق بوضع الرؤســـاء خلال نفس الفترة فى عدة دول وتؤثر على تطورات المستقبل فى تلك الدول وهى:

فنزويـــلا

أعلن الرئيس نيكولاس مادورو خلال ديســـمبر 2017 أن فنزويلا ســـتصدر عملة جديدة وهى البترو PETRO حيث انخفض سعر العملة الفنزويلية الحالية (البوليفار) بنســـبة 95.5 ٪ بالنســـبة للدولار فى السوق السوداء العام الماضى.

وذكر الرئيس أن العملة الجديدة سوف تساعد فنزويلا على مواجهة الحصار المالى الأمريكى المفروض منذ أغسطس 2017 وأنها ســـوف تربط بأكبر مخزون بترولى فى العالم فى فنزويلا، بالإضافة إلى ربطها بالذهب والماس. وتم هذا الإعلان فى الوقت الذى أعلن فيه بعض المدينين أن فنزويلا أخفقت فى سداد ديونها المستحقة.

وواجه الرئيس الفنزويلى أزمة هروب السيد أنطونيو ليدسما عمدة كراكاس إلى كولومبيا ثم أسبانيا بعد أن كان موضوعاً تحت الإقامـــة الجبرية بمنزله منذ فبراير 2015 بعد اتهامـــه بالتآمر ضد الرئيس نيكولاس مادورو.

وتذكر وســـائل الإعـــلام أنه جارى القبض عـــلى بعض الأشـــخاص الذين ساعدوا زعيم المعارضة على الهروب.

الأرجنتين

أصدر قـــاض فيدرالى أرجنتينى يوم

7 ديسمبر 2017 قرارًا بمحاكمة السيدة كريستينا كيرشنر رئيسة الأرجنتين سابقًا وعضوة البرلمان حاليًا بتهمة التستر على الإيرانيين المتهمين فى محاولة تفجير جمعية يهودية فى بيونس أيرس عام 1994 «وهذا التفجير لاحق لتفجير عام 1992 أمام السفارة الإسرائيلية»، وطلب من مجلس النواب التصويت لرفع الحصانة عنها كعضوة به ليمكن القبض عليها «وتم فى نفس اليوم القبض على سكرتيرها الخاص أثناء رئاستها، وقبض على مفتى الجالية الإسلامية».

كان المدعى العام ألبرتو نيسمان قد وجه للسيدة كيرشنر الاتهام وإلى بعض أعضاء حكومتها فى يناير 2015، ووجد بعدها المدعى العام ميتًا ومازال التحقيق جاريًا لمعرفة سبب وظروف وفاته.

وتدعى السيدة كيرشنر منذ فترة طويلة أن الرئيس الحالى ماوريسيو ماكرى يستغل السلطات القضائية لمطاردة معارضيه ويريد أن يكون البرلمان خاضعًا له.

ويواجه الرئيس ماكرى أيضًا آثار تطورات حادث فقد غواصة أرجنتينية والتحقيق فيما حدث لها بالإضافة إلى آثار صدور الحكم على 29 شخصًا بالسجن فى أكبر قضية خاصة بجرائم الديكتاتورية فى الفترة 1976 – 1983 وعدم الرضا عن الأحكام.

بوليفيا

أجريت انتخابات رئاسية فى ديسمبر 2005 فاز بها الرئيس إيفو مورالس وتولى الحكم فى يناير 2006 ثم وضع دستوراً جديداً لاستيعاب محاولة انفصال فى المحافظات الشرقية بالبلاد.

تمت الموافقة على الدستور الجديد فى يناير 2009 وأجريت انتخابات رئاسية جديدة فى أعقابها فاز بها الرئيس مورالس وانتهت فترته الرئاسية فى عام 2014.. كذلك فاز الرئيس مورالس بالانتخابات التى أجريت فى أكتوبر 2014 بفترة رئاسية تنتهى فى 2019.

أجرى استفتاء فى فبراير 2016 على إمكانية تغيير مواد دستور 2009 الذى لا يسمح سوى بفترتين رئاسيتين متعاقبتين وهو ما يعيق ترشح الرئيس مورالس فى انتخابات عام 2019 لأنه تولى الرئاسة فى ظل الدستور الجديد لفترتين 2009 – 2014 ثم 2014 – 2019 «على اعتبار أن الفترة 2006 – 2009 كانت فى ظل دستور قديم».

ولذا تقدمت مجموعة من البرلمانيين من حزب الحركة نحو الاشتراكية «حزب الرئيس مورالس» بطلب إلى المحكمة الدستورية بتعليق بعض مواد دستور 2009 الخاصة بقصر تولى الرئاسة على فترتين متعاقبتين لأنه يجب احترام حق الرئيس فى أن ينتخب وحق الشعب فى أن ينتخبه آخذين فى الاعتبار المادة 23 من العهد الأمريكى لحقوق الإنسان.

حكمت المحكمة الدستورية بأن هذه النصوص تؤثر على حقوق مورالس السياسية وحقوق نائب الرئيس وباقى السياسيين الذين تم تحديد «تقييد» إعادة انتخابهم، وقدرت أن هذه الحقوق لها أولوية على القيود الدستورية.. وفسر رئيس المحكمة هذا بقوله أن حكم المحكمة يمكن الرئيس من حق له دون أن يسلب الآخرين حق الفوز ضد الرئيس فى الانتخابات.

وهذا معناه أن الرئيس إيفو مورالس يستطيع الترشح فى الانتخابات الرئاسية عام 2019 لفترة رئاسية جديدة تنتهى فى عام 2025.

إكوادور

أصدرت محكمة إكوادورية يوم 13 ديسمبر 2017 حكمًا بالسجن لست سنوات على خورخى جلاس نائب الرئيس بتهمة تلقى رشاوى من شركة أودبرشت البرازيلية (أكبر شركة بناء فى أمريكا اللاتينية) مقابل منحها مشروعات خلال الفترة 2010 – 2012 أى أثناء حكم الرئيس السابق رفائيل كوريا الذى يعيش فى بلجيكا منذ انتهاء فترتى رئاسته للإكوادور وكانت وزارة العدل الأمريكية قد أعلنت أن شركته أودبرشت البرازيلية قد منحت رشاوى بلغ مجموعها 788 مليون دولار مقابل الحصول على عقود فى 12 دولة لاتينية و«أفريقية».

وكان الرئيس الحالى لينين مورينو قد أقال نائبه خورخى جلاس فى شهر أغسطس الماضى متهمًا إياه بعدم الولاء.

ويفسر البعض هذه الأحداث فى سياق صراع سياسى بين أنصار الرئيس السابق رفائيل كوريا والرئيس الحالى لينين مورينو داخل نطاق الحزب الحاكم «تحالف البلاد» نتج عنه رغبة الرئيس السابق فى أن يكون نائبه جلاس هو من يخلفه فى الرئاسة، ولكنه اضطر إلى ترشيح مورينو بسبب الشعبية التى يتمتع بها.

بيرو

فى 14 ديسمبر طلب أعضاء «حزب القوة الشعبية» المعارض فى بيرو والذى له الأغلبية فى البرلمان طرد الرئيس بيدرو كوتشينسكى من منصبه «الذى تولى الرئاسة بعد فوزه فى انتخابات يونيو 2016 على كيكو فوجيمورى»، وذلك فى أعقاب ما ذكرته شركة أودبرشت البرازيلية فى برلمان بيرو أثناء التحقيقات معها حول الرشاوى التى قدمت أن لها علاقة بشركتين مرتبطتين بالرئيس البيروانى.

نفى الرئيس البيروانى تلقيه أى رشاوى طوال حياته المهنية وذكر أنه سيجتمع بلجنة البرلمان المشكلة للتحقيق يوم 22 ديسمبر 2017.

ونظراً لأن الدستور يمنع التحقيق مع رئيس فى الحكم، فقد اقترح بعض النواب منح الرئيس إجازة، واقترحوا أن يعين البرلمان شخصاً آخر نظراً لعدم قدرة الرئيس معنويًا أو جسمانيًا على ممارسة مهامه.

وقد أدى كشف شركة أودبرشت تقديمها رشاوى إلى الحكومات البيروانية فى عهد ثلاثة رؤساء بيروانيين متعاقبين إلى هزة سياسية واقتصادية فى البلاد.

خاتمة:

من المفيد دراسة المشاكل التى تواجه رؤساء أمريكا اللاتينية حاليًا لتنوع ظروف كل منها.

وتتبع الانتخابات الرئاسية فى أمريكا اللاتينية يشير إلى:

1 – تركز الصراع السياسى حول قضايا فساد لكبار المسئولين فى عدد من الدول، وغياب سياسات مكافحة الفساد الجدية بالإضافة إلى معارك حول تغيير المدد الرئاسية بالدساتير.

2 – نشاط دور السلطات القضائية فى التحقيق فى قضايا الفساد.

3 – تدنى ثقة الناخب اللاتينى فى قدامى السياسيين والمؤسسات السياسية، وبالتالى ازدياد دور وقوة الإعلام بما فيه وسائل التواصل الاجتماعى.

4 – أدت هذه الأزمات إلى خوف المستثمرين فى ضوء ما تكشفه قضايا الفساد.

5 – ولعل تباطؤ النمو الاقتصادى يعود فى جانب كبير منه إلى العوامل السابقة، وانشغال السياسيين بهذه القضايا.

6 – من المتوقع ضعف الإقبال الشعبى على الانتخابات القادمة وظهور أحزاب وتكتلات ووجوه انتخابية جديدة فى الانتخابات القادمة.

منتدى الاستثمار فى أفريقيا 2017

7 إلى 9 ديسمبر 2017

صدرت عن منتدى أفريقيا 2017 الذى استضافته شرم الشيخ من 7 إلى 9 ديسمبر 2017 تحت رعاية الرئيس عبدالفتاح السيسى خمس توصيات مهمة تضمنت:

1 - زيادة التكامل الاقتصادى وتشجيع ضخ استثمارات جديدة فى بلادنا الأفريقية لرفع معدلات النمو الاقتصادى والتنمية.

2 - إقامة مشروعات مشتركة خاصة فى مجال البنية الأساسية لتدعيم الاستثمار والتبادل التجارى بين دول القارة.

3 - تعزيز دور القطاع الخاص الأفريقى بين هيئات الاستثمار من أجل زيادة معدلات الاستثمار داخل دول القارة وتبادل الخبرات.

4 - تنفيذ برامج محفزة لريادة الأعمال وتبنى مبادرات لإتاحة التمويل لزيادة مشاركة الشباب كعماد للاقتصاد الأفريقى حالياً.

5 - تمكين المرأة فى كافة مجالات النشاط الاقتصادى كعنصر فعال فى عملية التنمية فى أفريقيا وكمحور أساسى لتحقيق الاستقرار الاقتصادى.

وأوضح الرئيس السيسى فى مداخلته، إن أكبر آفة تهدد استقرارنا وفرصنا على مستوى القطاع العام والخاص أو الدولى هو الإرهاب وعدم الاستقرار، وتابع: «من يريد تحقيق نمو مستدام عليه تحقيق استقرار حقيقى سواء أمنى أو سياسى. وفى حال عدم تحقيق الاستقرار مهما كان حجم الفرصة فلن يغامر أى مستثمر بدخول سوق غير مستقرة.. هغامر ولا هقامر ولا هستثمر؟ لا أنا هستثمر. ووجه الرئيس السيسى لشباب قارتنا رسالة، خلال بيانه أمام المنتدى قال فيها: «حافظوا على استقرار بلدانكم ولا تسمحوا بمظاهر عدم الاستقرار وأبرزها الإرهاب والتطرف»، لافتاً إلى ضرورة تحصين أوضاع مجتمعاتنا حتى قبل أن يكون هناك تهديد فى الداخل. وشدد الرئيس السيسى، على أن الإرهاب والتطرف أخطر سلاح لتدمير الأمم وآمال الشعوب وبالتالى تحصين المجتمعات من هذه الآفة يُعد أمناً قومياً. لقد أنفقنا أموالاً ضخمة وفقدنا استثمارات هائلة وأضعنا فرصاً كبيرة بسبب هذه الآفة التى لم تُواجه بالشكل المناسب أو أنه لم يتم تحصين المجتمع منها.

وقال الرئيس السيسى إن القطاع الخاص يقوم بأكثر من 90٪ من الاستثمارات فى القارة، مؤكدًا أن التعاون بين القطاع الخاص والحكومات أمر فى منتهى الأهمية، ومن هنا أهمية عقد المائدة لمناقشة التحديات ومشكلات وصعاب تقابل هذا التعامل ليحدث التناغم المطلوب بين الحكومات والقطاع الخاص. وأضاف الرئيس، خلال بيانه بمنتدى أفريقيا 2017 بشرم الشيخ، أن هناك مصاعب كثيرة تقابل القطاع الخاص، وهناك تحديات للحكومات ويجب أن تقوم بتسهيل هذه المصاعب لتيسر الأمر على التعاون، لافتًا إلى أن وجود الرؤساء فى اللقاء فرصة كبيرة للتحدث من خلالها وتبادل الرأى والأفكار بشأن هذا الموضوع، فهناك تحديات كثيرة. وذكر السيسى، أن أفريقيا بها حجم ضخم من الموارد الطبيعية بجميع أشكالها، والثروة البشرية، فهناك حجم كبير من البشر قادر على العطاء لتحقيق الآمال لنفسه ولبلده.

أفريقيا لديها قدرات وآمال.. يتبقى حشد إرادتنا:

وأوضح الرئيس السيسى، أنه كلما اقتربنا من بعضنا البعض على المستوى الثنائى أو الإقليمى كتكتلات، أو على المستوى القارى، فإن فرص التعاون تزيد، وكذلك تقل فرص التنافس غير المقصودة، مضيفاً فى جلسة «دور القطاع الخاص فى تنمية القارة»، أن مصر دعت إلى التكامل مع أشقائنا فى السودان منذ أكثر من 40 سنة، ولكن ما تحقق ليس كثيراً، لأن الإرادة والمسار الطبيعى لتحقيق الأهداف قد لا يكون غير متوفر. وأكد أن إرادة التعاون وحشد الطاقات ليست مجرد كلام، ولكنها إجراءات نتجاوز فيها الخلافات، مضيفا إننا فى بداية الطريق، وطالما نحن مصرّين على أن نكون على الطريق ونتحرك عليه بقوة فسوف يتحقق الأمل الذى نتمناه. وذكر الرئيس أن أفريقيا لديها مقومات وقدرات ولديها آمال، ويتبقى أن نحشد إرادتنا، وننظر للهدف الذى نصبو إليه، ويجب أن نتعاون ونتكامل ونتقدم، وكل شئ سيتحقق طالما هناك إرادة.

وذكر الرئيس أن منتدى أفريقيا 2017 خطوة على طريق ومشوار طويل لقارتنا، وتابع: « لن يكون لدينا كافة الحلول للمشاكل والتحديات التى تواجه القارة ولكن المنتدى خطوة على الطريق.. لا أقول كلاماً معسولاً حتى أنهى النقاش، ولكن أريد أن أصف المشكلة حتى نلبى طموحات الشعوب». وأضاف الرئيس أن التعاون والتكامل على مستوى القارة يوجب الاطلاع على حجم الجهد والإجراءات والتقدم الذى قام به الاتحاد الأوروبى والذى يواجه عقبات وتحديات حتى الآن، وتابع: «الحديث عن التعاون والمنافسة يجعلنى أقول إن كل دولة من دول العالم تبحث عن فرص الاكتفاء الذاتى لديها من خلال برنامج وطنى، حتى يتم تلبية احتياجات شعبها أولاً ومن

ثم تنطلق إلى التصدير إلى الخارج حتى تعزز من قدراتها الاقتصادية وتمتلك عملة حرة». وشـــدد الرئيس السيسى، أنه لا توجد دولة تســـتطيع أن تحدث اكتفاء ذاتياً فى كافـــة المجالات، ولكن بتعاون الدول الأفريقية تســـتطيع أن تصنع اكتفاء فيما بينها عندما يحدث مزيد من التواصل والتقارب والتعاون. ولفت الرئيس السيسى، إلى أن التواصل بين قيادات الدول والشعوب واللجان المشـــتركة التـــى تضـــع موضوعات للتعـــاون وتخلـــق فرصـــاً تكاملية تعزز فـــرص التعاون ولا تخلق حجم منافســـة فى نقاط التعاون المشتركة. وتابع: «هذا الكلام سيحدث بين دول القارة بالكامل. نبتدى نتكامل ونغير خريطة القارة الزراعية بما يتناســـب مع احتياجاتنا ومـــا يفيض بعد ذلك نعمل على تصديره ..هذا لن يحدث الآن كونه يحتاج جهداً كبيراً من الحكومات وإدارة وتفاهمـــاً كبيريـــن وبعداً عن الأنانية والذاتية ويتطلب أيضاً حجماً كبيراً من الاستقرار..

وقال الرئيس إن هناك جهداً مبذولاً خلال السنوات الأربعة الماضية من إعداد بنية أساســـية متطورة، وطاقة سواء كهربية أو غاز، مؤكداً أنه ليست لدينا أية مشكلة فى أى حجم من الاستثمارات يتم استيعابها لأنها متوافرة. وأضاف الرئيس أن لدينا شبكة طرق تصل إلى خط الحدود الدولية لكل من حدودنا الغربية والجنوبية، ومســـتمرون فى هذا العمـــل، موضحاً أنـــه يتم رفع كفاءة شبكة الموانئ البحرية والجوية لتســـتطيع أن تؤدى الخدمة. وأكد أنه تم إنجـــاز جزء كبير من إصلاح البنية التشريعية المناسبة لجذب المستثمرين. وتابع: نخطو خطوات جيدة فى برنامج الإصلاح الاقتصادى، وليست لدينا أية مشكلة حالياً فيما يتعلق بسعر صرف الدولار.

ووجه الرئيس الســـيسى رســـالة للمستثمرين قائلاً: «لديكم فرص قوية فى مصر، لأن لدينا محـــوراً اقتصادياً لقناة الســـويس، وهو شريان تمر به 20٪ من التجارة العالمية، وتم تطويره خلال الثلاث سنوات الماضية، وخفض زمن الرحلة 11 ســـاعة، ويســـمح بالتحرك بشـــكل متـــواز، كما أن لها قوانينها الخاصة لتجذب استثمارات أكثر». واستطرد: مستعدون أن نشجع كل مســـتثمر جاد، وإننا داعمون له بشكل كامل.

كمـــا أعرب الرئيس عـــن امتنانه للشـــعب المصرى الذى تحمل ومازال يتحمل ضغوطاً هائلـــة، قائلاً: جزء كبير من الاستثمار كان مرتبطًا بإرادة شـــعب وليس إرادة حكومة أو قيادة، التحديات فى مصر كانت ضخمة جدًا، ومـــش ممكن أتكلم عـــن اللى اتعمل بدون أن أذكر دور الشـــعب المصرى. أنا لا أجامله ولكنى أقر واقعاً. وأضاف الرئيس أن المصريين تحملوا الضغوط لتحسين الواقع الصعب نحو مستقبل أفضل، وتابع: الإجـــراءات التى تمت بشـــأن الاســـتثمار فى مصر كثير من المتابعين للشأن المصرى يتصورون أن هناك إجراءات أفضل من التى اتخذت، والبعيد عن الواقـــع يمكن أن يتحدث وينظر، ولكن هنـــاك فارقاً بينه وبين الواقع الذى أمام المسئول الذى تكون الصورة أمامه بشكل متكامل.

وأوضح الرئيس إن قطاع الاتصالات أحد أهم القطاعـــات بمصر وأكثرها تقدماً وتطوراً قياساً ببقية القطاعات وحجم النمو بها ضخم جداً. وأضاف أن الدولة المصرية تحرص على تشجيع قطاع الاتصالات بـــكل ما تعنيه كلمة «تشجيع» وجذب الاستثمارات بقطاع الاتصـــالات وتكنولوجيـــا المعلومات. فمصر أكبر دولة على مســـتوى العالم اتصالاً بالكابـــلات البحرية، حيث إن هنـــاك 14 كابلاً بحرياً تعبر من مصر لتربط الغرب بالـــشرق أى من جنوب شرق آســـيا وصولاً إلى أوروبا ومن ثم إلى أمريكا، وجهـــاز تنظيم الاتصالات ينظم العلاقة بين الشركات التى تريد العبور من مصر. وقد تم إيضاح ذلك رداً على أحد ممثلى شركات الاتصالات الأفريقية الذى كشـــف عن أن شركته تريد العبور من مصر وتشرع فى ذلك منذ عامين، ولكن حتى الآن لم تحصل على الرخصة اللازمة لذلك.

وأكد الرئيس الســـيسى أن المرأة المصريـــة لها دور عظيـــم فى تحقيق اســـتقرار مصر، والحفاظ على هوية الدولة، موضحـــاً أن المرأة المصرية فى وجدان وضمير المصريـــين، وأنه فيما يخص تشجيع المرأة، ليس فقط بشكل معنوى، فقد تم تخصيص عام للمرأة واتخاذ إجـــراءات دعما لحقوق المرأة. وأوضح السيسى أن رائدات الأعمال فى مصر هن الأكثـــر نجاحاً، وتمت إتاحة أراض ومناطق صناعية للمستثمرين، وصغار المســـتثمرين، مشـــيراً إلى أن حجم الأراضى التى تمـــت إتاحتها فى مجال المناطق الصناعية يســـاوى ما تمت إتاحته فى عشر ســـنوات مضت، وخلال العام الحالى ستتم إتاحة حجم

أكبر من الأراضى.

وأشار الرئيس إلى أن هناك محاولات لاختزال الإجراءات المطلوبة، بعمل مجمع من الإسكان والصناعة والاستثمار، لتسهيل الحصول على فرص حقيقية بمناطق صناعية بشكل جيد، وكذلك التمويل بما يقرب من 200 مليار جنيه بفائدة 5٪ فقط للصناعات الصغيرة ومتناهية الصغر، لإعطاء فرصة لرواد ورائدات الأعمال. وأوضح الرئيس أننا لا نغفل دور منظمات المجتمع المدنى التى تقوم بدور كبير فى إتاحة الفرصة لتشغيل المرأة المعيلة والرائدات الريفيات، وتكمل دور الدولة بشكل جيد، مؤكداً الحرص على إتاحة فرصة الاستثمار لرواد الأعمال، والنتيجة أن رائدات الأعمال أكثر مثابرة وإصراراً على النجاح من رواد الأعمال.

كما قال الرئيس إن مصر حريصة على أن يأخذ قطاع التعليم حقه فى التطوير بالشكل الذى يحقق أهدافنا فى الحصول على منتج تعليمى جيد، موضحاً أنه يتم تشجيع القطاع الخاص، وأنه أتيحت أراض فى المدن الجديدة لصالح المدارس الخاصة والدولية، ومدارس على مستوى حكومى. وأضاف أن حجم من هم تحت سن العشرين عاماً فى التعليم ضخم جداً، وبالتالى الفرص المتاحة فى هذا القطاع كبيرة، موضحاً أنه يتم توفير فرص الاستثمار للجادين فى هذا المجال ولكن بشرط أن يقدم برنامج تعليمى جيد، فهناك 6 جامعات خاصة يتم إنشاؤها فى العاصمة الإدارية الجديدة وخلال عام ونصف ستكون جاهزة للافتتاح. وأكد أن ما نطلبه فى التعليم الخاص الجامعى، أنه يتم إتاحة الوصول للتعليم الخاص من خلالهم، بشرط الحصول على توأمة بشهادة معتمدة من أفضل 50 جامعة فى العالم، ومن حقنا أن نطمئن على أن التعليم المتاح فى مصر لا تقل كفاءته عن مستوى أفضل 50 جامعة فى العالم. وتابع: إننا لن نتيح النفاذ للتعليم الخاص إلا بمستوى تعليمى متقدم جداً، فيتم إنشاء جامعة فى العلمين وأخرى فى الجلالة كل منها بها 26 كلية، ستكون على أرقى مستوى فى العالم، ولن يتم افتتاحها إلا من خلال الحصول على الشروط، ولن نقبل بمستوى متواضع.

وأكد الرئيس السيسى ثقته فى قادة منتدى أفريقيا 2017 وأنهم سوف يبذلون أقصى جهد للمساهمة بفعالية فى تطوير آليات التكامل والاندماج الإقليمى، وتعزيز تنافسية أسواقنا الوطنية بما يزيد من قدراتها على جذب مزيد من الاستثمارات وعلى النفاذ إلى الأسواق الدولية. وأعرب الرئيس عن ثقته فى عمل قادة أفريقيا بالمنتدى على دعم التحول إلى مجتمعات المعرفة وتطوير مجالات البحث والابتكار، مؤكداً أن مصر ستظل داعمة لقضايا قارتنا الأفريقية وشريكاً فى تنمية القارة جنباً إلى جنب مع أشقائها بما يحقق مصالح شعوبنا ويلبى تطلعاتها فى تحقيق التنمية المستدامة.

نص كلمة الرئيس السيسى فى جلسة تعزيز ريادة الأعمال بأفريقيا

السيدات والسادة

أبنائى رواد الأعمال، حاضر ومستقبل قارتنا الغالية، أغلى ما نملك من ثروة، ومصدر الطاقة الذى لا ينضب، أؤكد لكم أنكم قادرون على أن تكونوا المحفز الأساسى للنشاط الاقتصادى، وتساهموا بفعالية فى توفير فرص العمل وتحقيق التنمية المستدامة الشاملة، التى تتطلع إليها شعوب هذه القارة. إن الاقتصادات المتقدمة والنامية تهتم على حد سواء بدعم الابتكار ورواد الأعمال والشباب، لما لهم من مساهمة إيجابية فى النمو الاقتصادى، حيث نشاهد كيف أن مجموعة من رواد الأعمال الشباب يقومون ببناء وتنمية شركات تصبح فى وقت وجيز شركات عالمية تتجاوز قيمتها السوقية إجمالى الناتج المحلى لبعض الدول.

وأود هنا أن أؤكد ثقتى فى قدرات شبابنا وإمكاناتهم الواعدة، لا سيما فى ضوء أن نسبة مَن هم أقل مِن 25 عاماً فى أفريقيا تصل إلى حوالى 60٪ من إجمالى سكان القارة، كما يتسع حجم السوق الأفريقية ليصل عام 2050 إلى 2.4 مليار نسمة، مما يترتب عليه أهمية تعزيز التعاون بين الحكومات والقطاع الخاص، لحشد كافة مواردنا وتحفيز وتنمية ريادة الأعمال فى أفريقيا. كما أشدد فى هذا السياق على أهمية مواكبة التطورات التكنولوجية على الساحة العالمية، وتعظيم الاستفادة من الفرص المتاحة، حتى تستطيع أفريقيا اللحاق بركب الثورة الصناعية الرابعة، ومن هذا المنطلق فقد سبق وأن أعلنت خلال فعاليات منتدى شباب العالم فى شهر نوفمبر الماضى، هنا فى شرم الشيخ، عن تأسيس أول مركز إقليمى لرواد الأعمال فى أفريقيا، ليكون بمثابة منصة للتعاون وتبادل الخبرات لدعم ومساندة رواد الأعمال فى القارة.

إن أولويتنا هى دعم رواد الأعمال خاصة مَن يقدم حلولاً جديدة ومبتكرة للتصدى للتحديات التى تواجه القارة فى شتى القطاعات، كالتعليم والصحة والخدمات الأساسية، والتى يجب تقديمها لجميع فئات المجتمع وبتكلفة اقتصادية وفقاً لأعلى معايير الجودة.

وفى مصر، نواصل بذل أقصى الجهد لدعم ومساندة رواد الأعمال والشركات الناشئة والمشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر والمتوسطة والمستثمرين الشباب، حيث قمنا بتنفيذ عدد من البرامج والمبادرات، أهمها:

أولاً: تحفيز ريادة الأعمال من خلال التركيز على التعليم والبحث العلمى، وتطوير مناهج التعليم لإكساب الطلاب القدرة على الإبداع والابتكار وتطوير الذات لمواكبة التطورات على الساحة العالمية، وكذلك دعم الجامعات ومراكز البحث العلمى لتحويل الأبحاث

والدراسات وتطبيقاتها إلى فرص استثمارية..

ثانياً: تقديم التمويل وبرامج بناء القدرات لرواد الأعمال والمستثمرين الشباب وخلق بيئة أعمال تمكنهم من بناء شركات سريعة النمو، وذلك من خلال مبادرة البنك المركزى المصرى لدعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة من خلال توفير تمويل ميسر، وبرنامج مصر لريادة الأعمال الذى يقدم الدعم المالى والفنى للشركات الناشئة ورواد الأعمال عن طريق المشاركة فى المخاطر مع الشباب، وقد تم تأسيس أكبر حاضنة أعمال فى أفريقيا من خلال هذه المبادرة.

ثالثاً: تحسين البيئة التشريعية وتقديم الدعم المؤسسى، حيث نص قانون الاستثمار الجديد لأول مرة على دعم الدولة للشركات الناشئة والمشروعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة لتمكين الشباب وصغار المستثمرين، وتشجيع ريادة الأعمال، كما تم إصدار تشريعات وقوانين جديدة تتواكب مع التطورات الاقتصادية مثل قانون التراخيص الصناعية، وخدمات الدفع الإلكترونى، وتعديل قانون الشركات، بما يساهم فى تقدم وازدهار بيئة الأعمال فى مصر. وبالإضافة إلى ما سبق، تم كذلك تأسيس مراكز خدمات رواد الأعمال فى كافة محافظات مصر، بهدف مساعدة الشركات الناشئة من خلال تقديم خدمات تأسيس الشركات وغيرها من الخدمات الحكومية، فضلاً عن تقديم البرامج التدريبية وورش العمل، وتقديم الدعم الفنى والقانونى، وتقديم المعلومات حول مصادر التمويل المختلفة وطرق الحصول على التمويل.

شباب أفريقيا الواعد

أنتم مستقبل هذه القارة، وميزتها التنافسية.. أنتم مصدر ثروتها الحقيقى وأملها فى غد أفضل.. نؤكد على دعمكم ومساندتكم.. ونعتمد عليكم لتحقيق طموحاتنا جميعاً فى المستقبل الذى نرجوه لقارتنا الغالية.

أشكركم جزيلا

الاقتصادات المتقدمة تعطى أهمية لابتكارات الشباب

أكد الرئيس السيسى أن الاقتصادات المتقدمة تعطى أهمية لابتكارات الشباب، وأن مصر لديها رؤية تجاه شبابها، وشباب القارة الأفريقية، مبيناً أن السنوات الماضية شهدت إغفال هذا الدور وتشجيعه. وأضاف أن التجربة المصرية تجربة رائعة جداً على مدار سنة كاملة، مضيفاً: «كنا نلتقى الشباب المصرى وكانت تجربة أكثر من رائعة ومهمة، ونتحدث معهم وينتقدوننا ونتفاعل معهم. وأوضح الرئيس أن قادة العالم منتبهون لدور ومشاركة الشباب، الذى يمثل المستقبل والطموح والنقاء والقدرة»، مشدداً: «قلبنا مع كل شبابنا وإرادتنا واستعدادنا مع كل شبابنا بلا حدود».

200 مليار جنيه للصناعات الصغيرة

وأشار السيسى إلى أن مصر أتاحت 200 مليار جنيه للصناعات الصغيرة ومتناهية الصغر، للشباب ورجال الأعمال والمستثمرين، فى دولة ظروفها الاقتصادية صعبة، بمعدل 50 مليار جنيه كل عام، لصالح المشروعات، ما يعد ثقة فى حد ذاته، لأنه يتيح للشباب التمويل بقروض بفوائد محدودة وصغيرة جداً، كبداية لتقديم الثقة لهم. وأضاف الرئيس أن الثقة ليست فقط توفير التمويل، ولكن المساهمة فى صياغة وإعداد الشباب لتكون الفرص فى محلها، فقد تكون الفكرة الموجودة غير قابلة للنجاح، بالإضافة إلى تقديم خريطة استثمارية عن الفرص التى يمكن أن يعمل بها الشباب فى مصر، ويجد الفرصة الحقيقية لممارسة عمل ينجح فيه، بالإضافة إلى إتاحة التدريب والتأهيل. وكشف عن إتاحة دراسات الجدوى الخاصة بالمشروعات، مؤكداً أن الثقة ليست فقط عملية معنوية، ولكنها إجراءات تتم لنجاحها ويكون لها عائد حقيقى لدى الشباب ومن لديهم أفكار وإرادة، لأن المستقبل القادم هو مستقبل الشباب، لذا فإن الدولة تضعهم على رأس أولوياتها، مضيفاً «قلبنا مع كل شبابنا وإرادتنا مع دعمهم لينجحوا».

أفريقيا تحتاج لبناء جسور الثقة

وشدد الرئيس السيسى على أن شباب أفريقيا هم مستقبل هذه القارة، وميزتها التنافسية ومصدر ثروتها الحقيقى وأملها فى غد أفضل، مضيفاً أن الدولة والمجتمع الأفريقى، يجب أن تعتمد بناء الثقة بإجراءات مشتركة بين المستثمر الصغير، والقيادة التى توفر آليات الثقة من مشروعات وفرص استثمار وتمويل لازم بفائدة بسيطة، وإن أمكن بدون فائدة أمر رائع، ثم الخريطة الاستثمارية والتدريب والتأهيل، ودراسات الجدوى، ولو لم نفعل ذلك تكون النتائج متواضعة بعكس طموحات شبابنا. وقال الرئيس إن مصر لديها ملايين من الشباب يحتاجون إلى فرص عمل ويحلمون بغد أفضل، لذا فالدولة قدمت قروضاً بفائدة حوالى 5٪ لدعمهم، وأقامت مدينة لصناعة الجلود فى مصر، حتى باتت التجربة الاستثمارية مختلفة فى مصر، مع مواصلة السعى لتوفير فرص عمل حقيقية للشباب، وتذليل العقبات أمام شباب المستثمرين.

اختصار الإجراءات فيما يتعلق بالاستثمار والمشروعات

وشدد الرئيس السيسى على أننا نهدف حالياً إلى اختصار الإجراءات التى يحتاجها الشباب لبداية مشروعاتهم، وقررنا صناعة حضانات صناعية وزراعية ليحدث هذا. وأضاف: أطلقنا مشروع الـ1.5 مليون فدان لنجهز للشباب الأرض وآبار المياه وفق ما يحتاجه ومنظومة الرى، ويأخذ الأرض الزراعية ويبدأ العمل بفرصة حقيقية للنجاح، وفكرنا نشترى حتى المعدات للشاب ولكن المسئولين تحفظوا على ذلك، وكان التفكير أن ندرب الشاب على المعدة ونجهزها له وحتى الإعلان لتسويق المنتج.

علاقاتنا القوية بأفريقيا تستلزم الاستثمار فى دولها

تسارعت خلال السنوات الأخيرة مظاهر الاهتمام الرئاسى والقيادى المصرى بالعلاقات مع بلدان القارة الأفريقية. سواء بالمشاركة فى مؤتمرات وأنشطة القارة، على المستوى الثنائى، وبزيارات رئاسية متبادلة. وهو نشاط يعيد قارتنا إلى قلب دوائر اهتمام السياسة الخارجية لمصر. ويستكمل بصورة أعمق الجهود التى تتم على مستوى السفارات والسفراء، والخبرات التى كان يقدمها الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع أفريقيا، ثم الوكالة المصرية للمشاركة والتنمية. ولقد رأيت ــ أثناء عملى فى قارتنا السمراء ــ قدر القبول الذى تحظى به مصر وحضاراتها العربية الإسلامية، والقبطية، والنوبية السمراء.

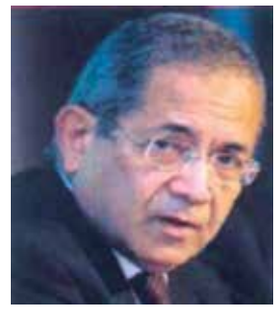

سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

وهو ما يتيح لمصر دائماً القدر المطلوب لدعم النفاذ لبلدان القارة. وليس أدل على ذلك أفضل من تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى مطلع ديسمبر 2017 بأغلبية ساحقة ضد تبعية مدينة القدس لإسرائيل. حيث أكدت 151 دولة أثناء التصويت أنه لا صلة للقدس بإسرائيل، وهو القرار الأممى الثامن عشر الموجه ضد إسرائيل منذ بداية العام، وفقاً لقول ممثل الولايات المتحدة. وتعنى هذه الأغلبية الكاسحة أن كل دول أفريقيا صوتت لصالح القرار. خلافاً لما يتردد عن نفوذ إسرائيلى يستعاد فى القارة.

ويشعرنى هذا بالرضا على المستويين المهنى الوطنى، والإنسانى الشخصى، لأنى أرى العلاقات المصرية الأفريقية تعتدل مساراتها. بعد أن بلغها الجمود فى أعقاب محاولة الاعتداء على الرئيس فى أديس أبابا سنة 1995. ونتيجة التقدم فى العمر عموما الذى أصاب رأس الدولة فقلل من نشاطه. حتى أننى كتبت فى تقرير انتهاء مهمتى فى أفريقيا سنة 1994 أن رئيس الدولة ــ التى كنت ممثلا لمصر لديها ــ تلقى دعوة لزيارة مصر قدمها له السفير السابق عليّ، قبل ثمانى سنوات. وكلفت بتجديدها عندما قدمت أوراق اعتمادى. وعبر الرئيس الأفريقى دائماً عن سعادته بالدعوة وتطلعه لتلبيتها. غير أن مصر حددت له ستة أو سبعة مواعيد لإتمام الزيارة طوال السنوات الثمانية، قبلها جميعاً، ثم ألغتها مصر جميعاً موعداً تلو الآخر لانشغالها عن أولويات القارة هنا أو هناك. وكان من المهم إصلاح كل هذا الضرر.

مؤشرات أفريقيا إيجابية

تحتل القارة ثانى أكبر مساحة بين قارات العالم، وتضم ثالث أكبر تجمع للسكان. فقد بلغ سكانها فى عام 2016 نحو 1200 مليون نسمة. يمثلون حوالى 13٪ من سكان العالم. وزاد حجم تجارة أفريقيا اعتبارا من سنة 2000 عندما بلغت نحو 243 مليار دولار. منها صادرات سلعية 133 مليار دولار، وواردات 110 مليارات. بما يعنى تحقيق فائض فى ميزان التجارة السلعية لأول مرة. غير أن ذلك يعبر عن نصيب متواضع للقارة فى التجارة الدولية. وليس حال الاستثمار الأجنبى المباشر بأفضل كثيرا، حيث يسير فى نطاق العشرة مليارات دولار. وتأتى دول شمال القارة فى مقدمة مناطقها المستقبلة لتدفقات رأس المال الأجنبى.

وما زالت المديونية الخارجية للقارة تمثل عبئاً كبيراً على التنمية. ورغم أن الدين الخارجى انخفض ليبلغ نحو 334 مليار دولار، إلا أنه ما زال يمثل نحو 58٪ من الناتج المحلى الإجمالى، وتستحوذ خدمة الديون على أكثر من 16٪ من صادرات القارة. ويمثل الفقر مشكلة أفريقيا الكبرى حيث يعيش نحو نصف سكانها تحت خط الفقر.

العالم العربى فى أفريقيا

تحتل أفريقيا مكاناً مهماً فى دوائر السياسة الخارجية العربية. فعشر دول عربية هى دول أفريقية (الجزائر وتونس وجزر القمر وجيبوتى والسودان والصومال

وليبيا ومصر وموريتانيا والمغرب). كما أن كلاً من اليمن والمملكة العربية السعودية ولبنان ترتبط بصلات قوية بدول القارة سواء بالهجرة أو التجارة وتبادل المصالح. ويمثل البعد الأفريقى علاقة أبدية لكل من مصر والسودان طالما بقى نهر النيل يغذى البلدين بالحياة. واتخذ التعاون الأفريقى بعداً إضافياً فى السياسة الخارجية المصرية، خاصة فى عقد الستينات، عندما زاد التحرك المصرى فى القارة تفاعلاً مع حركات التحرر والاستقلال، ومع قيام منظمة الوحدة الأفريقية. وعلى البعد الإسلامى تأتى أنشطة منظمة التعاون الإسلامى فى أفريقيا، وبخاصة بنك التنمية الإسلامى، ضمن أهم مصادر التنمية الاقتصادية والاجتماعية للكثير من دول القارة.

وبرغم الجهود المبذولة لتوثيق العلاقات مع مختلف بلدان القارة الأفريقية، على المستوى الوطنى والعربى والإسلامى، فإن واقع العلاقات مع الدول الأفريقية يعكس نتائج أقل من الإمكانيات المتاحة بالفعل، ويعطى مردوداً أدنى بكثير من الجهد المبذول، فى ضوء تكلفته بكل أبعادها.

ويتطلب تحليل الدور العربى فى أفريقيا أن نأخذ فى الاعتبار البعد الثنائى فى علاقات الأقطار العربية المانحة فى أفريقيا، والذى يتعين إبرازه فى ضوء جهود عدد من الدول العربية لتوثيق علاقاتها ببلدان القارة، بالإضافة لما تقدمه فى الإطار العربى المتعدد الأطراف. ونعنى بذلك الدور الذى تضطلع به دول مثل المملكة العربية السعودية ومصر والكويت والإمارات وليبيا والمغرب سواء فى الإطار الرسمى أو الخاص. بل لا نغفل دور عدد من الدول العربية والإسلامية – حتى

تلك المتلقية للمساعدات- والتى بذل علماؤها ومثقفوها عطاء التعليم العربى والتفقيه الإسلامى. ونعنى بذلك دولا مثل موريتانيا وتونس، إضافة إلى تشاد والنيجر ومالى التى تسهم فى جهود التعليم والدعوة الإسلامية.

الدور المصرى فى أفريقيا

يرتبط الدور المصرى فى أفريقيا بمجموعة من المصالح من بينها:

– الانتماء العضوى للدول العربية الأفريقية للقارة، وموقعها كمنفذ فى الشمال الشرقى.

– المصالح المصرية/ السودانية، المائية والنيلية.

– انضمام مصر والسودان إلى السوق الأفريقية المشتركة لدول شرق أفريقيا (كوميسا).

– دور كل من الأزهر الشريف والمؤسسات الإسلامية، وكذلك الكنيسة القبطية فى البعدين الثقافى والدينى.

– الوضع الذى تحتله مصر كقوة إقليمية رائدة، ومساندتها لحركات التحرر ودعمها لاستقلال الدول حديثة الاستقلال.

– دور دول أفريقيا كظهير مساند للقضايا العربية، وبصفة خاصة القضية الفلسطينية.

– تعزيز التضامن الأفريقى وقيام منظمة الوحدة الأفريقية فى أديس أبابا.

ومن بين ما يستند إليه رصيد مصر والعالم العربى فى أفريقيا ما يلي:

1. أن تاريخ العرب فى القارة اتخذ شكل امتداد حضارى وتنوير علمى وثقافى. ولم يختلط تاريخهم فى القارة بتاريخ الاستعمار الغربى بكافة أشكاله. فالعرب الذين وصلوا إلى منابع النيل وشواطئ القارة، لم

علاقاتنا القوية بأفريقيا تستلزم الاستثمار فى دولها

يكن تحركهم تحـــرك الغزاة وإنما تحـــرك فى إطار التجـــارة والتقاء الحضارات. وهناك قبائل فى وسط وغـــرب أفريقيا تســـجل اعتزازها بأصولها المصرية أو العربية.

2 – تعتـــز دول القارة بالتاريخ العربى فى أفريقيـــا. وكثيرا ما نجد الأفريقى يتباهى بأنـــه إلى جانب حضارات العالم البيضاء والصفراء، قامت حضـــارة النوبة على ضفاف النيل، وربطتهـــا بقارتها الأفريقية وامتدت فروعها إلى السودان وأثيوبيا وقلب القارة. كما يتباهى الأفريقى بأن هناك حضارات أفريقية أثرت فى شمال القارة.

أفريقيا والقضايا العربية

حدث تفاعل متبادل بين اهتمام العرب بقضايا القارة، وبين مساندة دول القارة لمواقف العرب وقضاياهم وأهمها القضية الفلســـطينية. رغم أن فلسطين ليســـت أفريقية وإنما قضيتها هى قضيـــة تحرر وطنى وإنهاء احتلال. وقد استمر التأييد الأفريقى للقضايا التى تهم العرب. وحتى عندما غير العرب من أساليب ووسائل إدارة الصراع مع إسرائيل، ظلـــت دول القارة عـــلى ثقتها فى توجهات العرب.

وهناك اتصال عضوى طبيعى يربـــط مصالح الـــدول الأفريقية بالعالم العربـــى فى إطار تجمعات تجتمع حولها مصالحها المشتركة. مثل أنشطة مجموعتى عدم الانحياز، و77، والتضامن الأفرو/آســـيوى، ومنظمـــة الوحـــدة الأفريقية ثم الاتحاد الأفريقى، ومنظمة التعاون الإســـلامى. وفى كل ذلـــك تأثرت علاقات إسرائيل بدول القارة سلباً، كلما نشطت جهود التحرر الوطنى ودعم الاســـتقلال. ذلك أن إسرائيل اختارت منذ البدايـــة التحالف مع النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا فاحتســـب تاريخـــه المظلم ضمن سلبيات سجلاتها. فضلاً عن التسلل الإسرائيلى لإقامة تعـــاون مع دول حوض نهر النيل فى مجالات الزراعة والرى ومكافحة التصحر لتصل إلى اقتحام مجـــالات ذات علاقة بالأمن المائى المصرى السودانى والاقتراب من مصالحهما فى القارة.

تنمية العلاقات مع أفريقيا

أصبحت مـــصر مدعوة لمواصلة تفعيـــل دورها الأفريقـــى فى إطار التطورات التـــى تجرى فى مختلف مناطق العالم بتأكيد أهمية التكتل الأفريقى والحاجة إلى توفر نوع من الاطمئنان للتوقع فى العلاقات الدولية بما يتخطى الارتباطـــات القائمة فى إطار منظمة التجـــارة العالمية. ويتطلب ذلك أن تأخذ مصر والعالم العربـــى فى الاعتبار عنـــد تحديد المواقف من الأطراف الرئيســـية فى العالم، تطور أوضاع تلك الأطراف ومواقفها الجديدة من قضايا التحرر والتنمية فى العالم الثالث بصفة عامة ومن قضايا العالم العربى وأفريقيا بصفـــة خاصة. وكذلـــك فى ضوء الخلخلة التى حدثت بإعادة ترتيب أولويـــات الولايات المتحدة والغرب. والتى صارت تتجه أساســـاً نحو شرق أوروبا وشرق آســـيا وأمريكا اللاتينية.

مساعدات التنمية العربية

بلغ إجمالى عمليات التمويل التى قدمتها صناديق التنمية العربية فى عام 2014 حـــوالى15 مليار دولار وزعت بالنسب التالية، وفقاً لبيانات التقرير الاقتصادى العربى الموحد 2014:

ويعنى ذلـــك أن دول الفوائض المالية والصناديـــق العربية وفرت لأفريقيا فى تلك الســـنة مساعدات للتنمية تبلغ حوالى 3 مليارات دولار. ولا يدخـــل فى هذا المبلـــغ ما وفرته الدول العربية على المستوى الثنائى مثل مســـاعدات الصندوق المصرى والوكالة المصريـــة. كما لا تدخل فى الحســـاب المســـاعدات المقدمة من مؤسســـات كالأزهر الشريف، التى تقدم مســـاعداتها فى شـــأن تعلم الشريعة الإسلامية.

التبادل التجارى العربى الأفريقى

احتلت المناطق التالية وضع أهم شركاء التجارة للدول العربية (سنة 2014) بالنسب التالية:

أى أن أفريقيـــا بحاجة للتقدم لتحتل مكانهـــا بين شركاء التجارة للـــدول العربية بفضـــل الجوار الجغرافى والتاريخ المشـــترك وعظم المصالح والصلات. ويرجع التراجع سابقاً لأسباب عديدة معظمها داخلى وهيكلى. وكثير من الأســـباب يعود لأوضاع تاريخية تتعلق بالمؤسسات التـــى تتحكم فى بيـــع وشراء أهم عناصر ومـــواد التجارة فى أفريقيا. فأهم ما تنتجه القـــارة للتصدير، تمتلك معظمه شركات أجنبية، حتى صار من العســـير إتمام صفقات من البن أو الشـــاى، والنحاس أو الألومونيوم، والخشـــب أو منتجات الغابات عن غـــير طريق الشركات العالمية التى تستغل تلك المواد.

وعلى مـــن يرغب فى اســـتيراد مثل هذه المنتجات أن يشـــتريها عن طريـــق العواصـــم الأوروبية التى تنتســـب لها الشركات المســـتغلة. أو يقدم على الخيـــار الأفضل وهو الاستثمار المباشر للحصول على هذه السلع. بإنشـــاء شركات وكيانات فى الدول الأفريقية تســـتخرج هذه المواد والسلع. وقد أفاد قيام بعض التجمعات الأفريقية الإقليمية التى تضم دولا عربية فى إحداث تحســـن فى حجم التجارة البينية. مثلما حدث فى تجربـــة انضمـــام كل من مصر

المنطقة	العربية	الآسيوية	الأفريقية	اللاتينية	دول أخرى
النسبة %	%٤٥	%٢٨	%٢٠	%١,٥	%٣

مساعدات التنمية العربية

المنطقة	العربية	الولايات المتحدة	أ. الأوربي	اليابان	الصين	آسيا	باقي العالم
صادرات	%٩	%٦,٥	%١٢	%١١	%٩	%٢٩	%٢١
واردات	%١٣	%٨,٦	%٢٧	%٣,٦	%١٤	%٢٠	%١١

التبادل التجارى العربى الأفريقى

	الدول العربية	الاتحاد الأوروبي	أفريقيا	الولايات المتحدة	باقي العالم
صادرات مصر	9491	5702	1227	985	٤٤٥٥
واردات مصر	7563	19452	941	3209	٣٧٢٣٥
حجم التجارة	١٧٠٥٤	٢٥١٥٤	٢١٦٨	٤١٩٤	٤١٦٩٠

التجارة بين مصر وأفريقيا

والسودان لسوق الكوميسا الأفريقية التى تضم 21 دولة فى شرق القارة.

التجارة بين مصر وأفريقيا

رغم تراجع تجارة مصر الأفريقية بعد سنة 2011 إلا أنها عادت لتستعيد معدلاتها بصورة جيدة. بل إن صادرات مصر إلى أفريقيا تجاوزت صادراتها إلى الولايات المتحدة سنة 2016. كما أن مصر تحتل المركز الثانى فى التجارة البينية الأفريقية. فوفقاً لأرقام الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء توزعت تجارة مصر جغرافياً على النحو التالى سنة 2016 (بمليارات الدولارات):

والواقع أنه يمكن للدور المصرى والعربى أن تزداد فعاليته فى القارة الأفريقية بتضافر وتنسيق الجهود العربية. ولا يجب أن نغفل أن العرب يتعاملون من داخل تنظيمات الأسرة الأفريقية، ولا يجب أن يتنازلوا عن هذه الهوية وهذا الدور طوعاً لأية قوة من خارج القارة. ويستند مثل هذا النموذج للعمل أساساً فى المجالات الآتية:

- تنمية تجارة الخدمات. وتحسين خدمات الاتصالات والمواصلات والنقل المباشر. وكذلك قطاع الخدمات المصرفية وضمان الصادرات.
- تشجيع وحماية الاستثمارات البينية.
- العمالة والخبرة العربية المؤهلة للتعاون الأفريقى.
- مشروعات التعاون الاقتصادى من أجل التنمية.
- تنمية التجارة البينية الأفريقية تصديراً واستيراداً.

المجالات المؤهلة للتعاون الأفريقى

- الزراعة ومشروعات الرى. وهناك أبحاث عديدة واجتماعات فنية فى هذا الشأن.
- السياحة التى تتضمن تصدير نوع من العمالة والخبرة. وهى قابلة للنمو فى طفرات.
- الصناعة، قياساً على تجارب سابقة لمصر فى إقامة مصانع للسكر فى عدد من البلدان. والمساعدة فى صناعات الألومنيوم والنحاس وغيرها بخبرات عربية.
- نقل الخبرة ورؤية جديدة للمساعدات على أسس من تبادل المنافع.
- الصحة والمستشفيات وسياحة العلاج.
- التعليم الجامعى والمدرسى لطلاب أفريقيا (سياحة التعليم) وذلك فى ضوء سياسات أوروبا الحالية والرافضة لاستقبال الأجانب.
- التركيز على موضوعات غير تقليدية مثل:
  - الفجوة الغذائية.
  - الطاقة والربط الكهربائى.
  - خدمات النقل والاتصالات.
  - الخدمات المصرفية.
- التعاون الفنى. والعمالة الفنية المدربة.
- مضاعفة رأس مال الوكالة المصرية للتنمية عدة مرات لتمكينها من الاستثمار فى المشروعات، وتوسيع اتجاه قطاع الأعمال المدنية للعمل بالخارج.
- تنشيط دور بنك تنمية وضمان الصادرات وتخصيص نافذة تمويل للعلاقات مع أفريقيا. وقيام بنك لدعم الاستثمار فى أفريقيا، أو توفير وسائل وتسهيلات إضافية لدى البنوك القائمة.

وفى المحصلة فإن مصر تمتلك كافة المقومات وكل الأسس المطلوبة لمضاعفة النفاذ والتواجد فى القارة الأفريقية ولديها تمثيل دبلوماسى وتجارى متميزين، يحتاجان للدعم والاستقرار. والبعد الأفريقى بحاجة لمواصلة الجهود الرئاسية على مستوى لقاءات القمة ومؤتمراتها. ويسعد المرء أن يرى كل هذه الجهود وقد صارت تأتى بنتائج إيجابية، وصولاً لعلاقات خارجية تليق بمكانة مصر وبما تستحقه علاقاتها بقارتنا عن جدارة.

خطر يهدد كوكب الأرض.. فماذا نحن فاعلون؟

تعد ظاهرة التغير المناخى أحد أكبر التحديات والمخاطر التى تهدد الحياة على كوكب الأرض بما يجعل مستقبل الإنسانية على المحك ووفقاً للدراسات العلمية فإن درجة حرارة الأرض تزداد ارتفاعاً نتيجة لانبعاث الغازات الناتجة عن احتراق مصادر الطاقة الاحفورية وهذا ما يعرف بظاهرة الاحتباس الحرارى والتى تتسبب فى أثار عالمية واسعة النطاق لم يسبق لها مثيل من حيث الحجم ومن حيث تغير أنماط الطقس التى تهدد الإنتاج الغذائى وتؤدى إلى ارتفاع منسوب مياه البحر مما يزيد من خطر الفيضانات الكارثية وتراجع السواحل وتآكل الجرف القارى وهذا يعنى حتمية التعامل مع هذه التحديات بصورة جماعية من خلال اتفاقات دولية ملزمة تلتزم بتنفيذها الدول المتقدمة والنامية على حد سواء من أجل تحقيق الهدف الأسمى وهو الحفاظ على بيئة نظيفة خالية من التلوث من أجل الأجيال القادمة.

قمة الأرض

انطلاق نقطة البداية فى التعامل مع ظاهـــرة التغير المناخى جاء من قبل المنظمة الدولية للأمم المتحدة، من خلال انعقاد ما يسمى بـ «قمة الأرض» فى مدينـــة ريودى جانيرو بالبرازيل عـــام 1992، وهى القمة التى نتج عنهـــا الاتفاقية الإطارية للأمـــم المتحدة بشـــأن تغير المناخ كخطوة أولى فى نطاق التصدى لهذه الظاهرة. وتنبع قوة هذه الاتفاقية من كونها تـــم التصديق عليها من 197 دولة عضـــو فى الأمم المتحدة، ومن حيث إن الهـــدف النهائى لها هو منع التدخل البشرى الخطير فى النظام المناخى.

هادية الشربيني

sherfayez@yahoo.com

وبحلول عام 1995 بدأت دول العالم التفاوض من جديد من أجل تعزيـــز الاســـتجابة العالمية لتغير المنـــاخ، وعلى أثر ذلك تـــم اعتماد «بروتوكـــول كيوتو» فى ديســـمبر 1997، والذى تـــم التوقيع عليه فى اليابان. وهى تلـــك الاتفاقية التى دخلت حيز التنفيذ بعد ثمانى سنوات من توقيعهـــا وعلى وجه التحديد فى شهر فبراير 2005، ووفقاً لأهدافها فإنه يجب على 37 دولة أن تخفض من انبعاثات الغازات الضارة لديها كالميثـــان وثانى أكســـيد الكربون ومركبـــات الكربون الهيدروفلورية بنســـبة 5.2% من مستويات عام 1992 بحلـــول عام 2012. وتضم هذه الاتفاقيـــة 191 دولة عضواً. وقد رفض الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن حينـــذاك التصديق على هذا البروتوكول معللاً ذلك بقصرها الإلزام على الـــدول المتقدمة فقط،

علماً بأن الدول النامية الكبرى مثل الصين والهند والمسئولة عن كميات كبيرة من الانبعاثات لم تكن ملزمة بتقليل هذه الانبعاثات المسببة لتلوث البيئة.

قمة كوبنهاجن

وفى محاولة لتعزيز مشاركة دول العالم بشكل أوسع تم فى قمة كوبنهاجن للمناخ عام 2009 دعوة كافة الدول المتقدمة والنامية إلى تقديم مساهمات وطنية لتقليل الانبعاثات بشكل طوعى، تختلف حسب قدرات كل دولة. ولكن المساهمات الوطنية التى تقدمت بها الدول جاءت بعيدة عن الهدف الرامى إلى عدم زيادة ارتفاع حرارة الأرض عن درجتين مئويتين.

كما أن مؤتمر كوبنهاجن كان يهدف للوصول إلى قرار على المدى الطويل بشأن تغير المناخ العالمى للفترة فيما بعد عام 2012 عندما ينتهى العمل باتفاقية كيوتو، ولكن ذلك لم يحدث أيضاً حيث تم التوصل إلى اتفاق غير ملزم من الصين والولايات المتحدة والهند والبرازيل وجنوب أفريقيا بالقبول بأن تغير المناخ يشكل تهديداً عالمياً وبأهمية الحفاظ على درجة حرارة الأرض فى حدود 2 درجة مئوية، إلا أنه لم يضع أى قيود للأسف على انبعاثات ثانى أكسيد الكربون من الدول المختلفة. ومن ثم كان هناك حاجة ملحة لاتفاقية ملزمة قانونياً لدفع الجهود الدولية فى إطار مواجهة ظاهرة الانبعاث الحرارى.

ومن هذا المنطلق تم انعقاد مؤتمر ديربان فى عام 2011 بجنوب أفريقيا، والذى شاركت فيه الدول الأعضاء فى اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للبدء فى عملية الإعداد لاتفاقية دولية ملزمة قانونياً لتعزيز مواجهة التغير المناخى لما بعد عام 2020. وقد استمرت المفاوضات الدولية الشاقة إلى ما يقرب من أربع سنوات، والتى تجسدت نتائجها فى اتفاقية باريس لمواجهة آثار التغير المناخى لعام 2015.

اتفاقية تاريخية

وبعد عقود من المفاوضات الشاقة، والتى شهدت بعض الإخفاقات فى مواجهة ظاهرة التغير المناخى، تم التوصل إلى اتفاق باريس التاريخى وذلك بمشاركة زعماء 150 دولة مسئولة عن نحو 90% من انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحرارى. وقد تعهدت 194 دولة وقتها على هذا الاتفاق بما فيها الولايات المتحدة، تلك الأخيرة التى قررت الانسحاب فيما بعد بتنفيذ جملة من الإجراءات والقرارات المتعلقة بالمناخ.

ومن الجدير بالذكر أنه بموجب اتفاق باريس لعام 2015 تعهد المجتمع الدولى بحصر ارتفاع درجة حرارة الأرض وإبقائها دون درجتين مئويتين قياساً بعصر ما قبل الثورة الصناعية، وبمتابعة الجهود لوقف ارتفاع الحرارة عند 1.5 درجة مئوية.

كما أن هذا التعهد يفرض على الدول الموقعة تقليصاً شديداً لانبعاثات الغاز المسببة للاحتباس الحرارى، وباتخاذ إجراءات للحد من استهلاك الطاقة والاستثمار فى الطاقات البديلة وإعادة تشجير الغابات.

وتتمثل أحد أهم إجراءات اتفاق باريس الإلزامى فى وضعه آلية مراجعة كل خمس سنوات للتعهدات الوطنية التى تبقى اختيارية. وستجرى أول مراجعة إجبارية عام 2025 ويتعين أن تشهد المراجعات التالية إحراز تقدم ملموس.

ووفقاً لاتفاق باريس لعام 2015 فإنه يتعين أن تكون الدول المتقدمة فى الطليعة على مستوى اعتماد أهداف خفض الانبعاثات، فى حين يتعين على الدول النامية مواصلة تحسين جهودها فى التصدى للاحتباس الحرارى فى ضوء أوضاعها الوطنية.

كما ألزمت اتفاقية باريس الدول المتقدمة بتمويل الدول النامية فى مجالات تخفيف آثار الاحتباس الحرارى، والتأقلم مع آثار التغيرات المناخية، وأن يستمر الالتزام الدولى بتقديم مائة مليار دولار سنوياً حتى عام 2025، وبعد ذلك يتم الاتفاق على مقدار التمويل على ألا يقل عن هذا الرقم. وتحث الاتفاقية الأطراف الدولية الأخرى على تقديم مساعدات فى هذا النطاق.

كما أكدت اتفاقية باريس على هدف تعزيز القدرة على التأقلم وزيادة المرونة فى مواجهة آثار التغير المناخى، والتأكيد على اتساق جهود التأقلم مع أهداف التنمية المستدامة، وحقوق الإنسان، وحماية المجموعات الضعيفة.

كما أشارت نصوص الاتفاقية إلى تعويض الخسائر والأضرار لمساعدة الدول الأكثر عرضة للعواقب. وتتضمن مجالات التعاون فى هذا النطاق توفير أنظمة للإنذار المبكر والاستعداد للطوارئ.

وأكدت اتفاقية باريس لمواجهة آثار التغير المناخى على أهمية دعم التقدم التكنولوجى ونقل المعرفة للدول النامية ومساعدتها فى بناء القدرات والأنظمة ودعم التعليم البيئى.

ومما يدعم من قوة اتفاق باريس هو أنه للمرة الأولى قدمت العديد من الجهات غير الحكومية من خلاله مساهمات قوية وعدداً من المبادرات المهمة التى أدرجت خلال الاتفاق. كما أنهت اتفاقية باريس التفريق الصارم بين البلدان المتقدمة والنامية، والذى تسبب فى إخفاق «بروتوكول كيوتو» من تحقيق أهدافه المعلنة.

صوت أفريقى موحد

إسهام مصر فى مؤتمر باريس للتغير المناخى كان بصفتها ممثلة عن أفريقيا، لكونها رئيسة للجنة الأفريقية للبيئة حينذاك. ومن ثم جاء بيان مصر معبراً عن الصوت الأفريقى الموحد فيما يتعلق بظاهرة

التغير المناخى خطر يهدد كوكب الأرض.. فماذا نحن فاعلون؟

التغير المناخى لاسيما وأن قارتنا من أكثر القارات تضرراً من هذه الظاهرة.

وفى بيان مصر أمام المؤتمر أكد الرئيس عبد الفتاح السيسى أهمية أن يتصدى اتفاق باريس الدولى بقوة لتغير المناخ، بما يحقق التوازن المأمول بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحفاظ على البيئة بما يوفر ظروفاً أفضل لإقرار السلم والأمن الدوليين.

وشدد الرئيس السيسى على أن مصر لعبت ولاتزال دوراً بناءً فى مختلف الجولات التفاوضية حول تغير المناخ اضطلاعاً بمسئولياتها فى تمثيل القارة الأفريقية، وتعبيراً عن وحدة الصف الأفريقى، حيث تتحدث جميع الدول الأفريقية بصوت واحد للدفاع عن مصالح القارة، وتحقيق الرخاء لشعوبها لاسيما وأن أفريقيا هى الأقل إسهاماً فى إجمالى الانبعاثات الضارة والأكثر تضرراً من تداعيات تغير المناخ. ولذلك ينبغى أن تشمل أى تدابير للمرونة فى الاتفاق الدول الأفريقية إلى جانب الدول الأقل نمواً والدول النامية المكونة من جزر صغيرة.

وقد طرحت مصر خلال المؤتمر المبادرتين الشاملتين اللتين تعبران عن قارتنا، حيث تستهدف إحداهما دعم الطاقة المتجددة فى أفريقيا، وتعزز الأخرى من الجهود القارية فى التكيف مع التغيرات المناخية.

وتهدف المبادرة الأفريقية للتكيف إلى تعبئة الدعم الدولى لتعزيز الأنشطة ذات الصلة فى القارة السمراء، حيث تتأسس المبادرة على أربع دعائم رئيسية تتمثل في: تعزيز وتطوير البنية التحتية الخاصة برصد التغيرات المناخية والتنبؤ بها، ودعم السياسات الوطنية ذات الصلة، ودعم وضع وتنفيذ مشروعات محددة وملموسة فى مجال التكيف، وتعبئة التمويل والاستثمارات العالمية والمحلية لهذا الغرض.

وتولى المبادرة الأفريقية فى هذا السياق أهمية لتعزيز التنسيق والتعاون الإقليمى فيما بين الدول الأفريقية، لتعظيم المنافع المشتركة، وتجنب وقوع أى أضرار جراء تلك الأنشطة خاصة وأن آثار تغير المناخ بطبيعتها عابرة للحدود.

وقد وجه الرئيس السيسى خلال مؤتمر باريس الدعوة للمجتمع الدولى إلى دعم الجهود التى تقوم بها مصر على المستوى الوطنى فى هذا المجال، إذ استوفت مصر وكافة الدول الأفريقية التزامها بتقديم مساهماتها وخططها الوطنية لمواجهة تغير المناخ. وقد أقرت مصر قبل انعقاد مؤتمر باريس خطة وطنية شاملة للتنمية المستدامة حتى عام 2030.

كوكب واحد

فى الذكرى الثانية للتوصل إلى اتفاق باريس الدولى حول تغير المناخ وبمبادرة من الرئيس الفرنسى إيمانويل ماكرون وبالتعاون مع الأمم المتحدة والبنك الدولى، استضافت العاصمة الفرنسية فى 12 ديسمبر 2017 القمة التى أطلق عليها شعار «كوكب واحد»، بمشاركة عدد من القادة وكبار المسئولين من أنحاء العالم لتعزيز العمل فى مجال مواجهة تحديات المناخ.

وقد أطلق الرئيس الفرنسى ماكرون فكرة انعقاد هذه القمة بعد إعلان الرئيس الأمريكى دونالد ترامب انسحاب بلاده من اتفاقية

باريس الدولية للمناخ فى شهر يونيو الماضى، واعتبر الرئيس الفرنسى هذا الانسحاب بأنه بمثابة أمر عدائى. وحمل الرئيس الفرنسى نظيره الأمريكى المسئولية التاريخية جراء قراره بالانسحاب معرباً عن أمله فى أن يغير الرئيس ترامب رأيه تجاه الاتفاقية خلال الأشهر المقبلة.

وخلال قمة «كوكب واحد» بباريس مع نهاية عام 2017 أكد الأمين العام للأمم المتحدة انطونيو جوتيريش بأن العالم لم يحقق بعد النصر فى الحرب على تغير المناخ، مشيراً إلى أنه بالرغم من أن اتفاق باريس لعام 2015 يضع الأساس للعمل الطموح فى هذا النطاق، ولكننا فى حرب مستمرة تتعلق بالحفاظ على استمرار الحياة على كوكبنا كما نعرفها ولدينا هنا حليف مهم للغاية وهو العلم والتكنولوجيا.

وأكد جوتيريش بأن تراجع تكلفة الطاقة المتجددة تساعد دول العالم على الاتساع فى استخداماتها، مشيراً إلى أن الاقتصاد الأخضر الصديق للبيئة يعود بمكاسب جمة على قطاع الأعمال، وأن من يفشل فى الالتحاق بالاقتصاد الأخضر سيعيش فى مستقبل رمادى.

وأكد المشاركون فى قمة «كوكب واحد» بباريس مؤخراً أهمية توفير التمويل الكافى لإنجاح جهود التصدى للتغير المناخى، وأهمية الاستثمار فى المستقبل لا الماضى.

ومن أهم الأخبار السارة التى تم الإعلان عنها خلال قمة «كوكب واحد» بباريس هو أن الإجراءات المناخية جارية فى جميع البلدان وعلى جميع المستويات على قدم وساق، وأن 170 دولة قد صدقت بالفعل على اتفاقية باريس للمناخ والتى بدأت دخولها حيز التنفيذ فى الواقع فى أقل من عام، وهو يعد رقماً قياسياً فيما يتعلق بمثل هذه الاتفاقيات الدولية.

وقد انطلقت بعض بوادر الأمل من خلال إقدام العديد من الدول على وضع وتنفيذ خطط عملها الوطنية المتعلقة بالمناخ بموجب اتفاق باريس. وتم إحراز تقدم سريع فى بعض المجالات مع وجود أدلة جديدة تشير إلى أن النمو العالمى فى الطاقة المتجددة مثل الرياح والطاقة الشمسية يتضاعف كل خمس سنوات ونصف السنة، حيث وقعت أكثر من 40 دولة بقيادة الهند، وانضمت إليها الصين مؤخراً، وثيقة التحالف الدولى للطاقة الشمسية، والتى تهدف إلى توليد 1000 جيجا وات من الطاقة الشمسية بحلول عام 2030.

كما توافرت مبادرات جديدة فى التمويل مثل السندات الخضراء لتمويل الزراعة المستدامة من خلال أنشطة الأمم المتحدة للبيئة.

ولكن وفقاً للمشاركين فى قمة «كوكب واحد» فإن المسائل المالية مازالت تشكل نقطة خلافية فى خطط الأمم المتحدة المتعلقة بالمناخ، حيث تؤكد الدول النامية على ضرورة حصولها على مساعدات مالية تمكنها من سد تكلفة التحول إلى مصادر طاقة أقل نسبياً للتلوث، ولمواجهة العواصف والجفاف والفيضانات الناجمة عن التغير المناخى.

وقد حذر خبراء البيئة من أن هدف اتفاق باريس المتمثل بإبقاء الاحتباس الحرارى فى أقل من درجتين مئويتين سيظل حلماً ما لم يتم استثمار تريليونات الدولارات فى الطاقة النظيفة.

وأخيراً فإن ظاهرة التغير المناخى ورغم التقدم الذى يتم إحرازه فى مواجهتها مازالت تدق ناقوس الخطر للبشرية جمعاء، وبالرغم من ازدياد الوعى الدولى لدى جميع الدول بأهمية التعامل مع الآثار السلبية الناجمة عن الاحتباس الحرارى. ولكن العبء الأكبر يقع على الدول المتقدمة بتوفير التمويل وتنمية القدرات وتوفير التكنولوجيا اللازمة للدول النامية والأقل نمواً كما تم الإعلان فى اتفاق باريس التاريخى ولاسيما وأن هذه الدول مسئولة عن نسبة كبيرة من الانبعاثات الضارة بالبيئة وليست الدول النامية.

إن اضطلاع دول العالم المتقدم بهذه المسئولية والالتزام من جانبها بمساندة الدول النامية فى هذا المضمار يعنى بالأساس طوق النجاة لكل من يعيش على كوكب الأرض دون استثناء.

الإرهـاب شبكيـاً ومستقبلـه

اهتمت الدراسات المستقبلية بإعادة تعريف مختلف الظواهر السياسية في ضوء مناهج التعريف اللاخطية وتحليلاتها في محاولة منها للتعرف على مستقبل هذه الظواهر، وأهمها حالياً لمنطقتنا العربية إعادة تعريف الإرهاب، ورغم أن العالم لم يتفق على تعريف محدد للإرهاب لخلافات في المعايير والتوجهات السياسية، إلا أنه في مجال الدراسات المستقبلية ينصب الاهتمام على آلية كيفية ظهور الإرهاب والعوامل المحددة لمستقبله وكيفية التعامل معها.

سفير د.عزمي خليفة

azmyhkhalifa@gmail.com

التعريف بالإرهاب وتحولاته

كما سبق وأوضحنا أن الشبكات أصبحت أساس تكوين المجتمع، وأن هذه الشبكات فى جوهرها شكل اتصالى جديد للمجتمع تنتظم فيها الهوية (الانتماء) والسياسة (تنظيم العنف) والاقتصاد (الإنتاج وتحديد القيمة) ومن ثم تحدد فيه شكل المجتمع وقيمه، وبخاصة وقت تغيير علاقات السلطة وتغيير أسلوب الحكم بالتالى ومن ثم أصبح المجتمع معولماً والدولة محلية نتيجة استخدام الإنترنت والتشبيك من ناحية ونتيجة التخوف من بعض أبعاد العولمة التى تمس سيادة الدولة المتآكلة من ناحية أخرى، فقد أدى هذا التناقض إلى ظهور ثقوب سوداء فى كيان الدولة ككل خاصة وأن مؤسسات الدولة تعتمد على تنظيم رأسى هرمى متدرج بينما تحولت سلطات المجتمع إلى سلطات منتشرة أفقياً شبكياً.

هذه الثقوب السوداء جذبت إليها شبكات تشكلت من عقد مهمشة فى مجتمعاتها، وشبكات أخرى تتكون من عقد رافضة للعولمة وقيمها وتدعو للحفاظ على الخصوصية الثقافية المختلفة، وغاضبة من عدم الاستفادة العادلة من عوائد العولمة، فالشبكات تقوم على تجميع المتشابهين، وكان من بين هذه الشبكات تلك التى لجأت لكهوف التاريخ وتمسكت بالدين أى أنها كونت شبكاتها من منطلق الرفض للعولمة وليس من منطلق التفاعل الإيجابى مع تحولات الدولة والمجتمع.

وقد كان من الطبيعى أن تتكون شبكات أكثر تطرفاً ويتزايد تطرفها يوماً بعد آخر على نحو ما رأينا مع محاولات إحياء الخلافة الإسلامية فى العالم الإسلامى أو شبكات تحض على العنصرية ورفض الآخر، وهو ما ساد فى الولايات المتحدة والعالم الغربى، وما ساد فى دول الأقليات الإسلامية مثل بورما، فالشعور بوجود تغييرات فى الدولة القومية أدركه الجميع دون أن يدرى جوهر هذا التغيير وأبعاده، ومن ثم أدرك البعض – وخاصة المهمشين – أن الفرصة سانحة لتحقيق أهدافهم فى ظل ما تتعرض له الدولة القومية من تهديد لجميع عناصرها.

عناصر الدولة القومية تتعرض للتهديد

ساهم فى زيادة التطرف ظهور قيم الثورة الصامتة المتمركزة حول الذات والنابعة من التشبيك والعولمة وهي:

1 – الاهتمام بالقيم الفكرية غير المادية المتعلقة أساساً بالتعبير عن الذات والتى تعكس وعياً بالجوهر الواحد للإنسان بغض النظر عن موقعه الجغرافى وانتمائه الجنسى أو العرقى أو الإثنى وحقه بالتالى فى اختيار النظام السياسى الذى يعيش فيه.

٢ – الاهتمام بعلاقة الإنسان بالبيئة التى تحيط به ومن هنا يمكن أن نفهم حركة الخضر التى انتشرت فى العالم فى ذلك الحين وكذلك حركات مقاومة العولمة.

٣ – هذا الوعى بالبيئة وبالإنسانية أدى فى تفاعلهما إلى وعى كونى بأن المشكلات الناتجة عن العولمة هى مشكلات كونية (عالمية) وتحتاج لحلول عالمية على أساس من التشاركية وتبادل الخبرات وبالتالى تشارك فيها جميع الدول بغض النظر عن درجة تقدمها أو نموها.

٤ – سقوط جميع الحواجز الجغرافية والزمنية والسياسية مما يزيد من عمق التفاعل الإنسانى على مستوى العالم وعلى مدار 24 ساعة يومية، وسقوط الحواجز بين العلوم المختلفة وسقوط الحواجز بين المتصلين بالإنترنت وأولئك غير المتصلين، أى بين شبكات التواصل

الاجتماعى وغيرهم، وأخيراً سقوط الحواجز بين الإنسان والآلة.

٥ - سقوط هذه الحواجز وزيادة التفاعل الإنسانى أديا إلى ظهور المجتمع الشبكى وانعكاساته على ممارسة السلطة وبخاصة فيما يتعلق بأمرين:

أ - موت المسافة وموت الزمن وكان الفصل بين ثلاثية المؤلف والكتاب والقارئ أكبر تجسيد لذلك إضافة إلى التفاعل فى الزمن الحقيقى وسقوط نظرية الزمكان.

ب - فشل جميع النظم الثقافية السياسية المغلقة التى تدعى احتكار الحقيقة وظهور النظم المفتوحة.

6 - إعلاء قيم التشاركية بين الدولة والمجتمع مما أدى لانتشار نظام الحكومة المنفتحة أو المدنية التى تشارك منظمات المجتمع المدنى فيها الحكومة فى الحكم من خلال الرقابة مما يفسر ذلك الجدل حول قانون إتاحة المعلومات وحكومة الإنترنت وحوكمة المعلومة.

7 - ظهور حركة إحياء دينى لحماية الخصوصية الثقافية فى مواجهة العولمة التى تركز على المركزية الثقافية الغربية، وكان ذلك بداية التطرف الذى أكده وجود نسقين مختلفين من القيم هما قيم العولمة والمتمركزة حول التعبير عن الذات والقيم الغربية وقيم الخصوصية الثقافية لمجتمعات غير غربية وكانت هذه القيم متمركزة أساساً حول الدين ومستمدة منه.

مهددات جديدة للأمن

كما ساهمت أيضا ظهور مهددات جديدة للأمن مثل المهددات الناعمة للأمن، فى التحولات اليمينية، ويقصد بها المهددات غير المرئية فى مجملها مثل زرع العبوات الناسفة فى أماكن عامة، ومثل إمكانية تحويل تكنولوجيا آمنة إلى تهديد أمنى مثل وسائل المواصلات وفقاً لمدرسة كوبنهاجن فى تعريف الأمن. وقد عانت منها ثمانى دول أفريقية عام 2014 وهى جيبوتى ومصر وكينيا وليبيا ومالى ونيجيريا والصومال وتنزانيا، فمهددات الأمن انتقلت من الجبهات العسكرية أو الجغرافيا إلى المجتمع اليوم، وهو تطور يعكس مواجهة مظاهر جديدة للمخاطر الأمنية، خاصة وأنه رغم تقلص عدد هذه الحالات بنسبة 15% هذا العام عن العام الماضى إلا أن عدد الضحايا زاد بنسبة 41% مما يؤكد تحسن المستوى التقنى لهذه المهددات، وتحسن مستوى أعضاء هذه الشبكات تكنولوجياً.

يضاف إلى ذلك استفادة بعض الحركات المسلحة من إضافات ليدل هارت على النظرية العامة الاستراتيجية كلاوس فيتش مما سمح للشبكات الإرهابية بفرض سيطرتها على مناطق جغرافية وإدارتها وفقاً لمفاهيمها بعيداً عن سيادة الدولة، وهو ما شاهدناه فى الرقة وحلب والموصل وسرت وإدلب، وتمتعهم بهوية مختلفة عن هوية الدولة من خلال الأخذ بنمط جديد للحياة يعيد حياة المسلمين الأوائل ممثلاً فى إعادة رموزه إلى الحياة، مثل علاقة الرجل بالمرأة وبيع الأسيرات فى سوق الجوارى، وتوفير مصادر تمكنهم من إدارة «دولة الخلافة» مثل السيطرة على آبار بترول، والاستيلاء على الذهب والأموال الموجودة فى البنوك بالمناطق التى سيطروا عليها، والاتجار فى الآثار بل وفى الأعضاء البشرية لمن أعدموا ذبحاً، بل واستخدام هذه الجماعات للعنف السياسى لتحقيق أهداف سياسية تماماً كالدولة القومية.

الإرهاب شبكياً ومستقبله

استخدام الحركات الإجرامية لتحقيق أهداف سياسية

فى هذا الإطار من التحولات لجأت دول معروفة لاستخدام هذه الحركات الإجرامية فى تحقيق أهدافها السياسية وهذا هو جوهر الإرهاب فى موجته الحالية، فبينما كان مجرماً فيما سبق فقد أصبح أداة فى ظل حروب الوكالة الناتجة عن تحول النظرية العامة للاستراتيجية واستخدام المعلومة فى تحولات السلطة والقوة، وانتشار قيم التعبير عن الذات وتحول مفهوم الصراع والاستراتيجية وهو ما يفسر تسليحه بأسلحة تفوق تسليح المليشيات وحمايته من دول عظمى فى أماكن تواجده، ودمويته، واستخدامه لتكنولوجيا التواصل الاجتماعى بكفاءة عالية وتدريبه تدريبات قتالية عالية المستوى نسبياً.

والخلاصة، إن التطرف والجماعات المسلحة المعنفة ناتج عن عدم تطابق حدود الدولة (محلية مغلقة) مع حدود المجتمع الشبكى (عالمى مفتوح) فى عصر الإنترنت، خاصة وأن التغييرات فى المجتمع أسرع منها فى الدولة، مما ولد ثقوباً أمنية سوداء تهدد كيان الدولة القومية، لأن بعض «ضحايا المجتمع الشبكي» من المهمشين آثر أن يستخدم نفس الأداة وهى التكنولوجيا ولكن من منطلق معاداة العولمة وقيمها، ودعم الخصوصية الثقافية، ودعم نمط حياة هؤلاء الضحايا وفقاً لما آمنوا به من قيم بالية وهو ما يفسر انتشار التطرف فى مختلف مناطق العالم دون تمييز، كنتيجة منطقية لانتشار الاتجاهات اليمينية فى العالم منذ منتصف السبعينات.

لا مستقبل للتطرف فى مصر

فى هذا الإطار من التفاعل السياسى بين الدولة والمجتمع، وفى إطار القرار الأمريكى بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل استباقاً للمفاوضات فمن المتصور طرح أحد سيناريوهات الإضرار بمصر رداً على معارضة القرار وعلى تكليف رئيس الأركان بالقضاء على الإرهاب فى سيناء خلال ثلاثة أشهر ويستند هذا السيناريو إلى ثلاث خطوات:

الأولى: استغلال مظاهرات الفلسطينيين فى القدس وغزة والضفة وما يصاحبها من عمليات مقاومة وإطلاق صواريخ لا خطر منها من غزة للادعاء بعودة الفلسطينيين للعنف ضد إسرائيل، فى ظل إنكار أن فلسطين أراض محتلة ومن حق شعبها تحريرها.

والثانية: إفراغ القدس الشرقية من سكانها العرب بالقوة والتوسع فى بناء المستوطنات بها بهدف استمرار تأجيج الموقف وليس تهدئته.

والثالثة: شن عمليات عسكرية إسرائيلية واسعة ضد غزة رداً على الصواريخ، بهدف إجبار الفلسطينيين على عبور الحدود المصرية فى شمال سيناء وذلك للضغط على مصر للمشاركة فى قبول الأمر الواقع أو المشاركة فى البحث عن حل لتوطين الفلسطينيين.

والنتيجة أنه إذا فتحت مصر حدودها للفلسطينيين يتحول الضغط على مصر لتوطينهم فى سيناء، والادعاء أن ما يتم جزء من صفقة متفق عليها، وإن استخدمت مصر ضدهم القوة لمنعهم من التواجد على أراضيها تبدأ دعاية ضد مصر بأنها قتلت الأطفال

والنساء العزل الفلسطينيين، فمصر مازالت الجائزة الكبرى للآن ومن بعدها الخليج حتى إفلاسه.

وهنا تستهدف واشنطن خلط الأوراق ومعاملة شبكات الإرهاب كمعارضة مسلحة مع تجاهل ما تعكسه التنظيمات الشبكية من قيم وأفكار واتجاهات نفسية بوصفها وحدة المجتمع، ولذا تطالب بأحد منهاجين لعلاج التطرف، الأول: هو المنهج الاحتوائى، ويقصد به حماية المدنيين من خلال ضم الجماعات المتطرفة إلى الحكومة، خاصة إذا كان الصراع اجتماعياً سياسياً أى بين جماعات متعددة داخل المجتمع الواحد، وذلك التزاماً بنص المادة رقم 3 من اتفاقيات جنيف 1949 للقانون الدولى الإنسانى التى عبرت صراحة عن آثار الوضع القانونى للفواعل من دون الدولة فى الصراعات المسلحة، مما يعطى هذه الجماعات الإرهابية حقوقاً ليست لديها أى أهلية للتمتع بها، خاصة وأن بعض الباحثين العرب يصف هذه الجماعات الإرهابية بأنها فواعل معنفة من دون الدولة استناداً إلى احتلالها أراض من الدول وهو أمر خاطئ لأن هذه الجماعات تتشابه مع عصابات المخدرات فى أمريكا اللاتينية التى تسيطر على مناطق عملها بالسلاح سيطرة كاملة واقعية غير مادية.

والنهج الثانى المقترح كان هو المقترب التقويضى Coercive Approach والقائم على الاستمرار فى إدانة هذه الأعمال وشجبها وتجريمها ومن ثم استمرار الصراع دون هوادة، وبالطبع كلا المنهاجين مرفوض، ولكن من المهم إعادة صياغة السياسة المصرية لمكافحة الإرهاب بناء على ما يلي:

1 - إن المنهج الشبكى الذى يعد ثمرة مجتمع المعرفة حدد لنا أسباب ظهور التطرف فى العالم كما رأينا وليس فى الشرق الأوسط فقط، وانتشار التيارات اليمينية حالياً فى أمريكا وأوروبا باعتبارها ثمرة من ثمرات تحول الدولة القومية فى عصر الإنترنت، الذى يجعل من الشبكة وحدة التحليل فى المجتمع مما يمكننا من دراسة قيم الشبكة وأهدافها وليس مجرد دراسة أفراد الشبكة.

2 - إن ظهور تيارات اليمين السياسى المتطرف فى جميع أنحاء العالم يرجع إلى عدم تطابق الحدود السياسية للدولة مع حدود المجتمع ولا يمكن مساواة الحدودين لأن مجتمع أية دولة فى العالم أصبح مفهوماً عالمياً، بينما الدولة حدودها معروفة سياسياً، وأقصى ما يمكن عمله أن تكون الدولة شبكية أسوة بالمجتمع لإيجاد الحد المطلوب من التوازن بين الدولة والمجتمع، ومن ثم فإن الإصرار على معاملة الدولة خارج إطار العولمة باعتبارها ظاهرة محلية فقط سيزيد من حجم الثقوب السوداء المتولدة عن تفاعل الدولة مع المجتمع وسيزيد من المخاطر الأمنية.

3 - إن العالم أجمع، وليس الشرق الأوسط فقط، فى أزمة سياسية نتيجة انتشار التيارات اليمينية المتطرفة فى العالم أجمع وهى خطوة فى طريق انتشار الإرهاب والعنف وتيارات التطرف المعنف، ومن ثم لا ينبغى الاستماع إلى وجهات النظر الغربية التى تطالب بإدماج حركات التطرف المعنف المسلحة فى الحكم بدعاوى ترتبط بحقوق الإنسان وإنهاء الصراع، فمن يستخدم السلاح لتحقيق أهداف سياسية هى الدولة فقط وليس أى من كياناتها الأخرى، كما أن استخدام السلاح من قبل أى من الفواعل من دون الدولة سيحول العملية السياسية من عملية تفاعل بين الدولة والمجتمع إلى عملية فى اتجاه واحد أى قهر من الدولة للمجتمع مما يتطلب ضرورة صياغة خطاب بديل للسلطة.

4 - إن المطلوب فى الوقت الراهن تحقيق أعلى درجة من درجات التعاون العالمى لمواجهة الإرهاب، عبر إنشاء شبكة عالمية للهيمنة على الجماعات المسلحة والمتطرفة، لأن إدماجهم بالحكم لن يؤدى إلا إلى انتشار أفكارهم وما يؤمنون به من قيم وأفكار، ومن ثم تقوم هذه الشبكات العالمية ببث قيم التعبير عن الذات فى إطار تحولات الدولة والمجتمع على أن تقوم شبكات الدولة القومية ببث قيم تعكس صحيح الدين، وتعكس خطاب السلطة القائم على الديمقراطية التشاركية والتنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية، مع فتح المجال العام بالتدرج لأن للأسف البديل سيكون مخيفاً خاصة مع تركيز الجهود على فكرة الجيل الرابع للحروب دون إدراك لجوهر الإرهاب وأسباب ظهوره بالسمات الجديدة التى أشرنا إليها وفى ظل عدم إدراك وظيفته السياسية الجديدة.

وهكذا، يظل السؤال قائماً لجميع دول عالمنا العربى حول جوهر العالم الجديد الذى يسعى كوكبنا لبنائه من حيث نمط العلاقات فيه، ونوعية القيم التى نسعى لبثها للأجيال القادمة، فالسؤال المطروح هو أى عالم ترغبون فى تركه للأجيال القادمة: عالم يستند إلى ذبح الإنسان وهى النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق؟ عالم يعود بنا إلى عصر الجوارى؟ عالم يعود بنا إلى القرن السابع ونحن فى القرن الحادى والعشرين؟ أم عالم يتوافق مع ثورة علمية غير مسبوقة ينبغى أن نتوافق معها من أجل رفاهية المواطن، عالم يفكر فى الغد وقيمه وأفكاره ومنجزاته؟ وكلها مؤشرات تتمحور حول الذات.

«إنترنت الأشياء»

شبكة المعلومات الدولية الجامعة لكل الأمور

منذ تسعينيات القرن الماضى، وبظهور الإنترنت وشبكة المعلومات الدولية؛ والبشرية كلها تشهد تطوراً متسارعاً فى عالم تكنولوجيا المعلومات. هذا التغيير يعد الأكبر من نوعه والأكثر تأثيراً على المجتمعات البشرية من حيث الثقافة والفكر والمعرفة. فلقد أصبحت الشبكة المعلوماتية مصدراً للتواصل بين الأفراد، وتحصيل العلوم النافعة، وبناء علاقات حميمة على مستوى التعارف أو الزواج من مختلف الثقافات؛ بنسبة كبيرة عالية وفى زيادة مستمرة، ولكن فى المقابل تقع مسئولية كبيرة على هذه الشبكة العنكبوتية المعلوماتية فى مواجهة تحديات مجتمعية مؤثرة من التفاعل والتعايش مع الانفتاح فى منصات التواصل الاجتماعى وزيادة العنف وارتكاب الجرائم والاطلاع على ثقافات أخرى متنوعة تتعارض مع قيم وهوية وثقافة المجتمعات فيما بينها.

لم تعد شبكة الإنترنت كما كانت فى بدايتها مصدراً لتبادل الوثائق والمعلومات فحسب؛ ولكنها أصبحت ذات تأثير اجتماعى واقتصادى وسياسى على الأفراد والمجتمعات والشعوب.

لقد تغير شكل هذا الفضاء الإلكترونى وأصبحت مكوناته المادية تتكون من شبكات اتصال وأجهزة محمول متنوعة وشرائح إلكترونية ذكية منتشرة فى كل مكان، ونستطيع أن نشاهدها ونشعر بوجودها فى الملابس الشخصية والأجهزة الكهربائية والشوارع والطرقات (وغير ذلك).

لقد أصبحت المعلومات المتداولة من عملية البحث فى الشبكة المعلوماتية غير مقصورة على مصادر المعلومات التقليدية ومصادرها من المقالات والكتب والدوريات العلمية؛ ولكنها أصبحت معلومات تتعلق بخبرات وتجارب الأفراد والأشخاص واهتماماتهم الحياتية وعلاقاتهم الاجتماعية المتنوعة وذلك من خلال ما نشاهده فى منصات التواصل الاجتماعى التى أصبحت مصدراً لتداول هذه الخبرات والمعلومات لمن يتواصلون ويتفاعلون من خلالها.

أ.د. نوح صبرى المتولى

الأستاذ بكلية الحاسبات والمعلومات – جامعة القاهرة

nouh.sabri@gmail.com

ولقد غدت الشبكة المعلوماتية مصدراً لكافة المعلومات التى تستطيع أن تعرف بها ثقافة وسلوكيات المجتمعات وتحدد هوياتهم وانتماءاتهم الفكرية مما ينتج عن ذلك معرفة مجتمعية حقيقية والتى من شأنها أن تؤدى إلى معرفة اقتصادية واقعية عن فئات وطبقات هذا المجتمع ومدى تأثير كل هذا على الحياة العلمية والتكنولوجية والتعليمية، وأيضاً التنبؤ بما قد يحدث لهذا المجتمع من تغيرات إيجابية أو سلبية على المستوى البعيد أو القريب.

أصبح كل شىء يتكلم وينتج بيانات

إن ما يميز هذه الثورة التكنولوجية فى حقيقتها وفرةُ البيانات الناشئة عن كل ما هو متصل على شبكة المعلومات من العنصر البشرى أو الآلات أو الأجهزة المادية من ماكينات ومحركات كهربائية وطائرات وسيارات وأجهزة كهربائية وغيرها من كل ما هو مميكن ومتصل على شبكة الإنترنت؛ حيث أصبح كل شىء يتكلم ويتحدث وينتج بيانات بلغات متعددة، وأصبحت هذه البيانات مصدراً لمعرفة تفاصيل كل شىء عن هذا الجهاز المولد لهذه الكمية الهائلة والضخمة من البيانات؛ إن كل جهاز نراه الآن من حولنا ما هو إلا جهاز حامل لصندوق ملىء بالمعلومات – على غرار الصندوق الأسود فى الطائرات– وهذه المعلومات على عظمها وضخامتها أصبحت مصدراً من مصادر بث معلومات خطيرة ودقيقة إلى درجة نستطيع من خلالها أن نعلم: ما هو العمر الافتراضى لهذه الآلة؟ ومتى تتوقف عن العمل؟ ومتى يحدث بها خلل فنى؟ أو غير ذلك من القراءات المهمة، والمعلومات الخطيرة فى عالم التحدث مع الآلات والتحكم الآلى ووفرة ما نسميه بـ «إنترنت الأشياء».

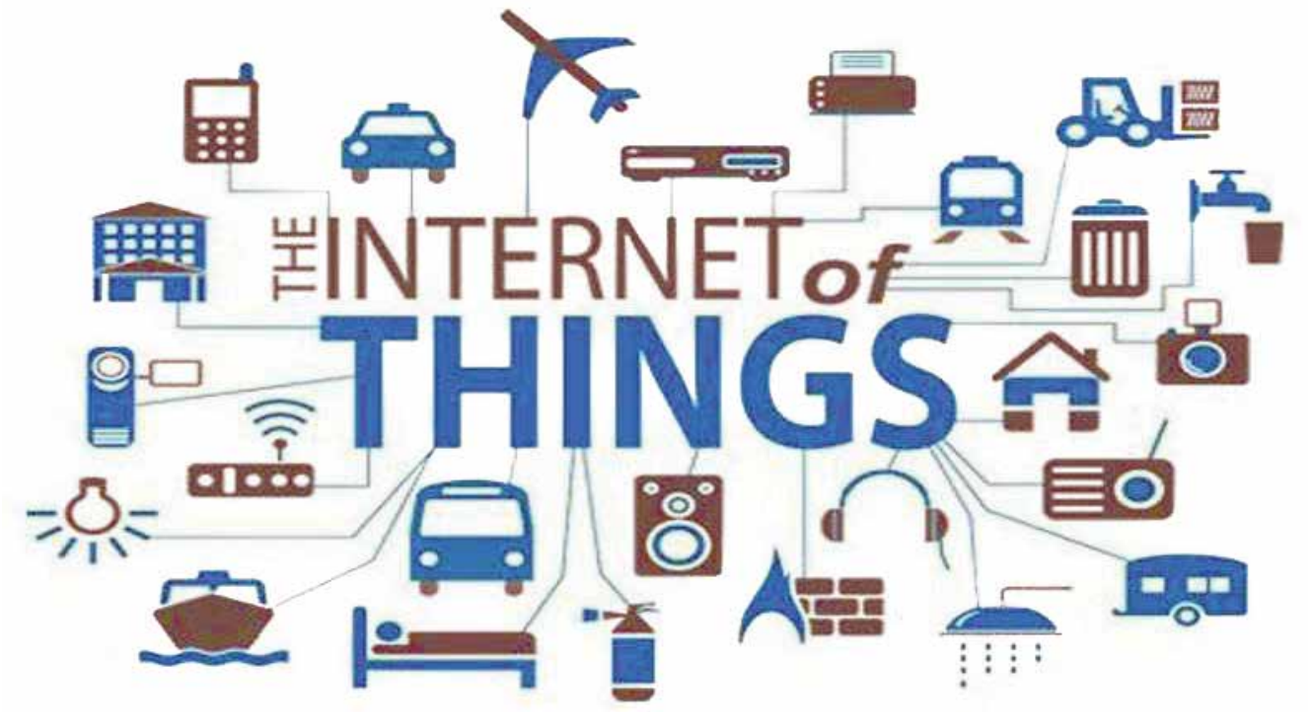

ما المقصود بمصطلح «إنترنت الأشياء»؟

ينشأ «إنترنت الأشياء» فى توافر بيئة الإنترنت والتى من خلالها تستطيع الشرائح المكونة لهذه المنظومة الكبيرة بث البيانات والاتصال مع الشرائح الأخرى ودون أى تدخل مباشر من الإنسان؛ إن معظم الأجهزة الإلكترونية الحديثة وغيرها مثبت بها تقنية (الواى فاى) اللاسلكية؛ والتى بها إمكانيات البث المباشر اللاسلكى على شبكة الإنترنت وعلى أى شبكة معلوماتية أخرى. وتكمن أهمية «إنترنت الأشياء» أو الشرائح الإلكترونية فى كونها واسعة ومنتشرة فى عالمنا المعاصر بوفرة وكثرة، ولكنها غير ظاهرة للعامة بوضوح؛ لأن طبيعتها تعتمد على الخفاء؛ ولذلك إن سألت أحداً عنها فلن تجده يعلم عنها شيئا مع العلم أنها محيطة بنا ومن حولنا وفى كل مكان وتطبيقاتها منتشرة انتشاراً كبيراً جدا.

تستطيع «إنترنت الأشياء» المثبتة فى السيارات أن ترسل بريداً إلكترونياً وأن تحجز موعدا مع شركة الصيانة لشراء الجزء التالف بها، وتستطيع ثلاجات الشيكولاتة والمشروبات الباردة أن ترسل معلومات تفيد بأن الكميات المخزنة بها أوشكت على الانتهاء، وتستطيع الساعة الذكية القيام بحساب مستوى الجلوكوز فى الدم، وعدد ساعات النوم، وعدد الخطوات التى قمت بتخطيها وعدد السلالم التى صعدتها، وضغط الدم والسكر، وتقوم أيضاً الساعة الذكية بقراءة أو إرسال البريد أو مشاهدة الرسائل القصيرة أو معرفة أوقات المكالمات التى تم الاتصال بها من المتصلين وتحديد هوية كل متصل، وبالإضافة إلى كل ذلك صممت الأساور الذهبية الحديثة بطريقة تسمح للشريحة المثبتة داخلها بإرسال رسائل للجهات المعنية بحالات الطوارئ للإحاطة علماً بمكان السيدة التى تلبس هذه الإسورة وذلك حفاظا على حياتها من التعرض لأى خطر.

إن المعلومات الناتجة عن هذه الشرائح تتعلق بمعلومات عن وقائع وجود الشخص وأين هو موجود؟ ومع من يتكلم؟ ومعلومات شخصية وطبية مثل معلومات عن ضغط الدم ودرجة الحرارة، وفواتير الكهرباء ومسارات الأسفار والرحلات والتعاملات التجارية اليومية بما فيها الطعام والشراب، ومتى دخل الإنسان أو خرج من مكان ما أو مبنى معين.

هناك فى العالم الآن حوالى مليار ونصف جهاز ذكي ومحمول، وبحلول عام 2020 سيكون العدد ستة بلايين جهاز محمول وخمسين بليون شريحة تم إيصالها على الانترنت، وعدد سكان الكرة الأرضية حوالى 7 بلايين ونصف تقريباً. وسوف تنتج هذه الشرائح الكثير من البيانات وستكون متصلة ومرتبطة فى مجالات التطبيقات الإنسانية، وتقدر الاستثمارات الاقتصادية بحلول عام 2025 بحوالى 10 تريليونات دولار، وتشمل هذه التطبيقات الاستثمارية مجالات المنازل السكنية، والطاقة، والنقل، والصحة والموارد الطبيعية.

تطبيقات «إنترنت الاشياء»

تنتشر تطبيقات «إنترنت الأشياء» فى خمسة قطاعات أساسية

على النحو التالى:

قطاع السيارات: وتتجلى فيه وجود الشرائح الذكية بكثرة وباستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعى، حيث تستطيع السيارة أن تسير تلقائيا بلا سائق، ويتم ذلك عن طريق تغذية الشريحة المثبتة فى السيارة بمعلومات نقطة الانطلاق والوصول، وعن طريق القمر الصناعى لاسلكياً تستطيع السيارة التحرك والتوجه إلى هدفها بسهولة ويسر.

قطاع مستهلكى الإلكترونيات – مثل الغسالات والثلاجات- حيث أصبح من الممكن أن تخبرك الثلاجة بأن تأكل مثلا قطعة معينة من الخبز أو الجبن، أو ما هى الكميات الناقصة من المواد الاستهلاكية من لحوم ودواجن وغير ذلك. إن هذا التواصل يتم تلقائيا - وبلا وسيط- من الثلاجة ذاتها من خلال الشريحة الذكية المثبتة فيها والتى تقوم بإرسال هذه المعلومات إلى جهاز المحمول إلى درجة أننا نستطيع عن طريق المحمول أن نصنع فنجان قهوة مميز، أو معرفة السعرات الحرارية فى الأطعمة؛ كذلك تستطيع الشرائح الذكية بتطبيقاتها المتنوعة إخبارنا بالأطعمة الفاسدة أو التى كادت تفقد الصلاحية، وكذلك مراقبة درجات حرارة الطهى والتحكم فى ذلك، والتحكم فى إطفاء وتشغيل الكهرباء فى الغرف والمنازل لترشيد الاستهلاك الكهربائى.

قطاع الطاقة والكهرباء: يعتمد هذا القطاع اعتماداً كبيراً على هذه التقنية الحديثة من وجود شرائح «إنترنت الأشياء» متنوعة ذكية مثبتة فى الأنابيب والكابلات وخطوط النقل وأجهزة الرقابة لتحديد وقت انقطاع التيار فى مكان معين، ومعرفة الجزء التالف معرفة دقيقة؛ مما يساعد ذلك كله إلى سرعة إعادة الكهرباء للأماكن التى تعرضت للضرر من هذا الانقطاع وإصلاح الشبكة وصيانتها على وجه السرعة، وكذلك وجود العداد الكهربائى الذكى الذى أصبح بإمكانه دفع الفاتورة تلقائياً عندما يحين وقت السداد وبلا تدخل مباشر من مالك العداد أو صاحب المنزل المثبت به هذا العداد الكهربائى الذكى والذى يستطيع ضبط الكهرباء واستهلاك الطاقة، وأيضا حساب توقعات قيمة الفاتورة فى الأشهر القادمة، والقيام بدفع قيمتها نيابة عنك.

قطاع الأدوية: تتنوع التطبيقات فى هذا القطاع تنوعاً كبيراً ولعل من أشهرها: الاستغناء عن علب الدواء الورقية بأخرى ذكية تستطيع تلقائياً معرفة صلاحية هذا الدواء ومدى تعرض هذا الدواء لعوامل الضغط والحرارة والرطوبة (وغير ذلك).

عند تعرض المنازل الذكية للخطر والهجوم السيبرانى:

المنازل الذكية: تثبت الكاميرات الذكية أمام أبواب المنازل وتكون متصلة على الإنترنت وأصبح من الممكن لصاحب المنزل أن يشاهد من يطرق عليه الباب ويحدثه ويكلمه؛ وقد يكون صاحب المنزل وقتها خارج البلاد أو فى موقع العمل أو خارج المنزل فى نزهة أو غير ذلك..

فالمنزل هو دائماً مكان الاستقرار والراحة والسكينة؛ ولكن ماذا لو تحولت منازلنا إلى ساحات هجوم سيبرانى نظراً لوجود إنترنت الأشياء؛ وقد ثُبِّت بها مثل (اللمبة الذكية، والسخان الذكى، أو أقفال الأبواب (وغير ذلك) والتى تعد بمثابة أشياء نافعة ظاهرياً ولكن من الممكن أن ينتج عنها هجوم إلكترونى يؤدى إلى كارثة حقيقية وانتهاك للخصوصية الإنسانية داخل المنزل؛ وربما يتحول قفل الباب الذكى إلى هجوم يغير حالته من أن يكون مغلقاً إلى أن يكون مفتوحاً على مصراعيه.

الأمان والسرية والخصوصية: تكمن مشاكل كثيرة ومتنوعة من التعايش فى هذه التقنية الحديثة المعاصرة ونسرد منها على سبيل المثال:

مشكلة الهوية: كأن نعرف معلومات عن صاحب الشريحة الذكية كالأوقات المستخدمة فى التريض والمشى ومدى تأثير هذا على ركوبه السيارات أو الدراجات واستهلاك البنزين على سبيل المثال.. كل هذا قد يكون له تأثير اقتصادى بشكل أو بآخر على الحركة الاقتصادية وتحريك عروض السوق للمستهلك فى آن واحد.. ومثال ذلك إذا علمنا أن عددا لا بأس به من المستخدمين يمشون ويتريضون؛ نستطيع أن نجعل شركات تصنيع الأحذية الرياضية تنتج عدداً كبيراً يوائم هذا التطور وهذا الإقبال الكبير من المستخدمين؛ ولهذا تستطيع شركات التأمين أن تعدل فى (بوليصة التأمين) بناء على معلومات الإنسان الصحية التى تمكنها من تغيير سياساتها مع المتعاملين معها لمصلحة شركة التأمين..

مشكلة تسبب الساعة الذكية (فى الإضرار بصاحبها): بعد تمكن الآخرين من الحصول على المعلومات الكامنة فيها، ثم توظيفها لمصلحة شخصية؛ حيث تمكن الآخر من إفشاء سرية هذه المعلومات التى تعرض صاحبها للخطر من المجرمين الذين يتعقبون هذا الهدف أو هذا الشخص الذى يلبس هذه الساعة الذكية.

الدبلوماسية الإلكترونية
ومدخل جديد لإدارة السياسة الخارجية

شهدنا إطلاق مصر مبادرة للتحول الرقمى فى إطار تبنى القيادة السياسية مشروعاً وطنياً لخلق دولة أكثر حداثة واندماجاً مع العالم وقادرة فى ذات الوقت على إتاحة الفرصة للإسهام فى الحضارة الإنسانية المعاصرة، وضمن تلك الجهود إطلاق خدمة التأشيرات الإلكترونية للدخول إلى البلاد، إلى جانب خدمات تطوير التعامل المصرى الخارجى مع مواقع البعثات الدبلوماسية فى الخارج، وموقع وزارة الخارجية المصرية والتعامل مع الشبكات الاجتماعية.

د. عادل عبد الصادق

مدير مشروع المركز العربى لأبحاث الفضاء الإلكترونى

adelsadek@hotmail.com

تعريف الدبلوماسية الإلكترونية

كان انعكاس تكنولوجيا الاتصال والمعلومات كوسيلة وطبيعة عمل جديدة للعمل الدبلوماسى واضحاً مع ظهور الإنترنت والمحمول والكمبيوتر والاتصال عن طريق الأقمار الصناعية وما تتيحه مواقع الإنترنت من معلومات جيوسياسية وأثرت على وظائف الدبلوماسية وهى حماية مصالح الدولة والملاحظة والمتابعة والمفاوضات وجمع المعلومات، والمشاركة فى صنع القرار والمحاكاة للمنازعات الدولية وتعظيم فوائد التدريب ورفع كفاءة العنصر البشرى.

ودفعت بذلك التحولات التى أحدثتها الثورة المعلوماتية إلى إعادة تعريف الدبلوماسية فيعرفها جوردن سميث على أنها « فن التقدم والحفاظ على المصالح القومية من خلال تبادل المعلومات بين الحكومة والدول والجماعات الأخرى»، وركز التعريف على دور الاتصالات فى بروز فاعلين آخرين ومن ثم فإن ظهور الفاعلين الدبلوماسيين خارج نطاق الدولة أصبح أحد أهم ملامح العلاقات الدولية المعاصرة.

أثر الفضاء الإلكترونى على طبيعة المهام الدبلوماسية وظهرت الدبلوماسية الإلكترونية أحد الأفرع المهمة فى أنشطة الخدمات الخارجية، وتعرف الدبلوماسية بشكل عام أنها فن التفاوض، وتبرز كوسيلة أو أداة للتفاوض من أجل إقناع طرف أو أطراف، ولا يوجد تعريف محدد للدبلوماسية إلا أنها تجمع بين بعض السمات مثل أنها فن يصنع برامج السياسة وفن بإدارة العلاقات الدولية، وعملية إدارة المعاملات بين الدول بأساليب الحوار والتفاوض، باعتبارها لغة الحوار والنقاش والإقناع وفن التعامل بين المنظمات الدولية وحل مشكلاتها وهى لغة العقل الهادئ لا الحرب والصراع، وتعمل على تحقيق ما تعجز الحرب عن تحقيقه وتدخل فى المجالات الاقتصادية والسياسية والإعلامية والثقافية.

وليس هناك تعريف متفق عليه للدبلوماسية الإلكترونية، إلا أن أبسط تعريفاتها يشير إلى أنها تعبر عن « استخدام شبكة الإنترنت وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات للمساعدة على تنفيذ أهداف دبلوماسية، أو أنها تعبر عن عملية تسخير الإنترنت وتكنولوجيا الاتصال الحديثة للتواصل مع جمهور خارجى بهدف خلق بيئة تمكين للسياسة الخارجية لبلد ما».

وتتحول المعلومات إلى صيغة رقمية بما يتيح إمكانية توظيفها من قبل الدبلوماسيين والقدرة على الاحتفاظ بها، والتنسيق مع أذرع أخرى للحكومة، واستخدام هذه الوسائل للاستمرار فى تنفيذ دور الإشراف والتوجيه للسياسة الدولية عبر الحكومة حتى عندما تصبح الدوائر البيروقراطية مدوَّلة بشكل متزايد. وتتيح الدبلوماسية الإلكترونية للدبلوماسيين الاتصال بشعوبهم والشعوب الأجنبية والاستماع إليهم والحوار معهم، هؤلاء الناس الذين انتقلوا وتواجدوا على الإنترنت، إضافة إلى فرض تأثيرهم فى عالم الإنترنت المزدحم على نحو متزايد.

خصائص الدبلوماسية الإلكترونية

أصبح العالم أكثر قرباً من بعضه البعض, فما يحدث فى أية دولة يمكن معرفته فى دولة أخرى, وهكذا سادت الشفافية فى نشر المعلومات وحرية الوصول إليها ونقلها والتفاعل بشأنها, وبما يؤثر فى تعبئة الرأى العام العالمى خلف ما يحدث ودفع الجماهير للقيام برد فعل قد يغلب عليه الاستجابات

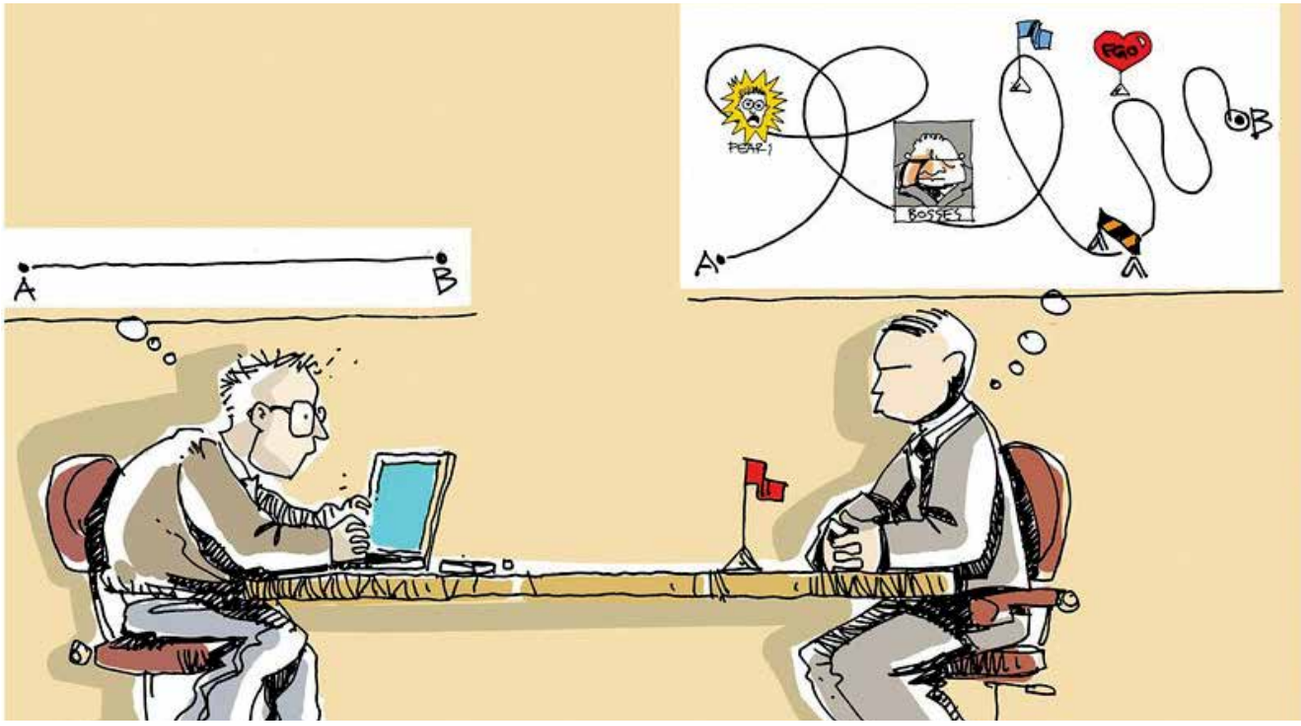

الدبلوماسية الإلكترونية

العاطفية تارة أو المساعدة فى الرشادة فى اتخاذ القرارات تارة أخرى, وذلك من قبيل الموازنة بين التكلفة والعائد للصراع مع تجاوز الزمان والمكان وقيود الجغرافيا للكشف عن أماكن الكوارث والصراع, وبما يعمل على تسريع الخطى لاحتواء الصراعات والتدخل الدولى فى إطار الأمن الإنسانى المشترك.

وشهد العالم منذ انتهاء الحرب الباردة تحولاً جذرياً فى الطريقة التى يتعامل بها الفاعلون الدوليون فى إدارة علاقاتهم الدولية التى تتعلق بالدبلوماسية والسياسة الخارجية، ووقف خلف ذلك بعدان مهمان يتعلق أحدهما بمعدلات النمو المتسارعة فى انتشار تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وتأثيرها الكبير على ممارسة الدبلوماسية، ومثّل ذلك أيضاً تهديداً لعمل المسئولين الدبلوماسيين ودورهم المركزى فى رسم السياسة الخارجية، وعمل ذلك أيضاً على تقويض بعض المهام الدبلوماسية، وأصبحت ثورة الاتصال والمعلومات تقوم بدور كبير فى نقل المعلومات حول ما يدور فى الخارج وبصورة أسرع وبطريقة مباشرة وهذا ما شكل فى حد ذاته إحلالا لمهمة السفير أو المبعوث الدبلوماسى.

أما البعد الآخر الذى كان له دور فى تفعيل استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات فى نقل المعلومات والانفتاح على الخارج وسرعة نقل المعلومات بين الداخل والخارج هو بروز دور الفاعلين من غير الدول كفاعلين دبلوماسيين وبشكل مكنهم بأن يكون لهم دور أساسى فى العلاقات الدولية الجديدة، والتى من أهم ملامحها أن الدولة لم تعد الفاعل الوحيد فى صنع السياسة الخارجية وأصبح إلى جانبها فاعلون آخرون يقومون بالعديد من المهام الدبلوماسية وأدى بروز الفضاء الإلكترونى وتحوله إلى أداة فاعلة فى الدبلوماسية الدولية فى تطوير عمل أجهزة إدارة الشئون الخارجية لدول العالم، وأدى أيضا إلى بروز دور قوى للقوة الناعمة فى العلاقات الدولية وتطور فى إدارة الأزمات الدولية ومنع الصراع الدولى وبشكل جديد فى إدارة التفاعلات الدولية.

وتتميز الدبلوماسية الإلكترونية بعدة مزايا هي، الأولى: المركزية واللامركزية: عن طريق تنقية الجهاز البيروقراطى وتقليل التكلفة وتوفير قنوات اتصالية سهلة داخل المنظمة بما يزيد من الكفاءة والفعالية. والثانية: التفتت والاندماج: عبر سهولة إنشاء روابط إلكترونية افتراضية بين المجتمعات المختلفة بما عمل على سهولة الاندماج وفى نفس الوقت القدرة على التعبير عن الهوية الذاتية. والميزة الثالثة: الشفافية: بحالة الانكشاف العالمى ودعم التكتل والتحالف وراء قضايا عالمية وشكل ذلك لصانعى القرار قضايا تتعلق بكيفية التعامل مع المعلومات والضغوط، والميزة الرابعة: التعبئة والرشادة بتوافر المعلومات فى اتخاذ القرارات والموازنة بين التعبئة وبين الرشادة فى اتخاذ القرار .والميزة الخامسة: السرعة: بتجاوز الزمان والمكان وقيود الجغرافيا بما ينعكس فى تسريع الخطى لاحتواء الصراعات، والتدخل الإنساني، والميزة السادسة: الافتراضية: يعنى المحاكاة عبر الكمبيوتر للواقع الفعلي، فالدبلوماسية الافتراضية هى دبلوماسية حقيقية، تتم عبر وسائل تكنولوجية، وبرز ما يطلق عليه بـ«الدبلوماسية الضخمة» Mega-Diplomacy والتى تعبر عن شبكة من التفاعلات السريعة بين فاعلين رسميين وغير رسميين.

تأثير الفضاء الإلكترونى على الدبلوماسية الدولية

أثر الفضاء الإلكترونى على وظيفة الدبلوماسى فى جمع المعلومات وإيصالها إلى دولته وتعزيز قدرته

على المتابعة لما يجرى داخل بلده أو داخل الدولة التى يتواجد بها، وإتاحة الفرصة للدبلوماسى للتدريب عن بعد عن طريق الإنترنت والعمل على رفع قدراته العلمية واللغوية، وتأسيس سفارات افتراضية فى المناطق الخالية من الحضور الدبلوماسى أو الضعيفة بتطوير مواقع إلكترونية تؤسسها وزارة الخارجية بالدولة المعنية, ذات خدمات موسعة وحية ومتطورة، وأثرت على وظائف الدبلوماسية وهى الحماية لمصالح الدولة والملاحظة والمتابعة والمفاوضات وجمع المعلومات، والمشاركة فى صنع القرار والمحاكاة للمنازعات الدولية وتعظيم فوائد التدريب ورفع كفاءة العنصر البشرى عن طريق ما يمكن أن يتيحه الإنترنت من مهارات لغوية ومعلوماتية وتفاوضية كما يمكن الاطلاع على كافة مناطق النزاع فى العالم، وإقرار مشروعات أمنية مشتركة عن طريق مواقع الإنترنت والتواصل مع الأطراف المعنيين عن طريقه.

تغير شكل العلاقات الدولية

وأثر الفضاء الإلكترونى على العمل الدبلوماسى من خلال الإنترنت والمحمول والكمبيوتر والاتصالات عن طريق الأقمار الصناعية وما تتيحه مواقع الإنترنت من معلومات جيوسياسية وساعد الفضاء الإلكترونى فى تغيير شكل العلاقات الدولية عن طريق التأثير على العنصر البشرى وعلى فن الدبلوماسية والمبعوثين الدبلوماسيين فى طريقة جمعهم المعلومات وطرق الإرسال، وعملية اختبار الدبلوماسى الذى يجب أن يمتلك قدرة عالية من التعامل مع تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ويستطيع أن يتفاعل من خلالها، وكذلك فى طبيعة الرسائل التى يمكن أن يبعثها المبعوثون الدبلوماسيون.

وساعد الفضاء الإلكترونى على الحد من إهدار الوقت والموارد فى التحضير للقمم بين قادة الدول، وأثرت وسائل الإعلام كذلك على عمل وزارة الخارجية عبر نقل المعلومات والأحداث والتقارير، وأدى ذلك إلى تحول وزارة الخارجية من مجرد محصل للبيانات ومجمع للمعلومات ومنفذ للسياسات إلى متلق للمعرفة ومنسق للمجهودات ومفكر فى البدائل ومخطط للإستراتيجيات.

ويتم توظيف الفضاء الإلكترونى فى العمل الدبلوماسى عبر أدوات جديدة مثل مواقع الإنترنت الخاصة بالسفارات أو عبر استخدام الشبكات الاجتماعية مثل «تويتر» و«فيس بوك» و«يوتيوب»، والتى أتاحت فرص الوصول مباشرة إلى جمهور الدولة بدلا من الاقتصار على العلاقات مع المؤسسة الرسمية، وأصبحت تلك الأدوات الجديدة تساهم فى خدمة أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، ويتطلب تفعيل الدبلوماسة الإلكترونية العمل على تحقيق عدة اعتبارات لعل أهمها، الأول: عبر دمج التكنولوجيا ونشاطات الإدارة، والثاني: تمويل برامج تطوير التكنولوجيا فى مختلف المناصب الدبلوماسية، والثالث: تأسيس مراكز تكنولوجيا والتعاون مع السفارات فى الخارج، والرابع: العمل على اعتماد تمويل خاص للابتكار التكنولوجى واستخدام البرامج الإلكترونية الإدارية، والخامس: توسيع التشارك فى المعلومات والمعارف، والسادس: العمل على إقامة نظام موسع لإدارة العلاقات، والسابع: تحسين قدرات البحث والاسترداد للمواد الرقمية وتوسيع استخدامها للمؤتمرات المنقولة عبر الأقمار الصناعية. والثامن: تبنى أدوات اتصال جديدة مثل منتديات النقاش الحى الإلكترونية وخدمات الفيديو عبر الإنترنت والتى تغير طريقة التفاعل بين الناس فى أرجاء العالم.

لم يعد مستحيلاً تدمير الأمن الإلكترونى للحكومات والأفراد

يبدو أن العالم مقبل على حرب إلكترونية، عدو البشرية فيها متعدد ومتنوع، متخفٍ وحويط، داهية ومتبجح. لم تهدأ الأحوال، ولم يتعرف العالم على الواقفين وراء هجمات «القرصنة الإلكترونية» التى تتعرض لها مئات المؤسسات الحكومية والحزبية والأشخاص العاديين منذ نوفمبر 2016. وبعد أن أكد البعض أن العالم سيرتاح قليلاً من غارات القراصنة لأن محاولاتهم لم يكتب لها النجاح الكامل، إذ به يزداد رعباً يوم 27 يونيو 2017 عندما تعرضت مئات المؤسسات على امتداد خطوط العرض الممتدة من أوكرانيا وروسيا إلى غرب أوروبا لبرنامج فيروسي أطلق عليه Petya تمكن خلال دقائق معدودة من إلحاق الشلل بعدد من شركات النفط ومؤسسات الخدمات والبنوك والمصارف والمؤسسات الحكومية في تلك المنطقة لفترات لم يتم حصرها بعد.

د. حسن عبد ربه المصرى

drhassanelmassry@yahoo.co.uk

البداية كانت مع قرب انتهاء الانتخابات الرئاسية الأمريكية التى فاز فيها دونالد ترامب، عندما اتهمت وسائل الإعلام هناك «قراصنة روسيين» باختراق قاعدة بيانات الحزب الجمهورى حيث «قاموا بمسح كافة المعلومات المتوافرة عن عدة ملايين من الناخبين» لكى يفسدوا عليهم حقهم فى التصويت. ثم انتقلت الكرة إلى ملعب الانتخابات الرئاسية الفرنسية حيث حذر متخصصون من خطورة تدخل «قراصنة موسكو» فى سير العملية بهدف توجيه دفتها لصالح مرشحة اليسار الفرنسى، ليحرموا التيار اليمينى من الفوز.

معركة الفدية الخبيثة

روسيا نفت هذه التهم التى لم يتم تقديم دليل موثق عليها، وتركت الآخرين يضربون أخماساً فى أسداس، ويطرحون أسئلة تدور حول صراع المصالح والجيوش الإلكترونية والمغامرين والقراصنة الهواة ومدمنى المغامرات، والإرهابيين.

وكنا قد صحونا فى شهر مايو الماضى على معركة الفدية الخبيثة التى عرفت بـ wanna cr والتى تمكن مطلقوها من تعطيل ملايين من أنظمة تشغيل الكمبيوتر فى أنحاء متفرقة من العالم خاصة فى أوروبا، كان فى مقدمتها نظام العلاج على مستوى مستشفيات المملكة المتحدة ومراكزها الصحية، والذى نجم عنه تعطيل وإلغاء الكثير من المعاملات الطبية التى لم تهدأ تبعاتها بعد ولا عُرف مصدرها بشكل قاطع حتى الآن.

كلها تكهنات واحتمالات مصحوبة بإلقاء المسئولية على هذا الطرف أو ذاك. ثم إذ فجأة تعلن شركة الطيران البريطانية British Airways قبل منتصف نهار السبت 27 مايو 2017 أنها ألغت جميع رحلاتها المنطلقة من مطارى هيثرو وجاتويك إلى مختلف مدن العالم. وهذا معناه أن نظام التشغيل الإلكترونى لكافة أنشطة وعمليات الشركة أصيب بسكتة دماغية بلا سابق إنذار فى لندن ومدن بريطانية أخرى وحوالى 170 مدينة حول العالم. سبعون ألف راكب تقريباً لم يجدوا مسئولا يشرح لهم السبب. الآلاف منهم افترشوا أرض المطارين ومطارات أخرى كثيرة، بعد أن وصلوا إلى صالات السفر ووقفوا فى طوابير طويلة للحاق برحلاتهم التى لم تقلع.

ملايين الجنيهات أُنفقت خلال أقل من 36 ساعة لتوفير أماكن مبيت للعدد الأكبر منهم فى أقرب فنادق وبيوت ضيافة. محطات الشركة حول العالم تحولت إلى ساحات للشجار لأن العديد من الركاب سلم حقائبه إلى مكاتب الشركة التى سارعت بتحميلها فى بطون طائراتها استعداداً للتحليق، ثم توقف النظام عن استكمال خطواته المتعارف عليها.

قد يقول قائل لماذا تعقد الأمر؟ أريدكم أن تتخيلوا معى حالتكم فى مثل هذا الموقف والجو المشتعل الذى وجد نفسه وحوله المئات يعانون من نفس المشكلة، وكيف تعلو الصرخات فى وجه المئات من موظفى الشركة فى لندن وفى غيرها من مدن العالم الكبرى لعدة ساعات دون أن يكون لديهم القدرة على الإجابة أو حتى بذل الوعود غير المضمونة.

كارثة فنية غير مسبوقة

لقد نفى مسئولو الشركة بشكل قاطع تعرض برامج الحجز والتشغيل لأى اختراق معلوماتى، وأفتى بعضهم بأن انقطاع التيار الكهربائى عن أجهزة تشغيل الحركة فى لندن وبينها وبين المدن الأخرى هو السبب الرئيسى فلم يصدقه أحد لأنه من الصعب تخيل أن تتعرض واحدة من أشهر شركات النقل الجوى لمثل هذا المطب وتكون

توقف نظام التشغيل الإلكترونى فى أكثر من 170 مطاراً فى مايو 2017

النتيجة توقف تشغيل نظام تسفير الركاب. هنا تكمن المشكلة.

فقد لجأت الشركة على الفور إلى نظام التشغيل اليدوى الذى توقفت الاستعانة به منذ نهاية ثمانينات القرن الماضى، ولكم تصور مدى الارتباك وضيق الصدور الذى استدعى استقدام عشرات الموظفين من منازلهم لتوزيع أعباء تخفيف وقع المصيبة عليهم. وعادت الحياة إلى دماغ الشركة بعد مرور 24 ساعة، استنزفت خلالها أعصاب كافة مديرى الشركة ورؤساء قطاعاتها ومديرى مكاتبها فى الخارج ودمرت صفقات ومشاريع المئات من الركاب، وتعطلت سفينة حياة اللآف منهم.

وبين السكتة الدماغية التى تسببت فى كارثة غير مسبوقة، والاستفاقة التى وضعت نهاية لها، عرفنا الكثير.

لم يكن الفيروس الذى ضرب الشركة من نوع «حرامى المعلومات» ولا هو «مخرب أصلى محترف» وإنما يمكن أن نسميه استعراض عضلات، يمكن أن يكون صورة من صور الابتزاز التى يتدرب عليها عدو البشرية الوهمى فى ملعبه الخفى، استعداداً لدورة ألعاب قادمة لا نعرف متى تبدأ ولا كيف ستنتهى. وهكذا تحول الأمن الإلكترونى إلى هاجس ربما أكثر تعقيداً من رعاية المصالح العليا للدول العظمى ومن التحالفات العالمية والإقليمية. فهذه الواقعة لا تقارن بحجم التهديدات المتخيلة التى تتوقع كافة الدولة أن تتعرض لها خاصة وأنها كلها توقعات لم يمر بها أحد، تتخفى خلف برامج رقمية تزحف على خصوصيات الدول والمؤسسات الخدمية والمالية والأفراد، مثلما تزحف جحافل النمل على مخزن سكريات فتأتى عليه، أو أسراب الجراد على الغابات الخضراء فتقضى عليها، أو أمواج تسونامى على شطئان الخلجان الهادئة فتقتل وتدمر بلا رحمة.

الفضاء الرقمى أصبح مصدراً للتوتر

فهل تحول الفضاء الرقمى إلى مصدر للقلق والتوتر والتوجس؟ نعم.. حيث أصبح كل حائط دفاعى قابل للاختراق مهما كانت تحصيناته، لأن وراءه كنزاً معلوماتياً يساوى من الأموال مئات الملايين من الدولارات.

وهل قرصنة المعلومات والغزوة الإلكترونية لها حدود تقف عندها؟ لا.. ببساطة، لأن كلما يحاول الآخر سواء كان حكومة أو مؤسسة أو فرد أن يخفيه، هناك من يسعى للوصول إليه. الأمن الوطنى.. أرصدة البنوك.. الإحصائيات والبيانات والتقارير «السرية للغاية».. الخطط المستقبلية.. باختصار كل ما تضعه «أنت» فى خانة «المشفر المحمي» هو بالنسبة للآخر «هدف» غير مستعصٍ على الكشف.

وليس سراً أن دول العالم التى أنفقت خلال عام 2016 وحده أكثر من 70 مليار دولار لضمان أمنها المعلوماتى وحماية أسرارها ومصالحها ومستقبل خططها القومية، لم تعان من اختراقات أمنية كما عانت فى النصف الأول من العام الحالى 2017 فلنتخيل كم أنفقوا هذا العام؟ وأترك الإجابة لكم.

إن القلق يتزايد يوماً بعد يوم. التهديدات التى تتلقاها البورصات التجارية الأمريكية والأوروبية بشكل متواتر أصبحت تشكل هاجساً لحظياً، وتحولت ضمانات حركة الملاحة الجوية والبحرية العالمية إلى توقعات غير مأمونة العواقب. والأكثر خطورة ما قد تتعرض له قنوات تنقل أمن المعلومات من طرف إلى آخر وأنظمة تشغيل الأقمار الصناعية التى تنقل الأخبار فى التو واللحظة، لأنها ببساطة أصبحت على كف عفريت. وفى المقابل، لا ينكر أحد أن الجهد المبذول للحد من هذه التهديدات لا يتوقف لتحقيق هدفين، أولهما كشف النقاب عن الشبح المتخفى وراء هذه العمليات لمحاصرته والقضاء عليه، وثانيهما التوصل إلى نظام برامجى صعب الاختراق. ويتمنى الأخصائيون أن تنجح جهودهم، ونتمنى أن لا يكون ذلك سبباً فى اندلاع حرب معلوماتية عالمية لا يعرف أحد نهاية متخيلة لها. وليس فى مقدورنا شئ نفعله إلا أن نسأل الله الستر.

مصر بين سيادة الدولة والتدخل الخارجى

في ظل تشابك المصالح عالميًّا وإقليمياً، وتلاشي الحدود بين الداخل والخارج، والتأثير الكبير المتبادل بينهما، لم يعد في إمكان أية دولة حماية مصالحها العليا في عزلة عن محيطها الخارجي، ودون القيام بدور في هذا المحيط بدافع حماية مصالحها، وتقليص التأثيرات السلبية لهذا المحيط على تلك المصالح، وتعظيم الفرص المتاحة به لتحقيقها.

سفير محمد العرابي

وزير الخارجية الأسبق، وعضو مجلس النواب

m_eloraby@yahoo.com

ولا شك أن المصالح الوطنية لدولة مثل مصر بما لها من موقع جغرافى وإمكانات ورسالة حضارية فرضت عليها الاهتمام بالمحيط المجاور لها، وربما أبعد من هذا المجال. فعلى مدى تاريخها كانت مصر مُستهدَفة دائمًا من قِبَل الخارج، وهو ما فرض عليها أن تهتم بهذا الخارج، وكان هناك دائماً ما يستجد من الأحداث والتطورات بما يرسخ لديها قناعة بأن قيامها بممارسة دور خارجى ليس ترفًا أو خيارًا بقدر ما هو ضرورة حتمية للدفاع عن مصالحها الحيوية وأمنها القومى. ومن هذا المنطلق، كان من الطبيعى أن يثار الحديث من جديد داخليًّا وخارجيًّا حول طبيعة الدور الخارجى لمصر عقب الحراك الثورى الذى شهدته المنطقة العربية فيما أطلق عليه الربيع العربى، وسقوط نظام مبارك فى مصر عقب 25 يناير 2011، ثم نظام جماعة الإخوان عقب الموجة الثانية فى 30 يونيو 2013، وما تلا ذلك من تغييرات عدة على المجتمع والسياسة فى مصر، تترك آثارها بالضرورة على سياسة مصر الخارجية، توجهًا وممارسةً ومؤسسةً، بما يزيد من فرص مصر فى عودة دورها الإقليمى مجددًا لممارسة مهامه فى دائرة نفوذه التقليدية، بعد أن تحررت من القيود التى فُرِضت على السياسة الخارجية إبان العقود الأربعة السابقة، وأصبح لمصر قدرة على مراجعة سياستها

الخارجية فى مختلف الدوائر، بما يجعلها أكثر استجابة للإرادة الشعبية المصرية.

إشكالية الموقع «الجغرافيا»

إذا ما صدقت مقولة إن الجغرافيا وراء السياسة بصفة عامة، فإنها تصدق على مصر على وجه الخصوص. فسياسة مصر الخارجية تعكس شخصيتها الإستراتيجية بشكل أو بآخر. فإذا كان لسياسة مصر الخارجية مجموعة من الثوابت والمتغيرات، فعلى رأس هذه الثوابت تأتى حقائق الجغرافيا والتاريخ. فالجغرافيا هى قدر الأمم الذى لا فكاك منه، وهى العامل الثابت فى صناعة التاريخ. ولقد أدى الموقع الجغرافى لمصر إلى أن تصبح سياساتها وتوجهاتها ذات حساسية تجاه العوامل والأفكار المُولَّدة من قِبَل البيئة الدولية والإقليمية. وفى ذلك يقول الأستاذ «محمد حسنين هيكل» إن موقع مصر كان خليقًا بأن يفرض نفسه على التاريخ. ويعتبر عالم الجغرافيا المصرى «د. جمال حمدان» أفضل من تحدث عن الأثر الذى تركه موقع مصر الجغرافى على دورها الخارجى، وأدائها لوظيفتها الإقليمية، حيث يقول: «إن مصر كانت دائمًا مركز دائرة... ضاقت أو اتسعت، ولكنها دائمًا لها محيط وأبعاد، وهى مركز ثقله وجاذبيته، ولها الدور القيادى فيه بإيجاز حاسم. وكانت مصر باستمرار قطب قوة وقلب إقليم حتى وهى مستعمرة محتلة. ومهما كانت أوضاعها الداخلية، كانت مصر مركز دائرة ما، وليست على هامش دائرة أخرى.

معطيات الموقع الجغرافى لمصر فرض على مصر معضلات عديدة. فمصر بلد زراعى مطلوب منه توفير الغذاء لشعب يتزايد باضطراد مستمر، ومصدر غذائه الرئيسى هو الزراعة، فى حين أن مصر بلد تقع جغرافيًّا فى بيئة شديدة الجفاف، ومعدلات سقوط الأمطار بها ضعيفة، وتعانى من ندرة فى مصادر المياه الجوفية المتجددة والقابلة للاستخدام فى الزراعة. ولذا فإن المصدر الرئيسى ويكاد يكون الوحيد لمياه الرى والشرب هو نهر النيل الذى ينبع على بعد آلاف الأميال وراء حدودها الجنوبية. حتَّمَت على مصر أن تمد بصرها دومًا نحو الجنوب، وفرضت على صانع القرار بها ضرورة صياغة وتنفيذ سياسة خارجية قادرة على تأمين تدفق مياه النهر، والحصول على ما يكفى لسد احتياجات مصر المتنوعة منها. ومارست مصر دبلوماسية شديدة النشاط فى هذه المنطقة، جوهرها تقديم الدعم الفنى والمادى لإقامة مشروعات من شأنها الحفاظ على موارد المياه فى نهر النيل. ولقد عبَّرت مصر فى أكثر من مناسبة عن أن استخدام مياه النيل كورقة ضغط ضد الإرادة السياسية لمصر، أو للتأثير على سياسة مصر الخارجية أو الداخلية، وبما يتعارض مع مصلحة مصر الوطنية يعد خطًّا أحمر لن تسمح مصر بتجاوزه. ولحسن الحظ، فإنه -حتى وقت قريب، وبسبب مجموعة مركبة من العوامل السياسية والتاريخية والاقتصادية والقيود التكنولوجية فى دول حوض نهر النيل- لم يكن يوجد خطر كبير حالٌّ يهدد وصول مياه نهر النيل إلى مصر.

وفى عهد الرئيس الأسبق مبارك، شهد الدور المصرى فى أفريقيا انحسارًا، ولم ينشغل بأفريقيا إلا فى حدود ضبط العلاقات بين الأقطار العربية والدول غير العربية فى المنطقة، لا سيما فى منطقة منابع النيل وأثيوبيا التى ينبع منها 86٪ من مياه نهر النيل التى تدخل الحدود المصرية عند خط عرض 22 جنوبًا.

ويعترف وزير الخارجية الأسبق أحمد أبو الغيط فى شهادته أن مبارك أهمل كثيرًا الملف الأفريقى، وأن الدور المصرى بها انزوى بسبب ذلك الإهمال. وتَسبَّب الانحسار المصرى فى إحداث فراغ ليس بالقليل بالقارة، الذى مهد الطريق من ناحية أخرى لظهور إسرائيل على الساحة الأفريقية بقوة، وركزت على دول منطقة حوض النيل والبحر الأحمر التى تعد أخطر المناطق المؤثرة على الأمن القومى المصرى والعربى. واستغلت ذلك بالضغط على الإرادة المصرية لتمرير أجندة أمريكية-إسرائيلية بالمنطقة من خلال تقديم الدعم الاقتصادى والتكنولوجى، وتمويل بعض المشروعات التى تعتمد على مياه نهر النيل؛ لزيادة قدرات دول الحوض على التحكم فى مياه النهر بما قد يؤثر بالسلب على حصة مصر من مياه النهر الحالية، أو زيادتها مستقبلاً، ومنها سد النهضة الأثيوبى الذى تشير كثير من الدلائل إلى أن إسرائيل تقف من ورائه.

ولقد كشفت أزمة سد النهضة عن مدى خطورة تراجع الدور المصرى فى أفريقيا على الأمن القومى المصرى. ويبدو أن الرئيس السيسى – على نقيض الرئيس الأسبق حسنى- يدرك ضرورة وضع حد لهذا التباعد، والسير على درب سياسة عبد الناصر فى التقارب مع أفريقيا، وهو ما عكسته دعوة إثيوبيا لحضور حفل تنصيب الرئيس، الذى أشار فى خطابه إلى

أنه لن يسمح بإفساد العلاقات التاريخية بين مصر وإثيوبيا بسبب ذلك المشروع، فيما يمكن اعتباره إعادة تأسيس لسياسة مصر تجاه أفريقيا فى الفترة القادمة. وأكد السيسى توجهه فى البيان المشترك مع ورئيس وزراء أثيوبيا «هايلى ماريام ديسالين» الصادر بعد اجتماعهما فى غينيا الاستوائية؛ حيث تم الاتفاق على البدء الفورى فى الإعداد لانعقاد اللجنة الثنائية المشتركة خلال ثلاثة أشهر، وتشكيل لجنة عليا تحت إشرافهما المباشر، لتناول كافة جوانب العلاقات الثنائية والإقليمية فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

وأكد السيسى أن مصر لا تتوانى عن تقديم كافة أشكال الدعم والتعاون مع الدول الأفريقية الشقيقة وترحب دوماً بالمساهمة فى جهود تحقيق التنمية للشعوب الأفريقية. وشدد على أن مصر تنشد الخير والسلام والتعمير والبناء لكافة الدول والشعوب، منوهاً إلى أن مصر عادت بقوة إلى أفريقيا كما أنها منفتحة على كافة الدول الصديقة والشقيقة المُحبة للسلام. وأكد على أهمية تطوير البنية الأساسية فى مختلف الدول الأفريقية والعربية والإسلامية بما يدعم التبادل التجارى وينشط حركة التجارة والاستثمار بين هذه الدول مشدداً على محورية دور القطاع الخاص فى هذا الصدد نظراً لما يمتلكه من إمكانيات وما يتمتع به من مرونة. ولفت إلى أهمية التواصل فيما بين مختلف اتحادات الغرف التجارية والصناعية بهدف بحث سبل تعزيز التعاون بين الدول الأفريقية والعربية والإسلامية وكذا دول البحر المتوسط والتعرف على الفرص الاستثمارية المتاحة وتعزيز معدلات التبادل التجارى والاستفادة من المواد الخام والقوى العاملة المتاحة فى تلك الدول التى تمثل سوقاً ضخمة ترتبط بالعديد من اتفاقيات التجارة الحرة.

إشكالية المساعدات الأمريكية

المساعدات الأمريكية لمصر هى مبلغ ثابت سنوياً تتلقاه مصر من الولايات المتحدة فى أعقاب توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام 1979. المساعدات الأمريكية لمصر بدأت بعد توقيع مصر على معاهدة واتفاقية السلام مع إسرائيل تحت الرعاية الأمريكية التى منحت مصر آنذاك مساعدات قدرها 2.4 مليار دولار، منها 1.3 مليار دولار مساعدات عسكرية و 2.55 مليون دولار مساعدات اقتصادية، وكشفت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية اتجاه إدارة الرئيس الأمريكى باراك أوباما لتخفيض المساعدات العسكرية لمصر، بعد مناقشات طويلة تمت بمشاركة إسرائيلية لبحث التعاون العسكرى الأمريكى المصرى بعد تصاعد العنف فى البلاد مؤخرا، ونقلت الصحيفة عن مسئولين أمريكيين تأكيدهم على أن القرار سيصدر خلال الأيام القادمة، وشارك مسئولون إسرائيليون فى المناقشات وتمت الموافقة على خطط لوقف جزء كبير من المساعدات العسكرية التى تقدم سنوياً لمصر، بسبب الأحداث التى شهدتها البلاد الفترة الماضية والعنف بين تنظيم الإخوان والجيش، بينما أعرب بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى عن قلقه من القرار وتخفيض المساعدات العسكرية لمصر ورد فعل الجيش المصرى، وسيتضمن القرار وقف تسليم العديد من الأسلحة للجيش المصرى منها دبابات وطائرات مقاتلة وطائرات هليكوبتر، لكنه لن يشمل المعدات التى يستخدمها الجيش المصرى فى محاربة الإرهاب ومراقبة الحدود فى سيناء ومع قطاع غزة.

انتقدت مصر الولايات المتحدة إثر تقارير عن وقفها مساعدات عسكرية مخصصة لها تصل قيمتها إلى 152 مليون دولار واعتزامها قطع مساعدات أخرى تبلغ قيمتها 96 مليون دولار نظراً لما وصفته واشنطن بأنها مخاوف بشأن حقوق الإنسان فيها. وأثار قرار الولايات المتحدة بتعليق جزء من مساعداتها العسكرية لمصر ردود فعل واسعة فى الأوساط الشعبية والدبلوماسية المصرية، وسط رفض كبير من مختلف القوى السياسية لهذه الخطوة التى تعكس موقفاً أمريكياً ضد ثورة الشعب المصرى. ورفض خبراء وسياسيون وقانونيون فى تصريحاتهم لـ«الأهرام المسائي» استخدام المساعدات الأمريكية كورقة ضغط على القرار المصرى، مؤكدين أن القرار يمثل ارتباكا فى القرار الأمريكى ويعد موقفاً عدائياً، كما أنه بمثابة ضغوط خارجية لتلبية مطالب الإخوان، بينما وصفت القوى السياسية القرار بأنه غير مؤثر على الجيش المصرى. وأكد الدكتور مجاهد الزيات رئيس المركز القومى لدراسات الشرق الأوسط أن القرار سيئ للغاية ولا يخدم العلاقات المصرية- الأمريكية وهو دافع لمصر لوضع خطة تنويع مصادر التسليح حتى لا تبقى رهن واشنطن. بينما قال السفير أمين شلبى، الأمين التنفيذى للمجلس المصرى للشئون الخارجية: إن هذا الموقف يكاد يكون عدائياً من الإدارة

الأمريكيـــة إزاء مصر ويتنافى مع ما يقوله الرئيس باراك أوباما، موضحاً أن القرار يعنى المســـاس بقدرات مصر العسكرية فى مكونات حاكمة ومهمة. وعلى الصعيد العســـكرى اعتبر اللواء سامح سيف اليزل الخبير الاستراتيجى أن قرار واشنطن يأتى فى توقيت غريب، وأن الخاسر الأكبر من قطع المساعدات العسكرية هى المصانع الحربيـــة الأمريكية التى يســـيطر عليها اللوبـــى اليهودى، مشيراً إلى أن روســـيا أبلغت مصر بأنها على اســـتعداد كامل لتقديم المساعدات والأسلحة للجيش المصرى فى الوقت الذى يريـــده. وفيما أكد اللواء محمود زاهر الخبير العسكرى أن الجيش المصرى لديه 3 مصادر أساســـية للســـلاح وشراء المعدات العسكرية ومن بينها أمريكا وهناك روسيا والاتحاد الأوروبى علاوة على المصانع المصرية التى تقوم بإنتاج وتطوير المعدات العسكرية.

أكد خبراء عســـكريون أن قرار الولايـــات المتحدة بقطـــع جزء من المساعدات العسكرية لمصر لا يمثل خطورة على الجيـــش المصرى، لأن القوات المســـلحة المصرية وضعت خطة من فـــترة لتوفير احتياجاتها من المعدات والمستلزمات العسكرية من دول أخرى غير الولايات المتحدة مثل روسيا والصين وبعض الدول الأوروبية كمـــا أن المملكة العربية السعودية أعلنت بشكل صريح بأنها على اســـتعداد لشراء كل احتياجات الجيش المـــصرى إذا قطعت أمريكا المساعدات العسكرية. من جانبه أكد الدكتور ســـعيد اللاوندى الخبير فى العلاقات السياسية الدولية: إن قرار الإدارة الأمريكيـــة بتعليق جزء من المساعدات الأمريكية للجيش المصرى نوع مـــن العقاب بعد حكم القضاء المصرى بتصنيـــف جماعة الإخوان جماعة محظـــورة، وهـــو تقدير خاطيء من جانب الإدارة الأمريكية. أضاف أن الشعب المصرى الذى قام بثورتين قادر على الاســـتغناء عن المساعدات إلا أن توازنات القوى فى المنطقة ســـتدفع إسرائيل واللوبى الصهيونى بأمريـــكا للضغط لمنح المســـاعدات كاملة لمـــصر فى إطار تعهـــدات الطرفين التـــى ترعاها أمريكا خاصة بعد تزايد الضغوط الشعبية داخل مـــصر لرفض المساعدات.

إشكالية التدخل الأجنبي:

وهناك العديـــد من محاولات التدخل فى الشـــئون الداخلية لمصر حيـــث أدان البرلمـــان الأوروبى ما وصفه بالتعذيب للشـــاب الإيطالى جوليو ريجينى، الـــذى عثر عليه مقتولاً فى 3 فبرايـــر2016 مطالباً بوقف المســـاعدات لمـــصر. لذلك رفض البرلمان المـــصرى كل تدخل فى عمله والشـــئون الداخلية للبلاد رداً على هذا القرار وأصدر مجلس النواب بياناً بأنه لا يقبل التدخل فى الشـــئون الداخلية المصرية ويحث على اســـتخدام نهـــج انتقائى فى التعامل مع قضايا حقوق الإنسان أو تسييس بعض القضايا. كما أكد الرئيس الســـيسى أن هناك أربعة مبادئ رئيســـية تحكم علاقة مصر بالعالـــم الخارجى هـــي: الشراكة وليـــس التبعية والثوابـــت التى لا تتغير والأســـلوب المنفتح والمتوازن على الجميـــع فى إطار من العلاقات الاســـتراتيجية الثابتة التى نحافظ عليها وتبـــادل المصالـــح والرأى والاحترام المتبادل.

وفى تدخـــل جديد فى الشـــئون المصرية، نظر الكونجرس الأمريكى مشروع قانـــون خـــاص بترميم الكنائس التى تم حرقها أو إتلافها أو تدميرها خلال اعتداءات أنصار جماعة الإخوان الإرهابية فى أغسطس 2013، عقب فض اعتصامى رابعة والنهضة. وجاء المشروع تحت عنوان «قانون المساءلة المتعلق بالكنائس القبطية»، وطالب وزير الخارجية الأمريكى بتقديم تقرير سنوى إلى الكونجرس بشـــأن الجهود لترميم وإصلاح الممتلكات المسيحية، التى

تعرضت للإتلاف من قبل العناصر المتطرفة فى 2013. وأشار مشروع القانون فى حيثياته إلى وعد الرئيس السيسى بترميم الكنائس المتضررة من هجمات العناصر المتطرفة، ولفت إلى قيام المؤسسة العسكرية المصرية بترميم 26 كنيسة من أصل 78 كنيسة ومبنى مسيحياً تابعاً تعرضوا للإتلاف، كما قام مواطنون بترميم 23 مبنى آخر، تعرض للإتلاف على نفقتهم الخاصة. ونص مشروع القانون على عدة توصيات يجب أن تتبعها الإدارة الأمريكية الجديدة، وهى اتباع سياسة تنص على إدانة انتهاكات الحرية الدينية وتشجيع الحكومات الأخرى ومساعدتها فى تعزيز الحق الأساسى فى حرية الدين، وأن تلتزم الخارجية الأمريكية بتقديم تقرير عن التقدم الذى تم إحرازه فى عملية الترميم.

وقد رد مجلس النواب على هذا المشروع حيث أعلنت النائبة مارجريت عازر، وكيلة لجنة حقوق الإنسان بمجلس النواب، رفضها لمشروع القانون الذى عُرض على الكونجرس الأمريكى، تحت زعم «دعم الأقباط فى مصر»، والمقدم من منظمة التضامن القبطى «كوبتك سوليدرتي» مع مشرعين أمريكيين، بحجة تسليط الضوء على ما أسموه محنة الأقباط والدعوة لدعمهم. واستنكرت «عازر»، الإجراء واصفة إياه بأنه تدخل سافر فى الشأن الداخلى المصرى، واستغلال لبعض الأحداث فى مصر، التى تحاول أمريكا توظيفها فى إطار سياسى مغرض لإحداث الفتنة والبلبلة نتيجة إصابتها بالهوس والجنون نتيجة الرد الحاسم من مصر ودفاعها عن

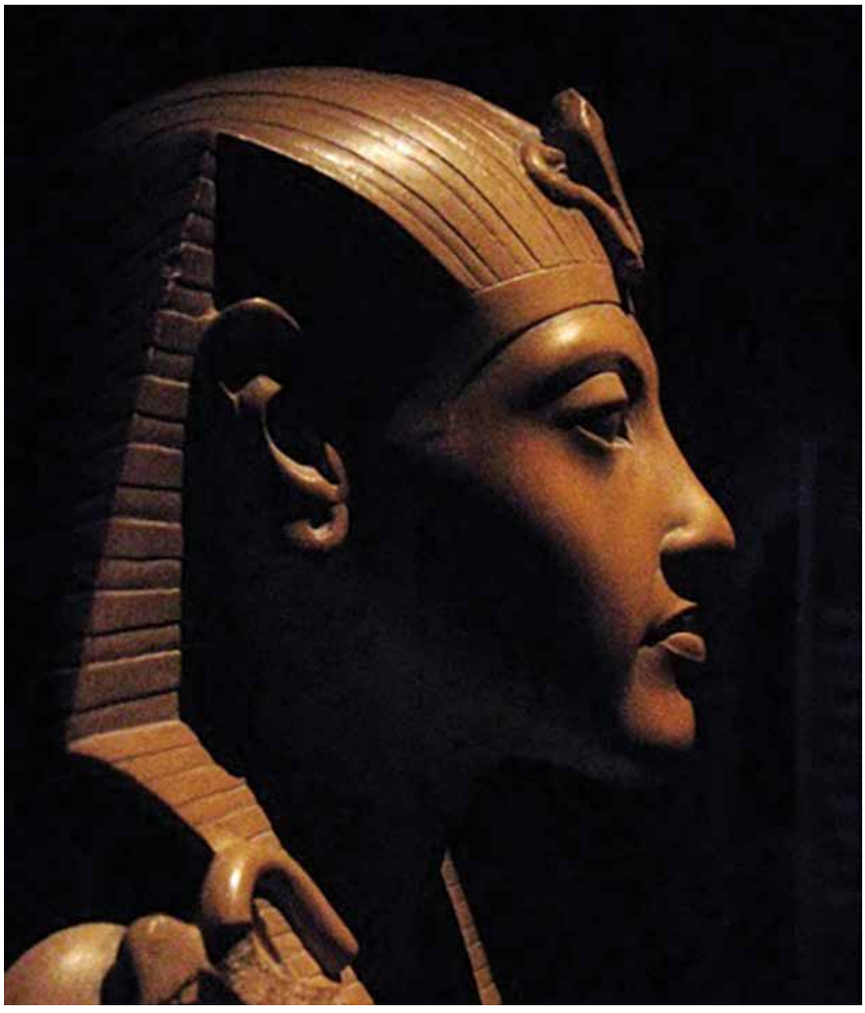

ملف القدس. وأكدت «عازر»، «مصر فى عهد الرئيس السيسى، جسد أن مصر نسيج وطنى واحد، وعلى قلب رجل واحد، والشعب المصرى بجميع اتجاهاته السياسية والحزبية والشعبية يقف صفاً واحداً خلف القيادة السياسية الحكيمة ويدعمها بكل عزيمة وقوة»، موضحة «على واشنطن رفع يدها عن أى تدخل فى الشأن المصرى، فالأقباط مواطنون يتمتعون بكل الحقوق وعليهم كل الواجبات». وشددت وكيلة لجنة حقوق الإنسان، على أن القيادة السياسية تراعى جيداً حقوق الأقباط، مبينة أن «الإرهاب لا يفرق بين أحد ونال من كل الفئات فلا دين له ولا وطن، فهو من اعتدى على المقدسات الدينية وانتهك حرمتها، ومصر تخوض حرباً شرسة مع الإرهاب، وبجهود أبطال القوات المسلحة الباسلة والشرطة الأوفياء سوف يتم بتره واجتثاثه من جذوره». ولفتت «عازر»، إلى أن هناك تربصًا واضحًا من الإدارة الأمريكية بمصر، بعد موقفها الواضح تجاه سياسة واشنطن ودعمها القوى للقضية الفلسطينية فى مواجهة قرار «ترامب» باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، مؤكدة أن مصر ناهضت القرار بكل قوة.

إشكالية التدخل القطري

عندما أعلن الرئيس الأسبق مبارك تنحيه عن السلطة فى 11 فبراير 2011، تحول ميدان التحرير وسط القاهرة إلى رمز عالمى للحدث الأبرز حينها. لكن فى خضم ذلك، شهد الميدان ظهور يوسف القرضاوى الذى وصل إلى القاهرة بعد سنوات من المنع قادماً من قطر التى يحمل جنسيتها بجانب جنسيته المصرية. وأثار مشهد القرضاوى فى ميدان التحرير حينها هواجس عدة بشأن بدء عملية قرصنة

للانتفاضة الشعبية المصرية تحت عباءة إخوانية وبدعم قطرى. وما كان هاجساً تحول إلى واقع وحقق الإخوان حلم العُمر للجماعة بالوصول إلى قصر الرئاسة وتتويج محمد مرسى رئيساً، بعد أن كان أقصى الطموح مقعدا فى البرلمان. وكان لاحتفالات الإخوان فى مصر صدى تردد فى الدوحة عبر الأبواق الإعلامية القطرية وتلك التى تتلقى دعماً قطرياً، دعماً للنظام المصرى الجديد.

عام واحد كان كافياً لسقوط الإخوان

لكن عاماً فى السلطة كان كافياً ليتحول ربيع الجماعة إلى خريف، عندما تصاعد الغضب الشعبى تجاه مرسى ممثل الإخوان فى قصر الرئاسة بسبب سياسات دفعت المصريين إلى حافة صدام أهلى. وشعرت الدوحة حينها بالقلق، بعدما قدمت الدعم المادى والإعلامى وغيره لإنقاذ نظام الإخوان. وامتد الغضب الشعبى ليواجه التدخلات القطرية إذ قام متظاهرون فى القاهرة بحرق علم قطر لتكون المرة الأولى التى يحرق فيها علم دولة عربية وسقط نظام الإخوان فى 30 يونيو 2013، وواجه رموز الجماعة تهماً تخص من بينها المساس بأمن الدولة والتخابر لصالح قطر قبل إدانتهم من قبل القضاء. ومع ذلك، فقد استمر الدعم القطرى للإخوان، ليتحول رهان الحكومة القطرية إلى العمل على إحداث حراك مسلح فى الشارع المصرى ضد عزل مرسى وتقديم الدعم المادى والسياسى والإعلامى لقيادات الجماعة، ورفض طلب السلطات المصرية تسليم عدد من قيادات الإخوان وأنصارهم ممن صدرت بحقهم أحكام قضائية.

عمليات إرهابية وأصابع قطرية

ودخلت المواجهة فى طور آخر بعد قيام الجماعة وأنصارها بتنفيذ عمليات إرهابية فى مصر، وذلك وسط معلومات تشير لضلوع الحكومة القطرية فى دعم تلك العناصر. وتتهم السلطات المصرية الدوحة بدعم التنظيم الذى نفذ هجوم الكنيسة البطرسية فى القاهرة ديسمبر 2016، كما أعلنت الحكومة المصرية أن قطر متورطة فى دعم التنظيمات الإرهابية فى سيناء. ورغم تعهد قطر عام 2014 أمام دول مجلس التعاون الخليجى بتغيير سياستها إلا أن ذلك لم يحدث. واستمرت قطر فى سياستها التدخلية فى شئون مصر، بأشكال مختلفة مثل تحريض قناة الجزيرة ضد قوات الجيش والشرطة، وفتاوى القرضاوى المنددة بالسلطة الانتقالية، وإيواء الدوحة للإخوان والمتأسلمين الهاربين، ودعم عدة منظمات أجنبية لتأليب الرأى العام العالمى ضد مصر.

رد الفعل المصرى إزاء التدخل فى الشئون الداخلية:

رداً على السياسات القطرية الرامية إلى التدخل فى الشأن الداخلى المصرى وكذا دعم المنظمات الإرهابية وإيواء العناصر الهاربة من جماعة الإخوان، قررت مصر فى 5 يونيو 2017 قطع العلاقات الدبلوماسية مع قطر فى ظل إصرار الحكم القطرى على اتخاذ مسلك معادٍ لمصر وتمسكه بسياساته العدائية. ووفقاً لبيان صادر عن الخارجية المصرية، فإن الحكومة المصرية قررت «قطع العلاقات الدبلوماسية مع قطر فى ظل إصرار الحكم القطرى على اتخاذ مسلك معادٍ لمصر، وفشل كافة المحاولات لإثنائه عن دعم التنظيمات الإرهابية، وعلى رأسها تنظيم الإخوان الإرهابى، وإيواء الدوحة قياداته الصادرة بحقهم أحكام قضائية فى عمليات إرهابية استهدفت أمن وسلامة مصر». وأضاف البيان أن قطر تقوم بـ«ترويج فكر تنظيم القاعدة وداعش ودعم العمليات الإرهابية فى سيناء، فضلاً عن إصرار قطر على التدخل فى الشئون الداخلية لمصر ودول المنطقة بصورة تهدد الأمن القومى العربى وتعزز بذور الفتنة والانقسام داخل المجتمعات العربية وفق مخطط مدروس يستهدف وحدة الأمة العربية ومصالحها». وأعلنت الحكومة المصرية «غلق أجوائها وموانئها البحرية أمام كافة وسائل النقل القطرية حرصاً على الأمن القومى المصرى، وتقدمت بالإجراءات اللازمة لمخاطبة الدول الصديقة والشقيقة والشركات العربية والدولية للعمل بذات الإجراء الخاص بوسائل نقلهم المتجهة إلى الدوحة». وأعلنت السعودية والبحرين والإمارات قطع العلاقات مع قطر وسحب بعثاتها الدبلوماسية من الدوحة وأمهلوا القطريين 14 يوماً لمغادرة أراضيهم وأعلنوا كذلك إغلاق الأجواء أمام حركة الطيران وإقفال الموانئ والمياه الإقليمية أمام الملاحة من وإلى قطر.

من خلال ما سبق ندرك أن هناك العديد من محاولات التدخل فى الشأن الداخلى المصرى وأن مصر دولة ذات سيادة لا تقبل أى تدخل فى شئونها.

إستراتيجية تمكين المرأة المصرية 2030

تستجيب لأصوات فتيات وسيدات مصر

المرأة المصرية صاحبة تاريخ حافل بالعطاء لوطنها.. منذ سنوات بعيدة والمرأة المصرية تضرب أروع أمثلة الوطنية.. أبهرت العالم كله – ولاتزال– بإسهاماتها وفكرها وثقافتها. هى فنانة مبدعة.. عالمة مبتكرة.. فدائية.. محبـــة لوطنها.. هى قادرة على التأثير ونقل صورة مصر الحضارية إلى العالم كله بمنتهى اليسر والسلاســـة.. حصلت على العديد من الحقوق والمكتســـبات... إلى أن جـــاء عام من حكم الإخوان أُعتبر الأســـوأ فى تاريخ المرأة المصرية، حيث شهِد ذلك العام محاولاتِ حثيثة للانقضاض على كافة حقوقها وسعياً جاداً لعزلها من المناصب القيادية، وتصاعدت الفتاوى التى تنتقص من شأنها وترسخ لمبادىء التمييز فى المجتمع ...

كل تلك المظاهر لتهميش المرأة... وغيرها، دفعتها للخروج للميادين بقوة لتتصدر المشهد فى 30 يونيو، لم تُرهبّ ولم تخف ونزلت بالملايين إلى كافة ميادي ـــن مصر حتى ذهب البعض أنها ثـــورة «حرائر مصر»، كانت نساء وفتيات مصر حاضرات بقوة يرفعـــنّ الأعـــلام والكروت الحمراء مكتوباً عليها كلمة «ارحل» مطالبين برحيل نظام أقل ما يوصف به أنه قهر المرأة.. حقاً صوت المرأة ثورة .

وتولى الرئيس السيسى مسئولية الحكـــم، وانتصر منـــذ اليوم الأول لحكمه لجميع فتيات ونساء مصر، وحرص على ذكرهنّ وتوجيه التحية لهنّ فى خطاباته الرئاســـية، ووجه إليهنّ الدعوة إلى الإســـهام فى بناء الوطن على قدم المساواة مع الرجل.. ولأول مرة تم تعيين السفيرة «فايزة أبوالنجا» مستشارة للرئيس لشئون الأمن القومى وهو المنصب الذى ظل شـــاغراً على مدار40 عاماً، وتعيين المهندســـة «نادية عبده» محافظة للبحيرة لتصبح أول سيدة مصرية تتولى هذا المنصب .

وأعلن الرئيـــس عن تخصيص عام 2017 عامـــاً للمرأة المصرية،

د. مايا مرسى
رئيسة المجلس القومى للمرأة
mayamorsy@gmail.com

فى خطـــوةٍ تاريخيـــة منحتنا نحن فتيات ونساء مصر الثقة والإصرار على مواصلة مسيرة نضال بدأناها منذ عقود مضـــت. واتخذ الرئيس عدة إجراءاتِ وقراراتِ مهمة تكفل للمرأة المصرية الحصول على جميع حقوقها، من بينها تكليف الحكومة وكافة أجهـــزة الدولـــة والمجلس القومى للمرأة، باعتبار الإستراتيجية الوطنية لتمكـــين المرأة 2030 هي وثيقة العمل للأعوام القادمة لتفعيل الخطـــط والبرامـــج والمشروعات المتضمنة فـــى هذه الاستراتيجية.

وتتضمن الاستراتيجية محاور التمكـــين الســـياسى والاقتصادى والاجتماعـــى للمـــرأة، ومحـــور الحمايـــة إلى جانـــب التدخلات الثقافيـــة والتشريعية.. وتُعد هذه الإســـتراتيجية هى الأولى لتمكين المرأة على مستوى العالم، فى إطار أهداف التنمية المستدامة 2030، وقد أشادت منظمة الأمم المتحدة، بـــدور الرئيس الســـيسى فى دعم المرأة المصرية، وإعلانه عام 2017 عامـــاً للمرأة، خاصـــة وأن مصر هى أول دولة على مســـتوى العالم تصدر استراتيجية للمرأة 2030. كما تبنـــت الأمم المتحـــدة إطار الإســـتراتيجية، كدليل استرشادى تســـتفيد منه كافـــة دول العالم لوضع الإستراتيجيات الخاصة بها للنهوض بالمرأة.

إن صوت المرأة المصرية يصل إلى المجتمـــع الدولى من خلال أداء دبلوماسى وطنـــى محترف، ومن هنا أهمية التمكين السياسى للمرأة المصرية وهو أحـــد المحاور التى تتضمنها إستراتيجية تمكين المرأة المصرية 2030، من خلال تحفيز المشاركة السياســـية للمرأة بكافة أشـــكالها، بما في ذلـــك التمثيل النيابـــي على المســـتويين الوطني المحلي، ومنع التمييـــز ضد المرأة في تقلـــد المناصـــب القياديـــة في المؤسســـات التنفيذية والقضائية

وتهيئتهن للنجاح في هذه المناصب.

لقد استمعت إستراتيجية تمكين المرأة المصرية 2030 إلى أصوات فتيات ونساء فى جميع أنحاء الجمهورية، واستجابت إلى تطلعاتهن، وتحقق ذلك من خلال دراسة احتياجات المرأة المصرية عبر دراسة ميدانية أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية قوامها 3000 سيدة في محافظات مختلفة، وعقد حلقات النقاش حول التمكين الاقتصادي شمِلت 220 سيدة في 13 محافظة، ودراسة التمكين القانوني للمرأة وهى دراسة أجراها مركز البحوث الاجتماعية ركزت على المرأة الريفية وإجراء مقابلات فردية وجماعية ضمت 160 سيدة.

هذا إلى جانب حملة طرق الأبواب التى أطلقها المجلس القومى للمرأة وجابت القرى والنجوع بمحافظات مصر المختلفة، وتوجهت إلى (72 ألف سيدة في 27 محافظة)، وحملات التواصل الجماهيري لرفع الوعي واستهدفت (19 ألف سيدة في حملة مكافحة العنف ضد المرأة)، التواصل مع الشباب من خلال المؤسسات التعليمية بالجامعات والمدارس الثانوية (12.300 طالب وطالبة)، إلى جانب التفاعل من قِبل أعضاء لجان المجلس القومي للمرأة.

إن الاستراتيجية الوطنية لتمكين المرأة المصرية تمثل خطة عمل الدولة المصرية بكافة مؤسساتها وأجهزتها للنهوض بالمرأة وضمان حصولها على حقوقها، وقد تمثلت المرجعية الأساسية لتلك الإستراتيجية فى دستور2014، الذي رسخ قيم العدالة والمساواة، وأرسى مبادئ تكافؤ الفرص، وكفل للمرأة الكثير من الحقوق، وقد وضع الدستور أساساً قوياً لمواجهة التمييز ضد المرأة، إلى جانب الأهداف الدولية للتنمية المستدامة.

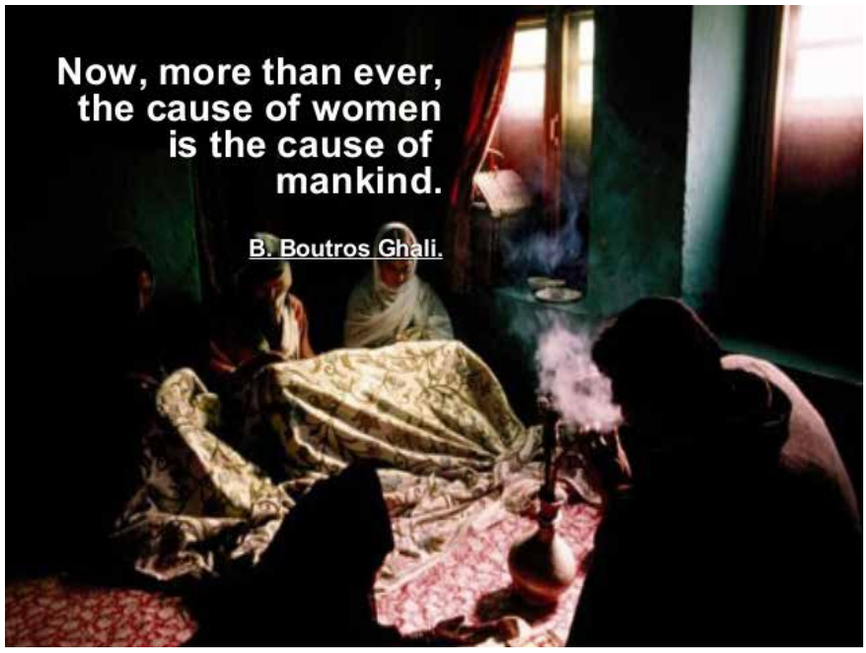

إن الوطن يخوض اليوم معركة مصيرية لإعادة البناء على أسس جديدة بعد تحولات مهمة في الواقع المصري، وتتواكب مع تغيرات مهمة في معطيات ومفاهيم التنمية على المستوى الدولي، لذلك تعين إطلاق هذه الاستراتيجية والعمل على تنفيذها دون تأخير من أجل تحرير طاقات المرأة المصرية وضمان مشاركتها الكاملة دون معوقات سيكون له أهمية حاسمة في هذا الوقت بالذات، من أجل تحقيق النجاح في معركة إعادة بناء الوطن. المواكبة الزمنية والمنهجية لهذه الاستراتيجية مع استراتيجية مصر للتنمية المستدامة 2030 تعزز استجابة الاستراتيجية لاحتياجات المرأة، إذ لا تفرض استراتيجية مصر للتنمية المستدامة 2030 محور عمل مستقل للمرأة وإنما تدمجها قطاعياً في محاور عملها الرئيسية، وتضمن هذه الخطة وفاء مصر بالتزامها باللحاق بركب التنمية على المستوى الدولي والمتمثل في تبنيها لخطة 2030 للتنمية المستدامة وأهدافها السبعة عشر، والتي تخصص هدفاً بعينه - بغايات محددة مقاسة- لتحقيق المساواة بين الجنسين، كما يُدمج تمكين المرأة في كافة أهدافه الأخرى، كذلك تتوافق خطة 2030 لتمكين المرأة المصرية مع جوهر خطة 2030 للتنمية المستدامة والتي تتخذ من «ضمان ألا يتخلف أحد عن ركب التنمية» شعاراً لها، ومن ثمّ النجاح في تحقيق هذه الاستراتيجية يضمن ألا تتخلف امرأة أو فتاة مصرية عن ركب التنمية أو أن تحرم من مكتسباتها.

وبحلول عام 2030 سوف تصبح المرأة المصرية فاعلة رئيسية في تحقيق التنمية المستدامة، في وطنٍ يضمن لها كافة الحقوق التي كفلها الدستور، ويحقق لها حماية كاملة، ويكفل لها - دون أي تمييز- الفرص الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تمكنها من الارتقاء بقدراتها وتحقيق ذاتها، ومن ثَم القيام بدورها في إعلاء شأن الوطن.

مسؤليتنا جميعاً
دور هام للمواطن فى مكافحة الإرهاب

الحديث عن موضوع الإرهاب والمعالجة الموضوعية لكافة جوانبه يعد حديثاً ممتداً حتى وإن هدأت العمليات الإرهابية أو إنخفضت حدتها، فمن المؤكد أن الإرهاب أصبح قضية أمن قومى مصرى لا يمكن للدولة كلها أن تتعامل معها إلا بكل الجدية والقوة.

لواء محمد ابراهيم

عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية

mohamedeldewery@yahoo.com

وهناك مجموعة من العوامل يجب أن تكون حاضرة فى الأذهان ونحن نتعامل مع هذه القضية شديدة الحساسية. وأحدد هنا العوامل الأربع الرئيسية، أولها أن الدولة تحارب الإرهاب بكل ما تملكه من وسائل وأساليب وتبذل كافة مؤسساتها العسكرية والشرطية والأمنية كل جهودها من أجل أمن وإستقرار البلاد، وثانيها أن الإرهاب يعتبر معركة طويلة الأمد متعددة المراحل لا تنتهى بسهولة. فالإرهاب الذى تتعرض له الدولة من الداخل له إمتدادات خارجية تدعمه وتوفر له المطالب اللوجيستية لإنجاح عملياته الإجرامية. ومن المؤكد أن الدولة المصرية مدركة وواثقة تماماً أن الإنتصار فى هذه المعركة قادم لا محالة مهما كان حجم التضحيات التى تقدمها، وثالثها أن الفترة القادمة سوف تشهد محاولات مستميتة من جانب الجماعات الإرهابية لإثبات وجودها وإظهار قوتها ولاسيما فى ظل النجاحات التى تحققها الدولة فى مواجهة هذه الجماعات التى تتعرض لضربات قوية فى كافة أماكن تمركزها خاصة فى سيناء، إضافة إلى مظاهر التقدم والتنمية الإقتصادية التى بدأت مصر فى تحقيقها على المستوى الداخلى، وسعى هذه الجماعات والدول التى تمولها لضرب إستقرار وعناصر قوة الدولة، ورابعها أن مواجهة الإرهاب لابد أن تتم من خلال دور تكاملى بين الطرفين الرئيسيين فى هذه المعادلة: الطرف الأول وهو الدولة ممثلة فى أجهزتها المكلفة والمسئولة عن مكافحة الإرهاب، والطرف الثانى وهو المواطنين أنفسهم، وحتى تكون مواجهة الإرهاب فاعلة ومؤثرة وذات نتائج إيجابية يجب أن يقوم كل من الطرفين فى نفس الوقت بأداء واجباته ومهامه على أكمل وجه ممكن.

مسئولية المواطن لا تقل عن مسئولية الدولة

فليس من المنطق أو العدل أن تتحمل الأجهزة الأمنية وحدها مسئولية مواجهة الإرهاب. فهناك مسئولية أيضاً تقع على المواطنين لا تقل فى أهميتها عن مسئولية هذه الأجهزة، ولذلك أرى ضرورة أن تتكون لدى المواطن ثلاث قناعات رئيسية حتى تصبح مكافحة الدولة للإرهاب أكثر فاعلية فى إطار منظومة عمل واحدة متكاملة وذلك كما يلى:

* **القناعة الأولى** أن الدولة لا تقصر مطلقاً فى حماية مواطنيها، وتبذل قصارى جهدها من أجل تأمين الوطن والمواطن، ومن الضرورى ألا يهتز هذا المبدأ وألا تتغير ثقة

المواطن فى قيادته السياسية مهما كانت نتائج هذه العمليات الإرهابية.

* **القناعة الثانية** أن تأثيرات الإرهاب ونتائجة المباشرة وغير المباشرة تعود بالسلب على المواطن نفسه فى حاضره ومستقبله وأنه سوف يعانى بشكل كبير من جراء إستمرار الإرهاب.

* **القناعة الثالثة** أن الدور الذى يقوم به كل مواطن فى مواجهة الإرهاب يعد دوراً رئيسياً مهما كانت طبيعة هذا الدور لأنه يساعد الدولة عى درء المخاطر التى يمكن أن تتعرض لها.

ومن هنا، يجب أن يشعر المواطن بمدى مسئوليته وبأن دوره أصبح يمثل ضرورة قصوى لا غنى عنه فى مواجهة الإرهاب خاصة وأنه من المستحيل أن تقوم الدولة بنشر قواتها الأمنية فى كل مكان ومن ثم يتحول كل مواطن فى هذه الحالة إلى قوة أمنية فى حد ذاته وخاصة فى الأماكن التى لا تتواجد فيها القوات الأمنية. كما أن يقظة وفاعلية المواطن فى هذه الحالة تمثل الضمان الرئيسى الذى من شأنه أن يجهض محاولات أية عناصر مشبوهة ومخربة تحاول النيل من إستقرار البلاد، ويحضرنى هنا الدور الإيجابى الذى قام به المواطنون فى الحادث الغاشم فى محاولة الإعتداء على كنيسة مار مينا بحلوان يوم 29 ديسمبر 2017 والذى يعتبر تجسيداً حقيقياً لوطنية ووعى المواطنين ومدى أهمية دورهم إلى جانب دور الأجهزة الأمنية.

يقظة المواطن وإيجابيته ضرورة قصوى

ففى الوقت الذى يجب فيه على المواطنين أن يكون لهم دور رئيسى لمساعدة الدولة فى محاربة الإرهاب ففى المقابل هناك دوراً يقع على الدولة فى تشجيع المواطنين ودفعهم للقيام بهذا الدور وأشير هنا إلى أمور ثلاث أساسية:

* **الأمر الأول** أهمية أن تحرص الدولة على إتخاذ كافة الإجراءات الإقتصادية والإجتماعية التى من شأنها أن تزيد إرتباط المواطنين بالدولة وزيادة معدل الإنتماء وخاصة فى أوساط الشباب، وبما يؤكد أن الجهود التى تقوم بها الدولة تصب فى مصلحة المواطن وبالتالى يكون على قناعة تامة بأن محاربته للإرهاب تعود بالنفع على الدولة ككل وبالطبع على مواطنيها.

* **الأمر الثانى**، ضرورة أن تتعامل الدولة مع المواطنين الذين يعانون من جراء مواجهتهم للإرهابيين وكذا عائلاتهم بما يتيح إستفادتهم من المزايا التى تمنح للشهداء والمصابين من الجيش والشرطة وعائلاتهم دون تفرقة حتى يشعر الجميع أنهم متساوون فى نتائج مواجهتهم للإرهاب.

* **الأمر الثالث**، أهمية زيادة الوعى لدى كافة المواطنين حتى يتوافر لديهم الحد الأدنى من القدرة على مواجهة الإرهابيين بكل ما يملكه هؤلاء المواطنين من وسائل سواء بالكلمة او بالمواجهة المباشرة، ومن ثم فمن الضرورى أن يكون لمنظومتنا الإعلامية دور رئيسى فى التوعية من خلال برامج واقعية ومدروسة بدقة وجدية، تكون قادرة على جذب المواطن وتزيد لديه جرعة الولاء لمصر والفهم الكامل لمدى خطورة ما يمثله الإرهاب على مستقبله ومستقبل اولاده.

مستقبل المواطنة فى ظل العولمة

مر المجتمع المصرى والعربى فى السنوات الأخيرة بأحداث متسارعة أدت إلى تغيرات سياسية واجتماعية كثيرة، عقب ثورات الربيع العربي، وما تبعها من انتشار حالة من عدم الاستقرار والتيقن فى نتائج التغيير المستقبلية، وخلال هذه الأحداث وفى ظل اتجاه العالم نحو العولمة أصبحت وسائل الاتصال المتطورة ووسائل الإعلام الإلكترونية الحديثة عاملا رئيسًا مؤثرا فى تشكيل القيم والمفاهيم السائدة فى المجتمعات العربية، ومن هذا المنطلق تظهر أهمية مفهوم المواطنة، وتأثير ظاهرة العولمة عليه، خاصة فى ضوء ارتباط تطور مفهوم المواطنة بتطور مفهوم وشكل الدولة، حيث يشغل مفهوم المواطنة موقعاً بارزاً فى عملية بناء الديمقراطيات المأمولة، لما يعنيه من تفعيل قيم الحرية والمساواة والمشاركة فى صنع القرار واحترام حقوق الإنسان.

د. إسراء إسماعيل
خبيرة فى الدراسات السياسية والأمنية

الانتماء فضيلة أخلاقية تحقق تماسك الوطن

وبداية تُعبِّر المواطنة عن العلاقة بين الفرد والدولة وهى ذات أبعاد مختلفة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، وتشمل مجموعة من القيم التى تُكوِّن فى مجموعها نسيج الفضاء العام المشترك، وتتمثل أهم مكونات المواطنة فى الانتماء، والتمتع بالحقوق وأداء الواجبات.

فيما يتعلق بالانتماء، فهو يعنى انتساب الفرد لجماعة بعينها ومشاركته فيها وخدمة أهدافها، ومن المفترض أن يحقق الانتماء الخير للفرد وللجماعة، وتتعدد دوائر الانتماء وتتداخل مع بعضها البعض، حيث يوجد عدد من الكيانات التى ينتمى إليها الفرد، كالأسرة والمجتمع والوطن والدين والإنسانية عامة، ومن هنا يتضح أن دوائر الانتماء قابلة للتوسع، من الدائرة المحلية إلى العالمية. ويشتمل الانتماء على ثلاثة عناصر أساسية: الفرد الذى يسعى للنجاح وتحقيق ذاته، والجماعة التى ينتمى إليها، وقضية تربط الفرد بالجماعة، فإذا ما حدث خلل فى أحد هذه العناصر، تأثرت العناصر الأخرى، واهتزت قيمة الانتماء الذى يعتبر فضيلة أخلاقية تحقق خير الفرد والجماعة. ويرتبط الانتماء بالهوية، إذ أن هوية الفرد تتشكل من مصادر انتمائه، ويمكن وصف الانتماء كشحنة عقلية وجدانية كامنة داخل الفرد تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات التى تعبر عن موقف الفرد ورؤيته تجاه مجتمعه، ويعد الانتماء حاجة من الحاجات الأساسية التى تشعر الفرد بالروابط المشتركة بينه وبين وطنه، والانتماء لا بد أن يكون الحافز والدافع للنهوض بالوطن والإنسانية نحو مستقبل أفضل، بدلا من أن يكون سببا للتأخر والجمود.

أما بالنسبة للتمتع بالحقوق وأداء الواجبات، فهى تعنى التمتع بحقوق المواطنة الخاصة والعامة كالحق فى الأمن والسلامة والصحة والتعليم والعمل والمشاركة السياسية، وكذلك القيام بالواجبات المفروضة على الأفراد: مثل احترام النظام العام والحفاظ على الممتلكات العمومية والدفاع عن الوطن.

التوازن بين الحفاظ على الهوية الوطنية ومجاراة العولمة

فقد تسببت العولمة فى إيجاد اتجاهين من الآراء بالنسبة لتأثيرها على الانتماء والهوية: الاتجاه الأول: يرى أن العولمة لا يمكن أن تضعف الانتماء الوطنى، ويدلل على ذلك بأن الهوية الوطنية لم تضعف فى أوروبا مع ظهور الاتحاد الأوروبى. وأما الاتجاه الثانى فيرى أنه من الصعب الحفاظ على قيمة الانتماء للوطن بسبب مظاهر العولمة، وإضعاف الخصوصيات الثقافية والقومية، وظهور ارتباطات عابرة للحدود الوطنية، الأمر الذى أدى إلى إضعاف أسس الولاء الوطنى. ولكن لم يتوقع أنصار هذا الاتجاه ما حدث فى كثير من دول المنطقة العربية والعالم من انبعاث للدعوات القومية أو الصحوات المتطرفة تحت رداء الدين، كرد فعل لمواجهة

قداس عيد الميلاد مساء 6 يناير 2018

مظاهر العولمة، بما فى ذلك أوروبا التى شهدت صعود اليمين القومى المتطرف فى العديد من الدول مثل فرنسا وألمانيا.

وهنا يثور التساؤل كيف يمكن تحقيق توازن صحى بين الحفاظ على الهوية الوطنية وفى نفس الوقت القيام بما يلزم من أجل البقاء ضمن منظومة العولمة؟ خاصة وأن أى مجتمع يريد أن يزدهر اقتصادياً يجب أن يكون قادراً على مجاراة التطورات العلمية والتكنولوجية المتسارعة التى تميز ظاهرة العولمة باعتبارها عملية مستمرة من التغير والتطور.

وفى ظل تعدد مصادر انتماءات الأفراد، نظراً لاشتراك الفرد فى مجموعة من الانتماءات المتدرجة فى قيمتها بالنسبة وفقاً لعلاقاته سواء كانت علاقة الفرد بالأسرة والمجتمع، أو علاقته بالبيئة والمكان أى الوطن الذى يعيش فيه، لذلك فقد تثور الخلافات فيما يتعلق بترتيب انتماءات الفرد حسب أسبقية بعضها عن البعض الآخر، أو قد يحدث تعارض فيما بينها.

وفى مسح أُجرى على منظومة القيم التى تحكم الشعب فى مصر وعدد من الدول العربية، فى فترتين متعاقبتين من (2005 – 2009) ومن (2010 – 2014)، تناول عددا من المعايير الخاصة بقياس مدى الانتماء للوطن والاهتمام بشئونه، حيث استعرض مدى فخر المواطن بجنسيته، وقبوله أو اعتراضه على المشاركة فى حرب من أجل حماية وطنه، ومدى الاهتمام بالشئون السياسية.

اعتزاز وفخر المصرى بجنسيته

وقد أكد 63٪ من المبحوثين المصريين فخرهم الكبير بجنسيتهم المصرية فى المسح الذى أجرى فى الفترة من 2010 – 2014، وأوضح 33٪ فخرهم بها، لتصبح النتيجة 96٪ أى أن الغالبية العظمى تشعر بالفخر لانتمائها للجنسية المصرية، فى حين أبدت نسبة ضئيلة تقدر بـ 3٪ عدم فخرها، ونسبة أقل 0.2٪ عدم فخرها على الإطلاق، ليصبح مجموعهما 3.5٪. وذلك مقارنة بنتائج المسح فى الفترة السابقة عليها من 2005 – 2009، حيث أكد 73٪ من المبحوثين فخرهم الكبير بجنسيتهم المصرية، و34٪ أوضحوا فخرهم بها، لتصبح النتيجة 97٪ أى أن الغالبية العظمى تشعر بالفخر لانتمائها للجنسية المصرية، فى حين أبدت نسبة ضئيلة تقدر بـ 1.4٪ عدم فخرها، ونسبة أقل 0.2٪ عدم فخرها على الإطلاق، ليصبح مجموعهما 1.6٪.

وبالتالى يتضح أنه رغم استمرار اعتزاز وفخر المواطن المصرى بجنسيته، إلا أنه قد حدث تراجع طفيف يقدر بنحو 1.4٪ فى تلك النسبة، مما يثير التساؤل حول أسباب هذا التغيير، ويلفت إلى ضرورة الانتباه ومقاومة أسباب هذا التراجع وتعديل الوضع.

وفيما يتعلق باستعداد المواطنين للمشاركة فى حرب من أجل حماية أوطانهم، فقد أظهر 65٪ من المشاركين استعدادهم للمشاركة فى حرب من أجل حماية مصر، وذلك وفقاً لنتائج المسح الذى أجرى فى

مستقبل المواطنة فى ظل العولمة

الفترة من 2010 – 2014، فى مقابل 79٪ أبدوا موافقتهم، فى المسح الذى أجرى فى الفترة من 2005 – 2009، وبالتالى فقد بلغت نسبة التراجع 14٪.

وفيما يتعلق بالمكون الثانى من مكونات المواطنة والخاص بالتمتع بالحقوق وأداء الواجبات، خاصة الحق فى المشاركة السياسية، أكد 31٪ من المبحوثين المصريين اهتمامهم للغاية بالقضايا السياسية فى المسح الذى أجرى فى الفترة من 2010 - 2014، و44٪ يعتبرونها مهمة، أى أن مجموع الآراء الدالة على الاهتمام بالشئون السياسية أصبح 75٪، فى حين يرى 14٪ أنها ليست مهمة، و11٪ ليست مهمة على الإطلاق، ليصبح المجموع 25٪ من المبحوثين غير مهتمين بالسياسة. وذلك مقارنة بنتائج المسح فى الفترة السابقة عليها من 2005 – 2009، حيث أظهر اهتمام 9٪ فقط من المصريين للغاية بالأمور السياسية، و28.3 أبدوا اهتمامهم بها، أى أن مجموع الآراء الدالة على الاهتمام بالشئون السياسية 37٪، فى حين أبدى 27٪ عدم اهتمامهم، و35٪ عدم اهتمامهم على الإطلاق ليصبح المجموع 62٪ من المبحوثين غير مهتمين بالسياسة.

ولا يعد تزايد الاهتمام بالقضايا السياسية فى مصر مستغرباً بعد ثورتين متعاقبتين، بما لهما من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة وممتدة الأثر، فذلك التحول هو مؤشر يدل على استعادة الرغبة لدى المصريين فى التعرف والفهم والقدرة فى التأثير والتغيير أى إحساس المواطن بقيمته، وهذا هو جوهر المواطنة الحقيقية، والتى يعد التمتع بها من المصادر الرئيسية لقوة الدولة، وهنا يثور التساؤل هل الاهتمام بالشئون السياسية حالة مؤقتة نتجت عن وقوع أحداث سياسية فارقة، وبالتالى قد يفتر ذلك الاهتمام بمرور الوقت واستقرار الأمور، أم سيستمر ذلك الاهتمام ويصبح طابعاً مميزاً للشخصية المصرية؟

ففى استطلاع عام 2016، طُلِب من الشباب فى عدد من دول الوطن العربى أن يختاروا المصدر الأساسى لهويتهم من بين هذه الخيارات: بلدى أو كونى عربيًّا أو دينى أو عائلتي/ قبيلتى أو المنطقة التى أنتمى إليها، جاء اختيار 49٪ من المبحوثين فى مصر للدين فى المرتبة الأولى، تلاه الانتماء للوطن بنسبة 43٪. وهنا يمكن استخلاص نتيجتين رئيسيتين: أولا: أنه رغم ارتفاع نسبة الفخر بالجنسية المصرية لكن الهوية الدينية تحتل أيضاً مرتبة مرتفعة فى درجات الانتماء، مما يؤشر إلى فكرة تباين عوامل التمسك بالقيم والخصوصيات الثقافية أو ما أطلق عليها البعض «عوامل من دولة لأخرى وفى نفس الدولة من فترة لأخرى، حيث أن المانعة فى مصر مصدرها عموماً الدين والثقافة التى تتشكل بواسطته. ثانياً: يفترض البناء الاجتماعى السليم أن يحتل الانتماء إلى الوطن المقام الأول فى قائمة الانتماءات، فمثلا بالنسبة للمواطن المصرى أن يكون تمتُّع المواطنين بحقوقهم وقيامهم بواجباتهم أسبق من الانتماء الدينى، ولا يقلل ذلك من قيمة الدين، لأن عقيدة الفرد هى جوهره وأساس تفكيره وسلوكه، ولكن أسبقية الولاء الوطنى على الولاء الدينى تعد أمراً لا مفر منه، حيث لا يتردد شعبان مشتركان فى الانتماء للدين الإسلامى فى الدخول فى حرب ضد بعضهما البعض إذا شعر أحدهما بالخطر على سلامة وطنه، والأمثلة على ذلك فى تاريخنا المعاصر عديدة، مثل: الحرب بين العراق وإيران، وباكستان وبنجلاديش.

هل أدت العولمة لضعف الانتماء الوطنى؟

إن تقدم الهوية الدينية على

القوميـــة فى مـــصر، إن صح ذلك، إنما يعكس قدراً من الخلل فى البناء والتماسك الاجتماعى، حيث تتراجع أولوية الانتمـــاء للوطن على الانتماء للدين فى أوقات الســـلم والمصالحة الاجتماعيـــة، أمـــا إذا مـــا ثارت الصراعات والانقسامات وبدأ يتراجع دور مؤسســـات الدولة، حينئذ تبدأ الانتمـــاءات الفرعيـــة فى الظهور، وتصبح لها الأولويـــة على الانتماء القومـــى أى الانتمـــاء للوطن، وفى مقدمة هذه الانتماءات يأتى الانتماء للدين، ويســـاعدها على ذلك أدوات العولمـــة بما تقدمه مـــن إمكانيات تكنولوجية متطورة تسمح بالانفتاح والاتصال بالعالم الخارجى لتتلاقى الانتماءات المتقاربـــة عبر الفضاء الإلكتروني.

لقد تســـببت العولمة فى تنامى مشـــكلة ضعف الانتمـــاء القومى، حيث تســـببت فى ميـــلاد نوع من الصراع بين الانتماء القومى والانتماء العالمى، فما هو مســـتقبل الصراع بين أنصار الانتماء الســـت: الدينية والقومية، والليبرالية والشـــيوعية، والعالميـــة والمحلية؟ وما هى فرص اتســـاع مفهوم الانتماء ليشـــملهم جميعاً؟ بحيث تصبح وحدة الوطن العربـــى ووحدة الدولـــة الواحدة الهدف الواضح لكل من أنصار هذه الانتماءات.

فى ضوء ما سبق هناك احتمالان فيما يتعلق بمستقبل المواطنة:

الســـيناريو الأول: يفـــترض اســـتمرار حـــدوث تراجـــع فى المؤشرات الدالة على قـــوة انتماء الشـــباب لأوطانهم وتمســـكهم بهويتهـــم الوطنيـــة، وتصاعـــد مشـــكلة التعارض بين الانتماء إلى الدولة القومية والانتماءات الأخرى وفى مقدمتهـــا الانتمـــاء الدينى، خاصة فى ظل ظهـــور ارتباطات دينية عابرة للحدود الوطنية، وهو ما يعنى تراجع مقومات المواطنة فى المنطقة، وقـــد يعزز منها حالة عدم الاســـتقرار وغياب الأمن فى عدد من الدول العربية، واستمرار عجز مؤسســـات الدول عن القيام بأدوارها الأمـــر الذى قد يدفع إلى تزايد حالة عـــدم الثقة فى الدولة القومية، وبالتـــالى ضعف الانتماء إليها، فى الوقـــت الذى تزدهر فيه مظاهـــر العولمـــة وأدواتها وفى مقدمتها استخدام شبكة الإنترنت، والاعتمـــاد المتزايد على وســـائل التواصل الاجتماعى، التى تساهم فى تعزيز قـــوة الانتماءات الفرعية وانتشارها والترويج لها.

السيناريو الثاني: ثبات النسب والمؤشرات الدالة عـــلى قوة الانتماء إلى الوطن فى الدول العربية، وتوقف تراجعها، وقد يتحقق ذلك فى حالة نجاح الـــدول العربية فى إعادة بناء وإصلاح مؤسســـاتها، وتطويرها بما يقود إلى تغليب المصلحة العامة على المصالح الشـــخصية، فالتطور المؤسسى المطلوب يحتاج إلى تغليب الـــدور الرقابـــى، وســـيادة دولة القانون، بحيث تقـــوم بواجباتها فى ســـبيل تحقيق تنمية مجتمعية حقيقية شاملة، وهو ما سيؤدى إلى اســـتعادة ثقة المواطنين فى الدولة ومؤسساتها.

المواطنة أساس الاستقرار والتقدم

كما يمكن القـــول إن من أبرز محددات مستقبل الشعوب هو عنصر القوة، أى مدى قوة الشـــعب، القوة بمعناها الواسع الذى يتضمن القوة النفسية المعنوية أى ما يتعلق باتجاه القيم لدى الشعب، وفى مقدمة هذه القيم، تأتى المواطنة باعتبارها تمثل مطلباً رئيسياً لاســـتقرار الشعوب وتطورهـــا، وتتضمن المواطنة عدداً من المكونـــات يأتـــى فى مقدمتها الانتماء الذى يعتـــبر أحد مقومات الشـــخصية التى لا تستقيم بدونها والذى يعبر عن هوية الفرد، وأساس الانتماء هو التفاعـــل والتعاون مع الآخرين، والانتماء الصادق للوطن يعود عـــلى المجتمع بالنفع والتقدم، وتتغير درجة الإحســـاس بالهوية ضعفاً وقوة وفقاً لما يصيب انتماءات الأفراد من تغيرات نتيجة العديد من العوامل من أبرزها التأثير الســـلبى لمظاهر العولمة، من تطور تكنولوجى وانفتاح على العالم الخارجى.

وتـــبرز المفارقة أنه فى حين مثّل الديـــن أبرز عوامـــل الممانعة لتلك المظاهـــر، إلا أنه تســـبب فى نفس الوقت فى اهتـــزاز وتأرجح الهوية الوطنية بســـبب ظهور ارتباطات دينية عابرة للحدود الوطنية، تدعو إلى تغليب الهوية الدينية على الهوية القوميـــة، وبالتالى فـــإن مواجهة العولـــة بوجهيها ســـواءً التقدم والتطور والتحرر الذى قد يقود إلى الانحراف من ناحية، أو التمســـك بالقيم الدينيـــة والانتماء إلى أفكار وجماعات متشددة تقود إلى التطرف من ناحية أخرى، أمـــر يحتاج إلى تفعيل دور مؤسسات الدولة المدنية والدينية على السواء حتى تستطيع القيام بالدور المنوط بها، وتنجح فى استعادة ثقة المواطنين بها، وتطبيق قيم المواطنة، وبالتالى تعزيز الانتماء للوطن. فهل سيتمكن الوطن العربى من اســـتعادة توازنه وتحقيق هذه المعادلة فى المستقبل القريب؟

عضوية مصر فى مجلس الأمن عامى 2016-2017

دبلوماسية مصر دافعت عن المصالح العربية والأفريقية

بمناسبة انتهاء عضوية مصر غير الدائمة بمجلس الأمن التي امتدت طوال عامي 2016 و2017، نشرت وزارة الخارجية تقريراً عن حصاد أداء الدبلوماسية المصرية خلال تلك الفترة جاء فيه:

عبرت الدبلوماسية المصرية منذ اليوم الأول عن ثوابت سياسة مصر الخارجية ومصالح الوطن العليا بأداء رفيع اتسم بالاستقلالية والمهنية، حيث أتاحت رئاسة مصر للمجلس مرتين فى مايو 2016 وأغسطس 2017 الفرصة لتحرك فعال استطاع أن يضع القضايا التى تمس أمن واستقرار المنطقة على رأس أولويات المجلس.

- وقد جاءت قضية مكافحة الإرهاب على رأس هذه الملفات، حيث دعت الرئاسة المصرية لمجلس الأمن فى مايو 2016 إلى نقاش وزارى انعقد تحت رئاسة وزير الخارجية سامح شكرى حول محاربة الرسائل والأيديولوجيات الإرهابية بمشاركة أكثر من 70 دولة. ومثّل هذا الاجتماع انطلاقة ناجحة لمساعى مصر فى اتجاه وضع الجانب الفكرى والأيديولوجى فى صدارة اهتمام وجهود الأمم المتحدة فى مجال مكافحة الإرهاب، بما أدى فى النهاية إلى اعتماد المجلس بالإجماع للقرار رقم 2354 حول مكافحة الخطاب الإرهابى فى مايو 2017.

- ولم تكتف مصر بهذا القرار، بل نجحت خلال فترة رئاستها الثانية للمجلس فى أغسطس 2017 فى استصدار القرار رقم 2370 حول منع حصول الإرهابيين على السلاح. كما استطاع الوفد المصرى فى إطار رئاسته للجنة مكافحة الإرهاب أن يدفع بعدد من المسائل المحورية المرتبطة بالإرهاب إلى مقدمة اهتمامات مجلس الأمن، كمنع تمويل الإرهاب، ومنع استخدام الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعى لغرض الإرهاب، ومنع توفير الملاذ الآمن للإرهابيين، وضرورة التصدى لظاهرة المقاتلين الأجانب.

- وعلى صعيد القضايا الإقليمية الرئيسية، كانت مصر حريصة على دعم كل جهد من شأنه رفع المعاناة عن الشعب السورى، كما وظّفت دورها كمسئولة عن الملف الإنسانى داخل المجلس، بالاشتراك مع أسبانيا ونيوزيلندا ومن بعدهما السويد واليابان، فى جذب اهتمام المجتمع الدولى للأوضاع الإنسانية فى سوريا، خاصة بعد نجاح الاتصالات المصرية فى تسهيل وصول المساعدات الإنسانية إلى مناطق النزاعات والتوتر فى سوريا. وقد ظهر هذا الدور جليا فى القرار رقم 2393 بشأن تجديد قرار نفاذ المساعدات الإنسانية إلى سوريا، والذى تم اعتماده بالإجماع بناءً على جهد مصرى سويدى يابانى مشترك.

- وفيما يتعلق بالوضع فى ليبيا، أكدت المناقشات المتعلقة بالقرارات والبيانات الصادرة عن المجلس محورية دور مصر ورؤيتها فى التعامل مع هذا الملف، وعلى رأسها القرار رقم 2292 الصادر فى يونيو 2016.

- كمـــا عملت مـــصر خلال فترة عضويتها على التمسك بثوابت موقفها تجاه الأزمة اليمنية ومرجعيات الحل المتمثلـــة فى قرار مجلـــس الأمن رقم 2216 والمبادرة الخليجية ومخرجات الحـــوار الوطنى، وذلـــك انطلاقاً من مسئولياتها الدولية والعربية، وقناعتها بضرورة عدم الســـماح للمليشـــيات الخارجة عـــن الشرعية والمدعومة من قوى خارجية بالسيطرة على مقدرات الشعب اليمنى.

- وكانت القضية الفلسطينية على رأس أولويات العضوية المصرية. ورغم فشـــل المجلس فى تحريك عملية السلام للاعتبارات السياســـية المعروفة، والتى فرضت نفسها على أجندة الدول الأعضاء، إلا أن مصر حرصـــت على الحفاظ على المرجعيات الرئيســـية فى تناول المجلس للقضية الفلسطينية، وقد طرحت مصر - نيابـــة عن المجموعـــة العربية- قبل أيـــام من انقضـــاء عضويتها مشروع قرار للتأكيد عـــلى قرارات مجلس الأمن السابقة بشأن الوضعية القانونية لمدينة القدس، باعتبارها مدينة محتلة تخضع لمفاوضات الحل النهائـــى، وفقاً لكافة مرجعيات عملية السلام المتوافق عليها دولياً، إلا أنه اصطدم فى النهاية بالفيتو الأمريكى.

- كذلـــك منحـــت عضوية مصر بمجلـــس الأمن الفرصة للمســـاهمة بفاعلية فى مختلف المفاوضات المتعلقة بالقضايـــا الأفريقيـــة، وللتعبير عن شـــواغل وأولويات قارتنا، الأمر الذى حظى بتقدير واســـع لدى الأشـــقاء الأفارقة. ومن هذا المنطلق، كان لمصر دور مهـــم فى التوصل إلى توافق داخل المجلـــس حول القرار 2327 بشـــأن جنوب الســـودان، وفى صياغة القرار 2389 كأول قرار يصدر عن المجلس بهـــدف تعزيز الاســـتقرار فى منطقة البحيرات العظمى. كما ساهمت مصر فى ترتيب زيارة للمجلس إلى بوروندى فى يناير 2016 بهـــدف التواصل مع مختلف أطراف الأزمـــة هناك وبحث سبل التسوية السياسية.

- وترأســـت مصر أيضـــاً لجنة العقوبـــات الخاصـــة بالكونجـــو الديمقراطيـــة فى إطـــار حرصها على التأكد من أن هذه العقوبات ليســـت موجهة ضـــد الكونجو وإنما إجراءات وقائية لتحقيق الاستقرار فيها، حيث أتمّ مندوب مـــصر الدائم فى نيويورك زيارتـــين لهذا الغـــرض إلى الكونجو ودول المنطقـــة فى أغســـطس 2016 وأكتوبر 2017.

- وقد اكتســـب البعـــد الأفريقى أولوية خاصة خلال برنامجيّ الرئاسة المصريـــة للمجلس فى مايـــو 2016 وأغســـطس 2017، بعد تنظيم مهمة ميدانية للمجلـــس إلى منطقة القرن الأفريقـــى، وعقدت جلســـة بمبادرة مصريـــة إســـبانية مشـــتركة حول التحديات التى تواجه منطقة الساحل الأفريقـــى. كمـــا جاءت اســـتضافة الاجتماعات التشـــاورية السنوية مع مجلس الســـلم والأمن التابع للاتحاد الأفريقى خلال فترة الرئاســـة الأولى فى إطار الحـــرص على تعزيز مجالات التعاون بين الجانبين فى مجالات حيوية كقضايا حفظ وبناء الســـلام والمرأة والأمن والسلم، حيث نجحت مصر فى استصدار بيان رئاسى عن مجلس الأمن يحدد محاور للشراكة الاستراتيجية مع الاتحاد الأفريقى، وبما يعكس انتماء مـــصر الأفريقى وريادتهـــا فى نطاق المنظمتين.

- وبقـــدر ما حظـــى التفاعل مع الاتحاد الأفريقى مـــن أولوية، جاءت المبادرة المصرية بعقد اجتماع تشاورى لمجلس الأمن مع جامعة الدول العربية، وهى المبادرة الأولى من نوعها، كعلامة بارزة للرئاســـة المصريـــة للمجلس. وحرصت مصر عـــلى البناء على نتيجة هذا الاجتماع لبلورة مبادرة بإنشـــاء إطار مؤســـسى بين مجلس الجامعة العربيـــة ومجلس الأمن، وهى المبادرة التى ستسعى إلى تفعيلها خلال الفترة المقبلة بالتعاون مع الدول العربية التى ستنضم لعضوية المجلس مستقبلا.

- وبـــذات القدر مـــن الاهتمام والتفاعل مع الموضوعات السياســـية، تعاملت مصر مع عمليات الأمم المتحدة لحفظ الســـلام، انطلاقـــاً من هدف رئيسى يقوم على توسيع حجم ونطاق المســـاهمات المصرية فى تلك العمليات. وقد نجحت مـــصر بالفعل خلال تلك الفترة فى الارتقـــاء لتصبح ضمن أكبر ثمانى دول مساهمة فى هذه البعثات، بمكوناتهـــا العســـكرية والشرطية والمدنية المختلفة.

وفى سياق مشـــابه، نجحت مصر خـــلال رئاســـتها الأولى للمجلس فى اعتماد قرار مجلس الأمن رقم 2286 بشأن الرعاية الطبية خلال النزاعات المسلحة، والذى صدر بالإجماع وتبنته 85 دولة أخـــرى. كما كان لمصر دور داعم فى إصدار القرار رقم 2388 بشأن مكافحة الاتجار فى البشر، بما يعكس قناعة راســـخة بضرورة إعلاء مبادئ القانون الدولى الإنسانى وانفتاحاً على شـــواغل الشركاء الدوليين إزاء البعد الإنسانى للنزاعات المسلحة.

- كمـــا لعبت مـــصر دوراً مهماً فى طرح موضـــوع مراجعة منظومة العقوبات التابعة للأمم المتحدة ووضعه أمـــام بؤرة الاهتمام الـــدولى، بعد أن نظمت جلسة لبحث سبل تعزيز فعالية هذه المنظومة فى أغسطس 2017ش، وبما يعالج شواغل الدول المعنية بهذه العقوبات، وتأثيراتها السلبية على دول الجوار، لاسيما فى أفريقيا.

لقـــد واجهت مصر خـــلال فترة عضويتهـــا تحديات صعبة، لاســـيما خلال الفترات التى شهدت استقطاباً حـــاداً فى المواقف بـــين بعض أعضاء المجلس، الأمر الذى كشف بوضوح عن المهارات الدبلوماســـية للوفد المصرى، وقدرته على تحمل مســـئولية عضوية مجلس الأمـــن، وتنفيـــذ التوجيهات الواردة إليهم مـــن القاهرة، والحفاظ على المصالح العليا للوطن تحت إشراف السيد سامح شكرى وزير الخارجية.

تقرير المقرر الخاص المعنى بالحق فى التنمية

السفير سعد الفرارجى المقرر الخاص المعنى بالحق فى التنمية فى تقريره الأول إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة.

*** فى 24 مارس 2017 خلال الدورة الرابعة والثلاثين لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وافق المجلس على اقتراح رئيسه بتعيين السيد/ سعد الفرارجى مقررًا خاصًا للحق فى التنمية، على أن يتولى مهام منصبه اعتبارًا من أول مايو 2017.**

*** تتضمن ولاية المقرر وفقًا لقرار مجلس حقوق الإنسان رقم 33/14 الصادر فى 29/9/ 2016، وهى ولاية تنشأ لأول مرة ضمن الولايات المواضيعية الخاصة، تقديم تقرير سنوى مواضيعى إلى كل من مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة للأمم المتحدة.**

*** تنفيذًا لهذا قدم المقرر الخاص تقريره الأول منذ توليه إلى اللجنة الثالثة للجمعية العامة للأمم المتحدة فى اجتماعها يوم 2017/10/17 ، وتبع تقديمه للتقرير إلقاء بيانات من ممثلى الدول والمجموعات والمنظمات الدولية، وتلى ذلك حوار تفاعلى تناول بالتحليل والتعليق جوانب مختلفة من التقرير المواضيعى.**

*** هذا وقد تضمن تقرير المقرر الخاص المعنى بالحق فى التنمية والذى أعده عقب توليه منصبه بفترة وجيزة، آراءه الأولية حول خلفية الولاية وسياقها، وتسليط الضوء على بعض التحديات التى قد يواجهها فى تنفيذ تلك الولاية، كما بين الخطوط العريضة للاستراتيجية التى سيسترشد بها فى عمله، بما فى ذلك الاعتبارات التى سيأخذها فى الحسبان، واتجاهات العمل التى سيتبعها، كما يشمل التقرير أيضًا النهج الذى يقترحه المقرر الخاص للتعاون مع الجهات المعنية، فضلاً عن أساليب عمله.**

أولاً -مقدمة

1 -قرر مجلس حقوق الإنسان، فى قراره 33/14، تعيين مقرر خاص يعنى بالحق فى التنمية. ويبين المقرر الخاص، فى القسم السادس أدناه، المجالات الرئيسية التى تركز عليها الولاية المنصوص عليها فى القرار. ومن بين ما ورد فى هذا القرار أن المجلس:

(أ)دعا جميع الحكومات إلى أن تتعاون تعاوناً كاملاً مع المقرر الخاص للاضطلاع بالمهام والواجبات المنوطة به، بسبل منها موافاته بجميع المعلومات اللازمة المطلوبة، وأن تبدى المراعاة الواجبة للتوصيات الصادرة عن المكلف بالولاية؛

(ب)شجع الهيئات المعنية فى منظومة الأمم المتحدة، كل فى إطار ولايته، بما فى ذلك الوكالات المتخصصة والصناديق والبرامج التابعة للأمم المتحدة، والمنظمات الدولية المعنية، بما فيها منظمة التجارة العالمية والجهات المعنية صاحبة المصلحة، بما فى ذلك منظمات المجتمع المدنى، على إيلاء الاعتبار الواجب للحق فى التنمية فى سياق تنفيذ خطة التنمية المستدامة لعام 2030، وعلى زيادة المساهمة فى أعمال الفريق العامل، والتعاون مع المفوض السامى والمقرر الخاص فى الوفاء بولايتيهما فيما يتعلق بإعمال الحق فى التنمية.

2 -وعين مجلس حقوق الإنسان، فى دورته الرابعة والثلاثين، سعد الفرارجى مقرراً خاصاً معنياً بالحق فى التنمية لفترة ثلاث سنوات. وتولى المقرر الخاص مهامه فى 1 أيار/مايو 2017.

3 -وأجرى المقرر الخاص، بعد توليه مهامه، جولة من تبادل الآراء بصورة تمهيدية مع الدول، ومفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، ووكالات الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية وغيرها من الجهات المعنية، وطلب إليها تقديم إسهامات تساعده على زيادة تطوير رؤيته وأساليب عمله والمجالات التى يركز عليها اهتمامه. وقد تلقى المقرر الخاص الكثير من الإسهامات، وهو يعرب عن كبير امتنانه لجميع الذين ساهموا وشاركوا فى هذه المشاورات حتى الآن ويتطلع إلى مواصلة العمل معهم.

4 -وقد وضع هذا التقرير بعيد تولى المقرر الخاص منصبه. ويعرض المقرر الخاص فيه آراءه الأولية فيما يتعلق بخلفية الولاية وسياقها، ويسلط الضوء على بعض التحديات التى قد يواجهها تنفيذها، ويرسم الخطوط العريضة للاستراتيجية الأولية التى سيسترشد بها فى عمله بموجب الولاية، بما فى ذلك الاعتبارات الاستراتيجية التى سيأخذها فى الحسبان واتجاهات العمل المحددة. ويتضمن التقرير أيضاً النهج الذى يقترحه المقرر الخاص للتعاون مع الجهات صاحبة المصلحة، والاعتبارات البعيدة المدى لولايته، ووصفاً لأساليب عمله.

ثانياً -الخلفية التاريخية

5 -ذُكر الحق فى التنمية، للمرة الأولى، فى عام 1966، عندما أشار دودو ثيام، وزير خارجية السنغال آنذاك، إلى حق «العالم الثالث» فى التنمية أمام الجمعية العامة. وقد تحدث عن العقود التى فشلت خلالها الدول فى تحقيق أهداف عقد الأمم المتحدة الإنمائى الأول فربط هذا الفشل بعجز الدول التى تحررت حديثاً من الاستعمار عن إيجاد حل للاختلال الاقتصادى المتزايد بين العالمين النامى والمتقدم. وقد اعتمدت الجمعية العامة إعلان الحق فى التنمية فى 4 كانون الأول/ ديسمبر 1986. وبنى الإعلان على أسس ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمى لحقوق الإنسان، واعتمدته الغالبية العظمى من الدول التى أيدته[1]. ويهدف الإعلان إلى إقامة نظام اجتماعى ودولى يمكن فيه إعمال الحريات المبينة فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان إعمالاً كاملاً.

6 -وأعيد تأكيد الحق فى التنمية عام 1992 فى «إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية»، الذى جاء فيه أنه يجب إعمال الحق فى التنمية بغية تلبية الأهداف الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة بصورة منصفة (المبدأ 3). وفى الفقرة 10 من الجزء الأول من إعلان وبرنامج عمل فيينا، المعتمد بالإجماع فى عام 1993، أعاد المؤتمر العالمى لحقوق الإنسان تأكيد الحق فى التنمية بوصفه حقاً عالمياً غير قابل للتصرف وجزءاً لا يتجزأ من حقوق الإنسان الأساسية.

7 -وأُعيد أيضاً تأكيد الحق فى التنمية فى

(1)صوَّتت 146 دولة عضواً لصالحه، ودولة واحدة ضده (الولايات المتحدة الأمريكية) وامتنعت ثماني دول عن التصويت (إسرائيل، وألمانيا، وآيسلندا، والدانمرك، والسويد، وفنلندا، والمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وآيرلندا الشمالية، واليابان).

إعلانات دولية ووثائق ختامية مختلفة صدرت فى الفترة الفاصلة بين اعتماد «برنامج عمل المؤتمر العالمى المعنى بالسكان والتنمية» فى عام 1994 واعتماد الوثيقة الختامية «لمؤتمر الأمم المتحدة المعنى بالتنمية المستدامة»، المعنونة «المستقبل الذى نصبوا إليه»، فى عام 2012. وفى عام 2015، اعتُرف صراحةً بالحق فى التنمية فى أربع وثائق سياسة عامة رئيسية متفق عليها دولياً هي: «خطة عمل أديس أبابا للمؤتمر الدولى الثالث لتمويل التنمية»؛ و«إطار سندای للحد من مخاطر الكوارث 2015 2030-»؛ و«تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة لعام 2030»، التى تضمنت أهداف التنمية المستدامة؛ و«اتفاق باريس بشأن تغير المناخ». وأصبحت هذه الوثائق جزءاً من سياسة المقرر الخاص والأساس المعيارى لولايته.

ثالثاً -الإطار المعياري

ألف -ميثاق الأمم المتحدة

8 -أرسى ميثاق الأمم المتحدة (المواد 1 و55 و56)، منذ عام 1945، أسس الحق فى التنمية، عندما ذكر أن إيجاد ظروف من الاستقرار والرفاه أمر ضرورى لإقامة علاقات سلمية وودية فيما بين الأمم استناداً إلى مبدأ المساواة فى الحقوق وتقرير المصير للشعوب، وعندما وكل إلى الأمم المتحدة مهمة العمل على رفع مستويات المعيشة، وتحقيق العمالة الكاملة وظروف التقدم والتنمية فى المجالين الاقتصادى والاجتماعي؛ وإيجاد حلول للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والصحية الدولية والمشاكل المرتبطة بها؛ والتعاون الثقافى والتربوى الدولي؛ واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع، دون تمييز على أساس العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين، والتقيد بها على المستوى العالمى.

باء -إعلان الحق فى التنمية، كمعيار إرشادى

9 -تنص المادة 1 من إعلان الحق فى التنمية على أن الحق فى التنمية حق إنسانى غير قابل للتصرف يتمتع بموجبه كل إنسان وجميع الشعوب بالحق فى المشاركة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التى يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية إعمالاً كاملاً، والمساهمة فى هذه التنمية والتمتع بها. وتنص كذلك على أن حق الإنسان فى التنمية يقتضى ضمناً الإعمال الكامل لحق الشعوب فى تقرير المصير، الذى يتضمن، رهناً بالأحكام ذات الصلة من العهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان، ممارسة حقها غير القابل للتصرف فى السيادة الكاملة على جميع ثرواتها ومواردها الطبيعية. والحق فى التنمية، كما هو منصوص عليه فى الإعلان، هو حق مساوٍ لجميع حقوق الإنسان العالمية وغير القابلة للتصرف والمتشابكة والمترابطة وغير القابلة للتجزئة.

10 -والإعلان ليس ملزماً فى حد ذاته. ومع ذلك، فإن الكثير من أحكامه مجسدة فى صكوك ملزمة قانونياً، مثل ميثاق الأمم المتحدة، والعهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان، كما أن مبادئ مثل عدم التمييز، وسيادة الدولة، تشكل أيضاً جزءاً من القانون الدولى العرفى الملزم للدول كافة.

جيم -إعلان وبرنامج عمل فيينا

11 -كما ذُكر سابقاً (انظر الفقرة 6 أعلاه)، أكد المؤتمر العالمى لحقوق الإنسان من جديد، فى إعلان وبرنامج عمل فيينا، الحق فى التنمية. وأكد من جديد أيضاً أنه ينبغى للمجتمع الدولى أن يدعم أقل البلدان نمواً الملتزمة بعملية الدمقرطة وبالإصلاحات الزراعية، والتى يقع الكثير منها فى أفريقيا، كى تنجح فى عملية الانتقال إلى الديمقراطية والتنمية الاقتصادية[2] . وذكر المؤتمر العالمى أيضاً أنه ينبغى إعمال الحق فى التنمية بغية تلبية الاحتياجات الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة بإنصاف[3].

12 -وفيما يتعلق بإعمال الحق فى التنمية، أشار المؤتمر العالمى لحقوق الإنسان، فى إعلان فيينا، إلى الحاجة إلى: صوغ سياسات إنمائية وطنية فعالة وإقامة علاقات اقتصادية دولية منصفة (الفقرة 10)؛ والتعاون تعاوناً فعالاً على المستوى الدولى (الفقرتان 10 و13)؛ وتقديم الدعم الدولى إلى البلدان الملتزمة بعملية الانتقال الديمقراطى والإصلاحات الاقتصادية (الفقرة 9). وشدد المؤتمر العالمى أيضاً على أهمية إزالة العقبات التى تعترض التنمية، ومنها انتهاكات حقوق الإنسان، والعنصرية، والاستعمار والاحتلال الأجنبي؛ وأهمية تعزيز السلم والأمن؛ وزيادة الموارد المخصصة للتنمية.

دال -خطة التنمية المستدامة لعام 2030، بما فى ذلك أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر

13 -تقوم خطة عام 2030 بشكل واضح على أساس ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمى لحقوق الإنسان، والمعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان[4]. ومن الأمور الهامة أن تنفذ الخطة على نحو يتماشى مع حقوق والتزامات الدول بموجب القانون الدولي[5]. وأُعيد فى الخطة بأكملها تأكيد المبادئ الرئيسية لإعلان الحق فى التنمية، إذ سلّمت بضرورة بناء مجتمعات سلمية وعادلة وحاضنة للجميع توفر فرصاً متكافئة للوصول إلى العدالة وتقوم على احترام حقوق الإنسان (بما فى ذلك الحق فى التنمية) وعلى سيادة القانون الفعلية والحكم السديد على جميع المستويات، وعلى مؤسسات شفافة وفعالة وخاضعة للمساءلة[6] .

14 -وفى الوثيقة المعنونة «تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة لعام 2030»، وهى وثيقة سياسة عامة معاصرة بالغة الأهمية، أقيمت صلة ملموسة بين الحق فى التنمية والاستدامة. فيمكن، وينبغى، أن يستخدم الحق فى التنمية كمفهوم

(2)إعلان وبرنامج عمل فيينا، الجزء الأول، الفقرة 9.
(3) المرجع نفس، الفقرة 11.
(4)قرار الجمعية العامة 70/1، الفقرة 10.
(5)المرجع نفسه، الفقرة 18.
(6)المرجع نفسه، الفقرة 35.

إرشادى لدى قياس التقدم المحرز فى تنفيذ الإطار السياساتى الجديد للتنمية المستدامة. وأهداف التنمية المستدامة توفر فرصة لتعزيز الإجراءات والموارد العالمية والمحلية من أجل تنفيذ أهداف وغايات عالمية يمكن أن تساهم مساهمة جوهرية فى تعزيز وإعمال الحق فى التنمية.

هاء -إطار سندای للحد من مخاطر الكوارث، 2015 2030-

15 -ذُكر فى أحد المبادئ الإرشادية لتنفيذ إطار سندای للحد من مخاطر الكوارث، 2015 2030- (الفقرة 19(ج) من الإطار) أن إدارة مخاطر الكوارث تهدف إلى حماية الأشخاص وممتلكاتهم، والصحة، وسبل العيش، والأصول الإنتاجية، فضلاً عن الأصول الثقافية والبيئية، وفى الوقت ذاته، تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان، بما فيها الحق فى التنمية.

16 -ويتعرض الناس فى العالم بصورة متزايدة للكوارث الطبيعية، التى تدمر آثارها جهود التنمية وتخلف مناطق بأكملها فى حالة من الفقر. والفقر والتأثر بالكوارث مرتبطان ارتباطاً وثيقاً: فالبلدان ذات الدخل المنخفض، ولا سيما الجماعات الفقيرة والمحرومة داخلها، هى فى العادة أقل مناعة تجاه الكوارث، وتتأثر بها بصورة غير متناسبة. وبالتالى، فإن إعمال الحق فى التنمية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحد من مخاطر الكوارث. ولا يمكن تجنب المخاطر الطبيعية كلياً، إلا أنه يمكن إلى حد كبير تجنب الكوارث بالحد من تعرض المجتمعات للخطر، وزيادة قدراتها على الصمود و/أو الحد من قابليتها للتأثر.

واو -خطة عمل أديس أبابا للمؤتمر الدولى الثالث لتمويل التنمية

17 -أشار رؤساء الدول والحكومات والممثلون الرفيعو المستوى المجتمعون فى أديس أبابا فى المؤتمر الدولى الثالث لتمويل التنمية، فى الفقرة الاستهلالية من خطة عمل أديس أبابا، إلى الحق فى التنمية وذكروا بالتحديد أن هدفهم هو القضاء على الفقر والجوع وتحقيق التنمية المستدامة من خلال تعزيز النمو الاقتصادى الشامل للجميع وحماية البيئة، وتعزيز الإدماج الاجتماعى، وأعربوا عن التزامهم باحترام جميع حقوق الإنسان، بما فيها الحق فى التنمية. وخطة عمل أديس أبابا وخطة التنمية المستدامة لعام 2030 مترابطتان ترابطاً كبيراً وقد أشير إلى الأولى على أنها جزء لا يتجزأ من الثانية[7]. وأُكد أن تنفيذ خطة عمل أديس أبابا تنفيذاً كاملاً أمر حاسم لتحقيق أهداف التنمية المستدامة وغاياتها [8]. ورُبطت خطة عمل أديس أبابا بصورة واضحة بوسائل تنفيذ الغايات الواردة تحت الهدف 17 وتحت كل هدف محدد من أهداف التنمية المستدامة، بمعنى أنه تم التسليم بأنها تدعم تلك الغايات وتكملها وتساعد على تحديد مفهومها [9]. والغايات الواردة تحت الهدف 17 تفعّل التزامات خطة عمل أديس أبابا فى مجالات التمويل والتكنولوجيا وبناء القدرات وقضايا التجارة والنُظم.

18 -وخطة 2030 تربط متابعة التزامات خطة عمل أديس أبابا بإطار المساءلة الخاص بأهداف التنمية المستدامة، أى المنتدى السياسى الرفيع المستوى برعاية الجمعية العامة والمجلس الاقتصادى والاجتماعي[10]. وتشدد خطة عمل أديس أبابا على المساءلة والشفافية، وتنص على إنشاء منتدى سنوى بشأن متابعة تمويل التنمية برعاية المجلس الاقتصادى والاجتماعي[11] يفوض برصد وسائل تنفيذ غايات خطة 2030. والمنتدى هو آلية حكومية يفتح باب المشاركة فيها أمام الجهات المعنية الأخرى [12] بما فى ذلك، بوجه خاص، البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، التى ستشارك فى الاجتماع الرفيع المستوى الخاص بالمنتدى.

19 -وفى خطة عمل أديس أبابا، يشار إلى حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وإلى الحكم السديد وسيادة القانون والوصول إلى العدالة بأنها تشكل جزءاً لا يتجزأ من الالتزام الشامل بتعزيز المجتمعات السلمية والحاضنة للجميع[13]، وهو تعبير مماثل للتعبير المستخدم فى الهدف 16 من أهداف التنمية المستدامة. وتتضمن خطة عمل أديس أبابا إشارات عديدة تتعلق بحقوق الإنسان، منها:

(أ)تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، والإعمال الكامل لحقوق الإنسان الخاصة بالمرأة والفتاة، والقضاء على العنف والتمييز الجنسانيين (الفقرتان 6 و41)؛

(ب)الالتزام بتقديم الخدمات الاجتماعية والخدمات العامة، أى الالتزام بميثاق اجتماعى جديد، مع التركيز على الناس الذين يعيشون تحت خط الفقر والجماعات الضعيفة، بما فى ذلك الأشخاص ذوو الإعاقة، والأشخاص المنتمون إلى السكان الأصليين، والأطفال، والشباب، وكبار السن (الفقرة12)؛

(ج)التزامات بزيادة الجهود من أجل القضاء على الجوع وضمان الأمن الغذائى (الفقرات 13 و108 و121) والنهوض بالصحة والتعليم (الفقرتان 77 78-)؛

(د)إعادة تأكيد الالتزام بالتعاون الدولى لأغراض التنمية، بما فى ذلك التزام الكثير من البلدان المتقدمة بتحقيق هدف تخصيص 0.7 فى المائة من الناتج القومى الإجمالى للمساعدة الإنمائية الرسمية وهدف توجيه 0.15 إلى 0.20 فى المائة من تلك المساعدة نحو أقل البلدان نمواً (الفقرة 51) ودعوة البلدان إلى التعاون فى تطبيق آليات مبتكرة لتمويل التنمية، مثل التمويل المختلط (الفقرة 69) والمبادرات المتعددة الجهات صاحبة المصلحة (الفقرات 76 78-)؛

(ه)تشجيع المصارف الإنمائية الوطنية والمتعددة الأطراف على اعتماد نظم ضمانات اجتماعية مع اشتراط أن توضع هذه الضمانات بالتشاور مع الجهات صاحبة المصلحة وأن تشمل حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة (الفقرة 75؛ وانظر أيضاً الفقرة 33)؛

(و)الالتزام بتعزيز الممارسات التجارية المستدامة وفقاً للمعايير الدولية، بما فى ذلك اتفاقية حقوق الطفل، والمبادئ التوجيهية المتعلقة بمؤسسات الأعمال وحقوق الإنسان، ومعايير منظمة العمل الدولية، والاتفاقات البيئية (الفقرة 37)؛

(ز)الالتزام بتعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية لجميع المهاجرين، بصرف النظر عن وضعهم من حيث الهجرة (الفقرة 111) ومكافحة الاتجار بالبشر واستغلالهم (الفقرة 112).

زای -اتفاق باريس بشأن تغير المناخ

20 -أكد الفريق الحكومى الدولى المعنى بتغير المناخ مراراً، فى عمليات التقييم التى أجراها لتغير المناخ والقائمة على أعمال المئات من العلماء فى جميع أنحاء العالم، أن تغير المناخ حقيقى وأن سببه الرئيسى هو انبعاثات غازات الدفيئة الناجمة عن الإنسان. وتعد الظواهر المناخية القصوى، والكوارث الطبيعية، وارتفاع مستويات سطح البحر، والفيضانات، وموجات الحر، والجفاف، والتصحر، ونقص المياه، وانتشار الأمراض الاستوائية والأمراض المنقولة بالنواقل، بعضاً من النواتج المروعة لتغير المناخ. وهذه الظواهر تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة على التمتع بطائفة من حقوق الإنسان، بما فيها الحق فى الحياة وفى المياه والمرافق الصحية والغذاء والصحة والسكن وتقرير المصير والثقافة، فضلاً عن الحق فى التنمية.

21 -وسُلم فى ديباجة اتفاق باريس بأنه ينبغى للأطراف، لدى اتخاذ إجراءات لمعالجة تغير المناخ، أن تفى بالتزاماتها المتعلقة بحقوق

(7)المرجع نفسه، الفقرة 62.
(8)المرجع نفسه، الفقرة 40.
(9)المرجع نفسه، الفقرة 62.
(10)المرجع نفسه، الفقرة 47.
(11)قرار الجمعية العامة 69/313، الفقرة 132.
(12)المرجع نفسه، الفقرة 132.
(13)المرجع نفسه، الفقرة 18.

الإنسان، بما فيها الحق فى التنمية، وأن تعززها وتوليها الاعتبار.

حاء -قرارات مجلس حقوق الإنسان

22 -يشار إلى الحق فى التنمية بصورة اعتيادية فى قرارات مجلس حقوق الإنسان. ومن الأمثلة على ذلك:

(أ)قرر المجلس، فى قراره 4/4، الاتفاق على برنامج عمل يفضى إلى رفع مستوى الحق فى التنمية، كما هو منصوص عليه فى الفقرتين 5 و10 من إعلان وبرنامج عمل فيينا، إلى نفس مستوى جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية الأخرى وعلى قدم المساواة معها؛

(ب)أكد المجلس من جديد، فى قراره 7/6، الحق فى التنمية بوصفه حقاً عالمياً وغير قابل للتصرف وجزءاً لا يتجزأ من جميع حقوق الإنسان، كما أكد من جديد أن التدابير القسرية التى تتخذ من جانب واحد تمثل عقبة كبرى أمام تنفيذ إعلان الحق فى التنمية؛

(ج)سلّم المجلس، فى قراره 23/7، بأن الإنسان هو محور الاهتمامات المتعلقة بالتنمية المستدامة وبأنه يجب إعمال الحق فى التنمية بغية تلبية الاحتياجات الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة بإنصاف؛

(د)أكد المجلس، فى قراره 5/8، أن إقامة نظام دولى ديمقراطى ومنصف تقتضى، فيما تقتضيه، إعمال حق كل إنسان وجميع الشعوب فى التنمية، بوصفه حقاً عالمياً غير قابل للتصرف وجزءاً لا يتجزأ من حقوق الإنسان الأساسية؛

(ه)أشار المجلس، فى قراره 14/17، إلى إعلان الحق فى التنمية، الذى نص، فى جملة أمور، على أنه ينبغى للدول أن تتخذ على المستوى الوطنى جميع التدابير اللازمة لإعمال الحق فى التنمية وأن تضمن، فى جملة أمور، تكافؤ الفرص للجميع فى الحصول على الموارد الأساسية، مثل خدمات الصحة؛

(و)سلّم المجلس، فى قراره 6/18، بأن الديمقراطية، واحترام جميع حقوق الإنسان، بما فيها الحق فى التنمية، والحكم والإدارة الشفافين والخاضعين للمساءلة فى جميع قطاعات المجتمع، ومشاركة المجتمع المدنى مشاركة فعلية، جزء أساسى من الدعائم اللازمة لتحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة التى يكون محورها الشعب؛

(ز)سلّم المجلس، فى قراره 20/19، بأن الحكم الذى يتسم بالشفافية والمسؤولية والمساءلة والانفتاح والمشاركة ويلبى احتياجات الشعب وتطلعاته هو الأساس الذى يقوم عليه الحكم السديد، وبأن هذا الأساس شرط لا غنى عنه لإعمال حقوق الإنسان، ومنها الحق فى التنمية، إعمالاً كاملاً.

23 -وأشير أيضاً صراحة إلى الحق فى التنمية فى القرارات التى أيد فيها مجلس حقوق الإنسان المبادئ التوجيهية المتعلقة بالديون الخارجية وحقوق الإنسان (قرار المجلس 10/20)، والمبادئ التوجيهية المتعلقة بالفقر المدقع وحقوق الإنسان (قرار المجلس 11/21). كما أشير إلى الحق فى التنمية فى قرار المجلس 8/35 بشأن تعزيز التعاون الدولى فى ميدان حقوق الإنسان. وفى القرار 21/35 المتعلق بإسهام التنمية فى التمتع بجميع حقوق الإنسان، أشار المجلس مرة أخرى إلى إعلان الحق فى التنمية وأكد من جديد أن جميع حقوق الإنسان حقوق عالمية وغير قابلة للتجزئة ومترابطة ومتشابكة وأن على المجتمع الدولى أن يعامل حقوق الإنسان على نطاق عالمى معاملة منصفة ومتكافئة وعلى قدم المساواة وبنفس القدر من الاهتمام.

طاء -صكوك عالمية وإقليمية ووطنية أخرى

24 -يسلّم فى إعلان الأمم المتحدة الخاص بحقوق الشعوب الأصلية بأن للشعوب الأصلية الحق فى التنمية. ووفقاً للمادة 23، يحق للشعوب الأصلية أن تحدد وتضع الأولويات والاستراتيجيات اللازمة لممارسة حقها فى التنمية. وبوجه خاص، يحق للشعوب الأصلية أن تشارك مشاركة نشطة فى تحديد ووضع البرامج الصحية والسكنية وغيرها من البرامج الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بها وأن تدير هذه البرامج، قدر الإمكان، بواسطة مؤسساتها.

25 -وفى المادة 33 من ميثاق منظمة الدول الأمريكية، ذُكر أن التنمية مسؤولية رئيسية تقع على عاتق كل بلد وينبغى أن تشكل عملية متكاملة ومستمرة لإقامة نظام اقتصادى واجتماعى أكثر عدلاً يمكّن من تنمية أقصى إمكانات الفرد ويسهم فيها.

26 -والدول الـ53 الأطراف فى الميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب ملزمة قانونياً بضمان ممارسة الحق فى التنمية، المدرج فى المادة 22 من ذلك الميثاق. وسُلم أيضاً بالحق فى التنمية فى المادة 10 من ميثاق الشباب الأفريقى والمادة 19 من بروتوكول الميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب المعنى بحقوق المرأة فى أفريقيا. وعلاوة على ذلك، خلصت اللجنة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب إلى أنه يمكن الاحتجاج بالحق فى التنمية أمام المحاكم. فعلى سبيل المثال، وجدت اللجنة، فى إحدى الحالات، أن كينيا خرقت حق شعب أندوروا فى التنمية بسبب عدم إشراكه فى عمليات صنع القرار ذات الصلة وعدم توزيع منافع التنمية بإنصاف[14].

27 -والحق فى التنمية مسلّم به فى الميثاق العربى لحقوق الإنسان بوصفه حقاً أساسياً من حقوق الإنسان. فبموجب المادة 37 من الميثاق، ينبغى أن تضع الدول سياسات إنمائية وأن تتخذ الإجراءات اللازمة لضمان هذا الحق؛ ومن واجب الدول أن تأخذ بقيم التضامن والتعاون فيما بينها وعلى المستوى الدولى بغية القضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية؛ وبموجب الحق فى التنمية، يحق لكل مواطن أن يشارك فى تحقيق التنمية وفى التمتع بفوائدها وثمارها.

28 -ويتضمن إعلان حقوق الإنسان الخاص برابطة دول جنوب شرق آسيا فرعاً يتناول الحق فى التنمية، وتُناشد فيه الدول الأعضاء أن تدرج الجوانب المتعددة الأبعاد للحق فى التنمية فى صلب المجالات ذات الصلة لبناء القدرات فى الرابطة وخارجها، وأن تعمل مع المجتمع الدولى على تعزيز التنمية المنصفة والمستدامة والممارسات التجارية العادلة والتعاون الدولى الفعال (المادة 37).

29 -وعلى المستوى الوطنى، يتضمن عدد قليل من الدساتير الحق فى التنمية[15]. وتسلّم بلدان أخرى بحقوق إنسان أخرى تساهم فى تطوير وإعمال وتطبيق الحق فى التنمية بصورة مباشرة و/أو غير مباشرة، مثل الحق فى التمتع ببيئة صحية[16]. أو تنص على أن من واجب الدولة أن تحمى الموارد الطبيعية وتنوع وسلامة البيئة وأن تضمن التنمية المستدامة[17] .

رابعاً -التحديات أمام إعمال الحق فى التنمية

30 -بدأ المقرر الخاص عملية مشاورات واسعة مع الجهات المعنية للوقوف على ما تعتبره تحديات كبرى أمام إعمال الحق فى التنمية. وبفضل المشاورات غير الرسمية التى أجراها فى الفترة القصيرة المتاحة مع البعثات الدائمة والمنظمات الحكومية الدولية والمنظمات غير الحكومية، أصبح على بينة من الشواغل العديدة التى تقتضى المزيد من الدرس، ومنها:

(أ)التسييس. فعلى الرغم من انقضاء أكثر من 30 عاماً على اعتماد إعلان الحق فى التنمية، لا تزال آراء الدول منقسمة. فقد طلب الاتحاد الأوروبى زيادة توضيح هذا الحق. وهناك عدم اتفاق بشأن طبيعة واجبات الدول فى إعمال الحق فى التنمية وبشأن الأهمية النسبية الواجب إعطاؤها للبعد الوطنى لالتزامات الدولة (الحقوق الفردية وما يقابلها من مسؤوليات الدولة، وسيادة القانون، والحكم السديد، ومكافحة الفساد) بالمقارنة بالالتزامات المتعلقة بالتعاون الدولى (المسؤوليات الدولية، والنظام الدولى، والتعاون فى مجال التنمية، وإدارة الشؤون العالمية). وهناك أيضاً اختلافات فى الآراء بين الدول فيما يتعلق بمعايير قياس التقدم المحرز فى إعمال الحق فى التنمية. وأدت الاختلافات المفاهيمية المذكورة أعلاه، فى كثير من الأحيان، إلى افتقار النقاش الحكومى الدولى فى محافل الأمم المتحدة ذات الصلة، مثل الجمعية العامة ومجلس حقوق الإنسان والفريق

(14) Centre for Minority Rights Development (Kenya) and Minority Rights Group International on behalf of Endorois Welfare Council v. Kenya, communication No. 276/03 (25 November 2009).

(15) انظر، مثلًا، المادة 30 من دستور ملاوي. وانظر أيضاً دساتير ألمانيا وغواتيمالا وكولومبيا والمكسيك، التي تشير إلى الحق في تنمية شخصية الإنسان.

(16)الأرجنتين، باراغواي، بوليفيا (دولة - المتعددة القوميات)، غواتيمالا، كولومبيا، المكسيك.

(17)انظر دستور السلفادور، المادة 117.

العامل المعنى بالحق فى التنمية، إلى الزخم الكافي؛

(ب)عدم الالتزام. أدى الشرخ السياسى إلى انخفاض مستوى التزام وكالات الأمم المتحدة والمجتمع المدنى بتعزيز الحق فى التنمية وحمايته وإعماله. وعلى الرغم من التطور التدريجى لمفهوم الحق فى التنمية وإدراجه فى بعض الصكوك الدولية والإقليمية والدساتير الوطنية، فإن المستوى العام لإدراك هذا الحق والالتزام بإعماله منخفض. وكان التقدم فى مجال التنمية غير متماثل، ولا سيما لشعوب أفريقيا وأقل البلدان نمواً والبلدان النامية غير الساحلية والدول النامية الجزرية الصغيرة، وفى البلدان النامية عموماً[18]. ويضاف إلى ذلك أن انخفاض مستوى إدراك الحق فى التنمية فيما بين منظمات القواعد الشعبية يعيق جهود الدعوة بشكل أكبر؛

(ج)الاتجاهات العالمية المعاكسة. يواجه إعمال الحق فى التنمية تحديات أخرى عديدة هي: الأزمة المالية والاقتصادية العالمية، وأزمة الطاقة والمناخ، وتزايد عدد الكوارث الطبيعية، والجائحات العالمية الجديدة، وازدياد الأتمتة فى الكثير من القطاعات، والفساد، والتدفقات المالية غير المشروعة، وخصخصة الخدمات العامة، والتقشف وغيره من التدابير، وشيخوخة سكان العالم، بما فى ذلك البلدان النامية. وهناك طلب متزايد على الموارد من أجل إعمال الحق فى التنمية. ومن شأن ازدياد الاتجاهات الشوفينية وما يتصل بها من نزعة إلى العزوف عن التضامن والتعاون الدوليين أن يزيدا من ضعف إدارة الشؤون الدولية. ويتطلب التصدى لهذه التحديات تضافر جهود جميع الجهات المعنية بهذا الشأن، على المستويين الوطنى والدولى على السواء.

خامساً -الاعتبارات البعيدة المدى للولاية

31 -سيسترشد المقرر الخاص، فى جميع جوانب عمله، بالاعتبارات البعيدة المدى التالية:

(أ)المشاركة، والحوار، والتشاور، والشفافية. يهدف المقرر الخاص إلى القيام بعمله بصورة تشاركية واستشارية ومنفتحة، وأن يشرك بصورة نشطة جميع الجهات المعنية بالأمر، وتشمل الدول الأعضاء، والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية العاملة فى ميدان التنمية، ومراكز البحوث، على المستوى المحلى والوطنى والدولى. وبوجه خاص، سيبذل المقرر الخاص جهوداً لإشراك جهات فاعلة من الجنوب كخبراء فى الحديث عن الحق فى التنمية. وبغية التصدى للتحدى المتمثل فى التسييس المفرط، يرى المقرر الخاص أن دوره يتمثل فى تيسير التعاون بين الجهات المعنية وبناء الجسور بين المبادرات والجهات المعنية والتجمعات السياسية والجغرافية، والبلدان والقارات، بهدف إيجاد منابر لتبادل الممارسات الجيدة والدروس المستخلصة. وهو يهدف أيضاً إلى أن يكون بمثابة عامل حفاز لتوحيد الإجراءات من أجل تعزيز الأثر. وهذا الأمر بالغ الأهمية فيما يتعلق بتنفيذ أهداف التنمية المستدامة. فالهدفان 16 و17 بوجه خاص يشددان على بناء مؤسسات فعالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على المستويات كافة وتنشيط الشراكة العالمية لأغراض التنمية المستدامة، على التوالي؛

(ب)الشمولية. إن تاريخ تنفيذ الأهداف الإنمائية للألفية يبين أن الأقليات والشعوب الأصلية تقدمت بمعدل أبطأ، وأن أوجه اللامساواة التى تعانيها هذه الجماعات المحرومة أصلاً قد تفاقمت، فى حين أن آخرين استفادوا من عمليات التدخل[19]. وللشعوب الأصلية، والأقليات، والأشخاص ذوو الإعاقة، وغيرهم من الجماعات المحرومة، خاصة فى البلدان النامية، دور فى إعمال الحق فى التنمية وعمليات التنمية المستدامة وينبغى ألا تترك هذه الفئة فى المؤخرة. وفى الوقت ذاته، لم تنجح الجهود الدولية والوطنية الهادفة إلى إعمال الحق فى التنمية فى إدماج المنظور الجنسانى إدماجاً كاملاً فيها. وسيدعو المقرر الخاص، لدى تنفيذ ولايته، إلى إشراك أكثر الجماعات حرماناً فى جميع المحافل الدولية والوطنية المرتبطة بإعمال الحق فى التنمية وبعمليات التنمية المستدامة المتصلة بذلك. ويهدف المقرر الخاص أيضاً إلى إيلاء البعد الجنسانى اهتماماً خاصاً فى عمله، نظراً، فى المقام الأول، إلى التحديات الإنمائية التى تواجهها النساء والفتيات فى معظم المجتمعات. وهذه التحديات كثيرة، وتتراوح بين القوانين التى لا تتيح فرصاً متكافئة للحصول على الأرض وغيرها من الموارد، والسياسات الإنمائية أو سياسات الحد من الكوارث التى لا تتيح للمرأة إمكانية الحصول على التعليم والتمويل لإنشاء مؤسسات الأعمال الخاصة بها أو حتى الحصول على ما يكفى من الأغذية لإطعام أولادها، والتى لا تضمن خدمات أساسية مثل الرعاية الصحية والسكن؛

(ج)ترابط حقوق الإنسان وعدم قابليتها للتجزئة. يذكّر المقرر الخاص بأن جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية، بما فيها الحق فى التنمية، حقوق عالمية وغير قابلة للتجزئة ومترابطة ومتشابكة. ويذكر أيضاً، كما هو وارد فى إعلان الحق فى التنمية، بأنه ينبغى، بغية النهوض بالتنمية، إيلاء الاهتمام والاعتبار، بصورة متساوية وعاجلة، إلى إعمال وتعزيز وحماية الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبالتالى، فإن تعزيز واحترام بعض حقوق الإنسان والحريات الأساسية والتمتع بها لا تبرر إنكار حقوق إنسان وحريات أساسية أخرى. ويوفر اعتماد أهداف التنمية المستدامة، التى تسلّم صراحة بالحق فى التنمية، واتفاق باريس المتعلق بتغير المناخ، فرصة متجددة لتنشيط إعمال الحق فى التنمية؛

(د)التعاون الدولى. أشير إلى التعاون الدولى فى مناسبات متعددة فى قرارات مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة وفى النقاشات السياساتية المتعلقة بالحق فى التنمية. وإن إقامة تعاون دولى لحل المشاكل الدولية ذات الطابع الاقتصادى أو الاجتماعى أو الثقافى أو الإنسانى، ولتعزيز وتشجيع احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية هى أحد أهداف الأمم المتحدة المنصوص عليها فى المادة 1(3) من الميثاق. وفى إعلان الحق فى التنمية، يسلَّم بأنه لا يمكن إعمال الحق فى التنمية كما لا يمكن لجميع الدول الوفاء بمسؤولياتها من دون التعاون تعاوناً فعالاً فيما بين الدول. ويسلم مجلس حقوق الإنسان فى قراره 14/33 بأن الدول الأعضاء ينبغى أن تتعاون مع بعضها بعضاً فى ضمان التنمية وإزالة العقبات الدائمة التى تعترض هذه التنمية، وأن المجتمع الدولى ينبغى أن يعمل على إقامة تعاون دولى فعال، وخاصة شراكات عالمية لأغراض التنمية، لإعمال الحق فى التنمية وإزالة العقبات التى تعترض التنمية. وينص أيضاً على أن تحقيق تقدم دائم نحو إعمال الحق فى التنمية يتطلب سياسات إنمائية فعالة على المستوى الوطنى وعلاقات اقتصادية منصفة وبيئة اقتصادية مواتية على المستوى الدولى. وسيركز المقرر الخاص على تقديم مساهمات تكميلية وبناءة فيما يتعلق بتحسين التعاون الدولى وإيجاد بيئة دولية تمكينية لإعمال الحق فى التنمية وجميع حقوق الإنسان.

سادساً -مجالات تركيز الولاية

32 -بعد مرور أكثر من 30 عاماً على اعتماد إعلان الحق فى التنمية، ثمة حاجة إلى تنشيط عملية الدعوة إلى تنفيذه. واستمرار العمل كالمعتاد لن يكون كافياً لتحقيق تقدم. فالحق فى التنمية ليس مجرد إعلان أو موضوع للنقاش السياسى داخل الأمم المتحدة أو المنتديات السياسية. والحقيقة القائمة خارج هذه المنتديات هى أن مليارات الأشخاص بحاجة إلى إدخال تحسينات على حياتهم ومن حقهم أن يتم إعمال حقوقهم الإنسانية، بما فى فيها الحق فى التنمية. والقيمة الخاصة للحق فى التنمية هى أنه ينقل مجال التركيز من الإحصاءات والسلع إلى رفاه الناس. ولن يتمكن الناس من تحقيق أقصى إمكاناتهم فى الحياة إلا عندما تتوفر لهم فرصة الحصول على التعليم، وعندما يُسمح لهم بالعمل فى مهنة يختارونها هم، وعندما تتوفر لهم فرصة الحصول على الخدمات المالية والرعاية الصحية والسكن، وعندما يستطيعون المشاركة بصورة كاملة ومنصفة فى صوغ السياسات التى تحكم حياتهم. والحق فى التنمية يجلب إلى النقاش نموذج الاختيار - حق كل إنسان فى المشاركة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والمساهمة فيها والتمتع بها، بغية

(18) United Nations Development Programme, Human Development Report 2016: Human Development for Everyone, pp. 202–205.

(19) انظر https://sustainabledevelopment.un.org/content/documents/2406TST%20Issues%20Brief%20on%20Promoting%20Equality_FINAL.pdf

تحقيق التنمية المستدامة.

33 -وعندما أنشأ مجلس حقوق الإنسان ولاية المقرر الخاص، شدد على الحاجة الملحة إلى جعل الحق فى التنمية حقيقة لكل إنسان. وينظر المقرر الخاص إلى دوره على أنه يتمثل فى ضمان أن يبقى الحق فى التنمية مجال تركيز فى المحادثات العالمية بشأن خطة التنمية لما بعد 2015. وسيعمل المقرر الخاص على ضمان أن يُعترف بالحق فى التنمية، وفى الواقع بجميع حقوق الإنسان، بوصفها جزءاً لا يتجزأ من المحادثات المتعلقة بالتنمية المستدامة، مع التشديد على أن التنمية ينبغى أن تتم وفقاً لمبادئ حقوق الإنسان وللهدف المتمثل فى إعمال الحق فى التنمية للجميع، وليس للنمو الاقتصادى فقط. وعلى الرغم من أن النمو الاقتصادى مهم، فإنه مفهوم كمى ومحايد من حيث القيمة قد تكون له آثار سلبية وإيجابية معاً على حياة الناس. أما التنمية، فإنها مفهوم نوعى وإدراج البعد المتعلق بحقوق الإنسان أمر جوهرى لتقدير النجاح الفعلى للتنمية البشرية. وعلى ذلك، فإن الرؤية الواردة فى إعلان الحق فى التنمية يجب أن تكون القوة التى يُسترشد بها فى تنفيذ إطار التنمية لما بعد 2015. واستناداً إلى قرار المجلس 14/33، حدد المقرر الخاص عدة مجالات تركيز رئيسية يود تفصيلها خلال ولايته.

34 -أولاً، ينوى المقرر الخاص أن يركز على تحديد العقبات الهيكلية التى تعترض إعمال الحق فى التنمية وإزالتها، وذلك بتقييم السياسات الإنمائية الوطنية والدولية وتقديم التوصيات بشأن تعزيز التعاون الدولى الفعال، بما فى ذلك التعاون المتعلق بتمويل التنمية. وينوى أيضاً، رهناً بتوفر الموارد، تنظيم مشاورات، وبخاصة مشاورات إقليمية، حول بعض هذه القضايا.

35 -ثانياً، سيقوم المقرر الخاص، وفقاً لقرار مجلس حقوق الإنسان 14/33، بإجراء حوار بناء وعملية تشاور مع الدول وغيرها من الجهات المعنية من أجل تحديد الممارسات الجيدة المتعلقة بإعمال الحق فى التنمية فى سياق تنفيذ خطة عمل 2030، وإطار سندای للحد من الكوارث الطبيعية 2015 2030-، وخطة عمل أديس أبابا، واتفاق باريس بشأن تغير المناخ، وتبادل هذه الممارسات وتعزيزها. وفى المرحلة الحالية، لم يضع المقرر الخاص بعد معايير مرجعية لتقييم وقياس ومقارنة ما يمكن اعتباره من الناحية النوعية ممارسات جيدة. وسيواصل استشارة الجهات المعنية فى هذا الصدد.

36 -وهناك مجال تركيز ثالث يتمثل فى تقصى تدابير عملية وتقديم توصيات لإعمال الحق فى التنمية على المستويين الوطنى والدولى. وقد كلف المقرر الخاص بالمساهمة فى تعزيز وحماية وإعمال الحق فى التنمية فى سياق تنفيذ خطة عمل 2030 وغيرها من الوثائق الختامية المتفق عليها دولياً فى عام 2015، وبأن يتعاون لهذا الغرض مع الدول الأعضاء وغيرها من الجهات المعنية ويشارك فى الاجتماعات والمؤتمرات الدولية ذات الصلة. وفى هذا السياق، يلاحظ المقرر الخاص أن تفعيل الحق فى التنمية يتطلب، لا تقييم نتائج خطة عمل 2030 فحسب، وإنما أيضاً بحث العمليات التى تقود إلى تلك النتائج، مع الاهتمام بوجه خاص بضمان مشاركة جميع الجهات المعنية ذات الصلة.

37 -وكُلف المقرر الخاص كذلك بالمساهمة فى عمل الفريق العامل المعنى بالحق فى التنمية، بغية دعم إنجاز ولايته الشاملة، مع أخذ مداولاته وتوصياته، بين أمور أخرى، فى الحسبان، وتفادى أية ازدواجية. وينوى المقرر الخاص تنفيذ ولايته بتقديم إسهام فى المناقشات المتعلقة باستكمال النظر فى المعايير والمعايير الفرعية التشغيلية فى إطار وضع مجموعة معايير شاملة ومترابطة منطقياً بشأن إعمال الحق فى التنمية. وعند كتابة هذا التقرير، بدأ المقرر الخاص مشاورات مع رئيس - مقرر الفريق العامل وممثلى الدول المشاركة ومنظمات المجتمع المدنى لتقييم الطريقة المثلى للقيام بهذه المهمة. ويحرص المقرر الخاص على أن يستخدم فى عمله الاستنتاجات التى اتفق عليها الفريق العامل كأساس لجهوده للمضى قدماً فى إعمال الحق فى التنمية.

سابعاً -أساليب العمل

38 -سيتمثل الجزء الأساسى من عمل المقرر الخاص فى الأنشطة المترابطة التالية:

(أ)موافاة مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة بتقارير سنوية عن الأنشطة التى اضطلع بها فى تنفيذ ولايته، بما فى ذلك دراسات مواضيعية بشأن قضايا أساسية تتعلق بالحق فى التنمية. وسيقوم المقرر الخاص خلال ولايته، كما هو مطلوب، بإجراء دراسات معمقة وتقديم تقارير مواضيعية إلى المجلس والجمعية بشأن جوانب مختلفة من الحق فى التنمية. ووقت كتابة هذا التقرير، كان المقرر الخاص يجرى مشاورات مع الدول ومفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان ووكالات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية وغيرها من الجهات المعنية، ويلتمس منها اقتراحات بشأن الدراسات المواضيعية التى سيجريها طوال مدة ولايته؛

(ب)جمع وطلب وتلقى المعلومات من الدول وغيرها من المصادر ذات الصلة، بما فى ذلك منظمات المجتمع المدنى، حول القضايا المتصلة بالحق فى التنمية، وتبادل المعلومات والاتصالات معها؛

(ج)الشروع فى حوار مع الدول الأعضاء بهدف وضع سياسات إنمائية دولية ترمى إلى تيسير إعمال الحق فى التنمية إعمالاً كاملاً وتعزيز التعاون الدولى الفعال بغية إعمال الحق فى التنمية؛

(د)مواصلة إجراء حوار مع هيئات الأمم المتحدة ووكالات التنمية والمؤسسات المالية والتجارية والإنمائية الدولية لدعم جهودها الرامية إلى إدراج الحق فى التنمية فى صلب عملها؛

(ه)وضع منهجية محددة لإجراء زيارات ميدانية من أجل تقييم إعمال الحق فى التنمية؛

(و)وضع منهجية محددة لبحث حالات/قضايا محددة تتعلق بالحق فى التنمية، بغية إقامة حوار مفتوح مع المؤسسات والبلدان المعنية، بالتشاور مع الجهات المعنية ذات الصلة؛

(ز)تطوير التعاون مع مكلفين بولايات آخرين فى إطار الإجراءات الخاصة يعنون بالقضايا ذات الصلة.

ثامناً -الاستنتاجات

39 -يقدم تقرير المقرر الخاص هذا بعد تعيينه ببضعة أشهر. ويدرك المقرر الخاص تمام الإدراك التعقيدات والحساسيات التى تكتنف النقاش المتعلق بالحق فى التنمية. ويدرك أيضاً ضرورة تجنب حدوث ازدواجية مع العمل الجارى فى دوائر منظومة الأمم المتحدة وضمان التزامن والاتساق فى الأنشطة كافة. ويتضمن هذا التقرير عرضاً عاماً لمجالات التركيز الرئيسية التى يقترح المقرر الخاص تناولها كأولويات خلال ولايته. وهو لا يدعى أنه سيكون قادراً على معالجة جميع هذه القضايا بشكل مفصل تماماً، أو أن عمله سيقتصر على هذه القضايا فقط، لأن هذا الأمر سوف يعتمد أيضاً على توفر الموارد والفرص.

40 -ويتطلع المقرر الخاص إلى تلقى وتحليل ملاحظات من الجهات المعنية، بما فيها مراكز البحوث والجهات العاملة فى مجال التنمية، والجامعات، حول تقريره. ويتطلع أيضاً إلى العمل مع المكلفين بولايات فى إطار الإجراءات الخاصة ذوى الصلة، ولا سيما أولئك الذين يعملون بموجب ولايات وثيقة الصلة بالحق فى التنمية، مثل الفريق العامل المعنى بقضية حقوق الإنسان والشركات عبر الوطنية وغيرها من مؤسسات الأعمال، والمقرر الخاص فى ميدان الحقوق الثقافية، والمقرر الخاص المعنى بالحق فى التعليم، والمقرر الخاص المعنى بالتزامات حقوق الإنسان المتعلقة بالتمتع ببيئة سليمة ونظيفة وصحية ومستدامة، والمقرر الخاص المعنى بالحق فى الغذاء، والخبير المستقل المعنى بآثار الديون الخارجية للدول، وما يتصل بها من التزامات مالية دولية أخرى، فى التمتع الكامل بجميع حقوق الإنسان، وخاصة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والمقرر الخاص المعنى بحق كل إنسان فى التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية، والخبير المستقل المعنى بإقامة نظام دولى ديمقراطى ومنصف، والخبير المستقل المعنى بحقوق الإنسان والتضامن الدولى، والمقرر الخاص المعنى بالفقر المدقع وحقوق الإنسان. وسيسعى المقرر الخاص إلى التعاون تعاوناً وثيقاً مع الفريق العامل المعنى بالحق فى التنمية ومع هيئات وآليات أخرى معنية بحقوق الإنسان والتنمية، مثل برنامج الأمم المتحدة الإنمائى، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، وهيئة الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة. وأخيراً، يشدد المقرر الخاص على أن تنفيذ ولايته تنفيذاً فعالاً لن يكون ممكناً إلا بالتعاون الكامل مع الدول الأعضاء والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية، وبدعم مناسب من مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان.

اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى

29 نوفمبر 2017

بمناسبة اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى وجه السكرتير العام للأمم المتحدة، السيد أنطونيو جوتيريش، رسالة جاء فيها أن «ثمة ارتباط لا ينفصم بين قضية فلسطين وتاريخ الأمم المتحدة، فهذه واحدة من أقدم القضايا التى لم تُحلّ بعد من بين القضايا المدرجة على جدول أعمال المنظمة. والآن وقد مضى سبعون عاماً على صدور قرار الجمعية العامة 181، ما زلنا فى انتظار نشوء دولة فلسطين المستقلة ذات السيادة، جنباً إلى جنب مع دولة إسرائيل.

وإننى ما زلت مقتنعاً بأن حل الدولتين المعترف به فى ذلك القرار هو المنطلق الوحيد الذى يمكن أن يفضى إلى إحلال سلام عادل ودائم وشامل بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وإذا تمت تسوية هذا النزاع، فإن هذا سيولّد أيضا زخماً لتحقيق قدر أكبر من الاستقرار فى مختلف أنحاء المنطقة. وفى أغسطس 2017، خلال زيارتى إلى إسرائيل وفلسطين، كرّرَت قيادات كلا الجانبين الإعراب عن التزامها بإحلال السلام عن طريق المفاوضات. وقد قمت بتشجيعهم على البرهنة على هذا الالتزام بشكل ملموس وتهيئة الظروف المواتية للعودة إلى مفاوضات جدية. ويجب على الجميع استغلال التطوّرات الإيجابية التى استجدّت مؤخرا على صعيد توحيد الصفّ الفلسطينى لتوجيه العملية إلى المسار الصحيح. وإننى أكرّر الإعراب عن استعدادى للعمل مع جميع الأطراف المعنية، بما فى ذلك المجموعة الرباعية المعنية بالشرق الأوسط وبلدان المنطقة، من أجل دعم عملية سياسية جادة مستندة إلى جميع قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، وإلى القانون الدولى والاتفاقات المبرمة، مما من شأنه تحقيق حل الدولتين وإنهاء نصف قرن من الاحتلال والتوصل إلى حل لجميع المسائل المتعلقة بالوضع النهائى. فلقد حان الوقت لإنهاء النزاع من خلال إقامة دولة فلسطينية مستقلة تعيش جنباً إلى جنب فى سلام وأمن مع دولة إسرائيل».

وكانت السيدة راضية عاشورى قد ألقت بيان السكرتير العام نيابة عنه فى جامعة الدول العربية، حيث توجهت بالتعزية الحارة للحكومة والشعب

راضية عاشورى

مديرة مركز الأمم المتحدة للإعلام بالقاهرة

achouri@un.org

المصرى وعائلات الضحايا الذين قضوا شهداء على أيدى الإرهابيين فى عمليات إرهابية متكررة، كان آخرها وأشدها بشاعة عملية الروضة فى شمال سيناء التى هزتنا جميعاً وهزت العالم، وكررت أشد عبارات التنديد التى وردت من السكرتير العام للأمم المتحدة السيد أنطونيو غوتيريش وأيضا من مجلس الأمن الدولى، وتضامنهم مع مصر وشعبها وحكومتها فى مواجهة هذه الآفة، آفة الإرهاب. كما أشارت إلى أن الاحتفال باليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى أقر من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بداية من سنة 1977 واستمرت الجمعية العامة فى إقرار هذا اليوم للتضامن مع الشعب الفلسطينى فى قرارات لاحقة وكل القرارات التى تشمل أو تهم القضية الفلسطينية.

كما نوهت بالجهود المستمرة والدؤوبة للجامعة العربية سعياً منها إلى تسوية شاملة وحل سلمى للقضية الفلسطينية بجميع جوانبها من خلال إنهاء الاحتلال الإسرائيلى، وإعمال حقوق الشعب الفلسطينى، بما فى ذلك حقه فى تقرير المصير والاستقلال، وتحقيق الحل القائم على وجود دولتين وفقاً لقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، فى إطار مبادرة السلام العربية التى لا تزال تشكل إسهاماً كبيراً فى هذه التسوية المنشودة. وثمنت راضية عاشورى الدور المحورى الذى ما فتئت تلعبه مصر وقيادتها والجهود الجديرة بالثناء التى تبذلها القاهرة خدمة للقضية الفلسطينية، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر، وساطتها الإيجابية والمثمرة نحو تحقيق المصالحة والوحدة الفلسطينية وإعادة غزة إلى السيطرة الكاملة للسلطة الفلسطينية الشرعية والتى كللت بالتوصل إلى تفاهمات بين فتح وحماس فى القاهرة فى 17 سبتمبر 2017 وبتوقيع الطرفين على اتفاق فى 12 أكتوبر 2017 الذى يمكن الحكومة الفلسطينية من استئناف مسئولياتها فى غزة.

وبالعودة إلى هذا اليوم، اليوم الدولى للتضامن مع الشعب الفلسطينى، فهو فرصة لأن يقف العالم على حقيقة أن قضية فلسطين لا تزال قائمة، وأن الشعب الفلسطينى لم يحصل بعد على حقوقه غير القابلة للتصرف على الوجه الذى حددته الجمعية العامة، وهى الحق فى تقرير المصير دون تدخل خارجى، والحق فى الاستقلال الوطنى والسيادة، وحق الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التى أُبعدوا عنها. وهو فرصة أيضا لإعادة تأكيد موقف الأمم المتحدة الثابت بضرورة تحقيق حل عادل ودائم للقضية الفلسطينية وإنهاء محنة شعب فلسطين المستمرة منذ سبعة عقود.

الحق فى التنميـة بين النظريـة والتطبيـق

ينتمي الحق في التنمية، كحق من حقوق الإنسان، إلى ما يسمى بالجيل الثالث في تصنيف هذه الحقوق من حيث: حقوق مدنية وسياسية وأخرى اقتصادية واجتماعية وثقافية ثم حقوق الشعوب، والتي تشمل حق الشعوب والأمم في تقرير مصيرها وحقها في السيطرة على ثرواتها ومواردها الطبيعية، وكلا الحقين من الحقوق التقليدية في القانون الدولي لحقوق الإنسان، وذلك بجانب حقوق أخرى للشعوب يطلق عليها وصف «الحقوق التكافلية»، وهي الحق في التنمية والحق في السلام والأمن والحق في بيئة نظيفة. ويعتمد تصنيف حقوق الإنسان على النحو السابق على نظرة مستقبلية لهذه الحقوق وأولويات حمايتها.

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

وقد جـــرت محـــاولات حثيثة على مدى العقود الماضيـــة لصياغة قانونية متماسكة للحق فى التنمية بوصفه ترجمة لتغيرات كبيرة فى مفاهيم الحياة، كما أنه يتطلب– للوفاء به وكفالته– مساهمات فعالة من جانب الأفـــراد والجماعات، بجانب الـــدول والمجتمع الدولى عموماً. ولقد انعكس التصنيف السابق لحقوق الإنســـان على مضمون التزامات الدول وأساليب الرقابة على ضمان احترام هذه الحقوق فى التنظيمين العالمى والإقليمى لحقوق الإنســـان على السواء. وفى هذا الســـياق، جاءت الالتزامـــات المتعلقة بحمايـــة الحقوق المدنية والسياســـية محددة من حيث المضمـــون القانونى، وهو ما أدى إلى تســـهيل مهمة الرقابة عليها بفاعلية، بينما اتســـمت التزامات الدول بشأن حماية الحقوق الاقتصادية والاجتماعيـــة والثقافيـــة بالغموض، وصيغت فى عبـــارات تعوزهـــا الدقة والوضوح من الناحيـــة القانونية، وهو ما انعكس على نوعيـــة أجهزة الرقابة المعنية بضمانها وحمايتها. وهكذا ففى ظل التنظيم الأوروبى لحقوق الإنســـان تم ضمان الحقوق المدنية والسياســـية بموجب اتفاقية دولية ملزمة (الاتفاقية الأوروبيـــة لحمايـــة حقوق الإنســـان والحريات الأساســـية)، بينما خصصت وثيقـــة أخرى أقـــل إلزامـــاً للحقوق الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة والثقافية هى الميثـــاق الاجتماعى الأوروبى. وعلى الصعيد العالمى تم تبنى الشيء ذاته.

والواقع أنه على مدى العقود الأربعة الأخيرة شـــكل الحق فى التنمية جزءاً من المناقشة الدولية حول حقوق الإنسان، إلا أنه لم يدخل حتى الآن فى مجال التطبيق الفعـــلى، حيث أظهرت الـــدول المتقدمة مقاومة لا يســـتهان بها للاعتراف بهذا الحق كأحد حقوق الإنســـان على أساس عدم وجـــود مفهوم واضـــح ومحدد لما يقصد بالتنمية كحق من حقوق الإنسان، وأنه– لذلك– يصعب وضع نظام قانونى عالمى ملـــزم لضمان احترامـــه كنتيجة طبيعية لحقيقة اســـتحالة ضمانه لكل الأفـــراد فى وقت واحد، بســـبب التفاوت الكبير فى معدلات النمو والظروف الخاصة بكل دولة. ونعرض هنا النقاط التالية:

أولاً: الحق فى التنميـــة فى إطار الأمم المتحدة.

ثانياً: آليـــات الأمم المتحدة فى التعامل مع الحق فى التنمية.

ثالثـــاً: إعمال الحـــق فى التنمية على المستويين الوطنى والدولى.

رابعـــاً: إعمال الحـــق فى التنمية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.

أولاً: الحق فى التنمية فى إطار الأمم المتحدة

يجد الحق فى التنمية أصوله فى أعمال أجهزة الأمم المتحـــدة، التى أولت أهمية كبرى لمسألة التمتع بالحقوق الاقتصادية والاجتماعيـــة والثقافيـــة. ومنذ دورتها الثالثة والثلاثين، اهتمت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، والتى حل محلها مجلس حقوق الإنسان، بالحق فى التنمية، وأجرت بشأنه دراسات متعددة، من أبرزها تلك الخاصة بالأبعاد الدولية للحق فى التنمية بوصفه حقاً من حقوق الإنسان. فقد أكدت هذه الدراســـة الصلة الوثيقة بين حقوق الإنســـان بصفة عامة وواجب ومسئولية كافة أعضـــاء المجتمع الـــدولى فى خلق الظروف الضرورية للتمتع الكامل بهذه الحقوق. كذلك أوضحت الدراسة صعوبة الفصل بين الأبعـــاد «الداخلية» والأبعاد الدولية للتنمية. وفى هذا السياق، أوردت الدراسة سلســـلة من الحجج الأخلاقية التى تبرر وجود الحـــق فى التنمية، وأنه توجد مجموعة من المبادئ المستخلصة من الوثائـــق الدولية، التى تبرهن على أن حق الإنســـان فى التنمية من الحقوق القائمة اليـــوم بموجب القانـــون الدولى لحقوق الإنســـان. أيضاً تشـــير الدراسة إلى أن مسألة معرفة ما إذا كان الحق فى التنمية هو حق فـــردى أم جماعى أو حق فردى وجماعى فى آن واحد، لا ينبغى بالضرورة أن تطرح على أنها خيار ما بين مفهومين، ولكن من الضرورى إيجاد توازن معقول ما بين مصالح الجماعة ومصالح الفرد، والمشـــاركة الكاملة فى اتخاذ قرارات من شأنها السماح بتحقيق هذا التوازن. ولا شك فى أن المستفيدين من الحق فى التنمية يمكن أن يكونوا دولاً أو شعوباً أو أقليات أو أفراد، كما أن الالتزامات الناجمة عنه يمكن أن تدخـــل فى عداد الالتزامات التى يتحملها المجتمع الدولى والمنظمات الدولية

والدول والمجتمعات والأفراد.

وترتبط الأبعاد الدولية للحق فى التنمية بأربعة مفاهيم خاصة هي: حقوق الإنسان الأخرى، الحق فى السلام، مقتضيات إنشاء نظام اقتصادى دولى جديد والحاجات الإنسانية الأساسية. وفيما يتعلق بالمفهوم الأول، تعترف الدراسة المشار إليها بأن استراتيجية التنمية المؤسسة على الكبت والفساد السياسى وإنكار حقوق الإنسان يمكن أن تساهم فى تحقيق بعض الأهداف الاقتصادية، إلا أنها لن تستطيع أن تقود، بأى حال، إلى تنمية كاملة وحقيقية. وبالنسبة للمفهوم الثانى، فقد ثبت أن نزع السلاح ووقف سباق التسلح، هو أحد الشروط الأساسية لإقرار الحق فى السلام والحق فى التنمية. وبالنسبة للعلاقة بين الحق فى التنمية ومقتضيات نظام اقتصادى دولى جديد، لفتت الدراسة الانتباه إلى القرار رقم 130/ 32 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، الذى أكد على أن إقرار نظام اقتصادى عالمى جديد يعد عنصراً رئيسياً للتعزيز الفعال لحقوق الإنسان والحريات الأساسية. وتشير الدراسة إلى ضرورة كفالة الحق فى التنمية داخل الدول تدريجياً، كما أن إقرار نظام اقتصادى عالمى جديد لا ينبغى أن يكون غاية فى ذاته، بل وسيلة لضمان مزيد من العدالة والتمتع الأمثل بحقوق الإنسان للشعوب والأفراد، وعلى ذلك ينبغى استكمال النظام الاقتصادى العالمى الجديد بنظام اجتماعى على المستويين الدولى والوطنى.

وتؤكد الدراسة أن تعزيز احترام حقوق الإنسان ينبغى أن يكون هدفاً أساسياً من أهداف الإستراتيجية الدولية الجديدة للتنمية، والقضايا الأكثر أهمية التى ينبغى نظرها فى هذا المحتوى، تتمثل– بصفة خاصة– في: الوسائل التى من شأنها جذب الانتباه بصورة مباشرة إلى حقوق الإنسان فى العلاقات الخاصة بكل جوانب التنمية، وضرورة التنسيق الأمثل للأنشطة التى تقوم بها أجهزة الأمم المتحدة فيما يتعلق بهذه الحقوق. وهكذا، توجت المناقشات الخاصة بالحق فى التنمية فى إطار المنظمة العالمية بإقرار الإعلان الخاص بالحق فى التنمية من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 4 ديسمبر عام 1986 (القرار رقم 41/128) للجمعية العامة بأغلبية كبيرة من الدول. وقد تم تأكيد الحق فى إطار أعمال المنظمة العالمية بموجب وثائق عديدة منها إعلان «ريو» حول البيئة والتنمية (1992) وإعلان فيينا وبرنامج العمل الذى تم إقراره بالتوافق عام 1993، والذى صدر عن المؤتمر العالمى لحقوق الإنسان، والذى أشير فيه إلى الحق فى التنمية كحق عالمى وغير قابل للتصرف وجزء لا يتجزأ من الحقوق الأساسية للإنسان، وذلك بجانب وثائق دولية أخرى عديدة، بما فيها وثائق رئيسية للسياسات صدرت عام 2015، بما فيها أجندة خطة عمل أديس أبابا الصادرة عن المؤتمر الدولى الثالث حول التمويل من أجل التنمية وأجندة 2030 حول التنمية المستدامة واتفاق باريس حول تغير المناخ، ووثائق أخرى عديدة أشار إليها السيد السفير سعد الفرارجى المقرر الخاص للحق فى التنمية فى تقريره حول الحق.

ومما لا شك فيه إن الإعلان الخاص بالحق فى التنمية، بالرغم من عدم إلزاميته من الناحية القانونية، يمثل خطوة مهمة على طريق بلورة المضمون القانونى لهذا الحق، والذى يعرفه الإعلان بأنه «حق من حقوق الإنسان غير قابل للتصرف، بموجبه لكل إنسان ولكل الشعوب المشاركة والمساهمة فى، والتمتع بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية حيث تتحقق على نحو شامل كافة حقوق الإنسان والحريات الأساسية (المادة 1/1 من الإعلان). ويضيف الإعلان أن حق الإنسان فى التنمية يحمل فى طياته التحقيق الكامل لحق الشعوب فى تقرير مصيرها، والذى يشمل، وفقاً للنصوص ذات الصلة فى العهدين الدوليين لحقوق الإنسان، ممارسة حقها غير القابل للتصرف فى السيادة الكاملة على مواردها وثرواتها الطبيعية (المادة 2/1 من الإعلان). والواقع أن هناك اعترافاً متزايداً من قبل العديد من الدول بالعلاقة الوثيقة والاعتماد المتبادل ووحدة فئات حقوق الإنسان. ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا السياق، أنه على صعيد التنظيم الدولى الإقليمى، انفرد الميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب بأنه الوثيقة الإقليمية الوحيدة التى نصت على الفئات الثلاث من حقوق الإنسان، معتنقاً بذلك مفهوماً عاماً وشاملاً لحقوق الإنسان. فالحقوق المدنية والسياسية، من وجهة نظر الميثاق الأفريقى، لا يمكن فصلها عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما أن الوفاء بهذه الأخيرة يضمن التمتع بالحقوق المدنية والسياسية. وبجانب هذه الحقوق الفردية للإنسان، نص الميثاق على حقوق جماعية للشعوب (المواد من 19 إلى 24) من بينها الحق فى التنمية (م 22). فوفقاً لإعلان الحق فى التنمية، فإن الدول تتحمل المسئولية الأولى لخلق الظروف الداخلية والدولية المناسبة لتحقيق الحق فى التنمية (المادة 3). وتشير تقارير الفريق رفيع المستوى المعنى بتنفيذ الحق فى التنمية، فإن المسئولية عن إنشاء هذه البيئة تتضمن مستويات ثلاثة:

– التصرفات الجماعية للدول من خلال شراكاتها على المستويين العالمى والإقليمى (المادة 3 وديباجة الإعلان).

– تصرفات الدول فرادى من خلال اعتماد وتنفيذ سياسات تؤثر على الأشخاص غير الخاضعين لولاياتها بالمعنى الدقيق.

– أعمال الدول فرادى ممثلة فى صياغة سياسات تنموية وطنية وبرامج تؤثر على الأشخاص الخاضعين لولايتها.

ثانياً: آليات الأمم المتحدة فى التعامل مع الحق فى التنمية

فى عام 1998، أنشأت الأمم المتحدة مجموعة عمل مفتوحة العضوية حول الحق فى التنمية، تلتقى مرة فى العام وتقدم تقارير إلى مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة للأمم المتحدة. وتتلخص ولاية عمل مجموعة العمل فى الآتي:

– مراقبة ومراجعة التقدم المحرز على صعيد تعزيز وتنفيذ الحق فى التنمية على المستويين الوطنى والدولى، وتقديم التوصيات ذات الصلة بجانب تحليل العقبات أمام كفالة التمتع به كاملاً.

– مراجعة التقارير وغيرها من المعلومات الأخرى الواردة من الدول ووكالات الأمم المتحدة المعنية، ومن المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية الأخرى، حول العلاقات بين

أنشطتها والحق فى التنمية.

- تقديم تقرير موسمى لمجلس حقوق الإنسان حول مشاورات المجموعة، بما فى ذلك المشورة بمكتب المفوض السامى للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، فيما يتعلق بتنفيذ هذا الحق، واقتراح البرامج الممكنة للمساعدات الفنية بناء على طلب البلدان المعنية بهدف تعزيز عملية تنفيذ هذا الحق.

وحتى أبريل 2010، كان يتم دعم مجموعة العمل من فريق عمل عالى المستوى حول تنفيذ الحق فى التنمية، أنشئ عام 2004 ويضم خمسة خبراء مستقلين، وذلك لتقديم المشورة لمجموعة العمل. وبناء على طلب هذه الأخيرة، اقترح فريق العمل مجموعة من المعايير العملياتية لوضع الحق موضع التنفيذ. وتجدر الإشارة إلى أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 48/141، المنشئ للمفوض السامى لحقوق الإنسان، نص صراحة على أن تشمل ولايته «تعزيز وحماية إعمال الحق فى التنمية وتعزيز دعمه من الأجهزة المعنية فى نظام الأمم المتحدة». ولقد تم التأكيد على الحق فى التنمية باستمرار من قبل كل من الجمعية العامة ومجلس حقوق الإنسان، اللذين يطلبان من الأمين العام ومن المفوض السامى لحقوق الإنسان تقريراً سنوياً حول مدى التقدم فى مسألة تنفيذ الحق فى التنمية، بما فى ذلك أنشطة تستهدف تعزيز الشراكة العالمية للتنمية بين الدول الأعضاء ووكالات ومؤسسات التنمية والتمويل والتجارة الدولية. والواقع أن القيمة المضافة للحق فى التنمية تتمثل فى أن هذا الحق يقدم إطاراً شاملاً ومقاربة للسياسات والبرامج لكل المعنيين، على المستويات العالمية والإقليمية ودون الإقليمية والوطنية، تقوم على أن هذا الحق يدمج جوانب حقوق الإنسان، المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فى بوتقة واحدة، كما يتطلب مشاركة فعالة من الجميع ويلقى مسئوليات وطنية ودولية على عاتق الدولة، بما فى ذلك تهيئة بيئة قادرة على التنمية وظروف مواتية للتمتع بحقوق الإنسان كافة، كما يتطلب سياسة تنموية شاملة مركزها الإنسان وعمليات تنمية بالمشاركة وعدالة اجتماعية ومساواة، وتعزيز العلاقات الودية بين الدول والتضامن الدولى والتعاون والمساعدة المتبادلة فى المجالات ذات الاهتمام بالنسبة للدول النامية، بما فى ذلك نقل التكنولوجيا.

ثالثاً: إعمال الحق فى التنمية على المستويين الوطنى والدولى

كما سبقت الإشارة فإن إعمال الحق فى التنمية هو المسئولية الأولى للدولة تجاه مواطنيها على المستوى الداخلى، من خلال تبنى السياسات المناسبة، غير أنه على المستوى الدولى، تشير المناقشات الخاصة بالحق فى إطار الأجهزة المعنية فى إطار الأمم المتحدة إلى أهمية الحكم الرشيد فى تسهيل التمتع بهذا الحق، كما تشير أيضاً إلى أن الحق فى التنمية يخلق حقاً فى تهيئة بيئة دولية أكثر ملاءمة للتنمية. وفى هذا السياق، وعلى المستوى المفاهيمى، يمكن تفهم فكرة أن هناك التزامات مؤسسة على واجب عام بالمعاونة والمساعدة للنهوض باحتياجات مهمة واحترام الكرامة الإنسانية. وكما نصت المادة 2/4 من إعلان الحق فى التنمية، هناك واجب عام على الدول بالتعاون، لا سيما الواجب الملقى على المجتمع الدولى والدول المتقدمة تجاه الدول النامية، وفضلاً عن ذلك، يمكن القول بأن إشارة العديد من الوثائق العالمية والإقليمية إلى الحق فى التنمية تعنى أن هذا الحق يشكل جزءاً من الإطار الدولى لحقوق الإنسان، فضلاً عن استيفائه المتطلبات الإجرائية، باعتبار أنه أقر من قبل الجمعية العامة والأمم المتحدة، وتأكد لاحقاً فى مؤتمرات دولية، بما فيها قمة الألفية، لكى يصبح حقاً من حقوق الإنسان المعترف بها دولياً.

ومع ذلك، ومن الناحية العملية، من الصعوبة بمكان تحديد مثل هذا الالتزام ووضعه موضع التنفيذ. بل إن خلق «البيئة الدولية الأكثر ملاءمة لإعمال الحق فى التنمية يبدو غامضاً للغاية ومحل جدل كبير فى خلق مثل هذه البيئة، وكيف يمكن لفرد أو دولة أن تشكو المجتمع الدولى بسبب هذا الفشل؟ وكيف يمكن للدول فرادى، سواء من خلال أنشطتها الثنائية أو كأعضاء فى منظمات دولية، أن تقوم بتقييم مسألة ما إذا كانت قد نهضت بواجبها بالتعاون الدولى وبخلق البيئة الدولية الأكثر مواءمة لإعمال الحق فى التنمية؟

وفضلاً عن ذلك، لا توجد معايير أو مؤشرات واضحة حول كيفية إعمال هذا الحق من خلال سياسات مناسبة دولية ووطنية. وحتى بفرض وجود توافق حول مضمون هذه السياسات، كيف يمكن للمستفيدين من الحق فى التنمية أن يضعوا الحق موضع التنفيذ أو مراقبة عملية التنمية ومحاسبة من عليهم واجب هذا التنفيذ. والواقع أنه من المنطقى القول بأن الحق فى التنمية أعطى للدول النامية صلاحية قانونية وأخلاقية للمطالبة بإعادة توزيع دولى للموارد، وهو ما لم يتحقق فى الواقع العملى، حيث تستخدم الدول المتقدمة والنامية على السواء الحق من منظور مصالحها الخاصة.

من ناحية أخرى، غالباً ما يتم تفسير إعلان الحق فى التنمية على أنه يتضمن واجباً بتقديم المساعدة الدولية، والتى يمكن اعتبارها التزاماً قانونياً، بما لذلك من تداعيات عملية كبيرة على سياسات وممارسات التنمية. ومع ذلك، فإن مثل هذا الالتزام لا يعدو - من وجهة نظر الدول المتقدمة- أن يكون أخلاقياً أو سياسياً ولا يمكن النظر إليه كالتزام وفقاً للقانون الدولى.

لقد لخص السيد السفير سعد الفرارجى المقرر الخاص للحق فى التنمية، فى تقريره، السابق الإشارة إليه، ومن واقع مشاوراته الواسعة مع المعنيين بهذا الحق، التحديات الرئيسية التى تعوق إعمال الحق فى التنمية والتى تشمل: التسييس، والافتقاد إلى الانخراط لوضع الحق موضع التنفيذ والاتجاهات العالمية المعاكسة كالأزمات الاقتصادية والمالية العالمية وأزمات الطاقة وتغير المناخ وتزايد الكوارث الطبيعية والفساد وخصخصة المرافق العامة وغيرها، مشيراً إلى أن صعود التوجهات القومية ونبذ التضامن والتعاون الدوليين قد يقود إلى المزيد من ضعف الحوكمة العالمية. ويؤكد المقرر الخاص- بحق- أن مواجهة هذه التحديات تستوجب جهوداً منسقة من كافة اللاعبين على المستويين الوطنى والدولى.

رابعاً: إعمال الحق فى التنمية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة:

رغم غموض واتساع مضمون الحق فى التنمية، وتوقف التمتع به على العديد من العناصر التى لا تملكها دولة بذاتها،

على النحو السابق الإشارة إليه، حيث يلعب التعاون الدولى دوراً مهماً فى هذا المجال، يشير البعض إلى أن هذا الحق يمكن أن يكون موضوعاً لانتهاكات خطيرة وممتدة لحقوق الإنسان. ويصدق ذلك، وبصورة صارخة، على الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة حيث يعد الشعب الفلسطينى بمثابة مثال واضح فى هذا الشأن. فقد شهدت العقود الخمسة التى مضت على احتلال إسرائيل للأراضى العربية المحتلة فى فلسطين، بما فيها القدس الشرقية، تراجعاً كبيراً للحق فى التنمية، وكبح الإمكانيات البشرية وإنكار الحق فى التنمية، وعدم قدرة الاقتصاد على استخدام ثلث قواه العاملة، وارتفاعاً بالغاً لمعدل البطالة بين النساء والشباب. ففى عام 2016، شهدت الأرض الفلسطينية المحتلة تدهور الأوضاع الإنسانية، وتناقص الدعم المقدم من الجهات المانحة، واستمرار التدابير التقييدية المفروضة فى ظل الاحتلال. وسرعت إسرائيل من توسيع المستوطنات، فى انتهاك لقرار مجلس الأمن 2334. وينبغى على المجتمع الدولى أن يفى بمسئوليته عن دعم الشعب الفلسطينى كى يصمد أمام محن الاحتلال الممتد. إن النمو الملاحظ للناتج المحلى الإجمالى ينبغى ألا يحجب الحقيقة الاقتصادية المرة للتآكل الجارى للقاعدة الإنتاجية والفقدان المستمر للأراضى والموارد الطبيعية بسبب إقامة المستوطنات وضم الأراضى فى الضفة الغربية، فضلاً عن تجزؤ الاقتصاد إلى أسواق ومناطق غير مترابطة، وفرض إسرائيل قيوداً على استيراد مداخلات الإنتاج الأساسية، وكل هذه الأمور تزيد تكاليف الإنتاج، وتخفض الاستثمار، وتضع الاقتصاد بشكل محتوم على مسار مشوه من البطالة الشديدة والفقر الواسع الانتشار.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد) كان قد أعد، فى عام 2016، مذكرة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن التكاليف الاقتصادية للاحتلال الإسرائيلى بالنسبة للشعب الفلسطينى، وفقاً لقرار الجمعية العامة 20/69. وأبرزت المذكرة حقيقة أن الاحتلال يفرض تكاليف اقتصادية باهظة على الشعب الفلسطينى، وشددت على ضرورة وضع إطار منهجى، وقائم على الأدلة، وشامل ومستدام داخل منظومة الأمم المتحدة لتقدير التكاليف الاقتصادية للاحتلال، بوصف ذلك خطوة أساسية فى التصدى لأضراره وتحقيق أهداف التنمية المستدامة فى الأرض الفلسطينية المحتلة وإقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط. وأشارت المذكرة إلى أن حجم الاقتصاد الفلسطينى كان يمكن أن يكون ضعف حجمه الحالى لو لم يكن هناك احتلال. وهناك منظمات عديدة وتقارير ودراسات مختلفة تؤكد ضخامة الكلفة الاقتصادية للاحتلال. فمنذ فترة جد قريبة، أشار صندوق النقد الدولى إلى أنه لو لم يكن هناك احتلال لكان نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى الحقيقى فى الأرض الفلسطينية المحتلة أكبر بنسبة 40٪ تقريباً مما هو عليه حاليا، وذلك فى أكثر الافتراضات تحفظاً، فى حين أشارت منهجية أخرى أيضاً إلى أن ناتج الفرد فى الأرض الفلسطينية المحتلة فى الفترة 1994 – 2014 نما بمعدل لا يذكر قدره 0.1٪، وخلصت إلى أنه لو استمر فى النمو بمعدل 4.4٪ وهو الاتجاه الملاحظ فى الفترة من 1968 – 1987 عندما كانت الحدود مفتوحة بشكل أكبر، لكان نصيب الفرد من النتائج المحلى الإجمالى الحقيقى حالياً أكبر بنسبة 130٪ (صندوق النقد الدولى – 2016). ومما تجدر الإشارة إليه أنه فى السنوات القليلة الماضية، عانى الاقتصاد الفلسطينى من صدمة خارجية سلبية أخرى، فى شكل انخفاض الدعم المقدم من الجهات المانحة بنسبة 38٪ فى الفترة 2014 2016–، من 1.23 مليار دولار إلى 757 مليون دولار، وينتظر أن ينخفض هذا الدعم كذلك بنسبة 13٪ فى عام 2017 (صندوق النقد الدولى 2017–). ويعود أحد أسباب ضعف التزام الجهات المانحة إلى أن الاحتلال حال دون تحول المعونة إلى مكاسب إنمائية. فقد أعطيت الأولوية للتعامل مع الأضرار الطارئة وعمليات التدخل الإنسانى ودعم الميزانية على حساب دعم التنمية.

وبهذا المعنى، فإن العدوانية المتزايدة للاحتلال تمثل عائقاً ثنائياً لأنها لا تتيح للشعب الفلسطينى إمكانية الوصول إلى موارده الطبيعية والاقتصادية، وفى الآن ذاته، لا تشجع الجهات المانحة على تقديم الدعم لكونها تقلل المكاسب الإنمائية إلى الحد الأدنى، وبالتالى، فإن الاحتلال قوض فعالية السياسات الإنمائية الاعتيادية التقليدية ووضع الاقتصاد الفلسطينى على مسار نمو مشوه فريد من نوعه، يؤدى فيه الإنفاق الحكومى الممول من الجهات المانحة دوراً حاسماً فى الإبقاء على مستوى أدنى من الطلب الكلى. ومن المهم التأكيد على أن إقامة المستوطنات الإسرائيلية هى انتهاك للقانون الدولى العام وعقبة كؤودة أمام تمتع الشعب الفلسطينى بالحق فى التنمية، وهو ما أكدته مقررات عديدة صادرة عن الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة المعنية. وفى ذات السياق اعتمد مجلس الأمن فى 23 ديسمبر 2016 القرار 2334 والذى نص على أن المجلس:

1 – «يؤكد من جديد أن إنشاء إسرائيل للمستوطنات فى الأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967، بما فيها القدس الشرقية، ليس له أية شرعية قانونية ويشكل انتهاكاً صارخاً بموجب القانون الدولى وعقبة كبرى أمام تحقيق حل الدولتين وإحلال السلام العادل والدائم والشامل».

2 – «يكرر مطالبته إسرائيل بأن توقف فوراً وعلى نحو كامل جميع الأنشطة الاستيطانية فى الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية».

ورغم قرار مجلس الأمن، قامت إسرائيل بتكثيف توسيع المستوطنات والوحدات السكنية فى الضفة الغربية المحتلة فى عام 2017. وفى عام 2016، كان بناء الوحدات السكنية فى هذه المستوطنات أعلى بنسبة 40٪ منه فى عام 2015، وثانى أعلى مستوى منذ عام 2001 (منظمة العمل الدولية – 2017). وتم الإعلان عن المزيد من الخطط لبناء أكثر من 5000 وحدة سكنية جديدة ولإضفاء الشرعية على4000 وحدة فى المستوطنات والبؤر الاستيطانية.

وارتباطاً بالنقطة السابقة، تجدر الإشارة إلى أنه فى السنوات الأخيرة، لم يزد معدل نمو سكان المستوطنات على المعدل فى إسرائيل فحسب، بل أيضاً على معدل نمو السكان الفلسطينيين.

وازداد سكان المستوطنات بأكثر من الضعف منذ اتفاق أوسلو فى عامى 1993 و 1995، ويبلغ عددهم حالياً ما بين 600.000 و750.000. وتشجع إسرائيل على الاستيطان وتقدم الحوافز لفرادى المستوطنين وللصناعات من خلال توفير السكن والتعليم والمزايا الضريبية.

إن إحدى أقسى عواقب الاحتلال هى البطالة التى يظل معدلها دائماً من بين أعلى المعدلات فى العالم. وفى عام 2016، ظل معدل البطالة مرتفعاً للغاية، إذ بلغ 18٪ فى الضفة الغربية، و42٪ فى غزة و27٪ فى الأرض الفلسطينية المحتلة، أى أكثر من ضعف المتوسط الإقليمى (منظمة العمل الدولية 2017، والبنك الدولى 2017). ولكن، مهما كان المعدل الرسمى للبطالة مرتفعاً، فإنه لا يعكس بصورة كاملة العمق الحقيقى للمشكلة وما يرافقها من معاناة وهدر للموارد البشرية.

المراجع:

– أقرت لجنة الوزراء التابعة لمجلس أوروبا هذه الاتفاقية في 4 نوفمبر عام 1950 ودخلت حيز النفاذ في 3 سبتمبر عام 1953، وتضم الاتفاقية اليوم جميع الدول الاعضاء في منظمة مجلس اوروبا.

– اعترفت الدول الاعضاء في مجلس أوروبا رسميا بالميثاق الاجتماعي الاوروبي على انه ملحق للاتفاقية الاوروبية لحقوق الانسان والحريات الاساسية في المجال الاجتماعي. وقد طرح الميثاق للتصديق عليه في 18 اكتوبر عام 1961 ودخل حيز النفاذ عام 1965.

راجع:

.The European Social Charter: Origin, Operation, Results, Council of Europe – Strasbourg, 1981

– العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الصادرين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1966.

– حول الخلفية التاريخية للحق في التنمية والوثائق الدولية التي أشارت اليه، أنظر التقرير الشامل الذي اعده السيد السفير سعد الفرارجي المقرر الخاص للحق في التنمية – والذي تولي مهمته اعتباراً من أول مايو 2017 ، ولمدة ثلاث سنوات، بموجب قرار مجلس الامم المتحدة لحقوق الانسان رقم 14/33 ،الصادر في 29 سبتمبر 2016،وثيقة A/HRC/36/49 الفقرات من الفقرات من 5 الي 7، وكذلك الفقرات من 24 الي 28 من التقرير.

وتجدر الاشارة الي ان قسم الحق في التنمية يقع تحت مظلة « فرع المسائل التنموية والاقتصادية والاجتماعية» التابع لقسم البحوث والحق في التنمية (RRDD) بمكتب المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الانسان.

– راجع وثائق الأمم المتحدة E/CN.4/1334.

– راجع على سبيل المثال المواد 1 و 55 و 56 من ميثاق الامم المتحدة والمادتان 22 و 28 من الاعلان العالمي لحقوق الانسان و 1 و 6 من الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية والمادة الاولي من الميثاق الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

– وثائق الامم المتحدة E/CN.4/SR.1483,P14.

– المرجع السابق – الفقرة (15).

– المرجع السابق – الفقرة (313).

– أيدت القرار 146 دولة وعارضته دولة واحده هي الولايات المتحدة الامريكية وامتنعت ثماني دول عن التصويت هي كل من المانيا واليابان والمملكة المتحدة والسويد والدانمرك وفنلندا وآيسلاند واسرائيل.

– الفقرات من 11 الي 21 من التقرير .

وانظر أيضاً:

Ambassador Hisham El-Zimaity's presentation before China International Seminar On the 30th Anniversary of the Adoption of the United Nations Declaration on the Right to Development (Beijing , 4th December 2016) – www.ecfa-egy.org .

– تم اعتماد الميثاق من قبل مجلس رؤساء الدول والحكومات الافريقية، خلال دورته العادية الثامنة عشرة في نيروبي في يونيو عام 1981 ، ودخل حيز النفاذ في 21 اكتوبر عام 1986 بعد تصديق 33 دولة عليه وفقاً لنص المادة 3/63 منه.

– A/HRC/15/WG.2/TF/2/ADD.2

– A/HRC/15/WG.2/TF/2/ADD.2

– Philip Alston, Conjuring Up New Human Rights: A proposal for Quality control, American Journal of International Law, Vol. 78, 1984.

– Bonny Ibhawoh: The Right To Development: The Politics and polemics of power and Resistance. Human Rights Quarterly, vol.33 (2011), pp 76-104. Johns Hopkins University Press.

– المرجع السابق – ص 102.

– وثائق الامم المتحدة : A/HRC/36/49,Para.30.

– Report of United Nations Conference on Trade and Development (UNCTAD)Assistance to the Palestinian people: Developments in the Economy of the Occupied Palestinian Territory – Trade and Development Board, Sixty – fourth Session, 11-22 September 2017 –TD/B/644.

– المرجع السابق _فقرة (5).

– المرجع السابق – فقرة (21).

– المرجع السابق – فقرة 31.

– المرجع السابق – فقرة 32.

– المرجع السابق – فقرة 36.

المفاعـلات النوويــة
ومستقبل الاستخدامات السلمية للطاقة النووية

اهتمت عدة دول على مدى السنوات الماضية بمسألة إعداد خطة لبناء جيل جديد من المفاعلات النووية لأغراض توليد الطاقة على مدى العقود القادمة، حيث تناولت الدوائر العلمية والأكاديمية موضوع الخطط الخاصة ببناء جيل جديد من المفاعلات النووية السلمية لمواجهة احتياجات الطاقة. قامت عدة دول فى هذا الإطار بتشكيل مجموعات استشارية من خبراء فى الطاقة، والبيئة، والاقتصاد، والنفايات النووية، والاستخدامات السلمية للطاقة النووية من مراكز الأبحاث العلمية وأبحاث الطاقة والعلوم والسياسات على المستوى العالمى.

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

يحظى موضوع تعزيز الإجراءات الخاصة بالأمن النووى بقدر كبير من الاهتمام الـــدولى والإقليمى فى المرحلة الراهنة فى ضوء إعلان العديد من الدول عن نيتها إطلاق برامج نووية لأغراض سلمية، وأيضاً بســـبب الآثار الوخيمة التى خلفها حادث فوكوشيما فى اليابان فى مـــارس 2011، مما دفـــع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وســـكرتير عام الأمم المتحدة بعقـــد مؤتمرات عديدة خاصة بالأمان النووى.

أولاً: العناصر اللازمة لبرامج الطاقة النووية:

- اســـتكمال البنية الأساســـية لمتطلبـــات أمان وتشـــغيل المحطات النووية ودراســـات الموقـــع متضمنة توفير منظومات رصد وتجميع البيانات الخاصة بالأرصاد الجويـــة والبيئية والبحرية والزلازل.
- تطوير الكـــوادر البشرية، وذلك من خلال التعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذريـــة فى العديد من المجالات منها إدارة المشروعات النووية وإعداد خطط الطـــوارىء والأمـــن والأمان النوويين.
- استكمال البنية الأساسية اللازمة من ميـــاه وصرف صحـــى وكهرباء واتصالات.
- التعـــاون مع الـــدول المصدرة للتكنولوجيا النووية روسيا/ الولايات المتحدة الأمريكية/ كوريا/ فرنسا.
- إعـــداد الاســـتراتيجية المتعلقة بإدارة التعامل مع الوقود المســـتنفد والنفايات النووية المشـــعة والتمويل والتصنيع المحلى والأمان النووى وإدارة الجودة للمشروع.
- أهمية تكريس الجهود فى مجالات البحث والتطوير ذات الصلة باستخدام التطبيقـــات الســـلمية للطاقة الذرية فى تعزيز التنمية المســـتدامة وخدمة المجتمع وذلك فى مجالات مثل الصحة، والغذاء، والزراعة، والصناعة، والثروات المعدنية، والموارد المائية على سبيل المثال لا الحصر.
- أهميـــة تعظيم الاســـتفادة من المرافـــق البحثية المتطـــورة فى هيئات الطاقـــة النووية فى كافة مجالات دورة الوقود النووى، والمفاعـــلات البحثية وتطبيقاتها المختلفـــة، وكذلك تطبيق الإشعاع فى كافة مجالات التنمية.

ثانياً: الجوانب الإيجابية والاستخدامات السلمية للطاقة النووية:

- التحسين الملحوظ فى اقتصاديات المحطات النووية وتكلفتها.
- انخفـــاض تكاليف التشـــغيل والصيانة للمحطات النووية.
- ارتفاع مستوى الأمان والاعتماد على عوامل الأمان الذاتية المتقدمة.
- ارتفاع كفاءة المفاعلات وقدرتها على إنتاج الطاقـــة بما يصل إلى 90٪ من سعتها الكاملة على مدار السنوات الماضية للتقـــدم التكنولوجى فى هذا المجال.
- إطالة عمر المفاعـــلات النووية التشغيلى إلى 60 عاماً بدلاً من 40 عاماً.

ثالثاً: الأهداف الاستراتيجية لبرامج الطاقة النووية:

- إضافة مصدر أســـاسى لتأمين وتنويع مصادر الطاقة الكهربائية.
- توفير البـــترول والغاز الطبيعى للأجيال القادمة.
- الحفاظ على البيئة من انبعاثات الغازات الدفيئة.
- المســـاهمة فى رفـــع المســـتوى التكنولوجى والصناعى للدول.
- تحقيق التنمية المستدامة.

رابعاً: دور الوكالة الدولية للطاقة الذرية:

1 - تلعـــب الوكالة الدولية للطاقة الذرية دوراً كبيراً فى دعم الاستخدامات السلمية للطاقة النووية للدول، وخاصة فى تلك الـــدول التى ما لبثت تتخذ أولى خطواتهـــا نحو تنفيذ برامج لإنشـــاء محطات نووية لتوليد الكهرباء وتحلية مياه البحر من خـــلال وضع المعايير والقواعد الإرشـــادية للأمـــان النووى

المطلـــوب تطبيقها للبرامـــج النووية ومشروعات إنتاج الكهرباء.

2 - كما تقوم بالمساهمة فى تطوير عناصر البنية التحتية وتأهيل الكوادر البشرية من خلال توفير المنح التدريبية وزيـــارات للخـــبراء وورش العمل فى مجالات الأمن النووى وحماية الإنسان من أخطار الإشعاعات.

3 - توفـــير الوكالة الدولية للطاقة الذريـــة كذلك فرصاً كبـــيرة للتعاون الدولى فى مجال الأمن والأمان النوويين، والاســـتفادة من الدروس الناجمة عن حادثة فوكوشـــيما باليابـــان والعمل على إيجاد الســـبل والأطـــر والأدوات الفنيـــة الدولية التى تســـمح بتبادل الخبرات والمعلومـــات اللازمة لتطوير البنية التحتية وتفعيـــل بناء القدرات الفنية والعلمية التى توفر أعلى معايير ومســـتويات الأمان والأمن النوويين فى دول العالم.

خامساً: مصير النفايات النووية:

1 - تعتبر مسألة النفايات النووية الناتجة عن تشـــغيل مفاعلات القدرة النوويـــة مثـــار جدل بـــين المؤيدين والمعارضين لاستخدام الطاقة النووية. فالمؤيدون، مثلا، يدعون بأن النفايات المشـــعة يقل نشـــاطها الإشعاعى مع الزمن، بينما النفايات الكيميائية السامة تبقى ســـامة، علماً بأن البحث العلمى أثبت أن تراجع النشـــاط الإشـــعاعى للنفايات يحتاج مئات الســـنين، تبقى خلالها مخازن النفايات المشعة مناطق خطر إشـــعاعى مســـتمر، إضافة إلى احتمال وقوع حـــوادث عرضية يمكن أن تـــؤدى إلى تسرب المـــواد النووية وإشعاعاتها. كما أن هذه الحوادث تمتد إلى مسافات شاســـعة وتستمر لأجيال عديدة بسبب طول عمر المواد المشعة، كما حدث بشكل واضح فى تشيرنوبيل.

2 - وتعانـــى الطاقـــة النوويـــة مثل باقى أنـــواع الطاقة الناضبة من محدوديـــة المواد المتوافـــرة لإنتاجها. فاليورانيوم الموجود فى الطبيعة يكفى لمـــدة لا تتجاوز أربعـــين عاماً أخرى للمفاعلات التى تســـتخدم اليورانيوم المخصب، وأطـــول من ذلك للمفاعلات السريعة. كما أن مفاعلات إعادة تصنيع الوقود يمكن أن تســـاهم فى إطالة مدة استخدام الطاقة النووية لعقود أخرى، ولكنها تضيف فى الوقت نفسه كميات مضاعفة بمئات المـــرات من النفايات المشـــعة التى تنتجها مفاعلات الطاقة النووية.

3 - ويتراوح معـــدل عمر المفاعل بين 30 و40 عامـــاً، ويصبح تفكيك المفاعل مصدراً آخر للنفايات المشعة. ويكلـــف تفكيك المفاعـــل، بعد انتهاء مدة اســـتغلاله، ميزانية مالية ضخمة جدا، لأن كافة المـــواد المكونة للمفاعل ملوثة إشـــعاعياً. كما يتطلب التفكيك والتخزين عناية فائقة، إضافة إلى إزالة تلوث المنطقة. وتقـــدر تكلفة تفكيك المفاعل بقدرة جيجا واط تقارب 10٪ و15٪ من تكلفة إنشاء مفاعل جديد. لذلك، تفضـــل معظم الدول الصناعية إغلاق المفاعـــل وإحاطته بالأســـوار المحكمة الملائمة وتركه مغلقاً، على أمل البدء بتفكيكه بعـــد مائة عام. ويقدر فى نهاية هذا القـــرن توقف نحو مائة مفاعل فى العالم من المفاعلات العاملة فى الفترة الحالية. ويتـــم حالياً إعادة تصنيع 10٪ فقط من الوقود المستهلك فى العالم بسبب التكلفة العالية لإعادة التصنيع بالمقارنة بســـعر اليورانيوم. إلا أن محدودية مصـــادر اليورانيوم الطبيعى فى العالم ستجعل فى القريب إعادة تصنيع الوقود عملية أساســـية وليست اختيارية. إن الأرقام التقريبية العالمية لاستهلاك الوقود النووى تصل إلى نحو 10 آلاف طن سنوياً.

4 - وهنـــاك على المســـتوى الدولى حالياً مرحلتان لإعداد النفايات المشعة من المفاعلات النووية للتخزين: المرحلة الأولى: التخزين المؤقت، والثانية: الدفن الدائم. فيخزن الوقود المستهلك أولا فى خزانات قرب المفاعـــل لمدة لا تقل عن ستة أشـــهر، وذلك للتخلص من الواد المشعة ذات عمر النصف القليل، ومن ثم يعاد تصنيع الوقود واســـتخدامه فى المفاعـــل. أما المرحلـــة الثانية فيتم فيها الدفن بمواصفات ومقاييس فنية معينة.

5 - إن تخزيـــن النفايات فى يومنا هذا لا يـــزال يعتبر تخزيناً مؤقتاً لحين إيجاد حل أفضل وأطول عمراً. فلا تزال اللجنة العلمية للأمم المتحدة الخاصة بتأثيرات الأشعة الذرية، غير قادرة على اقتراح طريقة مثلى للتخزين. فالتخزين على سطح الأرض أو تحتها يحتاج إلى مراقبة مستمرة. كذلك تستمر البحوث لغرض تقليل حجم النفايات المشـــعة قدر الإمكان، مثل تحول المواد المشعة السائلة إلى صلبة.

6 - ويضيـــف تخزيـــن النفايات بعيداً عن موقع المفاعلات عاملا آخر إلى المخاطر بسبب عملية نقل النفايات إلى موقع التخزين (فوق أو تحت الأرض)، لذلك تستخدم صهاريج ضخمة قرب موقع المشاعل تسع ملايين اللترات من النفايات الســـائلة، وتعتبر حلاً مؤقتاً يدوم بين 15و 40 ســـنة وهو معدل عمر الصهريج.

7 - أما طريقة العزل الجيولوجى، فتعتمـــد عـــلى اختيار موقـــع ملائم يبعـــد500 متر تحت ســـطح الأرض للتخلص من النفايـــات وعزلها لآلاف السنين. وأولى الخصائص الجيولوجية المطلوبة للموقع المختار هى عدم تواجد المياه الجوفية فيـــه، لأن ذلك قد يؤدى إلى اختـــلاط النفايات المشـــعة بالمياه الجوفيـــة وانتقالها معهـــا إلى مواقع أخرى غير ملائمـــة مثل منابع الأنهار. أما الخاصية الثانية، فهى ثبات قشرة الأرض فى الموقع وعدم وجود ما يشـــير إلى حـــدوث زلزال أو هـــزة أرضية فى تاريخ الموقـــع، لأن ذلك يؤدى أيضاً إلى تغير موقع النفايات وانتقالها إلى مواقع غير ملائمة.

8 - كما تم الاتجاه للتخزين فى قاع البحر لبعده عن يد الإنسان ونشاطه، ولاســـتقرار صخور ورواسب المنطقة جيولوجياً وكيميائياً، مع توافر المساحة الكبيرة، ودرجـــة التخفيف العالية فى حالة التسرب بسبب وفرة المياه. وتعتبر أهم مخاطر هذه الطريقة هى احتمال عودة هذه النفايات إلى الإنســـان عن طريق تلوث المياه والأسماك.

سادساً: التعامل مع النفايات النووية:

فى إطار البحث عن طرق للتعامل مع الوقـــود النووى المســـتنفد، تم فى

المفاعلات النووية ومستقبل الاستخدامات السلمية للطاقة النووية

بريطانيا إنشـــاء مفاعل نووى خاص لإعادة تصنيع الوقود النووى المستهلك (أو المســـتنفد) فى المفاعـــلات النووية لإنتاج القدرة الكهربائية. ويطلق على هذا المفاعل اســـم ثـــورب الذى يمثل الحـــروف الأولى من الكلمـــات التى تصف المفاعل وهى Thermal Oxide Reprocessing Plant

وقـــد اقترح المـــشروع فى منتصف السبعينيات من قبل الشركة البريطانية للوقود النـــووى، ووافقت بلدية كمبريا فى شـــمال انجلترا على موقع سلافيلد فى عام 1976، حيث تم إنجاز كافة مبانى المشروع ومتطلباتـــه فى فبراير 1992، حيث تكلف المشروع 1.85 مليار جنيه إسترلينى وأهم ما يميز مفاعلات إعادة تصنيع الوقود عن مفاعلات إنتاج القدرة الكهربائية هو أن كمية النفايات النووية الناتجة مـــن النـــوع الأول تزيد بعدة أضعاف. لذلـــك، تتردد الكثير من الدول المالكة للتقنية النووية فى الإقدام على البدء فى مشروع إنشـــاء مفاعل إعادة تصنيع الوقود، ويفضل معظمها تخزين وقودها المستهلك أو إرساله إلى الدول التى تملك مثل هذا المفاعل رغـــم التكلفة العالية لذلك، ويساعدها ذلك على تفادى مشاكل مواجهة الـــرأى العام ومنظمات حماية البيئة فيما يتعلق بالتلوث الإشـــعاعي؛ ويقدر أن كميـــات النفايات النووية فى بريطانيا فى التســـعينيات بلغت نحو 51.500 متر مكعب.

ولذلـــك، فقد اهتمـــت بريطانيا بمســـألة إعداد خطة لبناء جيل جديد من المفاعـــلات النووية لأغراض توليد الطاقة على مدى العقود القادمة، حيث تناولت الدوائر العلميـــة والأكاديمية موضوع خطـــط الحكومة البريطانية الخاصة ببناء جيل جديد من المفاعلات النووية الســـلمية لمواجهة احتياجات بريطانيا مـــن الطاقة. وتـــم فى هذا الإطار تشـــكيل مجموعة استشـــارية مستقلة بهدف دراسة خطط الحكومة البريطانية وإبداء الرأى المستقل وتضم هـــذه المجموعة ١٧ خبـــيرا فى الطاقة والبيئة والاقتصاد، والنفايات النووية، والاستخدامات السلمية للطاقة النووية من مراكز الأبحـــاث العلمية وأبحاث الطاقة والعلوم والسياسات بجامعات أوكسفورد ولنكستر وساكس.

سابعاً: الاستخدامات السلمية والمناطق الخالية من الأسلحة النووية:

1 - صاغت الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ عـــام 1975 مجموعة من المبادىء التى ينبغى أن تسترشـــد بها الـــدول فى إقامة المناطـــق الخالية من الســـلاح النووى، ثم جـــرى بعد ذلك توســـيع هذه المبادئ فى تقرير صدر بتوافق الآراء عن لجنـــة الأمم المتحدة لنزع السلاح عام 1999.

2 - وفى هذا الإطار، تم الاتفاق على أن تقام المناطق الخالية من الأســـلحة النووية على أســـاس ترتيبات تتوصل إليها الدول الموجودة فى المنطقة المعنية، على أن تصـــدر المبـــادرة لإقامة مثل هذه المنطقـــة عن الدول داخل المنطقة وحدها، وأن توافـــق عليها كل الدول الواقعة فيها. ويجب أن تشكل المنطقة كياناً جغرافياً تحـــد حدوده بوضوح من جانب الأطراف المحتملة للمعاهدة، وذلك عن طريق المشاورات مع الدول الأخرى المعنية.

3 - وتتضمن المبادئ المشـــار إليها تقديم المســـاعدة إلى الدول المعنية، بما فى ذلك مســـاعدتها عـــن طريق الأمم المتحدة، فى إطـــار الجهود التى تبذلها من أجل إقامة المنطقة، وأن تشارك كل الدول فى المنطقة المعنية فى المفاوضات. ويجب أن يقابل وضع المنطقة الخالية من الأســـلحة النوويـــة بالاحترام من جانب كل الـــدول الأطراف فى معاهدة إقامة المنطقـــة، وكذلك من جانب كل الدول خارج المنطقة، بما فى ذلك الدول النووية الخمس.

4 - ويجب فى هذا الإطار استشارة الدول النووية الخمس أثناء التفاوض حول المعاهـــدة وبروتوكولها من أجل تســـهيل عملية التوقيع أو التصديق عليها، وأن تأخذ عملية إقامة المنطقة فى الاعتبار جميع الخصائص ذات الصلة للمنطقة المعنية مـــع تحديد التزامات الأطراف بوضـــوح، وأن تكون ملزمة، قانونيا، بأن تكـــون الترتيبات متفقة مع مبادئ القانون الدولى وقواعده، بما فى ذلك اتفاقية الأمـــم المتحدة لقانون البحار.

5 - كما يجـــب أن تنص معاهدة المنطقة الخالية من الأســـلحة النووية على الحظر الفعال لتطوير أو صنع أو السيطرة على امتلاك أو تجربة أو وضع أو نقل الدول الأطراف فى المعاهدة لأى نوع من المتفجرات النووية لأى غرض. وأن تنـــص على أن الـــدول الأطراف لا تســـمح لأية دولة بـــأن تضع أية متفجـــرات نووية داخل المنطقة، وعلى التحقق الفعال من الوفاء بالالتزامات التى التزمت بها أطراف المعاهدة.

6 - وتتمثل الأهداف الرئيسية لإنشاء منطقة خالية من الأســـلحة النووية فى تخفيف حدة التوتـــر وحدة النزاعات الدائرة فى المنطقة، وتسوية الخلافات بالطرق السلمية والحوار والتفاهم. كما يهدف ذلك فى نشر الاســـتقرار والأمن على المســـتويين الإقليمى والدولى عن طريق المساهمة فى منع الانتشار الأفقى للأســـلحة النووية، والعمل على تعزيز الثقة والشـــفافية وتحسين العلاقات فيما بين دول المنطقة.

7 - من ناحية أخرى، فإن إنشـــاء مثل هذه المناطق يعمل على تســـهيل وتشـــجيع التعاون فى مجـــال تنمية الطاقـــة النوويـــة واســـتخدامها فى الأغراض السلمية، ســـواء فى المنطقة أو بـــين دول المنطقة والدول التى تقع خارجها. ولا يمكن أن يتحقق إنشـــاء منطقة خالية من الأسلحة النووية، إلا إذا لعبت الدول الحائزة لأسلحة نووية دوراً محوريـــاً، وذلك بمعارضة إجراء تجارب نووية فى المنطقة ومحاربة عدم الامتثال لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. كما يجب عليها اقتراح تدابير عملية لتخفيف حدة التوتر وبناء الثقة والتحكم بمختلف أشكال سباق التسلح فى المنطقة.

8 - ويجب أن يكـــون هناك دعم خارجى للأنشـــطة النووية السلمية فى المنطقـــة وللمشروعات ذات الصلة بما

يعزز شفافية هذه الأنشطة. ويشمل ذلك البرامج الثنائية للمساعدة الفنية والبرامج التى تقدمها الوكالة الدولية للطاقة الذرية. كما ينبغى على الدول النووية الخمس أن تسهم بشكل يدعم إنشاء المنطقة الخالية، وذلك من خلال التصديق على المعاهدات الخاصة بإنشاء المناطق الخالية بذلك، والتزام بمتابعة تنفيذ أحكامها، واحترام جميع الشروط المحددة فيها. ويجب على هذه الدول الامتناع عن القيام بأى أفعال فى المنطقة تنطوى على انتهاك للمعاهدة والاتفاقية، وعن استعمال الأسلحة النووية أو التهديد باستخدامها ضد دول المنطقة، بالإضافة إلى التعهد بألا توضع؛ فى المنطقة الخالية من الأسلحة النووية أسلحة قد تستخدم أو يهدد باستخدامها ضد بلدان المنطقة.

9 - ويجب أن يتم إضفاء الصفة القانونية على التدابير المتعلقة بحظر استخدام الأسلحة ضد أطراف ثالثة. وعلى سبيل المثال، فقد أعلنت الدول الخمس الكبرى الحائزة على أسلحة نووية من طرف واحد أنها لن تهاجم أو تهدد بالهجوم بأسلحة نووية دولاً غير حائزة على أسلحة نووية. ولكن هذه الإعلانات تتضمن شروطاً وتحفظات، تتصل ببعض الدول الموجودة فى المنطقة خالية من الأسلحة النووية أو فى حلف عسكرى مع دولة حائزة للأسلحة النووية.

10 - ويرتبط بهذه الترتيبات والضمانات تعهد دول المنطقة بعدم حيازة أجهزة تفجير نووية؛ وأن تستخدم الطاقة النووية للأغراض السلمية. كما يرتبط بها اعتماد نظام حظر الاعتداء على المفاعلات النووية وما يرتبط بها من منشآت نووية، وذلك لتجنب انبعاث المواد المشعة وانتشارها على مساحات واسعة.

11 - وتتمثل الوظائف الرئيسية لنظام الرصد المرتبط بإنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية فى الآتي:

- مراقبة تفكيك وتدمير المخزونات الموجودة من الأسلحة النووية والصواريخ (التى يتجاوز مداها 150 كم) والتحقق من ذلك.
- تفكيك مرافق الإنتاج ذات الصلة أو تحويلها للاستخدامات السلمية.
- مراقبة الأنشطة الكيماوية والبيولوجية والنووية والمتعلقة بالصواريخ حتى يمكن فى مرحلة مبكرة اكتشاف أى انحراف للبدء فى تطوير وإنتاج وتخزين المواد المذكورة أو استئناف الأنشطة المتعلقة ذلك.
- القيام بأعمال البحث والتطوير لتحسين تقنيات التحقق من الأسلحة النووية.
- إنشاء آلية لمراقبة التصدير والاستيراد للتقنيات مزدوجة الاستخدام ذات الصلة.
- اتخاذ تدابير الحماية وغيرها من التدابير للرقابة على المواد النووية والأجهزة غير المشروعة.

الخلاصة: العناصر الرئيسية لبرامج الاستخدامات السلمية للطاقة النووية:

- تسمح كافة المعاهدات الخاصة بالمناطق الخالية من الأسلحة النووية بالاستخدام السلمى للطاقة النووية، وفقاً للمادة الرابعة من معاهدة منع الانتشار النووى وهو بالتالى حق أصيل لكافة الدول الأطراف فى المعاهدة.
- من الأهمية بمكان تناول موضوع إقامة المفاعلات النووية لأغراض توليد الطاقة بمنتهى الحرص وبشكل علمى من خلال إجراء الدراسات والخطط الدقيقة الواضحة والآمنة لهذا الموضوع لما يحيط به من مخاطر متعددة الجوانب.
- مسألة التكلفة الاقتصادية المتوقعة للمحطات النووية وكيفية تمويلها وقدرة اقتصاديات الدول على تدبيرها دون الوقوع فى مصيدة القروض الخارجية، مسألة حيوية ومحورية فى هذا الصدد، حيث إن التمويل المطلوب لهذه المحطات مبالغ ضخمة حيث يصل ثمن المحطة إلى 8 مليارات دولار تقريباً، لأن المحطة تأخذ حوالى من 8 ـ 10 سنوات للتدشين، وبالتالى عملية التمويل مهمة جداً.
- الخبرة الفنية ليست فقط المساعدات الفنية وخبرات الوكالة الدولية للطاقة الذرية ولكن أيضاً الخبرة المؤسسية المرتبطة بها، بما فيها نقل التقنية وتوطينها وبالتالى لا بد أن يتم بلورة نظرة شاملة فى هذا المجال.
- أهمية دراسات الجدوى التى تسبق بناء المحطات، وتعد عنصراً حاكماً فى نجاح هذا البرنامج، لأنها لا بد أن تكون دراسة متعمقة ودقيقة. كما أن موضوع إدارة المحطات وصيانتها وضمان سلامتها وأمنها وسلامة الشعوب التى تقام فى وسطها هذه المحطات قضية مهمة تطرح نفسها بقوة.
- أهمية مراجعة الخبرات المتاحة لجهاز الأمن النووى فى مجال تقييم المواقع وتدريب كوادر على تطبيق معايير الأمان النووى الصادرة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية واستكمال الخبرات المطلوبة لتقييم ومراجعة أمان مواقع المحطات النووية وتوفير الموارد الحديثة والاستعانة باستشاريين عند الحاجة لتقييم تقارير أمان المحطات النووى.
- ضرورة المتابعة الوطنية الدقيقة للمسائل الخاصة بالأمن والأمان على ضوء اهتمام مصر بإطلاق برنامجها النووى السلمى، واتصال هذا المشروع الوطنى الطموح بالموضوعات المرتبطة بالأمن والأمان النووى، سواء السياسية أو الفنية. ومن هنا أهمية أن تواكب مصر هذه التطورات من أجل تعزيز وتطوير بنيتها الأساسية على المستوى الوطنى لحماية المواد النووية وأمن المصادر المشعة، ومواكبة التطورات الخاصة بإجراءات سلامة المفاعلات النووية والأشخاص العاملين فيها والمناطق التى تقع فيها بما يتماشى مع المعايير الدولية.
- يتطلب إنشاء نظام للأمن والأمان النووى على المستوى الوطنى توفير الخبرة والدراسة الفنية والمعدات والبرامج الحسابية والمعدات المتخصصة ومعدات الاتصالات لتحديد الإجراءات والأجهزة ذات الصلة كما تعتمد أنظمة الحماية المادية على تشكيلات فعالة من النظم والإجراءات للتعامل مع المواقف المختلفة ومنها الكوارث الطبيعية والزلازل.

الحضارة المصرية فى العصر القبطي الأول

تأليف د. ميخائيل مكسي إسكندر

«من مصر دعوت ابنى» و«مبارك شعبى مصر» هكذا يستقرىء التاريخ والثقافة والفن والمجتمع والتصورات الدكتور ميخائيل مكسى إسكندر، «مصر المسيحية من القرن الأول حتى الثامن الميلادى «فى أربعة أبواب، عن الوقائع التاريخية لمتون الأهرام المصرية وتاريخ الخروج للنهار المصرى .

أحمد سعيد المصرى
elmasry.ahmed1966@gmail.com

وما قبل البشارة والرحلة المصرية لسيدة الظهور أم النور مع الطفل يسوع فى أنحاء طيبة إيزيس. التراكم التاريخى الحضارى لمصر القديمة وطيبة ومنف وهليوبوليس والأشمونيين وتل العمارنة. عن الاعتقاد الأمونى الأوزيرى والتمرد الأتونى، عن جبت وكيميت وأدوم ومصر. والرحلة المصرية لتطور اللغة المصرية من الخط المصرى المقدس، إلى الخط الهيراطيقى الكهنوتى إلى الخط الديموطيقى الشعبى، إلى التطور اليونانى الديموطيقى، وكتابة اللغة بحروف يونانية «القبطية وتعدد لهجاتها من الدلتا والصعيد والفيوم وأخميم» ولا تزال اللغة القبطية مستخدمة فى الكنيسة المصرية للآن فى القداس والطقوس والألحان وبها نحو 2000 كلمة يونانية لاهوتية. ويسبق الارتحال اليسوعى ونزول البشارة امتداد النيل والتقويم المصرى القديم الشمسى الزراعى المرتبط مع «حابى «نهر الخير ودموع إيزيس وصاحب التقويم هو الإله «تحوت» إله الكتابة صنو أوزيريس رب البر الغربى وسيد الخروج للنهار. وقد وضع تحوتى أساس تقويمه (4241) عندما لاحظ أن نجم الشعرى اليمانية «سيرس» أكثر نجوم القطب الأكبر إنارة، كما أنه أكثر إنارة من الثوابت جميعها التى تشرق وتغرب مقارنة بالشمس فى ابتداء زمن الفيضان، فجعل هذا الزمن بداية السنة المصرية. وجعلها 365 يوما، وكان يحتفل بمعبد دندرة فى قنا بهذا العيد؛ وكان بداخله 12عمودا يمثل كل عمود منها شهرا من السنة المصرية. توت «تحوت»، بابه «أبيس»، هاتور «حتحور»، كيهك «سخمت كاهاكا، طوبة «طيبة»، أمشير «رع حور»، برمهات «رمت»، برمودة «رنو»، بشنس «خنسو»، نبؤونة «خنتي»، أبيب «حابي»، مسرى «ولادة رع». هكذا وثق المصريون القدماء التاريخ وحياة الكون والأرض والنهر، والأساطير المصرية القديمة عن أبناء الآلهة وأصحاب الولادات والبنوة الإلهية والأصل اللاهوتى المقدس والثالوث (ثالوث أبيدوس) والعمادة حيث الاغتسال بماء نهر النيل والاعتقاد فى الخلود والبعث وفكرة المخلص الفادى «أوزيريس» والعدل «ماعت» ومفتاح الحياة والبعث «عنخ» والكا والبا والخو والتنعم الروحى هناك حيث حقول ايوار والتاثر الفارسى الأخمينى واليونانى البطلمى وتطويب الإسكندر فى سيوة ليصير ابن آمون ويختلط زيوس – آمون وإيزيس –فينوس وأوزيريس – دينوسيس فى العصر البطلمى ويتمصر اليونانيون الإغريق وكذلك يتمصر جوبيتر وهيرا وهرقل وتنتشر عبادة سرابيس فى أنحاء امبراطورية روما الشاسعة، وتغزو مسلات مصر القديمة الكبرياء الرومانى ويتعبد له فى الأكروبول وأعياد إيزيس، وتنتشر التقاليد المصرية وتؤثر فى الفن والاعتقاد الإغريقى اللاتينى. وفى مصر تكون الحماية والرعاية والبشارة والنجاة من الطغيان الرومانى عبر حابى نهر الخير، كما كان يرتحل المصريون للعبور للنهار والحصول على الخلاص و«من مصر دعوت ابنى» من مصر فجر الضمير يكون النور والبشارة ويرتوى يسوع وأم النور المخلص الفار من كنعان «فلسطين» فوق نهر النيل دموع إيزيس (المسيح– أم النور– القديس يوسف النجار من العريش ثم «الفرما» بورسعيد وتل بسطة، ومسطرد وسمنود وسخا ثم عين شمس إلى المطرية والزيتون المعادى إلى صعيد مصر مارة بعدة أماكن مقدسة، فى جبل الطير بسمالوط

والأشـــمونيين «المنيا»، ثم وصلت إلى دير المحرق ودرنكة بأســـيوط، ويعـــود المخلص إلى بيـــت لحم فى كنعان- فلسطين كى يكمل بشارته وخلاصه.

وقـــد اســـتقبلت مـــصر الآباء والأنبياء إبراهيم وإسحق ويعقوب والأسباط الاثنى عشر، وقد ولد بها موسى النبى وأخوه هارون وأختهما مريم ابنة عمران كمـــا جاء أرميا النبى إلى دلتا مصر ووصل إيليا إلى جبل سيناء، ولكى تتم البشارة يحمل مارمرقس بشارة الفادى إلى برية طيبة. ويستشـــهد فى سبيل بشارة عمانوئيل الفادى المخلص «رغم قســـوة الولاة الرومـــان التى امتـــدت ثلاثة قرون من عهـــد نيرون حتى دقلديانوس.» ورغم ذلك ظهرت «المدرسة المرقسية المسيحية». وقد استمرت المدرسة المرقسية إلى نهايـــة القرن الســـادس الميـــلادى، وقد كانـــت مدة الدراســـة النظامية للجنسين من المصرين والأجانب ســـتة أعوام لإتقان العلوم والمعارف الدينية، كما سمحت بالانتساب إليها، وبالانتقال لتعليم الطلاب فى مجموعات خاصة فى المنازل.

وقد قام الرهبان الباحثون بالبحوث والتأليـــف والحفاظ عـــلى التراث السريانـــى واليونانى والقبطى من الضياع، ورعاية المرضى وملجأ وقت غارات البرابرة. وابتكـــر الرهبان طريقـــة تجليد البرديـــات بأغلفة جلدية وحياكتها ولصقها معاً بمادة لاصقة وسادت مدارس إلزامية تعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب من القـــرن الأول الميـــلادى حتى دخول العرب إلى مصر، فاستخدموا الأشـــهر الفرعونيـــة وبداية عيد النيروز هو تقويم الشـــهداء وهو موعد تـــولى الإمبراطور دقلديانوس الحكم واضطهاد الأقباط. وقد أعد الفلكى القبطى «بطليموس» حساب «الأبقى» لتحديد موعد عيد القيامة المجيد (الأحـــد التالى لعيد الفصح)، إلى أن تـــم إلغـــاء التقويم القبطى للدولـــة فى عهد الخديو إســـماعيل وصار مقصورا على مواعيد الزراعة والحصاد فى مصر حتى الآن. أيضا الأطباء من الأقبـــاط والرهبان من أمثال شـــمعون الراهـــب وهارون القس يوحنا وأبـــو جريج الراهب

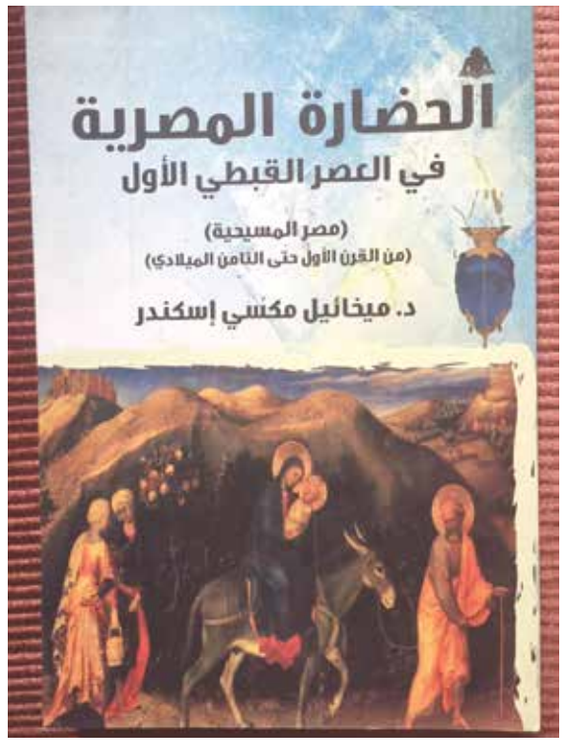

والبطريرك ديونســـيوس الطبيب والراهب الطبيبى أبوللنيوس الذى كان يعالج ســـكان وادى النطرون لمدة عشرين عاماً وكان يشترى لهم الأدوية من الاســـكندرية من ماله الخاص، كما كان يقـــدم التغذية الصحيـــة للمـــرضى الضعفاء من عنده. وكان هناك أكثر من 80 طبيباً وصيدلانياً وعدد من المستشـــفيات فى الأديـــرة القبطية. كذلك كان من الأقباط رحالـــة وجغرافيون مثل البحار والتاجر القبطى السكندرى «كوزمـــاس» فى عهـــد البيزنطيين كان يـــزور شرق أفريقيا ويجلب البضائع الآسيوية وسجله فى كتاب «الطبوغرافية المســـيحية». وفى أيام البطالمة تأثر الفـــن القبطى بالفن المصرى القديم، وبدأت تظهر علامة الصليب المسبحى مع عنخ والرسوم المستمدة من قصص الكتاب المقدس تأثرت بالفـــن المـــصرى القديم، وظهرت الأيقونـــات ووجوه الفيوم والملابـــس الكهنوتية مع رســـوم القديســـين والشـــهداء وصناعات الســـلال والقـــوارب وألواح البردى. كذلك العمارة القبطية الدينية شيدت بروح ومواد بناء زخرفة الفن الفرعونى القديم وعناصره الهندســـية والرسم باســـتخدام الفنـــان القبطى نفس المواد الفرعونية القديمة للرسم على الحوائط والخشب والقمـــاش باســـتخدام ألوان الأكاسيد (الفريسكو) والعديد من الصناعات المصرية القديمة كالنسيج «القباطى» والأوانى وحبر الكتابـــة وأقلام البوص وأدوات الزينـــة النســـائية. واستخدمت الكنيسة القبطية الأرثوذكســـية بعض الألحان والآلات الشـــعبية الفرعونيـــة القديمـــة والألحـــان المصرية الفرعونيـــة. وكان العصر القبطى الأول هو عصر الانتقـــال والتأثير المـــصرى القديـــم وإعـــادة إنتاج وحماية والحفاظ على التراث القديم والإخـــلاص القبطى لـــتراث طيبة ومنف وهليوبوليس والأشـــمونيين وحتى تـــل العمارنة ليتـــم الميثاق والعهـــد المصرى الجديـــد ويترنم المرنمون بمجد مصرى قبطى جدير بالدراســـة والتدريس والفخر ليتم ما صدق الصارخ فى البرية «مبارك شعبى مصر» ولتكون رحلة يسوع المصرية عبور آخـــر للنهار ومجد طيبة.

فى الشرق الأوسط، الخرافة تكتب التاريخ

هذا الكتاب محاولة لإسقاط "القناع" عن الدور الذى لعبته "الخرافات" فى صناعة الأحداث وكتابة تاريخ الشرق الأوسط. قام بالمحاولة السيد هانى نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية والكاتب المتخصص فى الشئون الدولية. والكتاب صدر منذ عدة أسابيع ويتضمن 16 فصلاً فى 208 صفحات، بالإضافة إلى ملحق بالوثائق والهوامش والمصادر، ونبذة عن أهم الشخصيات التى وردت فيه.

يكشف المؤلف أن المبرر الذى ساقه الرئيس الأمريكى بوش الابن لغزو العراق عام 2003، وهو إزالة أسلحة الدمار الشامل، كان مجرد "قناع زائف" لأن بوش الابن كان يعرف أن العراق ليس لديه هذا النوع من الأسلحة، كما أن المخابرات الأمريكية كانت متأكدة من ذلك. و"هانز بليكس" رئيس فريق الأمم المتحدة للتفتيش على الأسلحة العراقية أكد على ذلك بوضوح شديد فى التقرير الذى قدمه إلى مجلس الأمن الدولى يوم الاثنين 27 يناير 2003.

إذن، الذى دفع بوش الابن لغزو العراق هو رغبته فى تدمير آخر أوكار "يأجوج ومأجوج" اللذين كان يعتقد الرئيس الأمريكى بأنهما مختبئان فى منطقة بالعراق تقع قرب مدينة بابل القديمة. هذا بالضبط ما قاله الرئيس بوش الابن للرئيس الفرنسى جاك شيراك، فى اتصال هاتفى جرى بينهما قبل الحرب بأسابيع قليلة، طلب فيه بوش من شيراك ضم الجيش الفرنسى إلى حملته الحربية على العراق، والتى وصفها بـ "الحملة الإيمانية المباركة" ومؤازرته فى تنفيذ "واجب إلهى مقدس أكدته نبوءات التوراة والإنجيل"!

وكان بوش الابن يؤمن بأنه على اتصال بالرب وبأنه يتلقى منه التكليفات والرسائل المشفرة ويمارس سلطاته بتأييد من الرب، وبالتالى لا مجال للاعتراض على ما

السيد هانى
نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية
متخصص فى الشئون الدولية

يفعله ولا حاجة لقرار من مجلس الأمن الدولى بغزو العراق لأنه لا يجوز أن تكون إرادة المجتمع الدولى فوق إرادة الرب!

***

قصة "يأجوج ومأجوج" كما وردت فى الاتصال الهاتفى بين الرئيس الأمريكى بوش الابن، والرئيس الفرنسى جاك شيراك نشرتها مجلة "لونوفيل أوبزرفاتور" الفرنسية بعددها الصادر فى الأسبوع الأخير من شهر فبراير عام 2004 كما تناولها بالتفصيل أيضاً الكاتب الفرنسى جان كلود موريس فى كتابه الذى يحمل اسم "لو كررت ذلك على مسامعى فلن أصدقه".

تقول القصة إن الاتصال الهاتفى جرى فى أواخر شتاء عام 2003 قبل الحرب على العراق بحوالى شهر، وأن الرئيس بوش الابن أكد للرئيس شيراك - الذى كان يتزعم المعسكر الدولى الرافض للحرب- أن هذه الحرب تمثل ضرورة حتمية لا يمكن التراجع عنها لأنها إرادة الرب لدرء خطر "يأجوج ومأجوج" وأن الإطاحة بصدام حسين مسألة ضرورية، لأنه ينتمى إلى جماعة "يأجوج ومأجوج".

وطبقاً لما جاء فى تقرير مجلة "لونوفيل أوبزرفاتور" فإن الرئيس شيراك الذى ينتمى إلى طائفة المسيحيين الكاثوليك سارع بطلب المعونة من الزعماء الدينيين فى فرنسا لفك طلاسم كلمتى "يأجوج ومأجوج" فجاءه الرد من "اتحاد البروتستانت الفرنسيين" الذين أكدوا له أن النبى حزقيال قال إن "يأجوج ومأجوج" سوف يتدفقون بأعداد هائلة من بابل على إسرائيل عندما تقترب الساعة!

وقالوا له أيضا إن الرئيس بوش الابن يعتبر أن "يأجوج ومأجوج" هم قوى الشر التى تسكن منطقة بابل حيث تقع العاصمة العراقية بغداد التى يحكمها صدام حسين!

كما قالت المجلة إن "البروتستانت" فى فرنسا طائفة قليلة العدد وإن الرئيس شيراك استمع لتفسيرها لأنه يعرف أن الرئيس بوش الابن ينتمى إلى هذه الطائفة.

أما الكاتب الفرنسى جان كلود موريس فذكر تفاصيل أكثر فى كتابه: "لو كررت ذلك على مسامعى فلن أصدقه" إذ قال فى مقدمة الكتاب: "إذا كنت تعتقد أن أمريكا غزت العراق للبحث عن أسلحة الدمار الشامل فأنت واهم جداً واعتقادك

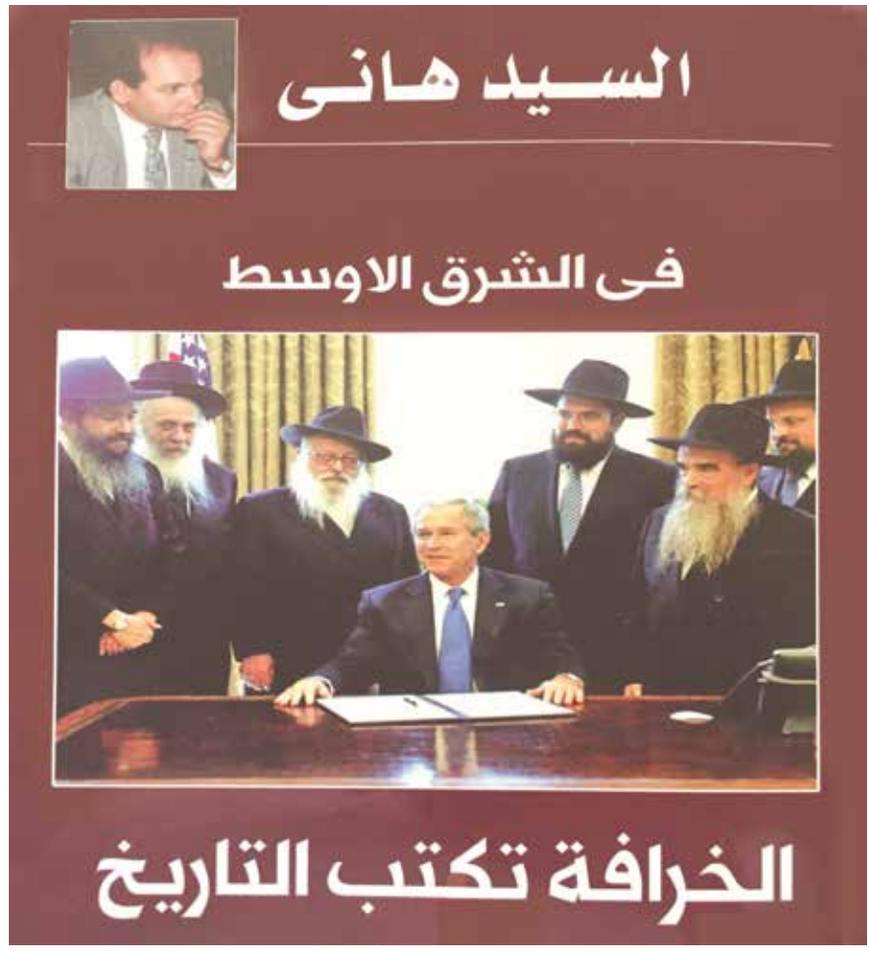

ليس فى محلّه". كما نشر حديثاً مسجلاً أجراه مع الرئيس شيراك كشف فيه شيراك عن تفاصيل المكالمة الهاتفية وقال لموريس: "هذه ليست مزحة.. لقد كان بوش جاداً فى كلامه، وفى خرافاته. لقد كنت فى حيرة بسبب ما سمعته من بوش"!

***

الخرافة كانت أيضاً لاعباً أساسياً فى تاريخ القضية الفلسطينية.

فالاحتلال الإسرائيلى لأرض فلسطين قام على فكرة أن الله وعد اليهود بهذه الأرض، وبالتالى من حقهم أن يستولوا عليها ويطردوا العرب منها بكل الوسائل الممكنة، بما فيها القتل. واستطاع اليهود تكريس هذه الفكرة فى الكثير من دول العالم حتى أصبح فى الولايات المتحدة من يعتقد أن المسئولين الأمريكيين يرتكبون إثما يغضب الله عندما يعملون لصالح عملية سلام يمكن أن تنتزع قدما واحدا من الأرض التى منحها الله إلى الشعب اليهودى، والذى يملك أقدم حق ملكية معروف للإنسانية!

بل لقد وصل الأمر بمجموعة تطلق على نفسها "المنتدى الأمريكى للتعاون المسيحى – اليهودى" أن تقدمت فى 11 نوفمبر عام 1982 بمذكرة إلى الرئيس الأمريكى رونالد ريجان يطلبون منه تقديم الدعم لإسرائيل لتمكينها من احتلال المزيد من الأراضى العربية، وإقامة "إسرائيل الكبرى" التى تمتد من النيل إلى الفرات. وهناك أيضاً من يعتقد أن المجئ الثانى للسيد المسيح عليه السلام، يتطلب تدمير معظم الصروح الإسلامية فى مدينة القدس، وإعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى، لكن ذلك لا بد أن يسبقه ظهور البقرة الحمراء لكى تذبح وتحرق ويتطهر اليهود برمادها من حالة الدنس التى نزلت بهم منذ عصوا النبى موسى عليه السلام فغضب الله عليهم.

بل إن هناك من وصف غزو إسرائيل للبنان عام 1982 بأنه عمل رائع ينسجم مع العهد القديم، ويؤكد النبوءة التوراتية – الإنجيلية. وهذا يعنى أننا نقترب من معركة "هرمجدون" التى ستدور بالقرب من مدينة جنين فى فلسطين بين قوى الشر بقيادة الشيطان، وقوى الخير بقيادة المسيح عليه السلام.

سيناريوهات هذه المعركة كثيرة، وتم شرحها بالتفصيل فى عشرات الكتب. وأهم هذه السيناريوهات يقوم على فكرة أن المسيح سيعود إلى الأرض، ثم يمسك بالشيطان ويقذفه فى الهاوية لمدة 1000 سنة، وبعد ذلك يؤسس المسيح دولته التى يعم فيها الأمن والسلام والخير والعدل بين الناس، وعاصمة هذه الدولة ستكون مدينة القدس. لكن بعد إطلاق سراح الشيطان من الهاوية، سيبدأ فى تكوين جيش لمحاربة المسيح قوامه 200 مليون مقاتل، وسيستعين فيه بقوم "يأجوج ومأجوج" الذين يأتون إليه من زوايا الأرض الأربع ويعسكرون فى مدينة القدس، ثم تدور المعركة بين قوى الشر بقيادة الشيطان وقوى الخير. هكذا يتم نسج "الخرافات" ثم ترويجها فى كتب وبرامج تليفزيونية ومحاضرات دينية فتتحول إلى "عقيدة" لدى البعض. العقيدة تصنع المواقف والمواقف تصنع الأحداث والأحداث تكتب التاريخ.. ولأن الشرق الأوسط كان دائماً مهبط الرسالات السماوية، على أرضه عاش الأنبياء، ونزل الوحى من السماء، وحدثت المعجزات، ووجدت الأماكن المقدسة، فقد ارتبطت به كل الخرافات. فصنعت الأحداث وكتبت التاريخ.

الإسلاموفوبيا والعنصرية فى أمريكا

إريك لاف

يقول مؤلف هذا الكتاب إن الإسلاموفوبيا في تزايد مستمر في الولايات المتحدة، خاصة بعد فوز الرئيس ترامب في الانتخابات الرئاسية في نوفمبر 2016. وقد شَكَّل تنظيم «القاعدة»، مرورًا بتنظيم «داعش»، وصولًا إلى الجماعات الإرهابية الجديدة، التي تروع العالم العربي وأوروبا وأمريكا، عاملاً أساسيًّا لزيادة شعور الخوف من المسلمين، والرغبة في طردهم من الدول الغربية عامة والولايات المتحدة على وجه الخصوص كما يوضح لنا المركز العربي الأمريكي للترجمة والأبحاث والإعلام في تلخيصه للكتاب.

وهو المخطط نفسه الذى وعد الرئيس الأمريكى «ترامب» بتحقيقه أكثر من مرة، خاصة مع تصدير تلك الحركات المتطرفة للدموية والعنف باسم الإسلام، والتمادى الذى وصل إلى حد الإرهاب غير المبرر والنابع من تعصب وتطرف لم يعد خاضعًا لأى حسابات.

وفى هذا الإطار، يقدم «إريك لاف» (الأستاذ المساعد لعلم الاجتماع بجامعة ديكنسون) كتابه الأول عن مواجهة ومكافحة إرهاب الإسلام فى أمريكا. ويستهل دراسته بتقديم حجة مفادها أن ظاهرة الإسلاموفوبيا متجذرة فى العنصرية والتعصب على وجه التحديد ضد بناء عرقى محدد. وبصفة عامة، يشمل ذلك العرب والمسلمين والسيخ والأمريكيين من جنوب آسيا. ويؤكد «لاف» أن الإسلاموفوبيا جزء من مشكلة العنصرية فى الولايات المتحدة، وبدلًا من أن تتلاشى ازدادت بقوة وبشكل أكثر سوءًا فى أعقاب الهجمات الإرهابية المروعة، وأزمة اللاجئين الجارية، ودعوات من الشخصيات العامة، مثل «دونالد ترامب»، لاتخاذ إجراءات جذرية إزاءها.

ونتيجة لذلك، ازداد عدد جرائم الكراهية المرتكبة ضد الأمريكيين من مواطنى منطقة الشرق الأوسط من جميع الأصول والديانات. ويكافح المدافعون عن الحقوق المدنية لمواجهة هذا الواقع سريع التدهور.

ويستطرد «إريك» بأن الافتراض الذى وضعه مناصرو الإسلاموفوبيا والمتمثل فى أن المسلمين لديهم سمات عنصرية محددة؛ يعنى أن العنصرية هى فى نهاية المطاف فى «صميم الخوف من الإسلام». وبمعنى آخر، فإن «العدسة العرقية التى يرى الأمريكيون من خلالها أن العالم يُشوِّه ويُخفى الحقيقة الواضحة، وأن المظهر المادى دليل على ديانة الفرد؛ ما هى إلا افتراض من الصعب تحققه على أرض الواقع، فمن المستحيل أساسًا تحديد دين شخص ما على أساس مظهره المادى بدقة».

وعلى الجانب الآخر، وفى حين أن البعض قد يشكك فى فرضية أن الإسلاموفوبيا هى شكل من أشكال العنصرية، يؤكد الكاتب أنه بالشروع فى دراسة اللغة العرقية المستخدمة فى القول بأن الإسلام والمسلمين هم بطبيعتهم يمثلون خطرًا متزايدًا؛ يصبح واضحًا بشكل كبير أن الإسلاموفوبيا هى أحد أوجه العنصرية. وفى الوقت الذى قد تصبح فيه الولايات المتحدة دولة «أقلية الأغلبية»؛ فإن التحول الإستراتيجى فى الدعوة الأمريكية لحقوق الإنسان يشير إلى تحديات متزايدة فى العقود المقبلة، مما يجعل النتائج التى توصل إليها «إريك» فى كتابه ضرورية لأى شخص مهتم بمستقبل الحقوق المدنية العالمية فى الولايات المتحدة.

واتساقًا مع اهتمام «إريك» بتناول الحقوق المدنية العالمية، وتعزيز الحريات المدنية فى الولايات المتحدة بشكل أعم، فهو يؤكد أن حماية الحقوق المدنية ضعيفة بشكل مثير للدهشة، ولا توفر سبلًا كافية للعدالة والتغيير، وأن طمأنة المجتمع فى أعقاب ارتكاب جرائم الكراهية والتمييز والاستبعاد الاجتماعى، تصبح صعبة التطبيق، خاصة مع صبغ هذه الجرائم بالصبغة الدينية، والعمل على نشر فكر الكراهية المضاد للمسلمين.

لينتقل «إريك» فى القسم الثانى من دراسته إلى استعراض إستراتيجيات خمس منظمات من أهم المنظمات

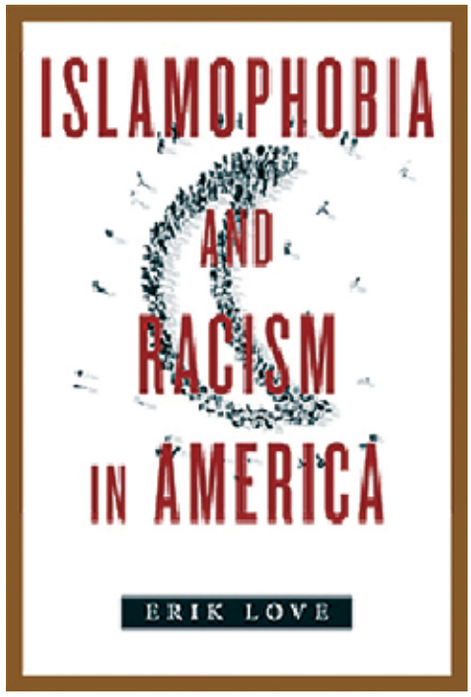

غلاف الكتاب

الإسلاموفوبيا والعنصرية فى أمريكا

الأمريكية التى تمثل الأمريكيين حاليًا ضمن دراسته لديموغرافية الشرق الأوسط، وهي: اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز، والمعهد العربى الأمريكى، ومجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية، والمجلس الإسلامى للشئون العامة، وأخيرًا صندوق الدفاع القانونى الأمريكى لتعليم السيخ. وبدراسة هذه المنظمات، يحدد الكاتب تساؤلين رئيسيين مفادهما:

إنه على المستوى الإستراتيجي: كيفية استفادة دعاة الحقوق المدنية من الدعوة إلى أن الإسلاموفوبيا أحد أشكال العنصرية، كما أنه على المستوى العملى والتطبيقي: هل اعتبار الإسلاموفوبيا كأحد أكثر أشكال العنصرية انتشارًا ودمارًا، يؤثر على الحقوق المدنية فى أمريكا؟

واتساقًا مع طرح هذين التساؤلين ومحاولة الكاتب الإجابة عليهما بصورة عملية، ينتهى إلى أن دعاة الحقوق المدنية وحمايتها قد اعتمدوا فى السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم التركيز على العرق وربطه بالعنصرية، أما بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2001 فقد تجنب دعاة حماية الحقوق المدنية ربط أو وصف الإسلاموفوبيا بأنه تمييز قائم على أساس العرق؛ إلا أنه وإبّان الانتخابات الرئاسية الأخيرة فى الولايات المتحدة، تواجد عدد كبير من الأمريكيين الذين يدعمون بنشاط أو بسلبية استمرار العنصرية المؤسسية وتعزيزها.

وكما يشير الكاتب، ومع التحول الديموغرافى المتوقع عام 2040، عندما يفوق الأمريكيون غير البيض عدد الأمريكيين البيض، فلا توجد ضمانة بأن الأمريكيين البيض لن يمارسوا السلطة الاجتماعية والسياسية غير المتناسبة مع معطيات هذا التحول الديموغرافى المتوقع آنذاك.

وعلى الرغم من اقتراح الكاتب بأن المنظمات الخمس ستكون أكثر فعالية إذا اعترفت بالعنصرية وإرهاب الإسلاموفوبيا، وعملت كجبهة موحدة مناهضة للعنصرية؛ إلا أنه - فى الوقت ذاته- يضع المسئولية عن هزيمة الإسلاموفوبيا والعنصرية على الجمهور الأمريكى العام، مؤكدًا أن الجهود الدؤوبة التى يبذلها المدافعون عن تحسين الحقوق المدنية يجب أن تتضافر مع رغبة الأمريكيين فى العيش بمجتمع يرفض العنصرية. خاصة وأن الإسلاموفوبيا تمثل شكلًا من أشكال العنصرية المختلطة مع التعصب الثقافى، ولا تقتصر فقط على التعصب الدينى.

ويوضح الكاتب فى ملاحظاته الختامية بعض الحقائق القاسية التى يجب أن يعترف بها أى أمريكى يعتبر نفسه متحررًا أو تقدميًّا: «إن التقدم والعدل ليسا حتميين، ولا يمكن لضحايا العنصرية والتمييز التغلب على هذه الظاهرة الهيكلية ما لم يساعد المجتمع ككل على تفكيكها ومواجهتها».

ويضع «إريك» عددًا من الحقائق التى يجب أن تكون مُدرجة أمام الجمهور الأمريكى العام والمتخصصين فى المراكز الخمسة لمواجهة الإسلاموفوبيا، على النحو التالي:

إنه فى عام 2016 وحده، ارتفعت حوادث الخوف من الإسلام «الإسلاموفوبيا»، بما فى ذلك أعمال العنف، بنسبة 57٪، كما أن أكثر من نصف جرائم الكراهية فى الولايات المتحدة فى عام 2015، أى ما يقرب من 59,2٪، كانت مرتبطة بالانتماء العرقى. وارتبطت نسبة 19,7٪ فقط من جرائم الكراهية بانحياز دينى، و17,7٪ إلى التحيز والميل الجنسى، ومن جانب آخر شهد أكثر من 50٪ من المسلمين نوعًا ما من العداء بين عامى 2010 و2014، وشعر أكثر من ثلث المسلمين بأنهم استهدفوا على أساس كونهم مسلمين، كما تُوفر وسائل الإعلام تغطية أكبر للجرائم من قبل المسلمين، وبلغت التغطية الإعلامية أكثر من 449٪ مقارنة بالجرائم المرتكبة من قبل غير المسلمين، فى حين يبلغ عدد الأفلام التى تُصوِّر المسلمين بشكل سلبى 932 فيلمًا من أصل 1000 فيلم. على سبيل المثال، هناك أكثر من 12 فيلمًا قدمت المسلمين الملتحين ذوى البشرة الداكنة كإرهابيين يرتدون العمامة المميزة للملابس العربية.

الإتيكيت أسلوب حياة

هذا الكتاب يجمع صفحات ناصعة أعدها المرحوم السفير محمود عبدالجواد في حياته مختزلاً فيها خبرته في البروتوكول العام ومراسم الدولة. وقد جمعتها من بعده قرينته الوفية الدكتورة "نهاد محمد سيف اليزل"، وأضافت إليه جزءاً أعدته هي لكي يكمل ويدعم ما جاء فيه بخبرتها في إجراءات "الإتيكيت" وأصول "البروتوكول" إسهاماً منها في إصدار هذا الكتاب تخليداً لذكرى زوجها الراحل الذي لا ينساه كل من عرفه. إن هذا الكتاب إضافة للمكتبة العربية نقدمه في ذكرى دبلوماسي رفيع القدر وإنسان عظيم النفس.

د. مصطفى الفقى

من خلال خبرتى فى إعطاء المحاضرات فى عدد من الجامعات وقفت على مدى شغف الطالبات والطلبة لتعلم قواعد الإتيكيت. وأود أن ألقى الضوء على عنوان الكتاب وعبارة «أسلوب حياة». فهدفى أن يصبح الإتيكيت أسلوب حياة نمارسه ولا نتصنعه. فمن الواجب علينا أن نعلم الأطفال منذ الصغر قواعد الإتيكيت ليصبح روتيناً يومياً. فمن المعروف أن أى تصرف نقوم به لأكثر من عشرين يوماً يتحول لعادة تلقائية.

وقد لاحظت من خلال تجاربى أن أغلب الأشخاص يختصرون كلمة الإتيكيت فى استعمال أدوات المائدة وبعض الأشياء الهامشية بالرغم من أن تعريف كلمة إتيكيت هو فن إتقان الخصال الحميدة. فهو سلوك اجتماعى تنظمه مجموعة من القواعد والتقاليد متمثلة فى اللياقة وحسن الخلق وهى صفات تدل على الخلق الكريم القويم جامعاً الجودة والرقة والبساطة والجمال واللباقة.

وتناول الكتاب فن الحديث والتواصل مع الآخرين ويتضمن هذا الباب أهمية نبرة الصوت ولغة

د. نهاد سيف اليزل
حرم السفير محمود عبدالجواد

الجسد لأن فى الحقيقة الكلمة لا تمثل سوى 7% من الاتصال الناجح. ولا شك أن فن الاتصال هو مثل لعبة التنس لن نترك الكرة معنا طوال الوقت فعلينا أن نتعلم فن الاستماع.

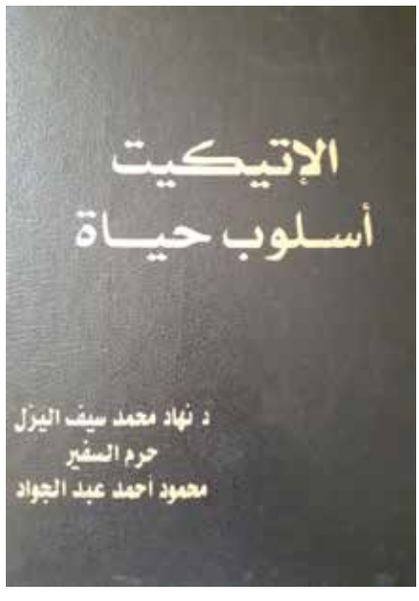

تناولت قاعدة من أهم قواعد الإتيكيت وهى احترام المواعيد لأن ببساطة شديدة احترام المواعيد دليل على احترامك للآخرين ومدى مكانتهم لديك واحترامك لنفسك أولاً وأخيراً. الوقت من أثمن الأشياء فى الحياة لكننا دائماً نسمع عبارة أن الوقت غير كافً وكل منا يشعر بأن الأيام تجرى دون تحقيق معظم أهدافه ولذلك رأيت أنه لابد أن أشرح مبدأ الإدارة الجيدة للوقت فلابد أن نهتم بالوقت وأن نستغله أفضل استغلال ولكن للأسف معظمنا لا يعرف من أين نبدأ فالبداية هى الأصعب ولكن مع التعود والممارسة ستصبح أسلوب حياة. أعرض فى هذا الكتاب الأسلوب العملى لإدارة الوقت الذى يتيح لنا حياة سعيدة هادئة.

تطرقت أيضاً لشرح آداب السلوكيات المختلفة وآداب المائدة وأسلوب ترتيب الموائد فى الحفلات المهمة. وحاولت أن أجمع فى هذا الكتاب كل المواضيع التى تهم جميع الأعمار بدءاً من الأطفال وجميع الفئات. كما شرحت أنواع الملابس للمناسبات المختلفة والأطعمة

المتنوعة وفن المجاملة وأنواع الهدايا وطريقة تقديمها.

بالنسبة للأسبقيات شرحتها بطريقة بسيطة وسهلة. يتضمن باب الأسبقيات الأسبقية فى الحفلات وفى مقاعد السيارات والسير وركوب المصعد والأسبقية فى الموائد والحفلات الخطابية وبين الدول والسفارات.

بالنسبة لباب المؤتمرات يعود الفضل لزوجى السفير محمود أحمد عبد الجواد. هذا الباب يعتبر نتاجاً لخبرته الواسعة فى تنظيم المؤتمرات الدولية داخل وخارج جمهورية مصر العربية وهذا الباب يحتوى على جميع التفاصيل بدءاً من اسم المؤتمر حتى انتهاء المؤتمر بتوديع الوفود فى المطار.

وختمت الكتاب بروشتة للنجاح والسعادة وأسلوب مقاومة الضغط العصبى فى الحياة الحديثة. الابتسامة من أهم الوسائل لحياة سعيدة وطاقة إيجابية فهى تعتبر لغة مشتركة يفهمها الجميع دون الحاجة لشرح أو مترجم فهى تكسر الجسور سريعاً وتقيم جسراً معنوياً. بالابتسامة تجذب الآخرين للتحدث معك.

أتمنى أن يكون هذا الكتاب حلاً لبعض المواقف التى يمر بها القارئ وأن يضيف مزيداً من الخبرة والسعادة والفرح لكل من يقرأه. وقد تشرفت بلقاء سعادة المساعد السفير سامح أبو العينين وقدمت له كتابى بعنوان «الإتيكيت أسلوب حياة» كهدية لمعهد الدراسات السياسية حتى أنقل خبرة زوجى السفير محمود أحمد عبد الجواد ربنا يرحمه ويغفر له، وخبرتى التى اكتسبتها على مدار السنوات فى موضوع الإتيكيت والمراسم وأتمنى أن يكون مرجعاً مفيداً لمعرفة قواعد الإتيكيت لكى يستفيد منه شباب الدبلوماسيين وزوجاتهم

المرحوم السفير محمود عبد الجواد مع زوجته د. نهاد سيف اليزل

العائلة المقدسة فى مصر المباركة

انطلاقا من رسالتها التنويرية الوطنية، يسعد مجلة «الدبلوماسي» ان يتضمن عددها الأول لعام 2018 ملفاً خاصاً عن رحلة العائلة المقدسة إلى أرض مصر المباركة، آملين ان تُشرق فى عالمنا رسالة السيد المسيح الى البشرية، وعنوانها السلام والفرح والمحبة.

وقد اسعدنا إسهام نخبة مختارة من الأساتذة والمتخصصين فى تفاصيل تلك الفترة الملهمة من تاريخ مصر، وان نعرب عن عميق التقدير لتميزهم وغزارة علمهم، مع شكر خاص لجمعية إحياء التراث الوطنى المصري، والتى تلعب دوراً هاماً فى هذا الإطار.

مبارك شعبى مصر

يعد مجيء السيد المسيح والعائلة المقدسة إلى مصر من أهم الأحداث التى جرت على أرض مصرنا الغالية على مدار تاريخها الطويل، فبروح النبوة نظر هوشع النبى السيد المسيح منطلقاً من بيت لحم، حيث لم يكن له ابن يسند رأسه فى كل من أورشليم، ليلتجئ إلى أرض مصر، ويجد له موضعاً فى قلوب الأميين ولهذا قيلت النبوة - من مصر دعوت ابني.

وفى أكثر تفصيل يحدثنا أشعياء النبى فى سفره الإنجيلى عن هذه الرحلة المقدسة فيقول: «هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها وهذا ما حدث فعندما كان السيد المسيح يدخل أية مدينة فى مصر، كانت الأوثان تسقط فى المعابد وتنكسر، فيخاف الناس من هذا الحدث غير المألوف ويرتعبون.

وكان دخول السيد المسيح أرض مصر بركة كبيرة لأرضها وشعبها، فبسببها قال الرب «مبارك شعبى مصر» (أش 19: 25)، وبسببها تمت نبوءة أشعياء القائلة: «.. يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر فهو مذبح كنيسة السيدة العذراء مريم الأثرية بدير المحرق العامر، حيث مكثت العائلة المقدسة فى هذا المكان أكثر من ستة شهور كاملة، وسطح المذبح هو الحجر الذى كان ينام عليه المخلص الطفل.

ويقع دير المحرق فى منتصف أرض مصر تماماً من جميع الاتجاهات، كما كثرت فى أرض مصرعلى امتدادها الكنائس, خصوصاً فى «الأماكن التى زارتها العائلة المقدسة وباركتها».

العائلة المقدسة تدخل مصر

- خرج يوسف النجار من أرض فلسطين كما أمره الملاك، وخرجت معه السيدة العذراء القديسة مريم راكبة على بغل وتحمل على ذراعيها الرب يسوع وقد أجمعت كل التقاليد الشرقية والغربية على أن مريم العذراء ركبت بغلاً، وسار يوسف النجار بجانبه ممسكاً بمقوده

منير غبور
رئيس جمعية إحياء التراث الوطني المصرى

حسب المتبع عادة فى المشرق.

لم تكن رحلة العائلة المقدسة إلى أرض مصر بالأمر الهين، بل جاءت رحلة شاقة مليئة بالآلام والأتعاب, سارت خلالها السيدة العذراء حاملة الطفل يسوع ومعها يوسف البار، عبر برية قاسية عابرة الصحارى والهضاب والوديان متنقلة من مكان إلى مكان، وكانت هناك مخاطر كثيرة تجابهها, فهناك الوحوش الضارية التى كانت تهدد حياتهم فى البرارى وخلال المسير فى الصحراء، حيث كانت عادة المسافرين أن يسافروا جماعات لأنه بدون توفير حماية لقافلة منظمة يكون أمل النجاة ضعيفاً.

وحسب المصادر التاريخية القبطية وأهمها ميمر البابا ثاؤوفيلس (23) من باباوات الإسكندرية (384 - 412م) ، كانت هناك ثلاث طرق يمكن أن يسلكها المسافر من فلسطين إلى مصر فى ذلك الزمان، ولكن العائلة المقدسة عند مجيئها من فلسطين إلى مصر لم تسلك أى من الطرق الثلاثة المعروفة، لكنها سلكت طريقاً آخر خاصاً بها. وهذا بديهى لأنها هاربة من شر الملك هيرودس فلجأت إلى طريق غير الطرق المعروفة، قادها الرب وملاكه فيه وهذا الطريق هو الذى ذكره السنكسار القبطى أخذاً عن رؤيا البابا ثاؤوفيلس التى سجلها فى ميمره المعروف.

العائلة المقدسة بمنطقة العريش والفرما

- سارت العائلة المقدسة من بيت لحم إلى غزة حتى محمية الزرانيق (الفلوسيات) غرب العريش بـ 37 كم، ودخلت مصر عن طريق الناحية الشمالية من جهة الفرما (بلوزيوم) الواقعة بين مدينتى العريش وبورسعيد وهذا المكان كان يوجد به عدد كبير من الكنائس المهدومة

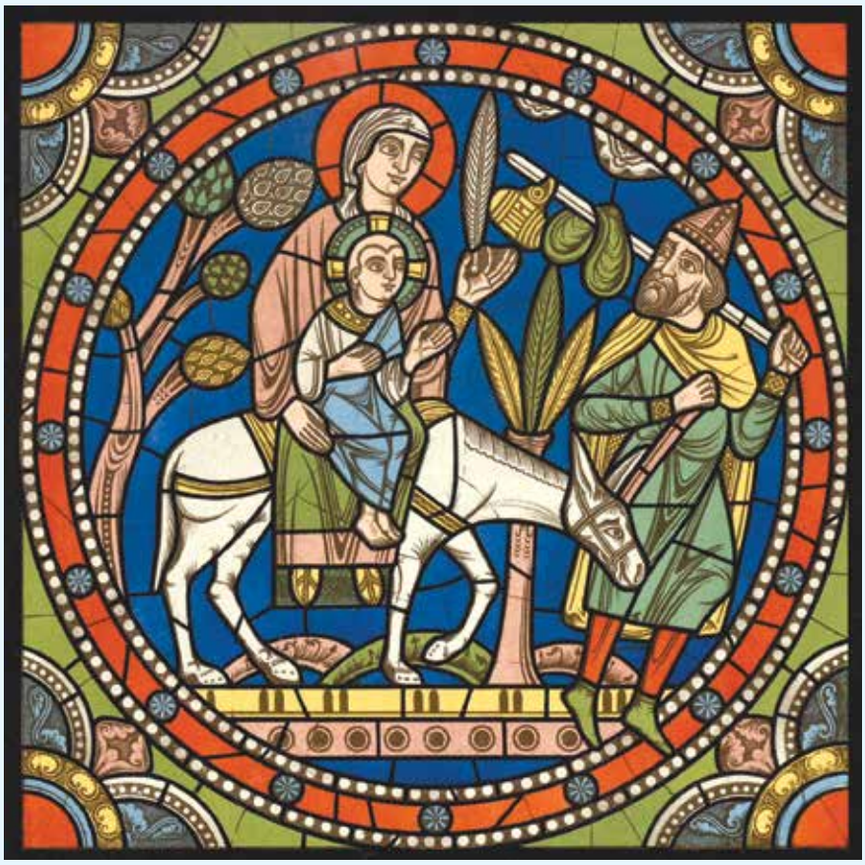

ومازالت هياكل كنيسة بيزنطية موجودة حتى الآن.

دخول العائلة المقدسة مدينة بسطا - محافظة الشرقية

- دخلت العائلة المقدسة مدينة تل بسطا (بسطة) بالقرب من مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية، وتبعد عن مدينة القاهرة بحوالى 100 كم من الشمال الشرقى. وفيها أنبع السيد المسيح عين ماء، وكانت مدينة مليئة بالأوثان، وعند دخول العائلة المقدسة المدينة سقطت الأوثان على الأرض، فأساء أهلها معاملة العائلة المقدسة فتركت المدينة وتوجهت العائلة المقدسة نحو الجنوب.

العائلة المقدسة فى بلدة مسطرد

- غادرت العائلة المقدسة مدينة تل بسطا (بسطة) متجهة نحو الجنوب حتى وصلت بلدة مسطرد (المحمة)، وتبعد عن مدينة القاهرة بحوالى 10 كم تقريباً وكلمة المحمة معناها مكان الاستحمام وسميت كذلك لأن العذراء مريم أحمت هناك السيد المسيح وغسلت ملابسه، وفى عودة العائلة المقدسة مرت أيضاً على مسطرد، وأنبع السيد المسيح له المجد نبع ماء لا يزال موجوداً إلى اليوم.

العائلة المقدسة فى المطرية وعين شمس والزيتون

- ومن مسطرد انتقلت العائلة المقدسة شمالاً نحو الشرق إلى مدينة بلبيس ثم المطرية، وتبعد عن مدينة القاهرة حوالى 15 كم تقريباً واستظلت العائلة المقدسة عند شجرة، عرفت باسم «شجرة العذراء مريم» وهى معروفة عالمياً حيث زارتها الإمبراطورة أوجينى عند زيارتها مصر فى احتفال افتتاح قناة السويس كما يوجد بجانب شجرة المطرية مسلة عين شمس وفى هذا الزمان كانت عين شمس يسكنها عدد كبير من اليهود وكان لهم معبد يسمى معبد أونياس, وعند الشجرة أنبع الرب يسوع عين ماء وشرب منه وباركه ثم غسلت فيه السيدة العذراء ملابس الطفل يسوع وصبت الماء على الأرض فنبت فى تلك البقعة نبات عطرى ذو رائحة جميلة هو المعروف بنبات البلسم تصنع منه أنواع العطور والأطياب التى يصنع منها الميرون المقدس ومن منطقة المطرية وعين شمس سارت العائلة المقدسة متجهة ناحية مصر القديمة وارتاحت العائلة المقدسة لفترة بالزيتون وهى فى طريقها لمصر القديمة وقد ظهرت العذراء مريم على قباب كنيسة الزيتون فى شهرى أبريل ومايو 1968 واعترفت الكنيسة القبطية والكاثوليكية بهذا الظهور العظيم.

العائلة المقدسة فى مدينة سمنود

- ومن بلبيس والمطرية رحلت العائلة المقدسة شمالاً إلى بلدة منية سمن ود (منية جناح) من منية سمنود عبرت العائلة المقدسة نهر النيل إلى مدينة سمنود (جمنوتى - ذبة نشر) داخل الدلتا، واستقبلهم شعبها استقبالاً حسناً فباركهم السيد المسيح له المجد ويوجد بها ماجور كبير من حجر الجرانيت، يقال إن السيدة العذراء عجنت به أثناء وجودها.

العائلة المقدسة فى مدينة سخا

- وقد ظهر قدم السيد المسيح على حجر، ومنه أخذت المدينة اسمها بالقبطية، وقد أخفى هذا الحجر زمناً طويلاً خوفاً من سرقته فى بعض العصور - واكتشف هذا الحجر ثانية من حوالى 13 عاماً فقط.

دير القديسة دميانة

- وإذا كانت العائلة المقدسة قد سلكت الطريق الطبيعى أثناء سيرها من ناحية سمنود إلى مدينة سخا، فلا

كنيسة أبي سرجة

بد أنها تكون قد مرت على كثير من البلاد التابعة لمحافظة الغربية وكفر الشـــيخ، ويقول البعض أنها عبرت فى طريقها فى بـــرارى بلقاس حيث يوجد دير القديســـة دميانة العامر ويوجد به أكثر من 200 راهبة وهو يعتبر من الزيارات المهمة فى تاريخ العائلة المقدسة.

العائلة المقدسة فى وادى النطرون

- ومـــن مدينة ســـخا عبرت العائلة المقدســـة نهر النيل (فرع رشـــيد) إلى غرب الدلتا، وتحركت جنوبـــاً إلى وادى النطـــرون، وقد بارك الســـيد المسيح وأمه العذراء هذا المـــكان وبه عدد أربعة أديرة عامرة وهى أديرة الأنبا بيشـــوى والأنبا مقـــار ودير السريان ودير البراموس وجميعها أديرة نشـــطة تقوم بأداء رســـالتها ويوجد بدير الأنبا بيشوى جسد المتنيح قداسة البابا شـــنودة الثالـــث كما يوجد على بعد حوالى 3كم بحيرة مالحة تسمى نبع الحمرا ويوجد فى وسط البحيرة نبع يخرج منه ينبوع مياه صالحة للشرب قيل إن هذا الينبوع اغتســـلت منه العائلة المقدسة عند زيارتها إلى مصر.

العائلة المقدسة بمنطقة وسط القاهرة ومصر القديمة

- أما عن منطقة وسط القاهرة فتوجد بها:

كنيسة الســـيدة العذراء الأثرية بحارة زويلـــة وهى كانت فى القرن الرابـــع الميلادى لمـــدة 650 عاماً بطريركيـــة للأقبـــاط الأرثوذكس ويوجد بها مدافن لعدد 37 بابا لهذا المكان المقدس.

كمـــا توجـــد بنفـــس المنطقة الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية بكلوت بك وكانت بطريركية الأقباط قبل البطريركية الحالية بالعباسية ويوجـــد بها مزار مهـــم جداً وهو كنيسة العزباوية بكلوت بك.

ووصلت العائلة المقدســـة إلى مصر القديمة، وتعتبر منطقة مصر القديمة من أهم المناطق والمحطات التى حلت بها العائلة المقدســـة فى رحلتهـــا إلى أرض مـــصر، ويوجد بها العديد مـــن الكنائس والأديرة وقد تباركت هـــذه المنطقة بوجود العائلة المقدسة، ولم تستطع العائلة المقدسة البقاء فيها إلا أياماً قلائل، نظراً لتحطم الأوثان فأثار ذلك والى الفسطاط فأراد قتل الصبى يسوع، وكنيســـة القديس سرجيوس (أبو سرجة) بهـــا الكهف (المغارة) التى لجأت إليها العائلة المقدسة وتعتبر من أهم معالم العائلة المقدسة بمصر القديمة.

وسنورد كنائس منطقة حصن بابليون - مصر القديمة:

- كنيسة القديس سرجيوس (أبو سرجة).
- كنيسة العذراء الشهيرة المعلقة.
- كنيسة القديسة بربارا.
- كنيســـة مار جرجس (بقصر الشمع).
- كنيسة العذراء الشهيرة باسم قصرية الريحان.
- دير مار جرجس للراهبات.
- حصـــن بابليـــون والمتحف القبطى.
- كنيسة مار جرجس للروم.
- المعبد اليهودى بن عزرا.

أما الكنائس الموجودة بالفسطاط - مصر القديمة:

- كنيســـة القديس مرقوريوس المعروف بأبى سيفين.
- كنيسة الأنبا شنودة.
- كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالدمشيرية.
- دير أبى سيفين للراهبات.
- كنيســـة الســـيدة العذراء -

كنيسة ابى سرجة

مبارك شعبى مصر

بابليون الدرج.

- كنيسة الأمير تادرس المشرقى.
- كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل التى تعرف بدير الملاك القبلى.
- كنيسة مارمينا بزهراء مصر القديمة.
- كنيسة أباكير ويوحنا.

العائلة المقدسة فى منطقة المعادى

- ارتحلت العائلة المقدسة من منطقة مصر القديمة متجهة ناحية الجنوب، حيث وصلت إلى منطقة المعادى -أحد ضواحى منف- عاصمة مصر القديمة.

وقد أقلعت العائلة المقدسة فى مركب شراعى بالنيل متجهة نحو الجنوب (بلاد الصعيد)، من البقعة المقام عليها الآن كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالعدوية، لأن منها عبرت (عدت) العائلة المقدسة إلى النيل فى رحلتها إلى الصعيد ومنها جاء اسم المعادى. وما زال الممر والسلم الحجرى الذى نزلت عليه العائلة المقدسة إلى ضفة النيل موجوداً وله مزار يفتح من فناء الكنيسة.

ومن الأحداث العجيبة التى حدثت عند هذه الكنيسة، أنه فى يوم الجمعة 3 برمهات الموافق 12 مارس 1976، وجد الكتاب المقدس مفتوحاً على سفر أشعياء النبى الإصحاح 19: -25 : «مبارك شعبى مصر». طافياً على سطح الماء فى المنطقة المواجهة للكنيسة من مياه النيل ومحفوظ هذا الكتاب المقدس داخل الكنيسة على نفس الصفحة التى تم انتشالها من نهر النيل.

العائلة المقدسة فى قرية دير الجرنوس ـ مغاغة

- وصلت العائلة المقدسة قرية دير الجرنوس على مسافة 10 كم غرب اشنين النصارى مركز مغاغة وبجوار الحائط الغربى لكنيسة السيدة العذراء يوجد بئر عميقة، يقول التقليد أن العائلة المقدسة شربت منها.

العائلة المقدسة فى البهنسا

- مرت العائلة المقدسة على بقعة تسمى اباى ايسوس (بيت يسوع) شرقى البهنسا ومكانه الآن قرية صندفا - بنى مزار، وقرية البهنسا الحالية تقع على مسافة 17 كم غرب بنى مزار.

العائلة المقدسة بجبل الطير شرق سمالوط

- ارتحلت العائلة المقدسة من بلدة البهنسا ناحية الجنوب حتى بلدة سمالوط بمحافظة المنيا، ومنها عبرت النيل ناحية الشرق حيث يقع الآن دير السيدة العذراء بجبل الطير شرق سمالوط، ويقع هذا الدير جنوب معدية بنى خالد بحوالى 2كم ويرتفع حوالى 80 متراً عن الأراضى حوله. حيث استقرت العائلة بالمغارة المحفورة فى الجبل الموجودة حالياً بالكنيسة الأثرية.

ويسمى بجبل الطير لأن ألوفاً من طير البوقيرس تجتمع وتعشش فيه ويسمى أيضا بجبل الكف حيث يذكر التقيد القبطى أن العائلة المقدسة وهى بجوار الجبل ـ كادت صخرة كبيرة من الجبل أن تسقط عليهم، فمد الرب يسوع يده، ومنع الصخرة من السقوط فامتنعت، وانطبع كفه على الصخرة.

شجرة العابد بجبل الطير

وفى الطريق مرت العائلة المقدسة على شجرة لبخ عالية، على مسافة 2كم جنوب جبل الطير، بجوار الطريق المجاور للنيل، والجبل الواصل من جبل الطير إلى نزلة عبيد إلى كوبرى المنيا الجديد. ويقال إن هذه الشجرة سجدت للسيد المسيح له المجد، وتجد

أن جميع فروعهـــا نازلة على الأرض ثم صاعدة ثانيـــة بالأوراق الخضراء ويطلق عليها شجرة العابد.

العائلة المقدسة تواصل رحلتها جنوباً

- العائلة المقدسة ببلدة قسقام بمحافظة أسيوط

ارتحلت العائلة المقدســـة من ســـمالوط وجبل الطير والأشمونين واتجهت جنوباً حوالى 20كم ناحية ديروط الشريف.

ثـــم إلى قســـقام (قوســـت – قوصيـــا) حيـــث ســـقط الصنم معبودهم وتحطم، فطردهم أهلها خـــارج المدينـــة وأصبحت هذه المدينة خراباً.

العائلة المقدسة ببلدة مير

- انتقلت العائلة المقدســـة من قرية قســـقام واتجهت نحو بلدة مير (ميره) ـ تقـــع على بعد 7 كم غـــرب القوصية، وقـــد أكرم أهل مير العائلة المقدســـة أثناء وجودها بالبلـــدة، وباركهم الرب يســـوع والسيدة العذراء وحتى اليوم تعتبر الأراضى الزراعية فى بلدة مير أكثر خصوبة مـــن أى أرض زراعية فى مصر.

العائلة المقدسة بجبل قسقام دير المحرق:

بعـــد أن ارتحلـــت العائلـــة المقدســـة من قرية مير اتجهت إلى جبل قسقام وهو يبعد 12كم غرب القوصيـــة ويعتبر دير المحرق من أهم المحطات التى اســـتقرت بها العائلة المقدسة ويشتهر هذا الدير باســـم «دير العذراء مريم» تعتبر الفترة التـــى قضتها العائلة فى هذا المكان من أطول الفترات ومقدرها «6شهور و10أيام» وتعتبر الغرفة أو المغارة التى سكنتها العائلة هى ول كنيســـة فى مصر بل فى العالم كله ويعتبر مذبح كنيســـة العذراء الأثرية فى وسط أرض مصر وعليه ينطبق حرفياً قول الله على لســـان نبيه أشعياء «وفى ذلك اليوم يكون مذبح للرب وســـط أرض مصر». وفى نفـــس المكان ظهر ملاك الرب ليوســـف النجار فى حلـــم وأمر إياه والعـــودة إلى أرض إسرائيل «مت2:20» لأن هيرودس قد مات.

يقع هذا الدير فى ســـفح الجبل الغربى المعروف بجبل قســـقام . نسبة إلى المدينة التى خربت، ويبعد نحو 12 كم غرب بلـــدة القوصية التابعة لمحافظة أســـيوط، على بعد 327 كم جنوبى القاهرة.

مكثـــت العائلة المقدســـة نحو حوالى ستة أشـــهر وعشرة أيام، فى المغارة التى أصبحت فيما بعد هيكلاً لكنيسة الســـيدة العذراء الأثرية فى الجهة الغربية مـــن الدير. ومذبح هذه الكنيسة حجر كبير كان يجلس عليه السيد المسيح.

وفى هذا الدير ظهر ملاك الرب ليوسف الشـــيخ فى حلم قائلاً: «قم وخذ الصبى وأمة واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مـــات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي» - مت.

العـــودة

- وفى طريق العودة سلكوا طريقا آخر انحـــرف بهم إلى الجنوب قليلا حتى جبل أسيوط (المعروف بجبل درنكة) وباركته العائلة المقدســـة، حيث بنى دير باسم السيدة العذراء يقع على مســـافة 8كم جنوب غرب أسيوط ثم وصلوا إلى مصر القديمة ثم المطرية ثم المحمة ومنها إلى سيناء ففلســـطين حيث ســـكن القديس يوســـف والعائلة المقدسة فى قرية الناصرة بالجليل.

- وهكذا انتهـــت رحلة المعاناة التى استمرت أكثر من ثلاث سنوات ذهاباً وإياباً قطعوا فيها مســـافة أكثر من ألفى كيلو متر، ووســـيلة مواصلاتهم الوحيدة ركوبة السفن أحيانا فى النيل، وبذلك قطعوا معظم الطريق مشياً على الأقدام محتملين تعب المـــشى، وحـــر الصيف وبرد الشتاء والجوع والعطش والمطاردة فى كل مكان، فكانت رحلة شاقة بكل معنى الكلمة تحملها السيد المسيح وهو طفل مع أمه العذراء والقديس يوسف بفرح لأجلنا.

مبارك شعبى مصر
أشعياء 19: 25

افرحى وتهللى يا مصر ويا أهل مصر وبنيهـــا وكل تخومها، فإنه قد أتى إليك محـــب البشر الكائن قبل الدهـــور «ذكصولوجية اليوم الرابع والعشرون من شهر بشنس (1يونيو)، فى هـــذا اليوم تحتفل الكنيســـة القبطيـــة بعيد دخول الســـيد المســـيح إلى أرض مصر وكانت زيارة الســـيد المسيح لمصر هى التمهيـــد الحقيقى لمجيء مار مرقس الرسول إلى مصر وتأسيس كنيسة الإسكندرية، وسرى التدين إلى كل الناس فأصبح شعب مصر متديناً روحانيـــاً يعرف الله حق المعرفة ويعبده حق العبادة حتى كملت النبـــوة. «فيعرف الرب فى مصر ويعـــرف المصريون الرب ... ويقدمون ذبيحة وتقدمة».

رحلة مقدسة إلى أرض مقدسة

من أصعب ألوان الكتابة هى أن تكتب عن موضوع دينى فى سياق تاريخى، إذ أنك تصطدم لا محالة بالنص الدينى الذى أصبحت له بفعل الممارسة العقائدية مصداقية تاريخية ليتحول إلى نص تاريخى مقدس، ناهيك عن قدسيته الدينية. والأصعب على الإطلاق هو أن تتناول موضوعاً دينياً سكتت عنه النصوص الدينية ذاتها إلا فيما ندر. وأن تكتب عن رحلة بهذا الحجم والأثر على العقيدة المسيحية وعلى الإنسانية برمّتها، وتريد تناولها من وجهة نظر تاريخية ثقافية واجتماعية سياسية فى ظل ندرة التقفى التاريخى اليقينى لها، فأنت تخوض غمار المجهول بكل ما يحمله لك من مفاجآت.

حسام نصار
وكيل أول وزارة الثقافة سابقاً
للعلاقات الثقافية الخارجية
hossam.nassar@redcondevelopment.com

لقد ولد المسيح عليه السلام طبقاً لأدق الروايات التاريخية فى السنة الرابعة قبل الميلاد، وأغلب الظن أن يوحنا المعمدان المعروف فى الإسلام باسم يحيى عليه السلام قد ولد فى ذات السنة أو قبلها بعام. وتقول لنا الروايات التاريخية أن كليهما قد رحلا عن بيت لحم مع عائلتيهما خوفاً من ملك اليهود المؤيد من الإمبراطورية الرومانية – هيرودس – إثر مرسوم صدر عنه بقتل الذكور ما دون السنتين فى بيت لحم، إثر زيارة قام بها مجوس المشرق يستشرفون فيها ولادة لمسيح سوف يملأ الأرض عدلاً وبهاءً ليسجدوا له ويبايعوه ويدخلوا فى زمرته، رأى فيه هيرودس تهديداً لملكه.

وبعيداً عن النصوص الدينية بل وعن التاريخية، أن يولد شخصان بهذا الأثر العالمى فى سنة واحدة بما كان بينهما من روابط عائلية وعقائدية ومعمدانية، وأن تتم المشابهة بين مرسوم هيرودس بقتل من هم دون السنتين من أطفال بيت لحم وبين ومرسوم فرعون بقتل أبكار اليهود بمصر، وأن تخرج عائلة أحدهما هاربة إلى القدس والأخرى هاربة إلى مصر، فى خروج عكسى لخروج موسى عليه السلام باليهود من مصر، وأن يتحدى أحدهما السلطة الزمنية لهيرودس الابن، ويتحدى الآخر سلطة الهيكل الروحية، وينتهى كل هذا طبقاً لأغلب الروايات التاريخية لأحدهما بقطع الرأس وللآخر بالصلب فى سنة واحدة وهى 30 بعد التقويم الميلادى، لهى كلها أحداث مزلزلة، لا بد وأن كان لها ما يعنيها وما يسببها من سياقات اجتماعية وسياسية وثقافية تستحق أن يُلقى الضوء عليها من وجهة نظر تحليلية بحتة، على أنها ثورة اجتماعية كبرى، كانت لها مقدمات وأرضيات سبقتها وهيأت لها هذا الانتشار الواسع بالغ الأثر على الحضارة الإنسانية، فالنبوة لها ما يسببها أيضاً وما كان لله سبحانه أن يبعث نبياً برسالة إلا وقد توافرت لها أسباب القيام والنجاح من وجهة نظر دنيوية سببية، فالنبوة ما هى إلا ثورة اجتماعية فى مضمونها.

فما الذى جعل تلك المنطقة من العالم من حدود الهند وفارس وحتى حدود جنوب مصر وغربها تنتظر هذا المسيح المخلّص؟ وكيف ظهرت المسيحية حتى قبل مولد المسيح ذاته؟ وما الذى حدث قبل مولد يوحنا والمسيح عليهما السلام؟ وما الذى حدث فى حياتهما بين العام الثالث قبل الميلاد والعام الثلاثين بعد الميلاد؟ ولماذا ذهبت عائلة يوحنا إلى القدس وعائلة اليسوع إلى مصر؟ ولماذا مصر؟ هذا ما ننوى مناقشته وتناوله فى هذا المقال من منطلق تحليلى بحت؟

لقد أربك المقدونيون ثقافات المنطقة وعقائدها الروحية بثقافة يونانية دخيلة، استطاعت توفيق أوضاعها فى مصر على يد المقدونيين البطالمة بإنشاء عقائد وسيطة، تحول معها الثالوث المصرى إلى ثالوث مصري/يونانى، فأصبح أوزيريس سيرابيس، وأصبح حورس هاربوكراتس، وبقت إيزيس على حالها معبودة مصرية يونانية، واستطاعت مكتبة الإسكندرية ضخ ثقافة هيلينستية قامت بمزج الفلسفات اليونانية مع الميثولوجيا الوسيطة الناشئة، أفرزت ديانة هى أشبه بالفلسفة منها إلى العقيدة، وهى الهرمسية التى تجّلت فى الإله هرمس مثلث العظمة، استطاع المصريون أن يروا فيه إلههم «تحوت أو توت» واستطاع اليونانيون أن يروا فيه إلههم القديم هرمس رسول الإله زيوس، واستطاع بعض اليهود المتأغرقين رؤية النبى موسى عليه السلام فيه، فبدت مصر مع كل هذا وحتى بعد اندحار البطالمة على يد الرومان فى حالة عقلية وروحية متزنة ومتسامحة ومستقبلة للأفكار الجديدة التى تتوافق مع هذا الإرث الحضارى التليد.

وكان البطالمة على إثر هذا كله فى

وفاق مع يهود فلسطين التى كانت محل صراع مرير بين الطوائف المقدونية ممثلة فى بطالمة مصر وسلوقيى الشام وفارس، انحاز فيها يهود فلسطين دائماً إلى جانب البطالمة على حساب السلوقيين، وعاقبهم السلوقيون على هذا بتدمير هيكل أورشليم فى أكثرمن غزوة من غزواتهم على مصر، ولم تكن أراضى الشام والعراق وفارس مهيأة لاستقبال عائلات يهودية هاربة من بطش هيرودس الأب، ولهذا اتجهت العائلتان صوب الغرب، واحدة تجاه القدس فى حماية سدنة الهيكل الذى كان زكريا عليه السلام والد يوحنا المعمدان أحد كهنته ومنها إلى الجبال، فى حين لم ترى عائلة المسيح الوليد بدّاً عن الهروب إلى مصر المهيأة تماماً لاستقباله واستقبال عقيدته بعد ذلك بحين.

وكانت يهودا تعج بالصراع بين الطبقات والطوائف اليهودية الثلاث الكبرى، الفريسيين، والصدوقيين، والأسينيين، كان الصدوقيون يمثلون الطبقة الزمنية ذات العلاقة الوثيقة بالرومان المحتلين، وكان الفريسيون يمثلون الطبقة الروحية بتعاليمها الجامدة واستعلائها الدينى واحتقارها لكل من هو ليس يهودياً بل ليس فريسياً، وكان الأسينيون يمثلون الطبقة الصوفية المعتزلة لكل مباهج الحياة ومسرات الدنيا، عاشوا حياتهم فى حالة رهبنة وتصوف وشراكة فى تربية أبناء غيرهم حيث أنهم كانوا يحرّمون الزواج على أنفسهم.

ونظرة واحدة على حياة يوحنا المعمدان وسيرته وعيشه بالبريّة على أكل الجراد والعسل، تشى، بل وتؤكد انتماءه لتلك الطائفة شديدة الورع والتقوى، وإن لم تكن تؤكد ذات الشئ عن عائلة المسيح أو عائلة يوحنا ذاته، إلا أنها لا تنفى تأثر المسيح بدعوة يوحنا أسينية الطابع. ومن المؤكد تاريخياً أن الأسينيين كانوا يشككون فى شرعية هيرودس الأب كملك، ومن المؤكد أيضاً أن الكثيرين من اليهود غير الأسينيين كانوا يتعاطفون مع

الأيقونة التى باركها البابا فرانسيس للرحلة المقدسة

ورع وتقوى ومعارضة الأسينيين للوضع القائم، وكل هذا يشير إلى بوادر ثورة اجتماعية كانت تتأجج فى نفس المجتمع اليهودى وبخاصة المجتمع الأسينى منها والمتعاطفين معهم، قد تفسّر لنا اجتماعياً وتاريخياً هروب العائلتين من بيت لحم بوليديهما إذا ما نحينا جانباً مرسوم هيرودس بقتل أطفال بيت لحم، فربما كان هذا اضطهاداً للأسينيين ومشايعيهم الذين كانوا يمثلون الأقلية الورعة فى المجتمع اليهودى.

لقد كنا فى الأغلب الأعم فى هذا الوقت، ومن منطلق تحليلى بحت، أمام حراك اجتماعى واقتصادى كبير فى تلك المنطقة من العالم، أحد روافده كان يهودياً قومياً، والآخر كان أممياً عالمياً، نشد أولهما التطهير والتطوير الدينى للعقيدة اليهودية، ونشد الآخر الخلاص والتوق الروحى إلى مخلّص يسير بالأمميين نحو التوحيد الذى رفض اليهود دخول الأغيار فيه. وربما يفسّر هذا الانتقال الكبير الذى حدث فى حياة المسيح وفى حياة رسله وحوارييه من بعده متمثلاً فى تحول الرسالة من رسالة قومية «(مت 15:24) لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» - إلى رسالة عالمية - «(يو10:26) ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد»، وكذلك على سبيل المثال لا الحصر، «(مر 16:15 اذهبوا إلى العالم واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها».

«تعليمى ليس من عندى بل من عند الذى أرسلنى (يو 7:16)»، هكذا قال المسيح لأصحابه، وهى قد تعنى التعليم الإلهى المباشر، وقد تعنى أيضاً توفير الأسباب الزمنية والدنيوية للتعليم والتعلم بدعمٍ إلهى. وقد

يكون هذا أحد أسباب هروب عائلة الطفل الإلهى إلى مصر، بكل التلاقى الحضارى الذى حدث فيها على مر العصور، بين ربوع ميثولجيات عدة قد تلاقحت وأفرزت ديانة شعبية هى الأقرب للمسيحية الوليدة، فهل كان هناك موضع آخر فى المنطقة يتيح هذا الاحتكاك الحضارى والعقائدى بين أقاليم المنطقة غير مصر؟

لقد أمضى المسيح عليه السلام بمصر فترة تتراوح بين سنة، وسنتين، وأربع سنوات، وثمانى سنوات على أقصى تقدير للروايات التاريخية المختلفة، وإذا أخذنا أقصى تقدير للفترة التى قضاها فى مصر وهى ثمانى سنوات، وأضفنا عليها عامين كان من المرجح أن يكون عمره عليها حين غادر إلى مصر، وجدناه يعود إلى القدس وهو فى سن العاشرة تقريباً، وهى سن تتيح لنابغة مثله – ناهيك عن كونه كلمة الله وهذا فى حد ذاته تعبيراً عن المعرفة- تحصيل قدر يسير من المعارف العقائدية والفلسفية ظهرت جليّة فى حواراته وعظاته ونصائحه بالأناجيل الأربعة.

وقد ظهر المسيح فى إنجيل متى صبياً لم يتجاوز الاثنى عشر عاماً يجالس العلماء فى الهيكل ثلاثة أيام متصلة، وهو إن دل على شئ فهو يدل على شغف معرفى ورغبة فى التحصيل ما كانت لتتوافر له إنسانياً – ناهيك عن الشق الإلهي- لولا تعرّضه لموارد معرفية هائلة ومتنوعة فى سن مبكرة، وتدلنا مسارات العائلة المقدسة فى مصر على أن الرحلة كانت أشبه بسياحة معرفية للمسيح، ترك فى كل ربع من ربوعها أثراً، وتأثر أيضاً من كل ربع من ربوعها بأثر.

ما نريد أن نخلص له بهذا المقال، أنه إذا نظرنا إلى مصر والمسيح من منطلق دنيوى تطورى بحت، لوجدنا مصر تمثل حتمية تاريخية فى استقبال المسيح وعائلته، وإذا نظرنا له من منطلق إلهى بحت، لخلصنا إلى أنه ما كان لله سبحانه أن ينزل ديناً جديداً وأن يبعث برسول جديد إلا وكانت الأسباب الزمنية مهيأة تماماً لاستقبال الديانة والرسول، فمن الصعب تصور نجاح المسيحية هذا النجاح لو أنها نزلت قبل ذلك بعدة قرون، وكذلك الحال بالنسبة إلى الإسلام، وقد كانت مصر مهيأة تماماً لاستقبال المسيح، كما كانت مهيأة تماماً لاستقبال المسيحية، ولولا عالمية مصر الهيلينستية وأثرها العقائدى على العالم، لما انتشرت المسيحية هذا الانتشار الكبير، ولولا تضحيات شهداء المسيحية الأولى فى مصر ونضالهم، لما استطاعت المسيحية أن تفرض نفسها على الإمبراطورية الرومانية.

وقد كانت دعوة يوحنا المعمدان تبشيراً بقدوم المخلّص كحتمية تاريخية أو إلهية أو كليهما معاً، تماماً كما كانت دعوة أحناف الجزيرة العربية تبشيراً بقدوم المصطفى عليه أفضل الصلاة، فالخلاص دوماً فى حاجة إلى نصير أيديولوجى قادر على حمل مشاق الدعوة وتحمل تضحياتها، وفى حاجة إلى وطن حاضن وإلى هجرة، وفى حاجة إلى بيئة عالمية قادرة على نشر الرسالة، وقد كانت مصر هى وطن الهجرة المبكرة المثالى للمسيح عليه السلام، لم يكن لجوء المسيح وعائلته لها مجرد صدفة تاريخية، وإنما ضرورة وحتمية وخطة إلهية مدعومة بملابسات زمنية مهيأة ومهيئة للدعوة الجديدة.

إن مصر فى الحقيقة أرض استثنائية، ترقى إلى مرتبة الأرض المقدسة من وجهة نظر ميثولوجية، خرجت عقائدها القديمة إلى العالم ما قبل اليهودية، ثم خرجت اليهودية منها بعد حراك إخناتونى كبير، ثم امتزجت اليهودية مع الفلسفة اليونانية مع العقائد المصرية القديمة لتخرج لنا عقيدة وسيطة مهّدت للمسيحية، ثم خرجت المسيحية منها إلى العالم فى رسالة تنوير وخلاص سامية عالمية لم تجد روما أمامها بدّا من احتضانها بعد أن قامت بتحريم عقيدة إيزيس العالمية على الإمبراطورية قبل ذلك بقليل، ثم احتضنت المسيحية فيها الإسلام الوليد فى تحدٍ مصرى للمذاهب الملكانية البيزنطية، خرج بعدها الإسلام إلى العالم والعالمية.

وتظل آيات الله فى الكتاب المقدس وفى القرآن الكريم تحفظ الأرض الاستثنائية، وتحفظ عقيدتيها العالميتين حتى تقوم الساعة «مبارك شعبى مصر» و «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين».

دلالات ومعانٍ

مصر منذ فجر التاريخ هى مصدر الأمن والأمان للجميع وليس أدل على ذلك من احتضانها لكثير من أنبياء العهد القديم ومن بينهم على سبيل المثال الآباء إبراهيم ويعقوب والنبى موسى الذى تهذب بحكمة المصريين، ويوسف الصديق الذى جاء إلى مصر أيام فرعون حتى أصبح وزيراً، بل نجد أكبر مثال على أن مصر خطاها الأنبياء والقديسون هو رحلة العائلة المقدسة، القديسة العذراء مريم وابنها الطفل يسوع ومعهم يوسف النجار، جاءت العائلة المقدسة إلى مصر باركت أرضها واحتمت فيها من بطش هيرودس عندما أصدر قراراً بقتل جميع الأطفال، فجاءت العائلة المقدسة إلى مصر.

د. عايدة نصيف
أستاذة الفلسفة المسيحية كلية الآداب - جامعة القاهرة
freeuni@yahoo.com

وقد سارت العائلة المقدسة فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها لتباركها ولكى تحطم الوثنية بأصنامها وتغرس غرسًا روحيًّا مباركًا يدوم مع الزمن.

البركة حلت بمصر

احتمت وباركت؛ احتمت فى حضن مصر، وباركت أرض مصر، فقد نشرت جامعة كولون بألمانيا لأول مرة بردية أثرية ترجع إلى القرن الرابع الميلادى، تتحدث عن فترة وجود السيد المسيح والعائلة المقدسة فى مصر، مؤكدة أن طفولة السيد المسيح فى مصر استمرت ثلاث سنوات وأحد عشر شهرًا. والبردية التاريخية مكتوبة باللهجة القبطية الفيومية. وتؤكد أحد المصادر المهمة أن البردية تؤكد أن البركة حلت بمصر وأن شهر بشنس هو أكثر شهور السنة بركة ولذلك نجد الكنيسة القبطية تحتفل فى اليوم الرابع والعشرين منه (يوافق يوم ١ يونيو) كل عام بذكرى دخول العائلة المقدسة إلى مصر.

خرجت العائلة المقدسة من بيت لحم بالأراضى المقدسة واتجهت إلى أرض وادى النيل، وكانت الصورة التى يجب أن نتأملها رجلاً عجوزاً يقود حماراً عليه السيدة العذراء حاملة يسوع وخلفهما عجوز أخرى هى سالومى إلى أين يمضى؟ لم يكن يعلم كيف سيعيش فى أرض غريبة؟ كيف سيأكل هو ومن معه؟ أين يحتمى من حر الصيف وبرد الشتاء؟ كان كل همه أن ينفذ وصية الرب التى أتته والتى مضمونها «فظهر ملاك الرب ليوسف النجار فى حلم وقال له: قم وخذ الصبى وأمه واهرب لأرض مصر لأن هيرودس مزمع أن يقتل الصبى، فخرج يوسف منفذاً أمر الملاك، وأخذ معه السيدة القديسة العذراء مريم وهى تمتطى حماراً وتحمل على ذراعيها يسوع، ويوسف بجانبهما يقود الحمار».

وتأمل آخر يجب أن نتجه إليه

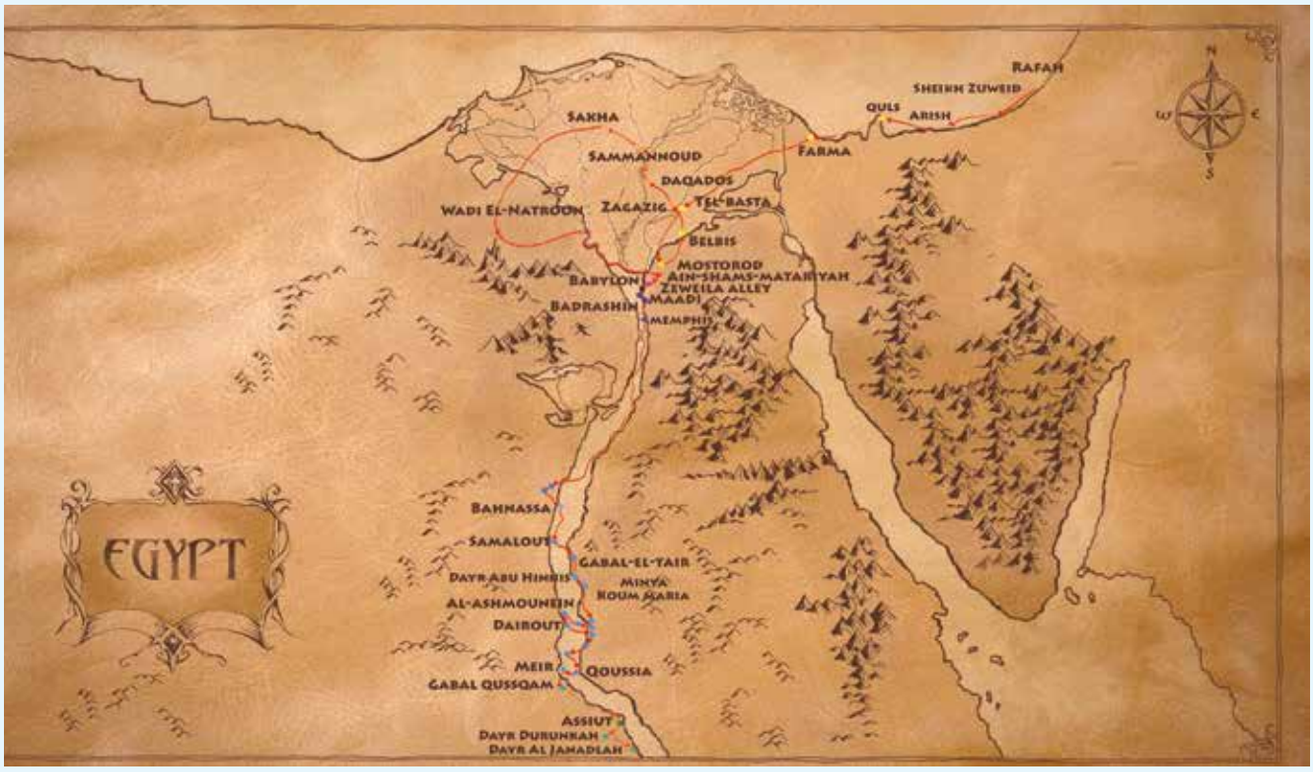

دلالات ومعانٍ

بأفكارنا عن هذه الفتاة الصغيرة العذراء مريم، التى تحمل ابنها من المرجح أن عمرها لم يكن يتجاوز 15 سنة وبالرغم من هذا كانت مستعدة للتضحية بالهجرة من بين أهلها ووطنها، وحينما نتأمل صورة العائلة المقدسة الموجودة الآن والموجودة كصورة أثرية بدير المحرق بأسيوط نجدها تمثل السيد المسيح والسيدة العذراء ويوسف البار ممسكاً برأس حمار يقوده، ويظهر فى الصورة الشجرة وأوراقها متدلية منحنية وفى الطرف الشمالى يظهر ملاك متعبداً للرب. وحينما خطت خطوات العائلة المقدسة وابتدأت رحلة هروبها ولمست أرجلهم تراب وادى النيل تباركت للوقت أرض مصر هو ذا يسوع قادم إلى أرض مصر، واحتضنت مصر منذ تلك اللحظة العائلة المباركة.

مصر بلد للسلام والاطمئنان

إن رحلة العائلة المقدسة لمصر تحمل الكثير من المعانى والقيم التى يجب على الجميع أن يتحلوا بها، أهمها أن مصر بلد للسلام والاطمئنان، وأن رحلة المسيح فيها ملأت ربوعها بالبركة، فكل الأديان السماوية أكدت أن مصر هى واحة الأمان، كما أن العظة الكبيرة من هذه الرحلة تتمثل فى الاقتداء بهؤلاء العظماء فى طريقة عيشهم البسيطة، وتعاملهم بالمودة مع الناس؛ فمصر .. أرض التعايش والضيافة؛ أرض اللقاء والتاريخ والحضارة والسلام والأرض المباركة عبر العصور بدم الشهداء والأبرار الثمين؛ والتى عاش فوقها القديس يوسف والعذراء مريم والطفل يسوع والكثير من الأنبياء.

ويقال أيضاً ارتجفت الأوثان آنذاك فى عهد الرومان من هيبة يسوع، وتزلزلت الأرض تحت أقدامها ومالت بثقلها الحجرى فتحطمت وتكسرت أمام رجلى الصبى القادم على مصر. وقد روى المؤرخون هذه الحادثة أيام حكم الرومان فقالوا: «إن الأصنام كانت تتكسر لدى ظهوره أمامها، والبرارى أقفرت من شياطينها. وذاب قلوب كهنة الأصنام خوفاً وهلعاً، ودهشة وفزعاً، فهرعوا إلى حكام مصر لينصروهم على القادم الصغير ولكنه لم يكن سلطان الظلمة له سيطرة عليه».

وفى أثناء هروب العائلة المقدسة من بلدة إلى أخرى كان يؤمن بعض المصريين بيسوع ولكنه كان يجد الكره والعداوة من بعضهم الآخر ومن كهنة الأوثان وخدامها لفقدهم أرزاقهم، فحلت على الأولين بركته وعلى الآخرين هيبته. وكما تحطم تمثال داجون أمام تابوت العهد المقدس هكذا سقطت التماثيل عند مجئ يسوع، إذ لم تقوَ على مواجهة حضوره.

والمؤرخ بلاديوس PALLADIUS أسقف هيلينوبوليس Helenopolis وهو من رجال القرن الرابع الميلادى ذهب بنفسه إلى إقليم الصعيد إلى «منطقة الأشمونيين» حيث ذهب السيد المسيح مع مريم ويوسف إتماماً لكلام الرب على لسان أشعياء (أشعياء 19 :1) الذى قال: «هو ذا الرب يركب على سحابة سريعة ويدخل مصر، فتتزلزل أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر فى داخلها». وقال المؤرخ: «وقد رأينا أيضاً هناك بيت

الأوثان حيث سقطت جميع الأوثان التى فيه عـــلى وجوهها عندما دخل مخلصنا المدينة».

فرحلة «العائلة المقدســـة» إلى أرض مصر؛ والتى جاءت هروباً من اضطهاد وبطش الملك «هيرودس»؛ الذى أراد أن يقتل المســـيح وعندما نتوقف عنـــد مصطلـــح «العائلة المقدسة» نجده هو مصطلح دينى تاريخـــي؛ فالعائلـــة تتكون من السيد المســـيح وهو مازال طفلاً فى حضن أمه «السيدة مريم العذراء»؛ و«يوسف النجار» الذى شاركها فى رحلة الهرب مـــن الطغاة؛ فهربت بالغلام بالطفل وهـــو فى مهده إلى مـــصر أرض الأمن والأمـــان على مـــر التاريخ والأحقـــاب؛ فزحفت العائلة المقدســـة من فلسطين عبر طريق العريـــش؛ وصولاً إلى حصن «بابليون» المعروف اليوم بـ«مصر القديمة»؛ وتحركـــوا نحو صعيد مصر للاختباء فترة من الزمن؛ تحت حماية العائـــلات والقبائل المصرية القاطنة فى تلك البقاع؛ ثم عادوا إلى الشـــمال مرورًا بوادى النطرون فى صحراء طريق مصر ـ الإسكندرية الحالي؛ واجتازوا الدلتا؛ ثم واصلوا طريق العودة عبر سيناء مرة أخرى إلى فلسطين من حيث أتوا، وكانوا فى كل هذه المراحل فى كنف مصر التى قامت بحمايتهم فى كثير من الأماكن التاريخيـــة والمعروفة الآن بالأماكن المقدســـة والأثرية والتى يأتى إليها الجميع من بلدان العالم للتبرك بها فى أرض مصر الحبيبة.

معان حضارية للرحلة نحتاجها اليوم

استمرت أكثر من ثلاث سنوات ذهابا وإيابا قطعوا فيها مســـافة أكثر من ألفى كيلو متر ووســـيلة مواصلاتهم الوحيدة ركوبة ضعيفة أو الســـفن أحياناً فى النيل وبذلك قطعوا معظم الطريق مشـــياً على الأقدام محتملـــين تعب المشى وحر الصيف وبـــرد الشـــتاء والجوع والعطش والمطـــاردة فى كل مكان فكانت رحلة شاقة بكل معنى الكلمة تحمّلها السيد المسيح وهو طفل مع أمه العذراء والقديس يوسف.

ولذا فهذه الرحلة تحمل دلالات ومعان حضارية وتاريخية وثقافية بل تحمل فى طياتها مفاهيم إنسانية راقية؛ وتتمثل المعانى التاريخية أنها تحمل تراثاً إنسانياً عظيماً ملكاً لكل الإنســـانية وروعته أن هذا الحدث التاريخى والتراثى فى مصر التى تمثل قلب العالم. والمعنى الدينى الروحى ويتمثل فى البعد الكتابى حيث وردت نصوص عنها فى العهد الجديد: «إِذَا مَلاَكُ الـــرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُـــفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «قُـــمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِـــصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِـــيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَى يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَـــوْتُ ابْنِي» (مت ٢: 13-15) ، ووردت نبوءات عنها فى العهد القديم: «هُـــوَ ذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِـــصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِـــصْرَ دَاخِلَهَا» (إش ١٩: ١)، «مِنْ مِـــصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» (هو 11: 1)، (مت 2: 15).

بل هناك بعد أثـــرى وحقيقة أثرية: حيث ما زالت هناك آثار تؤكد مجيء العائلة المقدسة لأرض مصر منها: أديرة وكنائس أثرية وهياكل ومذابح أثرية ومغائر قديمة، ومنها صخور وأحجار، وآبار وأشـــجار، وهذه الآثار تمتـــد على طول البلاد الواقعة على مسار الرحلة، ويضاف لذلك الأيقونات الأثرية والمخطوطات والقطع الفنية، والأديرة والكنائس الأثرية القديمة.

وهناك أيضاً بعد حضارى يمثل جزءاً من الهوية المصرية وتلامســـاً مع البعد التاريخى، فرحلة العائلة المقدســـة فى أرض مـــصر هى من المكونات الأساسية للحضارة المصرية القبطيـــة، بـــل زادت أهمية أرض مصر بين العالم لأنها الأرض الطيبة التـــى قدمت الحمايـــة واحتضنت العائلة المقدسة منذ وقت مبكر من التاريـــخ بل بنى فى معظم مســـار العائلة المقدســـة الأديرة والكنائس والتى عمّرت مـــصر بالإيمان بالله كما حملت رحلة العائلة المقدســـة قيماً إنسانية رائعة هى قيم المحبة والسلام والتعايش على أرض مصر.

فى مَعيّـة «العائلـة المقدسـة»

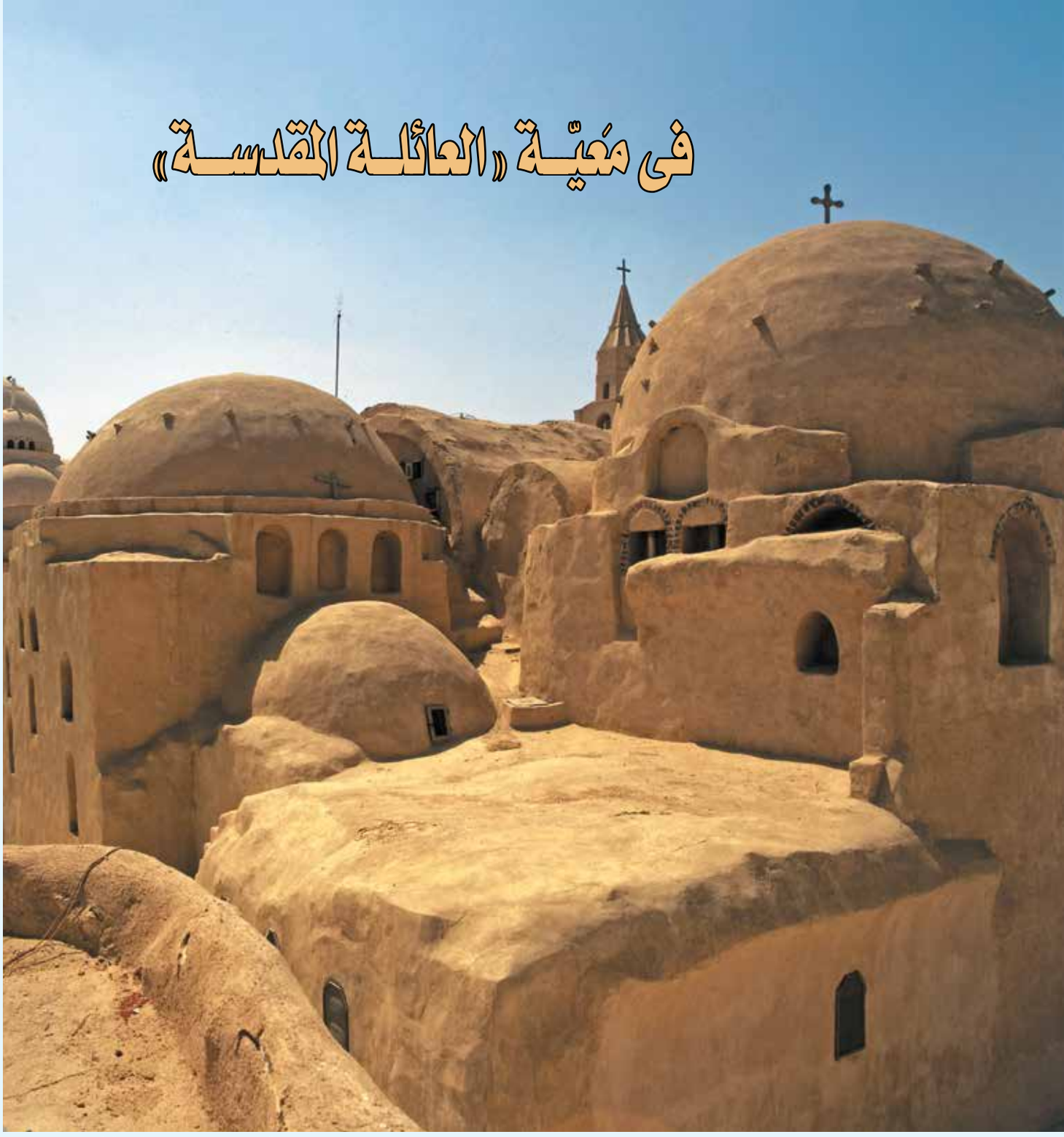

قلقلى «بيوت»الراهب القديمة فى وادى النطرون

شريف سنبل

sherifsonbol@gmail.com

تصوير شريف سنبل من كتاب Churches of EGYPT

فى العام «صفر»

فى عام 1 قبل الميلاد، ظهر جبرائيل ملاك الرب لعذراء مخطوبة اسمها مريم، ليبشرها بميلاد ابن تدعو اسمه يسوع (أوعيسى)، وبالطبع أدرك الملاك أن خطيبها يوسف النجار ستنتابه الشكوك من هذه المسألة، فظهر له هو الآخر وطمأنه من هذه الناحية. وكان من الواضح أن السماء مشغولة جداً بهذا الميلاد، فمع هذين الاثنين ظهرت رؤية لثلاثة ملوك من بلاد فارس، وأنبأتهم بالخبر، كما ظهر ملاك لأحد أحبار اليهود وبشره بميلاد ابن له هو يوحنا المعمدان (النبى يحيى) وأنبأه بأن تلك ستكون علامة لميلاد يسوع. وكانت التوراة مليئة بنبوات قديمة تتحدث عن كل تفاصيل هذا الميلاد وعن مكانه وعن ما سيهديه هؤلاء الملوك للمولود، وكذلك عن رحلته لأرض مصر، وعن جنون الملك الذى سيؤدى إلى هذه الرحلة.

وفى العـــام صفر، صدرت أوامر من أوغســـطس قيصر بأنه على كل من اليهود أن يتجه إلى الدائرة التابع لها، لكى يتم عمل تعداد للســـكان، (والحمدلله أن التعداد فى أيامنا هذه لا يتم بنفس الطريقة)، فاصطحب يوسف النجار خطيبته مريم إلى بيت لحم (حيث تنبـــأت الكتب القديمة أن الملك ســـيولد فيها)، ونظراً لأن الفنادق كانت كاملـــة العدد، فقد اضطرا للبيـــات فى مذود بقر، وهى إشارة لتواضع هذا الملك القادم.

عليـــكم الســـلام

وبالرغـــم من أنه ولد فى حظيرة أبقار، فقد احتفلت به السماء، فظهر نجم خاص ليرشـــد الملـــوك الآتين من المشرق إلى مـــكان المولود، كما ظهرت أوركسترا نت الملائكة تعزف الموسيقى وتســـبح الله، وأرشدت رعاة الغنم إلى الملك المولود، ورنمت قائلـــة «المجد للـــه فى الأعالى، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»، وأنا أظن أن هـــذه الجملة «على الأرض السلام» هى نفسها التحية الخالدة «عليكم السلام».

فى طريقهم، مـــر ملوك الشرق بهيرودس ملك اليهودية وسألوه عن مكان ميلاد الملـــك الطفل؟ فرحب بهم وقدم لهم الطعام وقام بواجب الضيافة على أكمل وجه، ولكن قلبه اضطرب جدا وخاف على عرشـــه من ذلك المولـــود الطفل، فجمع كل رؤســـاء الكهنة وسألهم: «أين يولد ملـــك اليهود؟ فقالوا لـــه إنه طبقا للنبوات القديمـــة فإن الملك يولد فى بيت لحم. فأوصى ملوك الشرق بأن يعـــودوا له بعد أن يجـــدوا الطفل الوليد، لكى يذهب هو أيضاً ويسجد له مقدماً واجـــب الضيافة. وذهب الملوك لحظيرة الأبقار وسجدوا مع رعاة الأغنام، وقدموا هداياهم ذهباً (رمزاً لملكه) ولبانـــاً (رمزاً لأنه هو رئيس الكهنة) ومراً (رمزاً لآلامه على الأرض)، وظهـــر لهم النجم ورحل بهم بعيداً عن هيرودس ملك اليهود.

مصـر كانـت ترحـب باليهـــــود

جن جنون هيرودس، واحد من أكثر الملـــوك شراً فى التاريخ، وخوفاً من أن يشب هذا الرضيع ليأخذ منه ملكه، أصدر أوامره الوحشية بذبح كل طفل عمـــره أصغر من عامين. ولكن كان الملاك قد ظهر ليوســـف فى الحلم وأخـــبره أن يأخذ الطفل

كنيسة العذراء مريم بالمعادى

مغارة كنيسة الشهيدين سرجيوس وواخس قبل تغطيها بالرخام

فى مَعيّـة «العائلـة المقدسـة»

ومريم إلى مـــصر، وهكذا تحققت نبوءتان، الأولى مـــا كتب قبلها منذ ســـبعمائة عام «مـــن مصر دعوت ابنى»، والثانية كانت نبوءة حزينة عن تلك المذبحة، كتبها إرميا النبى قبل حدوثها بستمائة عام تقريبا.

ولا بد من الإشـــارة إلى أن مصر كانت عـــلى مدى العصـــور ملجأ لليهـــود، وكان أولهم هو ســـيدنا إبراهيم عليه الســـلام، والذى يعتبر يهودياً فى كتبهم. كما نقرأ فى ســـفر إرميا مثلاً عن نبى اســـمه أوريا بن شمعيا قد غضب الملك يهوياقيم وكل أبطاله فقـــرروا أن يقتلوه، فهرب وأتى إلى مصر. كمـــا نقرأ فى كتاب الملوك الثانـــى، وهو كتاب تاريخى مقدس أنه عندما هزم نبوخذ نصر إسرائيل فقام جميع الشـــعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجاءوا إلى مـــصر لأنهم خافوا من الكلدانيين».

حلـم البابـا ومسـار الرحلـــة

لا نعرف على وجه التحديد عدد اليهود الذين كانـــوا فى مصر وقت مجئ العائلة المقدســـة، وقد تنقلت تلك العائلـــة فى بعض الأماكن التى ســـكن فيها اليهـــود (بحكم أنهم كانوا آتين من بلاد يهودية)، وكذلك وبسبب أنهم ناوروا هرباً من جنود هيرودس الذين كانوا يطاردونهم، فقد ســـلكوا طرقاً غـــير الطريق المألوف، ومنها مثلاً وادى النطرون. وبعد رحلة طويلة اســـتمرت أربع ســـنوات إلا قليلاً، مـــات هيرودس وعادوا مرة أخرى لبلادهم، بعد أن أتموا النبوءات التى تنبأت برحلتهم قبل مئات السنين.

وكما حدث عـــلى مدى التاريخ، وبلا اســـتثناءات، فقـــد انتشرت القصـــص بين أهل مـــصر (الذين كانوا قـــد آمنوا بالمســـيحية) عن زيارة العائلة المقدســـة لأراضيهم، وكانت مصادرهم الأساســـية هى أقاويل الناس الذيـــن عاينوا ورأوا تلك العائلة، وكذلك الآبار التى كانوا يشربون منها، ففى كل مكان توقفوا، كان من الـــضرورى أن يجدوا بئراً للشرب. كانت تلك الأماكن معروفة ومحددة، ولكن قبل وضع خريطة نهائية لا تقبل التعديل، فقد صام البابا ثاؤوفيلس وصلى طالباً إرشاد الله لـــه، ورأى رؤيا اعتمد عليها فى استبعاد بعض النقاط غير المؤكدة، ونشرها فى مرســـوم يعرف باسم الميمر. والميامر بإيجاز هى الكتابات الكنســـية فى صياغة أدبية رفيعة أشبه بالشعر.

بعض النقاط الأشهر فى الرحلة

مصر القديمـــة، فى هذا الحى، والـــذى يقع فيه حصـــن بابليون الشهير، نجد مغارتين سكنت فيهما العائلة المقدســـة، الأولى وهى الأهم والأشهر نجدها تحت كنيسة اسمها الرســـمى «سرجيوس وباخوس» وتشتهر باســـم «أبو سرجة» وتقع تلك المغارة تحت هيكل الكنيســـة الرئيسى، والذى يشـــتهر بأنه مثال جيد لهياكل الكنائس القديمة. وقد تم ترميم المغارة وكسوتها بالرخام أخيراً بعد سنوات عديدة من التآكل تحت الميـــاه الجوفية، مما أثار عدة اعتراضات منها أن الطفل يســـوع ســـار بقدميه العاريتين على هذه الحجـــارة، وبدلاً مـــن أن نحافظ عليها، غطيناها بالرخام، كما فقدت طبيعتها كمكان أثـــرى، وإن كان بعض القائمين بالترميم قد صرحوا بأنها كانت مكسوة بالرخام اعتباراً من القرن الثانى عشر، وأنه تعرض للتآكل. وقد عثر على البئر التى شربت منها العائلة على بعد مترين شـــمال المغارة. أما المغارة الثانية فتقع على بعد أمتار من الأولى، فى أرجاء كنيسة «مار جرجس الرومانـــى»، وذلك تحت كنيسة أخرى صغيرة اسمها «مريم النائمة»، لأنها نامت فى هذه المغارة.

المعادى

على بعـــد بضعـــة كيلومترات جنوباً، نصل إلى دير العذراء مريم فى جنوب المعادى، وهو المكان الذى ركبت منه العائلة المقدســـة سفينة متجهة جنوبـــاً إلى الصعيد، ومن أشـــهر الأحداث التى جرت فى هذا الدير هو أنه عُثر على كتاب مقدس

كنيسة العذراء مريم فوق جبل الطير بالمنيا

طافياً على الميـــاه عند مدخل الدير ومفتوحاً عـــلى الصفحة التى تقول «مبارك شـــعبى مصر». وقد بحثت فى كنيسة الدير، وحوله وقبله وبعده عن البئر، فلم أجدها، فلما ســـألت القس المسئول أشار ببساطة إلى بئر واضحة لا تراها بسهولة وسط أرائك الكنيسة، التى أزحناها لتصويرها.

جبل الطيـــــــر

أبحرت العائلة المقدســـة جنوبا إلى ديـــر المحرق بأســـيوط، مروراً بنقاط عديدة فى الصعيد، وأشهرها جبل الطير فى المنيا، وتوجد كنيسة فوق الجبل فى مكان رائع، وتشتهر بأن الإمبراطـــورة هيلانة هى التى أنشأتها حول مغارة سكنتها العائلة المقدســـة، وإن كانت هناك أبحاث ترفض هذا الرأى.

وعـــلى كل، فأهم مـــا تتميز به الكنيسة فى رأيى المتواضع، هو أننا نرى عادة فى الكنائس الأرثوذكسية

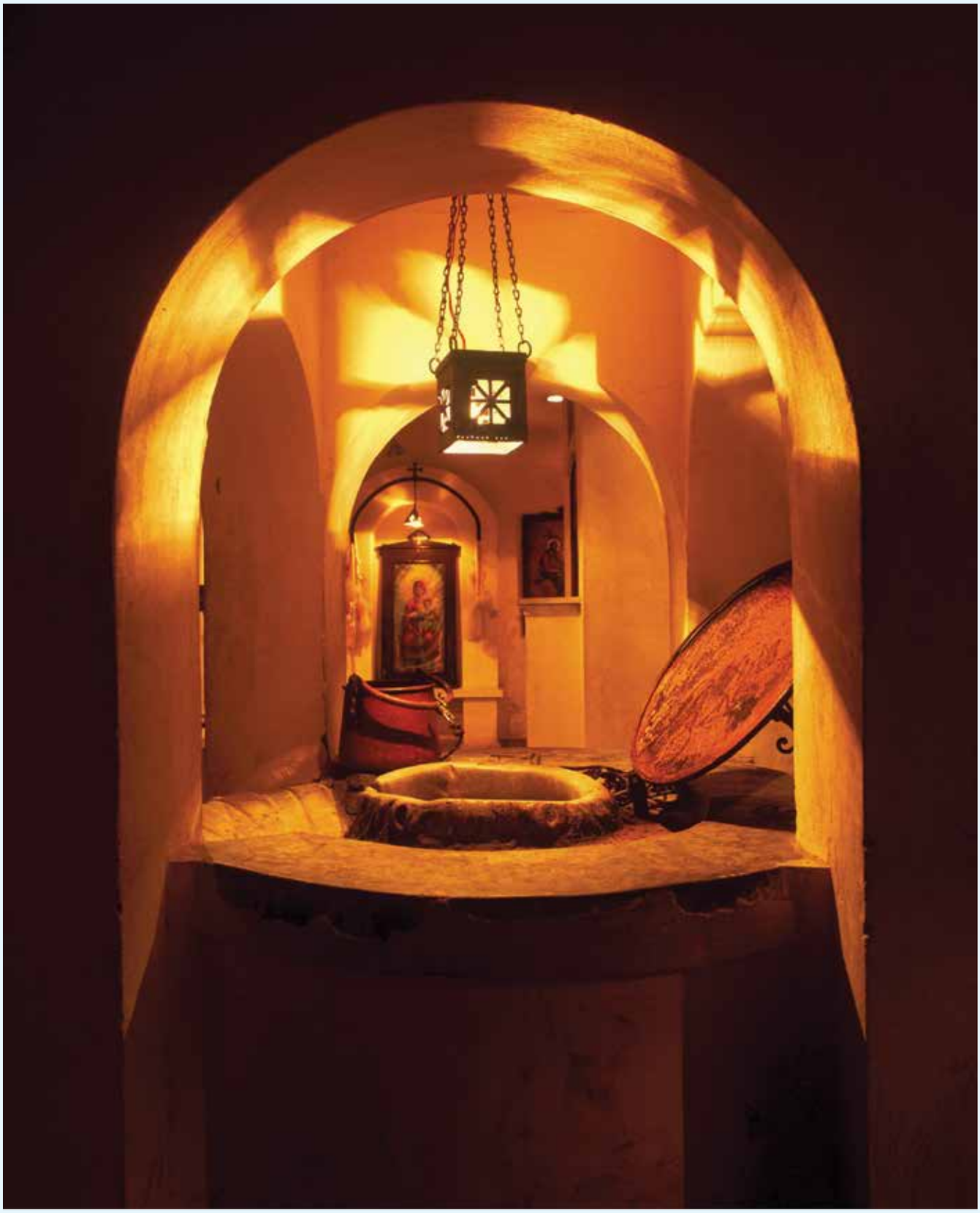

المغارة المقدسة فى كنيسة العذراء مريم بمصر القديمة

حاجزاً خشـــبياً يســـمى «حامل الأيقونـــات» يفصل بـــين الهيكل والناس، وقـــد كان يبنى فى القديم مـــن الحجر ولكن نظـــراً لتعرض الكنائس لهجمات عديدة، فقد صار يبنى من الخشب بأسلوب «العاشق والمعشوق» بلا مسامير لكى يتمكن الرهبان من فكه والفرار به. ونرى على بوابة الكنيسة هنا نموذجاً نادراً لذلك الحجاب الحجرى، تم فك جزء كبير منه ونقله وتركيبه سليماً على الباب من الخارج.

وبالرغم مـــن أنه يمكن الذهاب للدير عبر النيل بالمعدية، فإن الطريق البرى من المنيا إلى الكنيسة هو طريق

بديع تحفه الجبال والمزارع وأشجار النخيل من ناحيـــة الشرق، والنيل من الناحية الأخرى، ولن تتمكن من الذهاب بدون التوقف مرات عديدة لالتقاط الصور للطبيعة الخلابة.

دير المحرق

وهو أضخـــم وأهم تلك النقاط، وقد قضت العائلة المقدسة فيه حوالى عامين، ويقول ميمر البابا ثاؤوفيلس أن يسوع الطفل والذى كان ساكناً فى هذه الكنيسة، قد دشنها بنفسه، فى طفولتـــه وبعد قيامته، حين أقام أول قداس فى التاريخ. وتشتهر تلك الكنيســـة بأنها تقع فى وسط مصر تماماً (كمـــا يقول آباء الدير) وذلك تتمة لنبوة إشعياء النبى قبيل هذه الرحلة بحـــوالى 700 عام حين قال «فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها».

وادى النطرون

وهو آخر النقاط التى أوردها فى موضوعى هـــذا (هناك نقاط أخرى عديدة فى سيناء والدلتا والصعيد)، وهى وادى النطرون، وقد تساءلت عن السبب فى زيارة العائلة المقدسة لذلك الـــوادى، فى حين أنه لا يقع فى الطريق من وإلى سيناء، فأجاب أحد الرهبـــان فى دير السريان الذى يقع فى الـــوادى، أن العائلة كانت تناور فى طريقها وذلـــك فى إطار تضليل الجنود والجواســـيس الذين كانوا يطاردونهم لقتل الطفل مما قادهم لتلك المنطقة البعيدة. ودير السريان بالمناسبة هو أحد الأماكن التى تتم فيها استكشـــافات أثرية مستمرة للكشف عن الفريسكات الحائطية المرســـومة فى طبقات متعددة. وقد ســـألت الراهب عن مـــكان البئر المقدسة، فأجاب أنهم لم يأتوا لمكان الأديرة تحديداً، وأن البئر موجودة فى أول الطريق للوادى فى مكان عجيب. انتابنى الفضول، فذهبت بحثاً عنها.

وتقول الويكيبيديـــا العربية «إن وادى النطرون يقع تقريباً فى منتصف الطريق الصحراوى بين القاهرة والإســـكندرية، وكانت له مكانة كبـــيرة فى العصر الفرعونى لاستخراج ملح النطرون المستخدم فى تحنيط الموتى منه، كذلك اكتسب صفة التقديس فى المسيحية لمرور العائلة المقدســـة بها. وقد عرفت المنطقة بعدة أسماء أشهرها: حقل الملح وشـــيهيت والإســـقيط وبئر هوكر.

ويعـــود أول تجمـــع رهبانى مسيحى على أرض وادى النطرون للقـــرن الرابع الميلادى على يد مقار الكبير الذى أنشـــأ دير الأنبا مقار، وهو دير عامر حتـــى الآن بجانب ثلاثة أديـــرة أخرى، وهى دير الأنبا بيشـــوى والسريـــان والبراموس. وكانـــت المنطقة تحوى حوالى 700 دير فى النصف الثانـــى من القرن الرابع الميلادى.

حجاب الهيكل الحجرى على باب كنيسة جبل الطير

أيـــن البئـــر؟

لا أحد يعـــرف، فعدت للراهب وسألته:

* فين البير يا أبونا؟

– فى البحيرة.

* نعم؟

– فى البحيرة.

*(مستفهماً) هم كانوا بيشربوا مياه مالحة؟

– (مبتسماً) هذه بئر مياه عذبة طالعة فى وسط البحيرة المالحة.

وهكذا عدت مرة أخرى للبحيرة لأشاهد ذلك المكان البديع الإعجازى.

ولا شـــك أن اعتراف الفاتيكان بذلك المســـار فى العام الماضى، وبدء الرحلات السياحية إلى ذلك الطريق، سيكون امتداداً للمناطق السياحية فى مصر، وللخـــير الذى أتت به تلك الرحلة المقدسة على مصرنا المباركة.

رؤيـــة جغرافيـــة

لمصر مكانتها بالنسبة للمسيحية قبل بداية التبشير بها وقبل دخولها إلى مصر على يد مارمرقس الرسول. فقد جاءت العائلة المقدسة إلى مصر خوفاً من بطش هيرودس. ولكن ما الذي دفع هيرودس إلى ذلك؟ بدأت الحكاية بقدوم مجوس من المشرق قادمين وفقاً لنبوءة تقول بأن ظهور نجم مميز ومعين فى السماء إنما يشير إلى ميلاد المسيح.

د عدلي أنيس
أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب- جامعة القاهرة،
وأستاذ جغرافيا الكتاب المقدس بالكلية الإكليريكية – الأنبا رويس

ويشـــير إنجيل متى إلى المجوس الذين جاءوا مـــن المشرق متتبعين النجـــم إذ عُرِفَ عنهـــم اهتمامهم بالفَلك، وذهبوا أولاً إلى أورشـــليم «1وَلَمَّـــا وُلِدَ يَسُـــوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّـــامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ 2قَائِلِينَ:«أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَـــا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ».» (متى 2: 1، 2).فلم يجدوا الصبى «المسيح» فخرجوا من قصر هيرودس متجهين إلى بيت لحـــم، وقال لهم ابحثوا عن الصبى ومتـــى وجدتموه أخبرونى لأســـجد له أنا أيضًا، وبعد خروج المجـــوس من أورشـــليم ظهر لهم النجم ثانيـــة وقادهم إلى حيث ولد السيد المسيح فسجدوا له وقدموا له الهدايا.

ولأنهـــم قدّموا للمولـــود هدايا «الذهب واللبان والمرّ» يعتقد البعض أنهم أتوا من بـــلاد فارس. ولكنهم لم يرجعـــوا إلى هيرودس «12ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْـــمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُـــوا فِي طَرِيقٍ أُخْـــرَى إِلَى كُورَتِهِمْ.»(متى 2: 12) وهنا يتضح أنهم اتخـــذوا طريقًا آخر غير الطريق الذى ســـلكوه من أورشـــليم التى تقع شـــمال بيت لحم، و«الكـــورة» كلمة تعنى بلدة، أى أنهم ســـلكوا طريقًا إلى الشرق حيثما جاءوا، ليذهبوا إلى بلدتهم أو مدينتهم التى أتـــوا منها وهذا يدل على أنهم جـــاءوا من منطقة واحدة وليس مـــن مناطق أو دول مختلفة كما يرى البعـــض. لم يعد المجوس إلى هيرودس فخـــاف على ملكه من هذا المولود الذى أخبروه بأمره وبأنه سيكون ملكا؛ فخاف هيرودس على ملكه وقرر قتل كل الأطفال الذكور الأقل مـــن عامين حتى يضمن موت هذا الصبى فيما أســـميه «بمذبحة الصبيان».

فى المساء هربت العائلة المقدسة إلى مصر بوصية من الله «ليوسف» خطيـــب مريم العـــذراء آنذاك بأن يأخذ المســـيح ذلك الصبى عندما تعرض لخطر هيرودس؛ إذ ورد فى الكتاب المقدس أن ملاك الرب ظهر ليوســـف فى حلم وقال له «قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتـــى أقول لك؛ لأن هيرودس مُزمع أن يطلب الصبى ليُهلكه» ومن هنا جاءت العائلة المقدسة إلى مصر لتحتمى بهـــا ولتباركها فأصبحت ولا عجـــب الأرض المباركة والأرض الآمنة. وقد مكثت العائلة المقدسة فى مصر فترة تـــتراوح بين عام وأربعة أعوام إذ تختلف المصادر فى ذلك.

دخول العائلة المقدسة إلى مصر

جغرافيّاً، دخلت العائلة المقدسة إلى مصر من ركنها الشمالى الشرقى قادمة من أرض فلسطين، من «بيت لحم» تحديدًا. بيت لحم تلك المدينة الصغيرة التى تقع جنوب أورشليم (القدس) فـــوق مرتفعات يهوذا فى جنوب فلسطين. وكان عمر المسيح آنـــذاك عامين، وقد مـــرت العائلة المقدســـة بالعديد من القرى والمدن فقد خرجت مـــن بيت لحم إلى غزة ومنها إلى العريش ثم الفرما بالقرب من بور سعيد، ثم انتقلت من شبه جزيرة ســـيناء إلى دلتا مصر لتمُر بالعديد من المواقع هي: تل بســـطا بالقرب من الزقازيق، ومسطرد على بعد 10كم مـــن القاهرة، ومنها إلى بلبيس، وسمنود، وسخا، ثم عبرت فرع رشـــيد متجهة إلى وادى النيل غـــرب الدلتا المصريـــة، ومن وادى النطرون توجهت العائلة المقدســـة إلى الوجه القبلى حيث صعيد مصر

حجاب الهيكل بكنيسة أبي سرجة

حتى وصلت إلى المنطقة التى أُنشيء بها الآن دير المحـــرَّق بالقرب من أســـيوط. وأثناء عودتها إلى أرض فلسطين اتجهت أولاً جنوبًا إلى جبل دُرُنكة ومنه عاودت السير شمالاً إلى أن خرجت من مصر تاركة وراءها أماكن مقدسة أقيمت عليها بعد ذلك منشآت دينية مســـيحية كالأديرة والكنائس.

خط سير رحلة العائلة المقدسة

والناظر إلى خريطة مصر متأملاً خط ســـير العائلة المقدسة يجدها وقد باركت أقاليم مصر الجغرافية الأربعة؛ فقـــد مرت بثلاثة مواقع فى شمال شـــبه جزيرة سيناء، ومرت بثمانية عـــشر موقعًا فى وادى النيل ودلتاه، كمـــا زارت وادى النطرون بالصحـــراء الغربية، وأيضًا منطقة جبـــل الطير بالصحـــراء الشرقية. بالإضافة إلى ذلك عبرت فرعى النيل دمياط ورشـــيد كما عبرت المجرى الرئيسى للنيل أربـــع مرات: الأولى عند انتقالها من وادى النطرون إلى عين شـــمس، والثانية عند الانتقال من المعادى إلى البهنسا، والثالثة عند الانتقال من سمالوط إلى جبل الطير، والرابعة والأخيرة عندما انتقلت من جبل الطير إلى الأشمونيين. ولعل الله أراد من ذلك أن يبارك أرضها وماءها، واديها وصحرواتها وشعبها «مبارك شعبى مصر» لقد أراد أن يجعلها لنا حقًا مصر المباركة المحروسة.

ومرت الأيام بعد خروج العائلة المقدســـة من مصر وكـــبر الصبى «المســـيح»، ومن بعدها بســـنوات بدأت تنتشر المســـيحية خارجها، وقد لعب الجوار الجغرافى بين مصر وفلســـطين دورًا مهمًـــا فى انتقال الإيمان المســـيحى إلى مصر. ويرى البعـــض أن هناك من المصريين من اعتنقوا المسيحية قبل انتشارها على يد مارمرقس الرســـول، ومن هؤلاء ابلوس اليهودى الســـكندرى الذى قبل الإيمان المســـيحى حال ظهوره فى فلسطين، ووصفه الكتاب المقدس فى أعمال الرسل بأنه «حار بالروح يتكلم ويُعلِّـــم بتدقيق» ولكن وعلى الرغم من ذلك يعد مرقس الرسول أول مبشر بالمســـيحية فى أراضينا المصرية؛ إذ حلَّ عليها فى عام 43م.

ويمكـــن إلقـــاء الضـــوء على وادى النطـــرون كإحدى محطات رحلة هروب العائلة المقدســـة من هيرودس وجنوده إلى مصر. الواقع إن المنخفضـــات بالصحراء الغربية ومنهـــا وادى النطـــرون عبـــارة عن مناطق منخفضة عن ســـطح الصحراء، وقد تنخفض قيعانها عن مستوى ســـطح البحر، تحيط بها الحافات المرتفعة من كل أو معظم جوانبها. وقد فـــسرت العديد من النظريات نشـــأة هذه المنخفضات فالبعض أرجعها إلى أسباب باطنية كالزلازل، والآخر أرجعها إلى عوامل خارجية مثل الرياح. وإن اختلفت الآراء حول النشأة فلا بد أن نتفق معًا على أن المنخفضات الصحراوية ما هى إلا تجويفات فى سطح الصحراء تنخفض عن السطح العام، وتمتاز بأنها البقع المعمورة بالسكان فى كل هذه المســـاحة الشاسعة للصحراء الغربية والتى تمثل ثلثى مســـاحة مـــصر. وهذه المنخفضـــات تتميز بوفـــرة المياه الجوفيـــة الأمر الذى يساعد السكان على ممارسة الزراعة وتربية الحيـــوان. ورغم ذلك فإن وصفها بأماكن معمورة قد يوحى للبعض بأنها كثيفة السكان، والأمر على العكس من ذلك تمامًا فهى وإن كانت معمورة فإنها ليســـت عامرة بأعداد وبكثافات ســـكانية كبيرة.

خط سير رحلة العائلة المقدسة

وربمـــا كان وجود الميـــاه الجوفية فى باطن هذا الوادى الســـبب الذى أدى إلى مرور العائلة المقدسة منه. وتوجد عين شهيرة بوادى النطرون تعرف باسم عين مريم، وهذه العين تنبع من داخل بحـــيرة الحمرا تلك البحيرة التى ترتفع بمياهها نســـبة الأملاح؛ ولكن وسط مياهها المالحة تأتى مياه عين مريم العذبة.

ويُعد منخفض وادى النطرون أقرب هذه المنخفضـــات إلى وادى النيل ودلتاه، وهو أحد المنخفضات الشـــمالية الثـــلاث «النطـــرون- القطارة- ســـيوة» ووادى النطرون عُـــرف بهذا الاســـم لوفـــرة مادة النطرون بأرضه، ويرى البعض أن المقريزى أول مـــن أطلق عليه هذا الاســـم. على أية حال هو واد يأخذ الشكل الطولى ويتوســـط المسافة بين القاهرة والإســـكندرية فطرفه الجنوبى يبعد عن القاهرة 80 كم، وطرفه الشمالى يبعد عن الإسكندرية نفس المســـافة تقريبًا، ويبلغ طول

منخفـــض وادى النطرون 60كم، وتكثر به التلال والبحيرات والعيون والآبار.

كذلك يمكن إلقـــاء الضوء على دير الأنبا مقـــار كأحد أديرة وادى النطرون، فقد دخلـــت الرهبنة إلى الوادى على يد الأنبا مقاريوس حوالى 340م ذلك الشاب الذى كُلف كاهنًا على بلدته «شبشـــير» منوفية وإذا به يتجه إلى الرهبنة فى برية شهيت بوادى النطرون على أثر رؤية رآها وهو يصلى..

وقد تســـلم مقاريوس رئاسة الرهبنـــة فى مـــصر مـــن الأنبـــا أنطونيوس، وقد اتجه بعد أن أسس دير البراموس إلى أقصى جنوب وادى النطرون بعد أن كثر المتوحدون من الرهبان فى ديـــر البراموس؛ حيث كان محبًا للوحدة والهدوء. ولم تكن المنطقة الجنوبية تعرف بعد التوحد والرهبنة فحفر لنفســـه مغارة فى الصخر ليتعبد بها، ولكن سرعان ما كثر تلاميذه وبدأ دير الأنبا مقار فى الظهور حوالى عام 360م وكان فى بادئ الأمر بدون أسوار.

ومن الواضـــح أن وجود بئر فى هذه المنطقة كان من العوامل التى شجعت الأنبا مقار على حفر مغارته الأولى فيها، ويعـــرف هذا البئر على خريطـــة وادى النطرون باســـم بئر»مقاريـــوس». ونلاحـــظ أيضًا أن بقية الآبـــار التى اعتمدت عليها بقية أديـــرة وادى النطرون أخذت أسماءها من أسماء الأديرة؛ فهناك بئر البراموس، وبئر السريانى، وبئر الأنبا بيشـــوى. وقـــد صنفت مياه بئرى مقاريـــوس والبراموس بأنها مياه قلوية علاجيـــة أى أنهما من الآبار التى يمكن استخدامها فى علاج بعض الأمراض، ولعل هذا يشير إلى الحكمة التى أنعم الله بها على الأنبا مقـــار منذ صباه حتـــى عرف بين ذويه «بالشـــاب الشيخ» أى الشاب صاحب حكمة الشـــيوخ. وكأن الله أراد أن يحمى هؤلاء الرهبان المحبين له بمياه نقية وعلاجية تحميهم من الأمراض.

وبـــدأ دير الأنبا مقـــار بقلاية واحدة للأنبا مقار (أى الغرفة التى يسكنها الراهب)، وبدأت ونمت من حولها مئات القلايـــات، ثم بدأ فى بناء الكنيسة والمائدة (حيث يتناول الرهبان طعامهم) وأماكن للضيافة، ومكان لراحـــة المرضى، وازداد عدد

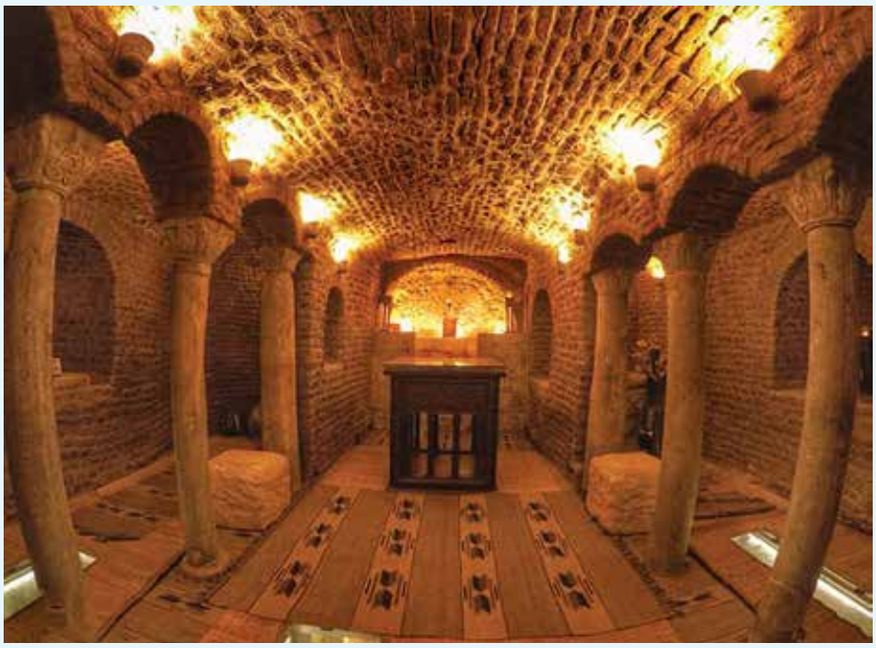

المغارة بكنيسة أبى سرجة

رهبان الدير حتى أصبح 2400 راهب مع قرب نهاية حياة الأنبا مقار، وبعد ثلاثين عاماً من تأسيسه للدير توفى الأنبا مقار أى فى عام 390م ودفن فى مغارته التى أحبها وعاش فيها، وفى عام 438م أى بعد غارة البربر الثانية على رهبان الدير دخل دير الأنبا مقار العصر الذهبى لعمارته فقام الرهبان ببناء حصن «البيامون» لإيواء الرهبان فى أمان أثناء غارات البربر، وشهد الدير أيضًا نهضة عمرانية كبرى فى عهد الملك «زينون» الذى توفى فى عام 491م والذى أغدق على الدير بالعمارة والأعمدة الرخامية والتيجان التى وجد بقاياها فى حفائر تمت بالدير. تعرض بعد ذلك عمران الدير لانتكاسات بسبب غزوات البربر المتتالية ليس لدير الأنبا مقار فحسب بل لكل الأديرة والكنائس المصرية.

ولكن مع دخول العرب مصر فى عام 641م سمح عمرو بن العاص للرهبان بإعادة بناء أديرتهم وكنائسهم فنشأت كثير من الأديرة الصغيرة إلى جانب القديم منها وعرفت باسم المنشوبيات. قاوم بعد ذلك دير الأنبا مقار ما عانته كل الأديرة والكنائس المصرية من غارات أخرى للبربر وحركات اضطهاد من بعض الحكام، بالإضافة إلى تعرض مصر للطاعون لفترة دامت حوالى 50 عاما. انقطعت بعدها أخبار دير الأنبا مقار وغيره من الأديرة فى الكتابات أو المخطوطات، ويتكلم المقريزى عن هذا عندما وصف أحد الأديرة ذاكرًا أنه كان بها 1500 راهب ولا يوجد بها الآن (فى عام 1430م) سوى عدد قليل من الرهبان.

ويحتوى اليوم دير الأنبا مقار على العديد من المعالم الأثرية من الهياكل والأعمدة الرخامية والتيجان والقباب والقلالى القديمة والحصن بالإضافة إلى العثور على رفات القديس يوحنا المعمدان الذى عاش زمن المسيح وقام بتعميده فى نهر الأردن. كما يعد هذا الدير مدرسة من المدارس اللاهوتية المهمة، ومعروف عن رهبان هذا الدير ارتفاع مستواهم التعليمى والثقافى وُصقل ذلك دينيًا بتتلمذهم على يد الراهب الروحانى المعروف الأب متى المسكين الذى يعد رمزًا مصريًا بما قدمه من دراسات ومؤلفات أفادت ومازالت المسيحى فى علاقته بالآخر وبالدولة. وقد جعل من دير الأنبا مقار مركزًا لاهوتيًا بما ألفه من كتب وما يقتنيه الدير من مخطوطات وكتب قيمة، بالإضافة إلى المطبعة، ونشاط نشر الكتب، كما تُمارس بالدير أنشطة اقتصادية مهمة منها: الزراعة، والصناعة القائمة على المنتجات الزراعية مثل معمل تخليل الزيتون، ومعمل تجفيف البلح، والإنتاج الحيوانى. بالإضافة إلى التجارب الزراعية التى قام بها رهبان الدير وساهمت فى حل مشكلة نقص علف الماشية؛ إذ قاموا بزراعة بذور بنجر العلف المستوردة من ألمانيا، بالإضافة إلى بنجر السكر، والتين المجفف وغيرها من الأنشطة الاقتصادية.

وعلى الرغم من أن هذه الأنشطة تحتاج إلى مجهود كبير وشاق من الرهبان إلا أن نجاحها يرجع فى الأساس إلى روح التعاون بين الرهبان وروح المحبة والورع فى الصلاة، حتى إن نموذج دير الأنبا مقار بما فيه من حياة روحية ودراسات لاهوتية وأنشطة اقتصادية، وبما فيه من نهضة عمرانية يعد مثالا ليس مسيحيًا بل مصريًا مشرفًا أمام العالم وأمام الوطن، ودليلاً واقعياً على أن الحب والتعاون وروح البذل هى المفاتيح لحياة روحية ومادية ناجحة وتعد انعكاساً لروح الإنسان المصرى المتدين، الروح الأصيلة التى إذا عملنا على تنميتها وإطلاقها على فطرتها الطيبة المتسامحة لساعدت على نهضة شاملة لوطننا الحبيب مصر التى باركتها العائلة المقدسة ويحفظها الله دائما وينجيها من الشرور فهى حقا مصرنا المحروسة.

المصـــادر الشفهيـــة

تعد رحلة العائلة المقدسة لمصر من الموضوعات التى تجتذب السياحة الدينية لأهمية هذا الحدث. وفى الرابع من أكتوبر 2017، أعلن الفاتيكان ضم مصر لرحلة العائلة المقدسة للحج الفاتيكانى لعام 2018، واعتماد أيقونة رحلة العائلة المقدسة، وهى أيقونة اختارها الفاتيكان لتكون شعاراً له على الأماكن التى ستعتمدها للزيارة والحج. وتعتبر الأيقونات أو الصور الخاصة بموضوعات دينية، مهمة للغاية فى الكنيسة القبطية، إذ تستخدم أيقونات الكنيسة المهمة التى تم تكريسها بزيت الميرون ضمن الطقس القبطي، خاصة فى المناسبات الدينية المهمة.

أ. د. راندا بليغ
أستاذة الآثار المصرية بجامعة المنصورة
randa.baligh@gmail.com

وتحتفل مصر بحضـــور العائلة المقدســـة لمصر فى أول يونيو من كل عام وهو يوافق 24 بشـــنس بالنتيجة القبطية. وقـــد زار مـــصر وفد من الفاتيكان والتقى مع ممثلى الوزارات المختلفة للاتفاق على تفصيلات المسار الذى سيشـــمل التركيز عـــلى المواقع الموجـــودة بالقاهرة الكبرى مثل مصر القديمة والمعـــادى والمطرية. وقد أقر الفاتيكان خمســـة مواقـــع من أصل ثمانية مواقع شبه مؤكدة. أما المواقع غير المؤكدة فعددها يتراوح ما بين 25 و30 موقعاً.

فرغم الشهرة العظيمة التى حظيت بها تلك الرحلة فـــلا توجد فى الوقت الحالى مصادر أثرية تذكر مثلاً مبان بناها أناس ونقشـــوا أسماءهم عليها، لكن هناك بعض المغارات وآثار لقدم أو كف المسيح، وأشجار جاثية وعيون ماء وآبار.

وتعتمد المصادر الرئيسية للرحلة، فضـــلاً عما جاء فى الكتب المقدســـة، والأبوكريفا وهى كتابات دينية وأناجيل لا تقرها الكنيســـة كجزء من الكتاب المقدس، عـــلى السنكســـار والدفنار والميامر والمخطوطات، وكتب رئيسية مثل تاريخ البطاركة، وتاريخ الكنائس والأديرة، وكتابات الآباء، بالإضافة إلى تراث شـــفهى عريض تناقله الناس عن أماكن وأحـــداث جرت أثناء زيارة العائلة المقدسة لمصر. فالتراث الشفهى فى مـــصر عامة على مـــر الزمن، أثبت صحته فى أحيان كثيرة حتى أنه فرض نفســـه. ومن الغريب أن أحد المصادر الرئيسية الذى تناول خط سير الرحلة قد اعتمد على رؤيـــا للبابا ثاؤوفيلس (385-412 م) البطريـــرك الثالـــث والعشرين للكنيسة القبطية على كرسى القديس مرقس. وبحسب هذا الميمر، فقد صلى البابا ثاؤوفيلس ليعرف أين يمكن أن يقيم كنيسة للعذراء، فظهرت له فى رؤيا أثناء منامه وشرحت له خط سير رحلتها مع المسيح إلى مصر. ومن ضمن المصادر الأ خرى للرحلة ميمر البابا تيموثـــاؤس البطريرك القبطى الســـادس والعـــشرون (458-480 م) من القرنين الثانـــى عشر والثالث عشر، وميمر الأنبا قرياقوس أســـقف البهنســـا من القرن الســـابع، وميمر الأنبا زخارياس أســـقف سخا (حوالى 693-723 م)، ثم السنكسار القبطى والأثيوبى، والدفنار القبطى (يوم 24 بشنس)، والهيســـتوريا موناخوروم للرهبان السبعة بالقرن الرابع، وكتاب تاريخ الكنيسة لسوزومين من القرن الخامس. وهناك كتاب تاريخ البطاركة لموهوب بن منصور من القرن الحادى عشر، وتاريـــخ الكنائس والأديرة لأبى المكارم.

ويحتوى «السنكســـار القبطي» ويترجم بـ Coptic Tradition، على سير الشـــهداء وتفاصيل عن الصوم والأعياد وأشـــياء أخرى تهم الكنيسة القبطيـــة. وهناك بعـــض العبارات فى العهد القديم فسرها المســـيحيون كنبوءات لحضور المســـيح لمصر، على عكس اليهود الذيـــن فسروها بطرق أخرى. ففى ســـفر أشعياء، الإصحاح التاسع عشر (1:19): «وحى من جهة مصر. هو ذا الرب راكب على ســـحابة سريعة وقادم إلى مصر». ومن ســـفر أشعياء 25:19 «مبارك شعبى مصر».

ومن ســـفر هوشـــع: «ولما كان إسرائيـــل غلاما أحببتـــه، ومن مصر دعوت ابني». (هوشع 1:11).

وهناك كلام تناقله الناس ببعض المناطق عن انبثـــاق عيون ماء، وآبار تفيض بالميـــاه المباركة. وهناك أقوال عن شجرة، وفى قول آخر نخلة، انحنت للعذراء لتأكل من ثمرها. ورغم غياب المصادر الأثرية، إلا أن التراث الشفهى وما تناقله الشـــعب ورجال الكنيسة، يعد هو الأساس الأكبر فى رحلة العائلة المقدســـة. وفى الفترات السحيقة من تاريخ مصر عندما لا نجد أى أثر مادى

أيقونة لرحلة العائلة المقدسة

بيلوزيوم أو الفرما

على شيء ما، كثيراً ما نجد تراثاً شفهياً أثبت أهميته العظيمة لنقل ما مر من أحداث حتى فى غياب الآثار المادية الملموسة.

وتبعا لإنجيل متى، فقد بدأت رحلة العائلة المقدسة لمصر بعد أن انصرف المجوس الذين جاءوا لرؤية المسيح بعد ولادته. ويذكر إنجيل متى أن سبب الرحلة كان الهروب من هيرودس ملك فلسطين الذى أمر بقتل كل المواليد الذكور لوجود نبوءة تتحدث عن المسيح المنتظر الذى سيصير ملكاً على بنى إسرائيل تبعاً للنبوءات الإسرائيلية القديمة.

من الذين قاموا بالرحلة؟

من الغريب أن أغلب الأيقونات القبطية تقوم بتصوير المسيح وأمه العذراء مريم، ويوسف النجار، وكثيراً ما نرى العذراء والمسيح على ظهر حمار بينما يمشى يوسف النجار بجواره أو يسحبه بحبل. ولكن ما لا يهتم به الناس هو ما قيل عن اصطحاب العائلة معها لسالومة. ومن غير المعروف إن كانت سالومة قابلة جاءت لتساعد فى الولادة التى تمت بغير مساعدة أرضية، بينما تقول بعض التفاسير أنها كانت قريبة مريم كخالتها. وقد وصفت أحياناً بالعجوز. ويقال إن سالومة كانت أماً لاثنين من تلاميذ المسيح الاثنى عشر هما يوحنا ابن زبدى ويعقوب ابن زبدى. بل هناك اعتقاد تبعاً لما جيء فى إنجيل مرقس السرى، أن مرقس ربما كان هو نفسه يوحنا ابن سالومة. ولكن هذا غير صحيح فى الغالب حيث أن يوحنا ابن زبدى يعرف أيضاً بيوحنا الإنجيلى ويعتقد أنه كاتب إنجيل يوحنا، فليس من المرجح أن يكون هو أيضا كاتب إنجيل مرقس.

بالإضافة لهؤلاء هناك بعض شخصيات أخرى، كالمصرى «قلوم» الذى ساعد العائلة فى تل بسطة بالزقازيق بمحافظة الشرقية، و«موسى» أو يوسى قريب يوسف النجار الذى أتى من فلسطين لتحذير العائلة المقدسة من تعقب جنود هيرودس لهم.

أعمار الأشخاص الأربعة بالرحلة:

أما عن أعمارهم، فكان المسيح مولودا تحمله العذراء، لكنه يصور فى الأيقونات القبطية بوجه عاقل حيث أنه تكلم فى المهد وفى الغالب عاد من الرحلة وهو بين سن الثالثة والرابعة. وكانت العذراء فى حوالى الخامسة عشرة فى الغالب، وكان يوسف النجار خطيب العذراء قبل أن تلد وقد طمأنه الرب ليتزوج العذراء ويضمها وابنها لكنفه ويحميهما، كما ظهر له الملاك ليحذره كى يهرب بالعذراء وابنها إلى مصر، وظهر له الملاك مرة أخرى ليدعوه للعودة بعد زوال الخطر. وهو يصور فى أغلب الأيقونات شاباً برغم أن المراجع تتحدث عن كون يوسف النجار أكبر كثيرا من العذراء. وسالومة التى لا تتناولها أغلب الأيقونات القبطية، كان يطلق عليها اسم العجوز مما يدل على كبر سنها.

يوسف النجار:

أما عن يوسف النجار، فتعتبره الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية ومنها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، بمثابة قديس. ولم يرد ذكره فى رسائل طارسوس وهى من أقدم المصادر الكنسية، ولا فى إنجيل مرقس أقدم الأناجيل، وإن ذكر فى إنجيلى متى ولوقا. وقد ائتمنه الله على العذراء وابنها، فكان بمثابة الأب الأرضى للمسيح ابن مريم العذراء. وقام بدور حامى تلك العائلة، كما يقال إن المسيح تعلم منه حرفة النجارة. ولكنه يظل من أقل الشخصيات والكينونات التى كرست كنائس باسمها فى مصر، هو والملاك جبرائيل أو جبريل. بينما حظت العذراء بالكم الأكبر من الكنائس المسماة على اسمها نظراً لأن أحد بطاركة الكنيسة القبطية قد حزن لما شعر أنه عدم اهتمام بالعذراء ووضعها المميز، فأمر أن تسمى كل كنيسة فى مصر باسم العذراء، ويمكن أن يكون معها شخص آخر أو كينونة أخرى. وتكرس كنائس قبطية كثيرة للغاية على اسم الملاك ميخائيل أحد رؤساء الملائكة. وفى حصون الأديرة

كنيسة العذراء بسخا

مغارة جبل الطير

المصادر الشفهية

القبطية كانت هناك دائماً كنيسة باسم الملاك ميخائيل الذى انتصر على الشر، وإن كان من الممكن أن توجد كنيسة أو كنائس أخرى بالحصن لكينونات أخرى. ثم يأتى ثالث أكبر عدد من الكنائس بمصر وهى المكرسة باسم القديس جرجس أو مار جرجس. وكلمة مار كلمة فارسية تعنى قديس، وقد دأب المصريون على نطقها بصورة «ماري» وليس مار كما تكتب.

مدة الرحلة:

بخصوص مدة الرحلة، يحبذ أغلب العلماء أن الرحلة قد استغرقت حوالى ثلاث سنوات وشهرين، أو ثلاث سنوات وستة أشهر. فقد ورد فى الدفنار (يوم 6 هاتور): «فلنسبح الرب الإله بخوف ورعدة ونمجده باستبشار من أجل رحمته الجزيلة علينا. ولما اجتمع فى هذا اليوم الذى هو السادس من شهر هاتور مع والدته العذراء ورسله الأطهار فى قسقام، الموضع الذى التجأ فيه ثلاث سنوات من وجه هيرودس المارق وقدس هيكل ذلك البيت». ومنعاً للبس فهيرودس الكبير الذى أمر بقتل الأطفال والذى توفى وعمر المسيح ثلاث سنوات وحوالى شهرين، غير هيرودس أنتيباس الابن والذى عاصر المسيح وقت المحاكمة والأمر بالصلب. وبحسب بردية نشرتها جامعة كولون الألمانية سنة 1997، وبحسب تلك البردية قضت العائلة المقدسة فى مصر فترة ثلاث سنوات وأحد عشر شهراً.

مسار الرحلة:

قطعت العائلة المقدسة حوالى ألفين كيلومتر. وعند دخولها مصر جاءت من ناحية رفح والعريش إلى أولى المحطات بيلوزيوم Pelusium أو بالوظة أو الفرما. وتوجد بالفرما عدة كنائس وكانت مركزاً رهبانياً، كما كانت ميناءً مهماً ومركزاً تجارياً له ثقله. ويقال إن العائلة المقدسة وصلت إلى المحطة الثانية تل بسطة بالزقازيق فى 24 بشنس. ولم يحسن أهل المدينة استقبال العائلة المقدسة وسرق لصان هما دوماخوس وهو سورى يهودى، وربما تايتوس وهو مصرى، صندل المسيح المذهب المفضض. وهناك شك فى اشتراك اللص المصرى لأنه رد على اللص السورى الذى اقترح سرقة ملابس العذراء وابنها لأنها تشبه الملابس الملكية، وقال له أنه لم ير طفلاً فى حياته كهذا فيحسن ألا يقربوهما بأذى. ويقال إن العذراء طلبت ماء لتسقى ابنها فلم يعطها أهل بساطة أو تل بسطة. فيقال إن المسيح رسم علامة الصليب بيده الصغيرة فتفجرت عين ماء عذبة كالعسل، وباركها المسيح وقال أنها ستشفى الكل ما عدا أهل هذه المدينة الذين أبوا أن يكرموهم Otto F. A. Meinardus, The Holy Family in Egypt, Cairo: American University Press, 1986, p. 31

وتبعاً لمصادر أخرى ضرب يوسف النجار الأرض بجوار شجرة استظلوا بها فانفجرت عين ماء شربوا منها. وتقول المصادر إن شخصاً يدعى قلوم دعاهم لمنزله ليساعدهم واعتذر لأن زوجته مريضة تلازم الفراش منذ ثلاث سنوات. فبارك المسيح منزلهما وقامت من فراش مرضها لترحب بالعائلة المقدسة. وقد طلب قلوم وزوجته من العائلة المقدسة البقاء لفترة أطول لوجود الطفل البركة. ووصلت الأنباء للحاكم فشك أن هذا الطفل هو نفسه الطفل المبارك الذى كان هيرودس يبحث عنه. ولما سمع قلوم الأخبار نصح العائلة المقدسة أن تهرب فى الليل. وتقول المصادر أن منزل قلوم الذى ساعد العائلة المقدسة يقع بين كنيسة العذراء مريم ويوحنا الحبيب، وكنيسة مارجرجس. أما عن مسطرد (المحمه)، فقد استراحت العائلة المقدسة بالقرب من شجرة جوارها

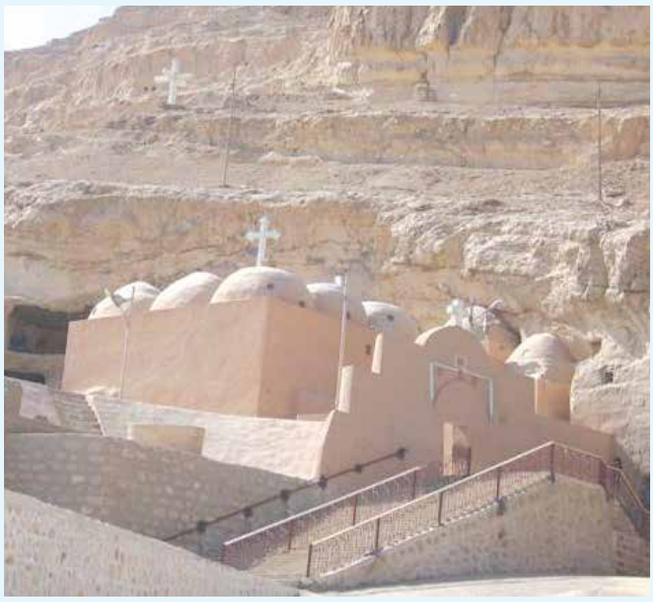

دير درنكة

أطلال معبد تل بسطة زارته العذراء

عين ماء. وقد أطلق اسم المحمه على هذا المكان ويقال إن العائلة المقدسة زارته عند عودتها أيضا.

وذهبت العائلة المقدسة بعدها إلى بلبيس بالشرقية التى تبعد عن القاهرة حوالى 55 كيلومترا. ولشرق الدلتا جذور تاريخية مهمة، فكان بها ثلاث أو أربع من عواصم مصر القديمة، ويرجح العلماء أن أرض جاسان أو جوشن التى استعبد فيها فرعون بنى إسرائيل، كانت فى شرق الدلتا. ويقال إن المسيح أقام طفلا وحيدا ابن أرملة من نعشه أثناء جنازته فى بلبيس. فلما عرف أهل المدينة بهذا صدقوا أنه المسيح المنتظر وآمن به كل أهل بلبيس تبعاً للتقليد وأكرموا العائلة المقدسة. وكانت هناك شجرة فى بلبيس أطلق عليها السكان اسم شجرة العذراء. ويقال إن جنود نابليون حاولوا قطعها فسالت منها الدماء وانصرفوا خائفين. ثم قطعها بعض العمال لاستخدامها لإشعال نار حوالى 1850 م. والمكان الوحيد ببلبيس الحالية الذى يخلد مرور العائلة المقدسة هو جامع عثمان بن الحارث الأنصارى بقلب بلبيس، تقاطع شارع الأنصارى وشارع البغدادى والكنيسة القبطية القائمة حالياً ببلبيس هى كنيسة مار جرجس بالشمال الشرقى للمدينة. ثم اتجهوا شمالاً لمنية جناح أو منية سمنود، وعبروا البحر إلى سمنود الحالية بمحافظة الشرقية (جَمنودى أو سب نثر القديمة عند فرع دمياط) وعبروا غرباً، حيث ساعدت العذراء امرأة فى صنع خبزها. وحسب التراث الشفهى لأهل سمنود يقول الأهالى إن كنيسة أبانوب قد بنيت على أنقاض كنيسة باسم العذراء فى الموضع الذى مرت به العائلة المقدسة. ويقول الأقباط بسمنود أن موقعاً بصحن كنيسة أبانوب كان به بئر باركها المسيح أثناء الزيارة.

وفى دير القديسة دميانة والأربعين عذراء ببرارى بلقاس أو وادى السيسبان أو الزعفران، ينقل الآباء تراثاً شفهياً مفاده أن العائلة المقدسة قد مرت بموقع الدير. ويقال إن الإمبراطورة هيلانة أم قسطنطين قد أقامت كنائس وأديرة فى كل موضع مرت به العائلة المقدسة فى مصر. كان والد القديسة دميانة والى إقليم الزعفران وقد بنى مكاناً بحرياً بالمدينة لابنته وصار بيتاً للعذارى. وقد استشهدت القديسة دميانة والأربعين عذراء وتم دفنهن جميعاً بكنيسة القبر بالدير، ويحكى عن معجزات كثيرة بهذا المكان. أما عن دير القديسة دميانة فبه ثلاث كنائس وأفضل مشغل فى أديرة مصر. ويقام بدير دميانة عيد سنوى فى شهر مايو من كل عام.

وتبعاً لما رواه الأنبا زخاريا أسقف سخا فى القرن السابع، سارت العائلة المقدسة غرباً حتى البرلس بالقرب من ساحل البحر المتوسط. وكانت بحيرة البرلس وهى من أقدم بحيرات مصر، تعرف باسم بحيرة بوتو، وبحيرة بوطيكو وبحيرة نيكيولوس، وبحيرة نستراوه، ثم باسم بحيرة بارالوس فى نهاية العصر الرومانى. وفى مصادر كالسنكسار المصرى والإثيوبى يقولون إنهم عند البرلس مروا على قرية تدعى شجرة التين فلم يكرموهم. فساروا لقرية المطلع التى استقبلهم فيها رجل من أهلها بترحاب. وعبروا فرع دمياط للغربية ثم وصلوا إلى مكان يقال إن العذراء أوقفت المسيح فيه على قاعدة عامود، فانطبعت آثار أقدامه ونبعت منه عين ماء. وعرفت المنطقة لاحقا باسم «بيخا إيسوس» أو كعب يسوع. وهناك اختلاف على موقع بيخا إيسوس أو كعب المسيح، فيعتقد البعض أنها قرية الباسوس بين القاهرة وقليوب، ورجح د. مراد كامل أنها مدينة سخا. وتقع سخا فى الغربية وقد اشتهرت عند النصارى بعامود يقال إن القديس أغاثون وقف عليه لخمسين سنة فى القرن السابع. وقد كتب موضوع طبعة قدم المسيح فى السنكسار والحجر موجود للآن. وكان بجانب كنيسة العذراء مريم

كنيسة العذراء المعادي

الدير المحرق

المصادر الشفهية

بســـخا مغطس رومانى ودير يسمى بديـــر المغطس ظل عامـــراً بالرهبان حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى. وقد ذكره أبو المكارم فى كتاب الكنائس والديارات فى 1209 م، كما ذكر تقى الدين المقريزى (1364-1441م) فى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أن العـــذراء كانت تظهر عند دير المغطس فى يوم 24 بشنس بحيث سماه أهل المنطقة بعيد ظهور العذراء مريم.

وبعد أن عبرت العائلة المقدســـة الفرع الغربى للنيل سارت غرباً حتى وادى النطرون أو برية شـــيهيت أو سكيتس، ويقال إن المســـيح باركها وتنبأ بأنها ستكون ســـكناً لكثير من الرهبان والمتوحدين «سيخدمون الرب كالملائكة». وقد صـــارت تلك المنطقة منطقـــة رهبانية بالفعـــل، وكان بها الكثـــير من الأديرة وقـــلالى الرهبان، وتوجد بها حاليـــا أربعة أديرة عامرة أى مأهولـــة بالرهبـــان (حاليا أديرة الأنبا مقار، والأنبا بيشوى، والسريان والبراموس). وسارت العائلة المقدسة شـــمالاً حتى وصل أفرادهـــا لمدينة إيونو أو عين شمس. ثم سارت العائلة المقدســـة إلى المطريـــة التى ذكرت فى إنجيل متى المزيف، وفى السنكســـار المصرى والإثيوبى، كما تحدث حجاج القدس فى القرون الوســـطى عن تلك الزيـــارة للمطرية. وتوجـــد بالمطرية شجرة يطلق عليها اسم شجرة مريم، وهى شـــجرة جميز عجوز راقدة على الأرض، وإن طالـــت يـــد الإهمال هذا الموضع الآن. ومن ضمن ما روى كتراث شعبى أن تلك الشجرة مالت بجذعها حتى تصل يد العذراء لفاكهتها بدون جهد. وهناك أفرع أخذت من الشجرة وزرعـــت فى مناطق أخـــرى بمصر والعالم. وتوجد الشجرة بجوار كنيسة العـــذراء مريم بالمنطقـــة، كما يوجد بئر ماء عند الشـــجرة. وهناك مصادر كنســـية حتى من العصور الإسلامية المبكرة تقول إن نوعاً من النبات اسمه البلسم أو البلســـان، قد نما وازدهر فى تلـــك المنطقة بعد زيـــارة العائلة المقدسة. ويقال إنه كان عطر الرائحة ويشفى الجروح والأمراض وكتب عنه الكثيرون، كما كان يســـتخدم فى عمل زيت الميرون بالكنيسة كمكون. وتبعاً لما روى فقد قام المســـيح بكسر عصا ليوســـف النجار ووضع قطع الخشب فى الأرض ورواها بيده بماء البئر التى فجرها بنفســـه ويقال إن ماءها كان عذبا كالعسل. وتبعا للسنكسار فقد قال المســـيح إن البلسم طيب الرائحة ســـينمو فى ذلك الموضـــع للأبد ومنه سيأخذ المســـيحيون الزيت للتعميد. وعرف موضع حقل البلسان بالمطرية وصار من الأماكن التى يزورها حجاج القدس. ويقال إن الأمير يشبك المملوكى قد بنى قبة (حوالى 1467-1496 م) كان يدعو فيها سيده قايتباى بالقرب من المكان. وكان هناك حراس للمكان من المســـيحيين فى فترات معينة، وكان أغلبهم من الأجانـــب. وكانت مهمتهم حماية الشجرة حتى لا يقطف البلسان بكثرة بواسطة الزوار وخاصة الحجاج. وقال لودولف فون سوخم فى 1336م، أنه رأى أربعة ألمان من شفارتسنبورج فى حراسة المنطقة. ويقال إن الحجاج كانوا يدفعون ســـت عملات (دوكات) للدخـــول والاســـتحمام بالماء المحيط بحقل البلســـان بالمطرية. ويقال إن الماء المحيط بالبقعة كان أيضاً شافياً. وروى الأب الدومينيكانى الأخ فيلكس فابرى حوالى 1480م، أنه رأى قرابة البوابة شـــجرة تين هائلة مجوفة بها قنديلان مثل الهياكل الكنسية، ويقال إنها فتحـــت جذعها لتـــأوى العائلة المقدســـة بها. وتبعاً لما قيل، كانوا لا يســـمحون بدخول أكثر من خمســـة حجاج فى آن واحد. ويقال إن البلســـم الشافى كان يؤخذ من الفاكهة أو بغلى

مذبح الدير المحرق

شجرة مريم بالمطرية

الأغصان. وكان السلطان يعطى حصة من البلسم للبطريركين (غالباً الملكانى واليعقوبى أى البابا الكاثوليكى والبابا القبطى الأرثوذكسي). وهناك رواية رواها فيلكس فابرى عن فلافيوس جوزيفوس المؤرخ اليهودى، تقول إن البلسان قد جاء من الأراضى المقدسة وأنه فى الأساس من نبتة أهدتها ملكة سبأ للملك سليمان، وأن القيصر أوغسطس كان هو الذى أحضرها للمطرية من فلسطين. ويقال إن السلطان الملك الكامل (1218-1238م) قد طلب من والده العادل أن يزرع بعضاً من البلسان فى أرض قريبة. ولم ينم البلسان إلا عندما رواه بماء من البئر المباركة بالموقع. ولا يوجد أثر الآن للبلسان بجوار شجرة مريم، ولكن الشجرة الخالية بالمنطقة يقال إنها زرعت بالمطرية فى 1672م.

أما عن عين شمس والزيتون، فهناك تراث شفهى مفاده أن هناك بمنطقة المطرية (يقولون أحيانا شق الثعبان أو شارع عيد، أو شارع اللمونى)، لا يرتفع الخبز فيه مطلقاً إلى اليوم لأن أهله لم يعطوا «حدقا» أى خميرة للعذراء لما طلبت منهم لتخبز. وليس مؤكداً أن العائلة المقدسة قد مرت بالزيتون تبعاً للسنكسار، ولكن حدث ظهور للعذراء بالزيتون عام 1968 وبنيت كنيسة كبيرة باسم العذراء فى نفس موقع الظهور، ثم إن مرورهم من الزيتون فى طريقهم للفسطاط محتمل جدا.

وسارت العائلة لمنطقة الفسطاط. ويقال إن العائلة المقدسة أقامت بمغارة توجد حالياً أسفل كنيسة سرجيوس وواخوس (كنيسة أبو سرجة)، بمصر القديمة. ولكن بالنسبة للوقائع التاريخية، فإن تلك المنطقة كانت بداخل حصن بابليون بمصر القديمة، وليس مفهوماً سعى العائلة المقدسة للمكوث بحصن به حامية رومانية وهم هاربون من السلطات الرومانية بفلسطين. وربما لم تبق العائلة المقدسة فى الفسطاط إلا فترة وجيزة فقط. ثم واصلت المسير جنوباً إلى المعادى. وتوجد بالمعادى على النيل مباشرة كنيسة مميزة بثلاث قباب تعرف بكنيسة العذراء العدوية. ويرجع البناء الأصلى للكنيسة لعصر الملكة هيلانة فى القرن الرابع الميلادى. وقد روى راعى الكنيسة القس اسطفانوس صبحى أنه تم العثور على كتاب مقدس مطبوع بأواخر الستينات، طافياً أمام الكنيسة عند خروج المصلين من الكنيسة عقب قداس الأحد 12 مارس 1976. وتتبعاً لما يروى نزل أب يدعى بشارة للنيل لينتشله من الماء ووجده مفتوحاً على صفحة سفر إشعياء التى جاء فيها «مبارك شعبى مصر» (إش 25:19). فاعتبروا أن هذا دليل على مرور العائلة المقدسة بهذا الموقع. والكتاب محفوظ الآن بالكنيسة ليراه الزوار. ويقول أبو المكارم المسمى خطأ بأبى صالح الذى كتب فى القرن الثالث عشر الميلادى، أن كنيسة السيدة الطاهرة مريم المدعوة المرطوطى، كان بموقعها قديما معبد للإسرائيليين صلت فيه العائلة المقدسة وقت زيارتها. ويقال إن موقع المذبح كان مكان أيقونة للعذراء مريم الآن. ويقال إن اسم المرطوطى يأتى من اليونانية «متر ثيو» أى أم الإله. ويقال إنها بنيت فى الجهة الغربية وليس الشرقية للنيل فى منية السودان. وهناك تراث شفهى قوى بوجود ممر تحت النيل يصل بين كنيسة المعادى بالضفة الشرقية بجنوب القاهرة، ودير طموه بالمنيب بمحافظة الجيزة على البر الغربى للنيل. وفى المكانين لا يذكر أحد الآن أين يقع مدخل السرداب أو الممر السرى الذى يعبر النيل بين القاهرة والجيزة.

ويتحدث المقريزى، المؤرخ الشهير من القرن الخامس عشر، عن نخلة بإهناسيا المدينة ببنى سويف ظلت مكانها حتى 750 م. وأشيع أن تلك النخلة هى المذكورة بالقرآن التى ولدت

كنيسة العذراء جبل الطير

المصادر الشفهية

عندها العذراء (سورة مريم 19: 23-25). ولكن هذه القصة غير معقولة تاريخياً حيث إن مولد المسيح كان فى بيت لحم وتفاعل معه.

تقع بلدة إشنين النصارى 12 كم جنوب غرب مغاغة. وهناك تراث شفهى بالمنطقة يقول إن ماء البئر الذى يقع حوالى 80 م شمال كنيسة مار جرجس، قد باركه المسيح أثناء رحلة العائلة المقدسة. وحسب رواية أخرى بالمنطقة هناك بئر تحت المعمودية فى الجانب الغربى بجنوب الكنيسة. وفى رواية أخرى أساسها تراث شفهى اهتم الناس بإشنين النصارى وأقاموا فيها الكنائس وأقاموا الصلوات فى ذكرى رحلة العائلة المقدسة.

بحسب السنكسار الإثيوبى ذهبت العائلة المقدسة لبلدة بايسوس (بيت إيسوس) حيث يقال إن المسيح أقام بئرا تشفى مياهها من كل مرض وألم. وهناك مقياس للنيل مرتبط بالبئر وكان الناس يتطلعون دوماً لأن يتجاوز 16 ذراعاً كل عام حتى لا يكون هناك جفاف أو نقص فى الغذاء. ويضيف المقريزى أن البئر كانت بكنيسة دير أريانوس، وأن الناس كانوا يتجمعون بالمكان فى ليلة 25 بشنس أى 2 يونيو ليحركوا الحجر من فوق البئر ويروا ارتفاع الماء. وفى 1703م، قال القنصل العام الفرنسى م. دى ماييه إن هناك قرية يسميها العرب بير الجاموس، توجد بها بئر مقدسة يقيس فيها النصارى ارتفاع الفيضان بواسطة حبل ثم يقيم الأسقف الصلاة ويرفع البخور. وهنا نرى علاقة بين مقياس النيل والقداس حتى يأتى الفيضان مرتفعا ببركة الصلوات. ولكننا نعرف عن مقاييس أخرى للنيل فى فيلة وإدفو وإسنا والأقصر ومنف وجزيرة الروضة عند القاهرة، وكثير منها مرتبط بدور عبادة قديمة فى ربط واضح بين دور العبادة والأماكن المقدسة، ومقاييس النيل.

وفى رواية أخرى أن بئرا شربت منها العائلة المقدسة، كانت توجد فى الجانب الغربى بجنوب كنيسة العذراء المباركة ببلدة بير الجاموس، وقد بنيت عام 1870م. ويحتفل أهل المكان بمولد فى 15 و16 مسرى (21 و22 أغسطس) ويقال إن الهوام والمخلوقات الضارة لا تهاجم الناس أثناءه، كما يشرب الناس من ماء البئر.

وحوالى عشرة كيلومترات جنوباً تقع مدينة أوكسيرينكوس القديمة أو البهنسا. يقول المقريزى إن الأقباط يقولون أن العائلة المقدسة مرت بالبهنسا. وهناك رواية من الجانب الإسلامى أن العائلة المقدسة قد قدمت للبهنسا على ظهر حمار. وهناك كلام عن بئر شافية يقال إن المسيح جعلها تفيض كى تصله المياه ويشرب منها. أما عن التراث الشفهى يقول محمد البقير (676-731 م) أن العذراء أخذت المسيح للمدرسة وسنه تسعة شهور. وبعد مناقشات مع المعلمة قالت لأمه أن تأخذه لأنه حكيم ولا يحتاج لمعلم. والرواية مشابهة تماماً لما جاء فى إنجيل توماس الإسرائيلى (140-160 م). ويقال إن المسيح ساعد فى الاستدلال على ما سرق من أحد علية القوم عن طريق شخص أعمى وآخر أعرج. ويعتقد النصارى فى البهنسا أن العائلة المقدسة قد مرت بهذا المكان ومكثت غرب ترعة بحر يوسف. وفى القرن الخامس كان هناك حوالى 10,000 راهب وحوالى 12.000 راهبة بالبهنسا. وفى 1897 اكتشف كل من ب. جرينفيل وأ. س. هانت، مخطوط أقوال المسيح.

وبالقرب من سينوبوليس القديمة، سافرت العائلة المقدسة على مركب جنوباً من قرية القيس. وبعد 35 كم جنوباً وصلوا إلى جبل الطير فى الضفة المواجهة لسمالوط وبيهو، وكان جبل الطير يعرف أيضاً بجبل الكف لوجود طبعة لكف المسيح. يقال إن صخرة كبيرة بالجبل أوشكت على السقوط على مركب العائلة المقدسة، فسندها المسيح بيده الصغيرة وتركت أثرا بقى لفترة طويلة بعدها وكتب عنها عدة زوار للمنطقة. ثم بنى دير بالمنطقة يعرف بدير العذراء مريم ولكن يطلق عليه اسم دير جبل الطير أو جبل الكف. كانت هناك لوحة على الباب تقول إن الكنيسة ترجع لعام 328 م، ثم جددها الأنبا ساويروس أسقف المنطقة فى 1938 م. وهناك 166 درجة سلم تؤدى للكنيسة التى يقال إن الإمبراطورة هيلانا وابنها قسطنطين أنشآها. ويوجد ميمر للبابا تيموثاؤس الثانى (458-480م)، البطريرك السادس والعشرون للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، يعرف بمخطوط موعظة كنيسة الصخرة.

بعدها ارتحلت العائلة المقدسة جنوباً لميناء خوفو بالمنيا، ويقال إن العائلة المقدسة مرت بالمعبد الحجرى للإلهة اللبوءة باخت بمنطقة سبيوس

كنيسة العذراء بالزيتون

بازيليكا الأشمونين

أرتيميدس. وتقع قرية الروضة أمام أطلال أنطونيو بوليس أى أنصنا أو الشيخ عبادة.

وتعد الأشمونين وهى جزء من المنيا، من أهم المحطات فى رحلة العائلة المقدسة. وتبعا لرؤيا البابا ثاؤوفيلس، كانت هناك أشكال لخيول على أربع جهات عند بوابات مدينة هرموبوليس ماجنا أو الأشمونين، وتحطمت عند مرور العائلة المقدسة. أما كتاب النحلة فيقول إن تمثالين من المعدن على باب المدينة صاحا عند مرور المسيح أن ملكاً عظيماً قد جاء إلى مصر. وفى إنجيل متى المزيف يقول إن العائلة المقدسة عندما مرت بالأشمونين وتحطمت الأصنام، أصر الحاكم أفرودوزياس أن يقدسوا جميعاً الطفل وإلا أحاط بهم ما حل بفرعون موسى وجنوده من غرق فى البحر. وخاف الملك لما سمع هذا وطلب من أهل المدينة أن يدخلوا عليه واحداً واحداً. ولما مرت العائلة المقدسة صاح التمثالان المعدنيان «هذا هو الملك». وخاف الملك وقرر أن يقتل المسيح. فنجد لازاروس الذى أقامه المسيح من الموت يتدخل فيعرض أن يموت بدلاً من المسيح. ويقول السنكسار الإثيوبى أن العائلة المقدسة أقامت مع رجل يدعى أبلون Apelon، ويقول السنكسار القبطى أن اسم المضيف كان طالون. وهناك شجرة فى الأشمونين يقال إنها قدست خطى المسيح، فباركها وقال إنها لا يمكن أن يسكنها الدود أبدا ولمسها وقال إنها ستخلد ذكرى مروره بالمدينة. ويطلق سوزومن المؤرخ البيزنطى على تلك الشجرة اسم شجرة البرساء. ويقال إن خمسة جمال مرت عند العائلة المقدسة وضيقت الشارع. فنظر إليها المسيح بعينه فإذا هى تتحول لحجر. وفى اليوم التالى يقال إن أعدادا غفيرة من المرضى جاءوا مع أسرهم، فكان المسيح يضع يده على كل منهم فيبرأ من مرضه. ويتكلم أبوالمكارم عن كنيسة العذراء بالأشمونين فيقول إنها كانت تحتوى على عدة مذابح وأعمدة رخامية، ومذبح كانت تقام عليه كل الصلوات لأن طبعة كف المسيح كانت عليه. ويقال إن شجرة سورية بفاكهة حمراء كانت أمام الكنيسة وعندما حاولوا أن يقطعوها وقت البطريرك التاسع والثلاثين البابا أغاثوس (658-677م) كان يقف تحت الشجرة، فطار الفأس وخبط وجه العامل. وبعدها لم يحاولوا أبدا قطع الشجرة. لكن للأسف لا يوجد أى أثر مادى لوجود العائلة المقدسة بالأشمونين الآن، ولا حتى كنائس قديمة بخلاف أطلال البازيليكا بالمعبد. وحوالى عشرة كيلومترات للجنوب من الأشمونين يقال إن العائلة المقدسة قضت عدة أيام فى مانالو أى ملوى الحالية. وتوجد عدة كنائس فى ملوى منها اثنتان باسم العذراء مريم، وواحدة للقديس مرقوريوس وأخرى لمار جرجس.

وهناك تراث شفهى بقرية دير البرشا أمام ملوى، عن مرور العائلة المقدسة بالمكان. ويقام احتفال بمغارة العذراء شرق دير البرشا فى 15 يوليو من كل عام فى ذكرى عيد الأنبا بيشوى وليذكر الشعب مرور العائلة المقدسة. وكهف العدرا كما يطلق عليه، مغلق بباب حديدى وفيه جدارية تمثل العذراء جالسة تغزل. ومفتاح الكهف إما فى دير البرشا أو دير أبوحنس.

وتابعت العائلة المقدسة السير جنوباً ليومين حتى وصل أفرادها إلى بلدة كنيس أو ديروط الشريف. ويقال إن أهل المدينة أحسنوا استقبالهم وأن المسيح شفى أمراضاً عديدة لأهل المدينة. واستضافهم نجار يدعى داينو كان يعرف يوسف النجار فى القدس وكان ابنه ممسوساً مساً شيطانياً. فيقال إن الشيطان الذى كان فى ابن داينو عرف المسيح عندما رآه، وقال له أنا تركت لك القدس كلها. فيقول التقليد أن المسيح طرد الشيطان من الفتى، وأن كثيراً من أهل المدينة آمنوا به لمعجزاته.

وبعدها سافرت الأسرة، وفى الطريق مروا ببلدة كانوا يستعدون فيها لزفاف عروس لا تتكلم أو تسمع. فلما رأت العروس العذراء مدت ذراعيها لتحمل الطفل وانحلت عقدة لسانها وشفيت أذنيها فصارت تمجد

مدخل مغارة كنيسة أبى سرجة

المصادر الشفهية

الرب بالغناء. ثم وصلت الأسرة إلى قصى أو قسقام أى القوصية الحالية بأسيوط. ويقال إن العائلة المقدسة دخلت بلدة جسو عاصمة مقاطعة الجميز السفلى، وكان بها معبد كبير له معبود تغطيه سبع غلالات. فلما دخل المسيح قطعت الغلالات، وصاح الشيطان يطلب من الكهنة أن يمسكوا بالمسيح وأمه وإلا لن يكون لهم بقاء فى القرية. فطارد الكهنة وكان عددهم مائة، العائلة المقدسة وبأيديهم عصى وأسلحة. وهربت العائلة المقدسة من القوصية، لكن المسيح التفت ويقال إنه لعن البلدة وأهلها وأرضها التى قال إن الشوك والحلفا سينموان بها، ولكن يقال إنها غير القوصية الحالية.

بعدها ارتحلت العائلة مسافة صغيرة للجنوب، ثم ستة كيلومترات غرباً إلى مير. وهناك يقال إن المسيح قطع عصا يوسف الخشبية إلى قطع صغيرة وزرعها فى الأرض ورواها. وقيل أنه تركها لتصبح تذكاراً لمروره هناك.

بعدها انتقلت العائلة المقدسة قليلاً للتلال غرب مير فى الغالب. ولحق بهم اللصان اللذان كانا قد تبعاهما من تل بسطة بأقنعة على وجوههم وسيوف وخناجر، وأخذوا ملابس الجميع. وحاول اللص المصرى أن يثنى زميله السورى اليهودى عن عزمه ويرد الملابس، إلا أن الآخر رفض بدعوى أنها ملابس غالية. فطالب اللص المصرى بنصيبه من الملابس ورد نصيبه منها للعائلة المقدسة لما أبصر النور الذى يشع من وجوههم ورأى دموع العذراء. وبعد رحيلهما يقال إن المسيح قال لأمه أن اللصين سيصلبان عن يمينه وعن شماله، وأن المصرى الذى باركه بعلامة الصليب لرد نصيبه من ملابسهم، سيصلب عن يمينه، سيؤمن به وهو على الصليب.

وقال الشيطان لهيرودس أن قتله لكل أطفال القدس وبيت لحم كان بغير فائدة لأن المسيح وأمه فى مصر. ونصح الشيطان هيرودس أن يرسل عشرة جنود ليحضروهم من مصر. فسمع بهذا أحد أقارب يوسف النجار وهو من بنى إسرائيل وكان يدعى موسى. وسافر لهم فى مصر سريعاً فى ثلاثة أيام فقط لسفره فى الليل أكثر من النهار، وحذرهم مما حدث. ونام وأسلم رأسه على حجر كان المسيح قد استحم فوقه وفاضت روحه، فدفنوه فى هذا الموضع ليكون كالملاك الحارس للمنزل. ويقال إن المسيح قال إن ذلك المنزل سيكون به رهبان كثيرون لن يستطيع أحد أن يؤذيهم لأن هذا المكان آواهم، وأن من تحضر إلى المسيح بنفس صافية طالبة أن ترزق بطفل سيتحقق غرضها. ويقال إن ذلك الموضع الآن هو الدير المحرق حوالى 12 كم غرب القوصية، وبه الكنيسة الوحيدة التى يقال إن المسيح كرسها. وأقامت العائلة المقدسة فى هذا المكان أطول فترة قضتها فى مكان واحد بمصر، وهو ستة شهور وعشرة أيام. وعليه ينطبق قول الكتاب المقدس فى متى 20:2 وهو على لسان أشعياء «وفى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر». وبقياس أرض مصر من الإسكندرية لأسوان، فذلك الموقع يقع فى منتصف المسافة تماماً تبعاً لنبوءة أشعياء. ويقال إن ملاك الرب ظهر ليوسف النجار فى جبل قسقام. أما كنيسة العذراء مريم بدير المحرق فيقول الأقباط أنها هى أقدم كنيسة فى مصر وبنيت حوالى 60 م عند حضور القديس مرقس كاروز الديار المصرية. ولكن البناء الحالى لأغلب مبانى الدير من القرن الثانى عشر أو الثالث عشر الميلادى، وإن كان الدير من وقت الأنبا باخوم حوالى القرن الرابع الميلادى. ولكن هنا نجد أن بعض الأقوال ترجح أن مكوث العائلة المقدسة فى مغارة لستة شهور وعشرة أيام كان فى جبل درنكه فى مغارة دير العذراء مريم بدرنكه حالياً، وذلك لانبعاث نور من تلك المغارة وحدوث ظهور هناك حوالى عام 2000. ويقال إن ملاك الرب جاء ليوسف النجار ليحثه على الرجوع فى درنكة عوضاً عن جبل قسقام، وإن كان كلاهما بمحافظة أسيوط وعلى مقربة من بعضهما. ويتم احتفال عظيم فى دير درنكه بالتلال بين 7 و22 أغسطس من كل عام. ويقال أيضاً أن العائلة المقدسة كانت باسطبل عنتر.

جبل درنكه جنوباً، ويعتبر هذا الموقع آخر محطات العائلة المقدسة. يقع الدير الحالى باسم العذراء مريم بارتفاع حوالى مائة متر من سطح الأرض الزراعية بجبل أسيوط الغربى. ويقال إن العائلة المقدسة حلت بالدير فى شهر أغسطس، فيحتفل الدير باحتفالات سنوية من 7-21 أغسطس كل عام. وتوجد عدة كنائس بالدير، أقدمها وأهمها كنيسة المغارة وطول واجهتها حوالى 160 متراً وعمقها

حوالى ستون متر. وقد عرف هذا المكان بمعجزات ظهور نور بالمغارة وظهور للعذراء صوره علمـــاء وكالة الفضاء الأمريكية ناسا بمعدات خاصة.

وهناك مغـــارة ثانية محفورة فى الصخر بزمام القوصية بمنطقة قصير العمارنة، وكان يطلق على المغارة اسم مغارة البقرة لوجود ماشـــية بالمكان، وصار عندها كنيسة العذراء الرومانية.

طريق العودة:

فى الغالب ســـلكت العائلة المقدسة نفـــس طريـــق العـــودة باختلافات طفيفة. فبعد أن جاء الملاك ليوســـف النجار ليبـــشره بإمكانية العودة لموت من كانوا يريدون موته (متى 20:2)، عادت العائلة المقدســـة من القوصية لهرموبوليـــس ماجنا أو الأشـــمونين حيث يقول البابا ثاؤوفيلوس فى ميمره عن الرحلة، أن أهل المدينة استقبلوهم بفرح عظيـــم وترحاب. وبالنســـبة للمغارة أسفل كنيســـة أبو سرجة فى مصر القديمة، فقد كانت بالفعل على خريطـــة زيارات الحجـــاج بالقرون الوسطى على أقل تقدير، مثال ما كتبه جون بولونـــر (1421م)، الذى خرج من طريقه واســـتمات ليزور المغارة. وكانت مياه النيل تملأ مغارة أبوسرجة بمصر القديمة وقت الفيضان، وكانت تعتبر مياهاً مقدســـة لأنهـــا تباركت بمكان العائلة المقدســـة. وبالإضافة للسنكسار، هناك روايات منها ما قاله أنطوناينوس الشهيد، وكان حاجاً من بلاســـنتيا فى القرن السادس (حوالى 560-570م)، ويقول أنه رأى معبدا بمنف به صورة لوجه المســـيح انطبع على منشفة من الكتان.

واستمرت العائلة المقدسة فى السفر شـــمالاً مروراً بالمطرية وشجرة مريم، والمحمه. وتبعاً للسنكسار ظهر مصدر مائى بالمنطقة تبركاً بالزيارة. وفى كنيسة العذراء المقدســـة بمسطرد على الجانب الغربى من ترعة الإسماعيلية حوالى ثلاثة كيلومترات غرب المطرية، يوجد بئر ماء أسفل الجانب الشمالى الشرقى للكنيسة

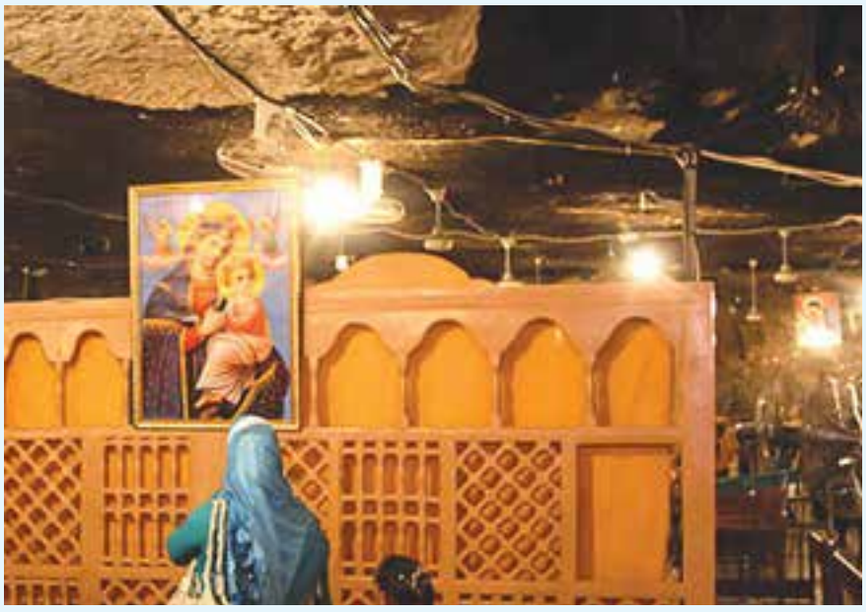

دير درنكة المغارة الكبرى

يقال إن العائلة المقدسة باركته. وهناك أدراج أى ســـلال من الـــشرق والغرب تؤدى للمغارة حيث يتم الاحتفال بالمولد الســـنوى للمكان من 7-22 أغسطس. ومن المحمـــه ذهبوا إلى ليونتوبوليس أو تل اليهودية. وهناك تراث شفهى يتناقله أقباط شـــبين القناطر حوالى اثنين كم شـــمال غرب ليونتوبوليس، بخصوص مرور العائلة المقدســـة بموقع بلدتهم. بعد هذا مروا ببلبيس، ووادى الطميلات والقنطرة. ويقال أنهم مكثوا بضعة أيام بالقرب من غزة.

وفى النهايـــة يمكـــن أن نقول إن رحلة العائلة المقدسة لمصر والاعتراف بها كمكان للحج، من المنتظر أن تأتى بسياحة دينية فى الســـنوات القادمة. وعـــلى الرغم مـــن أن رحلـــة العائلة المقدســـة لم تترك لنا آثارا ملموســـة واضحة وموثقة بأسماء، إلا أن التراث الشفهى الخاص بالرحلة تراث عظيم لا يمكن أن نهملـــه خاصة فى بلد مثل مصر تعد الأقاويل وما يتوارثه الناس حتى من أسماء أماكن، كلها ذات أهمية عظيمة. وفى الغالب لا يقدر الناس كثيراً أهمية التراث الشفهى، لكن المؤرخين يدركون أهميته الشديدة. فمثلا نجد أن المصريـــين كانوا يتحدثون عن ملك وحد قطرى مـــصر فى بداية الأسرات أى حـــوالى 3000 ق.م، يدعى مينا. وظل اسم مينا قائما حتى بعد دخول المسيحية حيث كان اســـما لأحد أهم قديسى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هو مار مينا العجايبى نظراً لمعجزاته. ورغم أننا لـــم نجد مقبرة أو أثراً كبيراً باســـم مينا، لكننا وجدنا بعض قطع صغيرة مثل سدادات أوانٍ تحمل اسم «مني» وهو قريب الشبه من مينا، إلا أن المصريين يؤكدون أنهم علموا عمن يطلق عليه اسم مينا عند بداية الأسرات الفرعونيـــة أى حـــوالى 3000 ق.م وهناك أمثلة كثيرة أخرى.

ومـــن خصائص رحلـــة العائلة المقدســـة انتشـــار فكرة عين الماء أو البئر التى شربت منها العائلة المقدسة فباركتها وظلت كمصدر استشـــفاء وعلاج، وهنـــاك أكثر من بئر وعين ماء ارتبطـــت بالعائلة المقدســـة. ويوجد تراث عن معجـــزات قاموا بها بالبلاد، أهمها تحطيـــم الأوثـــان عند مرور المسيح ومعجزات شفائية. هناك أيضاً تقليد خـــاص بالعـــذراء التى يجلها المسلمون أيضا فى مصر، فهناك تقارب شـــديد بين العذراء والمصريين، وطالما استشعر الشعب المصرى بأن العذراء لا تنس المصريين وتظهر وتتجلى وقت الشـــدائد، ودائماً ما يشعر المصريون أن العذراء تهتم وتشـــعر بهم بدليل تكـــرار ظهورها فى عدة أماكن بمصر، منها الزيتون وجبل درنكه، ويقال إنها تجلت للبطريرك القبطى فى الكنيسة المعلقة بمصر القديمـــة قبل معجزة جبل المقطم.

تأمـــــــــلات

ظهر ملاك الرب ليوسف خطيب مريم العذراء في حلم قائلاً له: قم وخذ الصبي – يسوع المسيح- اذهب به إلى أرض مصر لأن هيرودس الملك مزمع أن يقتله مع كل الأطفال الذين في عمره. ووصلت العائلة المقدسة إلى الفرما وكان اسمها البرما أي علاج بعض الأمراض بالطمي، أطلق عليها اليونانيون بعد ذلك البلزيومم.

أ.د. وسيم السيسي

مصر عرفت الإله الواحد منذ الأسرة الأولى

وصلت العائلة المقدسة من الفرما إلى تل بسطا فكانت الأوثان تهتز وتتساقط، يجب أن تذكر الأفلام المسيحية أن أوثان الرومان هى التى كانت تتساقط لأن مصر عرفت الإله الواحد منذ الأسرة الأولى، والجميل أن البابا تواضروس أيد هذا الرأى، حتى لا يكبر أولادنا وهم معتقدون أن أجدادنا كانوا يعبدون الأوثان.

ثم وصلت العائلة المقدسة إلى مسطرد، ومنها إلى بلبيس، ومنها إلى سمنود التى ولد فيها مانيتون أعظم مؤرخى مصر 325 ق.م، ومن سمنود إلى برارى بلقاس حيث دير الشهيدة دميانة، نجد فى كل بلدة من البلدان السابقة كنيسة باسم السيدة العذراء. وصلت العائلة المقدسة إلى سخا ومنها إلى وادى النطرون حيث برية شهيت

أى ميـــزان القلوب. اتجهت العائلة بعد ذلك إلى المطرية حيث شـــجرة الجميز التى انحنت بأغصانها على الأسرة الصغـــيرة حتى تخفيها عن أعين جنود الرومـــان الذين احتلوا مصر 31 ق. م بعد موقعة أكتيوم، هذه الشـــجرة الحانية اسمها الآن شجرة مريم.

ولد الرفق يوم مولد عيسى

ســـارت العائلة من المطرية إلى الزيتون، حيث ظهرت العذراء أخيرا فى 2 أبريل 1968، ومنها إلى حارة زويلة فى حى كلوت بك حيث الكرسى البابـــوى ثلاثمائة عـــام. وصلت العائلة إلى الفسطاط حيث الكنيسة المعلقة الآن، ومنها إلى المعادى حيث كنيسة المعادى للسيدة العذراء الآن، وفى 12 مارس 1976 كان الكتاب عائماً على سطح نهر النيل مفتوحاً عـــلى الصفحة التى فيهـــا مبارك شعبى مصر (أشعياء 19).

هربت العائلة المقدسة للجنوب إلى سمالوط جبل الطير حيث كنيسة الســـيدة العذراء التى بنتها الملكة هيلانة فى القـــرن الرابع الميلادى. أقامت العائلة ســـتة أشهر فى الدير المحرق وتســـمى بيت لحم الثانى، ومنها إلى جبل درنكة فى أســـيوط حيث دير فى بطن الجبل على ارتفاع مائة متر عن الأرض الزراعية باسم دير السيدة العذراء.

ظهر الملاك يوســـف قائلاً: قم خذ الصبى واذهب به إلى فلسطين، مات هيرودس.

هـــذه رحلة مختـــصرة لرحلة العائلة المقدســـة هروباً بالســـيد المسيح الذى قال عنه أمير الشعراء أحمد شوقى:

ولد الرفق يوم مولد عيسى
والمروءات والهدى والحياء
تملأ الأرض والعوالم نورا
فالثرى مائج بها وضاء
لا وعيد لا صولة لا انتقام
لا حسام لا غزوة لا دماء

ملك جاور التراب فلما ملَّ نابت عن التراب السماء

كما نقل إلينـــا عباس محمود العقاد صورة وصفية للسيد المسيح عن ببليـــوس لنتيولـــس صديق بيلاطـــس حاكم الجليـــل من قبل الدولة الرومانية رفعها إلى مجلس الشيوخ الرومانى وجاء فيها: ظهر رجل له قوى خارقة يفيض وجهه بالحنان والهيبـــة معا، فيحبه من يراه ويخشـــاه، جبينه صلت ناعم، وسيماه كلها صدق ورحمة، عيناه زرقاوان تلمعان، مخيف إذا لام أو أنب، وديع محبـــب إذا دعا وعلم، كلامه متزن ورصـــين وملاحته فى مرآه تفوق المعهود فى أكثر الرجال (حياة المسيح ص 109 العقاد).

وكتب عنه ساندور الهندي: لم يولـــد فى قصر بل فى مكان فقير، لم يتقلد منصباً من مناصب الدولة، لم يعلم أكثر من ثلاث سنوات، لم يترك كتاباً من بعده، وبعـــد ألفى عام يحبه ويحمل اسمه أكثر من مليار إنسان.

وقال عنه القرآن الكريم:

(إذ قالت الملائكـــة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهـــا فى الدنيا والآخرة ومـــن المقربين) آل عمران 45.

أما عـــن ثمار رحلـــة العائلة المقدســـة من الناحية الســـياحية والاقتصاديـــة خصوصا بعد زيارة بابا الفاتيكان وتشجيعه لمسيحيى العالـــم من الكاثوليـــك على زيارة مصر فهـــى لا تعـــد ولا تحصى.

ويكفى أن نعلم أن أســـبانيا تعداد سكانها أربعون مليون نسمة وعدد السياح ستون مليون سائح.

أولاً: مطلـــوب الأمـــن الداخلى للسائح عن طريق شرطة السياحة والرقابـــة، ورقابة عـــلى الرقابة نفسها.

ثانيـــاً: من الـــضرورى حماية السائح من الاستغلال المادى أو أى مضايقات تصادفه من أول أطفال الشوارع الذين يجرون وراء السائح أو السائحة... بقشيش بقشيش... إلى التحرش الجنسى إلى النصب فى المشتروات، وكل هذا يسهل التغلب عليه بإعطاء كل سائح خمسة أرقام تليفونات.. النجدة – الإســـعاف- الشرطة – المحكمة.. نعم المحكمة تعقـــد فى نفس اليـــوم للفصل فى المنازعات فوراً.

أضف إلى ذلك تثقيف المرشدين الســـياحيين الذين يعطى بعضهم للســـائح معلومـــات خاطئة عن تاريخنا العظيم: إن أجدادنا كانوا يعبدون الأوثان، وأنهم كانوا جبابرة ظلمة، استخدموا السخرة للشعب وبنى إسرائيل! عليهم أن يعرفوهم أن مصر عرفت الإلـــه الواحد من الأسرة الأولى، وأن حضارتها قامت على العدالة بـــين الحاكم والمحكوم من ناحية، والعدالة الاجتماعية بين الناس جميعاً فالكل أمام القانون سواء، ويكفى أن أول قانون لحقوق الإنســـان كان من مـــصر (حور محب) وأول قانون دولى (تحوت) كمـــا أخبرنا د. محمود الســـقا فى كتابه القيم فلسفة وتاريخ القانون المصرى القديم.

كما صورها الفن المسيحى الشرقي والغربى

مصر التي حباها الله دائماً بالبركة والسلام والأمان.. مصر التي لجأ إليها الكثير من الأنبياء والقديسين في العهد القديم وباركتها العائلة المقدسة بزيارتها التاريخية.
«الأرض حيث القديس يوسف ومريم العذراء والطفل يسوع فضلاً عن كثير من الأنبياء عاشوا على أرضها المباركة وتباركت بدماء الشهداء على مر القرون».

بهذه الكلمات التى قالها البابا فرنسيس بابا الفاتيكان فى زيارته التاريخية لمصر فى أبريل 2017 عندما دعا جميع المسيحيين بالعالم للحج إلى مصر لنيل البركة.

إن هذه الكلمات تعتبر نقطة تحول فى مستقبل السياحة الثقافية والتراثية والدينية لمصر وتعتبر رحلة العائلة المقدسة لمصر مثالاً فريداً للتراث الدولى الموثق على مر العصور، الذى ذكر فى العديد من المصادر التاريخية. وقد جاء اعتماد بابا الفاتيكان لمسار رحلة العائلة المقدسة إلى مصر ومباركته لأيقونة الرحلة المقدسة ليضع مسار العائلة على خريطة السياحة المصرية والعالمية وبهذا يفتح الباب أمام السياحة وخاصة سياحة الحج للازدهار وسيعزز من مركز مصر السياحى على مستوى العالم.

مسار هذه الرحلة يقدم نهجاً جديداً لسياحة الحج التى تجمع بين احتياجات الأنواع المختلفة من السياحة القادمة لمصر وهذا يهدف إلى توسيع الخريطة السياحية لمصر لتشمل التراث المادى وغير المادى المدرجة فى هذه الرحلة المقدسة، فضلاً عن إدراج مواقع جديدة لتشجيع الزيارات المتكررة. إن هذا التوسع يتجاوز نماذج السياحة التقليدية وسوف يشمل مسارات الرحلة وبالتالى سيجذب أنواعاً مختلفة من السياح ويزيد عدد

د. ماري ميساك
أستاذة الفن والآثار في العصر البيزنطي
قسم الإرشاد السياحي في كلية السياحة والفنادق
بجامعة حلوان
mary.kupelian75@gmail.com

السياح الذين يزورون مصر فى المستقبل وسيساعد ذلك أيضاً على تعزيز تبادل السياح من مختلف البلدان فى جميع أنحاء العالم إلى مصر وجذب آخرين. إن هذه الرحلة موثقة عن طريق المواقع الأثرية الموجودة فى المدن المختلفة فى مصر وأيضاً صورت فى الفن المسيحى الشرقى والغربى لما لها من أهمية عظيمة مرتبطة بحياة السيد المسيح.

فى البداية سوف أقوم بإلقاء الضوء على بعض الأماكن التى تباركت بهذه الرحلة وبعد ذلك إعطاء بعض الأمثلة لنماذج فنية مثلت هذه الرحلة.

قدوم العائلة المقدسة لمصر:

عندما كانت العائلة المقدسة فى خطر كانت مصر ملاذاً آمناً لهم وبقوا فيها فترة زمنية يصعب تحديدها بدقة وبعد ما ارتحلت من أورشاليم إلى مصر انتقلت بين عدة بلاد وقرى لأنهم كانوا هاربين من تهديد هيرودس ملك اليهود. فإن دخول العائلة المقدسة لمصر يعتبر أحد الأعياد السيدية الصغرى وهو يوافق الأول من يونيو من كل عام ومؤخراً تم تحويله لعيد قومى يتم الاحتفال به كل عام. وفقاً لإنجيل متى (2:23) وبعد أن ولد يسوع المسيح قد ظهر ملاك الرب ليوسف النجار فى الحلم وكانت هذه لحظة حاسمة فى تاريخ المسيحيين الأقباط، لأن مصر أصبحت أرضاً مقدسة تباركت أرضها بوجود العائلة المقدسة، وإلى اليوم فإن هذه المواقع التى نزلت فيها العائلة المقدسة

كنيسة جبل الطير

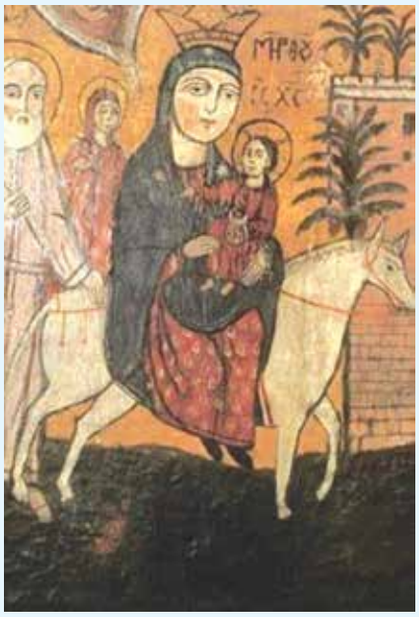

أيقونة من القرن 19 تصور رحلة العائلة المقدسة لمصر محفوظة في كنيسة أبي سرجة في مصر القديمة

تشكل درباً من دروب القداسة.

وسوف أتناول منظوراً مختلفاً لهذه الرحلة التى تعتبر رحلة حج وتقدم نوعاً جديداً للسياحة فى مصر وهو سياحة الحج التى تتطلب تكاتف كل متطلبات أنواع السياحة القادمة لمصر. هذه تعتبر المرحلة الأولى من دراسة أكبر شاملة تدرس رحلة العائلة المقدسة لمصر بالتفصيل وتأثيرها على السوق السياحى وعلى المجتمع ككل.

إن نقاط المسار المختلفة فى مصر متميزة والهدف من إلقاء الضوء على هذه الرحلة هو توسيع الخريطة السياحية لمصر لتشمل أماكن جديدة وإضافتها إلى مسار السياحة القادمة لمصر وبالتالى سوف يكون لهذه الرحلة أثر إيجابى على مستقبل الثقافة والسياحة والتراث بنوعية المادى وغير المادى فى مصر.

إن رحلة العائلة المقدسة لمصر هى من محاور الدين المسيحى إلا أن طول الإقامة المقدسة فى مصر والطرق التى اتبعتها لم تذكر فى الأناجيل، وإنما ذكرت لأول مرة فى كتابات أساقفة الكنيسة فى القرن الثانى والمصادر الدينية والمخطوطات النادرة المحفوظة فى مكتبات الأديرة والكنائس والتى تحدثت عن هذه الرحلة المقدسة تحقيقاً لنبوءة أشعياء النبى فى العهد القديم، هذا بالإضافة إلى نصوص ترجع للقرون الوسطى مثل «رؤية ثاؤوفيلس» البطريرك الإسكندرى الثالث والعشرون (385-412) التى أضافت المزيد من التفاصيل وكل ذلك مصحوب بالتقاليد الشفوية والظهورات والمعجزات التى حدثت فى هذه الأماكن المباركة.

وقد تم اختيار عدد من المواقع المهمة التى باركتها الزيارة المقدسة لتسليط الضوء عليها. وتضمن المسار العريش ثم الفرما التى تقع حوالى عشرين كيلومترا شرق بورسعيد، وقديماً كانت ميناء ومركزاً للتجارة تحيط بها الأحراش، وجد علماء الآثار فيها بقايا عدد من الكنائس القديمة التى ترجع إلى القرنين الخامس والسابع ولهذا السبب فقد أصبحت تعرف باسم هضبة الكنائس.

تل بسطا من أول المدن التى زارتها العائلة المقدسة فى الدلتا. تل بسطا فى الوقت الحاضر هى field الحجارة والصخور وتوجد هناك جبانة كبيرة للإلهة القطة باسطط وأصبحت فى عهد الأسرة الثانية والعشرين مركزاً سياسياً قوياً

حصن بابليون

كنيسة أبى سرجة

وعاصمة لمصر.

إن الموقع معروف مشهور بقصة مرتبطة بإنشاء بئر ماء، عندما اقتربت العائلة المقدسة من البلدة طلب الطفل يسوع ماء وقابلوا مزارعاً يدعى كلوم ودعاهم إلى منزله حيث قام يسوع المسيح بشفاء زوجة كلوم من الشلل.

وبعد ذلك وصلت العائلة المقدسة إلى نقطة جذب أخرى يمكن اعتبارها نقطة مهمة على الخريطة الواعدة لزيارة العائلة المقدسة وهى مدينة سخا التى تقع حوالى 135 كم شمال القاهرة. فى هذه المدينة الطفل يسوع لمس حجراً بقدمه والمياه اندفعت من الأرض وقدمه تركت بصمة على الحجر.

وبعبور نهر النيل ووفقاً لبعض الروايات رأت العائلة المقدسة منطقة وادى النطرون والتى تقع فى منتصف الطريق بين القاهرة والإسكندرية وتعتبر من أهم التجمعات الرهبانية فى مصر، إن هذه المنطقة غنية بالأديرة العامرة وبأطلال الأديرة والكهوف والقلالى حيث عاش الرهبان فى بداية الرهبنة فى وقت مبكر.

ويوجد فى الوادى أربعة أديرة عامرة وهى دير العذراء السريان ودير أبو مقار ودير البراموس ودير الأنبا بيشوى. وقامت العائلة المقدسة بمباركة هذه الأماكن والأديرة التى شيدت على هذه النقاط.

وبعد ذلك استمرت العائلة فى التنقل فوجدت الأمان تحت ظل شجرة الجميز فى المطرية وفى تلك البقعة أقام يسوع بئر ماء وشرب منها واستخدمتها مريم العذراء لاستحمام الطفل يسوع وفى هذا المكان الذى سكب الماء عليه نمت شجرة البلسم التى أعطت رائحة جميلة ويستخدم النبات أيضاً لإعداد الزيت المقدس. وجدير بالذكر أن هذا المكان قد استخدم كمكان للحج فى القرن 19.

وبعد ذلك استقرت العائلة المقدسة فى منطقة مصر القديمة وبقيت بضعة أيام فى بابليون التى هى جزء من مصر القديمة، وهذه المنطقة تتميز عن باقى مواقع الحج الأخرى حيث بقيت فيها العائلة المقدسة بضعة أيام. فالمنطقة كلها تعتبر مقصداً للحج وبقعة تراث مهمة على أرض مصر. وتعتبر مغارة كنيسة أبى سرجة كنيسة صغيرة تحت الأرض وهى تقع تحت الخوروس وجزء من الهيكل، من غير الممكن التثبت من تأريخ هذه المغارة، ولا شك أنها سابقة على الكنيسة الرئيسية بعدة قرون. إن تلك البقعة قد تقدست بحضور السيد المسيح وذلك منذ بداية ظهور المسيحية فى مصر، ولذلك فقد بنيت كنيسة فوق هذه البقعة حوالى القرن الثانى أو الثالث، أما المغارة الحالية فربما حلت محل المزار الأصلى، وقد يعود تاريخها إلى القرن السادس الميلادى.

وعلى بعد عشرة كيلو مترات جنوب مصر القديمة قصدت العائلة المقدسة كنيسة السيدة العذراء العدوية حيث استقلوا قارباً واتجهوا إلى مصر العليا.

وبحسب الاعتقاد القبطى وصلت العائلة إلى جبل الطير، عندما اقترب قارب العائلة المقدسة من الهضبة، سقطت قطعة من الصخر وكادت أن تسقط على القارب فرفع يسوع المسيح يده وحمى العائلة المقدسة، وتركت يده بصمة على الصخرة ولذلك عرف الجبل بجبل الكف.

وأخيراً من أهم الأماكن التى تباركت بهذه الزيارة دير السيدة

جزء من حشوة لعرش ماكسيميان من العاج محفوظ في متحف رافينا

أيقونة دخول العائلة المقدسة إلى مصر بالمتحف القبطي

العـــذراء بالمحـــرق –القوصية– أسيوط، وبه أقدم كنيسة فى العالم، وهو بلا شـــك من أهم أماكن خط ســـير العائلة المقدسة. وذلك لأن فى هذا المكان بقيت العائلة المقدســـة بعضاً من الوقت وجاء السيد المسيح بعد قيامته إلى المذبح المشـــار إليه فى أشعياء 19:19 « مذبح للرب فى قلب مصر»، وتنفرد هذه الكنيســـة ببساطة بنائها، فالكنيسة كما يشهد التقليـــد هى البيـــت المهجور الذى عاشـــت فيه العائلة المقدسة وبقى

على مســـاحته كما هو حتى القرن 19 وعندمـــا تحول البيت فى العصر المســـيحى المبكر إلى كنيسة تم عمل التقاسيم والحواجز المناسبة لطقس الكنيســـة، وأهم ما فى الهيكل هو المذبح الحجـــرى، فالمذبح الحجرى معروف لـــدى علماء الآثـــار بأنه استخدم منذ عصر مبكر جداً وهو يمثل الحجر الذى جلس عليه السيد المسيح وهو طفل وباركه.

لم تقتصر أهميـــة هذه الزيارة فقط على المواقـــع الأثرية والتراثية الممتدة من شـــمال مصر لجنوبها بل تنعكس أيضاً على الفن المسيحى الشرقى والغربى الذى قام بتوثيق هذه الرحلة إما عـــلى الأيقونات أو النســـيج أو أحجار أو الجداريات المرسومة فى كنائس الأديرة القبطية.

أولاً: الفن القبطي

الأيقونات:

تحمل معظـــم الأيقونات التى يرجع تاريخها إلى النصف الثانى من القرن الثامن عشر توقيع «إبراهيم الناســـخ» إما منفرداً أو بالاشتراك مع «يوحنا الأرمنـــى القدسي» وقد تأثر كثير من الرســـامين بأسلوبهم ونتيجة لذلك فـــإن أكثر الأيقونات التى رسمت فى هذه الفترة تم رسمها بأسلوب فنى متشابه. وكان الرسام «أنسطاسى الرومى القدسي» مسئولا عن القدر الأكبر من رسم الأيقونات فى منتصف القرن التاسع عشر.

فبسبب هذه الزيارة المهمة يجب توسيع الخريطة السياحية التقليدية للمواقع الدينية والتراثية لتشـــمل هذه الأماكـــن المباركة. ولعمل ذلك يجب زيادة عـــدد الرحلات الجوية مباشرة والرحلات الجوية العارضة التى تعطـــى الإمكانية للوصول إلى معظم أنحاء الجمهورية.

ويجب الاهتمـــام بهذه الأماكن وتطويرها وتأمين الطرق وتمهيدها أمام الأفواج الســـياحية وإنشـــاء الفنادق لإقامة الأجانب والاستراحات المجهـــزة كما يجـــب وضع خطة مدروســـة بالتعـــاون مع شركات السياحة وتزويد الأماكن باللوحات الإرشادية وتوفير مترجمين أو إعداد المرشدين السياحيين المدربين لشرح هذه الأماكن بدقة، هذا بالإضافة إلى ترميم الكنائس وصيانتها وطباعة الكتيبات التعريفية والتسويق الجيد لهذه الأماكن يعكس قيمتها الفريدة من نوعها والتى ليس لها مثيل فى أى بلد آخر.

لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية (3)

عصر الدولة القديمة

أ.د. محمد إبراهيم على

وزير الآثار الأسبق

moibrahim53@gmail.com

سبق وقد ذكرنا أن مصطلح الدولة القديمة هو الاسم الذي أطلقه العلماء على الفترة التي تلت العصر العتيق. كان من أوائل حكام هذه الفترة، كما سنعرف فيما بعد، الملك زوسر صاحب مجموعة الهرم المدرج بسقارة. ويطلق أيضاً على هذا العصر عصر بناة الأهرام نظراً لبداية وشيوع بناء الأهرامات في العمارة المصرية القديمة.

تتألف الدولة القديمة من أربع أسرات وهى من الأسرة الثالثة وحتى نهاية الأسرة السادسة فى رأى أغلب العلماء بينما يرى البعض امتدادها وحتى نهاية الأسرة الثامنة. وامتد حكم هذه الدولة من 2780 قبل الميلاد إلى 2263 ق.م. ورغم ما تم العثور عليه من آثار لهذه الحقبة فمازال تاريخ الدولة القديمة يكتنفه بعض الغموض. فحوليات حجر باليرمو مختصرة وغامضة ومشوهة فى الكثير من أجزائها. وما يمكن الاستعانة به لمعرفة تاريخ هذه الدولة هو آثار ملوكها ما ذكره مانيتون ونقوش مقابر كبار الأفراد فى الجيزة وسقارة.

وبشكل عام فقد تطورت الحضارة المصرية تطوراً سريعاً فى عهد الدولة القديمة فزادت سيطرة الملوك على أواصر الدولة عن طريق الحكومة المركزية والإدارة الفاعلة والتقنية المتقدمة وتطور الكتابة والفن والعمارة. وليس هناك وجه مقارنة بين أى عمل وهذا العمل المعمارى الفذ الهائل الذى نعرفه باسم الأهرامات. وكان أول من بنى الأهرام هو زوسر، مؤسس الأسرة الثالثة. كذلك فقد عكست تماثيل الملوك والأفراد واللوحات المرسومة والمحفورة فى عصر الدولة القديمة المفاهيم الفنية التى كان هدفها خدمة الطقوس الجنائزية والدينية. ونحتت التماثيل الملكية فى أوضاع تقليدية ذات خطوط مثالية للوجه، تسعى لتصوير الشخصيات الملكية فى بنيان جسدى قوى، وأحياناً مع بعض اللمسات الواقعية التى هى أقل حدة لتفاصيل الوجه. ولعلنا نستطيع تتبع ذلك فى تمثال الملك زوسر والتمثال الوحيد المتبقى للملك خوفو، ونماذج الملك خفرع بالأحجار المختلفة، والمجموعات الثلاثية للملك من – كاو – رع، ورأس الملك أوسر كاف.

أما تماثيل الأفراد فقد اتبعت نفس المفاهيم الفنية، ولكن كانت لديها حرية أكبر فى الحركة، وتنوع أكثر لأوضاعهم. وقد نحت الفنانون تماثيل جالسة للكتاب، وتماثيل لأشخاص واقفة أو راكعة وأخرى منشغلة بالأعمال المنزلية. ونجد أمثلة لذلك فى تماثيل الأمير رع حتب وزوجته نفرت، اللذين يبدوان كشخوص حقيقية بسبب ألوانهم وعيونهم المطعمة. كما نراها أيضاً فى التمثال الخشبى لـ"كا – عبر" ذى الخطوط الواقعية فى نحت الوجه والجسم.

تمثال الملك خوفو

تمثال الملك زوسر

الأسرة الثالثة

من اللافت أن تكون معلوماتنا عن هذه الأسرة أقل بكثير مما توفر عن ما تلاها من أسرات، بالرغم من توافر عدد من أسماء الملوك المؤكد انتسابهم للأسرة الثالثة. ويرجع ذلك إلى عدم العثور على أى من الآثار التى تذكر ديباجة الأسماء الأربعة لكل من الملوك المعروفين. وبالتالى لا يمكن الجزم بعدد الملوك الذين يمكن نسبة الأسماء المعروفة لأى منهم. غير أننا يمكننا التأكيد على أن مؤسس الأسرة هو الملك نثر – غت المعروف بزوسر واسم خليفته وهو الملك سخم – غت إلى جانب آخر ملوك الأسرة وهو الملك حونى.

تمثال كا – عبر

تمثال الكاتب الجالس

تمثال الملك خفرع بالمتحف المصري

زوسر

تُعد مجموعة الملك زوسر الجنائزية واحدة من أكثر آثار سقارة تأثيراً وإثارة للإعجاب. ومن المعروف أن اسم "زوسر" استُخدم منذ عصر الدولة الوسطى، لمؤسس الأسرة الثالثة، وكان اسمه الحورى هو "نتر غت أو نترى غت".

كُتب اسم هذا الملك على بردية تورين بالمداد الأحمر. لا بد وأن هذا الأمر يشير إلى بداية عصر جديد. وأمه هى "ني – ماعت – حب" (والتى تُنسب لماعت أبيس)، وفى الغالب أنها كانت من منف، وقد ذُكر اسمها فى عهد "خع سخموي"، آخر ملوك الأسرة الثانية، مسبوقاً بلقب "أم الملك"، ومن ثم يبدو أن زوسر كان ابناً "لخع سخموي" من الزوجة الثانوية "ني – ماعت – حب".

وفى هذا الموضوع فنحن نعرف أن اسم زوسر قد ارتبط لمدة طويلة من الزمان بأسماء ثلاث نساء هن: "ني – ماعت – حِب"، و "إنت – كا – أس"، و "حتب – حْر – نبتي".

رع حتب وزوجته نفرت، المتحف المصري

ولقد ذكرنا أعلاه أن السيدة الأولى تُعتبر زوجة آخر ملوك الأسرة الثانية "خع سخموي"، وهى أم الملك زوسر، أما فيما يختص بالسيدتين الأخريين، فقد عُرفتا على أنهما ابنتا ذلك الملك، ويبدو من غير المنطقى الافتراض بأن زوجة زوسر لم يأت ذكرها قط على آثاره.

حدث فى العام 1911، أن عثر عالم المصريات E. Schiaparelli على كِسرة من الحجر، يظهر عليها ثلاث نساء، يصاحبهن نص فحواه: "ابنة الملك -إنت -كا -اس" و"تلك التى ترى حورس حتب - حر - نبتى" وهذه الوثيقة تُعَرِفُ "إنيت - كا - إس" على أنها الابنة الملكية، بينما يقتصر تعريفها بالسيدة "حبت - حر - نيبتي" على أنها مجرد "تلك التى ترى حورس". إضافة إلى أن كلاً من هاتين السيدتين كانتا تلقبان على لوحة اكتشفها كاتب المقال عام 1985، بجوار الهرم المُدرج، بلقب "ابنة الملك"، إلا أن إحداهما وهى (حتب – حر – نيبتي) حملت أيضاً لقب "تلك التى ترى حورس"، وإذا أخذنا فى حُسباننا أن اللقب الأخير كان من المعتاد منحه لزوجة الملك، يمكننا الافتراض بأن "حتب – حِر – نيبتي" – التى ربما كانت ابنة آخر ملوك الأسرة الثانية - تزوجت "زوسر" أخاها غير الشقيق، لتمنحه

لوحة المجاعة في جزيرة سهيل بأسوان

شرعية خلافة الحكم، ومن ثم اعتلاء العرش.

لو طرحنا جانباً المجموعة الجنائزية للملك "زوسر"، التى سنتناولها فيما بعد، لأمكننا تمييز عهده ببعض المناحى الأخرى، مثل: التقويم الشمسى، وما يعرف باسم لوحة المجاعة.

التقويم المصرى القديم

من المحتمل أن يكون المصريون القدماء قد بدءوا استخدام التقويم القمرى لتحديد المواقيت، إبان عصر ما قبل التاريخ، وباكتشاف التناقض بين الطريقة القمرية للحساب، ومسار الوقت الحقيقى، بدءوا مع بداية الأسرة الثالثة، البحث عن طريقة جديدة لتحديد المواقيت. ويرى بعض العلماء أن استخدام الطريقة الجديدة للحساب وهى طريقة التقويم الشمسى، قد بدأت مع عهد الملك جسر (من الأسرة الأولى)، وكدليل على استخدام التقويم الشمسى، وقد فسر العلماء لوحة من العاج تنتسب إلى عهد الملك المذكور، على أنها لوحة تصور النجم– الكلب (الشُعرى اليماني) فى هيئة بقرة جالسة تحمل بين قرنيها نبتة ترمز للسنة، وهم يميلون نحو تفسير هذه العلامات على أنها تشير إلى تأسيس أول حلقة تربط بين إشراق "الشعرى اليمانية" وبداية العام الجديد. غير أن هذا التفسير ربما جانبه الصواب حيث إن العلامة السوداء التى اعتقد أنها تشير إلى النجم ما هى إلا الثقب الذى كانت تعلق به اللوحة.

بيد أنه من المعلوم علم اليقين أن المصريين لاحظوا أن إشراق نجم الشُعْرى اليمانى يظهر فى نفس يوم وصول فيضان النيل إلى ممفيس، العاصمة والمركز الإدارى لمصر الموحدة، ومن ثم فقد تم اختيار هذا اليوم ليكون يوم بداية السنة الجديدة، المقرر بدايتها وفقاً لتقويم "جوليان" فى اليوم التاسع عشر من يوليه (أو نحو شهر قبل ذلك، وفقاً للتقويم الجريجوري). وقد قسم المصريون السنة إلى ثلاثة فصول، كل فصل أربعة أشهر، وكل شهر ثلاثين يوماً (360 يوماً)، وكان الفصل الأول هو فصل الفيضان، يسمى "آخت"، أما الفصل الثانى فكان فصل "الإنبات والنمو ويسمى "برت"، والفصل الثالث فكان فصل الحصاد وأطلق عليه اسم "شمو"، ولقد أضافوا خمسة أيام تُسمى "أيام النسئ"، حيث اعتاد المصريون القدماء أن يحتفلوا أثناءها بمولد "أوزيريس، وإيزيس، وست، ونفتيس، وحورس". وبمرور الزمن، أوجدت تلك الطريقة مشكلة رئيسية، عندما تكون السنة الشمسية الفعلية

منظر تخيلى للمجموعة الجنائزية للملك زوسر

الركن الجنوبي الشرقي الذي أُعيد تشييده في السور المحيط بالمجموعة

365 يوماً، وست ساعات. وكان أن وسّع تدريجياً تعارض الربع يوم كل سنة الفجوة بين الظاهرتين، فقد خلق هذا الربع يوم لكل سنة تعارضاً مع يوم كل أربع سنوات، وشهر واحد كل 121 ¼ سنة، ولم يُمْكن تصحيح هذا العارض إلا بعد 1456 سنة (وهى الفترة المعروفة باسم فترة الشعرى اليماني). وقد سُجل توافق اليوم الأول من السنة الشمسية، وإشراق الشعرى اليمانى فى العام 139 ميلادياً. إذن كان من الممكن – وفقاً للحقائق المُبينة أعلاه - أن يحدد المصريون تواريخ دقيقة لهذا التوافق، إبان العصر الفرعونى، حيث حدث ذلك فى الأعوام (قبل الميلاد) 1317 (أول سنة فى حكم الملك سيتى الأول)، والعام 2773، والعام 4323 قبل الميلاد. وفى واقع الأمر، فإننا لا نميل إلى اعتبار العام 4323 قبل الميلاد هو أول أيام التقويم الشمسى المصرى، لأن الشواهد الأثرية تثبت أن التطور الحضارى لم يكن قد

الشكل الأصلى للأسقف التى كانت تغطى أبنية المجموعة الجنائزية، والتى أقامها إيمحوتب محاكياً الأسقف التى كانت تتألف من جزوع النخيل

منظر للملك زوسر وهو يقوم بطقس "الحب- سد"

تطور تطوراً كافياً فى تلك الحقبة الزمنية، من ناحية أخرى نجد أنه من الأفضل اعتبار العام 2773 قبل الميلاد، هو بداية التقويم، حتى وإن كان ذلك قد حدث بعد فترة حكم الملك "جر". والتعرف على ظاهرة إشراق النجم الشعرى اليمانى لا يعنى بالضرورة بدء اتخاذ التقويم الشمسى، ولعل الأقرب للمنطق الافتراض بأن التقويم القمرى كان موضع الاستخدام على الأقل حتى نهاية الأسرة الثانية، ثم أعقب ذلك، استبدال التقويم القمرى بالتقويم الجديد إبان عهد الملك زوسر.

أما فيما يختص بلوحة المجاعة، فهى تمثل نصاً منقوشاً على صخرة فى الطرف الجنوبى من جزيرة "سهيل" بأسوان، ويرجع إلى عهد بطليموس الخامس. ولعل هذه الوثيقة التى اكتشفت فى العام 1889م، نسخة من وثيقة قديمة كُتبت إبان عصر زوسر، فهى فى رأى بعض العلماء تتحدث عن زيارة للملك البطلمى لمنطقة الجندل الأول، وفى تقدير البعض الآخر أنها تعيد تثبيت عبادة خنوم مقابل عبادة الإلهة إيزيس معبودة فيلة.

ممر الأعمدة أو الأساطين

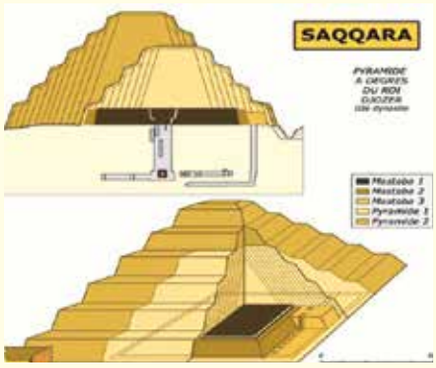

الهرم المدرج وشكل السراديب فى الجزء السفلي من الهرم

تميز عصر الملك الذى نحن بصدده فيما تميز بشخص من عامة الشعب لم يقتصر تأثير ما قام به على فترة حياته فقط بل امتد عبر الزمن حتى وقتنا هذا، ونحن نقصد هنا المهندس العظيم "إيمحتب". حيث أقام هذا المهندس العبقرى المجموعة الجنائزية للملك زوسر والتى تكونت من الكثير من الإنشاءات التى تختلف من حيث النوع والطراز، مستخدماً لأول مرة فى التاريخ البشرى الأحجار على نطاق واسع.

لم تقتصر شهرة "إيمحتب" على كونه مهندساً معمارياً فقط ولكنه شغل العديد من الوظائف مثل منصب الوزير وكان أيضاً كبير كهنة هليوبوليس، وامتد تبجيل

المعبد ذو شكل الحرف T

نماذج من الأوانى التى وجدت فى الدهاليز أسفل الهرم المدرج

المصريين له فى العصور التالية فقد وضع إيمحتب بعد عصر الدولة الحديثة فى مصاف الآلهة، حيث ألهه مواطنو منف على وجه التحديد، وقد عزوا إليه الكثير من العطايا الطبية العظيمة، ولهذا السبب فقد سووا بينه وبين الإله الإغريقى أسكليبيوس فى العصر البطلمى حيث ذكر على جدران المعابد مثل معبد "فيلة" فى أسوان حيث نجد له معبداً خاصاً به نقشت على واجهته أسماء كل من أمه وزوجته بجوار اسمه.

المجموعة الجنائزية

لا شك أن المجموعة الجنائزية للملك زوسر تعتبر أهم العلامات المميزة للأسرة الثالثة بشكل خاص وللدولة القديمة بشكل عام، حيث تُعد مجموعة الملك زوسر الجنائزية واحدة من أكثر آثار سقارة تأثيراً وإثارة للإعجاب.

1 - الجدار الذى يحيط بالمجموعة، والمدخل:

بدأ إيمحتب التشييد ببناء جدار يحيط بالمجموعة، أشبه بقلعة، محاكياً نمط السور المُشيد بالطوب اللبن، الذى يحيط بمنف، بيد أنه قدم تجديداً قوياً، حيث استبدل الطوب اللبن بالحجر، وقد استخدم حجراً جيرياً من محجر خاص بجانب المجموعة ونوع آخر للكسوة الخارجية للأبنية والهرم من النوع فائق الجودة شديد البياض، مقطوعاً من محاجر طُرة، الواقعة على الضفة الشرقية لنهر النيل، ولقد اتبع فى بنائه أسس التشييد بالطوب اللبن، أو بمعنى آخر، فقد قام بقطع كتل الحجر بنفس حجم الطوب اللبن، حتى أنه نسخ البوابات المزدوجة الأربعة عشرة الموزعة حول الجدار المحيط بمنف، غير أنه نحتها فى الوضع المصمت، وجل هذه الأبواب، أبواب غير حقيقية، عدا باب واحد تُرك مفتوحاً فى الركن الجنوبى الشرقى، ونلاحظ أن هذا الباب لا تتوفر به أية وسيلة لغلقه، مما يدعونا للاعتقاد بضرورة وجود حارس – فى ذلك الوقت - يراقب المنطقة المحيطة بالمكان ليلا ونهاراً.

2 - بهو الأعمدة:

عندما نجتاز هذا الباب، نجد أنفسنا فى ممر ضيق، مسقوف بكتل تحاكى جذوع النخيل، وينتهى هذا الممر بفناء صغير، حيث يمكننا رؤية مصراعين وهميين لأحد الأبواب، كما نرى المفصلات التى نُحتت فى الحجر، وفقاً للموضع المغاير للمصراعين الوهميين، فإن أحد المصراعين كان يقفل خلف الآخر ليتحقق بذلك سمك مزدوج. عند مغادرة الفناء، ندخل دهليزاً ضيقاً (طوله 54 متراً)، يحيط به صفان من الأعمدة، يتكون كل صف منهما من عشرين أسطوناً، نُحتت على شكل حزمة من الغاب أو البردى ملمومة من أعلى، ويبلغ ارتفاع كل أسطون (5.92 متر)، وكل أسطون من الأساطين تعتمد على جدار صغير، يصل بينه وبين أحد الجدارين الجانبيين ممر الأساطين.

وكانت وظيفة الأربعين أسطوناً هى دعم السقف المبنى من الحجر الثقيل وحمله، والمصنوع من ألواح وُضعت بشكل عمودى، ومقبية عند حافتها المنخفضة لتماثل جذوع النخيل، ويبدو أن الأساطين قد استندت على الجدران الصغيرة، فقد كانت تلك هى المرة الأولى التى تُبنى فيها الأساطين من الحجر، ومن ثم لم يكن "إيمحوتب" متأكداً من إقامتها حرة مستقلة بذاتها دون أن تُسند.

3 - الفناء المفتوح:

عند اجتيازنا باباً وهمياً منحوتاً فى الحجر يحاكى باباً خشبياً مفتوحاً، نجد فناء كبيراً مفتوحاً، يحيط به جدار ذو مشكاوات، وفى الطرف البعيد من الفناء، ومقابل الواجهة الجنوبية من الهرم المُدرج، نرى مذبحاً مربع الشكل، مزوداً بمدرج، ونجد فى المنتصف بناءين على شكل حرف "D"، وكانا فى الأصل ثلاثة أبنية، لعلهم كانوا يمثلون منابع النيل، وقد اعتاد الملك أن يجرى بينهم ومعه "الثور أبيس" أثناء أداء طقس يُسمى "الحب سد".

تكمن الفكرة العامة لمسألة "الحب سد" (المعروف باليوبيل)، فى أن "الحب سد" ما هو إلا عيد اعتاد الملوك المصريون أن يحتفلوا به كل ثلاثين عاماً، لتجديد حكمهم، بيد أن الملك الوحيد الذى أحيا هذا العيد بعد مضى ثلاثين عاما من حكمه هو رمسيس الثانى، ومن ناحية أخرى نعرف أن بعض الملوك الآخرين لم يكملوا أربعين سنة فى حكمهم البلاد، غير أنهم احتفلوا بهذا العيد ثلاث مرات (أمنحوتب الثالث)، وفى حالتنا موضع حديثنا هذا، نجد أنه من المُرجح تماماً أن الملك زوسر الذى لم يحكم إلا لمدة تسع عشرة سنة فقط، احتفل "بالحب سد" مرة واحدة على الأقل خلال سنوات حياته، إذن ما هو المفهوم الفعلى لهذا العيد الذى اعتاد الملك أن يجرى أثناء الاحتفال به مع "الثور أبيس".

يمكننا أن نفترض وجود تشابه معين بين فيضان النيل والثور، فكلاهما كان خصباً وقوياً. كما أننا نعرف أيضاً أن النيل قد لعب دوراً مهماً فى توحيد الأرضين، لذلك نجد أن الاحتفال بالعيد يصور الملك مرتدياً ذيل الثور، وهو يعدو مع

إفريز رائع من ثعبان الكوبرا على واجهة المقبرة الجنوبية

"أبيس" بين الأبنية الثلاثة التى تتخذ شكل الحرف D فى الجهة الشمالية من الفناء ومثيلاتها التى كانت توجد فى الجزء الجنوبى من الفناء (وهو ما يمثل منبعى النيل)، بغية تجسيد فيضان النيل، الذى كان يزود تربة مصر بالسماد، كما كان من ناحية أخرى يحافظ على وجود الأرضين متحدتين.

4 - المعبد ذو شكل الحرف T:

عندما نعبر من خلال الفتحة الموجودة فى الجانب الشرقى من الجدار الذى يحيط بالفناء المفتوح، نلاحظ فى الجهة اليسرى وجود أطلال مبنى صغير تحدده ثلاثة أساطين متصلة بالجدار بواسطة أزواج دعم، تماثل تماماً تلك التى رأيناها من قبل، والجزء العلوى من جدران هذا المبنى والذى يمكن تسميته "الأثر ذو الثلاثة أساطين المُقناة"، مُزين بكورنيش مكون من عدد من العلامة الهيروغليفية ويمكن للزائر أن يرى مرة أخرى على الجانب الشرقى من هذا المبنى، باباً نصف مفتوح مُمثلاً فى الحجر. وعندما نغادر المبنى متجهين نحو الجنوب، نمر بجانب حائط منحوت - والذى يُعد حسب غاية علمي - المثال الوحيد من نوعه، حيث فضل المصريون الجدران المتعامدة.

5 - فناء "الحب سد":

ندخل الآن فناء مستطيلاً طويلاً. ونلحظ أول ما نلحظ وجود منصة مربعة ذات درجين يعلوها مظلة تحمى عرشى مصر العُليا والسُفلى وهى تمثل العلامة الهيروغليفية وعند الالتفات ناحية الشرق، يمكننا رؤية ثلاثة تماثيل تقوم مقام أعمدة، تمثل الملك زوسر، مقامة على امتداد الجزء الداخلى من السياج، وموضعهم الفعلى معروف، وعلينا ألا نتخذ هذه التماثيل كمثال على فن النحت إبان تلك الحقبة الزمنية.

يقع فى الجانب الغربى من الفناء بقايا الأجزاء المؤثرة لنمطين مختلفين لمقاصير هما: النمط الأول ويتمثل فى ثلاثة أمثلة، مزودة بجِليات على هيئة الثور، توجد على الأركان، أو تعلو قليلاً خط السطح الأفقى، وذلك المثال يُعد تحولاً حجرياً لأجزاء من المقصورة كانت تصنع أصلاً من الحصير، وحزم من الجريد فى الأركان، وقد أُقيمت إحدى هذه المقاصير فى منتصف الصف، وتقع المقصورتان الأخريان فى أقصى الشمال والجنوب. وبناء على دراسة مقارنة للكتل المتناثرة وأساس البناء، استطاع السيد/ لوير أن يعيد

بناء مثال على هذا النمط مستخدماً طريقة خاصة لإنجاز ذلك الأمر.

قبل مغادرتنا فناء "الحب سد"، نجد عند الجانب الغربى من المخرج مبنى صغيراً، بُنى ليضم أربعة أزواج من الأقدام، هى كل ما تبقى لدينا من أربعة تماثيل ربما كانت للملك زوسر والثلاث نساء اللائى ارتبطن به وسبق ذكرهن وهن: أمه "ني - ماعت - حِب"، وأخته أو ابنته "إنت - كا - أس"، وزوجته "حتب - حْر - نبتي".

يمر الزائر لهذه المجموعة الجنائزية بعدة مبان أخرى مثل بيت الجنوب وبيت الشمال قبل أن نصل إلى الجنب الشمالى للهرم المدرج حيث نجد ما يعرف بالسرداب وهو عبارة عن حجرة صغيرة، مُشيدة بالحجر، وسطحها مغطى بألواح من الحجر الجيرى الأبيض. والحجرة مغلقة تماماً، وتحتوى على تمثال ينبض بالحياة، للملك زوسر، وقد نُقل هذا التمثال إلى المتحف المصرى، واستبدل بنسخة من الجِص، والتمثال يمثل الملك جالساً على العرش، ناظراً إلى الجهة الشمالية من السماء حيث صعدت "نورانيته" أو أعماله الطيبة وهى ما كانت تعرف بـ AX من خلال ثقبين مستديرين، موجودين فى الجدار الشمالى للسرداب.

عند مغادرتنا السرداب، متجهين نحو الغرب، نجد أطلال المعبد الجنائزى، يوجد شمال الهرم. ونجد فى منتصف هذه الأطلال، وعلى مستوى الأرض، ممراً منحدراً، يؤدى إلى المدخل الحقيقى للهرم.

الهرم المدرج

متبعاً التقاليد المتوارثة، بدأ إيمحوتب إعداد مقبرة جلالة ملك مصر العُليا والسفلى، بحفر بئر فى منتصف تلك المجموعة الجنائزية. وفى قاع هذا البئر (المربع الشكل، وطول كل ضلع من أضلاعه 7 أمتار، بعمق 28 متراً)، بُنيت غرفة الدفن، وسُقفت بألواح من الجرانيت الأسوانى، وقد تركت فتحة مستديرة أُدخلت فى الجانب الشمالى من السقف، لتُدخل المومياء بعد الموكب الجنائزى. وقد تم سد هذه الفتحة بعد دفن المومياء، بكتلة هائلة من حجر الجرانيت (وزنها ثلاثة أطنان ونصف الطن). أقام إيمحوتب بعد ذلك مصطبة مربعة فوق البئر ثم لسبب أو لآخر زادها لأربع مصاطب بعد عمل إضافات فى أركان المصطبة الأصلية من الجهات الشرقية والغربية والشمالية. ثم زاد هذا المهندس العظيم مصطبتين أخريين ليصل عدد المصاطب إلى ست بارتفاع يصل إلى ستين متراً. مشكلا بهذا أول وأكبر هرم حجرى فى تاريخ العمارة البشرية. يقع المدخل الأصلى لحجرة الدفن التى تقع فى قاع البئر أسفل الهرم من وسط المعبد الجنائزى فى شمال الهرم ويبدأ بممر منحدر، يفضى إلى درج يهبط إلى قاع البئر. وفى واقع الأمر نجد أن غرفة الدفن يحيط بها بعض الغرف والدهاليز، التى تقع أيضاً تحت الأرض، حيث استُخدمت لتخزين الأثاث الجنائزى، والآلاف من الأوانى المصنوعة من مواد مختلفة أنواعها. أما جدران تلك التجاويف الموجودة تحت الأرض، فقد كستها قطع صغيرة من الفيانس (الخزف المُزخرف) الأزرق تمثل الحصير. حيث وجد هذا النمط من أنماط الزخرفة فى كل الدهاليز الموجودة تحت الأرض، سواء هنا، أو فى المقبرة الجنوبية، حيث تُمثل واجهة القصر الملكى، المكسوة بالحصير، بنوافذها وأبوابها. كما نلحظ أيضاً أن جدران هذه الحجرات والدهاليز مُحلاة بأبواب وهمية، والألواح منحوتة بالنقوش البارزة للملك وهو يؤدى طقس "الحِب سد".

المقبرة الجنوبية:

عندما نترك الهرم خلفنا، نعبر الفناء المفتوح الكبير، متجهين نحو طرفه الجنوبى، فنجد الواجهة الداخلية من الجدار الذى يحيط بالفناء، وهذا الجدار - الذى تم ترميمه مؤخراً - بُنى بحيث يشبه مجموعة من الأبواب المتعاقبة، يعلوها إفريز رائع من ثعبان الكوبرا، وهى تمثل الإلهة "واجيت"، التى كانت إلهة من إلهتين حاميتين للملكية المصرية. ويتصل بهذا الجدار مقبرة ثانية "لزوسر"، مكونة زاوية قائمة ناتئة فى الفناء.

عند مواجهتنا للجدار الآخر، نجد على يسارنا البئر الكبير الخاص بالمقبرة الجنوبية، حيث يوجد فى قاع هذا البئر (الذى تبلغ مساحة قاعدته 7 أمتار مربعة، وعمقه 28 مترا)، غرفة الدفن الجرانيتية، وهى مشابهة لغرفة الدفن بالهرم، غير أنها أصغر منها، وعند اكتشافها، كانت فارغة تماما، ومن ثم يصعب معرفة الغرض منها تمام المعرفة، بيد أننا يمكننا الافتراض بأنها قد بُنيت لتستخدم كمقبرة رمزية "لزوسر"، بصفته ملك مصر العُليا، بدلاً من تلك التى جرت العادة على إقامتها فى أبيدوس.

كانت الجدران المحيطة بالدهاليز الموجودة تحت الأرض مزخرفة أيضاً بألواح مغطاة بقطع صغيرة من الفيانس (الخزف المُزخرف) الأزرق، أما الجزء الظاهر من المقبرة فوق الأرض فقد بُنى متخذاً شكل مصطبة مثلثة، مبنية من الحجر الجيرى المَحَلى، وتكسوها طبقة من الحجر الجيرى المستخرج من طُرة. ونجد أيضاً طريق مدخل هذه المقبرة - الذى يفتح من الجانب الغربي - ويؤدى إلى ممر منحدر، يتبعه درج يوصل لغرفة دفن صغيرة.

مظاهر حضارتنا المصرية القديمة (1)

الزراعـــة

عرف الإنسان المصرى القديم الزراعة منذ العصر الحجرى الحديث حيث كان الفيضان يقبل بمياه فيضة كل عام فى ميقات معلوم ثم ينحصر وقد غطى الشواطئ بطين دسم هو من أخصب ما عرف من طين العالم، وأصبحت للزراعة فى مصر حضارة وثقافة حيث كانت ظروف الوادى الذى تكتنفه الصحراء تحتم على الإدارة حماية الأرض واستخلاصها من عدوان الصحراء، وحماية القرى الحدائق بإقامة السدود ورى الأراضى العالية التى لا تصل إليها مياه الفيضان، وكان يتولى هذا الأمر موظف كبير يختص بالقنوات فى الدولة القديمة.

سفير محمد عهدى خيرت

makhairat@gmail.com

وبفضل النيل انقسمت السنة عند المصرى إلى ثلاثة فصول هى الفيضان والبذر والحصاد، فإذا انحسرت مياه الفيضان وبرزت الأرض وتماسكت طينتها انطلق الفلاح يعزقها بالفأس أو يحرثها بالمحراث الذى تجـــره الثيران ومن ورائـــه من ينثر البذور، ثم يتلو ذلك إطـــلاق قطعان الغنم والخنازير فى الأرض لتدوس على البذور وتدفنها فى التربة.

وكان المصريـــون يزرعون الحبـــوب والقمـــح والشـــعير والعـــدس والفـــول والحمص والبازلاء والحلبة والخس والبصل والثوم والكرات والكتان، وكانت زراعة الخضر تقتضى تقســـيم الأرض إلى أحـــواض، وكذلـــك حرص المـــصرى عـــلى زراعة الحدائق وغرس الأشـــجار سواء فى المنازل أو المعابد أو الجبانات من جميز وتين وزيتون ونخيل وعنب ورمان وسدر وإثل وسنط وصفصاف وبرســـاء، فإذا حل موسم الحصاد ونضجت الزراعة عمد الفلاحون إلى اقتلاع الكتان أو حصد القمح على أنغام الناى والغناء حيث تضم أعواده حزماً، ثم تحمل فى شـــباك على ظهور الحمير إلى حيث تدرس فى الأجران فتساق الثيران على الأعواد لفصل الحب عن السنابل. وكان إنتاج القمح من الأمور التى تعنى بها الدولة، وكانت ترفـــع إلى الملك تقارير تتضمن مقاديرها لتدبير الاقتصاد القومى.

وكانت للحياة الزراعية عند المصرى وجهها المقدس وآلهتها المختلفة التى ترعى الحصاد فعبد حعبى وأوزيريـــس رمزا للنيل والخضرة وســـخت ربة للحقل ورننـــوت ربة صوامـــع الغلال ونبرى ربة للحب وسوكو ومين للإنتاج والخصب. وكانت مواسم الحصاد تحل مـــع الأعياد حيث يخرج الملـــك مفتتحاً ومحتفلاً، فكان عيد سوكر يبدأ مع طلائع الشتاء وبروز الأرض للنذر، كما يقع عيد مين مع نضج المحصول

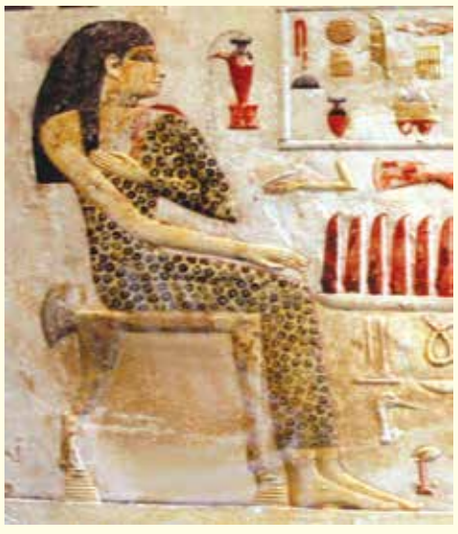

حيث يقضب الملك أول بشائر القمح.

كذلك وضعت الزراعة فى نفس المصرى قيماً معينة من الأخلاق كان خرقها من الكبائر التى يتبرأ منها يوم الحساب، إذ يشفع له عند الإله أنه لم يقلل مساحة الأرض الزراعية، لم يزيف حدودها ولم يحتجز الماء عنها ولم يأخذ حقوق جيرانه فى الأرض والماء كما ورد فى كتاب الموتى.

الدولة

كان ملك مصر هو الدولة تتجمع بين يديه كل شئون الحكم حيث كانت كلمته هى القانون، وكل ما ينطق به يعتبر مقدساً، ولكن فى الوقت نفسه كان النطق الإلهى والكلمة المقدسة يخضعان لعرف إلهى، وهذا العرف هو ما عبروا عنه بكلمة ماعت والتى تعنى الصفة الطيبة للحكم الصالح والإدارة الصالحة وهى الحق والعدل والنظام، إنها عنوان الحكم فى مصر، ويدلل بألوهيته بأنه لا يحيد عن تعاليمها فى شىء وبذلك يصبح أهلا لأن ينوب عن مجمع آلهة السماء فى وظيفته كملك على البلاد، أى أنه يحكم فى حدود الـ ماعت.

وقد تكونت الحكومة المصرية من مجموعة كبيرة من الموظفين يقومون على تنفيذ أوامر الملك، فهو الذى يعينهم وبقاؤهم فى وظائفهم رهن برضائه الإلهى، ونتج عن ذلك أن الأمور كانت تسير سيراً حسناً كلما تحلى الملك بالقوة، أما إذا ضعفت هذه السلطة المركزية وتراخت فسرعان ما كان يعمل الموظفون لصالحهم الخاص ويستقلون بأقاليمهم ويورثون وظائفهم دون الرجوع إلى الملك.

وكان الوزير يلى الملك فى شئون

الحكم، وكانت هذه الوظيفة الكبرى فى أول الأمر تسند إلى أحد أبناء الملك (الدولة القديمة)، ثم أصبحت من حق بعض الرجال المرموقين الذين لا يربطهم بالملك رابطة قرابة، وكان الوزير رئيساً لعظماء الوجهين القبلى والبحرى وكبيرا للقضاة ومشرفاً على بيت المال وبيت الغلال وعلى جميع أعمال الملك والسجلات الملكية، وكان مقره باستمرار بالقرب من الملك، كما كانت العاصمة هى المركز الرئيسى لجميع رؤساء الإدارات المختلفة، ولم يكن الموظفون يكافئون بالمال، بل يتسلمون مرتبات عينية أى كميات من الأغلال واللحوم والزيوت والأقمشة والجلود، ولم يكن الملك يتكفل بإعاشة الموظفين فى حياتهم بحسب، بل أيضا بعد الموت، إذ كانت هناك إدارة تعرف بإدارة هبات الملك تقوم بتقديم القرابين فى مقابر عدد من الموظفين وكان لها فروع متعددة وموظفون وعمال.

الدين

الدين ظاهرة اجتماعية نشأت عند الإنسان الأول فى مرحلة بدائية تحت تأثير ارتباطاته ببعض قوى الطبيعة ومظاهرها واضطراره إلى التقرب إليها مستهدفاً التقليل من ضررها، وكان هذا التقرب يأتى عن طريق التعبد إليها وتقديسها. وتمثلت قوى الطبيعة فى الشمس والقمر والسماء والأرض والرياح وغير ذلك من مظاهرها فكانت حسب بيئته تتمثل فى الحيوانات الضاربة والمستأنسة والطيور والأشجار والنباتات، وهكذا تعددت المعبودات، وكان المصرى البدائى - حاله فى ذلك حال جميع الشعوب البدائية- يشعر بوجود هذه القوى ويحس بتأثيرات بعضها عليه، وهى تأثيرات بعضها نافع والآخر ضار، ولكنه ما لبث عندما اختار بعض الحيوانات ليقدسها أن اعتقد أنها حوت شيئاً قوياً وإلهياً فى نفسها بمعنى أن هذه القوة المجهولة الأصل قد اختارت هذا الحيوان لتتجسد فيه، إلا أن المصرى لم يقدس هذا الحيوان فى كل نماذجه بل اختار نموذجاً واحداً لهذا الغرض، فمثلاً قدس البقرة حتحور والتمساح سوبك والثعبان وادجيت، ولكنه لم يجد حرجاً فى أن يذبح البقرة ويقتل التمساح والثعبان.

وقد تكون عند المصرى القديم نوعان من الآلهة، آلهة الكون وآلهة محلية، وهذه الأخيرة لعبت

مظاهر حضارتنا المصرية القديمة

عنده الدور الرئيسى وذلك لقربها منه ولتأثره المباشر بها، وأصبح لكل أسرة ولكل قبيلة ولكل إقليم معبوداته المحلية المتعددة، واستمر الحال على هذا النحو حتى العصر الذى أصبح فيه لمصر كيان سياسى فاندمجت المناطق وانقسمت إلى قطرين ثم اتحدت البلاد تحت إمرة ملك واحد، وهنا ظهر نوع ثالث من الآلهة وهو معبود الدولة الذى كان فى الأصل أحد المعبودات المحلية، ثم استطاع حاكم إقليمه أن يفرض سيطرته على مصر بأكملها وحتم على المصريين جميعاً أن يقدسوا معبوده فيصبح بالتالى معبود الدولة كلها.

وكان لموقع مصر الحصين عامل فى أن يشعر أهلها بالطمأنينة فى حياتهم، لذلك كانت ديانتهم خالية من الطقوس المخيفة من أجل الآلهة المتعطشة للدماء والتى تفرض تضحيات بشرية، وهكذا تميزت ديانة المصريين بالطقوس الدينية التى تؤدى بشكل هادئ رزين دون إسراف فى السرور أو الملذات.

ونظراً لأن مصر استطاعت فى عصرها المبكر أن تصل إلى وحدة سياسية تقوم على أسس قوية من النظم العلمية والقانونية والإدارية، فقد حاول المصرى التعرف منذ أقدم العصور على أسرار العالم الذى يعيش فيه ويتساءل كيف خلقت الأرض وبدأت الحياة عليها، وما هى السماء والنجوم؟ واستطاع بعد أن استلهم مظاهر بيئته أن يتخيل الطريقة التى تمت بها عملية الخلق، لقد اعتقدوا أن العالم كان غارقاً فى خضم أزلى (نون) أخذت مياهه تنحسر رويداً رويداً كما تنحسر مياه الفيضان، حتى أتى اليوم الذى برز فيه على صفحته تل عال أصبح بمثابة البيئة اليابسة الصالحة لبدء الخليقة، وهنا خلق الإله الأصل آتوم فى مدرسة أون، وبتاح فى مدرسة منف والثامون لدى الأشمونيين، وآمون فى طيبة خلق نفسه من نفسه، ثم أخذ يخلق الآلهة وبعدهم البشر، وقد اختلفت المدارس السابقة، ولكنها جميعاً اتفقت على أن بدء الحياة كان فى التل الأزلى.

وقد اعتبر المصريون ملكهم إلهاً، ولذلك هيمن على شئون البلاد، وهو الوسيط الأوحد بين الناس وعالم الآلهة، والكاهن الأعظم لجميع المعبودات التى قدسها المصريون، ولما كان من المستحيل على الملك أن يشرف ككاهن أعظم على الخدمة اليومية لجميع الأرباب فى معابدهم فقد اضطر أن ينيب عنه فى هذه المسئوليات بشراً عاديين يعملون بدلا منه وباسمه، ولعل هذه هى الناحية الوحيدة التى أوضح فيها المصرى القديم الجانب البشرى فى ملوكهم وهو الجانب الذى ازداد وضوحاً فى عصر الفترة الأولى التى تفصل بين الدولتين القديمة والوسطى، حيث لم يستطع الملوك إعادة سيطرتهم على الدولة بطريقة قدسية كأسلافهم ولكن بطريق القوة وبالتالى أخذت الملكية تعتمد على صفات بشرية وانتقلت السيطرة الدينية إلى مجموعة من الكهان الذين أصبحوا منذ الدولة الحديثة قوة يخشى الملك بأسها.

وقد شيد المصريون المعابد الضخمة لمعبوداتهم المختلفة وعهدوا بالخدمة فيها إلى عدد من الكهنة كانت مهمتهم رعاية معبودهم والقيام على خدمته، ومن المعروف أن المصريين تخيلوا معبوداتهم كالبشر يأكلون ويشربون ويتزاوجون وينجبون ويتصارعون ويتخاصمون، وعندئذ يتقدمون إلى محكمة الآلهة تفصل بينهم.

أما عن عقيدة المصرى فى حياة الخلود بعد الموت، فقد تأثرت أيضاً ببعض العوامل التى تميزت بها البيئة المصرية مثل التربة الصحراوية وانعدام الأمطار الموسمية التى جعلت جثث الموتى المدفونة تحتفظ بكثير من ملامحها نتيجة الجفاف، ولا شك أن المصرى الأول دهش لحالة الحفظ التى يجد عليها

الجثث فاعتقد أن الموت ليس إلا صورة من صور الحياة يفقد فيها الإنسان مقومات الحركة وحدها، واعتقد أيضا أن الموت يصيب الجسد فقط فى حين تبقى عناصر أخرى يحويها الجسم متمتعة بحياة سعيدة فى الآخرة، وهذه العناصر هى:

أولاً: «البا» وقد عبر عنها بالروح وصورها المصرى على هيئة طائر له رأس إنسان تتطابق ملامحه مع وجه صاحبه، وهى تنفصل عن الجسم بعد الموت وتطير إلى السماء ولكنها تعود من حين لآخر إلى المقبرة لزيارة صاحبها.

وثانياً: «الكا» ويعبر عنها بكلمة القرين، وهى عبارة عن جسم معنوى يسكن الجسم المادى ويشبهه فى كل شىء، ولكنه ينفصل عنه بمجرد الموت ويبقى مع الجسم فى القبر مادامت الجثة محنطة والقرابين تقدم على الموائد فى المناسبات المتعددة.

وثالثا: «الآخ» وهى الشخصية المعنوية لصاحبها، وتنفصل أيضاً بعد الموت وتصبح نجماً فى السماء.

ورابعاً: «الأيب» أى القلب الذى اعتبره المصريون بمثابة الضمير فهو مركز الإحساس البشرى والموحى لصاحبه بأعمال الخير والشر، لذلك يصبح الشاهد الوحيد الذى يحدث رب الدنيا الثانية (أوزيريس) بأعمال صاحبه التى توزن فتحدد مصيره إما إلى الجنة (أيارو) أو إلى العذاب.

وارتبطت عقيدة المصرى بحياة الخلود بعد الموت بفكرة تزويد المقبرة بمجموعة كاملة من الأدوات والأثاث والمأكولات، واعتقد أيضا أنه كلما أكثر من المقتنيات ازداد نعيمه فى الدار الآخرة. ومن الصعب تحديد مكان عالم الخلود، ويبدو أن المقبرة كانت فى تخيل المصرى هى مكان الحياة الأخرى فى العصور الأولى، ثم تصور بعد ذلك أن هذا المكان فى السماء وذلك عندما كانت عقيدة «رع» تهيمن على المجتمع المصرى، ثم انتقلت الحياة الأخرى إلى عالم أوزيريس الذى يقع فى مكان ما أسفل الأرض، وهو مكان يعتبر صورة طبق الأصل من مصر، فيه نيل وشواطئ مزروعة.

الجيش

لم تعرف مصر طوال عصر الدولة القديمة الجيش النظامى، واعتمد المصريون على فرق يقومون بتكوينها من شباب الأقاليم المصرية ويدربونها التدريب العسكرى الكافى ثم ترسل إلى القتال حتى إذا انتهت الحرب سرحوا ليعودوا إلى حياتهم المدنية، كما قام المصريون بتحصين حدودهم مقسمين إياها إلى مناطق مختلفة أطلق عليها اسم أبواب المملكة وزودت بحامية كبيرة وحصن منيع، كما عين على كل من هذه الحصون حاكم كان لقبه مرشد الأرض، وكان عليه السيطرة على المناطق المتاخمة لحدوده، كما كان يشرف أيضاً على الشرطة.

وكان الجيش المصرى منذ عصر الدولة القديمة يخضع لتقسيمات معينة إذ كان يتكون من فيالق يقود كل فيلق قائد يطلق عليه اسم أمير الجند (آمى - رايشع)، وكان كل فيلق يتكون من عدة فرق (عبرو) يشرف على كل منها رئيس فرقة (خرب)، وكان هؤلاء القواد يتفرغون لأعمالهم العسكرية إذ كانت مهمتهم تدريب الجند وتنظيم الصفوف إذا ما دق الخطر أبواب مصر. أما عن السلاح فاستعمل الجنود الأقواس والسهام للقتال على بعد وفأس القتال فى الاشتباك، إلى جانب الحراب الطويلة والدروع الخشبية المغشاة بالجلد.

ومنذ بداية عصر الدولة الوسطى أخذت مصر بنظام الجيش النظامى على أساس أن المجتمع الإقطاعى المصرى حتم على كل أمير مقاطعة أن يحتفظ بفرقة من الجند للمحافظة على النظام الداخلى واستقلاله الذاتى ويحمى مقاطعته من طمع الأمراء المجاورين له، واضطر ملوك الأسرة الثانية عشرة إلى مواجهة هذه الظاهرة بإنشاء جيش نظامى كبير أطلقوا عليه اسم شمسو - آن - حقا (الحرس الملكى).

ويمتاز عصر الدولة الحديثة بأمجاده العسكرية، فقد هيمن على البلاد طابع عسكرى بدأ منذ قيام المصريين بالحرب ضد محتليهم من الهكسوس (1710 ق.م) وكان الملك يقود الجيش بنفسه فى المعارك. كما اعتمدوا كثيراً على الأسطول وتفاخر الملوك بتسجيل ما كان يقوم به أسطولهم، وأخذ المصريون بنظام إعطاء كل جندى عامل مساحة معينة من الأرض ليعيش هو وأسرته من ريعها، وبقى هذا النظام سائداً حتى أن الإغريق أخذوا به فى العصر البطلمى، وهناك ما يثبت أن الجندى كان يمتلك نحو سبعة أفدنه، كما كان القانون يعفيه من الضرائب وأعمال السخرة.

ولم تكن الخدمة العسكرية وراثية مثل المهن الأخرى، فكان المجند يؤخذ وهو فى مستهل الشباب إلى الثكنات حيث يتدرب على الرماية بالقوس والسهم واستعمال بلطة الحرب والحربة والدرع، كما كانوا يتدربون على الألعاب الرياضية خاصة المصارعة.

الملك توت عنخ آمون كما لم يشاهده العالم من قبل

تابع العالم باهتمام بالغ أخبار اكتشاف مقبرة الملك توت عنخ آمون فى وادى الملوك بالبر الغربى بالأقصر فى نوفمبر عام 1922م فلم يســـبق الكشف عن مقبرة لفرعون مصرى محتفظة بمعظم محتوياتها كما وضعت مـــع الملك كأثاث جنائزى منذ ما يزيد عن 3500 عام.

أ. د. طارق سيد توفيق

المشرف العام على مشروع المتحف المصرى الكبير

tarek_tawfik@gem.gov.eg

عملية ترميم العجلة الحربية للملك توت عنخ آمون

رأس سرير الملك توت عنخ آمون

صندل الملك توت عنخ آمون من الذهب والجلد قبل الترميم

وقد نتج عن نشر وصف وصور الكنوز الذهبية والمذهبة الرائعة التى وجدت مكدسة فى غرف المقبرة الأربعة التى تداولتها الصحف العالمية عند الاكتشاف شغف كبير لدى الزائرين لمصر لرؤية كنوز الفرعون الذهبى. ولإشباع هذا الفضول العالمى تم الإعداد سريعاً لعرض محتويات مقبرة توت عنخ آمون فى الطابق الثانى بالمتحف المصرى بالتحرير فى مساحة ضيقة نسبياً وبسيناريو عرض بسيط يضم مجرد ثلث ما تم الكشف عنه فى المقبرة مع التركيز على القطع الذهبية والمذهبة ولم يتعد إجمالى ما عرض من آثار المقبرة 1700 قطعة من أصل ما يزيد عن 5000 قطعة أثرية تم تسجيلها فى المقبرة.

ولكن بعد ما يقرب من قرن على اكتشاف المقبرة ظهرت الضرورة لعرض الآثار المكتشفة فيها بشكل عصرى شيق يستغل الإمكانات التقنية الحديثة فى توفير بيئة الحفظ المثلى للآثار والتأمين اللازم لها وأساليب العرض الحديثة التفاعلية التى تخاطب زائر اليوم وخاصة الشباب والأطفال بلغة عصرهم الرقمية التفاعلية.

المتحف الكبير مستقر جديد للملك توت

المتحف المصرى الكبير سيعرض لأول مرة فى التاريخ الآثار المكتشفة فى مقبرة توت عنخ آمون كاملة, فسيتم عرض ما يزيد عن 5000 قطعة أثرية فى قاعات بمساحة 7000 م2 (بالمقارنة فإن إجمالى مساحة العرض المتحفى بالمتحف المصرى بالتحرير تبلغ حوالى 10000 م2 فقط) وسيناريو العرض المتحفى الجديد لآثار الملك توت عنخ آمون مستلهم من ترتيب وأماكن القطع الأساسية داخل غرف المقبرة وقت الاكتشاف ورمزية ذلك الترتيب فيما يتعلق بالفكر العقائدى والجنائزى

تفاصيل الصندل وقد ظهرت زينته وتتمثل فى أوزتين بينهما زهرة اللوتس مرصعة بالأحجار شبه الكريمة

وسادة للقدمين من الجلد وعليها زينة من الخرز بعد الترميم

صندل الملك توت عنخ آمون من الذهب والجلد بعد الترميم باستخدام الورق اليابانى والفايبرجلاس

الملك توت عنخ آمون
كما لم يشاهده العالم من قبل

والسعى للبعث والإحياء بعد الموت عند المصرى القديم. الزائر سيرجع 3500 سنة فى رحلة عبر الزمان ليشهد الموكب الجنائزى للملك توت عنخ آمون ويطلع على نمط الحياة فى البلاط الملكى فى الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية بما فيه من أثاث مذهب فاخر وحلى ذهبى رائع ومنسوجات وملابس ملكية قيمة ومأكولات محفوظة من لحوم وفاكهة وخبز وشراب.

هذا ولا تقتصر آثار الملك توت عنخ آمون على قناعه الشهير وتابوته وحليه الذهبى الرائع ولكن معظم آثار توت عنخ آمون مصنوعة من مواد عضوية كالخشب والجلد والكتان وهى خامات تعرضت بفعل الزمن للعديد من مظاهر التلف والإصابات الحشرية والميكروبيولوجية. وقد قام المرمم ألفريد لوكس عند اكتشاف المقبرة بمجهود طيب للمحافظة على الآثار المكتشفة بإمكانات وخبرات عصره وما كان متاحاً له من مواد ترميم وقد اعتمد بشكل كبير على استخدام الشمع النقى للإبقاء على التذهيب بالنسبة للآثار الخشبية المذهبة فى موضعه حتى لا يتساقط أثناء النقل من المقبرة إلى ضفة النيل ثم بواسطة مراكب على صفحة النيل من الأقصر إلى القاهرة لتعرض بالمتحف المصرى بالتحرير. وتم استخدام عدة أطنان من الشمع ساعدت على حفظ الآثار إلى حد كبير ولكن تم استخدام كميات زائدة فى بعض الحالات طمست بعض التفاصيل الرائعة للأثاث كما أن بيئة الحفظ والعرض المتحفى فى المتحف المصرى بالتحرير مع تزايد عدد السائحين

وسادة للقدمين من الجلد وعليها زينة من الخرز أثناء الترميم

صندل للملك توت عنخ آمون من الجلد بسيور ذهبية
بعد الترميم باستخدام الورق اليابانى والفايبرجلاس

عبر السنين وتذبذب درجات الحرارة والرطوبة فى فتارين عرض تقليدية غير مجهزة دعا مع تقدم الزمن إلى ضرورة إعادة ترميم بعض تلك الآثار بمواد الترميم الحديثة وعرضها فى فتارين عرض مجهزة لتهيئة البيئة المثلى لحفظ تلك الكنوز الحضارية العالمية للأجيال القادمة.

مهارة المرممين المصريين

وكان أول ما تم افتتاحه من مشروع المتحف المصرى الكبير هو مركز ترميم وصيانة الآثار فى عام 2010م وهو مجهز بأحدث الأجهزة والمعدات لإجراء الفحوص والتحليل وأعمال الصيانة والترميم فى 17 معملاً ليكون بذلك أكبر مركز للترميم فى العالم. وفى تلك المعامل المقسمة طبقا لخامات الآثار إلى معامل آثار عضوية وغير عضوية يقوم مجموعة من خيرة شباب مصر من المرممين المهرة بإعداد آثار توت عنخ آمون للعرض المتحفى الجديد وذلك باتباع أحدث المناهج العلمية من توثيق لحالة الأثر قبل الترميم ثم إعداد خطة الترميم وتوثيق خطواته ليكون لكل أثر ملف يسمح بمتابعة حالته مستقبلاً. وقد نجح المرممون المصريون فى إعادة بعض القطع الأثرية التى كانت فى حالة حفظ سيئة إلى رونقها السابق لتكون بمشيئة الله تحفاً جديدة يبهر بها المتحف الكبير زائريه عند افتتاحه.

صندل للملك توت عنخ آمون من الجلد بسيور ذهبية قبل الترميم

أجزاء لصندوق خشبى للملك توت عنخ آمون تم الكشف عنه مهشم قبل التجميع والترميم

ولعل مـــن أبرز تلـــك القطع مجموعة من الصنادل الملكية التى أعادهـــا فريق الترميم إلى شـــكلها الأصلى فقط باستخدام ورق يابانى رقيق مضاد للفطريات وحوامل من الفيبرجلاس، وكذلك وسادة للقدمين من الجلد مزينة بمناظر منفذة من الخرز الدقيق تمثل أعداء مصر تحت أقدام الملك لتأكيد دوره الأساسى فى حمايـــة الحدود المصريـــة. كما تم تجميع عدد مـــن الصناديق الملكية التى كانت مهشمة إلى أجزاء كثيرة متناثرة ومتداخلـــة لتضيف قطع عرض جديدة لمجموعـــة آثار الملك توت عنخ آمون لم يشاهدها العالم من قبل.

صندوق الملك توت عنخ آمون بعد التجميع والترميم وعلى المقبض أسم الملك

وسادة للقدمين من الجلد وعليها زينة من الخرز قبل الترميم

درع الملك توت عنخ آمون

أنشطة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

تميز نهاية عام 2017 بعدة أنشطة لاقت أستحسان العضوات والضيوف

عضوات الرابطة مع نهال كمال حرم شاعرنا عبد الرحمن الأبنودى

عازفة البيانو هنا اسامه شلتوت

بدأ الشهر بنشاط يحدث لأول مره فى الرابطة وهو اقامه المعرض الأول للتصوير الفوتوغرافى لزوجات وابناء الدبلوماسيين فى الخارج والداخل (العالم بعيون مصرية) والذى اشترك به خمسة من ابناء الدبلوماسيين وسبعة من الزوجات وقد حضر **حفل الأفتتاح** لفيف من المهتمين بالتصوير الفوتوغرافى والأصدقاء وقد قامت هنا شلتوت كريمة السفير أسامة شلتوت بالعزف على البيانو فى حفل الأفتتاح وأقيم المعرض بالمركز المصرى للتعاون الثقافى الدولى-التابع لوزارة الثقافة فى الفتره من12-18 نوفمر 2017.

أما **الغذاء الشهرى** فكان اللقاء الثانى لأعضاء الرابطة يوم الثلاثاء 14 من نوفمبر 2017 وكان لقاء مليئاً بالذكريات والمعانى الجميلة، لقاء مع نهال كمال حرم الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى (وعدى النهار). اختارت فقط تلك الأغنية التى طالما استمتعنا بها وسمعناها، وشرحت بعد قراءتها كم كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يحبها رغم أنها كانت بعد هزيمة يونيو 1967 وكان يحب سماعها لأنها تبث الأمل بجمال كلماتها وروعة أدائها، وبالرغم

من أن الأبنودى كان قد سجن فى عصره، وكان نهاراً ولقاء غاية فى الإمتاع والروعة.

أما **اللقاء الثالث** والأخير لشهر نوفمبر 2017 فكان مع خبيرة المكياج والتجميل اللبنانية رومى منذر والتى أبهرت الحاضرات بمكياج عروسة كامل لـ هنا شلتوت وأجابت باستفاضه على اسئلة الحاضرات وكان حضورا مكثفا ولقاء ممتعا بحق.

ومع بدايه **نشاط ديسمبر** 2017 استمتعت عضواتنا بكرم الأستضافه من ابتسام هانم العشيرى بمنزلها بالمنطقه الدبلوماسية بالسادس من أكتوبر، وكانت ورشة العمل ومحاضر معمليه عن كيفيه اعادة استعمال واصلاح والاستفاده من قطع الحلى القديمة، واعاده الرونق اليها. بدأت الورشة بالتعريف بالفرق بين قطع الحلى والأكسسوار يليه عرض عملى لاعادة التشكيل والتصميم لقطع قديمة أحضرتها بعض الزميلات.هذا واتقدم بإسم عضوات الرابطة وبإسمى بخالص الشكر والتقدير لابتسام هانم على المجهود الضخم والاستقبال الدائم الكريم لعضوات الرابطة.

اما **الغذاء الشهرى** فكان على الباخره سكاربيه فى جو ساده المرح والتفاؤل فى يوم مشمس رائع بين ضفاف النيل، حيث تمتعت عضواتنا الحاضرات بصحبة جميلة وعرض للفنون الشعبيه والموسيقى والغناء فكان بحق غداء ممتع ومتنوع استمتعن به وإلى اللقاء القادم باذن الله.

السفير :
فخرى عثمان

الفنان عبد الناصر السعدنى

(الوان وظلال)

أقام الفنان عبد الناصر السعدنى معرضاً بعنوان (ألوان وظلال) بقاعة زياد بكير بالمكتبة الموسيقية بدار الأوبرا، وكانت الأعمال من اللوحات الزيتية التى غلفت طابقى القاعة وكان محتوى جميع اللوحات البورتريه..وجه المرأة. وقد أدهشنى أننى لم أجد لوحة واحدة تتضمن وجه رجل أو طفل.. وأستطيع القول أن إبداع الفنان (فى تخصصه) يتسم بمستوى الكفاءة المتميزة فى الأداء باستخدام الألوان القاتمة وخاصة درجات اللون الأحمر. وقد وجدت فى طاقة الفنان الإبداعية ما يؤهله لتصنيفه فى قائمة الفنانين فى هذا المجال والذى يقوده على سبيل المثال الراحلون صبرى راغب وحسين بيكار وصلاح طاهر، وعبد العال شفاه الله. وهو المجال الذى يصعب أو يتردد بعض الفنانين فى اقتحامه.

كل التحية والتقدير للفنان المتميز.

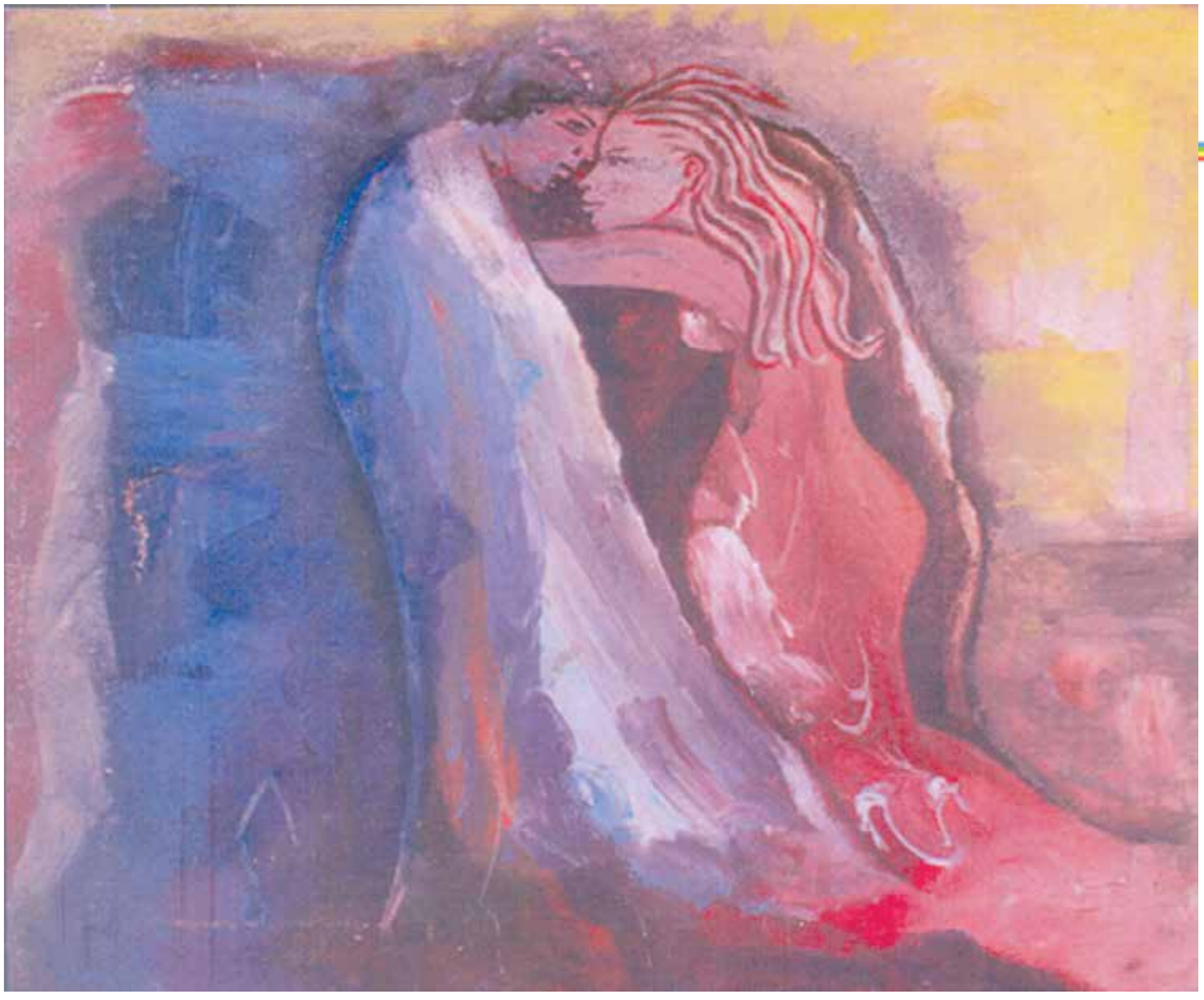

الفنان حسين حافظ

أقام الفنان التشكيلى حسين حافظ معرضاً لأعماله الفنية من اللوحات الزيتية فى قاعة آدم حنين بمركز الهناجر للفنون بساحة دار الأوبرا. وكان افتتاح المعرض تحت رعاية معالى وزير الثقافة حلمى النمنم. وقد رأيت فى صورة اللوحة المنشورة -كمثال- الانتماء إلى المذهب الرمزى الممتزج مع المدرسة التعبيرية للتعبير عن الحياة والبقاء والاستمرار بوجود الرجل والمرأة وكأنهما ينطلقان فى الفضاء بعيداً عن سطح الأرض والضوضاء والصرخات والمعاناة والظلم والفوضى الخلاقة والتقسيم والتفتيت وفرض الأمر الواقع على الإنسان.. وهذا الهروب سعياً للحظة من الهدوء والراحة والتقاط الأنفاس ثم الهبوط ثانية بفضل الجاذبية الأرضية.. للتمسك بحب الحياة والبقاء..

وقد يرى المتلقى موضوع اللوحة من خلال الرؤية السريعة تناغماً لونياً وتكويناً شكلياً له نغمته الخاصة التى تراها العين. إنه الخيال الذى دفع الفنان للانطلاق بصحبة المتلقى إلى العالم الآخر الأكثر أمنا وعدالة وأقل تلوثاً.

للفنان التحية وأطيب الأمانى.

وثيقة التنوير

تجمع بين التعليم والبحث، وتوظف المعرفة فى التنمية الشاملة للدولة الوطنية

أقر مجلس جامعة القاهرة يوم 16 نوفمبر 2017 « وثيقة جامعة القاهرة للتنوير» التى تهدف لتحويل جامعة القاهرة إلى جامعة من الجيل الثالث، باستعادة فكر الآباء المؤسسين فى التنوير والعقلانية والتعددية والمواطنة، وفتح مسارات جديدة للتقدم وتوظيف المعرفة فى التنمية الشاملة للدولة، والتوسع فى التخصصات البينية وتنمية فكر ريادة الأعمال وإدارة المشروعات والبرامج التدريبية للإعداد لسوق العمل.

الوثيقة حددت المبادئ التى تخدم الطالب والمجتمع والدولة من خلال النهوض بالعملية التعليمية والخلفية الثقافية والفكرية وإيجاد الحلول العملية والعلمية للمشكلات من خلال طرح النقاش بين ثلاثة أجيال: جيل الشباب وجيل الوسط وجيل الشيوخ، بتحويل جامعة القاهرة إلى جامعة من جامعات الجيل الثالث واستعادة فكر الآباء المؤسسين فى التنوير وفتح مسارات جديدة للتقدم والانتقال إلى آفاق جديدة فى حركة التاريخ العالمى وفقاً للمبادئ التالية:

1 - جامعة القاهرة مدنية عقلانية والحرية مكون أصيل من مكوناتها، مع تأكيد حق الاختلاف وتنوع الفكر الخلاق فى إطار الدولة الوطنية. ومن ثم عدم التعصب لتيار ضد تيار. فالجامعة بيت للمصريين جميعاً.

2 - تأكيد هوية مصر المستنيرة القائمة على قيم التعايش وتقبل الآخر خصوصاً وأن الجامعة شريك فى صياغة هذه الهوية.

3 - تحديد مفهوم التنوير بوصفه ممارسة عقلانية تقترن بالجرأة على استخدام التفكير العقلانى النقدى بالمعنى الحداثى. فالتنوير هو التفكير العقلى بشجاعة.

4 -تكوين خطاب ثقافى ودينى جديد يعتمد على التأويلات العقلانية المتعددة والقراءة العلمية للنصوص الدينية بوصفها البديل عن التفسير الواحد المغلق ووهم امتلاك الحقيقة المطلقة.

5 - تأسيس تيار عقلانى عربى مقاوم للإرهاب والتطرف والرجعية والأصوليات الجامدة التى تدعو إلى إبطال إعمال العقل فى فهم الواقع أو فى فهم النصوص الدينية.

6 - الانفتاح على تجارب التنوير الأخرى والتيارات العالمية وتاريخ الأفكار والفنون وتنوع مصادر المعلومات والتمكين التكنولوجى لكافة عناصر الجامعة من منظور المصلحة القومية.

7 - بناء نسق فكرى مفتوح ومتحرر ومتطور فى مواجهة النسق الفكرى المغلق والمحافظ والجامد. يقوم على التفكير الإبداعى الخلاق والوعى النقدى بعيداً عن القوالب الجاهزة التى تعيق الإبداع والتطور. وضد العقل السلبى القائم على الحفظ والتلقين والتسليم بالحقيقة الواحدة التى لا تقبل التغيير.

8 - تكوين الشخصية القادرة على العمل الفكرى والسياسى والإدارى. وهذا هو مهمة العملية التعليمية والأنشطة الإبداعية لأن التعلم هو العامل الأكثر تأثيراً فى معادلة بناء الشخصية

الملك فؤاد مؤسس جامعة فؤاد الاول (1925)

د احمد لطفي السيد رئيس الجامعة (1925-1941)

د جابر جاد نصار رئيس الجامعة (2013-2017)

د محمد عثمان الخشت رئيس الجامعة (2017)

الإنسانية متوازنة الأركان روحاً وجسداً ووجداناً ونفساً تحت قيادة عقل واعٍ يقود ويوجه.

9 - بناء بيئة تعليمية تحفز روح الاكتشاف والإبداع والحرية الأكاديمية. وتعمل على القضاء على التعليم المولد للإرهاب ومناهج الحفظ والتلقين التى تصنع عقولاً جامدة وتطوير المحتوى التعليمى الذى يتواكب مع دفع الباحثين والطلاب إلى مستويات جديدة من التعلم والخروج بهم من حدود المقرر إلى سعة البحث العلمى الخلاق.

10 - اتباع طرق التعليم القائمة على المناهج العقلية والأساليب التجريبية والفكر التحليلى والحل العلمى والعملى للمشكلات والتأكيد على «فن الحوار المولد للحقيقة» مما ينشأ عنه تكوين عقول منهجية مفتوحة والنمو فى تكوين المواقف والآراء الجديدة وتخريج شخصية حرة واعية قادرة على أن تفكر وتوازن وتنقد وتختار وتبتكر.

11 - إعادة تطوير أساليب التقويم والامتحانات لتختبر المهارات وطرق التفكير ومخرجات التعليم على أساس «النتائج» بدلاً من التركيز فقط على عملية التعليم والحفظ التى تعد الأساس الخصب لتكوين عقول مغلقة لا تفكر ويستطيع أن يوظفها بسهولة صانعو الإرهاب الذين يلعبون لعبة «السمع والطاعة» من أجل حياة بعينها يفرضونها على الجميع.

12 - العمل على تغيير نمط الحياة نحو التحضر بمعناه الشامل وترسيخ أخلاق التقدم وتغيير منظومة القيم الحاكمة للسلوك وتغيير الشخصية السلبية إلى الشخصية الخلاقة فردياً واجتماعياً وعلمياً.

13 - عدم التمييز على أساس دينى أو عرقى أو اجتماعى أو سياسى أو غيرها من أسس التمييز التى تتعارض مع فكرة المواطنة. فالجميع محكوم بمبدأ المواطنة. والجميع سواء أمام القانون. والكل متساوون بوصفهم مواطنين. والديمقراطية هى أكبر ضامن للسلام الاجتماعى وهى الأسلوب الأمثل فى إدارة الخلاف بين الجميع فى إطار الدولة الوطنية ولا يمكن أن تحقق الديمقراطية أغراضها دون نبذ العنف والإرهاب والتطرف وتفكيك الأصوليات المغلقة.

14 - اكتشاف المواهب وفتح المسارات الإبداعية أمامها سواء العلمية أو الفنية أو الثقافية أو الرياضية أو غيرها وتوسيع رؤية ورقعة النشاط الطلابى حتى يصل الطلاب إلى قيم المعايشة والتنوير ولا يتحقق ذلك بندوات معدودة وإنما بخلق حالة من الزخم الثقافى والتنويرى للوعى الحقيقى لا الوعى الزائف والوعى بمفردات الدولة الوطنية ومبادئها المرتبطة بالحرية والديمقراطية وذلك على نحو يجعل مبادئ الدولة الوطنية مكوناً من مكونات المناهج والدورات التدريبية.

مساحات التنوير المأمول فى مصر...

ليس هناك ما يبرر حالة اليأس الذي يبدو أنه قد تمكن من المثقفين وقادة الفكر، فيما يتعلق بسؤال الإحياء، وإمكانية الإمساك بكلمة المرور المفقودة، لتوجيه بوصلة ذائقة المصريين نحو العقلنة والعصرنة، وتبني رؤىً أكثر مقاربة لطرائق ومنهجية التفكير العلمية. هذا اليأس ليس له ما يبرره على الأرض، برغم الإحباطات المتتالية لأغلب المشروعات الحداثية، التي حاولت انتشال منظومة الفكر السائدة في المجتمع، من أسر الموروث والمنقول، إلى رحابة العلم والتجريب والعقلانية.

أيمن السميري

كاتب وقاص، عضو اتحاد كُتاب مصر

ayman.alsimery@gmail.com

فالصورة ليست كما يبدو بهذه القتامة، إذ ثمة متغير غائب عن الرصد قد يفكك القداسة المبالغ فيها، لبعض المنقول والمتواتر من الموروث الدينى، واللاهوتى للمصريين، والذى يجافى جوهر الدين، ويبدو ملصقاً به بفعل اجتهادات الأئمة عبر العصور مع كل الاحترام لها، لكن ثمة حراك فكرى تتبدى ملامحه جلية فى الأفق، حراك تقوده وسائط معلوماتية، وانفتاح سيبرانى هو الأشد ضراوة على العقل الجمعى المصرى، منذ الصدمة الحضارية التى أحدثتها الحملة الفرنسية على مصر.

نعم ما زال هناك من يقاوم أى حديث عن إصلاح للخطاب الدينى، أو تنقية للتراث على الأقل من ألغام الحض على العنف، والفتاوى الشاذة، وكراهية الأغيار، وتقديس النقل على حساب العقل، ورفض التفاعل مع النصوص بوصفها ناقلاً لغوياً دلالياً، يحتمل الاشتباك والتأويل وإعادة القراءة، وكذا رفض مناقشة تاريخيتها وزمانيتها. نعم مازالت المقاومة قائمة، خاصة فى المساحات الرخوة من المجتمع فى الريف والصعيد، والأطراف غير الحضرية، لتشكل وعيًا مغرقًا فى ماضويته، بإعادة تدوير منتجات العصور الوسطى التراثية فى العقول. نعم يحدث كل هذا، لكن ارتدادات الصدمة المعلوماتية عبر شبكات التواصل، وثورة الميديا، أكبر من أن تواجهها البنى التقليدية، التى شكلت الوعى على مر العصور، والتى أسهمت عن قصد أو غير قصد فى تحويل المعتقد إلى طاقة رفض وعنف، ومن ثم نزوع إلى التطرف ورفض الآخر وتكفيره.

نحن إذن أمام مشهد معبر فى دلالته؛ وعى جمعى معبأ جرى تغييبه بمنهجية قروسطية على مر العصور، وبين قيادة سياسية واعية ترى أن الإصلاح الدينى، لا بد أن تتبناه، وتأخذ زمام المبادرة فيه مؤسسة الأزهر، وجيشها من المدارس والمعاهد الدينية والمساجد، رغم أن بعض الشيوخ فهموا الرسالة على نحو مغاير، بأن أى إصلاح هو بالضرورة سيأتى خصمًا من سلطتهم على العقل المسلم. فى نفس المشهد يبدو التيار الساعى إلى التنوير بلا غطاء، أعزل يحارب معركته بالكلمة، محتملاً مواجهة جموع غارقة فى شكلانية تدينها ومظهرية وطقسية تحيزاتها البعيدة عن قيم حرية التفكير والاعتقاد والتعبير، وهى القيم التى تضمنها أحدث دستور للدولة المصرية فى مادته الرابعة والستين، التى نصت بدون مواربة على أن: «حرية الاعتقاد مطلقة» وكذا فى المادة الخامسة والستين، التى نصت بوضوح على أن: «حرية الفكر، والرأى مكفولة، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه بالقول، أو الكتابة، أو التصوير، أو غير ذلك من وسائل التعبير والنشر».

إن فهم التنوير، على أنه حالة من حالات الاشتباك مع الدين والمعتقد، أو معادلة صفرية، لابد أن يتغلب فيها أحدهما على الآخر بالضربة القاضية؛ هو فهم قاصر، وينطوى على غرض، وتسطيح لعلاقة معقدة، يتعين تفكيك كل أسباب الصدام فيها بالإصلاح الذى يعتمد العقل منهجًا، ويطلق طاقات التفكير والاجتهاد من عقالها، كى تشكل رحابًا لانطلاق العقل المصرى نحو العصرنة والعلم. فلن يستطيع أحد مهما توفرت له كل أدوات الفرض والهيمنة، أن يلغى الدين من حياة الناس، أو يقلل من تأثيره القيمى على حركية وجودهم، وقد علمنا التاريخ أن الإصلاح الكنسى على يد مارتن لوثر، لم يلغ المسيحية من الوجود، ولكنه قاد مسارها إلى العقلنة، وعدم تكبيل حركة العلم ودافعية الوجود تحت أقدام القساوسة والكهنة والنصوص المتوارثة. الإسلام يبدو فى نظرى أكثر حظًا، إذا ما صدقت المبادرات الرامية إلى الإحياء، لأن الأساس العقلانى لهذا البعث، موجود فى إسهامات العقلانيين الأوائل كابن رشد، ولهذا نشدد بكل ثقة على أن الإسلام فى طبعته الإنسانية والعقلانية ليس فى خصومة مع العصر، وليس فى خصومة مع الأديان الأخرى، بل ولا مع كل الفلسفات التى أعلت من قيمة الإنسان ومن قيمة الاختيار والعقل.

وليس من قبيل الرفاهية، أن تبقى الأوضاع متكلسة، ولا أن يبقى أفق التفكير مسدودًا، لا لشئ إلا لتجمد العقلية المنوط بها إحداث الحراك والحوار المرجو، من أجل الأجيال القادمة، ومن أجل أن يرانا العالم، كحلقة حضارية مضافة لصيرورة وديناميكية الحياة. فلن يستقيم الإصلاح مع حجر ومصادرة كل فكر أو طرح يسعى إلى مناقشة التراث. فلا يستقيم التنوير إلا مع إعمال العقل وفتح النوافذ المغلقة. لقد أحدثت وسائل التواصل، والميديا البديلة حراكًا إيجابيًا، يتعين البناء عليه والاستفادة من المنجز الحضارى والمعلوماتى، والفكرى للآخرين، للخروج من نفق الانغلاق، وانسداد الأفق، وللعقل سلام.

آفة الآفات اننا لا نعمل

تواجه مصر حروبًا ضارية، تأتيها من الخارج ومن الداخل، وتواجه ضربات الإرهاب الذي يسعى لتدمير البلاد، فضلاً عن متاعب اقتصادية متجذرة، تراكمت على مر السنين بسبب سياسات فاشلة، وبسبب اللجوء إلى المسكنات لا العلاج، فأخذت الأزمة تشتد حتى هددت الدولة بالإفلاس، في الوقت الذي تؤدي فيه هذه الحروب إلى فقدان معظم الدخل القومي من السياحة، بحيث لم يعد لمصر مورد رئيسي سوى ما تدره قناة السويس، والعمل والإنتاج. وظني أن ما تحقق حتى الآن، وهو كثير، أعجوبة إزاء ظاهرة أعيتنا هي أننا لا نعمل، ولا نريد أن نعمل.

المستشار رجائي عطية

rattia2@hotmail.com

وهذه آفة الآفات لأنه لا دخل بغير إنتاج، ولا إنتاج بغير عمل، فإذا تراجعت قيم وثقافة العمل، توقفت عجلة الإنتاج، وإذا تراجع الإنتاج، تراجع الدخل القومى، ومع ذلك نريد أن نكون أثرى الناس وأقواهم وأرضاهم، ونريد من الحكومة أن تعمل وأن تدر المطلوب للإنفاق مكتفين بموقف المتفرج، الذى حتى لا يمن بالتشجيع، وإنما يغرى البعض من المخادعين أو المخدوعين، بمهاجمة كل شيء، ونقد كل سياسة.

غياب ثقافة العمل والراحة أيضًا

ظنى أن ما نعانيه، مرده إلى غياب ثقافة العمل، وثقافة الراحة أيضًا، فالراحة فى مواضعها الصحيحة جزءٌ لا يتجزأ من العمل. وفارق بين هذه الراحة وبين هواية ترك مواقع العمل للتسكع فى الطرقات. فى عز أوقات العمل ترى شوارع العاصمة وغيرها مكتظة عن آخرها، وترى العاملين وقد تركوا أعمالهم فى المصالح والمصانع والورش والمرافق، وانطلقوا إلى الفتارين فى الطرقات، وإلى المتاجر ودور السينما، وإلى المقاهى والمنتديات! ما نراه يموج فى حياتنا خلط وتخليط ينبئان عن غشاوة عمياء، وعن فوضى ضريرة تراجعت بقيم العمل وهبطت بجديته ومستواه، وبعوائده وإنتاجه، بينما لم نعد نجيد إلاَّ الطلب والشكوى.. الكلٌّ يطلب من الكل، ولا أحد من المطالبين يعطى، والكلٌّ يشكو من الكل، ولا أحد من الشاكين يجيب أو يلبى حاجة من يشكو منه.

دور الإدارة والضبط والربط

ربما كانت الرغبة فى التحلل أو التخفف من الجهد والعمل والالتزام، ومن الجد والنصب والعناء ـ ربما كانت آفة كامنة فى كثير من الناس، ولكن النظام والإدارة، والضبط والربط ـ هم أساس ومعقد حمل المتكاسلين على قيم الجد والالتزام. ومن المحال أن يقتنع هؤلاء بهذه القيم أو يرضخوا لها، بينما يرخى رؤساء العمل القياد للعاملين لترك مواقع أعمالهم إلى التسكع فى الشوارع والطرقات، ومن المحال أن يقتنع هؤلاء بجدوى العمل ووجوب احترامه، بينما الإدارة لا تحترم قيمه، وتفرط فى منح الأجازات الطويلة التى تتعطل فيها كل المرافق فى البلاد، ولا نظير لها فى أى بلد من البلدان.

تبديد الوقت تبديد للثروة

تستطيع أن تعرف الفرد، وأن تعرف المجتمع، من مقدار احترامه أو إهماله أو تبديده للوقت، فالوقت يقف على رأس مجموعة القيم التى ترتد إليها كل أوجه النشاط والعمل والإنتاج.

لوحة الوقت لسلفادور دالى

آفة الآفات اننا لا نعمل

فكل ناتج هو حصاد عمل مبذول خلال وقت. وإهلاك الوقت هو تبديد للطاقات والقوى والثروة. الطاقات المعطلة تبديد حقيقى للثروة، لذلك تجد شركات الطيران تحسب تشغيل أسطول طائراتها بالساعة والدقيقة، ولا تترك طائرة واحدة فى حالة توقف عن الطيران، فساعات التوقف بدد وإهلاك، وحرمان من عائد التشغيل الذى هو قوام الطيران. ما يصدق على الطائرة، يصدق على كل آلة منتجة، ويصدق أكثر على الإنسان، فهو الأصل الذى تتجمع فيه كل القوى والطاقات والإبداعات، وإضاعة وقته هى إضاعة وتبديد لطاقته وقدراته وعطائه، وإهدار غير مرئى للياقته الروحية والنفسية والبدنية، وإعدام لإحساسه بقيمته وبقيمة ما يقدمه أو يمكن أن يقدمه، وإشاعة لكل سلبيات القعود والخبو والتعطل والبلادة، وهو ما ينعكس بالحتم والضرورة على مجمل الأداء العام فى أى مرفق من المرافق.

الوقت والهالك القومى

لست أعرف على التحقيق من صاحب المثل القائل: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك. ولكنى أدرك منه أن الوقت إمّا لك وإمّا عليك. إن قطعته بما تريد، فهو لك. وإن لم تقطعه بما يجب فهو عليك كحد السيف، لأن انصرام الوقت جار ماض شئنا أم أبينا، حاد فى انصرامه نافذ كالسيف. يستطيع الآدمى أن يوقف ما يشاء من الأشياء المتحركة. يستطيع أن يوقف القطار والسيارة والطائرة، بل ويستطيع أن يوقف الساعة حاسبة الوقت ذاتها، ولكنه لا يستطيع أن يوقف حركة ومضى وانصرام الوقت حتى وإن أوقف ساعات الدنيا بأسرها. والتفات الآدمى الناضج إلى الوقت، التفات يسبق تقدم العمر، لأنه حاصل فهم ووعى مدرك لأهمية الوقت فى تحقيق مراد الآدمى وإنجاز آماله ومقاصده وإدراك غاياته. إنتاج أو منجزات الآدمى، هى حصاد عمل، هذا العمل - مهما كان معدل البذل والاجتهاد فيه

- لا غناء له عـــن الوقت.. الوقت جزء أساسى فى المعادلة، لذلك كان العمل فرعًا على الوقت، ومعطوفًا فى الحساب عليه. فى لغة العمل أن الســـاعة هى ساعة عمل، والعمل هو حصاد محســـوب بساعته أو ســـاعاته. الوقت والعمل وجهان لواقع واحد.

مساحة الهالك من أوقاتنا مخيفة

وقت المجمـــوع هو حاصل جمـــع أوقات أفـــراده.. بل إن المجتمعـــات تـــكاد تكـــون فى تعاملها مـــع الوقت ترجمة عن حال أفرادها، نضجًا أو مراهقة، فهماً أو بلادة، جدًا أو عبثًا، عناية أو تفاهـــة، حرصًـــا أو تبديدًا. الوقت فى حيـــاة المجتمعات هو مقياس لدرجة وعيها ونضجها وتحضرها، مثلمـــا هو فى حياة الفرد. وآفة هـــلاك الوقت لدينا هى فى الأساس آفة فردية، نابعة فى الأصل من الناس. ومســـاحة الهالك المبدد من أوقاتنا مساحة مخيفـــة، لا يبـــدد الواحد فينا وقته الشخصى فقط، وإنما يبدد ويغتال ويتغوَّل على أوقات الغير ووقت الأمة بأسرها! أليس غريبًا أن يتراخى إحساسنا بالوقت إلى حد أن تصل الأجازات فى بعض الأعياد أو المناسبات إلى أسبوع كامل ونتفنـــن وتجارينا الإدارة فى نفحة يوم زيـــادة فى الأجازة الطويلة أصـــلاً عوضًا عن يوم الجمعـــة إذا صادف بدايتها، أو وسطها أحيانًا. ومن الغريب أننا قد تواضعنا جميعًا على هذا مع أن هذه الأعياد مردها إلى عادات

الوقت الضائع

فاطمية، ومـــع أن هالك الوقت الواسع الذى نبدده فيها لا يتفق بتاتًا مـــع تطلعاتنا وآمالنا التى لا ســـبيل لتحقيقها إلاّ بزيادة الإنتاج الـــذى هو حصاد الوقت الذى نبدده بـــلا عائد. إن هذه الإجـــازات الطويلـــة العجيبة ليـــس حسبها أنهـــا هالك من الإنتـــاج الوطنى، وإنما هى ترسخ فى وعينا تفاهة الوقت.

ليس أسوأ من استرخاص الوقت

حـــين نســـترخص الوقت، يرخـــص كل شيء مهـــم أو ذى قيمة فى حياتنا. فالوقت على رأس قائمة القيم. حين يرخص الوقت، يضمر العمل، وحين يضمر العمل ينعدم الإنتاج. إن اســـترخاص الوقت الذى يرتد إليه كل شيء، قد طبع فى وعينا آفة استرخاص كل ما عداه، وزيادة الهالك الفاقد فى كثير من عناصر ومصادر ثروتنا. إن أخطر الأخطار، أن يزيد الفاقد الهالك على الوقت المستخدم. هذا تبديد يـــأكل الأخضر واليابس، لا نجاة منه ما لم ندرك أن عناصر ومصادر ثرواتنـــا القومية هى لكل واحد منا. وأن الحفاظ عليها هو حفاظ عـــلى أموالنا الخاصة وأكثـــر. ما لم نعـــد قيمة الوقت إلى وعينا. ما لـــم نتحاش كل ما يســـهم فى الوعى وفى اللاوعى فى عدم التفاتنا إلى أهمية الوقت وأنه صانع كل شيء. إن مقدار الهالك القومى يأكل الأخضر واليابس، لا خلاص منه ما لم يســـتيقظ وعى الناس ليتعانق مع جهود واجبه، الآن قبل الغد، لوقف هذا النزيف الذى يستهلك حصاد ما نسعى به لصنع الحياة فى ربوعنا.

شـــاديـــــة النغـمـات..
صـــوت مـصـر

فنانـــة مصريـــة أصيلة، حباها الله عز وجل بكل ما هو جميل وبديع، فســـطرت هذا الفن المشرف فى تاريخ السينما والغنـــاء والمـــسرح المصري، رحلت عنا فى 28 نوفمبر 2017.

شـــادية النغمـــات، كانت تدلع الأغنيـــة بصوتهـــا الضاحك الذى يملؤه التفاؤل، بإحســـاس صادق، نبراتهـــا تضفى البهجـــة حتى لو كانت الأغانى درامية، واســـتطاعت أن تعطى للكلمـــات مذاقاً مختلفاً عن باقى مطربات عصرها، فتميزت ببصمة خاصة، وظهر نجمها وسط عمالقة الغناء، فأثـــرت فى وجدان الكبار قبل الشباب ودخلت البيوت والقلوب لتكون معبودة الجماهير، واستحقت لقب صوت مصر، بعد أن قدمت عدداً من الأغانى الوطنية التى لحن معظمهـــا الراحل بليغ حمدى منها يا حبيبتى يا مصر.

شادية عطر لا ينضب وبستان الزهور المتنـــوع بين الرقة والحنان والدراما والعشق للوطن.

فاطمة فى شهادة الميلاد، وفتوش اسم الدلع، الذى اختاره لها والدها، وشوشو الاســـم المحبب لأصدقائها والمقربين لها، أما شـــادية فهو اسم الشهرة والاســـم الفنى الذى عرفها الجمهور من خلاله واختلفت الآراء فيمن لقبها به، فهناك من يقول إن الفنان الكبير يوسف وهبى بك أول من أطلقه عليها، عندما كان يصور فيلمه شادية الوادى ورأى آخر يؤكد أن الفنـــان الكبير عبدالوارث عسر، الذى كان يعطيها دروساً فى الإلقاء،

عادل عبدالصمـــد

adelabdelsamed@yahoo.com

ففاجأها قائلاً :أنت شادية الكلمات، والرأى الثالث أن المخرج حلمى رفلة الذى تبناها هو الـــذى أطلق عليها هذا الاســـم الفنى أثناء تصوير أول أفلامها العقـــل فى أجازة، من إنتاج الموســـيقار الموهوب محمد فوزى وتمثيله أيضاً.

فى 8 فبراير 1939 ولدت فاطمة كمال الدين أحمد شاكر، بالحلمية الجديـــدة بالقاهرة لأم مصرية من أصل تركى وأب مصرى الأصل كان مشرفاً على أراضى المزارع الملكية فى قرية أنشاص الرمل بالشرقية.

وتقول شـــادية عـــن أسرتها ومسيرتها الفنية: «أنا مصرية الأب .. تركية الأم .. قاهرية المولد.. ولدت فى الحلمية الجديدة أيام كانت تحتل مقام جاردن سيتى أو الزمالك عام 1931 وانتقلت أسرتنـــا بعد ذلك إلى أنشاص، حين شغل أبى وظيفة مهندس فى تفاتيش أنشـــاص. وقد تلقيت دروس الروضة فى أنشـــاص

لم يستمر زواجها من المهندس عزيز فتحى بسبب غيرته

وكانت الأسرة تنتقل إلى القاهرة بين الحين والحين ولكن لم تستقر فيها نهائياً إلا عندما التحقت مع شقيقاتى بالمدرسة الابتدائية.

أبى مهندس له روح الفنان الصادق، منظم ودقيق فى كل ما يقوم به من أعمال، كان يحضر لى اللعب، فأهتم كثيراً بأن أرتبها وأنسقها، ويجئ هو فيهدينى لعبة أخرى، كلما وجد النظام والذوق متجلياً فى دولابى الصغير، وأحببت النظام والترتيب منه، النظام درس ينفع كل امرأة فى حياتها، النظام وحده أناقة وأنا أنيقة بفضل أبى الذى كان يهوى الموسيقى وصوته حلو يغنى لعبد الوهاب ويعزف على البيانو والعود، وتعلمت من أمى درس الحب، ليس الحب الذى تنصرف إليه أذهانكم، وإنما هو حب كل الناس، حب الخير، حب الجمال، حب المخلوقات، الحب فى المعاملة وفى المعاشرة وفى شئون الحياة، فبالحب يستطيع كل إنسان أن يتغلب على متاعبه، وبالحب يستطيع أن يغفر للناس وينسى أحقاده، وكنت أكره القطط فتدخلت أمى لتنشئ علاقة حسنة بينى وبين القطط، وكنا إذا انصرفنا إلى ألعابنا أنا والبنات من عمرى أعتدى على كل واحدة تحاول أن تتزعمنى وكنت أكره بعض الضيوف الذين يجيئون عندنا لمجرد أنهم لا يداعبوننى.

وقد اقتلعت أمى كل بذور الكراهية من نفسى وعلمتنى درس الحب الخالد فى حياتى، حب كل الناس وحب كل شئ».

عشقت شادية الغناء والتمثيل منذ الصغر، وكانت بارعة فى تقليد الفنانة الكبيرة ليلى مراد وحفظت أغانيها وتقول عن بداية موهبتها فى الغناء والتمثيل :لست أذكر على وجه التحديد السن التى بدأت أحب فيها الغناء، وأحب بالذات أغانى ليلى مراد. ولكن الذى أذكره عن بدء الهواية، أننى كنت الأولى فى دروس الأناشيد، وكانت أبلة سنية مدرسة الأناشيد تحبنى وتتباهى بى وتمتدح صوتى دائماً أمام صديقاتها المدرسات فى الفسح وتطلب منى أن أغنى أغنية يا قلبى مالك كده التى كانت تغنيها السيدة ليلى مراد فى ذلك الوقت. ويبدو أن قلب أبلتى كان مشغولاً لأنها كانت تطرب أشد الطرب وتصر أن أغنى لها كل يوم وبالتالى حفظت كل أغانى ليلى مراد لأنال إعجاب مدرستى وبالتالى لم يعد يتبقى وقت للدروس، فكانت أبلتى هذه توصى كل المدرسات خيراً ولا تتركنى فى الفسح لحظة واحدة وتهدينى دائماً قطع الشيكولاته التى أحتفظ بها لاقتسامها مع زميلاتى.

والمعروف دائماً أن زعيمة الطالبات هى أخيبهم فى الدروس وقد كنت زعيمة وكانت شقاوتى مضرب الأمثال فى المدرسة وفى شارعنا وويل للتى تجرؤ على تحدى فاطمة وهو اسمى الأصلى. وفى السنة الثالثة الابتدائية، بدأت أحب التمثيل، وقد كونت مع أشقائى وشقيقاتى فرقة تمثيلية كان مسرحها السرير الذى أنام عليه وكنا نحفظ بعض الحوار من الأفلام التى نشاهدها مع أبى ونروح نرددها على السرير. وكنت أحب الزعيق ولهذا كنت أختار دورى بحيث يقفل الستار علىّ وأنا أصرخ بأعلى صوتى بكلمات لا معنى لها، فتقبل أمى على الصراخ وتقوم هى بإسدال الستار وضربى العلقة اللازمة.

اكتشاف

وبدأت مسيرة شادية الفنية عندما اكتشف والدها موهبتها فى الغناء فتقول فى أحد خواطرها التى كانت تسجلها فى حواراتها الصحفية أو الإذاعية: وحدث ذات يوم شم النسيم من عام 1944 أن خرجت مع الأسرة إلى الحدائق، نلهو كما يلهو الناس فى يوم الربيع، وكان معنا المطرب التركى الأستاذ منير نور الدين وقد قالت له إحدى شقيقاتى أنى أجيد الغناء، فطلب منى أن أغنى ولكنى رفضت، لأن أبى كان موجوداً، وكنت أخشى أن يشيلها لى، وقد دهش أبى حين سمع بأننى أجيد الغناء ولم يصدق، بل وجدته يبتسم، ويقول لى طيب غنِ يا فاطمة. وبدأت أغنى، واستمعوا إلى واستمع الذين حولنا أيضاً، ولم يكن يهمنى رأى أحد فيهم قدر رأى منير نور الدين. وقد سررت أيما سرور حينما صفق لى، ثم رأيته ينتحى بأبى ناحية ويقول له إن صوتى عذب، لا ينقصه إلا الصقل

وطلب منـــه أن يتيح لى فرصة تعلم الموسيقى.

وكان مدرس الموســـيقى الذى جاء يلقننى أصولها هو الأســـتاذ محمد ناصر وقد كانـــت له علاقة وثيقة بالأستاذ أحمد بدرخان، وذات مرة قال لبدرخان أن عنده اكتشافاً جديداً يود لو يتولى بدرخان تقديمه للسينما، ورآنى بدرخان وسمعنى وأعجب بى، وفى ذلـــك الوقت كان الأستاذ أحمد بدرخان قد تعاقد مع إحدى شركات السينما على أن يخرج لها فيلماً واختارنى أحمد بدرخان لدور فى هذا الفيلـــم، وتعاقدت مع الشركة على أن أتقاضى 24 جنيهاً فى الشهر الواحد، ومكثت ثمانية شهور أتقاضى مرتبى والشركة تسوف فى موعد إخراج الفيلم وفى نهاية الشهر الثامن قالوا لنا إن الشركة لن تنتج الفيلم.

وفى تلك الأثناء، قمت بالغناء على طريقة الدوبـــلاج فى فيلم المتشردة وكـــدت أطير فرحاً حين ســـمعت صوتى مع الفيلم ولم يكن باقياً إلا أن أظهر أنا على الشاشـــة وحانت الفرصة فعلاً فى فيلم أزهار وأشواك الذى قامت ببطولته حكمت فهمى ولم يقتنع المخرج بأننى أجيد الغناء فأحضر إحدى المطربات تغنى بدلاً منى على طريقـــة الدوبلاج، وهكذا لم يتحقق حلمى المشـــترك، فى أن أمثل وأن أغنى فى آن واحد، ولكنى كنت دائمة الابتسامة ولم أكن أطلب المســـتحيل ولا أقفز الدرجات دفعة واحدة، وكان لا بد أن أتذرع بالصبر وبالأناة ولا أتعجل المجد..

العقل فى أجازة

وقدمنى بعض أصدقاء أبى إلى الأســـتاذ حلمى رفلة وكان فى ذلك الوقت، يستعد لإخراج فيلم «العقل فى أجازة» وقد أســـند إلىّ دوراً كبيراً

فى قطار الرحمة إلى الصعيد كان ميلاد الحب بين شادية وعماد حمدى

سررت له وتفانيت فى أدائه، وكانت فى الفيلم أغنية مع الأســـتاذ محمد فوزى فحاز الإعجاب وعرض الفيلم، فاتجهت الأنظار إلىّ.

وكان «العقل فى أجازة» فاتحة المســـتقبل، ورحت أمثل الفيلم بعد الآخـــر وكنت أتقدم مـــع كل فيلم ويقفـــز اســـمى إلى المقدمة وكنت وما زلت أحب عمـــلى وأتفانى فيه وأحرص على كســـب رضا الجميع وتقدير الجميع ومن هنا استطعت أن أتقدم ولن أقول اســـتطعت أن أصل إلى القمـــة لأن الذى يقول إنه وصل إلى القمة فهو مغرور، يكتب بيده وثيقة فشله، وما زلت أنا أقوم بكل دور كما لو كان أول دور وكما لو كان آخر دور أعيش فيه بعواطفى وأعصابى وإحساسى وهذه دروس موجزة أسوقها للباحثات عن النجاح فى ميدان السينما.

وبدأت المســـيرة الفنية لشادية تأخذ أطـــواراً مختلفـــة وتتنوع بـــين الأفلام الخفيفـــة والكوميدى والتراجيدى وتزداد نجاحاً يوماً بعد يوم وتتقدم مـــع كل فيلم، ويقفز اســـمها إلى المقدمة، وقدمت خلال أربعين عاماً ما يقارب من 110 أفلام و10 مسلسلات إذاعية وما يقارب من 1500 أغنية ومسرحية وحيدة هى ريا وسكينة مع الفنانة القديرة سهير البابلى وفنان الكوميديا البديع عبدالمنعم مدبولى والفنان أحمد بدير وحققت نجاحاً منقطع النظير.

مثلت شـــادية فى فيلـــم يابانى بعنوان «على ضفـــاف النيل» عام 1961 إنتـــاج مشـــترك بين مصر واليابـــان واشـــترك فى التمثيل مع شادية كل من الفنان محمود المليجى وكمال الشناوى وحسن يوسف ومن إخراج المخرج اليابانى كونا كاهيرا والمخرج المـــصرى حلمى رفلة، وقد تم تصوير مشاهد الفيلم الخارجية على شاطئ النيل ومنطقة الأهرامات وتم تصوير المناظر الداخلية فى أكبر استديوهات اليابان.

صنعت شادية لنفسها حضوراً متميزاً، جعل محمد فوزى يستعين بهـــا فى عـــدة أفلام مثـــل الزوجة السابعة- الروح والجسد- صاحبة الملاليم- بنات حواء وحققت نجاحاً وإيرادات عالية للمنتج أنور وجدى فى أفـــلام ليلة العيـــد- ليلة الحنة ويستمر نجاحها فى أدوارها الخفيفة وثنائيتها مع كمال الشـــناوى في: حمامة الســـلام- عدالة الســـماء- الروح والجســـد- ســـاعة لقلبك- ظلمونى الناس- أقوى من الحب- ارحم دموعـــى. وكان قمة النجاح

تزوجها صلاح ذوالفقار بعد فيلم أغلى من حياتى

فى فيلم المـــرأة المجهولة لمحمود ذو الفقار ومراتـــى مدير عام- كرامة زوجتـــي- عفريت مراتى- أغلى من حياتى- أنا الحب.

وكانت النقلة المتفردة مع أفلام الروائى المبـــدع نجيب محفوظ فى اللص والكلاب- ميرامـــار- زقاق المدق- شئ من الخوف. وأشاد بها أديب نوبل نجيـــب محفوظ بأنها: فتاة أحلام لأى شـــاب وهى نموذج للنجمة الدلوعة وخفيفة الظل.

إن شـــادية ممثلة عالية القدرة وقد استطاعت أن تعطى سطورى فى رواياتى لحماً ودماً وشكلاً مميزاً لا أجد ما يفوقه فى نقل الصورة من البنيان الأدبى إلى الشكل السينمائى، وكانت حميدة فى زقاق المدق صورة لتلك القدرة الفائقة التى لا أتصور غيرها قادراً عـــلى الإتيان بها وهى كذلك أيضا فى غير أعمالى فقد رأيتها فى بداياتها فى دور المطحونة المضحية فى دور المـــرأة المجهولة وتصورت أن بمقدورها الحصول على جائزة الأوســـكار العالميـــة فى التمثيل لو تقدمت إليها.

وتقـــول كوكب الشرق ســـيدة الغناء العربى أم كلثوم إن شـــادية صاحبة صوت جميل ســـليم متسق النسب والأبعاد مشرق لطيف الأداء، يتميز بشحنة عالية من الأحاسيس وبصوتها فيض سخى من الحنان وشـــادية واحدة من أحب الأصوات إلى نفسى.

ويكتب الشاعر الكبير صالح جودت فى 23 ديسمبر1952 فى مجلة الكواكب:

تذكرنى هذه الطفلـــة الحلوة دائماً بعروســـة المولد بما فيها من رقة وعذوبة وحـــلاوة وبراءة وبما فيها من شئ يبعث على الحنو، فأنت إذ تتطلع إليها تراها تبدو كعروسة المولد تماماً كأنها قطعة من الحلوى الشهية، تســـللت ونجحت ولمعت فى سرعة فائقة واســـتطاعت أن تشق طريقها فى دنيا السينما وهو طريق ملئ بالشوك والصخور طالما تعثرت فيه خطى وأدميـــت أقدام دون أن يصيبها شئ، واستطاعت أن تكتسب احترام الجميع وحب وعطف قلوب المصريين والعرب وهذا سر من أجمل أسرار نجاحها فى حياتها الفنية.

زعيمة الأغانى الخفيفة

وشهرتها وأداؤها التمثيلى لا يقل عن عظمتها فى الغناء، وتربعت على عرش الأغنية الخفيفة، ويشيد بذلك الناقد والكاتب الكبير كمال النجمى:

إن طريقة شـــادية فى هذا اللون من الأغانى جديـــدة تماماً خلقتها بصوتها وسليقتها الفنية الفطرية، ولم يخلقها الملحنون، وأصبح اسم شادية علامة مسجلة على هذا اللون من الغنـــاء وانقاد لهـــا الملحنون، فصنعوا لها الألحان التى تستطيع أن تتصرف فيهـــا بصوتها وأدائها كما يحلو لها، فتبـــدو وكأنها هى التى لحنتهـــا وعندما احتجبت ليلى مراد وكانت زعيمة الأغانى الخفيفة أصبحت شادية وحدها فى هذا الميدان بصوتها الخـــاص ولونها الخاص وطريقتها المبتكرة، وكانوا يسمونها حينئـــذ «معبـــودة الجماهير» لأن الجماهير الواســـعة تعلقت بشادية المطربـــة تعلقاً فـــاق كل ما كانت تتصوره شـــادية وهى تبدأ حياتها كمطربة صغيرة.

إن صوت شـــادية من الأصوات القويـــة ذات المعدن النـــادر برغم حجمه الصغير، ولم تصل شادية إلى الشاشة إلا بفضل صوتها وأدائها أى بفضل مكانتها كمطربة لا كممثلة.

واستطاعت شادية أن تقترب من أحلام فتيات وشباب جيلها وكانت أول صوت يعبر عن الشباب وقريب منهـــم فى أغانيهـــا المختلفة عندما غنت الكلمات الخفيفة والتى تجسد الفرح والسرور مثل يا دبلة الخطوبة عقبالنا كلنا- آه يا أسمرانى اللون- يا حبيبى عود لى تانى- مكســـوفة منك- ويا سلام على حبى وحبك.

ونجحـــت فى تقديـــم الأغانى الوطنية والدينيـــة مثل يا حبيبتى يا مصر والتـــى تربعت على عرش الأغنيـــة الوطنية حتـــى الآن حيث جسدت كلماتها ولحنها وأداء شادية المعبر والمعبأ بالوطنية عن شـــعب مصر طوال ســـنوات طوال أى منذ أواخر عهد جمال عبدالناصر وحتى الآن ومروراً بالأحداث الجسام التى مرت بمصر لولا صدق شادية ونبل عواطفها وعشقها للوطن ما كانت تعيش بقوة حتى الآن، ومشاركتها فى أوبريـــت الوطـــن الأكبر-يا أم الصابرين- ادخلوها بسلام آمنين.

ومن الأغانـــى الدينية التى تهز الوجدان: خذ بأيدى- هل أدعو الله.

ومن أجمل الأغانى الخفيفة التى علقت فى ذهن الشباب والكبار أيضاً: سوق على مهلك ســـوق خلى الدنيا تروق- ما أقـــدرش أحب اتنين- إن راح منـــك يا عين- يـــا حمام طير قبله يا حمام- مين قلك تســـكن فى حارتنا- ويا سلام على حبى وحبك- قولوا لعين الشـــمس ما تحماشى- مكسوفة.

غنت للطفولة كأعظم أم حنون برغم أنهـــا لم توفـــق فى الإنجاب فأجمل ما قدمت للطفولة:

سيد الحبايب يا ضنايا أنت- يا نور عينية وأكتر- برجالاتك- بيقول يا ماما يا قلب ماما

شاديـــة النغمات.. صوت مصـر

أداء بقلـــب صاف وإحســـاس صادق ومشاعر مليئة بحنان الأم.

أدت ألواناً مختلفة من الألحان والأفكار ومازلنا نعيش على أغانيها التى تدخل على جمهورها ومحبيها البهجة والسرور بصوتها الساحر.

الحب الأول

خفق قلب شـــادية بالحب لأول مرة عـــام 1947 وكان عمرها 19 ســـنة وتقول عن حبها الأول أحمد الذى تعلقت بـــه ورفضت كل من تقدم لها من أجلـــه أملاً فى الزواج منه:

وقفت لأغنى فوقعت عيناى على شاب أسمر وسيم وأحسست بنظرته وقد اخترقت قلبى، وبعد انتهاء حفل الزفاف، فوجئـــت به يتقدم نحوى ويهنئنى ويعبر عن إعجابه بصوتى بكلمات رقيقة وقليلـــة ولم يتكلم كثيرا وقتها ثم افترقنا بسرعة.

لـــم أنم تلك الليلـــة ولم تفارق صورته عقلى أبـــداً ولم أكن أعرف وقتها من هـــو؟ وأين يعمل؟ وهل يبادلنـــى الإعجـــاب أم أنه معجب بصوتى فقط؟ وبقيت أياماً حائرة، حتى جاءنى خطـــاب منه، عرفت بواسطته أنه طالب فى السنة الأخيرة بالكلية الحربيـــة وأن هذا الخطاب قادم من الصعيد حيث يعيش هناك مع أسرته، وكان خطاباً رائعاً ومليئاً بالمشـــاعر الرقيقة وشعرت وقتها بالســـعادة والراحة لأنـــه يبادلنى المشاعر نفسها.

وبعد أيام أرسل الشاب الأسمر الضابط أحمـــد خطابـــاً إلى والد شادية يطلبها للزواج وتمت الموافقة وانتظرت شـــادية أحمد ليعود من جبهة القتال ولكن انقطعت أخباره ولم يرســـل أى خطابات ســـوى خطاب واحد جاء صادمـــاً للفتاة الرقيقة التى انتظرت عودة حبيبها ولكن الخطاب كان يتضمن نبأ وفاة الشاب أحمد فى حرب 1948.

وتقول شـــادية: تعرضت لهزة عاطفية عنيفة بفقدان الشـــخص الذى أحببتـــه والـــذى كان حبى الأول وبـــدأت أتفرغ للفـــن تماماً علّه يواســـينى ويخفف من أحزانى وبدأت أنتشر فى عدة أعمال سينمائية وخاصة بعد ما كونت ثنائياً ناجحاً مع كمال الشناوى فقدمنا خلال 5 سنوات 12 فيلماً.

قطار الرحمة والحب الثانى

كانت شادية فى حالة من الحزن والألم وفى أشـــد الاحتياج للرحمة والعطـــف والحنان على نفســـيتها الصافيـــة وقلبها الرقيـــق وهو ما وجدته داخل قطـــار الرحمة وهو مشروع خيرى نادت به ثورة يوليو 1952 وكان هـــذا القطـــار ينتقل بفنانى مـــصر إلى محافظات مصر المختلفة لجمع تبرعات مالية وجمع القطـــار كلاً من: عمـــاد حمدى- يوسف وهبى- فريد شوقى- مريم فخر الديـــن- ماجدة- ثريا حلمى- محمـــد فوزى- ليلى فوزى- زهرة العلا- حسين صدقى وآخرين.

وفى رحلة الصعيـــد كان ميلاد قصة الحب بين شادية وعماد حمدى الذى يكبرها بعشرين سنة واستمر الحب يجمعهما حتـــى تم الزواج بعد تصوير مشاهد فيلم «أقوى من الحب» فى مدينة الإســـكندرية وتم إتمام الزواج فى استديو جلال بدون ضجة ولا حفـــلات صاخبة أى تم الزواج وسط الأهل والمقربين منهم عام 1953.

وتسجل خواطرها عن هذه الفترة قائلة:

كثيرون تقدمـــوا يطلبون يدى وكنت أرفض دائماً، فقد كنت أريد أن أكون فنانة فقط بل لا أخفى عنكم أيضاً أن فتى أحلامى لم يكن قد بلغ قلبى ثم عرفت زميلى الأستاذ عماد حمدى أثناء رحلة قطار الرحمة فى أوائل الثورة وولدت بيننا قصة حب

حب لم يكتمل مع فريد

تكريم شادية فى عيد الفن

توجناها بالزواج وكانت السعادة تطل دائماً على حياتنا الزوجية، فقد كان عماد حمدى زوجاً مثالياً ولكن شاءت الأقدار أن تنسحب السعادة من حياتنا ليطل علينا شبح الطلاق.

وتم الطلاق بعد ثلاث سنوات بسبب الغيرة الشديدة حيث صفعها على وجهها أمام أصدقائها فى إحدى الحفلات فقررت شادية الانفصال ووقع الطلاق عام 1956 .

حب لم يتوج بالزواج

ارتبطت الفنانة شادية عاطفياً بالفنان فريد الأطرش حيث ربطت بينهما الأعمال الفنية التى جمعتهما وذلك أثناء تصوير فيلم «ودعت حبك» بالإضافة إلى أنهما جيران فى عقار واحد، لكن قصة الحب لم تكتمل بسبب حياة فريد الأطرش الصاخبة والمزدحمة بالحفلات والسهر بما لا يتناسب مع طبيعتها الهادئة.

شادية وعزيز فى ستانلى

فى 1958 تزوجت شادية بالمهندس عزيز فتحى الذى كان يعمل مهندساً بالإذاعة ويصغرها بعدة سنوات وقد تعرفت عليه فى سهرات الفنان فريد الأطرش، حيث كان يحضر برفقة خالتيه زوزو وميمى شكيب، ثم يلتقيان على شاطئ ستانلى بالإسكندرية وتبدأ قصة حبهما، وبعد فترة لا تزيد على عشرة أيام قررا الزواج وباركت الأسرتان زواجهما، ولم يستمر الزواج بسبب الغيرة الشديدة والأنانية المفرطة من عزيز لتدخله فى شئون عملها الفنى وحصاره الذى أراد أن يفرضه عليها بطريقة مستفزة مما اضطرها لطلب الطلاق وتم بعد إصرارها على الفراق.

شادية وصلاح ذو الفقار

كونت شادية وصلاح ذو الفقار ثنائياً ناجحاً فى كثير من الأفلام الكوميدية والدرامية ونتج قصة حب رومانسية بينهما، انتهت بزواج سعيد بعد فيلم «أغلى من حياتى» عام 1965 ودامت العشرة الطيبة حتى دبت المشاكل بينهما حينما أرادت شادية الإنجاب رغم تحذير الأطباء لها بسبب ضعف جسدها حيث حملت من قبل من الزوج الأول عماد حمدى ومن الزوج الثانى عزيز فتحى ولم يكتمل الحمل فى المرتين، ورغم تحذير الأطباء حملت شادية من صلاح لكنها فقدت جنينها فى الشهر الرابع فعاشت فى حالة سيئة مما أثر على حياتها الزوجية وحدث الانفصال عام 1969 ثم عادت له مرة أخرى ولكن حدث الطلاق الثانى عام 1972.

وتقول شادية:

قررت بينى وبين نفسى، أن أعيش لفنى وحده، ولكن كما تقول الأمثال المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين ولا يستطيع إنسان أن يخطط لحياته غير ما خططه له قدره، وكان من نصيبى أن أتزوج من صلاح ذو الفقار، ولا يختلف اثنان فى أن صلاح ذو الفقار كزوج تتوفر فيه كل الصفات التى تجعله زوجاً ناجحاً، يكسب احترام زوجته ولكن شاء الحظ أن نتفق على الانفصال، رغم ما أحمله له من التقدير والاحترام.

ولا أنكر أننى كنت أتمنى أن أنجب أطفالاً، فإن مشاعر الأمومة كانت ومازالت عندى قوية جداً، ولكن شاء قدرى أن لا يكون لى أولاد، وخضعت لمشيئة الله وحولت حبى للأطفال إلى أبناء شقيقى وشقيقاتى وأنا راضية كل الرضا بما قسمه الله لى والأمنية الوحيدة التى أتمناها أن أظل أغنى لبلادى إلى آخر رمق فى حياتى.

وتسدل شادية الستار على فكرة الزواج نهائياً وتتفرغ لتربية أبناء إخوتها.

اعتزلت الفن عام 1986 وكانت فى سن الخمسين وعقب اعتزالها التمثيل والغناء تقول: لأننى فى عز مجدى أفكر فى الاعتزال، ولا أريد أن أنتظر حتى تهجرنى الأضواء بعد أن انحسرت عنى رويداً رويداً، لا أحب أن أقوم بدور الأمهات العجائز فى الأفلام فى المستقبل، بعد أن تعود الناس أن يرونى فى دور البطلة الشابة. لا أحب أن يرى الناس التجاعيد فى وجهى ويقارنوا بين صورة الشابة التى عرفوها والعجوز التى سوف يشاهدونها، أريد أن يظل الناس محتفظين بأجمل صورة لى عندهم، ولهذا فلن أنتظر حتى تعتزلنى الأضواء وإنما سوف أهجرها فى الوقت المناسب، قبل أن تهتز صورتى فى خيال الناس.

الزمن الجميل: طريق الحرير

خلال أول لقاء مع المطرب المرهف على الحجار أوضح لى مدى تأثير دراسته فى قسم التصوير بكلية الفنون الجميلة على تعميق إحساسه بالعلاقة بين الألوان وبين الأصوات، وفى هذا الإطار نفسه اشتق الدكتور ثروت عكاشة عنوان موسوعته الفنية العملاقة «العين تسمع والأذن تري» من مفهوم «تراسل الحواس» الذى أسسه الشاعر الفرنسى الرجيم «شارل بودلير» كمفتاح للحداثة الأدبية فهل تستطيع العين أن تشم العطور وتتذوق الطعوم بل وتغني؟ هل تذكرون البديهية الماسية للعندليب الأسمر «هى دى هى فرحة الدنيا دق يا قلبى غنى يا عنيا»؟

سفير د. محمد حسونة

mohammad.eternitynow@gmail.com

هل تستطيع الأذن أن تلمس الأصوات الحريرية؟ بالطبع، ولكن ذلك يستدعى رحلة إلى طريق الحرير، فهيا بنا إلى بوخارى وسمرقند وباكو وعشق آباد لنسمع صوتين من جمهوريتى أوزبكستان وأذربيجان الإسلامية يبرهنان على أن تحريم المعازف لا يقل غباءً عن تعريض الهويات للانتهاك، وأن تخلى معظم شبابنا عن هويته وتقمصه لقيم العولمة المستوردة ومحاكاته العمياء لسلوكها العنيف وفنونها العبثية يماثل انجذاب الذباب للفضلات، فهما هما «عالم كازيموف» و«مناجاة يولتشيفا» يؤصلان فن المقام الصوفى موسيقياً مثلما يسعى عازف الكمان المصرى عبده داغر، ولا أدعى فهم معانى الكلمات باللغة الأزرية ولكنى أذكر كيف اقشعر جلدى أول مرة سمعت فيها اسطوانة لكازيموف، فقد كان موالة الساحر يخترق كافة الحواجز الجغرافية واللغوية والإثنية بل والأقفاص الصدرية حتى ينفذ مباشرة إلى الفؤاد ليترجم السر وأخفى.. كأنه قادر على ترجمة ما يجيش فى صدور البكم، وتساءلت متى يتوصل الطب إلى منظومة «أنف وأذن وحنجرة وصدر وقلب» ليفسر هذه التداعيات بين مختلف الأحاسيس وتموجاتها الدفينة أبعد ما يكون عن السطح، عبر طيف شاسع بين أقصى الحزن وأوج البهجة، بما يماثل منظومة «ليه يا بنفسج».. ولا غرو فإن مغنيات الأوبرا العالمية اللاتى تؤدين مقطوعات الموسيقار فردى أو فاجنر على سبيل المثال لا تُجدن

سيد درويش

زكريا احمد

القصبجى

بالضرورة اللغة الإيطالية أو الألمانية، وإنما الذبذبات الصوتية فى حد ذاتها قد تفوق فى قدرتها التعبيرية دلالة الكلمات المنطوقة، ولقد أثبت المنهج البنيوى أولويـــة الدال على المدلول، ومن هذا المنظور نفسه فإن ترتيل القـــرآن أو الإنجيل يشرح الصدور ويطمئن القلوب حتى دون أن نفهم كل معانى الكلمات.

صحيح أن كازيمـــوف لم ينل الشـــهرة التى نالها منشد القوالى الباكســـتانى «نُصرت الفاتح على خان» بفضل الجالية الباكســـتانية الكبيرة المقيمة فى بريطانيا ولكنه لا يقل عنـــه موهبة ولقد حرصت على مشاهدة كازيموف عندما زار مدينة «إكـــس إن بروفانـــس» فى جنوب فرنسا، ولكن ظروف عملى لم تتح لى مشاهدة المطربة «مناجاة يولتشيفا» إلا على شريط فيديـــو حيث يتجلى صوتها العذب أرق من الأثير، أنقى من قطـــرة الندى، خفقـــة خفقة، بمصاحبـــة الربابة مـــا بين آهات وتنهيدات وأنـــات تذيب الجرانيت، فى حين يصور هذا الفيلم التسجيلى بدائع المعمـــار الفيروزى فى مجمع المساجد بمدينة سمرقند حيث ولدت

ام كلثوم

«مناجاة» ولقد سبق أن تعرفت على شاب فرنسى يدعى «فيليب فاليري» عام 1989 يبلغ من العمر 33 سنة، وكان ابناً للقنصل الفخرى للسنغال فى مرســـيليا وكان موظفاً ناجحاً فى شركة كوكاكولا، إلا أنه قرر فجأة أن يترك وظيفته ليذهب إلى الصين مشياً على الأقدام!!! بالطبع شـــككت فى جدية هذا المشروع فى بادئ الأمر ثم نسيت الموضوع، وإذا به بعد عامين بالتحديد يعود من رحلته بالطائرة بعد أن حقق بالفعل حلمه المستحيل وبمفرده، وعرض لنا فيليب صوراً لنفس هذه المناظر الرائعة التقطها خلال مغامرته التى أبلى فيها سبعة أحذية، ســـالكاً عبر تركيا وإيران وأفغانســـتان طريق الحرير حتى وصل إلى حدود الصين وذكر خلال محاضرته أنه استطاع خلال هذين العامين قراءة القرآن مترجماً.

وحين استقبلته مع والده لحظة عودته إلى مرسيليا، لم أخف غيرتى من قدرتـــه على المخاطرة، ولاحظت مدى النضج الذى طرأ على ملامحه وأن ما يمكن أن يتعلمه ويكتســـبه مشياً على الأقدام يفوق أضعاف ما قد يشرد بـــه الذى يغوص فى مقعد وثير بالطائـــرة، إلا لو أدرك إلى أى مدى يضيف هامش التخيير ويتسع متن التسيير أو التطيير، واتكل على الطيار الأعظم الـــذى يقود مصير الكون كله حيث يشاء، وفهمت لماذا كان بعض الحجاج يؤدون فريضة الحج مشياً على الأقدام فتتفتح على إيقاع خطواتهم المعانى وتنكشـــف أمام توقهم الفيوضات، وتســـقط تحـــت أقدامهم الأوهام يدوســـون عليها بلا رجعـــة، وتنبجس محلها ينابيـــع الحكمة، وتزدهـــر إثرها الأشواق بدلاً من الأشواك التى توجت جبين العصر.

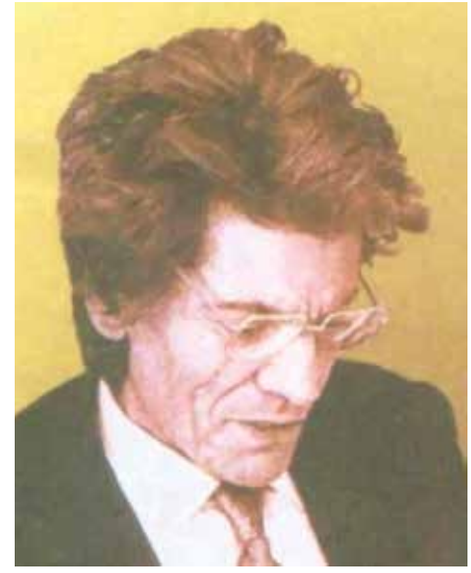

رياض السنباطى

فريد الاطرش

محمد عبد الوهاب

من الحلاق العبقرى الذى صفف شعر الصفصافة؟ وحاول رغم النسيم وبدون «جيل» تثبيت شعر النخيل؟ أى مهندس ديكور صمم تدلى القنوان الدانية من النخل ذات الأكمام؟ وأى مصعد رفع الرطب الجنى إلى أعاليها الباسقات؟ أى مخرج مسرحى فذ يقود منذ الشروق وحتى الغروب أوركسترا الظلال الساجدة؟

أى مهندس كونى صمم الشكل الأمثل للبيضة بهذا الجدار الرقيق كى يحمى داخله حياة الجنين؟ ومن غير الرازق الكريم يأمر الصبار أن يتحدى قيظ الصحراء ليثمر تيناً شوكياً مرطباً للظامئين؟ ومن غير اللطيف الودود ألهم الدود أن يبصق الحرير لينسج به سجناً محكماً فيلبث فيه إلى حين تبلور حلمه واختبار يقينه؟ ومن غير الحنان المنان يدعوه لنسف الأقفال واختراق الجدران والخروج من الظلمات إلى النور مزيناً بالفرحة مزركشاً بالبهجة منمنماً بالسرور كالأصوات المجنحة إذا انطلقت من الحناجر ترفرف باسم الحرية تزقزق باسم الربيع أن تخشع باسم الرحمن فلا تسمع إلا همساً.

أى مبدع ضبط ميزان الكون بهذه الدقة ليحكم حركة الأفلاك بهذا الجلال؟ وإذا تعامينا عن قبة سماء فكيف ننكر أنه لا توجد سحابة واحدة مبسوطة فى السماء الدنيا تشبه الأخرى فى شكلها وإيقاع حركتها بل لا تشبه نفسها حيث تعيد الرياح تشكيلها فى كل لحظة؟ سبحان ربى الأعظم.. وهو الغنى عن التعظيم.

كيف إذاً نكف عن مغازلة الزمان لحظة واحدة؟ يا وقت أنت قوت القلوب: ما أطزجك! ويا لحظة أنت ياقوتة الروح: ما أنفسك! وأنت أوركيدة السر: ما أينعك! ليس فى الوجد أرق منك بل أنت كنه الرقة، ولكنك يا لحظة مجرد ومضة، فكيف أصبحت قمرى؟ من أين لك كل هذا السطوع؟ هل تكونين شمسى؟ أم مركب شمسى؟ وأى ريح نفخت فى قلاعك روح الرقص كى تترنحى دون كلل على إيقاع نبضى؟ يا لحظة يا غرامى.. أيتها السهلة الممتنعة.. مالك تراوغيننى؟ فتعالى هروبة كنت أم لعوبة، مقبلة كنت أم مدبرة، أم كلاهما معاً، محكوم عليك بالتأييد أم مكتوب على كل ريشة فى أجنحتك الباذجة توقيع الجميل بريشة الجمال.. لن أكتفى بنكهتك فمتى تكشفين لى عن كنوزك الفكيهة؟ أم أن ذلك يستغرق الدهر كله؟ إلى أين تكرين أيتها المرتحلة ومم تفرين؟ كل علماء الدنيا فى جميع العصور يجهلون اتجاه سهمك ومن أى قوس انطلق، أو أين سيرشق؟ وإنما يسكرهم صريره، فيفشلون فى الإمساك بتلابيبك أو حل فزورتك المستمرة، أو توقع مفاجآتك، أو ضبط براءتك، أو ترويض سجيتك أو مجرد إيقاعك، ويوقنون أنه لا معنى لأى شيء على الإطلاق ما لم يسطع معناك: أنت معنى الزمان كله!

أم أن عدوك الوحيد هو الاستقرار ولا وجود لك لا فى لوثة الترحال وهوس البدء، تغنين للرقص وحده: «كنهك كنهى، وروحك روحي».. حتى تكون الأيام أعياداً متواصلة.. يا محبوبتى أنت أنا.. وكلك كلى.. فتعالى نقطف المستحيل الشهى عنقوداً عنقوداً.. لقد آن أوان نضجه.. كل متع الدنيا متقطعة والآن معجزة دائمة: أنت على قمة

نجاة

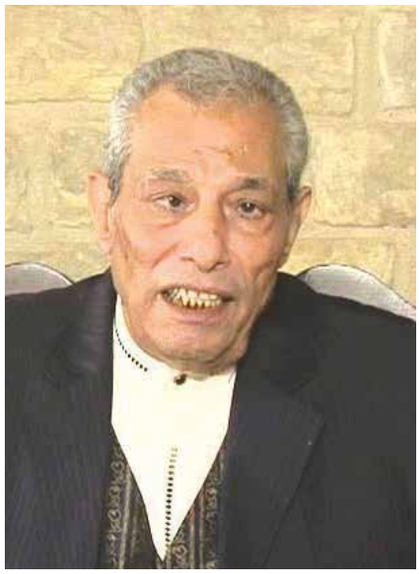

عبده داغر

عفاف راضى

هرم الحضور ثمرة محرمة: ظاهرك رجيم وباطنك رحيم، قشرتك أشواك ولبك أحلى من العسل يخلب الألباب، من أين لك هذه القـــدرة المتكافئة على التطاير وعلى الرزوخ؟ ألم يأن أن تخلعى ولو مرة واحدة قلنسوة الخفاء كى أقـــرأ ملامحك الغريبة، حرباءة كنت أم غزالة، بهلوانة كنت أم بدوية، ســـكناً كنت أم إعصاراً أنيســـة كنت أم قنبلة، فريسة كنت أم مفترســـة، كى أفترس تعبيراتك الملهمة، وأتأمل مشـــكاة بســـمتك المشرقة، وأحدق فى حقيقتك البديعة، حتى تذوب فى ذاتك كل ذاتى.

من قال يا وقت إنك كالســـيف؟ ضعف القاطع والمقطوع! إنما أنت كالأفق: إن لم تحضنه حضنك.. بل أنت كمثل البلســـم لولاك ما التأمت جروحنا، وما انقلب صقيعنا ربيعاً، ولا مســـتحيلنا حتماً.. ولا عذاباتها عذوبة، ولا فحمنا ماسا.. فليتأجج ولعنا بالحق جـــذوة جذوة.. دون أن نخشى فيه لومة لائم، كل شـــهيد يرصع تاج العشق درة درة.. كيف نلطم على مأساة الحلاج أو اعتقال البرغوثى؟ كيف تنفصـــم العروة الوثقى بين الفـــن والدين والثورة بعدما أفتـــى عبدالحليم، «قد مات شـــهيدا يا ولدى من مـــات فداء للمحبـــوب» فلنســـتقبله بالتهليل زغرودة زغرودة!

ليســـت «دار الفؤاد» الحقيقية مستشفى اســـتثمارياً بل هى بؤرة الإبداع وبوتقة لأكاســـير الإخلاص تنسكب فى الوريد دفقة دفقة.

كيـــف ييأس العليـــل أو يقنط الفؤاد المجـــروح بعد محو أى فرق بين الغناء والفناء والشفاء «ينسينى الوجود كله، ولا يخطر على بالي» لو كان للشمعة أى خيار آخر غير لذة الذوبان للنهاية لما كان النور حقيقة جلية.. لا يمكن أن ننسى كيف غنت لنا أم كلثوم «شوية.. شوية».

نعم غنت لى أنـــا ولك أنت ولكل فرد وحده دون الملايين.. وكأن مصر تغنى لمصر وللعالم.. وما زالت ألحان الشيخ سيد درويش والشيخ زكريا أحمد والشيخ إمام عيسى تركض فى شرايننا.. نبضة نبضة..

مازالت أوتار عود فريد الأطرش والقصبجى ومحمـــد عبدالوهاب والســـنباطى تتحـــدى العولمة رنة رنـــة.. وتتحدى الشـــباب المزعوم لجميع الأغانى الشبابية.

وإذا صلى أبناؤنا يوماً فى القدس فليذكروا بعد دم الشـــهداء ودموع الأبريـــاء وقبل صفقات الســـلاح وسراب المفاوضات أن صوت فيروز كان يروى حلمنا نـــبرة نبرة.. وأن ذلك الصوت كان أمضى من النصال أو الرصـــاص فى اختراق جلد وحيد القرن شارون.. مثلما كان فى الوقت نفسه بلسماً لمن أدمى طريق الحرير أقدامهم.

كما كان صوت شادية تغريداً لمن أصمت آذانهم كلاكسات القاهرة.

وصوت عفاف راضى إنعاشـــاً لمن لوثـــت رئاتهم موتوســـيكلات وميكروباصات القاهرة.

وصـــوت فايزة أحمد ســـكينة لمن دمر أعصابهم غياب أخلاقيات المرور فى القاهرة.

وصوت لطيفة انشراحاً لمن أرقت نومهم البطالة السافرة والمقنعة.

وصوت نجـــاة الصغيرة طوق نجاة لمن غرقت أسرارهم فى طوفان الأحزان.

وصوت آمال ماهر واحة ظليلة لمن أعمى بصيرتهم ظهر التغريب.

وصوت الكروان وحده نشوة لمن احترقت قلوبهم منذ حريق المسجد الأقصى.

فايزه احمد

على الحجار

شادية

من مذكرات أمير الصحافة "رسائل وأسرار"

كيف وجدت باريس بعد الحرب العالمية الثانية

نوفمبر 1946:

قال التابعي لصحفي باريسي إن أديبا مصريا كبيرا هو الدكتور طه حسين كتب مقالا قال فيه إن الحياة في فرنسا سهلة رخيصة، وأنه كان ينفق هو وأسرته جنيها واحدا فى اليوم، أي أقل من 500 فرنك، فأين هذا الرخص مما تعانيه وأعانيه؟ فابتسم الصحفي الباريسي وقال: لعل أهل باريس تآمروا فيما بينهم ليجعلوا الحياة سهلة رخيصة على أديبكم المصري الكبير!

شريفة محمد التابعى

sherifa.eltabeikhairat@gmail.com

والحقيقة أن أهل باريس أنفسهم هم أول من يعانى شدة وطأة هذا الغلاء الذى جعل الحياة فى باريس أغلى من الحياة بين مدن العالمين، أعتذر كنت شكوت من شدة الغلاء فى أنقرة واستنبول، ولكنى أعتذر اليوم من غير تحفظ لإخواننا الأتراك، لأن النسبة بين هاتين المدينتين وبين باريس، هى كنسبة غلاء المعيشة بين فندق سيدنا الحسين – مثلا – وفندق الكونتنتال!

فغلاء باريس من نوع عجيب.

الفرنك الفرنسى يساوى مليماً

فالأسعار عندنا فى مصر مثلا ترتفع كل شهر أو شهرين، ولكن الأسعار ترتفع من يوم إلى يوم، بل ترتفع بين الصباح والمساء.

قدح الفرموت الذى دفعت فيه أول أمس، وفى مطعم الفندق 55 فرنكا، دفعت أمس 65 فرنكا ولا أعرف كم فرنكاً سوف يطلبون منى اليوم.

والبيجاما التى طلب منى محل سولكا ثمناً لها ستة آلاف فرنك فى يوم الاثنين واستكثرت الثمن، أصبح محل سولكا نفسه يطلب فيها اليوم – الأربعاء – ستة آلاف وسبعمائة وخمسين فرنكا! وكانت وجبة الغذاء أو العشاء تكلفنى فى أحد المطاعم بالشانزليزيه نحو ألف فرنك، فأصبحت الوجبة نفسها – وبعد أسبوع– تكلفنى 1200 فرنك!

والسبب؟ عدم استقرار الحالة السياسية، وما يتبعها من عدم استقرار الفرنك على سعر ثابت معلوم. والسعر الرسمى للفرنك الفرنسى هو480 فرنكاً للجنيه الإسترلينى، ولكن هذا الجنيه الإسترلينى يطلب اليوم فى السوق السوداء بسعر950 فرنكاً.. أى ضعف السعر الرسمى.

والويل لنا نحن الذين احترمنا القانون وآثرنا أن نشترى عملتنا الفرنسية بالسعر الرسمى الحلال.. إذ أن الفرنك يكلفنا فى هذه الحالة مليمين.. فى حين أن قيمته الحقيقية لا تزيد على مليم واحد! أى إننا ندفع فى كل شئ ضعف ما يساويه!

ولقد جرت الانتخابات للجمعية الوطنية فى يوم الأحد الماضى، وفى مساء نفس اليوم، عرف الجمهور أن الشيوعى يفوز على طول الخط، وأن النصر مرتقب للشيوعيين..

وفى سهرة نفس اليوم ارتفعت أسعار الطعام والشراب فى حانات باريس ومطاعم الليل عشرة فى المائة، وفى اليوم الاثنين تأكد فوز الشيوعيين.. وارتفعت الأسعار عشرة ثانية فى المائة!

وهكذا يولى الشعب الفرنسى الشيوعيين ثقته السياسية فى الانتخابات.. لكنه لا يوليهم ثقته المالية، ولا يطمئن إلى مصير الفرنك على يد زعمائه الشيوعيين! وكان من جراء هذا الغلاء المطرد أن قامت طبقات العمال والموظفين تطالب بزيادة الأجور.. وكان آخرها عمال الكهرباء الذين يهددون بالإضراب العام إن لم تجب طلباتهم.. وطلبهم هذا أصبح منذ أمس محل بحث الوزارة الفرنسية، وقد أنذرتنا صحف باريس اليوم أن باريس قد تصبح ابتداء من يوم الاثنين بدون كهرباء ولا غاز!

مدينة النور أصبحت مدينة الظلام

ولكن هذا الظلام ليس غريبا على باريس، فقد كانت قلة الفحم وامتناع السلطات البريطانية عن إرسال كمية الفحم المتفق عليها إلى فرنسا، لأسباب يطول شرحها وليس هنا مقام عرضها، كان من جراء هذا أن اضطرت السلطات الفرنسية إلى اتخاذ تدابير شديدة وحاسمة لمواجهة الموقف خلال فصل الشتاء.. ومن بين هذه التدابير تخفيض عدد المصابيح المضاءة فى الشوارع والميادين، وإغلاق أماكن السهر – من مسارح وسينما وحانات وكباريهات – عند منتصف الليل أو بعده بقليل، بعد أن كان السهر مباحا وممكنا حتى الصباح، ولكن أشد هذه التدابير مضايقة للجمهور – ولى أنا بوجه خاص– هو قطع التيار الكهربائى، ومن غير تمهيد ولا سابق إنذار لمدة ساعة أو ساعتين.. وتتكرر عملية قطع التيار مرتين أوثلاث مرات فى اليوم.

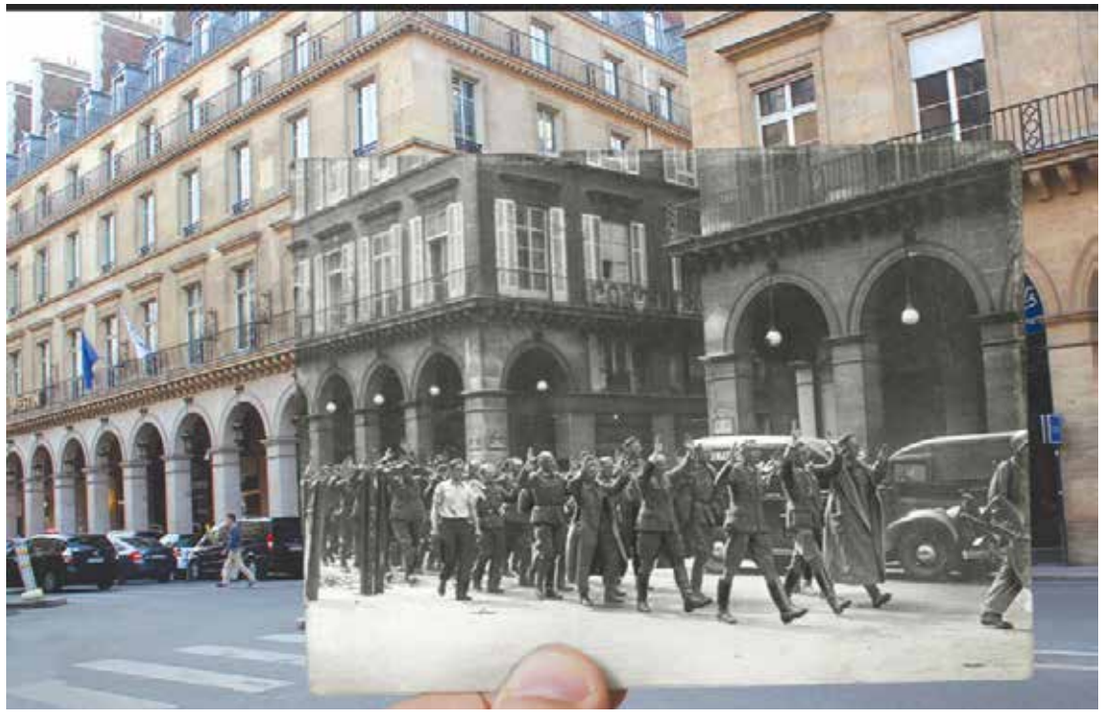

تحرير باريس في اغسطس 1944

وقد تكـــررت أمس أربع مرات، فى الصباح بين 8 و9، وبعد الظهر بين 4 و5 ثم بين 6:30 و7:30، ثم بين 10 و11، وقد أكون جالســـا إلى مكتبى فى الفندق أكتـــب خطابا أو مقالا، وفجأة يقطع التيار ويســـود الظلام، وأقوم أدعبس وأتخبط بين المقاعد أبحث عن صندوق الثقاب، أو عن باب الخروج.. أو أكون واقفا أمام المرآة أحلق ذقنى.. أو جالســـا أتناول الطعـــام.. وفجأة يسود الظلام.. ويهرع الخدم يضيئون الشموع.

كما يقطع التيار ويســـود الظلام فجـــأة.. وكذلك فجأة يـــسرى التيار وينبعث النور، وهنا قد تجد الآنســـة الجالسة إلى المائدة المجاورة قد نهضت مسرعة فى طريقها إلى (التواليت) وتجد زميلها قد أخرج منديله يمســـح به فى شدة خده وشفتيه! إنها باريس.

وتبحث الســـلطات فى هذه الأيام اقتراحـــا تقدمـــت به شركـــة الغاز والكهرباء يقضى بقطع الكهرباء تماما يومين متتاليين فى كل أســـبوع توفيرا للفحم، وتستثنى الأماكن ذات الفائدة العامـــة للجمهور مثل المستشـــفيات وبعـــض المصانع وتـــرام المترو. وفى هذه الحالة يقطع التيار من الســـابعة صباحا إلى الرابعة مساء، ما عدا ساعة واحدة عند الظهر، وســـاعة أخرى فى المســـاء من أجل طهى طعـــام الغداء وطعام العشاء. وإذا نفذ هذا الاقتراح فإنه ســـيحدث ثورة فى حياة فرنسا، وخصوصا حياة باريس..

متاعب الحياة بعد نهاية الحرب

هذه بعـــض متاعـــب الحياة فى باريس... وليس أقلها شـــأنا ازدحام وســـائل الانتقال، حتى المترو أصبح يذكرنى بتراموای (المدبح) فى الصباح وقد تكدســـت فيه أكوام الراكبين. أما التاكسيات التى كانت من أرخص ألوان الحياة فى باريس فقد أصبحت فى قلتها وندرتها مثل البن والسجاير والسكر.. لا يقدر عليها ســـوى أغنياء الأغنياء! وقد تلقى بعد عناء تاكسيا، وتستوقفه، وإذ تهم بفتح بابه والركوب يســـألك الســـائق: إلى أية جهة تذهب؟ وتقول له مثلا: الإتوال (فى شـــمال باريس) فيهز رأســـه ويقول: كلا.. أنا ذاهب إلى بورت دورليان (فى الجنوب). وإذا شـــئت أن تركب فإن عليـــك أن تغير خط الســـير وتذهب إلى الجنوب بدلا من الشـــمال نزولا على رغبة السائق المفضال. وعند نهاية الشوط، قد يدل العداد على أن الأجرة المســـتحقة هى مثلا ســـبعون فرنكا، ولكن يقال لك: إننى أشترى يا سيدى لتر البنزين من السوق الســـوداء بمائتى فرنك (على هذا الأساس يبلغ سعر الجالون 800 فرنك وثمن الصفيحة 3200 فرنك). ويمضى السائق فى احتجاجه واعتراضه على العداد وكل من يحترم العداد، ولا تجد مفرا من أن تدفع له ضعف الأجرة التى سجلها العداد!

ومونبارناس مـــاذا فعل الله بها؟ أيـــن أنوارهـــا، وأين مقاهيهـــا وحاناتها؟ وأين فتياتها وطالبات الســـوربون؟ وأيـــن الفنانون والرســـامون والموســـيقيون؟ وأين العاملات؟ وأين المرح؟ وأيـــن الفتنـــة؟ وأين الشـــباب؟.. وأين رواد الـــدوم والكوبـــول؟ كل هـــذا ولّى وراح.. (الكوبـــول) و(الدوم) خاليان أو يـــكادان، ويقف خدمهما – كما نقول فى مصر – يهشون الذباب! سألت أحدهم: ماذا جرى؟ وأين وأين.. ممـــا كان فتنة وبهجة فى الأيام الخالية؟ فقال: قلة الأجانب الزائرين، فقد كانت مونبارناس تعيش يا سيدى على زائرى باريس من الأجانب، ولكن قيود العملة، وصعوبة وسائل الانتقال، قد قعدت بالناس عن الســـفر، ولا بد أن تمضى أعوام قبل أن يعود الأجانب، خصوصا الإنجليـــز، إلى باريس. وأما فتيات مونبارناس فبعضهن هرب من باريس، هربن إلى إســـبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا... ولم يعدن منها حتى الآن، ولعل الحيـــاة طابت لهن هناك، وبعضهن – طائفة الطالبات– عدن إلى أوطانهن، ولم يعدن بعد إلى باريس.. والبعـــض منهن بقين، وتفرقن الآن فى أحياء باريس يطلبـــن الصيد الحلال بين جنود وضباط الأمريكان، وهؤلاء يعيشون فى وسط باريس أو فى شمالها بعيدا عن مونبارناس. وعلى كل حال لم يبق فى باريس سوى عدد قليل نسبياً من القوات الأمريكيـــة، والمنتظر بعد سفر هؤلاء أن تعود الظباء إلى قواعدها فى مونبارناس.. ولكن أســـعار الأمس لن تعود! فلن تقبل فتاة بعد اليوم أن تمنحك سهرتها من أجل وجبة طعام كانت تكلفك فى الأيـــام الخالية ثلاثين فرنكا أو أقل من ريال!

كلا! لا بـــد أن تقـــدم لها الآن – عربونـــا عـــلى ودك وإعجابك – علبة سجاير لاكى ستريك، وقطعتين أو على الأقل قطعة واحدة من الصابون! وهذه

وتلك تكلفانك ما لا يقل عن جنيه!

وبعدها تستطيع أن تفتح معها حديث الغزل وتسمع منها أنها سوف تحبك مدى الحياة.. ومدى الحياة فى قاموس مونبارناس معناه أسبوعاً!

وأما مونمارتر فإنها أسعد حظا من مونبارناس، فلا تزال مسارحها المعروفة مفتوحة تزدحم كل مساء بالمتفرجين برغم ارتفاع الأسعار، ومعظم المتفرجين فرنسيون لا أجانب، والنقود كثيرة – ولكن البضائع قليلة– وهذا من أسباب التضخم وأسباب الغلاء. ولكن كواكب ونجوم ما قبل الحرب قد اختفوا.. وحل مكانهم نجوم جدد.

وبين الذين اختفوا موريس شفالييه، فقد ظهر أولا على مسرح (أ ب ج) ولكنه لم يلق قبولا كبيراً عند الجمهور، ولعله لا يزال متهماً عند الكثيرين بأنه تعاون مع الألمان، مع أن حكما قضائيا صدر ببراءته من هذا الاتهام. ولما انتهى عقد اتفاقه مع المسرح المذكور، رفض المسرح أن يجدد العقد.. ولم يتلق موريس عرضا من أى مسرح آخر، وهو الآن ينشر مذكراته فى إحدى صحف باريس! ويبدو من مقالاته أنه بدأ يعتنق مذهب الشيوعيين! والعجوز الخالدة (مستنجت) تقضى الآن شهر العسل مع زوجها الشاب الإيطالى، وعمر العريس 30 وعمرها هى 79 سنة!

وقالت إحدى مجلات باريس – ومن الصعب ترجمة النكتة الفرنسية إلى العربية – قالت عن هذا الزواج ليس زواجا بالمعنى المفهوم، بل هو زواج بالتبني! لأن مستنجت كانت تزوجت من جد العريس فى عام 1899! ومع ذلك فإن مستنجت لا تزال صاحبة أجمل ساقين فى باريس!

وجوزفين بيكر كوفئت منذ أيام بوسام فرنسى على عملها فى حركة المقاومة السرية فى أثناء الاحتلال.

وكانت قد ذاعت قبل الانتخابات الأخيرة شائعة تقول أنها سوف ترشح نفسها نائبة عن إحدى دوائر المستعمرات الفرنسية. ولما لم يظهر اسمها فى قوائم المرشحين، قالت إحدى المجلات أنها سوف تتقدم لانتخابات مجلس الشيوخ! ويسمونه الآن مجلس الجمهورية! وعلى كل حال فإن جوزفين لا تعمل الآن على مسارح باريس.

هذه صورة عن باريس...

وإذا كان هناك خبر يضاف إلى ما سبق فهو أن طبيبا اسمه م. ج. فيولا قد اكتشف علاجا للصلع، وقد بدأ تجاربه فى صلعة رجل اسمه مسيو لافينى.. والعلاج يستغرق أسبوعين. وتؤكد صحف باريس أن فروة أو زغباً خفيفاً قد ظهر فى صلعة مسيو لافينى بعد أسبوع من بدء العلاج!

وبعد، فإن باريس متعبة حقاً، ولكنها لا تزال حبيبة إلى القلب.. حبيبة بالرغم من ظلامها وبالرغم من غلائها.. حبيبة لأن جمالها خالد، ومرحها خالص صادق، وفتنتها لم تنل منها سنوات الشقاء. بل هى أشبه بالمرآة التى يلمع جمالها ويبهر إذا امتلأت عيناها بالدموع!

سرت على قدمى نحو ثلاث ساعات، مكرها لا بطلا، فأنا أكره المشى، ولقد كان أمس الأحد، وكان الجو صحواً، وللمرة الثانية – فى أسبوعين– رأينا الشمس وأحسسنا دفأها، ولو كان الأمر بيدى أو كان الأمر كالزمان الأول، لناديت تاكسياً وقلت للسائق: غابة بولونيا، أو فيلبيه سير مارن... أو أية ضاحية من ضواحى باريس أتناول فيها غدائى بين الماء أو الخضرة وبس! ولكن أين هو التاكسى؟

خرجت إذن من الفندق الكريبيون سائراً على قدمى.. مخترقاً ميدان الكونكورد – وكان من قبل ميدان الثورة– وقد قامت فى وسطه المسلة المصرية، على مقربة من المكان الذى قامت فيه منذ قرن ونصف قرن المقصلة الجيليوتين التى سقط تحت حدها رأس لويس السادس عشر، ومن بعده رأس مارى أنطوانيت. واجتزت الميدان إلى كوبرى ألكسندر، أجمل جسور باريس المقامة على نهر السين.

رعاع الأمس حكام اليوم

وعلى هذا الجسر، وفى أوائل عام 1934، حاول الرعاع كما أسماهم رئيس وزراء فرنسا وقتئذ - إدوارد دلاديه – حاولوا أن يجتازوا الجسر ليهاجموا قصر بوربون ومقر مجلس النواب، وأمر دلاديه رجال البوليس بإطلاق النار على جموع الرعاع. وكانت هذه المظاهرة أول حركة عنيفة قام بها اليسار من كثرة اشتراكية وقلة شيوعية، وهم الذين أسماهم دلاديه يومها الرعاع! ورعاع الأمس هؤلاء هم اليوم أصحاب الكثرة وأصحاب المنصب والسلطة والحكم فى فرنسا.

الصديقة الرسمية

وفى مواجهة الكوبرى يقوم قصر بوربون مقر مجلس النواب، والجزء الذى لا يتجزأ من تاريخ فرنسا خلال القرن ونصف القرن الأخير، والقاعة التى دارت فيها أصوات زعماء الثورة، ومن بعدهم مشاهير الأمس القريب مثل لافال ابن الجزار ودلاديه ابن الخباز والمعلم سابقا فى مدرسة الليسيه، ويدوى فيه اليوم صوت الشيوعيين طوريز البناء وديكلوه الحلوانى، وكلاهما بين المرشحين لرئاسة الوزارة! وهذه هى الديمقراطية بحسناتها وسيئاتها!

وفى الميدان، وإلى يمين قصر بوربون، تقوم عمارة كانت تسكن فى إحدى شققها كونتيس هيلين دى بورت صديقة بول رينو رئيس الوزارة فى عام 1940 وقد قتلت فى حادثة سيارة فى العام نفسه. ولم تكن هيلين جميلة، ولا على شئ من الجمال، ولكنها كانت ذات شخصية قوية عصبية، وكانت طموحا، وكان أقصى مطامعها أن تدفع أمامها عشيقها بول إلى أعلى درجات سلم المجد، وأن تصعد هى وراءه، وقد استطاعت أن تفرض إرادتها على إرادته. كان الرجل، وما زال، فرنسيا وطنيا مخلصا، وكانت هى من أنصار سياسة الاتفاق مع هتلر وألمانيا.

كان رينو يبرم الأمر فى الصباح، لكى تنقضه هى فى المساء، أما الأمر الذى كانت تبرمه هى، فالويل لرئيس الوزارة – بول رينو– إذا راجعها فيه.

كانت تذهب معه إلى مقر عمله الرسمى فى كى دورسيه – وزارة الخارجية– أو إلى سراى ماتينيون، وكانت تجلس إلى مكتبه وترد نيابة عنه على التليفون! وكانت تستقبل رؤساء الجيش وأميرالات البحر، وتصدر أوامرها إليهم، والويل للعزيز بول أو ميكى ماوس فرنسا – كما كان خصومه يسمونه- إذا اعترض أو نقض أمراً من أوامرها. كان صياحها يعلو على كل صوت وكل ضوضاء حتى يسمعه المارة فى الطريق!

ونشبت الحرب وبول رينو وزيراً للعدل فى وزارة دلادييه، ولكن هيلين كانت تطمع فى رئاسة الوزارة لصديقها بول، ومن ثم راحت تدفعه وتوغر صدره وتوحى إليه بالمقالب والمشاكل والعقبات يقيمها فى طريق دلادييه. وكان لها ما أرادت، وسقط دلادييه، وتولى الحكم بول رينو. وانتصرت هيلين دى بورت على غريمتها المركيزة جان دى صديقة دلادييه! وهى لا تزال فى باريس وعلى قيد الحياة. وهكذا كانت الوزارات تقوم وتسقط فى فرنسا فى عهد ما قبل الحرب. وكانت المرأة كل شئ من وراء الستار، لأن كل زعيم من زعماء فرنسا كانت له صديقة رسمية يختارها من بين نبيلات وشريفات فرنسا أو من بين راقصات الأوبرا أو ممثلات الكوميدى فرانسيز... ولا داعى لذكر الأسماء!

ولما استفحل يومها أمر هؤلاء الصديقات وازداد تدخلهن فى سياسة فرنسا، كتبت مجلة لو كانار انشينيه تتساءل: ألويس الخامس عشر لا يزال على قيد الحياة؟ إشارة إلى عشيقته المشهورة مدام دى بومبادور التى كانت تعين السفراء وتقيل الوزراء! وللجريدة المذكورة عبارة مشهورة أطلقها فى بونيه وزير الخارجية الفرنسية عند قيام الحرب... قالت عنه يومها إن مسيو بونيه يخدم مصالح كل دولة فى أوروبا.. إلا دولة فرنسا. هذا هو عهد ما قبل الحرب.. فهل انقضى إلى غير رجعة؟ هذا ما يؤكده الفرنسيون اليوم.

الخالدون الأربعون

وها أنذا قد وصلت فى سيرى إلى تمثال الساخر الخالد فولتير وها هى إلى يمينى الدار التى سودها دخان باريس وضباب باريس ورطوبة السين، دار الأكاديمية الفرنسية مقر الأربعين الخالدين كما يسميهم الفرنسيون.. هذا وأن يكون هؤلاء الفرنسيون لا يعرفون أسماء هؤلاء الخالدين، تماما كما هو الحال فى مصر وإلا فكم بين المصريين من يعرف أسماء الخالدين أعضاء المجمع اللغوى. والخالدون مشغولون الآن بإعداد قاموس كامل للغة الفرنسية وهم لا يوافقون على إدراج أية كلمة فى القاموس إلا إذا كان قد مضى على شيوعها واستعمالها عشرون سنة على الأقل! ومن هنا سوف يجئ قاموسهم – كما جاءت قواميسهم السابقة– بعيدة عن روح العصر ولغة العصر الذى نعيش فيه. وكانوا قد أصدروا فى عام 1935 الطبعة الثامنة من قاموسهم وطبعوا منه خمسة عشر ألف نسخة لم تبع المكاتب منها – برغم رخص ثمنها– سوى بضع مئات، ذلك لأن قاموس الخالدين لا يحتوى إلا على خمسة وثلاثين ألف كلمة، بينما يحتوى قاموس لاروس على مائة وخمسة وعشرين ألف كلمة!

هتلر يزور نابليون

وتعبت قدماى من المشى فوقفت وظهرى إلى نهر السين، مستندا إلى جدار الرصيف.

ومن حيث وقفت بدت أمامى قباب الانفاليد الذهبية التى شيدها الملك «الشمس» لويس الرابع عشر والتى ترقد تحتها منذ قرون رفات الإمبراطور نابليون. ولقد زارها هتلر بعد سقوط باريس، أقبل هتلر على الانفاليد ومن خلفه جيش من الصحفيين والمصورين الألمان والمحايدين، وكل منهم ممسك بقلمه أو بآلة التصوير وقد حبس أنفاسه ليسمع ويسجل ما يقوله هتلر أمام قبر نابليون.. ولكن هتلر وقف طويلا.. طويلا.. طويلا، يحدق، ويحدق تحته فى النعش الصخر الأصم الذى يرقد فيه رفات نابليون، وطالت وقفته، وطال سكوته.

ترى فيم يفكر؟ فى أوجه الشبه بينه وبين نابليون؟ كان نابليون معروفاً فى جيشه بلقب الكابورال أى الأومباشى، وكان هتلر فى الحرب العالمية الأولى أومباشى. وكلاهما كان أجنبياً – بمعنى ما– عن البلد الذى تولى فيه السلطان، كان نابليون من جزيرة كورسيكا، وكان هتلر من بلدة (لنز) فى النمسا. دوخ نابليون أوروبا وزلزل عروشها وأخضعها بسيفه وسلطانه فى تسعة أسابيع! وها هو هتلر – فى يونيو سنة 1940– قد أخضع ست دول من دول أوروبا فى تسعة أسابيع! فهل فكر هتلر يومها فى نهاية نابليون.. وهل يرفعه القدر – كما رفع نابليون– لكى يهوى به بعد حين؟ ألهذا طالت يومها وقفته وطال سكوته؟ هل رفعت عن بصره حجب الغيب فرأى نهايته بعد خمس سنوات.. وأن هذه النهاية ستكون أقسى وأفجع من نهاية نابليون؟!

أيـام فى «الخضـــراء»

أتيحت لى مؤخراً فرصة لزيارة مدينة تونس العاصمة، أو «الخضراء» كما يفضل أن يلقبها أبناؤها، وعن حق، وذلك فى أول زيارة أقوم بها لها بعد حوالى عشر سنوات من آخر زيارة. وفيما بين التاريخين والزيارتين «جرت فى النهر مياه كثيرة» كما كان قديماً يقول فلاسفة الإغريق.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

ولمدينة تونس العاصمة عدد من الخصائص داخل الإطار العربى والأفريقى والإسلامى، بل والعالمى الإنسانى الأعم، فهى ضمن المدن التى تنتمى إلى حضارات العالم القديم، وتشهد على ذلك حضارة قرطاج التى تأسست منذ ما يزيد عن ثمانية قرون قبل الميلاد على يد الفينيقيين، والتى لم ينقطع بعدها الحضارى فى أية مرحلة تالية، فهى شهدت حالة رواج حضارى مع صعود نجم الحضارة العربية الإسلامية ويشهد على ذلك جامع الزيتونة والدور التنويرى الذى لعبه علماؤه وخريجوه على مدار تاريخه الطويل والثرى بالعطاء. وعبر مراحل التاريخ الحديث والمعاصر.

ويعتبر الشعب التونسى من الشعوب العربية التى تتصف بالرقى التعليمى والفكرى والثقافى والحضارى فى ضوء ميراثه التاريخى الثرى والمتنوع والطويل. ومن المتعة التحدث مع أهل تونس وتجاذب أطراف الحديث معهم حول موضوعات تتصل بتونس وبالعرب بالعالم بأسره، ويطول الحديث ويزداد إمتاعاً عندما يتطرق إلى موضوعات الثقافة والفكر والفن المتعلقين ليس فقط بتونس بل بالوطن العربى بأسره.

وكان أكثر ما بهرنى فى هذه الزيارة لتونس هو الشباب التونسى من الجنسين، فمن التقيت بهم وتحدثت معهم من الشباب كانوا جميعاً شديدى التفاؤل بخصوص مستقبلهم ومستقبل وطنهم ومجتمعهم، وهم أيضاً شديدو الطموح، سواء بالنسبة لمستقبلهم كأفراد أو فيما يتعلق بمستقبل وطنهم ككل، وهو شباب حاصل على درجة عالية من التعليم والثقافة والوعى كما أنه مطلع على وممسك بزمام أحدث التكنولوجيات المتاحة على الصعيد العالمى، كما أنه شباب شديد الإبهار بأسلوب حديثه السلس ومنطقه الواضح والحاسم والسهل على الفهم فى ذات الوقت، وفى ذات الوقت هو شباب شديد الانتماء لوطنه ومعتز أيما إعزاز بتاريخ بلاده وبثقافته وبدور تونس التاريخى كمعبر وجسر فيما بين ثقافات متنوعة من الشرق والغرب، عربياً وأفريقياً وإسلامياً ومتوسطياً، ولاحظت بوضوح أن غالبية هؤلاء الشباب، خاصة النساء والفتيات منهم، شديدو التعلق والإعجاب والإكبار للدور التاريخى الذى لعبه الزعيم التونسى الراحل الحبيب بورقيبة فى مسيرة بلاده وما أحدثه من تغييرات فى مجتمعه فى اتجاه ما رآه من فرص للتحديث والتطور فى زمنه، بالرغم من أن هؤلاء الشباب ولد فى أغلب الأحيان بعد رحيل بورقيبة عن دنيانا، وبالتأكيد بعد إقصائه عن السلطة عام 1987.

وتنقلنى تلك المسألة إلى تناول حالة التقدير العامة لدور الرئيس التونسى الراحل الحبيب بورقيبة فى مجمل مسيرة تونس والسائدة من قبل ليس فقط الشباب، بل قطاعات واسعة من الشعب التونسى من مختلف الأعمار، ومن الجنسين، ومن مناطق جغرافية مختلفة وخلفيات اجتماعية وتعليمية متنوعة، بل ومن أصحاب توجهات فكرية متعددة. فقد استمعت إلى الكثير من الذكريات الجماعية أو المشتركة الإيجابية عن بورقيبة، ليس فقط عن سياساته وتأثيره فى مسار تونس وإسهامه فى تحريرها من الاستعمار الفرنسى ثم قيادتها فى اتجاه عصرنة وتحديث على نهج مغاير لما صارت عليه غالبية الدول العربية الأخرى بعد استقلالها وخلال نفس تلك الحقبة التاريخية، بل أيضاً حديث مليء بالحنين إلى الماضى عن خصال الرئيس الراحل الشخصية مع التركيز على مواقفه الواضحة والقاطعة ضد الفساد، بما فى ذلك محاربته لمحاولات بها شبهات للفساد واستغلال النفوذ داخل أسرته، بل ومن جانب ابنه الحبيب بورقيبة الابن ذاته، وحقيقة أنه رحل عن الدنيا، بعد سنوات من إقصائه من السلطة بواسطة انقلاب عسكرى قاده الرئيس

الأسبق زين العابدين بن على فى 7 نوفمبر 1987، وهو لا يملك غير منزله الشخصى فى مسقط رأسه بمدينة المنستيرالتونسية.

ومثل العديد من البلدان العربية الأخرى، استمرت تونس لسنوات، بل لعقود، فى الاعتماد فى جزء مهم من دخلها القومى على السياحة الوافدة إليها من مختلف أنحاء العالم فى ضوء ما حباها به الله من طبيعة خلابة وموقع متميز، نظراً لأنها تجمع بين المقاصد السياحية التاريخية، أو ما يعرف بسياحة الآثار من جهة والسياحة إلى المناطق الساحلية على البحر المتوسط، أو ما يعرف بسياحة الشواطيء من جهة أخرى، وسياحة المؤتمرات من جهة ثالثة والسياحة العلاجية من جهة رابعة والسياحة الرياضية من جهة خامسة أو غيرها من أنواع السياحة المعروفة. وقد عانت صناعة السياحة فى تونس، مثلها مثل غيرها من البلدان العربية التى مرت بنفس التجربة أو ما شابهها، فى أعقاب اندلاع ما جرى تسميته بـ «الربيع العربي»، والذى بدأ فعلياً فى تونس فى ديسمبر 2010 وتوج بفرار الرئيس التونسى الأسبق زين العابدين بن على إلى خارج البلاد فى يناير 2011. فمنذ ذلك التاريخ صارت البلدان التى مرت بـ «الربيع العربي» مستهدفةً على صعيد الإعلام العالمى من حيث التركيز على كونها غير مستقرة ولا يوجد أمن أو أمان بها، فى وقت انتشرت أعمال العنف أو الإرهاب فيه فى بلدان كثيرة عبر قارات العالم المختلفة وأصبحت هذه الأعمال لا تعرف أى حدود جغرافية أو قومية أو عرقية أو لغوية أو عقائدية. وأدى ذلك إلى انخفاض حاد فى أعداد السياح القادمين إلى تونس منذ ذلك التاريخ. وبالرغم من استمرار المعاناة من التراجع فى معدلات تدفقات السياحة إلى تونس مقارنة بإحصائيات عام 2010 وما قبلها، فقد عادت بعض تلك التدفقات فى الفترة الأخيرة، كما أن الشعب التونسى المضياف للسياحة الأجنبية والمرحب بها هو بدوره محتفظ بطبيعته الودودة وبالبشاشة المعتادة عليه ويعمل بجد لاستعادة، بل وزيادة، تدفقات السياحة الوافدة إلى بلده، ويعمل كذلك على أن يكون السياح الحاليون، على محدودية أعدادهم النسبية، هم بمثابة سفراء لتونس فى بلدانهم بعد عودتهم إليها نتيجة شعورهم بدفء الاستقبال وصدق الترحاب وحسن المعاملة لدى وجودهم بتونس من جانب أهلها.

ولا يزال الشعب التونسى، بمختلف أطيافه، يعتز بالمكانة التى وصلت إليها المرأة التونسية، خاصة عبر الإصلاحات التى أدخلها الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة وساعد على تحقيقها اجتهادات مستنيرة من العديد من رجال الدين فى جامع الزيتونة وغيره من المؤسسات الدينية والفقهية والجامعية الإسلامية فى تونس على مدار عقود متعاقبة، كما أن أهل تونس معتزون بالدور الذى تلعبه المرأة التونسية فى مجتمعها، خاصة منذ استقلال تونس فى عقد الخمسينيات من القرن العشرين. بل يفخر التونسيون، رجالاً ونساءً، بأن هذه المكانة وهذا الدور هما مما يميز بلدهم بشكل إيجابى عن الكثير من البلدان العربية والإسلامية الأخرى. وقد حدثت طفرة أخرى جديدة فى هذه الحقوق للمرأة التونسية فى الفترة الماضية من الناحية النوعية، وهو ما أثار مجدداً جدالاً واسعاً ونقاشاً ساخناً، ليس فقط فى داخل تونس بل على مدار العالمين العربى والإسلامى، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين تلك الحقوق والتفسيرات المختلفة لقيم وأحكام الشريعة الإسلامية، ونجد المرأة التونسية دائماً فى حالة اعتزاز بنفسها وفى حالة تمسك والدفاع عن وعدم تفريط فيما حصلت عليه من حقوق، ومرة أخرى فى حالة امتنان للرئيس الأول للجمهورية التونسية الراحل الحبيب بورقيبة الذى ساهم بقوة فى تمتعها بتلك الحقوق، كما تجدها حريصة على استقلالها كإنسانة وكشخصية لها اعتبارها وتتصرف على هذا الأساس وتفرض وجودها بمؤهلاتها الدراسية والعملية فى مختلف مناحى الحياة فى المجتمع التونسى من دراسة وعمل وغير ذلك من أوجه. وقد وصلت المرأة التونسية إلى وتولت الكثير من المناصب القيادية فى سلطات الدولة الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية، وكذلك فى مجالات مهمة ومؤثرة فى صناعة العقول مثل الأدب

والفكر والثقافة والفنون والصحافة والإعـــلام على مـــدار تاريخ تونس المســـتقلة، وفى كافـــة العهود منذ الاستقلال، وقبل وبعد ثورة جانفى 2011 كما يطلق عليها التونسيون.

وللرياضـــة فى تونـــس مذاق خاص، ربمـــا تشـــترك فى بعض جوانبه وأبعاده مع بلدان شـــمال أفريقيـــا الأخـــرى، ومـــرة أخرى يتميز فيـــه الرجال والنســـاء على حد ســـواء، فى مختلف الرياضات الفردية والجماعية، وتشهد تفوقاً فى المسابقات والبطولات على المستويات العربية والأفريقية والمتوسطية، بل والعالمية، كما أن الشعب التونسى فى الداخل ينقسم ما بين مشجع لعدد من الأندية المتنافســـة فى المسابقات الوطنية للرياضـــات المختلفة، وفى المقدمة منهـــا بالطبـــع الرياضة الشعبية الأولى فى الغالبية الساحقة من دول العالم اليوم، ألا وهى كرة القدم، بما لا يختلف كثيراً عن الحال فى الكثير من الدول الأخرى، خاصة بلدان شمال أفريقيا الأخرى. ونشهد فى شـــوارع مدينة تونس العاصمة وغيرها من المدن التونسية مسيرات التعبـــير عـــن الفرح والســـعادة بالسيارات وعلى الدراجات البخارية، وأحياناً حتى على القوارب الصغيرة عـــلى شـــواطيء البحـــر الأبيض المتوسط، فى حالات فوز نادٍ أو آخر ببطولة محلية أو عربية أو أفريقية من جانب مشـــجعى هـــذا النادى أو ذاك، ســـواء كانوا من الرجال أو النساء أو الشـــباب أو الشيوخ أو الأطفال.

وعرفـــت تونس أيضـــاً بتذوق شعبها للفنون بشكل عام فهو شعب عاشق للفنون وفى ذات الوقت مساهم إيجابى فى نهضة الفنون وازدهارها ورواجهـــا، وكذلـــك عرفت تونس بنبوغ العديد من الفنانين التونسيين

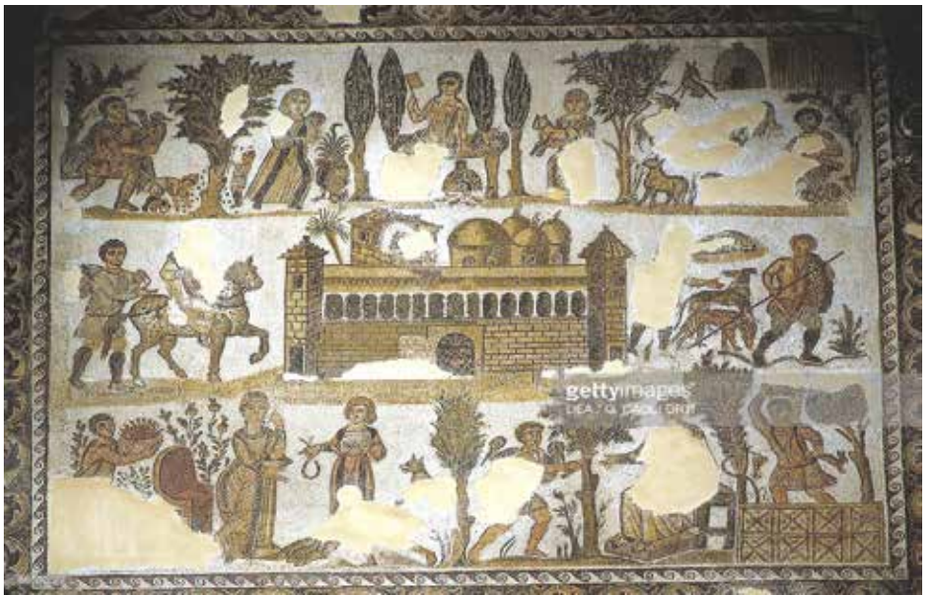

لوحة من متحف باردو فى تونس

فى مختلف أنـــواع الفنون على مدار عقود طويلة واتساع رقعة شهرتهم فى مختلف أنحاء الوطن العربى، وفى المقدمة منها فى مصر، بل كان هناك من الناحية الفعلية ارتباط عضوى فى العديـــد من أوجـــه الفنون بين مصر وتونـــس، فلكوكب الشرق أم كلثوم والعندليب الأسمر عبد الحليم حافظ شـــعبية جارفة لدى مختلف الفئات العمرية من الرجال والنساء على حد سواء فى تونس حتى اليوم، وقد اشتهر الشاعر التونسى الكبير أبوالقاســـم الشابى فى مصر، كما فى بقية البلـــدان الناطقة بلغة الضاد، بل وأدى فنانون مصريون على مدار أزمنة متعاقبة أشعاراً له. ومن منا فى مصر لا يذكر الشاعر الكبير بيرم التونسى صاحب البصمة التاريخية فى الشعر المصرى والعربى فى العصر الحديـــث، خاصة الشـــعر العامى المصرى، وصاحب التأثير المباشر فى الحركة الوطنية المصرية وتجلياتها على الصعيد الفنى، وبعد ذلك بعقود لا يمكن أن ننسى المطربة التونسية الراحلة عليـــا وأغانيها، خاصة تلك القومية العربيـــة والوطنية فى حب مصر فى سبعينيات القرن العشرين، ولم يكن ذلـــك مجرد حالة منفردة أو اســـتثناءً، بل كان تراثاً متبادلاً ومتواصلاً ومشـــتركاً بين البلدين، كان من معالمه الشهيرة أيضاً الشهرة الكبيرة التى حققها الفنان التونسى الكبير لطفى بوشـــناق فى مراحل سابقة فى مصر، خاصة فى صفوف النخبة الثقافيـــة والفنية المصرية، كما توجـــد حالة الفنانـــة لطيفة الحلفاوى التى اكتســـبت شعبية فى مصر، وعلى الجانـــب الآخر فهناك فنانون وفنانات من تونس بقوا فى وطنهم واشتهروا فى تونس وفى بقية أرجاء الوطن العربى الكبير ولكنهم اشتهروا أيضاً بأداء أغنيات لفنانين مصريين، وذلك مثـــل حالة الفنانة صوفيا صـــادق التى أدت مجموعة من الأغنيات لكوكب الشرق أم كلثوم وصدرت تلك الأغنيات لاحقاً فى عدة ألبومات سميت «كلثوميات»، كذلك أدت صوفيا صادق أغنيات للعندليب الأسمر عبد الحليم حافظ، وللفنان الراحل الشـــيخ إمـــام عيسى. كما أدت الفنانة التونســـية أمينة فاخت أغنيات لكوكب الشرق أم كلثوم. بل إن الفنان المصرى الراحل الشـــيخ إمام عيسى أقام لفترة ممتدة زمنياً فى تونس فى ثمانينيات القرن العشرين وأســـس هناك معهداً للموســـيقى العربية وله مدرسة وتلاميذ تتلمذوا على يديه مازالوا متواجدين وفاعلين

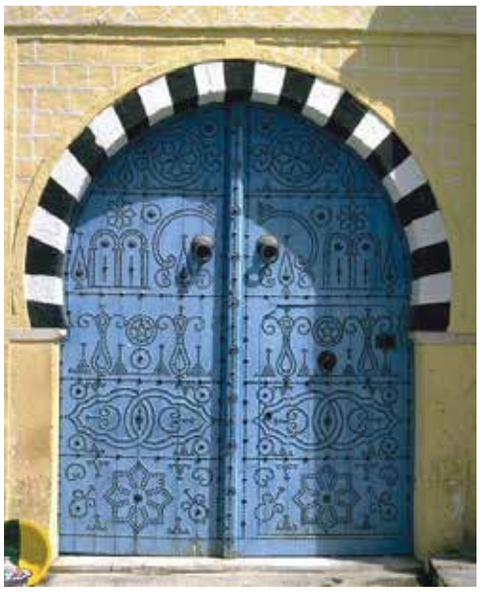

لوحة من متحف باردو فى تونس

وناشـــطين على الســـاحة الفنية التونســـية حتى اليوم. وفى مجال الســـينما، برز فى الساحة المصرية فنانون وفنانات كثيرون كان منهم فى العقدين الماضيـــين الفنانة هند صبرى والفنانة درة زروق وغيرهما من النســـاء والفنان ظافر عابدين من الرجـــال. كما كـــرم مهرجان قرطاج الســـينمائى الدولى الفنان والمخرج المصرى الراحل يوســـف شاهين فى دورته الثانية والعشرين، بل وتكرر مثل هذا التكريم لاســـم المخـــرج الكبير الراحـــل فى الدورة السابعة والعشرين لنفس المهرجان، والمنعقدة فى شهرى أكتوبر ونوفمبر من عـــام 2016، وللمخرج الراحل الكثير مـــن التلاميذ من العاملين فى ساحة الســـينما التونسية. وبصفة عامة، تميزت السينما التونسية منذ سبعينيات القرن العشرين وحجزت لنفسها مكاناً متقدماً على الساحات العربيـــة والأفريقية والمتوســـطية من خلال بصمـــات باقية لعدد من المخرجـــين البارزيـــن، ومنهم على ســـبيل المثال لا الحـــصر المخرجة مفيدة تليلى والمخرج نورى بوزيد، وعبر إنتاج مجموعة من الأفلام التى حظيت بالاهتمام مـــن قبل النقاد داخل تونس وخارجها، ســـواء على امتداد الوطن العربى بأسره أو على الصعيد العالمى، كما أن بعض تلك الأفلام حصدت جوائز فى مهرجانات عالمية وإقليمية متعددة.

ومن المسائل التى هى مثار نقاش أيضاً فى تونس هو ما بات يطلق عليه «الربيع العربـــي»، وهو أمر يدخل الآن فى عداد التاريخ القريب، وهذه مســـألة لها أهمية خاصة فى الحالة التونســـية نظراً لكون تونس كانت مهد هذا «الربيع» ونقطة انطلاقه، وبعد سنوات من هذا الحدث الكبير والمهـــم فى تاريخ تونـــس والوطن العربـــى فالجدل محتـــدم، مثل المجتمع التونـــسى فى ذلك مثل بقية مجتمعات البلدان العربية التى مرت بتجارب مماثلة أو مشـــابهة، حول جوانب كثيرة وأبعـــاد عديدة لهذا الحدث، وفى أكثر من اتجاه. فهناك من يفخر بريادة تونس لـ «الربيع العربي» ويعتبر الحالة التونســـية الحالة الأكثر نجاحاً، ولو نسبياً، فى ســـياق البلدان التى عاشت أحداثاً مشـــابهة أو مرت بهـــا أو لا تزال تخوض فى كل أو بعض تداعياتها. وهنـــاك من يرى المجـــال مفتوحاً للعديد من الاجتهادات والجهود فى سياق تصويب مسار نتاج «الثورة» أو «الانتفاضة فى ســـياق التجربة التونســـية، أو تطويـــر أدائها أو حتى مراجعة بعض مســـلماتها أو افتراضاتها أو نتائجها أو أهدافها، وكذلك لا تخلو الأجواء ممن ينظرون بعين الشك إلى تلك الأحداث متهمين أطرافاً خارجيـــة بالوقوف وراءها، وهناك من يقارن بين حال الاقتصاد التونسى قبل «الربيع العربي» ويعده ليشير بالحسرة إلى أوضاع منقضية كانت، من وجهة نظر هؤلاء، أفضل حالاً، ولينظر بعين الحنين إلى أيام ولت متمنياً عودتها بحلوها ومرها أو بحلوها مـــع العمل على معالجة مرها وتجنـــب تكـــراره أو إعادة إنتاجه. ويعد مثل هذا التنوع مظهر عمق وثراء وعنـــصر قوة مجتمعية وليس مظهر ضعف أو انقسام.

وهكذا تونس وشعبها ومجتمعها دائماً فى حالة حياة وتوهج ونابضة بالحراك الدال على الحيوية والنزوع نحو الأفضل، مـــع إدراك أهمية ما تحقق وما يبقى من تحديات يتعين مجابهتها والعمل على التعامل معها وتجاوزها، وتبقى بالتأكيد حقيقة أن «الخضراء» تستلهم جزءًا مهماً من رونقها وجاذبيتها وتألقها من نضارة وتوقد شعبها المعطاء ومن تاريخها الضارب بجذوره فى التاريخ ومـــن ثرائها الثقـــافى والحضارى والفنى والرياضى وفى غير ذلك من مناحى الحياة.

نكون أو لا نكون؟
ولكن الأهم هو كيف سنكون!

لفت نظرى ضمن الأخبار خبران، الأول كان منذ شهرين تقريباً يقول «استقبلت المهندسة نادية عبده محافظ البحيرة 700 سائح من 30 دولة أجنبية، ببيت الوادى فى أول وفود «رحلة العائلة المقدسة» التى تروج لها المحافظة فى المسارات الواقعة ضمن محافظة البحيرة»، والثانى كان قبل عدة أيام من إضاءة أشجار ليلة عيد الميلاد, حيث أعلنت القناة العاشرة فى التليفزيون العبرى عن مشروع جديد فى إطار ما يعرف بـ «خطة القدس الكبرى». والخطة باختصار عبارة عن إطباق السيطرة على المدينة من خلال تغيير واقعها الديموغرافى, وذلك ببناء 300 ألف وحدة استيطانية جديدة على مساحات كبيرة، يقع بعضها خارج الخط الأخضر الدى يفصل ما بين الأراضى المحتلة فى 1948 وتلك المحتلة فى 1967، وعلى لسان وزير الإسكان الإسرائيلى يؤاف جالانت ذكرت القناة أن هدف هذه الخطة هو إقامة «عاصمتنا» القدس اليهودية.

هبة عبدالعزيز

heba.elmolla@yahoo.com

وتزامن ذلك مع الاتهامات الكثيرة وخاصة الأخيرة منهـــا التى تمس الســـمعة المالية للرئيس الأمريكى ترامـــب، حيث وجهت له وســـائل إعلامية أمريكيـــة تهمة تلقيه دعماً مالياً من رجال أعمال يهود, تمهيداً لاتخاذه القرار بإهداء القدس للدولة العبرية, كما أعلن بالفعل فى الأسابيع الماضية.

مبارك أرض مصر

أعود للخبر الأول الذى أسعدنى كثيراً لعدة أســـباب ربما ســـيأتى حديثنا عنها فيمـــا بعد، ولكن كان أهم تلك الأســـباب مـــا يتعلق بـ «بشـــارة الخير» حول عودة حركة السياحة إلى مصر وخاصة السياحة الدينية لتصبح بمثابة طوق النجاة لصناعة الســـياحة. ويحضرنى هنا قول قداســـة البابا فرانسيس حين نزل من الطائـــرة فى مطار القاهرة قادماً مـــن روما وقال: «جئت لأحج إلى مصر. فرحلة العائلة المقدســـة تحولت مـــع الأيام إلى رحلة حج إلى مصر، وإحياء مثل هـــذه الذكرى المقدســـة وإحياء الطريق المقدس حدث أكثـــر من مهـــم». وهو ما جعلنى أسرح بخيالى وأتذكر رحلة العائلة المقدســـة التـــى هربت من بطش الملك هيرودس من فلســـطين إلى مصر، ومكثوا فيها ما يقرب من ثلاث سنوات، حيث استقبلها شعب مصر بحفاوة وترحاب، فقال فيها المسيح «مبارك أرض مصر.. مبارك شعب مصر».

«إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِـــصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ، لأَنَّ هِـــيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِـــيَّ لِيُهْلِكَهُ. فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ، لِكَيْ يَتِمَّ مَـــا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».

وهكذا لخص لنا إنجيل القديس متى رحلة العائلة المقدسة إلى مصر.

إن مجـــئ السيد المسيح والعائلة المقدسة إلى مصـــــر يعد مـــن أهـــم الأحـــــداث التى جـــرت على أرضها خلال تاريخهـــــا الطـــويل، فقد بارك الله شعب مصر بمرور رحلة الســـيدة العذراء مريم هى وطفلها هرباً مـــن شر الإمبراطور هيرودس الذى اضطهد المســـيحية، وأراد أن يقتل المســـيح عليه السلام هو وأمه مريم العذراء، فهربت حاملة طفلها وسلكت هذه الرحلة المقدسة والشاقة المليئة بالآلام والمتاعب. خرجت مريم ووليدهـــا عيسى عليه الســـلام من أرض فلسطين وبيت المهد هاربة إلى أرض مصر، راكبة على حمار حاملة طفلها بين ذراعيها ويجرهما يوسف النجار، يسيرون عبر برية قاسية من الصحارى والهضاب والوديان بدون حماية ســـوى من الخالق عز وجل. وحسب المصادر التاريخية القبطية عن هروب العائلة المقدسة والتى من أهمها ميمر البابا ثاؤوفيلس (23) من باباوات الإســـكندرية (384-412 م) أنه لم تسلك السيدة مريم ووليدها الطرق الثلاث المعروفة عند مجيئها من فلسطين، ولكنها سلكت طريقا آخر هربـــاً من خطر الروم، وكان هـــذا الطريق هو الأصعب بلا شك.

وكنت أود أن أتناول هنا مسار رحلة العائلة المقدسة تفصيلاً لما فيه من مواقع أراها غاية فى الأهمية، ربما لأنها تضئ فى أذهاننا وقلوبنا نقاطاً عدة عن تاريخنا المنسى وإنسانيتنا

التـــى عمل ويعمل على تشـــويهها سماسرة الدم. لكنى لن أطيل كثيراً خاصة وقد تناول الموضوع نخبة من الأساتذة والمتخصصين فى هذا العدد المتميز من مجلتنا «الدبلوماسي».

وأما عن الخبر الثانى بخصوص القدس، فبداية أطرح سؤالاً بديهياً حول أسباب اتخاذ الرئيس «ترامب» القرار غير الإنسانى وغير القانونى بالاعـــتراف بالقـــدس كعاصمـــة لإسرائيل، مع الأخذ فى الاعتبار أمرين، أولهمـــا أن أمريكا دولـــة تحكمها مؤسسات، والقرار فيها ليس فردياً، ولكننا نعلم أيضاً أن هناك مساحة متفق عليها ومحددة تســـتطيع أن تتحرك فيها تلك المؤسسات يميناً أو يساراً كل حسب توجهه.

والأمر الآخر هـــو: رغم أنه تم التصويـــت بأغلبية بـــين أعضاء الكونجرس عـــام 1995 للاعتراف بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، ولنقل الســـفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القـــدس، إلا أنه لم يطبق من جانب أى من الإدارات الأمريكية المتعاقبة قبل ذلك. وربما تساعدنا الإجابـــة على هذا الســـؤال فى فهم ما يحـــدث مـــن الإدارة الأمريكية الحالية بشىء من العمق، وفى ظنى أن الإجابة تحتاج أن نســـتعرض مسألتى العقيدة والمصلحة:

يعيش البشر بالحب

فبالنسبة للعقيدة نجد أن 40٪ من الذين أعطوا أصواتهم للرئيس «ترامـــب» هم من البروتســـتانت الأصوليين، وهـــؤلاء يمثلون حوالى 25٪ من إجمالى الناخبين الأمريكيين، ومن المعـــروف أن البروتســـتانت الأصوليـــين يؤمنـــون فى عقيدتهم بأن السيد المسيح سينزل فى مدينة أورشاليم القدس التى ستدور فيها معركة «هرمجـــدون» آخر معارك الزمـــان، والتى ســـتنتهى بمقتل ثلثى اليهود وسيدخل الثلث الباقى فى الديانة المســـيحية بعد انتصار الســـيد المســـيح، الأمر الذى يفسر تصويت غالبية أعضاء الكونجرس فى عام 1995 لصالـــح هذا القرار الظالم. فقد كان ذلـــك التصويت بمثابة مغازلة لهؤلاء الأصوليين أو لهذا التيار الناخب تحديداً. واتخاذ ترامب لقراره يعد محاولة لكسبهم لصفه وخصوصاً بعـــد إخفاقه فى إنجاز العديد مـــن الوعود المتعلقة بالشأن الداخلى.

وأما بالنسبة للمصلحة، فنعلم أن الأمريكيين ينقسمون إلى تيارين أحدهما عالمى يرى ارتباط المصالح الأمريكيـــة بما يجـــرى فى مناطق العالم الأخرى، وأن على أمريكا لعب دور قيادى لصنع وتشـــكيل العالم الملائم لتعزيز مصالحها، والآخر هو التيار الانعـــزالى الذى يرى أنصاره أن مصير بلدهم غير مرتبط بمصير العالم، وأن أمريكا يمكنها الحفاظ على أمنهـــا ورفاهيتها بغض النظر عما يحدث فى العالـــم من حولها. ومن المعلوم أن ترامب ينتمى للتيار الانعزالى. لذا نجده لا يبالى بالعزلة التى باتـــت فيها أمريكا بســـبب قراراته السياســـية، ولكن المصلحة هنا هى مصلحـــة ترامب وبعض الأمريكيين وليست مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية ككل.

ويحضرنى هنا قول شكســـبير «نكـــون أو لا نكـــون»، وكم أجده ملائماً للربط بين الموضوعين، وأعتقد أنهما يمثلان أيضا مفارقتين، فالأول هو رحلة العائلة المقدســـة وتزامن ذلك مع حلول ذكرى ميلاد الســـيد المسيح الذى جاء إلى العالم بشريعة الحب. فقـــد ورد فى إنجيل القديس متى فى الإصحاح الخامس أن السيد المســـيح قال «لا تظنـــوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل جئـــت لأكمل». فشريعة الحب لم تنقض العقيدة الســـائدة آنذاك بـــل جـــاءت لتكملها وتزيد عليها. ونعلم أن الحب لا يحاســـب بالحـــروف والـــشروط، ولا يعامل الناس بالصكوك والشـــهود، ولكنه

يفعل ما يطلب منه ويزيد عليه وهو مســـتريح إلى العطاء غير متطلع إلى الجزاء، الأمر الذى يجمع ولا يفرق، فيعيش البشر بالحـــب ويكونون بالحب. وتلك هى الرسالة والعقيدة.

وأما الثانى وهو موضوع تهويد القدس تحـــت رعاية أمريكية، فقد جاء هذا القـــرار ليكرس المزيد من الكراهيـــة فى عالم أصبـــح يعانى من ثقب كبير فى الضمير الإنســـانى بسبب سياســـات ترى أن وجودها فى الحياة أصبح ملازماً بشـــكل أو بآخر لاغتصاب الحقوق وظلم البشر والكيل بمكيالين، فيقلبوا الحقائق ويخلطوا الأوراق، وتتملكهم شهوة النفـــوذ ونوازع الســـيطرة، وأرى مريديها يتبعون شريعة الكره التى تفرق ولا تجمع وتلك هى مصالحهم عندمـــا يغلفوها بالعقيـــدة، تماماً مثلما يفعل فى الدين الإســـلامى من يطلقون على أنفســـهم تيار الإسلام السياسى اليمينى المتطرف.

ومع مطلع عـــام جديد، آمل أن يمتلك الضمير الإنســـانى مقومات صحوة أصبح عالمنا فى أمس الحاجة إليها، تحمل تلـــك الصحوة شريعة الحب كما نزل بها الســـيد المسيح عليه الســـلام، وشريعة العدالة كما جاء بها سيدنا محمـــد الرسول الكريم عليه السلام.

تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحق والوهم

يروى أن الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين عندما سئل عن رأيه فى تطبيق الشريعة الإسلامية، أجاب بأنه لا يمانع على الإطلاق فى تطبيقها شريطة أن يعرف مسبقاً من سيفسرها ومن ثم يتولى تطبيقها. والبادى الآن أن بلادنا تشهد لغطاً متزايداً حول هذا الموضوع شديد الحساسية خلال تلك الآونة بعضه صادر عن مشاعر نقية صادقة، وبعضه الآخر عن مزايدات حزبية سياسية قاصرة النظر والرؤية، وهؤلاء وأولئك ـ على ما يبدو- يقصرون الأمر برمته والشأن جله فى عملية تطبيق الحدود، وهى جزء يسير للغاية من الشريعة الغراء، والتى هى بالفعل مطبقة – فى أغلبها الأعم– فى بلادنا منذ عهود موغلة فى القدم بشكل أو بآخر.

وزير مفوض د. محمد عرفى

mohammed.orfy@yahoo.com

ويعن لكاتب تلك السطور أولاً أن يستميح القارئ الكريم عذراً ألا يضيق ذرعاً من قراءة المقال بشأن هذا الموضوع شديد الحساسية أو أن يسقط عليه أفكاره المسبقة، بل أن ينظر إليه من زاوية الاجتهاد الذى هو عرضة أن يصيب أو يخطىء.

فعندما كنت شاباً فى العشرين من عمره تملؤه الحماسة والفتوة كنت مقتنعاً تمام الاقتناع بأهمية تطبيق حدود الشريعة الإسلامية لتخليص المجتمع من الشرور وتخليق مجتمع مثالى غير موجود على الأرض – حتى فى عهد الأنبياء –، وفقاً لتفسيرات لبعض الآيات الكريمة مثلما تراءى لى آنذاك. ثم مرت سنوات عديدة أخرى، وأتيحت لى فيها فرص سانحة للدراسة، أحمد الله تعالى عليها كثيراً – فى الداخل والخارج – مما يسر لى سبل النظر إلى هذا الموضوع من زوايا عديدة سياسية واقتصادية وقانونية واجتماعية، بل ودينية أيضاً، فقد غدوت أكثر فهماً بالضرورة لصحيح الدين وجوهره وفلسفته بشكل أكثر عمقاً وأفصح بياناً. ومن ثم، فلقد وجدت أن بعضاً من الحديث حول تطبيق الحدود – فى إطار تطبيق الشريعة– لا يستند إلى أسس واقعية، وهو ما سوف أوضحه فى النقاط التالية:

أولاً: الحدود هى جزء يسير من مجمل الشريعة الإسلامية، ذكرت فيما يقرب من عشر آيات بالقرآن الكريم، فالإسلام رسالة ربانية نزلت للتوحيد ونشر العدالة وإعمار الأرض، عبر التربية ونشر مكارم الأخلاق وتعظيم قيم العمل والسعى للعلم حيثما كان، ومن قبل ذلك وبعده الإخلاص لله سراً وعلانية، فهذا هو الهدف الرئيسى الذى يجب أن يستقطب جل الاهتمام وأكثر الاجتهاد شأواً. ومن ثم، فإن التركيز على شق واحد من جوانب عدة للشريعة الإسلامية، يعد فهما قاصراً مبتسراً لصحيح الدين..

ثانياً: تطبيق الحدود، وفقاً للقواعد الإسلامية ذاتها، هو أمر شديد الصعوبة، قد يصل أحياناً إلى حد الاستحالة فى إنزال العقوبة. ففى حالة الزنا، على سبيل المثال، يلزم وجود أربعة شهود شاهدوا الواقعة رؤية كاملة تتيح لهم القسم بأن حبلا ما كان ليمر بين الزانى والزانية، حتى قيل أن شهادة ثلاثة شهود « عدول» فقط لا تقبل، بل وتستوجب إنزال العقوبة عليهم ما لم يكن رابعهم، بالمثل فى واقعة السرقة، فإن هناك شروطا عديدة -مثلما يرتئى بعض العلماء- لتطبيقها أهمها ألا يكون السارق فى عوز كبير أو احتياج شديد أو أن يكون له شبه ملكية فى المسروق الذى يجب أن يكون محروساً وذا قيمة وغير ذلك.

ثالثاً: بناء على ما تقدم، فإنه يتعين على المجتمع – بادئ ذى بدء- أن يوفر أولاً سبل التعليم والعلاج والزواج والدخل المعقول لجميع أفراده، قبل أن يصل إلى تلك المرحلة التى يستطيع فيها تطبيق الشريعة عليهم .والخطأ الشائع هنا هو ترديد

إن كل الصلوات تصل إلى الله مهما كان الدين أو المعتقد

مقولة مؤداهـــا أن الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أوقف حد السرقة فى عـــام المجاعة، فالصحيح أن الخليفـــة- رضى الله تعالى عنه- رأى أن شروط تطبيـــق الحد، مثل التى ذكرتها آنفا بشأن توفير الحد المقبول من الكفاية للفرد، غير قائمة أصلاً، ومن ثم، فـــلا يجوز تطبيق العقوبة، فالضرورة تقدر بقدرها.

فإلى حين أن نصل إلى تلك المرحلة من التطـــور المجتمعـــى، يصبح الحديث عن تطبيق حدود الشريعة فى غير محله. ثـــم لتتبقى قاعدة أن الحدود تدرأ بالشبهات، فهذا القول المســـتنبط من رؤى الرسول «صلى الله وعليه وســـلم»، كفيل بأن يمنع كثيراً من العنت فى تطبيق العقوبات، لاســـيما أن تياراً رئيسياً يرى أنه لا يجوز توقيع العقوبة إن تاب مرتكب الجرم قبل اكتشاف أمره على سبيل المثال.

رابعاً: نحن لا نعيش لوحدنا بل إن جزءاً أصيلاً لا يتجزأ من مجتمعنا هم من الأقباط – وهم ليسوا ضيوفاً بل أصحاب بيت مثلنا –، وهؤلاء لا يمكن أن تطبق الشريعة الإسلامية عليهم، فلا الإسلام ولا المنطق يقبلان بذلك. فكيف ســـيكون إذن التعامل مع قضية ضمت مسلمين وأقباطا؟ هل يمكن أن توقع عقوبات متباينة على المســـلمين وأخرى على الأقباط على ذات الجرم؟ أظن أن هذا الأمر بحاجة إلى اجتهاد كبير من فقهائنا. وكذلك الحال، فنحن لســـنا جزيرة منعزلة فى العالم، بل نحن جزء منه نتأثر به ونتعايش معه، ولقد تنامت معايير معينة للعقوبات بعضها قد يلائمنا، وبعضها لا يتفق معنا مثل رفض وجود عقوبة الإعدام أو إباحة حقوق الشواذ وغيرها.

ففى تلك المرحلة، أرى أن المواءمة تجاه الداخـــل والخارج، ومن قبلها وبعدهـــا الصالح المجتمعى بأسره، تســـتوجب – تجنب المزايدات التى تســـتدر الإعجاب دون أن تســـتند إلى حقائـــق الأمـــور – وأن نكتفى بالحرص على عـــدم تعارض جملة قوانيننا مع فلسفة الشريعة الغراء، أخذاً فى الاعتبار أن حقيقة أن الإسلام صالح لكل عصر وزمان، هى دعوة للاجتهاد وإعمال الفكر – مثلما قال كاتبنا الكبير عباس العقاد الراحل بـــأن التفكير فريضة إســـلامية –، ولنتذكر أن بعضاً من كبار المفكرين الإســـلاميين ذكـــروا أن الحدود فى جوهرها تستهدف الردع والزجـــر، وليس للتطبيق العشـــوائى، مثلما نزع نظام جعفر نميرى لتطبيقه فى السودان، قبل عقود، وكانت النتيجة كارثية تمثلت فى حرب ضروس بين الشمال والجنوب راح ضحيتها مئات الآلاف، ثم أفضت إلى الانفصال الذى وقع مؤخرا.

وختامـــاً ليتدبر القارىء دلالات أننا قد صرنا نعيش فيما يســـمى عصر شـــيوع البلوى – أى انتشار العوز والجهل والفقـــر المدقع –، مما قد ييـــسر لأى عديم الضمير أن يســـتأجر أربعة رجال بعدة مئات مـــن الجنيهات كى يشـــهدوا أنك قتلت أو سرقت إلخ. وكذلك فلنتذكر أن الضرورة تقـــدر بقدرها، ودرء المفسدة مقدم على جلب المنفعة.

العلاج الفورى المبتكر لتطوير الشخصية

تشرفت فى 9 ديسمبر 2017 بعمل ندوة بالنادى الدبلوماسى النهرى أدارها السفير د. محمد الضرغامى بشأن العلاج الفورى لتطوير الشخصية خلال 3 ساعات دون دواء أو مجهود أو ألم أو مضاعفات. حضر الندوة لفيف من رواد الدبلوماسية المصرية وزوجاتهم، وحيث كانت أسئلتهم تنم عن وعى وتعمق، كما عرض فى خلفية الندوة فيلمان أمريكيان قصيران دخلا مهرجانات دولية، أحدهما وثائقى عن العلاج الفورى الذى حصلت على ملكيته الفكرية وعنوانه (طبيب نفسى بقدرات خارقة) والآخر روائى مستوحى من قدراتى العلاجية بعنوان (الماسينچر) مثلت دور البطولة فيه وفاز بجائزة أفضل فيلم دولى فى مهرجان جالا ڤينيسيا الدولى لعام 2017 حيث سبق أن غطى الإعلام استلامى لجائزة المهرجان فى ١٤ أكتوبر 2017.

فما هى الفئات التى تستخدم العلاج الفورى المبتكر لتطوير الشخصية؟

لو كنت تعانى من مرض نفسى عصابى كالقلق والاكتئاب، أو كنت تعانى من أعراض جسمانية سببها نفسى، أو كنت تريد التخلص من الوزن الزائد والتدخين، أو كنت ببساطة تحتاج تطوير شخصيتك للتخلص من العيوب والمشاعر السلبية واكتساب مميزات وصفات إيجابية تجعلك تتمتع بالسعادة والكفاءة والنضج والأمان والثقة والسلام الداخلى والتوافق، وتمتلك وعياً أعمق وأشمل وحساً أرفه، لو كنت حقاً تحتاج وتريد بعضاً مما سبق أو كله، فإننى حاصل على الملكية الفكرية للعلاج الفورى لتطوير الشخصية بما يحقق ذلك فى جلسة واحدة لمدة ٣ ساعات دون ألم أو جهد أو دواء أو مضاعفات.

قد لا يكون من السهل تخيل أن تتطور الشخصية على النحو المراد وتتخلى عن سلبياتها فى أقل من 3 ساعات، أو أن يتم القضاء على الأمراض العصابية كالقلق والاكتئاب وغيرها والتخلص من الأعراض الجسمانية ذات السبب النفسى فى نفس تلك المدة دون مجهود أو دواء، ولكن هذا ما حدث بالفعل -مثلما حدث فى اكتشافات علمية لم يكن يتخيلها العقل قبلاً- باكتشافى ذلك العلاج وممارسته تطوعياً بسبب عملى الدبلوماسى قبل بلوغ سن المعاش على مئات من الأفراد منذ 1997 كطبيب بشرى وممارس نفسى وروحى بالطاقة والتخاطر بعد العديد من الدورات والشهادات ومنها طريقة سيلفا للتحكم العقلى والبرانيك هيلينج والكوانتم تاتش وكوكبة الأسرة (فاميلى كونستيليشان) تطوير الحواس الخارقة وطريقة العلاج النفسى الجمعى بالتحليل النفسى وطريقة اختيار رواد

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

الفضاء الأمريكية التى تعلم توجيه الانتباه الانفعالى خارج الذات باستمرار لتحقيق وعى أعمق وأشمل وحس أرفه وإنتاج أكفأ وأسرع ومختلف تقنيات التأمل وتعميقه واليوجا الروحية كالراجا يوجا ومانترا التأمل باليوجا لإطلاق طاقة الكوندلينى الروحية وتنظيف الشاكرات، والتنويم الذاتى الموجه بالإضافة لشهادات التنويم المغناطيسى والتنويم بالمناقشة وكمعلم للريكى والبرمجة العصبية اللغوية ومدرب الحياة.

وهذه الدورات والتدريبات والشهادات وليدة سنوات طويلة من الولع بعلوم النفس والطب النفسى والباراسيكولوجى والفلسفة وعلوم الاتصال والطاقة والروحانيات بدأتها منذ المرحلة المدرسية حيث كنت أستذكر علم النفس والفلسفة التى كانوا يدرسونها فى الثانوية أدبى وكلية الآداب قسم فلسفة ثم أثناء دراستى للطب البشرى بدخول مجموعة تجريبية للعلاج النفسى الجمعى لعام ونصف حيث تمرست على التحليل النفسى والتبصر الذاتى وكان من نتائجها أنى كنت أول طبيب بشرى يلتحق بالعمل الدبلوماسى والذى رأيت فيه فرصة للنمو النفسى والروحى بالانفتاح أيضاً على الثقافات الأخرى واستيعابها وللالتحاق بالدورات المذكورة والحصول على شهاداتها. ولما كان الهدف الأول من دراستى لتلك العلوم تطبيقها على ذاتى للتطور النفسى والروحى وتحقيق السلام الداخلى والتوافق النفسى فإنه من أهم ما أفادنى طريقة اختيار رواد الفضاء الأمريكيين التى تمكن المتدرب عليها من تجفيف المشاعر السلبية الداخلية وإطلاق الطاقة المختلسة فيها إلى خارج الذات. والمثير بالنسبة لطالب العلاج أن تلك الطريقة التى تمرنت عليها فى عامين يمكننى إدخالها إليه فى أقل من ثلاث ساعات ليعيش الحالة المذكورة من السلام الداخلى ووفرة الطاقة المرنة الموجهة للإدراك والحس والعمل ومواجهة المتاعب بارتياح وكفاءة وسرعة.

العلاج يتم فى جزءين أولهما تشخيصى طبى ونفسى لعرض الشكاوى والطلبات وتحليلها والاتفاق على أهداف العلاج المرجوة، والثانى تنفيذ العلاج بالتنويم المغناطيسى دون حديث. ونقل الطاقة والتخاطر والجزءان يستغرقان معاً أقل من ثلاث ساعات دون جهد أو ألم أو دواء لتحقيق الأهداف والتناغم بين الجسد والعقل والروح ونوعية أسعد وأفضل من الحياة سواء لتطوير الشخصية وأغلب الناس قد يحتاجونها إذا أرادوا أو للقضاء على الأمراض العصابية أو الأعراض الجسمانية ذات السبب النفسي، وهى بالمناسبة أغلب الأعراض التى يصاب بها الناس.

ولتسهيل فهم هذا العلاج الفورى وتطبيقاته فيما يلى إجابات على أسئلة شائعة:

ما هو مفهوم العلاج بالطاقة؟

كطبيب بشرى معالج وفى حالة نوع

العلاج الذى اكتشفته نتيجة لجمع العلم الطبى بالممارسات النفسية والروحية والقدرات الخاصة كالتخاطر والتقمص والتخيل يتم العلاج الفورى بنقل الطاقة إلى الفرد بما يدعم معنوياته ويشفى أعراضه ويجعله على النحو الذى يطلبه من ناحية تطوير الشخصية، ويتم ذلك بتحميل الطاقة المنقولة بمشاعر وأشكال الشفاء، فيما يشبه ما يسمى بالتأثير الروحى وهى طريقة مارسها أنبياء وعدد قليل فى تاريخ البشرية وتعتمد على أن المعالج يتخيل أنه ناقل لقوى الكون الروحية عبره ليغمر بتيار هادف منها، مصمم حسب الحالة، ما فوق وعى الفرد (العقل الروحي) الذى يؤثر على العقل الباطن بما يحقق الشفاء ويضع الجسم فى حالة من الانسجام والتناغم.

ما هى آلية العلاج؟

يتم عمل جلسة تشخيصية فى حدود 90 دقيقة للتعرف على ما يريده طالب العلاج، وتشخيص الوضع نفسياً وطبياً والاتفاق على أهداف العلاج المطلوبة، ويجب أن يتوفر لدى الطالب الرغبة الجادة فى تحقيق النتائج والتفتح لتقبل نوع العلاج بروح إيجابية، خاصة وأنه يتم بلا ألم وبلا دواء وبلا لمس وبلا كلام وبلا مجهود منه بل يشعر بإحساس لطيف مريح خلال ساعة تستغرقها جلسة العلاج بعد التشخيص.

وخلال الجلسة يطلب من طالب العلاج الاستلقاء على سرير فى نفس الغرفة وإغلاق عينيه وصرف نظره عن التفكير فى العلاج، حيث إن الهدف وضع الطالب فى حالة أشبه بالاسترخاء للتواصل المباشر مع العقل الباطن وجعله على النحو الذى يريده العقل الواعى بنقل برنامج شعورى تخيلى معاش شكلا وإحساساً ينفذه العقل الباطن لأن العقل الواعى طلبه ومقتنع به، وبالتالى يحدث الشفاء فوراً.

هل يمكن لهذا النوع من العلاج مداواة كافة الأمراض؟

هذا النوع من العلاج يخاطب العقل الباطن المسئول عن النواحى الشعورية وما يتعلق بها من أعراض ناتجة عن المشاعر السلبية وهى بالمناسبة أغلب الأعراض العضوية، كذلك عن الأمراض النفسية الناتجة عنها، والمسئول أيضا عن عمل الأجهزة التلقائية فى الجسم وحيث يمثل العقل الباطن أكثر من 90% من العقل وبالتالى يؤثر بقوة على الشخصية والحالة النفسية والجسمانية.

لذا يستخدم العلاج فى تطوير الشخصية على النحو المطلوب والقضاء على المشاعر السلبية وما تسببه من أعراض جسمانية وأمراض نفسية عصابية، وحيث من المعروف أن كثيراً من الأمراض الجسمانية تحدث لأسباب نفسية بالإضافة للأسباب العضوية البحتة، وهكذا فإن علاج الجانب النفسى لذلك النوع من الأمراض العضوية يبطل هذا المسبب ويوقف تأثيره الضار أو يعالج المرض كليا حسب الحالة.

هذا العلاج أمكنه فى حالات محددة تنظيم عمل أجهزة الجسم المصابة بدلاً من إجراء عملية مثل استئصال الحوصلة المرارية حيث أمكن تشغيلها بدلاً من الجراحة فى بداية ممارستى للعلاج منذ20 عاماً وعلاج مئات المصابين بأمراض أو أعراض مختلفة ومن أهم ممارسات العلاج تطوير الشخصية حسب المطلوب وإكساب عادات اجتماعية وصحية إذا ما توافرت لدى الطالب الإرادة الجادة حيث إن كثيرا من المترددين على العلاج يريدون ذلك حتى فى حالة عدم وجود مرض عضوى أو نفسى.

ويحدث العلاج فعالية كبيرة لأنه يوجه طاقة الطالب نحو تعميق إدراكه ورفاهة حسه وفعالية وجودة عمله وتركيزه وزيادة سعادته وقدرته على اتخاذ القرارات والفهم.

وما هى طريقة القياس التى يمكن من خلالها الحكم بأن المريض قد تحسن بالفعل كما فى حالة الطب التقليدى؟

يهتدى المعالج بعد الجلسة مباشرة بشفاء الأعراض الجسمانية والنفسية وفق ملاحظته الطبية والكشف واختفاء شكوى طالب العلاج بالإضافة إلى أن المتابعة متاحة لمن يريد بأن يروى ملاحظته بعد يومين مثلاً على أدائه وحالته النفسية والعضوية بالإضافة لما يقوله بعد انتهاء الجلسة.

ومن المهم أن يستمر طالب العلاج على نفس رغبته فى الشفاء عند بدئه ليبقى العقل الباطن بعد نقل الطاقة متفقاً مع العقل الواعى فيستمر الشفاء وفق نفس الإرادة.

أود إيضاح أننى لا أعالج ما لا يمكن قياس نتائجه فوراً مثل السرطان حتى وإن نفع العلاج جزئياً لأن فى العلاج الذى أقدمه من المهم أن يشعر طالبه بالثقة فيما أقوله وأتوقعه وأن يرى النتائج مؤكدة لذلك. كما أؤكد إن كان طالب العلاج يتلقى علاجاً دوائياً مسبقاً فأنا لا أطلب منه إيقافه أو تغييره حسب النتائج بل أترك ذلك لملاحظته النتائج والشفاء أو لاستعانته إن أراد لاحقا برأى الطبيب الذى وصف له العلاج الدوائى.

ما هى الأمراض أو العوارض التى تعد من الأمور المثالية التى يمكن علاجها بالطاقة كما ورد سابقا؟

تطوير الشخصية واكتساب صفات وعادات يرغبها طالب العلاج والتخلص من كل المشاعر السلبية، على سبيل المثال القلق والكآبة والمخاوف والتوتر والوساوس والأوهام وتحقيق التوازن الانفعالى والشعور بالتوافق والراحة والتركيز والسعادة والقضاء على العادات السيئة وفق إرادة الراغب إزالة أغلب الأعراض الجسمانية ذات السبب النفسى لأن العلاج يزيل المشاعر السلبية المسببة.

تنظيم عمل بعض أجهزة الجسم التلقائية إذا كان الخلل لغير سبب بكتيرى أو فيروسى ومن المهم العلم بأن المقابلة التشخيصية تهدف أيضاً إلى الإبلاغ عما يمكن عمله بنجاح تام وما يمكن محاولة علاجه حتى يكون طالب العلاج على بينة مسبقة من النتائج المتوقعة ويوافق عليها قبل بدء العلاج وإننى حالياً مقيم فى فيينا- النمسا إلا أننى أتواجد بمصر فى أجازات شتوية عادة من نوفمبر إلى أبريل أو وفق مهام عمل متفق معها مسبقاً مع الجهات التى تقدم خدمات علاجية.

لا تبالـغ فى القـول أو فى العمـل

من الناس من يقول أو يعد بما لا يستطيع أن يفى به.. وهو لا يبالى إن صدقه الناس أو سخروا منه أو تندروا عليه.. والناس تقول عنه أنه «بيمزّع»(!) ولا يأخذونه مأخذ الجد.. وهناك بالطبع درجات متفاوتة من هؤلاء «المزّاعين»، منهم المقتصد، ومنهم من لا تستطيع أن تصدق له حرفًا واحداً مما يقول..

وهـــذا شىء ســـيئ بطبيعة الحال فى كل درجاته.. يروى أنه فعل أشياء أو قال لفلان كذا وكذا «فى وشه»(!) وما يقوله لا علاقة له بالحقيقـــة أو بالواقع.. هو يريد إثبات الذات بغرض إبهار المتلقى، وقد يكون له قصد معين من وراء ذلك وقد لا يكون.. فهناك من العرسان من يتقدم لطلب يد آنسة، ويتحدث عن نفسه، وعن اقتداره مادياً وأدبياً، وقد ينخدع فيه أهـــل العروس إذا لم يدققوا فيما يقول أو يتحروا عنه، فإذا ما تحروا عنه وجدوا أن ما قاله عن نفسه لا أصل له ولا فصل.. وقد يعد بأشياء إن هم وافقوا على طلبه.. ثم إذا تم له ما أراد، تحلل من كل وعـــوده وعهوده، وظهر على حقيقته.. ويحدث هذا كثيراً للأسف الشديد.. وتكون النتيجة أن العـــروس حينما تتكشـــف لهـــا الحقائق تطلـــب الطلاق، فيســـاومها على وقوع الطلاق، وكأنها صفقـــة يريد أن يخرج منها رابحاً(!).

وهناك عـــلى الناحية الأخرى المبالغة فى الفعل.. فيأخذ الإنسان على نفســـه أكثر مما يطيق أو

سفير د. فتحى مرعي

يحتمـــل.. فتكـــون النتيجة أن يخسر صحته وجهده ولا يحقق ما أراد.. وقد ضرب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» مثلاً لذلك فى قوله «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» والمنبت هو الذى يواصل السير بدابته ولا يعطى نفســـه ولا دابته قســـطاً كافياً من الراحـــة، فتكون النتيجة أن تنفق دابته ويتعطل عن المســـير كلية.. وكان يقـــول لمن يأتونه ويبايعونه على الســـمع والطاعة «فيما اســـتطعتم» أى لا تحملوا أنفسكم أكثر مما تطيقون.. وقد روى أن النبى صلوات الله عليه وســـلامه رأى عبد الله بن عمرو بن العـــاص فبادره بالقول «ألم أخبر أنك تصـــوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رســـول الله، قـــال: فلا تفعل، صـــم وأفطر، ونم وقم، فإن لبدنك عليك حقا» وكان ينهى عن المغالاة فى النسك بقوله: «هلك المتنطعون» - قالها ثلاثاً - والمتنطعون هم المغالون المفرطون فى الصيام والقيام... إلخ.

وهناك فى المهن المختلفة من يجهدون أنفســـهم فى ممارسة المهنـــة، فتجد الطبيـــب الذى أحيانـــاً ما تكون لـــه أكثر من عيادة، ويكون مرتبطاً بأكثر من مستشـــفى، فلا يريح نفسه إلا ساعات قليلة فى الليل والنهار، ولا تراه أسرته إلا بشـــكل خاطف.. مثل هذا الطبيب لن يستطيع أن يستمر على هذا المنوال إلى ما شاء الله، بل ســـيعانى من الإجهاد، وقد يتسبب هذا الإجهاد فى أخطاء ربما تكون جســـيمة، خاصة لو كان يجرى عمليـــات جراحية.. مثل هذا يحدث فى مهن أخرى.. وتكون النتيجة أنهم يهلكون أو يستهلكون أنفسهم قبل الأوان.

فالقصد القصـــد فى القول، والقصـــد القصـــد فى العمل، يرحمكم الله.

أفتخر وأعتز.. وأخجل وأعتذر

أفتخر وأعتز بمصريتي.. وانتمائى العربي.. وإيمانى واحترامي لعقائدنا السماوية.. إسلامية ومسيحية.. ويهودية.

د. وليد عوف
عضو المجلس المصري للشئون الخارجية
w.auf@medmark.eg

أعتز وأفتخر بأن وطنى فى عز كبواته ظل صلباً متماسكاً على مدى التاريخ، وتحرر منذ عقود من دنس الاستعمار العسكرى وواجه تحديات جسيمة، ومر بنكسة أليمة عايشتها فى مرحلة الصبا، وبعد سنوات قليلة استرد كرامته فى حرب أذهلت العدو والقوى الكبرى والعالم أجمع، بفضل قيادات وجنود واعية ومسئولة أدت دورها باجتهاد وإخلاص وشجاعة وبسالة وخبرة وحنكة، عادلت موازين القوى ومهدت لطريق السلام بشكل مشرف أدى لاستعادة كامل التراب الوطنى.

مهما اختلفنا حول تفاصيل هذه المرحلة التى فتحت مصر خلالها أبواباً لتحقيق مكاسب لم ولن تعوض للقضية الفلسطينية والحقوق العربية، أبواب أغلقت بسبب قصور رؤية الزعماء العرب فى تلك الفترة، وفرصة أهدرت، وخسر الشعب الفلسطينى مزيداً من الأراضى والديار، ولا يزال تهويد القدس يسير قدماً بدعم أمريكى فج وغير مسبوق.

وعلى الصعيد الوطنى أعود وأفتخر وأعتز بأن مصر وقد مرت خلال السنوات الأخيرة بهزات وتقلبات سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة، وتحديات داخلية وخارجية لا حصر لها، لا تزال وطناً متماسكاً وصامداً رغم المعاناة وضيق السبل، فى وقت انهارت من حولها دول عربية عدة وقعت فى براثن المؤامرات الدولية وجيوش الإرهاب والدمار والخراب.

وكمواطن.. أخجل وأعتذر لأبنائى وأحفادى، لأننى أنتمى لجيل غلبت عليه السلبية فى الشأن العام، وظل صامتاً عدة عقود على أوضاع أدت لإنهاك الوطن وفتح ثغرات ينفذ منها الخصوم والأعداء، ويكيلون لنا الضربات حتى وصلنا لوضع حرج يخشى من عواقبه على أهل المحروسة ودول الجوار التى لا تزال قائمة حتى الآن.

أعتذر وأخجل من تسليم الراية للأبناء فى يوم من الأيام فى هذه الحالة من الضعف والهوان، حيث التحدى الأكبر هو مجرد البقاء..

ولا أملك الآن سوى الوعد بالسعى والاجتهاد بإخلاص فى كل موقع أتواصل وأتفاعل فيه لأكون مواطناً بالمعنى الصحيح للكلمة، شريكاً فى الحقوق والواجبات الوطنية، والمسئولية والمساءلة. وأن أكون بنّاء فى مواقفى، صادقاً وموضوعياً فى آرائى، داعماً لأهلى فى الوطن ومجتمعى، أنقل خبراتى ومعرفتى لمن يحتاج لها، وأستفيد من خبرات وتجارب الآخرين. أقول كلمة الحق دون مواربة أو تملق. وأضع نصب عينى صالح الوطن وأجيالاً ندين لها بإصلاح ما فسد فى غيبة منا على مدار عقود طويلة.

ويقينى أن إصلاح الوطن يبدأ بإدراك كل منا بأنه مسئول تجاه نفسه وأهله ومجتمعه وبلده التى وإن شقت وضاقت سبل العيش فيها وشابها الخلل والفساد، تبقى هى الجذر والملاذ، والمنشأ والموطن الذى لا غنى لنا عنه. وإصلاح مصر على مختلف الأصعدة الأمنية والسياسية والتنموية والثقافية والاجتماعية ضرورة حتمية لصالح الشعب المصرى فى المقام الأول، وسيكون له مردود إيجابى وبنّاء فى المنطقة العربية وفى دعم القضية الفلسطينية على وجه الخصوص.

ويبقى من الضرورى أن يدرك الشعب الفلسطينى وسلطاته أن المسئولية الرئيسية لحل قضيتهم أو الحد من خسائرهم تعتمد على مدى صمودهم وتوحيد صفوفهم وتكثيف طاقاتهم لمواجهة العدوان والتجاوزات الإسرائيلية السافرة بمختلف أوجه المقاومة المشروعة وتوظيف كل مواردهم البشرية والمادية لصالح قضيتهم بعيداً عن النزاعات البينية وجبهات المواجهة والتدخل فى شئون الغير وعلى وجه الخصوص الساحة المصرية فى سيناء أو غيرها. فمصر القوية سند للعرب وللشعب الفلسطينى وخط دفاع فى مواجهة مخططات التوسع الصهيونى فى المنطقة بأسرها.

وعلينا جميعاً أن نتحمل مسئولياتنا, كل فى مجاله لتخرج مصر من كبوتها، وتبدأ مسيرة جادة نحو نهضتها، لتحقق نقلة نوعية سبقتنا إليها عدة دول فى مناطق مختلفة من العالم حققت فى سنوات وعقود قليلة قفزات هائلة غير مسبوقة. إن نهضة مصر حلم يراودنا جميعاً ويمكن تحقيقه لو توافرت الإرادة الصلبة والرؤية الثاقبة وحسن توظيف الموارد والتخطيط المنهجى وكفاءة الأداء.

لنعود جميعاً ونفتخر ونعتز بوطن نستحقه وراية عالية نسلمها للأجيال من بعدنا.

أمنيـــات للوطـــن

قصيدة سفير رضا الطايفي
taifyreda@yahoo.com

نفسى تعود الفرحة
والبهجة ترجع تانى
تملا قلوب الناس
ونهار بلدنا يطلع منور
بالأمل
من غير متاعب أو كوارث
أو ألم
من غير حوادث أو مآسى
أو ندم
لا فيه غيوم ولا هموم
أو شجن
ولا ضحايا ولا ثكالى
أو دموع
أو دم سايل فى الصحارى
والربوع
يسطع شعاع الشمس
فيه
ينشر دفا ويبدد الليل اللى
طال
ويولد الحلم الجميل
وتقيد ملايين الشموع
وتملأ كل الدنيا نور
نفسى الورود من كل لون
تملا الجناين والمداين
والحب والخير والجمال
يكون شعارنا ويكون
مسارنا
يكون سلوك ولاد بلدنا
فى كل بيت وكل مصنع
وكل غيط
فى مدنا وفى قرانا والنجوع
نفسى الكنانة بعد أيامنا
اللى فاتت

والفرص اللى لاحت ياما
بس ضاعت
ترجع تنور بالأمل وتعود
لها روح العمل
من غير توقف أو تباطؤ
أو كسل
نفسى ولادها يرجعوا لها
من تانى
أمجادها وأمجاد الجدود
من صخرها يبنوا حضارة
وتعود زى ما كانت منارة
من طمى نيلها وأرضها

المعجونة بالدم اللى سال
تطرح لنا بدل الشهيد
مليون بطل مشروع
شهيد
والدنيا ترجع تانى تشهد
أن الفراعنة أولاد
جدودهم عن جدارة
نفسى هلالنا فى العالى
دايما
فوق المداين حاضن
صليبنا
والرب دايما حافظ بلدنا
ناصر ولادنا مسلم
مسيحى
واقفين هناك حاميين
حدودنا
لأجل الكنانة ترجع
عظيمة
تبقى قوية وتعيش عفية
تفضل كبيرة مرفوعة
رأسها ورأس ولادها
علمها دايما فوق فى
العلالى
والفرح يكبر من عيد لعيد
ونهنى بعض فى كل عيد
نفسى فراشات الجناين
من كل لون وكل طيف
ترجع تطير
وتعود بلابلها تغنى
وحمامها طاير فى السما
حامل بشاير فرحنا

مصر للتأمين
MISR INSURANCE

شركة مصر للتأمين

- تأمين علي السيارة بنسبة ٢,٦٥٪ من سعر السيارة
- عرض خاص للسادة الدبلوماسيين و أقارب الدرجة الأولي منهم
- تأمين شامل
- إرسال ونش نقل السيارة في حالة الحوادث الجسيمة
- إمكانية الإصلاح داخل و خارج التوكيل
- تأمين علي الحياة
- تأمين طبي
- تأمين علي المسكن (الحريق و السطو) و كذلك علي المتعلقات

لدي السادة الدبلوماسيين أثناء نقلها من و إلي خارج مصر

للتواصل : طارق الصاوي (رئيس مجموعة تسويقية) لدي مصر للتأمين
تليفون / فاكس : ٠٢٢٦٨٥٦٢٥٩
موبايل : ٠١١١٠١١١١٤٦ - ٠١٠٦٢٦٠٥٣٩٩

Email: tarekelsawy01@gmail.com
traka7_000@yahoo.com

الإدارة : ٢٨ش محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب
الفرع : ش إبراهيم اللقاني - روكسي - مصر الجديدة

ليه تروح البنك لما البنك ممكن يجيلك؟

مع CIB Mobile Banking اتحكم في حساباتك
وخلّص كل معاملاتك البنكية من مكانك في أي
وقت ووفر وقتك ومجهودك

أفضل بنك
على مستوى العالم
في الأسواق الناشئة من يورومني

Google play
Available on the iPhone App Store

تُطبق الشروط والأحكام

بنك نثق فيه

/CIBEgypt | WWW.CIBEG.COM

19777